عارف العارف

المفصّل

في تاريخ القدس

الجزء الاول

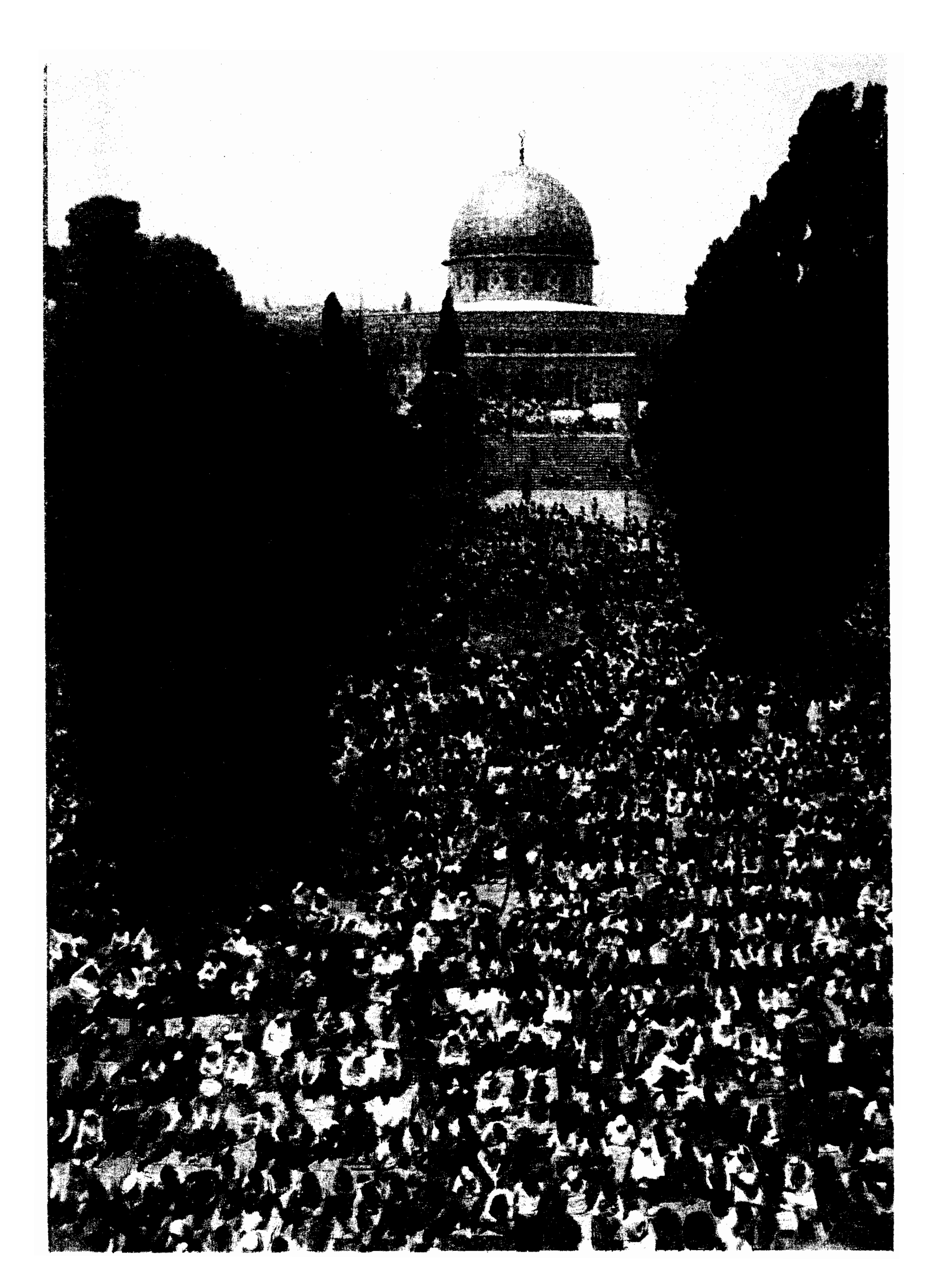
الناشر فوزي يوسف صاحب مكتبة الأندلس في القدس

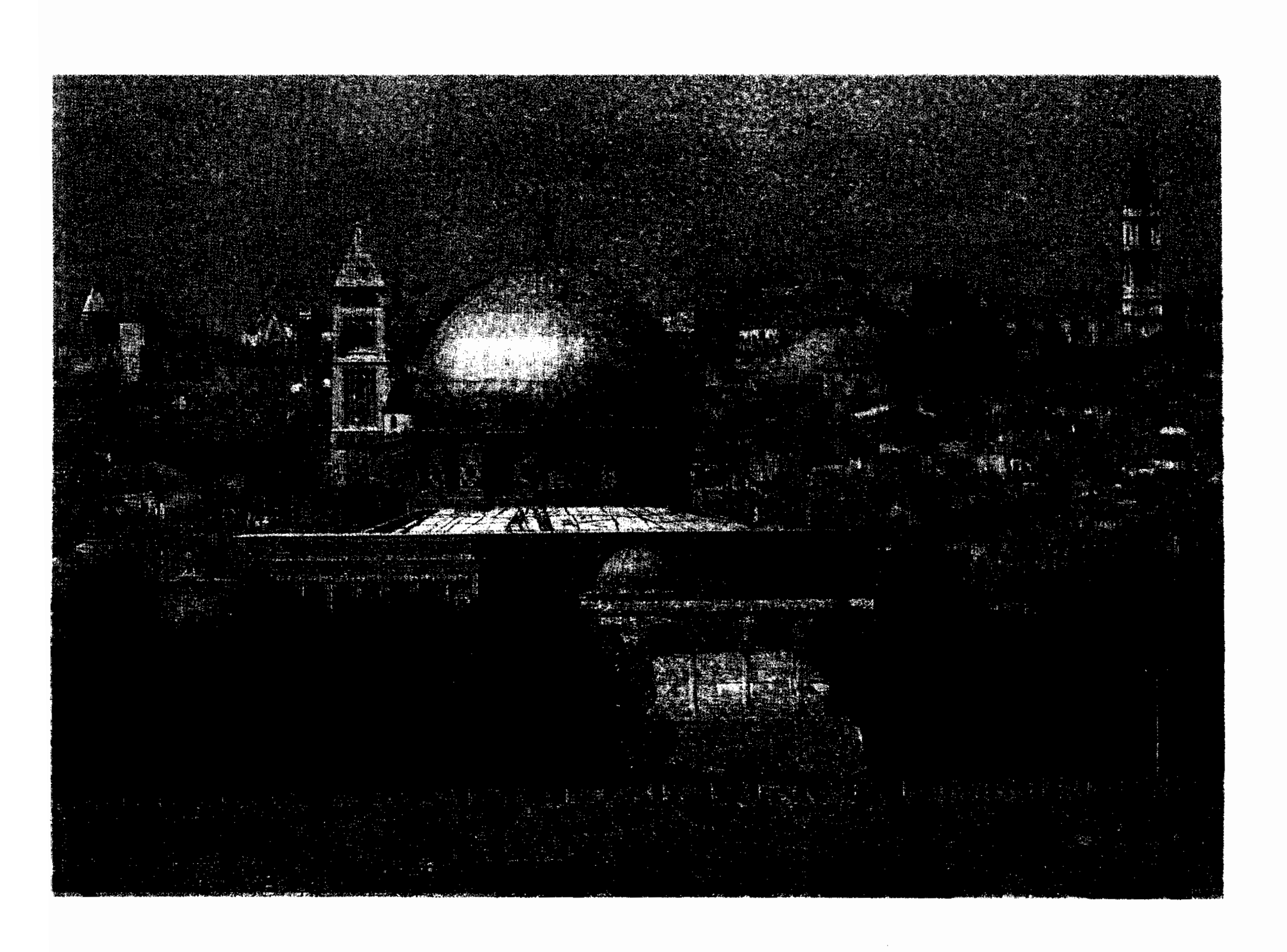
الطبعة الخامسة 1999

مطبعة المعارف – القدس م. مشحور واولاده

الاهداء..

... الى أبي





المقدمة

حينما أخرجتُ كتابي : (الموجز في تاريخ القدس) . . وكان ذلك قبل عشر سنين . . وقد توّلتْ إخراجه يومئذٍ (دار المعارف) بمصر . . قطعتُ على نفسي عهداً أن أُتبعَه – متى آنَ الاوان – بكتابٍ آخر يرسمُ معالمها بشيءٍ اكثرَ من الوضوح ، ويسردُ أخبارها بقدرٍ اكبرَ من التحقيق والتحليل . وهأنذا ، برّاً بوعدي ، أضعُ بين يديك ، ايها القارىء الكريم ، كتابي هذا ؛ وقد سمّيْتُه :

المفصل في تاريخ القدس

وقد حدّثتُك فيه عن اخبار هـــذه المدينة : من اليوم الذي بناها فيه اليبوسيون الى يومنا هذا .

وسواءٌ أقرأتَ هذا الكتاب **أم ذاك** ، فإنّكَ – وانتَ تمعنُ النظر في صفحاتِه – لن تجدَ مناصاً من التسليم – كما **سلّمتُ أنا** من قبلك – أن القدس ليست مدينةً تاريخيةً قديمةً فحسب ، بل انهـــا من اقدم المدن التي عرّفها التاريخ .

وإنه لتاريخٌ مجيد . . تاريخُها .

ذلك لأنها صمدَتْ لنوائب الزمان بجميع انواعها، وطوارىء الحدثان بجميع ألوانها . حتى أنه لم يبق فاتحٌ من الفاتحين ، أو غازٍ من الغزاة المتقدمين والمتأخرين ، الذين صالوا في هذا الجزء من الشرق ، إلّا ونازَلتْه ؛ فإمّا أن يكونَ قد صرَعَها ، أو تكون هي قــد صرَعَــتْه . .

إنها مدينةٌ مقدسة . واسمها هذا . . القدس . . معناه في اللغة الطهر والبركة والقداسة . . . وقداستها هذه وإن كانتْ قد رفعتْ قدرها وشرّفتْ اسمها وأذاعتْ في الخافقين صيتَهــا ؛ إلّا انهــا ، في الوقت نفسه ، كانت – ويا للاسف – السببَ في معظم البــلايا والإحن التي اصابتها ! ! . فكم ، وكم من مرة في التاريخ – القديم منه والحديث – هوجمتْ ، واستبيح حِماها ! . . وكم ، وكم من مرةٍ سُفكت دماءُ ابنائها ، ودُمرت بنيانها تدميراً ، فجعل عاليها سافلها ! . . لا ، لسببٍ ؛ سوى انها مقدسة ! . .

وراح الناس من جميع اطراف المعمورة يفدون اليها ، يريدون امتلاكها !.. غير مكتفين بالصلاة والعبادة ! . . وكان القول الفصل ، في اغلب الاحيان ، للسيف والمدفع ! .

وكثيراً ما شعرتُ بالرغبة تحدوني لمعرفة الحقيقة: مَن مِن هؤلاء الغزاة والفاتحين كان على حق؟ ومَن منهم كان على باطل؟ ومَن الذي كان ارحم من غيره في غزوه؟ وما هو الاثر الذي تركه هذا وذاك في هذه الديار؟

وثَمَّ حافز آخر.. هو الذي حفزني الى دراسة تاريخها.. انه حُبي.. بلى وربك. إني أحبها: لجمالها، وطيب نسيمها، وجودة تربها، ودم الآباء والاجداد الذي يَعْبَقُ أريجُه ويفوح عبيرُه في كل ذروة من ذُراها. ولا بدع: فانها بلدي.. ومسقط رأسي.. ومرتع قومي وعشيرتي.. ففيها أبصرتْ عيناي النور لأول مرة في حياتي.. وعلى هواها درجتُ منذ نعومة اظفاري..

ولمّا شببتُ عن الطوق؛ رحت أكثر من التجوال في ساحاتها، وأسرح الطرف ملياً في معالمها. وكلما اطلت الوقوف والتأمل في اثر من آثارها، ازددت حباً لها وشغفاً بها.

ورمتني يد الاقدار بعدئذ.. ولحينٍ من الدهر.. في ديار الغربة؛ فجبت الشرقين: الاوسط والاقصى. وما كانت غربتي الا لتزيدني حباً على حب، وحنيناً على حنين: لتربها، واهلي واهلها.. وكثيراً ما كنت اتذكر – وانا اتنقل من بلد الى بلد.. سواء في الاستانة حيث أتممت دراستي الجامعية او في سيبريا حيث كنت أسيراً – أن للارض التي وُلدت فيها أمومةَ الام التي ولدتني، ولقومي أبوةَ الاب الذي جاء بي الى هذه الحياة.

ورحم الله شوقي، حين قال:

وطني لو شُغلت بالخُلد عنه   نازَعتْني اليه في الخُلد نفسي

ولما عدتُ الى وطني بعد غربة استمرت سبع سنين، رأيت من واجبي أن أدرس تاريخها.. القديم منه والجديد.. من جديد. ولبثت على تلك الحال عشرين عاماً او يزيد.. منصرفاً احياناً الى عملي الرسمي وقضاء حاجتي وحاجة بيتي وعيالي، واحياناً اخرى الى البحث عن تاريخ بلدي. وقد يسّر لي مهمتي السنوات الخمس التي قضيتها رئيساً لبلدية القدس، والثقة التي حباني بها ابناء بلدي الذين لم يضنوا عليّ بما لديهم من وثائق واخبار. الامر الذي شجعني على المضي في عملي.

فلم اترك باباً، الا وطرقتُه؛ ولا معبداً، الا وولجتُه؛ ولا كلمة منقوشة على الاسوار او الجدران، الا انعمت النظر فيها؛ ولا كتاباً صُنف في تاريخ هذه المدينة وسمعت به، الا ورجعتُ اليه انهلُ من معينه، سواء كان ذلك الكتاب مطبوعاً اولا يزال مخطوطاً؛ ولا طللاً من طلولها البالية، إلّا وقفت عليه أستنطقُ الاثر وأستطلعُ الخبر.

الى ان تجمع لديّ ، مع طول الوقت وتراخي الزمن ، من اخبارها الشيء الكثير . بعضه متمم للبعض الآخر . وان كان البعض واضحاً ، لا لبس فيه ولا إبهام . . والبعض الآخر من الغموض بحيث يحتاج الى ايضاح وتحديد . وقد اوضحته قدر المستطاع .

وقد استعنتُ بعدد غير قليل من الكتب التي وضعَها المؤرخون القُدامى ، واني لأذكرُهم الآن وأذكرُ فضلهم بالشكر والتقدير[1] . فتتبعتُ ما كتبوا . وأمعنتُ النظرَ فيما قالوا . ونقلتُ ما قالوا وكتبوا بامانةٍ واخلاص . فانهم اتفقوا في رواية، اقتبست تلك الرواية على علاتها ، كأنها حقيقة مسلمة ؛ واثبتها في كتابي ، دون الاشارة الى قائليها . والا ، نقلتُ الروايات المتناقضة وذكرت الاسباب التي تدعوني لترجيح احداها على الاخرى .

وحاولت جهدي ألّا انهج في بحوثي نهج الرواة والمؤرخين الذين اتّبعوا أهواءهم السياسية ومعتقداتهم المذهبية ؛ فحادوا عن محجة الصواب . اذ اكتفوا بذكر ما يرضيهم ويرضي عترتهم وعشيرتهم . واما انا ، فقد حاولت تجنب ذلك النهج ما استطعت الى ذلك سبيلا . فذكرت جميع الامم التي استوطنت هذه المدينة ، وما فعلته فيها من خير وشر . وعنيت عناية خاصة بالاشارة الى ما تركته هذه الامم من طابع فيها . ولم أبال ان كان هذا الطابع نافعاً ام ضاراً ، وان كان مما يرضى هذا الفريق او يغضب ذاك :

« إن يمسسْكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرح مثله ، وتلك الايام نُداولها بين الناس[2] » .

فاذا كنت قد وُفقتُ في عملي ، ورآى فيه بنو قومي ما ينفعهم في بحوثهم لدراسة تاريخ هذا البلد المقدس ، كان ذلك ماأبغى . واذا فاتني شيء مما كان ينبغي أن اضيفه، ولم افعل. . او قَصُرَ بي الجهد عن إخراجه على الوجه الامثل. . فشفيعي في زلتي طيب قصدي . . والله من وراء القصد . . وحسبي منهم أن يرشدوني الى خطأي : عاذرين، لا عاذلين . فان اعقلَ الناس أعذرُهم للناس . والعصمة لله وحده

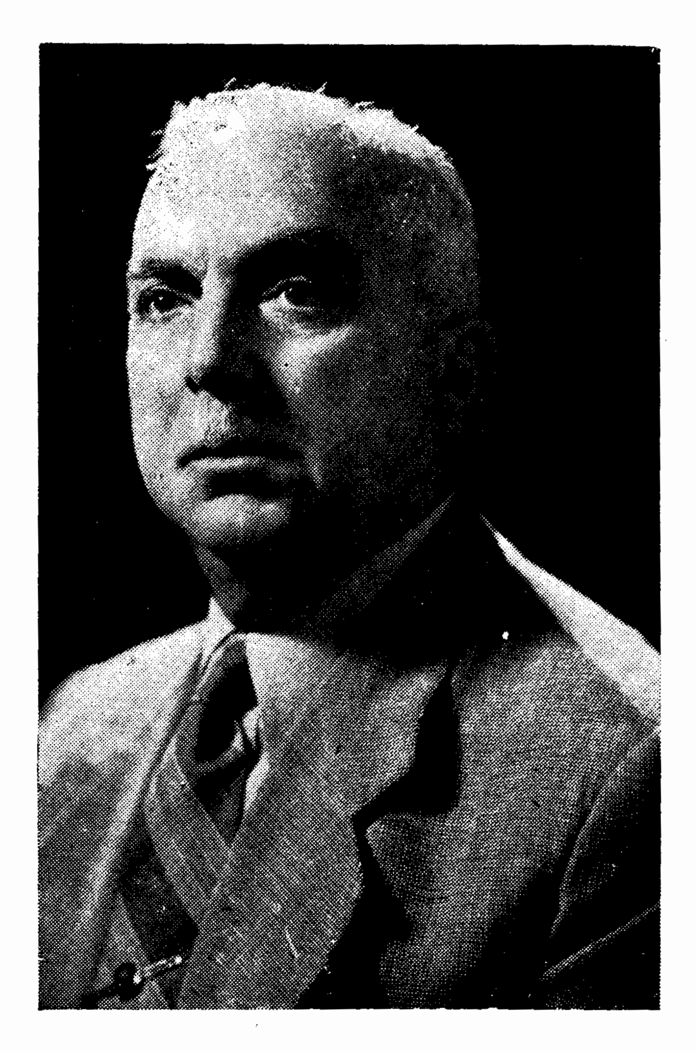
عارف العارف

زمان كتابة (الطبعة الاولى ، شوال ١٣٨٠ هـ — نيسان ١٩٦١ م

---

(١) اقرأ ما كتبته عنهم وعن كتبهم في الفصل الذي أعددته للمصادر .وقد ثبته في الصفحات الاخيرة من هذا الكتاب.

(٢) سورة آل عمران . الآية ١٤٠ .



المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

يسعدني أن أحقق رغبة الاخ السيد فوزى يوسف في تقديم الطبعة الثانية من :

(المفصل في تاريخ القدس)

لموءرخ بيت المقدس وبعض المدن الفلسطينية المرحوم عارف العارف .

لقد ظل كتاب (المفصل) المرجع الرئيسي لنا قرابة ربع قرن لم يوءلف قبله ولا بعده ما يبزه لا في العربية ولا في اللغات الغربية ، حسب علمنا ، في احاطته بأحداث خمسة الاف سنة ودقته وانصافه.

ويرجع ذلك الى أسباب :

أولها : أن عارف العارف رحمه الله وأكرم مثواه كان موءرخا بالفطرة يميل منذ شبابه الى تدوين المذكرات ومتابعة الاحداث في اى بلد كان . وثبت كتبه البالغ عددها ثمانية عشر كتابا دليل صدق على ذلك مضافا اليها ثلاثة مخطوطات هي :

١. كنت أسيرا في سبيريا .

٢. ثلاثة أعوام في عمان .

٣. الكويت حاضرها وماضيها .

نتمنى ان تطبع .

والسبب الثاني : أن عارف العارف كان موهوبا في تعلم اللغات . فقد ألم بست منها الماما حسنا مكنه من مراجعة المصادر الموءلفة بهذه اللغات الامر الذى لم يتحقق لموءرخينا القدامى والمحدثين جميعا .

والسبب الثالث : أنه شغل مناصب عالية ، وخاصة رئاسة بلدية القدس مدة خمس سنوات فتحت أمامه الابواب المغلقة في وجه غيره فاستعان بعدد كبير من الوثائق في الاديرة والجوامع والمكتبات القديمة وخاصة الحجج الشرعية كما هو واضح من الحواشي المثبتة في الكتاب . وكذلك اطلع على عدد كبير من المخطوطات والمطبوعات في مختلف اللغات الامر الذى لم يتيسر لاحد غيره من عرب وغربيين .

والسبب الرابع : يرجع الى التزامه المنهج العلمي الحديث الذى يوجب اثبات المصادر والمراجع بأمانة ودقة وعرض الاحداث باسلوب موضوعي بريء من العصبية رغم الموضوعات الدقيقة التي تداخلت فيها السياسة بالدين والنزعات الفردية بالنزعات القومية الامر الذى شوه كثيرا من الكتب التي ألفت بعده وحط من مكانتها العلمية.

ان هذه الاسباب مجتمعة جعلت من كتاب المفصل كتابا فريدا لا نظير له في اللغة العربية ولا فياللغات الغربية.

واقدام الناشر السيد فوزى يوسف على اعادة طبع الكتاب احتسابا لوجه الله والعلم رغم نفقاته الباهظة مكرمة تضاف الى أبن بيت المقدس البار الذى قضى زهاء نصف قرن في خدمة الكتاب العربي. والله سبحانه وتعالى يرحم الموءلف ويجزل ثوابه ويكرم الناشر ويمد في عمره انه نعم المولى ونعم النصير .

القدس

اسحق موسى الحسيني

« إني رأيت أنه لا يكتبُ إنسانٌ كتاباً في يومه ، إلاّ قال في غده : لو غُيّر هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل . وهذا من اعظم العبر ، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جُملة البشر » .

العماد الاصفهاني

كلمة الناشر

عندما زرت اسبانيا في عام ١٩٥٩ ، ورحت أتجول في ربوعها ، متنقلاً بين مدنها وقراها ، متذكراً عهد الأندلس الزاهر ؛ تذكرت مؤرخنا الكبير الاستاذ عارف العارف . . . ووددت ان لو يسمح له وقته برحلة يقوم بها الى تلك الربوع الجميلة ؛ ليصف لنا باسلوبه الشيق ونظره البعيد وتحليله المنصف ما يراه فيها ، ويحدث أبناء العروبة عن أمجاد العرب ، وعن عصرهم الذهبي ، وعن الاسباب التي ادت الى تضعضعهم وأفول نجمهم في تلك الربوع . ولا بدع، فان لمؤرخنا الكبير تلك المكانة المرموقة في البلاد العربية ، حتى انهم يلقبونه :رجل التاريخ . وهذه كتبه الكثيرة التي وضعها عن فلسطين ، وعن عدد كبير من مدنها التاريخية تشهد بما أقول . وانه ليحضرني منها الآن :

تاريخ بئر السبع وقبائلها ، وتاريخ غزة ، والموجز في تاريخ عسقلان ، وتاريخ الحرم القدسي ، والمسيحية في القدس ، ونكبة بيت المقدس والفردوس المفقود . وكتابه الأخير هذا عن (النكبة) جاء في سبعة أجزاء . وقد حدثنا فيه ، كما حدثنا في غيره من الكتب ، عن تاريخ هذه الأرض المقدسة حديث صدق وأمانة . فذكر لنا الصفحات البيض ، كما ذكر الصفحات السود . . . ولم يغفل عن ذكر السيئات ، في الوقت الذي كان يسرد فيه الحسنات . . .

* * *

وهذا ما جعلني اذكره ، عندما وقفنا – أنا وعدد من الرفاق السائحين – أمام قصر الحمراء ، وسمعنا احد الأدلاء الأسبان يتطاول على التاريخ ؛ فيقول :

« كان لأمير العرب . . . صاحب هذا القصر . . . نحو خمسين امرأة ! . . يسكنّ معه في قصره ولا يخرجن منه أبدا ! . . وكان الأمير يقضي معظم وقته في قصره مستمتعاً بالغيد الحسان ! . . وكذلك كان يفعل جميع الامراء الذين تولوا حكم الأندلس من قبل ومن بعد ! . . ومكث العرب على تلك الحال سنين طوال ، الى أن غُلبوا على أمرهم أمام ملوكنا ! . . فخرجوا من ديارنا مدحورين ! . . »

* * *

هذا ما قاله الدليل . . . وانه لقولٌ فيه الكثير من السخف والتضليل . . .

فأثار قوله امتعاضنا . . . ورحنا نؤنبه ، قائلين له :

« لكل امريء في هذه الحياة حسنات وسيئات . وللعرب أيضاً – كما لغيرهم من

الأقوام – حسنات وسيئات . والانصاف يقتضينا ان نذكر الوجهين . واما أنت ، يا هذا ، فانك لم تذكر شيئاً من حسنات العرب وامجادهم في هـــذه الديار . مع ان الكتب التي صنّفها المؤرخون الاسبان انفسهم تشيد بفضلهم . وهذه القصور الجميلة المنتشرة في بلادكم ، وهي كثيرة ، وهي التي ساقتنا وساقت الكثيرين غيرنا من السائحين ابناء الامم الاخرى الى هذه الديار ، اكبر شاهد على ما نقول » .

واستشهدتْ احدى السيدات العربيات اللواتي كنّ معنا بما قاله الدكتور غوستاف لوبون عن العرب في كتابه : (حضارة العرب)[1] .

ان هذا العلاّمة الذائع الصيت ذكر العرب في مواضع كثيرة من كتابه . فقال عنهم : « انهم هم الذين مدّنوا اوربة مادة وعلماً واخلاقاً . وقد ظلوا اساتذة لها مدة ستة قرون . وهم الذين أخرجوا الغرب من الظلمات الى النور . . . » . .

وقال أيضاً : « ان حضارة العرب من انضر الحضارات التي عرفها التاريخ . . »

هذه الحادثة ذكّرتني بحادثة أخرى مماثلة سمعتُها من الاستاذ العـــارف . وهي انه سمع يوماً أحد الأدلاء يقول لجمع من السائحين في الحرم القدسي – وهو يشير بيده الى قبة الصخرة – « ان هذا المكان بناه الجان ! . . » فما كان من استاذنا الا ان أوقف الدليل عند حده . وقال له : « رويدك ، يا أخي ! ان هذا المكان من صنع العرب وليس من صنع الجان ! ان الذي بناه هو عبد الملك بن مروان . . الخليفة الاموي . . ذو المكانـة المرموقة في التاريخ . . . انه انسيٌ وليس بجنيٌ ! . . انه عربي مثلنا . . . ابن وطننا وامتنا وديننا . . وإنه ليجدُر بنا جميعاً أن نمجده ، وان نخلد ذكراه ، وان نذكر ما فعله بكل فخر واعتزاز . . . . » .

* * *

هذا ما قاله الاستاذ عارف الى الدليل . وقد سمعته ، يشير الى ذلك الحادث ، في محاضرة القاها على جمع من الادلاء في قاعة المتحف الفلسطيني بالقدس ؛ وقـــد استنبط منه العبرة ، فقال :

« انه لمن حقي وحقك ، ايها العربي ، أن نفخر بما كان لاجدادنا من فضلٍ وطول باع في فن الهندسة والبناء وفي مختلف العلوم والفنون . فان هذه الآثار البديعة التي نراها

---

(١) Civilization des Arabs طبع سنة ١٨٤٤ . وقد نقله الى العربية الاستاذ عادل زعيتر . وتولت طبعه سنة ١٩٤٥ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

هنا وهناك : في القدس والقاهرة . . . وفي دمشق وبغداد . . . وفي ربوع الاندلس . . وتلك الطلول التي سمح الدهر بها ، فابقاها . . . لندلنا دلالة واضحة على مـــا شادوا من مبان وقصور ؛ كانت ، على مر العصور ، شامة في جبين الدهر . . . »

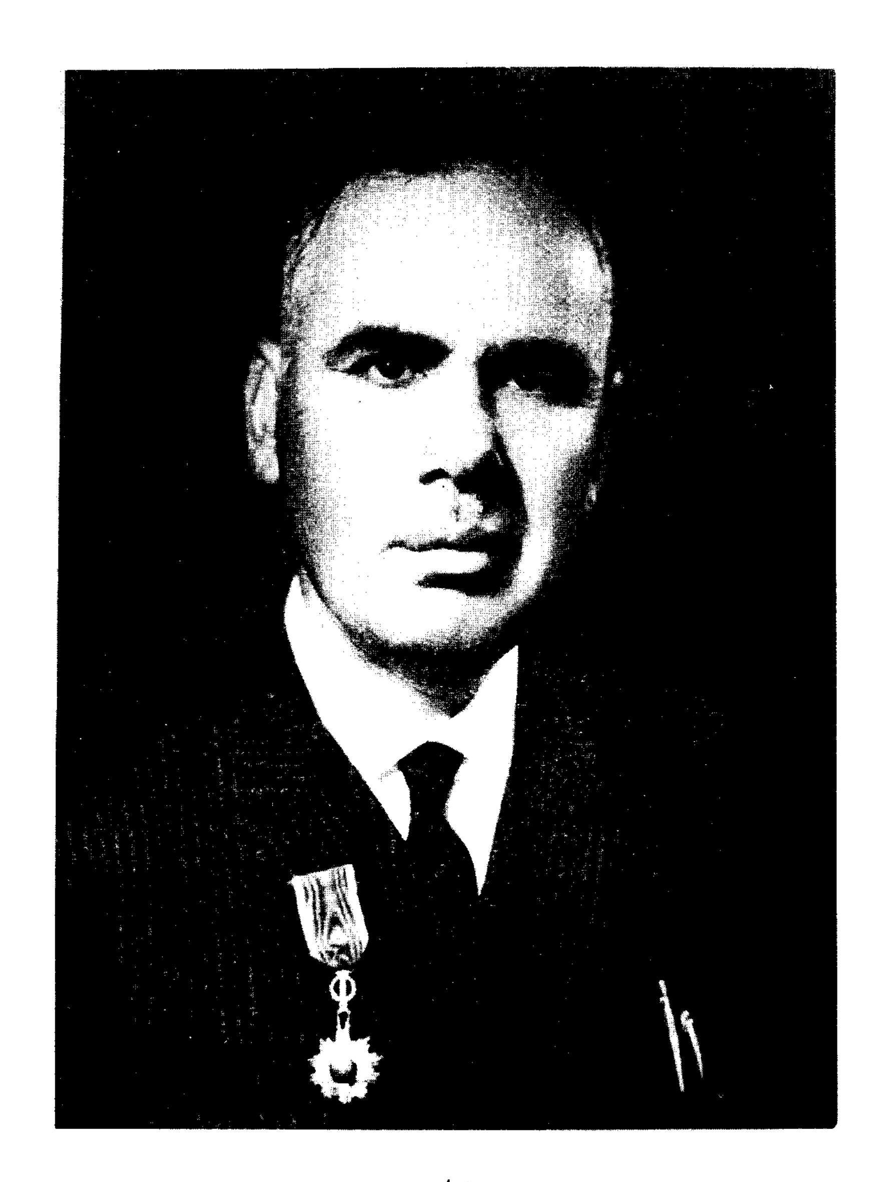
أولئك آبائي ، فجئني بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

هذه الروح الوثابة . . . وهذا الحب العميق للوطن الغالي . . . وهـــذه الصراحة والامانة في نقل احداث التاريخ وتصويرها . . . هي التي دفعتني للتعـــاون مع الاستاذ العارف في اخراج كتبه . . . وقد اخرجت له قبل عامين كتأبا في: (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) . وهأنذا أخرج له : (المفصل في تاريخ القدس) .

فعلى الله الاتـكال . ومنه نطلب العون والتوفيق .

فوزي يوسف
صاحب مكتبة الاندلس بالقدس





الناشر

أخي فوزي:

لله ما أشمل أدبك، وما أوسع فضلك ..

فقد أخذت بيدي عندما انتهيت من وضع كتابي:
تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك. وكان
ذلك قبل سنتين. فتوليت إخراجه. وكان لك ما شئت ..

وها أنت تأخذ اليوم بيدي مرة أخرى. فتتولى
إخراج هذا الكتاب: المفصل في تاريخ القدس.

ولولاك، ولولا مكتبتك .. الأندلس .. لما
تيسر للكتاب هذا، ولا ذاك، أن يريا النور ....

فلله درك ..

عارف العارف

بيت المقدس. ١٢ شوال ١٣٨٠
٢٨ آذار ١٩٦١

محتويات الكتاب

الباب الاول

القدس في العهود الغابرة

الباب الثاني

الفتـــح الاســـلامي

القدس وعمر بن الخطاب

الباب الثالث
الحروب الصليبية

صلاح الدين

القدس وحفدة صلاح الدين

الباب الرابع

القدس في عهد المماليك

المماليك البحرية

المماليك الأبراج

مدارس القدس القديمة

الباب الخامس

القدس في عهد الاتراك العثمانيين

القدس ومعالم الحكم التركي فيها

الباب السادس

الاحتلال البريطاني

الباب السابع

القدس كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧

الباب الثامن

الاماكن المقدسة

الاماكن الاسلامية المقدسة

الاماكن المسيحية المقدسة

الاماكن اليهودية المقدسة

مصادر الكتاب

الباب الاول

القدس

في العهود الغابرة

- القدس مدينة يبوسية
- حضارة اليبوسيين والكنعانيين
- القدس في زمن الفراعنة
- القدس وبنو اسرائيل
- القدس في عهد الآشوريين
- القدس وبابل
- القدس في زمن الفرس
- القدس في عهد اليونان
- القدس في عهد الرومان (قبل المسيح)
- القدس في عهد السيد المسيح
- القدس في عهد الرومان (بعد المسيح)
- القدس في العهد البيزنطي

القدس مدينة يبوسية

واليبوسيون من القبائل الكنعانية . والكنعانيون من ذرية سام

اليبوسيون ، بُناة القدس الاولون . وكانت على عهدهم تدعى : (يبوس) . انهم بطن من بطون العرب الاوائل . نشأوا في قلب الجزيرة العربية ، وترعرعوا في ارجائها ، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية . والى هذه القبائل ينتمون . انهم اول من استوطن هذه الديار . وهم اول من وضع لَبِنَة في بناء القدس . وكان ذلك حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

عندما رحل الكنعانيون عن الجزيرة رحلوا جماعات منفصلة : بعضهم حط رحله هنا . . . في هذه البقعة من الارض .. وقد سميت بعدئذ باسمهم. فراحت تدعى : (ارض كنعان) . والبعض الآخر نزل ما بين النهرين . وهم البابليون . فسميت البقعة التي نزلوها باسمهم : (بابل) .

والذين هبطوا ارض كنعان ايضاً هبطوا في انحاء مختلفة : بعضهم اعتصموا بالجبال . والبعض الآخر بالسهول والوديان . وقد عاشوا ، بادىء بدء ، متفرقين. حتى المدن التي انشأوها، ومنها يبوس[١] وشكيم[٢] وبيت شان[٣] ومجدو[٤] وبيت ايل[٥] وجيزر[٦] واشقلون[٧] وتعنك وغزة . . وما الى ذلك من مدن لا تزال حتى يومنا هذا قائمة في هذا الوجود . . فان كل واحدة منها كانت تعيش منفردة ومستقلة عن الاخرى .

هكذا كان الكنعانيون في بادىء الامر متفرقين. ولكنهم ما عتموا ان اتحدوا بحكم الطبيعة وغريزة الدفاع عن النفس؛ فكوّنوا قوة، واستطاعوا بعدئذ ان يغزوا البلاد المجاورة لهم . فاسسوا لهم كياناً ووطدوا مجداً داما حيناً من الدهر .

كانوا بُناة مدن. وقد سكنوا المدن التي بنوها. وكانوا ماهرين في فن البناء . وفي قطع الحجارة الضخمة . وكانت مدنهم حصينة ومحاطة بالاسوار .

انهم اول من عرف زراعة الزيتون في هذه البلاد . حتى انهم علّموا الاقوام الذين جاءوا من بعدهم ، ومن هؤلاء بنو اسرائيل ، هذا النوع من الزراعة .

وكذلك قل عن صناعة الفخار والنسيج . وعرفوا ايضاً المعادن والتعدين . وسنوا الشرائع والقوانين . ولما جاء بنو اسرائيل من بعدهم ، اخذوا عنهم الشيء الكثير من سننهم وقوانينهم ومن افكارهم ومبادئهم وحضارتهم . ومن اعمالهم انهم اخترعوا حروف الهجاء واوجدوا الكتابة ونشروها في بلادهم .

وعلمنا من آثارهم انه كانت لهم كتب ومؤلفات في عدد من العلوم والفنون . وكانت لهم اسفار . ومن هذه الكتب نفهم انهم كانوا يعبدون الاصنام. ومن اصنامهم (بعل) ومعناه الرب او السيد . انه اله الشمس . ولا تزال كلمة (بعل) تستعمل في العربية بمعنى الزوج والسيد .

---

(١) القدس (٢) نابلس (٣) بيسان (٤) تل المتسلم
(٥) بيتين (٦) تل الجزر (٧) عسقلان

كانت (يبوس) في ذلك العهد حصنة . وكانت آهلة بالسكان . وكانت المواشي تسرح في جنباتها . وكانت تزرع فيها اشجار العنب والزيتون . وقد اشتهر عنبها ، كما اشتهر زيتها وزيتونها . وقصارى القول : كانت ارض كنعان بوجه عام ويبوس بوجه خاص تفيض يومئذ لبناً وعسلاً . الامر الذي حدا بالاقدمين على تشبيهها بـ (الجنة) .

وعرف الكنعانيون عن طريق البابليين ـ وهؤلاء ايضاً كما سبق وقلنا من القبائل الكنعانية التي تدفقت من جزيرة العرب ـ انواعاً من المعادن ، فاستعملوها . وانا لذاكرون منها النحاس والبرونز . كما عرفوا الواناً من الخضار والحيوانات الداجنة . وكذلك قل عن الخضار والحيوانات وبعض المعادن الاخرى التي عرفوها عن طريق المصريين وعن طريق الحيثيين . وعن الفنيقيين المجاورين لهم عرفوا الخشب واستعملوه .

وبعبارة اوجز تعلم الكنعانيون الشيء الكثير من الاقوام التي سبقتهم من حيث العيش والاستقرار في الرقعة الممتدة من جبل لبنان الى النيل ، ومن البحر الابيض المتوسط حتى ما بين النهرين .

ليس هذا فحسب . فان الكنعانيين الذين اقتبسوا من البابليين والمصريين والحيثيين والفنيقيين حضارتهم ، اعملوا تفكيرهم في الاشياء التي اقتبسوها فزادوها نفعاً واتقاناً (٢٦٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق.م) . وفي بعض هذه الاشياء ـ ولا سيما في الاسلحة والثياب ـ تفوقوا على غيرهم من الاقوام المجاورة لهم .

وقصارى القول : اسس الكنعانيون ـ ومنهم اليبوسيون ـ حضارة كنعانية ذات طابع خاص .

ورد ذكرها في الواح (تل العمارنة) .

وقد ظهر بينهم ، مع الزمن ، ملوك . وبنى أولئك الملوك القلاع والحصون . وانشأوا حول الحصون اسواراً من طين (٢٠٠٠ ـ ١٦٠٠ ق.م) . ومكثوا ردحاً من الزمن في عز ومنعة واستقلال .

ومن ملوكهم الذين حفظ لنا التاريخ اسماءهم (ملكي صادق)[١] . وعلى قول انه هو اول من اختط (يبوس) وبناها[٢] وكان قبل ذلك يسكن في كهف من الكهوف المنبثة في جبالها . وكانت له سلطة على من جاوره من الملوك والرؤساء . وكان بنو قومه يطلقون عليه لقب : (كاهن الرب الاعظم) .

ذكره ابن العبري في تاريخه[٣] فقال انه هو الذي بنى (قرية السلام) . ومن هنا جاء اسمها (سالم) و (شاليم)[٤] و (اورو ـ سالم) . فسكنها باقي ايامه لاهجاً بالعبادة . فما غشى امرأة ، ولا اراق دماً ، وما اكل سوى الخبز والخمر . كان يطلق عليه : (ملك السلام) . وقد اجتمع بابراهيم عند مجيئه الى هذه البلاد[٥] في طريقه الى مصر . فخرج ملكها (ملكي صادق) لاستقباله . فهنأه بسلامة الوصول ، وقدم اليه بعض الهدايا ومنها الخبز والخمر .

---

(١) ان هذا الاسم مؤلف من كلمتين : (ملك) وهي فينيقية الاصل ومعناها القادر . و (صادق) ومعناها المستقيم .

(٢) كتاب (السير السليم في تاريخ يافا والرملة واورشليم) للاباء الفرنسيسيين . ص ٥١ .

(٣) كتاب (مختصر الدول) ص ١٦ .

(٤) سفر التكوين . الاصحاح الرابع عشر . العدد ١٨ .

(٥) اختلف المؤرخون في تعيين التاريخ الذي وقع ←

ومن ملوكهم (سالم اليبوسي) . فقد زاد هـذا في بنيانها . وشيّد على جبل صهيون برجاً للدفاع عن المدينة . وكانت على عهده محصنة تحصيناً تاماً . حتى انها ناطحت بني اسرائيل وقاومتهم مقاومة عنيفة . ومكثت تناطحهم زمناً طويلا .

كانت يبوس في ذلك العهد ذات اهمية من الناحية التجارية. وكانت من انشط المدن الكنعانية التي سمعنا بها . ذلك لأنها واقعة على طرق التجارة التي تربط حبرون[١] ببيت ايل[٢] . وفي بيت ايل كانت الطريق تتشعب الى فرعين : فرع يسير نحو شكيم[٣] والآخر صوب أريحا ووادي الأردن.

وكانت ذات أهمية ايضاً من الناحية الحربية . إذ أنها مبنية على اربعة تلال هي : —

صهيون[٤] وموريا[٥] واوفل[٦] وبزيتا[٧] .

وكانت يبوس تمتد من هذه التلال شرقاً حتى المرتفعات المطلة على بركة السلطان غرباً . وكان يحدها من الجنوب (وادي حنوم) ونسميه في يومنا هذا وادي الربابة . ومن الشرق (وادي قدرون[١]) وكانت محاطة بسورين .

وحفر اليبوسيون تحت الارض نفقاً يمكنهم من الوصول الى (عين روجل) وهي التي نسميها الآن (عين ام الدرج) . ولا سيما اثناء الحصار .

وكان فيها على عهد اليبوسيين واد يسمونه (وادي التروبين) يفصل بين تل اوفل وتل موريا المتقدم ذكرهما . ويظهر ان هذا الوادي كان يمتد الى مسافات شاسعة نحو الشمال . وكانت تقوم عليه ممرات طبيعية يمر المرء بواسطتها من الجانب الواحد الى الآخر . وكان هذا على عمق يتراوح بين الخمسين قدماً والتسعين من سطح الارض في يومنا هـذا . غير انه أمليء مع الزمن . ولم يأت املاؤه عفوا . وانما اتى بقرار وتصميم . والمعتقد ان (طريق الواد) الكائنة غربي الحرم أملئت على هذا النمط . لا ، بل هناك من يعتقد انها فرع من وادي التروبين المتقدم ذكره .

عندما خرج بنو اسرائيل من مصر ، واطلوا على ارض كنعان ؛ رأوا فيها ما رأوا من خيرات وبركات . . وكانوا قد سمعوا عنها ما سمعوا . . راحوا يغيرون عليها بقصد امتلاكها . . . قائلين : انها هي الارض التي وعدهم الله بها ! عندئذ ايقن الكنعانيون ان مصلحتم تقضي عليهم بنسيان الماضي — يوم كانوا في احتراب مع المصريين — فطلبوا العون من مصر . لاعتقادهم ان المصريين اولى من بني اسرائيل . ذلك لأن بني اسرائيل

تابع :

فيه هذا الاجتماع . فمنهم من قال ان ذلك جرى خلال القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد .

ومنهم من قال انه وقع سنة ١٩١٣ ق . م .

(١) الخليل

(٢) قرية (بيتين) من أعمال رام الله

(٣) نابلس

(٤) التل الذي يقوم عليه الان (١٩٤٧) حي النبي داود وحارة الارمن .

(٥) الهضبة التي يقوم عليها الان مسجد الصخرة .

(٦) التل الكائن بين سور الحرم وقرية سلوان . وفيه الان حواكير عرفت باسم (الضهور) .

(٧) البقعة التي تقوم عليها الان احياء باب حطة وباب الساهرة وما بينهما .

(١) هكذا كان الاقدمون يسمونه . واما الان (١٩٤٧) فالمسلمون يسمونه (وادي جهنم) واليهود (وادي ابيشالوم) والمسيحيون (وادي مريم) .

كان دأبهم ، كلما احتلوا مدينة ، ان يعملوا فيها وفي سكانها السيف والنار . واما المصريون فقد كانوا يكتفون بالجزية . فلا يتعرضون لسكان البلاد وعاداتهم ومعتقداتهم .

ولم يتوان المصريون في مد يد العون الى الكنعانيين . فراحوا يدفعون الاذى عنهم . ونجحوا في صد الغارات التي كان يشنها عليهم العبريون .

هناك بين الواح تل العمارنة التي وجدت في هيكل الكرنك بصعيد مصر لوح يستدل منه على أن (عبد حيبا) أحد رجال السلطة المحلية في اورو – سالم[1] ارسل (١٥٥٠ ق م) الى فرعون مصر تاحوتمس الاول رسالة يتضمن خضوعه . وقد طلب اليه ان يحميه من شر قوم دعاهم في رسالته بـ (الخبيري) أو (الحبيري)[2] . فقد كان هؤلاء من وقت الى آخر يهاجمون اورو – سالم . ولم يكن فيها يومئذ سوى حامية صغيرة .

ولقد عثر المنقبون في احدى الحجر من مقابر بني حسن على صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء واطفال وفدوا من فلسطين الى مصر في أيام الملك سنوسرت الثاني .

جاء في كتب التاريخ ان (ارض كنعان) تعرضت في تلك البرهة من الزمن الى غزوتين شديدتين : أولاهما وقعت حوالي سنة ١٦٠٠ ق م والثانية – وكانت هذه اشد من الاولى – وقعت حوالي سنة ١٢٠٠ ق .م . وان المصريين وان تمكنوا في باديء الأمر من صد هجمات العبريين وارجاعهم الا ان الغزاة عادوا – عندما انشغل المصريون بمشاغل اخرى – فتقووا على الكنعانيين .

وفي قول ان النزاع ظل قائماً بين الكنعانيين والعبريين حتى عام ١٠٠٠ ق م حين تمكن هؤلاء من استلاب الحكم والسيادة منهم . وما كانوا ليوفقوا لولا تفرق كلمة الكنعانيين وانشغال مصر في شؤون اخرى . فقتلوا ملوكهم ودمروا مدنهم . وكان في أرض كنعان يومئذ ١١٨ مدينة ذكرت كلها في الواح (تل العمارنة) . تلك الالواح التي ذكرناها في السطور المتقدمة .

ان النصر الذي ناله داود وابنه سليمان من بعده قضى على الكنعانيين من الناحية السياسية . ولكنه لم يقض عليهم من الناحية الفسيولوجية والاجتماعية . فقد جاء في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ما يأتي :

« وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني . وكانت تخومه من صيدون حينما تجيء نحو جرار [1] الى غزه . . وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمه وصبويم الى لاشع . . »

ويعتقد قوندر وكوارنت وكليرمان غانو وغيرهم من الكتاب والمؤرخين انسكان القرى القائمة حول مدينة القدس في يومنا هذا هم من بقايا الكنعانيين القدماء .

ويقول هؤلاء ان اللغة التي كانت منتشرة في المدن الكنعانية هي : الكنعانية . ثم انضمت اليها اللغة البابلية ، وذلك عندما اجتاحها البابليون . فاصبحت هذه لغة البلاد الرسمية . وظلت الكنعانية لغة التخاطب بين الشعب .

---

(١) هذا هو الاسم الثاني الذي عرفت به (القدس) يومئذ ، بعد اسمها الاول (يبوس) .

(٢) انهم هم العبريون الذين ذكرناهم في السطور السابقة .

(١) كانت هذه (اى جرار) عاصمة (ابيمالك) ملك الفلسطينيين القدماء . وكانت تقوم في الموضع الذي يقوم عليه الان (١٩٤٧) التل المعروف بـ (تل جمة) على بعد عشرة اميال من مدينة (بيرالسبع) ومنها الى الشمال الغربي.

القدس في زمن الفراعنة

ان التاريخ وان كان قد حدثنا عن (مرن رع) انه فتح الشام (٣٢٣٥ ق. م) ، وعن (سنوسرت الثالث) انه غزا البلاد الواقعة في جنوب سوريا ؛ الا اننا لم نعثر بين طياته على ذكر لمدينة يبوس[١] في عهد الفراعنة ، إلا في زمن تاحوتمس الاول . فقد عثر المنقبون بين الواح (تل العمارنة)على رسالة ارسلها احد رجال السلطة المحلية في يبوس ، عبد حيبا[٢] ، الى فرعون مصر تاحوتمس الاول (١٥٥٠ ق.م)يبدي فيها خضوعه، ويطلب منه ان يحميه ضد غارات المعتدين من اعدائه العبرانيين . فجاء هذا لنجدته . واكتسح البلاد . وكان آخر انتصار له في مجدو[٣] التي استولى عليها . واصبح الكنعانيون خاضعين لمصر .

ويفهم من الواح تل العمارنة ان فرعون مصر (تاحوتمس الثالث) ايضاً وهو من السلالة الثامنة عشر (١٤٧٩–١٤٤٧ ق. م) وطد الحكم المصري في هذه البلاد ، وان السيادة المصرية دامت فيها مئتي عام .

ولقد ورد ذكر لمثل الرسالة المتقدم ذكرها حوالي الشطر الاخير من القرن الخامس عشر قبل الميلاد . اذ بعث امير يبوس ١٤١٣ ق. م الى فرعون مصر (امين حوتب الثالث) رسوله ليخبره ان امة معادية قوية قد استولت على اكثر المدن الكنعانية ، واخذت تهدده بالفناء.واعاد هذا الا
عهد (امين حوتب الرابع) فشكا ال

وعثر المنقبون بين الواح تل العمار
رسائل بهذا المعنى ، أرسلت كلها من

ويبدو من قراءة تلك الالواح ان
وحدها يومئذ خاضعة لسلطة الفراع
بقية المدن الكنعانية ؛ وكذلك قل
وفينيقيا . فقد كانت تدفع الجزية لم

-وكان المصريون قد اتخذوا يبو
لقربها من البادية . فكان لهم فيه
وجند كثيرون وموظفون وجبا
اتصال بالشعوب التي تقطن الصحراء
حماية طرق التجارة .

ان خضوع (ارض كنعان) لمصر
عاد عليها بالنفع . اذ أنا نقرأ في كتا
كانت يومئذ مزدهرة . . وكان فيها ع
من المعابد والقصور .

جاء في السجلات الملكية التي
اخناتون (١٣٧٥ – ١٣٥٨ ق. م)
في تل العمارنة ذكر لبابيشي[١] . ويقو
الذي اشار الى هذا الموقع في كتابه
الاردن وقبائلها) ص ١١ لعله يابش

---

(١) القدس
(٢) وفي رواية اخرى (عبد حيبا)
(٣) (تل المتسلم) من اعمال جنين

(١) ...tory of the Ancient
by James H. Breasted .

حديثاً بالدير في وادي اليابس في منطقة عجلون . واما (سيلاه ميرل) فانه لا يرى هذا الرأي ، بل يرجح انها خرائب مريامين . واما انا فاني اعتقد جازماً انها هي (يبوس) . وهذا هو الاسم القديم للقدس . وقد جاء في الواح تل العمارنة ان حاكم يبوس استغاث بملك مصر ، وان هذا اغاثه . غير ان القائد المصري الذي عهد اليه بادارة هذه البلاد يومئذ لم يتمكن من مقاومة الثورات التي انفجرت فيها ، فطلب المدد من فرعون ، فلم يلب هذا طلبه ، فقتل هو وخادمه .

وحدثنا التاريخ ان الاتصال بين مصر وهذه البلاد لم ينقطع بعد اخناتون . فقد سيطر (توت عنخ آمون) على سورية (١٣٥١ ق . م) . وغزا (رعمسيس الثاني) سورية فحارب الحيثيين والكنعانيين حربا دامت قرابة عشرين عاماً . ولقد عقد هذا معاهدة مع الحيثيين اقتسم الفريقان بموجبها البلاد (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م) .

وعلى ذكر (رعمسيس الثاني) هذا نقول أن إقامة بني اسرائيل في مصر — تلك الاقامة التي استمرت أربعة قرون[١] — قد انتهت في عهده . وانه هو (فرعون مصر) الذي ورد ذكره في القرآن . وقد ارتقى عرش مصر بعد موت أبيه الملك سيتي الأول (عام ١٢٨٨ قبل الميلاد) . ونسب لنفسه الالوهية ، وحكم البلاد سبعة وستين عاماً . وفي زمنه ولد موسى . وفي منزله ترعرع .

ولما توفي رعمسيس الثاني (١٢٢١ ق . م) خلفه (مرن بتاح) . وفي زمنه خرج بنو اسرائيل من مصر . وتخلصت مصر منهم . خرجوا عن طريق البحر الاحمر . فتبعهم فرعون وجنوده ، وفي ذلك نزلت الآية الكريمة[١] :

« وجاوزنا ببني اسرائيل البحر . فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا . حتى اذا ادركه الغرق قال : آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل . وانا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وأن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » .

رأى سليمان الملك أنه خير له ان يكون على وفاق مع فرعون مصر ليأمن شره . فصاهره وتزوج بنته . وبهذه الوسيلة تمكن من التخلي لاعمال العمران في مملكته . وقد اكمل بناء بيته ، والهيكل ، والسور الذي كان أبوه قد شرع في بنائه .

ولما مات الملك سليمان واعتلى عرش الملك (٩٧٠ ق . م) ولده رحبعام (وهو من امرأته العمونية) وراح غلامه يربعام يكيد المكائد ويدس الدسائس ضد أخيه وانقسم اسباط بني اسرائيل الى مملكتين : مملكة اسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب ؛ ضعفت شوكة اليهود .

فاستغل شيشاق ملك مصر هذه الفرصة . وزحف على أورشليم (٩٧٠ ق . م) . فاخذها من رحبعام . ونهب خزائن الهيكل ، واستولى على الدروع السليمانية ، وعلى موجودات القصور الملكية . ثم سار الى مجدو فافتتحها . وبعد عودته الى مصر نقش صورته على هيكل الكرنك ، كما نقش عليه اسماء المدن التي افتتحها ومنها أورشليم ، والملوك الذين اخضعهم ومنهم رحبعام بن سليمان الملك .

---

(١) تذكر ان بني اسرائيل نزلوا مصر في اواخر عهد الرعاة المعروفين بـ (الهيكسوس) .

(١) سورة يونس . الاية ٩٠

وصورة رحبعام يراها الرائي بشكل اسير مكتوف اليدين ، وفي عنقه حبل .

وفقـــد اليهود استقلالهم بعد ذلك التاريخ . فعاشوا خاضعين للاقوياء من الغزاة والفاتحين .

واشتهر الملك (يوآحـاز) بارتـكاب المعـاصي والمنكرات . فأتاه فرعون مصر نحو حوالي سـنة ٦١٠ قبل الميلاد . فادبه . وغرم المدينة مئة قنطار من الفضة وقنطاراً من الذهب . وبعد ان أقام أخاه (الياقيم) ملكاً على أورشليم ، اخذه هو مكتوفاً الى مصر . فمـــات هناك .

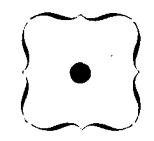
وغزا فرعون مصر بساماتيخوس الثاني فلسطين عام ٥٩٠ ق. م . فتحالف مع سكانها وسكان البلاد المجاورة لها من اجل القيام بثورة عامة ضد بابل . و ثار هؤلاء بالفعل . ولكن الغلبـــة كانت لبابل. فافتتح نبوخذ نصر القدس (٥٨٦ ق. م) . هذه هي الاخبـــار التي وصلتنا عن وضـع القدس في عهـــد الفراعنة .

وكانت هـــذه البلاد على عهدهم مليئة بالغابات الكثيفة . ولا سيا ذلك الجزء من البلاد الممتـد من الجبال الى البحر . وكان المصريون يأخذون منهـا الحطب والاخشاب اللازمة لصناعتهم .

أجل . كان المصريون يكتفون بالجزية . وما كانوا ليكترثوا بعادات القوم ودياناتهم . لا ، ولا بشؤونهم الاجتماعية الاخرى .

وما كانوا يصدون اي فريق من سـكان البلاد عن عقد معاهدة مع الفريق الآخر . لا ، بل كانوا ينجدونهم في حروبهم مع أعدائهم .

ولم يسعوا لتمصير البلاد، خلافاً لما فعل الرومان من بعدهم ، اذ جعلوها رومانية . وكثيراً مـا تمرد الكنعانيون على المصريين . وأبوا أن يدفعوا لهـــم الجزية .



القدس وبنو اسرائيل

عندما خرج بنو اسرائيل من مصر على عهد فرعونها رعمسيس الثاني وولده مرن بتاح ، وكان ذلك عام ١٣٥٠ قبل الميلاد ، اجتازوا بقيادة زعيمهم موسى صحراء سينا وقد تاهوا فيها اربعين عاما . حاولوا في بادىء الامر دخول فلسطين من ناحيتها الجنوبية ، فوجدوا فيها قوماً جبارين .

٢ – عندئذ ذهبوا الى جبال آدوم وموآب والبلاد الواقعة شرقي الاردن . في تلك الآونة كان موسى قد مات . وقبل ان يموت موسى حمل الى جبل نبو بالقرب من مادبا حيث القى نظرة على ارض الميعاد .

« قال له الرب هذه هي الارض التي اقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك اعطيها . قد اريتك اياها بعينيك . ولكنك الى هناك لا تعبر . »[١]

وقد دفن في واد قريب من بيت فغور . ولم يعرف انسان قبره الى الآن .

٣ – تولى قيادتهم بعد موسى يشوع بن نون وهو احد الذين ارسلهم موسى لارتياد فلسطين . فرجعوا اليه قائلين: ان فيها قوماً جبارين. فعبر بهم نهر الاردن (١١٨٩ ق . م) . واحتل اريحا بعد حصار دام ستة ايام . والاسباط التي كان يقودها يومئذ اربعة : راشيل وافرايم ومنسه وبنيامين .

٤ – عندما احتل بنو اسرائيل اريحا بقيادة يشوع بن نون « حرّموا[٢] كل ما فيها من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. ثم احرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها .. »

ولم يسلم من سكانها سوى راحاب تلك المرأة الزانية لانها قد خبأت الجاسوسين اللذين ارسلهما يشوع بن نون ليجوسا خلال الديار . « واما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد فقد نهبت كلها . واتخذوا السلب والنهب ديناً لهم . عندئذ حمى غضب الرب على بني اسرائيل فقال يشوع[١] : « قد اخطأ اسرائيل . بل تعدوا عهدي الذي امرتهم به . بل اخذوا من الحرام . بل سرقوا . بل انكروا . بل وضعوا في امتعتهم .فلم يتمكن بنو اسرائيل للثبوت امام اعدائهم . »

٥ – ولقد تمكنوا بعد حين من احتلال (عاي)[٢] . ففعلوا بها كافعلوا باريحا . احرقوها ، وأبادوا من سكانها اثنى عشر الفاً بين رجال ونساء . واما البهائم والغنم فقد نهبوها لانفسهم[٣] .

ثم احتلوا الجلجال[٤] وشيلوه[٥] وشكيم[٦] وبعض المدن الكنعانية الاخرى . وكل مدينة احتلوها جعلوها طعمة للنار ، وقتلوا سكانها ، ونهبوا كل ما رأوه فيها من مال وماشية .

---

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ عدد ٢١ – ٢٥ .
(٢) سفر يشوع: الاصحاح ٦

---

(١) سفر يشوع : الاصحاح ٧ عدد ١١ – ١٢ .
(٢) اعتقد انها هي خربة (الحيان) الواقعة على مسافة ميلين الى الجنوب الشرقي من قرية بيتين من اعمال قضاء رام الله .
(٣) سفر يشوع : الاصحاح ٨ العدد ١٨ – ٢٧ .
(٤) قيل انها (تليلة الجلجولة) على بعد ميل ونصف من اريحا للشرق . وقيل انها كانت بالقرب من المكان المعروف بالخان الاحمر على الطريق بين اريحا والقدس.
(٥) على مسافة ثلاثة اميال من جنوب اللبن وميل واحد من ترمسعيا الى الشمال الغربي .
(٦) نابلس

٦ – كان الكنعانيون قد اعدوا العدة لمقاومة بني اسرائيل عندما وصلت اليهم أنباء خروجهم من مصر . فاستنفر ملك اورو – سالم (اضوني صادق) قومه . وعقد حلفاً مع الملوك المجاورين له وكان عددهم واحداً وثلاثين . وعلى قول يوسيفوس ان الجيش الذي الفه الحلفاء سكان البلاد الاصليين لمقاومة بني اسرائيل كان مؤلفاً من ثلاثمئة الف [١] مقاتل من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان . وكان معهم عشرون الف مركبة للنقل . ولذلك لم يتمكن يشوع من اخضاع الكنعانيين والفلسطينيين. ومات دون ان يتمكن من احتلال اورو – سالم لانها كانت محصنة تحصيناً تاماً . وكانت تحيط بها اسوار منيعة .

٧ – مات يشوع بعد ان حكم سبعاً وعشرين سنة بعد موت موسى . وكان له من العمر ، يوم حضرته الوفاة ١٢٦ سنة[٢] . وبعد موته تولى قيادة بني اسرائيل (يهوذا) واخوه شمعون . وقد غزا بنو اسرائيل على عهدهما الكنعانيين مرة اخرى. وحاولوا اخضاعهم . وتمكنوا من الزحف الى اورشليم . « فاخذوها ، وضربوها بحد السيف ، واشعلوا المدينة بالنار[٣] . » ورغم ان الكنعانيين فقدوا في هذه المعركة عشرة آلاف رجل ، وان ملكهم (اضوني صادق) فقد اباهم يديه ورجليه الا ان بني اسرائيل أُرغموا على مغادرة المدينة تحت ضغط اليبوسيين ، وظل هؤلاء يهزأون بحملات العبرانيين عدة قرون [٤] .

(١) اعتقد ان هذه الارقام مبالغ فيها . وقد اشتهر يوسيفوس بالمبالغة في احاديثه ولاسيما في الارقام .

(٢) الطبري ج ١ ص ٥١٥ .

(٣) سفر القضاة . الاصحاح الاول عدد ٨

(٤) برستد

٨ – ان لانهزام بني اسرائيل هذا اسباباً اخرى حدثنا عنها المؤرخ اليهودي يوسيفوس في سطوره التالية[١] :

« شعر بنو اسرائيل ، بادىء ذي بدء ، بالراحة والغنى . واستولى عليهم الغرور بالبلاد التي احتلوها، والاراضي التي استغلوها . وبعد فترة وجيزة ، مالوا الى عيشة البذخ والترف ، واستسلموا الى الدعة والخمول . ثم تمردوا فما عادوا يكترثون لاوامر قوادهم . وزاد في بلوائهم انهم لم يتفقوا كيف يقتسمون الاموال التي سلبوها من سكان البلاد . فحدث بينهم تنافر وانقسام . وراح بعضهم يحارب البعض الآخر » .

وانا لنقرأ شيئاً من هذا في سفر القضاة . فقد جاء فيه[٢] ما يأتي :

« وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ، فعبدوا (البعل) و (عشتروت) وتركوا الرب اله آبائهم . . فحمي غضب الرب عليهم ، فدفعهم بايدي ناهبين نهبوهم ، وباعهم بيد اعدائهم حولهم . ولم يقدروا بعد على الوقوف امام اعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر . . فضاق بهم الامر جدا . واقام لهم الرب قضاة ليخلصوهم . ولقضاتهم ايضاً لم يسمعوا . بل زنوا . . وحادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آباؤهم . وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون اكثر من آبائهم . . ولذلك قال الرب : من اجل ان هذا الشعب قد تعدوا عهدى الذي اوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي فانا ايضاً لا اعود اطرد انسانا من امامهم . . فترك الرب اولئك الامم . . »

(١) يوسيفوس ص ٢٥ .

(٢) سفر القضاة : الاصحاح الثاني عدد ١١ – ٢٣ .

٩ – ظلت يبوس زمناً طويلا ممتنعة على بني اسرائيل . لا يقدرون على ولوجها ، حتى ولا المرور منها ، دع عنك احتلالها وادارة شؤونها . فقد حدثتنا اسفار العهد القديم[1] .

ان رجلا لاويا متغرباً كان في جبل افرايم . فاتخذ له امرأة سرية من بيت لحم . فزنت عليه سريته وذهبت من عنده الى بيت ابيها . فقام رجلها وسار وراءها ليطلب قلبها ويردها . . وبعد اللتيا والتي اخذها . وجاءا الى مقابل يبوس. ومعه غلامه وحماران مشدودان وسريته . . وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر . قال الغلام لسيده: تعال نميل الى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها . فقال له سيده : لا نميل الى مدينة غريبة حيث ليس احد من بني اسرائيل هنا . فباتوا في جبعة .

١٠ – عاش بنو اسرائيل على الفوضى والضلال طيلة حكم القضاة وعددهم ١٤ وكان تاريخهم عبارة عن مشاغبات وانقسامات . اذا خلوا من مصيبة نسوا الله ، واذا نزلت بهم كارثة رجعوا اليه وعبدوه . يطيعونه عاما ، ويعصونه اعواماً يلتفون حول القائد الذي يتولى قيادة امورهم سنة ، ثم ينقلبون عليه ، ويعصون اوامره سنين .

وفي خلال هذه الفوضى لم يذوقوا طعم الحرية والاستقلال ابدا . اذ حاربهم الكنعانيون ، واقضوا مضاجعهم اجيالا طوالا . كانت الحرب بينهما سجالا . ثم حاربهم المؤابيون ، واذلوهم . ثم حاربهم المديانيون ، والعمونيون ، والفلسطينيون وكانت حروبهم مع الفلسطينيين اشد هده الحروب فتكا وابعدها اثرا .

١١ – اشار برستد في كتابه (العصور القديمة) الى النضال المتقدم ذكره ، فقال :

« عندما دخل العبرانيون فلسطين واخذوا يحاربون الكنعانيين ، كانت مصر في طور التأخر والانحطاط (١١٠٠ ق م) . واشور لم تكن قد نشطت لاكتساح الغرب . ولكن شعباً جديداً من شعوب البحر المتوسط يعرف بالفلسطينيين كان قد هاجر من جزيرة كريت الى الساحل البحري عند الزاوية الجنوبية الغربية من ارض فلسطين . وفي سنة ١١٠٠ ق م كانوا قد بلغوا درجة سامية من المدنية وتألفوا امه حربية قوية . وكان الاتحاد الفلسطيني مؤلفاً من خمس مدن . واما زعماء العبرانيين او قضاتهم فلم يكن تأليف الامة امرا هينا عليهم لشدة ما كانوا يعانون من مضايقة الفلسطينيين لهم .

ولما اشتبك العبرانيون مع الفلسطينيين في قتال تغلب الفلسطينيون عليهم . »

فقد بنو اسرائيل في هذه المعركة ثلاثين الف مقاتل ، وفقدوا في المعركة التي قبلها اربعة آلاف . وفقد الفلسطينيون في احدى معاركهم مع شأول قائد العبرانيين ستين الفاً . ولكن الدائرة دارت عليه . فعمد الى الانتحار (١٠٩٥ ق . م) . وعلى قول ان شاول قتل قتلا هو واولاده الثلاثة (يوناثان وانبياداب وملكيشوع) . كما قتل قائد جيشه وجمع كبير من رجاله معه .

١٢ – يفهم مما تقدم انه ليس بصحيح ما يزعمه اليهود من انهم ، في هذه البلاد اقدم عهداً من العرب . فالكنعانيون وقد جاءوا الى هذه البلاد

(١) سفر القضاة . الاصحاح ١٩ عدد ١١ – ١٢

من الجزيرة العربية اقدم عهدا فيها من اليهود. وكذلك قل عن اليبوسيين وهم فرع من الكنعانيين. ولقد حارب هؤلاء العبرانيين عند مجيئهم اليها حربا لا هوادة فيها.

حدثتنا الموسوعة البريطانية[1] أن بني اسرائيل عندما هبطوا هذه البلاد كان فيها اقوام وشعوب من بني عناق وبني كلاب من ابناء الجزيرة العربية. وان هؤلاء (أي بني عناق وبني كلاب) امتازوا بالجرأة وعدم الخوف. وانهم تغلبوا على داود واتباعه الذين جاءوا واستوطنوا المنطقة الواقعة جنوبي الخليل. وعندما جاءوا الى الشمال اصطدموا ببني كلاب.

١٣ – وليس بصحيح ايضاً ما يزعمه اليهود من أن لهم حضارة في هذه البلاد. فقد جاءوا اليها بالحديد والنار والخراب والدمار. فكسروا، ونهبوا، وقتلوا، وفتكوا واتوا بجميع أنواع الفظائع والمنكرات عندما احتلوا هذه البلاد. وهذه هي وصية يشوع الى قومه عندما احتلوا اريحا والتي ورد ذكرها في اسفار العهد القديم[2] فانها أصدق شاهد على ما تقول. وكذلك قل عن احتلالهم للمدن الاخرى. ولقد حدثتنا اسفار العهد القديم انه عندما جاءوا اليها كان في البلاد انواع عديدة من الفواكه والاثمار نذكر منها التين والزيتون والخوخ والعنب والرمان. ولم يذكر لنا التاريخ ان العبرانيين اضافوا الى هذه الاشجار اي نوع من الاشجار الاخرى.

(1) Encyclopaedia Britannica Vol. 13, Page 44

(٢) سفر يشوع. الاصحاح ٦ العدد ٢١

ويقول برستد ان المدن التي عجز العبرانيون عن فتحها كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ الف وخمسماية سنة. ومنازل متقنة حوت كثيراً من اسباب الراحة والرفاهية. وحكومة وصناعة وتجارة وعلم ومعرفة بالكتابة وديانة. حضارة اقتبسها اولئك العبرانيون السذج من مواطنيهم لانهم لم يستطيعوا ان يعيشوا بمعزل عن اهل المدن الكنعانية التي عجزوا عن افتتاحها. وقد احدث هذا الامتزاج تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين. فغادر بعضهم سكنى الخيام. وشرعوا يبنون بيوتاً كبيوت الكنعانيين. وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية. ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية. المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية. هذا ما جرى للعبرانيين الذين اقاموا في الشمال الخصيب. واما اولئك الذين اقاموا في الجنوب الماحل من فلسطين فقد حافظوا على اسلوب معيشتهم البدوية القديمة. فكان الواقف على اسوار أورشليم يشاهد حياة البداوة عن كثب. اذ يرى الرعاة قائمين على رعاية قطعانهم ومواشيهم.

١٤ – ولقد زاد في الطين بلة المنازعات الداخلية التي قامت بين اسرتي شاول وداود. فقد كانت هناك منافسة جديدة بين هاتين الاسرتين. اما داود فقد حالف الفلسطينيين وعقد معهم حلفاً. وأما شاول فانه لم يحالفهم، بل اراد ان يحصل على استقلاله بالقوة. ولكنه غلب على أمره. ومات مقهورا. وظل النزاع قائماً بين الاسرتين الى ان مسح داود[1] ملكاً (١٠٤٩ ق.م). سكن هذا في باديء الأمر في حبرون[2]، ثم زحف بجيشه

(١) ولد في بيت لحم. وكان في صغره يرعى غنم ابيه. كان في الثلاثين من عمره حين ملك. وظل على كرسي الملك اربعين سنة. قضى ثلاثا وثلاثين منها في اورشليم.

(٢) الخليل

المؤلف من ثلاثين الف مقاتل والذي كان يرأسه ابن اخته (يوآب) الى يبوس قاصداً احتلالها . فقاومه اليبوسيون مقاومة عنيفة ، وتمكنوا في باديء الامر من صده عنها . لكنه عندما اعاد الكرة تمكن من احتلال (تل اوفل)[١] المطل على قرية سلوام[٢] فحصر (عين روجل)[٣] بيده . وكانت هذه هي المنبع الوحيد الذي يستقي منه اليبوسيون . فتمكن بذلك من التغلب عليهم ، واحتلال حصونهم القائمة على تل صهيون .

١٤ – قال بولتون[٤] : « ان جنود داود وقائدهم يوآب ، عبروا النفق الذي كان اليبوسيون حفروه قبل ذلك بسنين ، ليتمكنوا من ورود الماء الذي ينبع في عين روجل . عبره يوآب وجنده . وبهذا تمكنوا من الوصول الى قلب المدينة . فسقطت هذه بايديهم . »

والذي اكتشف هذا النفق هو اللفتنانت وارن Warren فقال انه كان يمتد من تل اوفل في الغرب الى وادي قدرون في الشرق . وانه هو الذي بناه اليبوسيون ، ليتمكنوا من ورود الماء أثناء الحصار .

ولما سقط النفق سقطت يبوس بيد داود وقائد جيشه يوآب .

١٥ – اقام داود في باديء الامر في الحصن الذي كان على جبل صهيون وسماه (مدينة داود)[٥]. ثم بنى لنفسه قصراً على الجانب الشرقي من تل اوفل وبنى لرجاله من حوله البيوت . وقد اتى بالخشب اللازم لهذه الابنية من لبنان ، ارسلها اليه حيرام ملك صور ، وارسل معها عدداً من الصناع الفينيقيين الماهرين . فاتسعت اورشليم ، واتخذها داود قاعدة ملكه . واشتهرت على عهده من جميع النواحي العسكرية والاقتصادية والسياسية .

١٦ – احصى داود سكان اورشليم وسكان البلاد التي احتلها ، فكانت النتيجة انه كان مع بني اسرائيل يومئذ ٨٠٠,٠٠٠ رجل وعند بني يهوذا ٥٠٠,٠٠٠ رجل . فثار عليه من اجل ذلك قومه ونقموا . قالوا له : (الله الذي خلقنا يعرفنا ، فلماذا احصيتنا) . وصادف في تلك الاثناء أن حل ببني اسرائيل وباء عظيم فتك بهم فتكاً ذريعاً[١] ، فقالوا ان هذا البلاء ما كان ليحل بهم لولا ان احصاهم داود . فحل بذلك عليه غضب ربه .

يظهر ان داود ندم على عمله . ذلك لان الشعب اخذ ينفض من حوله بعد عملية الاحصاء هذه . ولكي يرضي شعبه أظهر الندم ، ورغب في بناء هيكل ليكفر عن ذنبه ؛ فاشترى من (ارنان)[٢] اليبوسي ارضه الكائنة على (جبل موريا) وكان قد اتخذها هذا بيدرا . اشتراها هي والبقر الذي كان يحرث به ارضه بخمسين شاقل من الفضة . وشرع داود في بناء الهيكل فعلا . فأتى بالحجارة التي اقتطعها من محجر هو الذي تراه على يمينك اذا ما خرجت من باب العمود ، وعلى بعد بضعة امتار

(١) هو التل المطل على قرية سلوان والذي يسميه السلاونة (الضهور) .

(٢) سلوان

(٣) هي العين المعروفة اليوم بعين ام الدرج في قرية سلوان .

(٤) Palestine, by W. Boulton P. 102

(٥) سفر صموئيل الثاني : الاصحاح ٥ العدد ٩

(١) قيل ان الذين ماتوا من الطاعون يومئذ سبعون الفاً .

(٢) قال ابن العبري ص ٥٣ ان هذا الاسم ذكر بالسريانية « آران »

من الباب المذكور ، ويسميه الناس الآن (محجر سليمان) لان سليمانا اخذ منه الحجارة التي استعملها بعدئذ لاتمام العمارة نفسها .

وحصن داود القسم الخارجي للمدينة الواقع حول حصن (ميلو) وربطه بالقلعة أي بالقسم العلوي الذي ذكره يوسيفوس . وسمى ذلك الحصن بعدئذ (حصن داود). وفي قول آخر أنه وصل اكمة الهيكل حيث يقوم اليوم الحرم القدسي باكمة اوفل حيث تقوم اليوم الحواكير المطلة على سلوان والمعروفة بالضهور .

١٧ – ولكن رغم هذه التحصينات لم يطل هناء اورشليم كثيراً . اذ حدث في باديء الامر ان اقتتل اثنان من ابناء داود ، ابشالوم وامنون ، من اجل حادث حدث لتامار شقيقة الاول . فقتل ابشالوم امنونا لانه ، اطأ اخته الجميلة (تامارا) . قتله ، ثم هرب من وجه ابيه ، وظل طريداً ثلاثة اعوام ، الى ان عفا عنه ، فرجع الى اورشليم . ولكنه ما لبث ان اشعل نار الفتنة ضد ابيه ، لانه كان يطمع في الاستيلاء على ملكه . ويظهر ان الشطر الاكبر من الشعب كان راضيا عن هذه المؤامرة . اذ كان داود قد اسخطهم بمشروع الاحصاء الذي تقدم ذكره ، وبالضرائب الكثيرة التي فرضها عليهم ليتمكن من القيام بمشاريعه العمرانية .

فاضطر داود الى الهرب . ولما كان يصعد جبل الزيتون التفت الى اورشليم ، والقى عليها نظرته الاخيرة . ولم يأسف على الملك الذي اضاعه بمقدار اسفه على خيانة ولده ، وفلذة كبده ، فراح يبكي . وتبعه في البكاء اعوانه . وفي الطريق لاقاه رجل من عشيرة شاول اسمه (شمعى بن جبرا) . فاخذ هذا يسبه ويرشقه بالحجارة قائلاً : (اخرج . اخرج يا رجل الدماء) . واراد اعوان الملك ان يصدوه ويضربوه . فرد عليهم الملك قائلاً : (دعوه يسب . فهذا هو ابني الذي خرج من احشائي يطلب نفسي ، فكم بالحري الآن بنياميني ..). وظل داود طريداً ، الى ان عبر الاردن ، واحتمى باعدائه واعداء قومه : العمونيين .

١٨ – ولما هدأت الفتنة ومات ابشالوم ، رجع الملك داود الى اورشليم . وعاش فيها مدة . ورجعت الحرب . وكانت هذه سجالاً بينه وبين الفلسطينيين. فاستغل نجله الرابع (آدونيا) الفرصة وراح يتآمر على خلع ابيه . واجتمع باتباعه عند صخرة (زحيلت)[١] على امل ان يعلنوه ملكاً على بني اسرائيل . ولما سمع داود الملك بهذه المؤامرة راح يعمل على احباطها . وقد احبطها بالفعل . وكان ذلك بمساعدة نجله الاكبر سليمان .

١٩ – عندما مات داود سنة ١٠١٥ ق.م دفن في المكان الذي اسماه في حياته باسمه (مدينة داود)[٢] . وبعد موته مسح ابنه سليمان ملكاً على بني اسرائيل . وجرى مسحه على مقربة من ماملا .

٢٠ – على عهد سليمان النبي تم بناء الهيكل . ولقد قضى في بنائه سبع سنين ونصف . واستغل الصداقة التي كانت بين ابيه داود وحيرام ملك صور فطلب من هذا ان يرسل اليه من لبنان كمية من

---

(١) انها (زحويلة)الكائنة تجاه عين ام الدرج بسلوان .

(٢) هذا ما ورد في اسفار العهد القديم . سفر الملوك الاول الاصحاح الثاني العدد ١٠ . ويقول مجير الدين ان من الناس من يعتقد (ومنهم وهب) انه دفن بالمكان المعروف بالجسمانية في واد يقع شرقي بيت المقدس . ويؤيد هذه الرواية اللقمي في مخطوطه : (سوانح الانس برحلتي لوادي القدس) ص ١٥٣ .

خشب الارز ، ففعل ، وارسلها في مراكبه بحراً الى يافا. ومن هناك نقلها العمال الى اورشليم . واستعمل هذا الخشب في بناء الهيكل . ثم بنى لنفسه قصراً . وشرع في بناء سور حصين حول المدينة . ولـكي يتمكن من بناء الهيكل والقيام بهذه المشاريع التي تحتاج الى اموال طائـلة اضطر الى زيادة الضرائب والرسوم[١] زيادة فاحشة .

٢١- يحدثونك عن (هيكل سليمان) احاديث فيها شيء من المبالغة . فيقولون[٢] انه شرع في بنائه في العام الرابع من حكمه وانه استخدم من اجل بنائه ١٨٣٫٦٠٠ عامـلا : منهم ٣٠٫٠٠٠ من اليهود اشتغلوا بالمناوبة (عشرة آلاف في كل شهر) . ومنهم ١٥٣٫٦٠٠ من الكنعانيين . ومن هؤلاء ٧٠٫٠٠٠ خصصوا لنقـل الاخشاب والحجارة وغـيرها . و٨٠٫٠٠٠ نحاتين ونجارين. والباقون لمناظرة العمل والاشراف عليه . وقـد انجز البناء في سبع سنين ونصف (١٠١٢ — ١٠٠٥ ق. م) .

مع ان الوصف الذي يصفونه به لا يدل على انه كان كبير الحجم . فقد قيل لنا ان طوله كان ٧٠ ذراعاً (منها ١٠ أذرع للرواق و ٤٠ للقدس و ٢٠ لقدس الاقداس) وعرضـه ٢٠ ذراعاً . وكان علو الرواق ٢٠ ذراعاً وعـلو القدس وقدس الاقداس ٣٠ ذراعاً . وكان يحجب بين القـدس وقـدس الاقداس حاجز .

وكان الهيكل محوّطاً بدارين كبيرتين: الداخلية تسمى (دار الكهنة) والخارجية (دار اسرائيل). وكان له داران اخريان : واحدة تسمى (دار الشعب) والاخرى (دار النساء) . وفي سفر اخبار الايام تجد وصف الهيكل من الداخل . وكان للهيكل سوران لا يسمح باجتيازهما الا للكهنة .

٢٢ ـ كان سليمان الملك رجلا حكيما . اذ رأى بعين ثاقبة ان يكون على وفاق مع فرعون مصر ليأمن شره . فصاهره وتزوج من ابنته . وبهذه الوسيلة تمكن من التخلي لاعمال العمران في مملكته. وقد بنى لابنة فرعون قصراً جميلا (٩٩٢ق.م). وكان هذا يقوم على الطرف القبلي لجبل موريا . وقصارى القول انتعشت اورشليم ، على عهده واتسع ملكه من الفرات حتى حدود مصر ، وعقد معاهدات سلمية مع جيرانه . وهو فضلا عن الهيكل الذي اتم بناءه والقصور التي انشأها لنفسه ونسائه ، ولكهنته ، حصن القلعة ، وبنى حول هذه الابنية كلها سورا . وفي قول انه جدد ما كان هناك من اسوار . وامر باملاء الواد الذي يفصل الجبلين بالتراب. ومن آثاره الباقية الى يومنا هذا اسطبله الكائن تحت المسجد الاقصى وبرك سليمان الواقعـة جنوبي بيت لحم .

وقد تزوج سليمان في اواخر سني حكمه نساء غـير ابنة فرعون من الامم القريبة التي نهى الله بني اسرائيل عن مخالطتها . ومال الى آلهتهن . وعبد اصنامهن . وبنى بيتا لـلاوثان بالجبل الذي امـام اورشليم طوله مائة ذراع وعرضـه خمسون ذراعا

(١) اليك انـواع الضرائب والرسوم التي كانت معروفة في ذلك الحين : ـ (التعشير) ضريبة ادخلها موسى فيشريعته ، وقد اعطيت العشور للاويين الذين لم يكن لهم نصيب في الارض ، وكانوا يعشرون النعنع والكمون . (الخيرية) ايضاً ضريبة فرضهـا موسى فيشريعته ، وهي نصف شاقل عن كل معدود . (الخراج)ضريبة فرضت على الارض ولقد وصلت هذه الضريبة في عهد سليمان حـداً لايطاق . (**الحيوانات**) ضريبة فرضت على البقر والمواشي وقد كانوا يعشرونها .

(٢) مجلة الآثار (٥ — ٦ ص ٢٤٢) للاستاذ عيسى المعلوف .

وعلوه ثلاثون ذراعا . ويعزو بنو اسرائيل خراب ملكه بعد موته الى عمله هذا .

٢٣ – ولما مات سليمان تولى الملك ابنه رحبعام (٩٧٥ ق . م) . فلم يكن هـذا حسن الادارة . وكانت البلاد اساساً تئن من فداحة الضرائب التي فرضها ابوه . فما كاد ينقضي على ذلك ثلاثة اعوام حتى دبت عوامل الفساد والخراب في مملكته . واخذت تسير في طريق الاضمحلال .

وانقسمت الى شطرين . مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم . ومملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة . ونشبت حرب عوان بين رحبعام[1] ملك يهوذا ويربعام[2] ملك اسرائيـل . وراح كل منهما يفرض الضرائب والاشغال الجبرية على شعبه ليتغلب على خصمه . ولقد منع يربعام قومه من زيارة اورشليم . وبنى لهم مذبحاً في بيت ايل .

عندئذ استغل شيشاق ملك مصر هذه الفرصة . وزحف على اورشليم ، فاحتلها (٩٧٠ ق . م) . ونهب خزائنها . وقفل راجعاً الى مصر .

وقصارى القول ان المـدة التي قضاها رحبعام ملكاً وهي سبعة عشر عـاماً . قضـاها في حرب خارجية مع مصر ، وحرب داخلية مع يربعام .

٢٤ – بعد موت رحبعام جاء ابنه (ابيا) فلم ينفع قومه إلا بتغلبه على يربعام .

٢٥ – ومن بعده جاء ابنه (آسا) فظلت الحرب على عهده دائرة بين مملكة يهوذا (٩٥٥ق.م) بقيادته هو ، وبين اسرائيل بقيادة (با آشا) . وقد حاصر هذا الاخير اورشليم ، وكاد يستولي عليها . إذ كان ملك سوريا حليفاً له . ولكن هـذا الملك ما عتم ان انضم الى صفوف آسا ، فحارب معـه . وانقلبت الآية . فتغلب آسا على خصمه ، ودفـع عنه عادية المعتدين . وتمكن بهذه الوسيلة ايضاً من دفع غارة قامت بها قوة من المصريين والاحباش .

٢٦ – ولمـا مات تولى الملك من بعـده ولده (يهوشافاط) .

حصن يهوشافاط المدينة . وبنى حولها القلاع . وسعى لتوحيد كلمة بني اسرائيل . ولكنه لم ينجح . وفي زمنه كتب ذلك الكتاب المشهور عنـد اليهود بكونه (كتاب الشريعة الموسوية) .

عاش ستين سنة . وحـكم خمساً وعشرين سنة . ولمـا مات دفن في اورشليم . وانك لترى قـبره في (وادي قدرون) الذي يسميه المسلمون (وادي جهنم) بين سور الحرم وجبل الطور . وفيه مقبرة اول من استعملها هـو يهوشافاط . ولذلك يسميه اليهود : (وادي يهوشافاط) . ومعناه : (الله يقضي) .

٢٧ – ومن بعده جاء ابنه (يهورام) . وكان هذا ضعيفاً وسخيفاً . كما كان ظالماً وحسوداً . وحلت نقمته على اخوته واصدقاء ابيه فقتلهم كلهم . حتى وقـع جميع افراد اسرته ، خلا واحد من ابنائه ، اسرى بيد العرب والفلسطينيين الذين غزوا اورشليم واحتلوها . ثم استولوا على خزائنها (٨٩٥ ق . م)

٢٨ – بعـد موت يهورام (٨٨٥ ق . م) تولي الملك ولده (احازيا) . وكان هذا اسـوأ خلقاً من ابيه . ولم يدم حكمه طويلاً . ومات قتيلا .

٢٩ – ولما كان ابن احازيا صغيراً فالحكم كان بيد امه

---

(١) ابن سليمان من امراته العمونية .

(٢) انه هو الغلام النجيب الذي كان لسليمان . وقد ذكره ابن العبري في الصفحة ٥٥ من كتابه (تاريخ مختصر الدول)

(آثاليا) وما كانت هذه من سلالة داود . ولقد حاكت مؤامرة لاجل القضاء على جميع افراد البيت من اسرة داود . إلا ان الحاخامين والجند الذين كانوا يحرسون الملك اطلعوا على هذه المؤامرة . فأحبطوها . وقاموا هم بمؤامرة ضدها . دامت المؤامرة ست سنوات . الى ان تمكنوا من قتل آثاليا . واجلسوا الملك الشاب (يهوشع) على عرش الملك . هكذا كانت الامور تسير من سيء الى اسوأ . فما كان يأتي ملك سيء ويموت ، إلا ويخلفه ملك اسوأ منه ويجور .

وكان كبير الحاخامين (يهوفيادا) على الدوام بجانب الملك . ولما مات هذا امر الملك برجم ابنه (زخريا) (اي ابن كبير الحاخامين) . وقد رجم في داخل الهيكل . رغم انه كان صديقه ورفيقه في المدرسة . فتالم الشعب لهذا العمل الوحشي . وهناك في وادي قدرون قبر زخريا الى يومنا هذا . ولكنه هو ايضاً (اي يهوشع) قتل بعد زمن قصير من لدن عبيده (٨٣٩ ق. م) .

٣٠ –بعد يهوشع تولى الحكم ابنه (امصيا). فكان اول عمل قام به ان قتل العبيد الذين قتلوا اباه . وتجددت الحروب بينه وبين ملك اسرائيل. ولكنه غلب على امره . فدخل ملك اسرائيل (يوآش) القدس ظافراً (٧٩٠ ق. م) . فدك سورها . وبعد ان نهب كل ما كان في الهيكل وفي قصر الملك من كنوز ثمينة رجع الى عاصمته السامرة .

ولكن هناء امصيا في اورشليم لم يدم طويلا . اذ ثار عليه الاورشليميون ففر من امامهم . فلحقوا به . وقتلوه في الطريق . وجاءوا به محمولا على ظهور الخيل .

٣١ - خلفه ابنه (عزيا) ٧٨٠ ق.م . انه مستقيم وعادل . وقد اهتم بشؤون بلاده . فحصن اورشليم . وبنى حولها الابراج . وحفر الابار . ولكنه اختلف مع الكهنة والحاخاميين من اجل الهيكل . اذ ادعى ان له الحق في دخول قدس الاقداس . واما الحاخاميون فانهم انكروا عليه هذا الحق . ويظهر ان هذا هو السبب الذي حدا بيوسيفوس [1] لان يعزو المصائب التي اصابت القدس على اثر الزلزال [2] الذي جاء ذكره في سفر عاموس الى سوء ادارة (عزيا) وظلمه .

فاستمع الى سفر عاموس اذ جاء فيه : [3]

« قد اقسم الرب . . اني لن انسى الى الابد جميع اعمالهم . اليس من اجل هذا ترتعد الارض ، وينوح كل ساكن فيها ، وتطمو كلها كنهر ، وتفيض وتنضب كنيل مصر . . اني اغيب الشمس في الظهر ، واقتم الارض في يوم نور . واحول اعيادكم نوحاً ، وجميع اغانيكم مراثي . . »

٣٢ – ولما مرض عزيا تولى مكانه ابنه (يوثام) ٧٥٨ ق. م .

٣٣ – ولما قضى هذا نحبه تولى الملك ابنه (احاز). ولكن هذا ايضاً جلب الخراب الى البلاد. وغلب على امره تجاه جيش مملكة اسرائيل، وحليفه الجيش السوري . ولكي ينتقم لنفسه استنجد

(١) الفصل العاشر من الباب التاسع الفقرة الرابعة من كتابه.

(٢) يوم انشق الجبل الى قسمين فغارت الطريق ودكت البلد.

(٣) الاصحاح ٨ العدد ٧ – ١٠

بتغلات بلازر ملك الاشوريين . فناداه الى بلاده ، وجاء هذا مسرعاً . وبعد ان اخضع سوريا وشمال فلسطين اخضع القدس . وخضع آحاز له . واعتنق دينه . فعبد الاصنام . واغلق الهيكل .

هناك رواية اخرى عن احتلال الاشوريين لاورشليم في عهد آحاز . ننقلها عن كتاب (السير السليم[1]) بالسطور التالية :

« عندما غُلب (احاز) ملك يهوذا على امره في حروبه مع الاراميين ومع ملك اسرائيل ، راحت اورشليم وما حولها من البلدان نهباً مقسما بين المغيرين : فاغتنم الاشوريون هذه الفرصة وغزوا البلاد . فوفد (سنحاريب) ملك آشور سنة ٧١٣ ق. م ودخل يهوذا . ونزل على المدن المحصنة طامعاً في افتتاحها . عندئذ كان آحاز قد توفي ، وكان ابنه حزقيا قد خلفه . فارسل سنحاريب عبيده الى حزقيا ملك اورشليم طالباً اليه التسليم . فاخذ حزقيا يسعى لتحصين القدس وتقوية وسائل الدفاع عنها . وجر الماء الى داخل المدينة بشكل يحول دون استعماله من لدن الاشوريين .

وفيما كان حزقيا يستشير اشعيا النبي فيما يجب عليه ان يصنع انسحب سنحاريب من امام اسوار اورشليم (٧٠١ ق. م). ولكن الاشوريين رجعوا الى اورشليم . فاسروا الملك (منسه) الذي تولى الملك بعد ابيه حزقيا . فارسلوه الى بابل مصفداً بالاغلال . ثم ردوه الى اورشليم . فبنى حولها سوراً . ومات فيها (٦٤٣ ق. م) .

٣٤ – ثم ملك ابنه (آمون) ولما قتل هذا بيد عبيده قام ابنه (يوشيا)[2] مكانه ٦٤١ ق. م.

وفي سنة ٦١٠ ق.م مر فرعون مصر نيخو من هذه البلاد في طريقه الى كركميش ؛ فعارضه الملك (يوشيا) ، فنصح اليه نيخو ان لا يفعل ، فاصر يوشيا ، وتشدد ؛ فقاتله فرعون مصر ، وقتله .

٣٥ – بعد يوشيا تولى الملك ابنه (يوآحاز) . فسار هذا على خطة ابيه من حيث ارتكاب المنكرات والمعاصي . فاتاه فرعون مصر نيخو ، وكتفه ، وغرم المدينة مئة قنطار فضة وقنطاراً ذهباً ، واقام (الياقيم) اخاه ملكاً مكانه ؛ واخذه هو مكتوفاً الى مصر ، فمات هناك .

٣٦ – غيّر الياقيم اسمه ، فجعله (يوياقيم) . ومال هذا ايضاً الى الشر والفحشاء . وعلى عهده غزا (نبوخذ نصر) ملك بابل هذه البلاد ، واسترقه عبداً ثلاث سنين .

٣٧–ولما مات يوياقيم تولى الملك ابنه(يوياكين). وعلى عهده ارسل نبوخذ نصر جيشاً عرمرماً بقيادة نبوزردان ،فتح به اورشليم . وسبى جميع من فيها ، فارسلهم الى بابل ، واقام على كرسي الملك مكانه عمه (صدقيا) .

٣٨ – خضع صدقيا الى نبوخذ نصر قرابة تسع سنين. ثم تمرد عليه. عندئذ زحف اليه ووصل الى اورشليم عام ٥٩٠ ق. م . كانت هذه يومئذ محصنة تحصيناً منيعاً . فحاصرها وبنى الابراج حولها . ودام حصاره لها سنتين ، ذاقت خلالها الجوع والمرض . الى ان اختار اليهود جانب الهرب . فثلموا جانباً من السور وهربوا منه وعلى رأسهم ملكهم (صدقيا) . فادركهم الكلدانيون في البرية . وألقوا القبض على الملك وبنيه ، واتوا بهم الى نبوخذ نصر مصفدين بالاغلال . فقتل بنيه على عينه ، وفقأ بصره هو (اي صدقيا) وارسله الى بابل . وراحت

---

(١) ص ٥٨

(٢) « يوشع » او « يهوشع »

كلمة بابل هي العليا في اورشليم . فنهبها ، واحرق الهيكل ، ودك اسوارها ، وجلا شعبها الى بابل . فقتل بعضهم هناك ومن لم يقتل استعبد . وهكذا انقرضت مملكة بني يهوذا وكان ذلك حوالي سنة ٥٨٦ ق. م .

٣٩- يعزو المؤرخون انقراض اليهود يومئذٍ الى طبيعتهم ، وطمعهم ، وعدم امتزاجهم بغيرهم من الاقوام المجاورة لهم والامم التي يعيشون بين ظهرانيها ، واعتقادهم بانهم (شعب الله المختار) دون ان يتصفوا بالصفات التي تؤهلهم لهذا المقام الممتاز . ان فيهم طباعاً رديئة للغاية . وهذه الطباع لا تؤهلهم لان يعيشوا مستقلين . ومن هذه الصفات الطمع ، والحسد ، وعدم الاتفاق ، والانهاك في الخلاعة واللذات ، والتردي في مختلف المعاصي ، وعدم الترفع عن اقتراف الدنايا في سبيل المال ، وفي سبيل الغاية التي يرمون اليها .

٤٠- ولما تبوأ كورش عرش الفرس (٥٣٨ ق.م) عطف على اليهود . واذن لمن شاء منهم ان يعود الى القدس ، وسمح لهم بتجديد الهيكل ، وبناء المدينة ، فجاءوا اليها ، وكان عددهم عند رجوعهم اثنين وأربعين الفا .

قال ابن خلدون[١] ان ملك الفرس كورش عندما سمح لليهود بالعودة الى اورشليم وتعمير السور ردّ اليهم الاواني التي كان قد اخذها منهم .

وقال ابن العميد ان هذه الاواني كانت خمسة آلاف واربعماية قطعة من الذهب والفضة . ولكنه عاد فمنعهم عن تعمير السور ، وذلك عندما اعترض العمونيون والاشدوديون والعرب . وكان اعتراضهم شديداً . وكانت حجة المعترضين انه « اذا بنيت هذه المدينة واكملت اسوارها فان اليهود الذين جاءوا اليها من السبي وسكنوا فيها لا يؤدون جزية ولا خراجاً ولا خفارة » . وفي رسائلهم التي بعثوا بها الى ملك الفرس نبهوه الى ماضي اليهود في اورشليم ، تلك المدينة التي وصفوها بالعاصية والمضرة . كما هددوه بالعصيان ، وقطع العلاقات الودية اذا هو لم يمتثل لنصائحهم ولم يمنع اليهود عن عملهم . وقد اصدر امره بمنع اليهود عن تجديد بناء السور . وظل العمل متوقفاً الى السنة الثانية من ملك داريوس (وهو المعروف عند العرب باسم دارا) . وفي عهد هذا الملك تم بناء السور (٤٤٥ ق.م) . وما كان ليتم لولا حراب الفرس . وانك لواجد بيانا طويلا عن هذا الحادث في العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر نحاميا .

فاسمع ماذا يقول :

« . . حدث في شهر كسلو في السنة العشرين بينما كنت في شوشن القصر انه جاء حناني واحد من اخوتي هو ورجال يهوذا . فسألتهم عن اليهود الذين نجوا الذين بقوا من السبي وعن اورشليم . فقالوا لي انهم في شر عظيم وعار ، وسور اورشليم متهدم ، وابوابها محروقة بالنار . فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ونحت اياماً وصمت وصليت أمام اله السماء وقلت : ايها الرب اله السماء . . اسمع صلاة عبدك الذي يصلي اليك الان . . لاجل عبيدك بني اسرائيل . . لقد أخطأنا . . لقد افسدنا . . . ولم نحفظ الوصايا والفرائض والاحكام التي امرت بها عبدك موسى . . . اعط النجاح اليوم لعبدك ، وامنحه رحمة امام هذا الرجل . لاني كنت ساقيا للملك[١] . . »

(١) ابن خلدون ص ٧١١ .

(١) الملك ارتحشستا ملك الفرس .

وفي الاصحاح الثاني من سفره قال نحميا ما ياتي :

« وفي شهر نيسان في السنة العشرين لارتحشستا الملك كانت خمر أمامه فحملت الخمر واعطيت الملك . ولم اكن قبل مكداً أمامه . فقال لي الملك لماذا وجهك مكد وانت غير مريض . . . فخفت كثيراً جداً ، وقلت للملك : ليحيى الملك الى الأبد . كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر ابي خراب وابوابها قد اكلتها النار. فقال لي الملك ماذا طالب انت . . فصليت الى اله السماء وقلت : . . ترسلني الى يهوذا ، الى مدينة قبور آبائي ، فابنيها . فقال لي الملك والملكة جالسة بجانبه الى متى يكون سفرك ومتى ترجع . فحسن لدى الملك وارسلني ، فعينت له زمانا . . واعطاني رسائل الى ولاة عبر النهر لكي يجيزوني حتى اصل الى يهوذا ، ورسالة الى آساف حارس فردوس الملك لكي يعطيني أخشابا لسقف ابواب القصر الذي للبيت ولسور المدينة وللبيت الذي ادخل اليه . . وارسل الملك معي رؤساء جيش وفرسانا . . »

وفي الاصحاح نفسه (أي الثاني) من سفر نحميا نقرأ السطور التالية :

« فجئت الى اورشليم ، وكنت هناك ثلاثة ايام . ثم قمت ليلا انا ورجال قليلون معي . ولم اخبر احداً بما سأعمله في اورشليم . ولم يكن معي سوى البهيمة التي كنت راكبها . وخرجت من باب الوادي ليلاً أمام (عين التنّين) الى باب الدمن . وصرت اتفرس في أسوار اورشليم المتهدمة وابوابها التي اكلتها النار . . ورجعت . . ولم اخبر الى ذلك الوقت اليهود والكهنة والاشراف والولاة والعمال . . ثم قلت لهم : انتم ترون الشر الذي نحن فيه : كيف ان اورشليم خربة ، وابوابها قد احرقت بالنار . هلم فنبني السور ولا نكون بعد عاراً . . . واخبرتهم عن كلام الملك . . . فشدوا اياديهم للخير . وقالوا : لنقم ولنبن » .

ويظهر ان العرب وباقي السكان والمجاورين من حورونيين وعمونيين كانوا اقوياء ، وكان اليهود يخشون بطشهم ، بدليل ان الملك اعطى نحميا عند سفره (رؤساء جيش وفرسانا) وانه لم يجرأ على كشف ما في السور من خراب نهاراً ، بل جاء ليلا ؛ وبدليل الحادث الاتي الذى ننقله من سفر نحميا نفسه [١] :

« . . ولما سمع سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني وجشم العربي ساءهم ذلك مساءة عظيمة . . وهزأوا بنا واحتقرونا . . وقالوا ما هذا الامر الذي انتم عاملون . . ثم تآمروا جميعهم معاً ان يأتوا ويحاربوا اورشليم . . فصلينا الى الهنا واقمنا حراسا ضدهم ليلا ونهاراً . . ومن ذلك اليوم كان نصف غلماني يشتغلون في العمل ونصفهم يمسكون الرماح والاتراس والقسى والدروع . البانون على السور بنوا ،وحاملو الاحمال حملوا . باليد الواحدة يعملون العمل ، وبالاخرى يمسكون السلاح [٢] الرؤساء وراء كل بيت يهوذا . وكان النافخ بالبوق بجانبي . . ولم اكن انا ولا اخوتي ولا غلماني ولا الحراس الذين ورائي نخلع ثيابنا . وكان كل واحد يذهب بسلاحه الى الماء . . »

وفي الاصحاح الثالث من السفر نفسه يذكر لنا نحميا كيف عمر كل فريق من بني قومه ما خصص له من السور ، وفي الغالب كان يقوم كل رئيس عائلة بتعمير الجانب القريب من منزله . ويقول نحميا انه كان يعمل معه من الولاة مئة وخمسون

(١) الاصحاح الثاني – العدد ١٩ .
(٢) الاصحاح الرابع – العدد ١٧ .

رجلا . وقد تبرع الاغنياء بقسم من اموالهم لهذا العمل . وقد جاء ذكر لعدة ابواب في السور منها : باب الضأن ، وباب السمك ، وباب العتيق ، وباب الوادي ، وباب الدمن ، وباب العين ، وباب الماء ، وباب الخيل ، وباب الشرق ، وباب العد . .

« وكمل السور في الخامس والعشرين من ايلول في اثنين وخمسين يوماً . (الاصحاح السادس العدد ١٥ من سفر نحميا)

ولكن العداء بين العمونيين والعرب كان قد ازداد ، وخوف اليهود منهؤلاء كان قد اشتد، رغم وجود السور . اذ يقول نحميا في الاصحاح السابع من سفره : « . . وقلت لهما[١] : لا تفتح ابواب اورشليم حتى تحمي الشمس ، ومـا داموا وقوفا فليغلقوا المصاريع ويقفلوها . واقيم حراسات من سكان اورشليم كل واحد على حراسته وكل واحد مقابـل بيته . وكانت المدينـة واسعة الجناب وعظيمة والشعب قليلا في وسطها ولم تكن البيوت قد بنيت . (العدد ١ — ٤) . »

ورفع اعـداء اليهود شكواهم الى ارتحشستا ملك الفرس ، فقالوا له[٢] : « ليعلم الملك ان اليهود الذين صعدوا من عندك الينا قد اتوا الى اورشليم ويبنون المدينة العاصية الرديئة وقـد اكملوا اسوارها ورمموا اسسها . ليكن الآن معلوما لدى الملك انه اذا بنيت هذه المدينة واكملت اسوارها لا يؤدون جزية ولا خراجاً ولا خفارة فاخيراً تضر الملوك . والان بمـا اننا نأكل ملح الملك ولا يليق بنا ان نرى ضرر للملك . لذلك ارسلنا فاعلمنا الملك لكي نعيش في سفر اخبار ابائك فتعلم ان هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد وقد عملوا عصياناً في وسطها منذ الايام القديمة . لذلك خربت هذه المدينة . ونحن نعلم الملك انه اذا بنيت هذه المدينة واكملت اسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب في عبر النهر . »

فاجابهم الملك بما يلي :

« . . . الرسالة التي ارسلتموها الينا قد قرئت بوضوح امامي . وقد خرج من عندي امر ، ففتشوا ، ووجد ان هـذه المدينة منذ الايام القديمة تقوم على الملوك . وقد جرى فيها تمرد وعصيان . وقـد كان ملوك مقتدرون على اورشليم ، وتسلطوا على الجميع عـبر النهر . وقد اعطوا جزية وخراجاً وخفارة . فلإن اخرجوا امراً بتوقيف اولئك الرجـال . فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر امر مني .فاحذروا من ان تقصروا عن عمل ذلك . . . » .

« . . . ولمـا قرئت رسالة ارتحشستا الملك قام العرب والعمونيون والاشدوديون وذهبوا بسرعـة الى اورشليم . وكان على رأسهم (رحوم) صاحب القضـاء و (شمتاي) الكاتب واوقفوا اليهود عن العمل بذراع وقوة . . . » وظل العمل متوقفاً الى السنة الثانية من ملك دارا ملك الفرس .

٤١ — عندما رجع اليهود من السبي على عهد دارا ملك الفرس (٥٣٨ ق. م) وضعوا لهم مجموعة قوانين دينية . وجعلوا في هذه المرة رئيس الكهنة الذي يقيم في اورشـليم متسلطاً عليهم بدل الملك . واصبحوا عبارة عن جمـاعة من المتدينين يرأسهم كاهن .

وظلوا كذلك حتى الفتح اليوناني .

٤٢ —عندما تسلم (انطيوخس الرابع) اريكة الحكم اضطهد اليهود وحرمهم من القيام بشعائرهم

(١) اي لرئيس القصر ورئيس الكهنة .
(٢) هيكل سليان ص ١٤٨ .

الدينية . فمنعهم من الختان ، واحرق كتبهم الدينية ، وبطل شرائعهم ، وارغمهم على انتهاك حرمة السبت وعلى اكل لحم الخنزير .

وكان (ابو لينياس) عامل انطيوخس على القدس منفذاً لسياسة سيده هذه . ولكن بصورة تدريجية . فثار اليهود وقتلوا عمال الملك . واحتلوا اورشليم (١٦٤ ق.م) . وقيل انه قتل من جيش انطيوخس يومئذ اربعون الفاً من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان .

واليك بعض المعلومات [١] عن هذه الثورة ، وكيفية نشوبها ، وانتهائها :

قرّب انطيوخس الكاهن يشوع اليه ، وجعله الحبر الاعظم . وكان هذا ربيب الحضارة اليونانية . حتى انه استبدل اسمه اليهودي (يشوع) باسم يوناني (ياسون) . فحسده اخوه اونياس . وراح يسعى للتقرب من الملك . وعرض عليه هذا شروطاً قاسية من شأنها ان تذل قومه . فقبلها نكاية باخيه . واستبدل اسمه اليهودي (اونياس) باسم يوناني (منلاوس) . ثم جاء الى اورشليم ليتسلم من اخيه وظيفته . فابى هذا ان يسلمه المدينة . فتحاربا ، ولم يتمكن احدهما من قهر الآخر ، حتى جاء انطيوخوس واعلن الحكم العرفي . فاباح المدينة ونهب الهيكل . وعين قائده (فيلبس) حاكماً عليهم . ثم امر بالغاء الدين اليهودي من اصله . واكرههم على عبادة الآلهة اليونانية وحظر الاختتان . واكرههم على الشغل في ايام السبت . وكان عقاب من يخالف اوامره الموت . ولما اشتد الظلم نهض الكاهن (متاتياس [٢]) واعلن الثورة . هو واولاده الخمسة . ومنهم (يهوذا مكابيوس) احد المكابيين .

(١) البرغوثي وطوطح
(٢) متيا بن حانان .

٤٣ — فاز المكابيون في بادىء الامر ، واستقلوا (١٦٧ ق. م) . وقد ظهر منهم خمسة رؤساء وسبعة ملوك اليك اسماءهم :

(أ) الرؤساء :

(١) متاتياس	١٦٧ ق. م
(٢) يهوذا (ابنه)	١٦٦ ق. م
(٣) يوناثان (اخو يهوذا)	١٦٠ ق. م
(٤) سيمون (اخو يهوذا)	١٤٣ ق. م
(٥) هركانوس الأول	١٣٤ ق. م

(ب) الملوك :

(١) اريسطوبولس الأول وابن هركانوس	١٠٥ ق. م
(٢) الكسندر (اخو اريسطوبولس)	١٠٤ ق. م
(٣) الكسندرا (امرأته)	٧٧ ق. م
(٤) هركانوس الثاني (ابن الكسندر)	٦٩ ق. م
(٥) اريسطوبولس الثاني (ابن الكسندر)	٦٧ ق. م
(٦) هركانوس الثاني ايضاً	٦٢ ق. م
(٧) انتيكانس (ابن اريسطوبولس الثاني)	٣٧ ق. م

٤٤ — عندما احتل يهوذا المكابي القدس (١٦٦ ق. م) لم يستطع احتلال القلعة التي بناها انطيوخس ابيفانوس (عام ١٦٨ ق. م) على الاكمة المعروفة بـ (عكره) . ولذلك بنى المكابيون سوراً من شأنه ان يحجز بينهم وبين القلعة وان يحول دون تسلط القلعة على المدينة والهيكل .

٤٥ — ولما جاء سيمون المكابي (١٤٣ ق.م) هدم القلعة المتقدم ذكرها ، وازال قسماً من الاكمة التي بنيت فوقها القلعة . انه فعل ذلك خشية ان يتعرض الهيكل للخطر .

ان النقد اليهودي المعروف بـ (الشاقل) ضرب

في ايام سيمون هذا(١) . وقيمة الشاقـل الذهب في ذلك الحين تساوي ليرتين ذهبيتين من نقود العصر الحاضر .

٤٦ – ثم جاء (جون هركانوس) ١٣٤ ق. م وهو من الحكام المكابيين الذين حكموا القدس بعقل وسياسة. وكان الى جانب ذلك محباً للبناء والعمران. انه هو الذي بنى القلعة الواقعه في الزاوية الشمالية الغربية من منطقة الهيكل وقد اسماها (بارس(٢)) . وهو الذي بنى في الحي الفوقاني من المدينة وعلى التل الواقع غربيها قصراً حصيناً باسم العـائلة الحشمونية المالكة. وكان هــذا القصر ، على قول كاست ، متصلاً بمنطقة الهيكل بجسر يمر عن الواد المعروف بوادي الترويين .

وقيل ان جون هركانوس اضطر الى نبش قـبر داود الملك ، ونهب ما كان فيه من كنز دفين ، وبيعه كي يتمكن من انشاء الابنيه المتقدم ذكرها .

ان هــذا التقدم في العمران الذي تم في القدس على عهــد الحشمونيين ، والنصر الذي اصابوه على اعدائهم هنا وهناك ، ساقهم الى الغرور ، كعـادة اليهود بوجه عام ، فصرفهم عن عبادة ربهم (يهوه) وجعلهم يقيمون لانفسهم إلهاً أرضياً . فما اعتـبروا من حوادث الماضي ، ولا قدروا ابداً ان العز لايدوم ، وان الغرور قتال ، وان هذا النوع من التفكير يؤول الى الانقسام فالدمار

٤٧ – ما كاد جون هركانوس يقضي نحبه حتى راح اولاده الثلاثة يقتتلون من اجل الزعامة والملك .

(١) مجلة الآثار (٥ : ١٠ ص ٥٠٩) :

(٢) هو البناء الذي وسمه هيرودس بعدئذ ، واضاف اليه برجاً كبيرا ، واسماه (برج انطونيا) . والمعتقد انه كان يقوم في المكان الذي تقوم عليه الآن (مدرسة الروضة) الى الشمال الغربي الذي من سور الحرم .

وكانت المبادىء اليونانية (الهيلينية) سائدة يومئذ بين اليهود بدرجة ان كل واحد من هؤلاء الثلاثة ترك اسمه اليهودي واتخذ لنفسه اسماً يونانياً (هيلينيا) فسموا انفسهم : اريسطوبولس ، وانتيـكانس ، والكسندر ، وما الى ذلك .

٤٨ – نصب اريسطوبولس(١) هركانـوس نفسه ملـكاً على اليهـود (١٠٥ ق . م) . ولكنه خلال المدة القصيرة التي قضاها في الملك لم يفعل شيئاً لمصلحة البلاد سوى انه سجن امه وجعلها تجوع الى ان ماتت(٢) . ثم قتل اخاه انتيكانس من الخوف والحسد . فاستولى اخوه الاصغر الكسندر على الملك واسمى نفسه (الكسندريانوس) ١٠٤ق.م . وراحت القدس على عهده تذوق مرة اخرى مرارة الفوضى والحروب الاهلية والدمار .

ان الكسندر يانوس وان ملك اليهود يومئـذ بالاسم ، الا ان امرأته الكسندرا كانت في الحقيقة هي الحاكمة .

٤٩ – بعـد وفـاة الملكة (٧٠ ق. م) تولى الملك ابنها هركانوس. وكان يعرف بهركانوس الثاني . ولكنه بعد ذلك بقليل اضطر التخلي عن التاج وعن رياسة الكهنوت لاخيه اريسطوبولس(٣) الذي حاربه وتغلب عليه (٦٩ ق. م) .

٥٠ – وراح الاخوان ينشدان مساعدة الدول المجاورة لهما : امـا هركانوس فراح يستنجد ملك

(١) (اريسطوبولس) او (ارستوبولس) كلمة يونانية معناها (المشير الصالح) . ومن معانيها (ابن ارسطو) .

Jerusalem P. 79 , by Lionel Cust. (٢)

(٣) (تاريخ اليهود) ليوسيفوس . كتـاب ١٣ فصل ٢٤ وكتاب ١٤ فصل ١

العرب اريطاس (الحارث). واما اخوه اريسطوبولس فقد استمد القوة من روما.

وزاد في تخاذلهما بذور الفساد والشقاق التي كان يلقيها بينهما انتيباتر[١] ابو هيرودس. وكان بمبايوس (بومبي) في ذلك الحين (٦٤ ق.م) قد انتهى من محاربة الارمن واتى الى سورية. فاستدعاه اريسطوبولس. وهو في دمشق، فلبى دعوته. واتاه جم غفير من اليهود[٢] يسألونه ان يريحهم من ولاية كليهما. لانه لم يكن من عادتهم ان يتولاهم ملوك. بل ان يسوسهم رئيس كهنة ويقضي بينهم بحسب سنتهم. ويظهر انه استحضر الاخوين. وبحث معهما اسباب الخلاف.

اما هركانوس فشكا اليه ان اخاه انتزع الملك منه خلافاً للحق. لانه البكر. وليس له الا حقول قليلة لا تقوم باوده. وان اخاه كاللص يسطو على جيرانه، وينهب مالهم.

واما اريسطوبولس فاجاب انه انتزع الملك من اخيه لانه لم يكن اهلا له. وقد ازدراه الشعب لانه رجل بليد مكسال.

٥١ – انك اذا ما درست الوقائع التي سبقت انهيار الحكم المكابي والحشموني بالقدس علمت بكل تأكيد انه كان للمرأة ولتدخلها في امور الدولة ونفوذها الذي لا يتناهى على الحكام دخلا كبيراً فيما جرى. واذا تعمقت في الدرس وجدت سبباً آخر، ألا وهو الاختلافات المزمنة التي تأصلت بين المتدينين الذين كانوا يدعون بـ (الحسيديم) وبين خصومهم الحشمونيين. تلك الاختلافات التي ذر قرنها على عهد يهوذا المكابي.

اضف الى هذين السببين سبباً ثالثاً (وهذا السبب وحده يكفي لتدمير مملكة عظيمة كامبراطورية الرومان دع عنك مملكة صغيرة كمملكة القدس في عهد المكابيين) وهو تفرق الاحزاب وتنازع القواد، ولا سيما ابناء العائلة الواحدة، من اجل الزعامة والملك.

ولهذا لم يكن المستر ليونيل كاست فريداً بين المؤرخين في حكمه عندما قال ان الاختلافات التي قامت بين اليهود في مدينة القدس والدماء التي سالت في شوارعها كانت صفحة سوداء في تاريخهم. وهي التي ادت الى انهيار كيانهم.

٥٢ – فاهتبل بومبي هذه الفرصة، وقضى على استقلالهم (عام ٦٥ ق.م). وبعمله هذا قضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاما. فراح اليهود بعد ذلك التاريخ يعيشون في ظل الشعوب والامم الاخرى[١].

(١) كان هذا الرجل من الادوميين الذين اجبرهم هركانوس على التهود، فتهودوا.

(٢) (تاريخ سورية) للمطران الدبسي. ج ٣ ص ٢٦٦

(١) اقرأ، بعدهذا، ما كتبناه عن اليهود في الفصل الذي خصصناه للقدس في عهد الرومان، وفي عهد الاحتلال البريطاني، وبعد قرار التقسيم الذي اصدرته هيئة الامم بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧.

القدس في عهد الآشوريين

لم ينفك الآشوريون عن الاغارة على فلسطين ؛ مذ وطدوا استقلالهم ، واخذوا يفكرون في توسيع حدود مملكتهم . وازدادت غاراتهم شدة بعد موت سليمان ، وتنازع رحبعام ويربعام من اجل الملك ، وانقسام الاسباط الى مملكتين: اسرائيل في الشمال، ويهوذا في الجنوب . عندئذ ضعفت شوكة اليهود فهاجمهم المصريون من الجنوب والآشوريون من الشمال . وغدت البلاد يومئذ نهباً مقسماً بين هؤلاء واولئك .

٢ – عندما تولى (آحاز بن يوثام) قيادة اليهود كان التحاسد والانقسام قد بلغا أشدهما بين الفريقين ، فاحتربا . وكان النصر لمملكة اسرائيل في الشمال . فانهزمت مملكة يهوذا في الجنوب. وغلب آحاز على امره . ولما كان الجيش السوري حليف خصومه الشماليين وقائدهم (بيكح) Pekah ولولاهم لما تغلبوا عليه ، راح هو يفكر في طريقة للانتقام . فلم يجد اسهل من الالتجاء الى الآشوريين. فارسل رسله (٧٣٤ ق. م) الى ملكهم (تيغلات بلازر[١]) يستنجد به وبجيشه لينقذه من اعدائه . فما كان من هذا إلا ان استجاب النداء . وجاء يغزو البلاد . والحقيقة ان هذا وقومه كانوا يرتقبون مثل هذه الفرصة ، لا من اجل القدس وحدها ولكن من اجل ما بعدها من بلاد كمصر ، وليبيا ، والحبشة ، والبلاد الواقعة في حوض البحر الابيض والبحر الاحمر . ولهذا بعد ان افتتح تيغلات بلازر

(١) اعتلى عرش آشور سنة ٧٤٥ ق.م.

سوريا تغلب على مملكة اسرائيل واحتل عاصمتها (السامرة[١]) فانقرضت مملكة اسرائيل في الشمال . وتحقق ما اتنبأ به عاموس[٢] قبل ذلك بقليل .

٣ – وفي قول آخر[٣] « ان (شلمنصر) ملك الآشوريين غزا القدس (٧٣٠ ق. م) وسبى سكانها وانه عاد فحاربهم سنه ٧٢٣ ق. م وظل يحاربهم حتى سنة ٧٢١ ق. م » . بيد انه ، على ما يظهر ، لم يتمكن من تثبيت اقدام قومه في القدس. فبقي القسم الجنوبي من فلسطين راضخاً لسلطان الفراعنة . وقد جاء في كتب التاريخ ان العرب والعمونين والفنيقيين وباقي سكان البلاد المجاورة كانوا في الوقت نفسه يعملون على دفع غارة الآشوريين . ولولا ذلك ما تمكن اليهود من دفع غائلة الآشوريين . ولكن هذا الحال لم يدم طويلاً . اذ اراد بنو اسرائيل أن ينفردوا في الامر. فما كاد (سنحاريب[٤]) يعتلي عرش آشور حتى اعتزم ان يحتل فلسطين كلها : شمالها وجنوبها .

(١) جاء في تاريخ العصور القديمة لبرستد ان هذا الاحتلال جرى في ٧٢٢ ق. م بينما ذكر في الموسوعة البريطانية انه جرى حوالي سنة ٧٣٥ ق م . وعندي ان الرأي الاخير هو الاصح . اذ ان تيغلات بلازر مات سنة ٧٢٧ ق. م .

(٢) « اسمعوا هذا القول الذي انا انادي به عليكم مرثاة يا بيت اسرائيل . سقطت عذراء اسرائيل لا تعود تقوم . انطرحت على ارضها ليس من يقيمها . لانه هكذا قال السيد الرب .» عاموس ٥ – ١

(٣) تاريخ القدس الشريف لسركيس ص ١٩ .

(٤) يسميه بعض المؤرخين (سنحريب) . ويقول الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف انها كلمة بابلية معناها (ارسل اخوة كثيرين) او (ليس بابن ابيه الاكبر) .

وقد ارسل إليها هـذا جيشه بقيادة القائد الآشوري المشهور (ربشاق[1]) . فحاصرها (٧١٣ ق.م) . وراح يدك اسوارها. وكان رجاله مزودين بالسيوف، والنبال، والتروس، والاقواس، والرماح. وكانت لهم مركبات خفيفة، يجر الواحدة منها حصانان. وكانت لهم وسائل نقل منظمة. واستعملوا في حصار القدس اجهزة متينة ومعدات متقنة منها السلالم والمنجنيقات .

وقد نصب القائد الآشوري خيمه شرقي بركة ماملا . وراح من هناك يصب جام غضبه على المدينة ويضيق الخناق على سكانها .

٤ - ان الخوف والذعر قد استوليا على اليهود. فلم تجد فيهم نصائح ملكهم (حزقيا) الذي تولى الملك بعد ابيه آحاز سنة ٧٢٦ ق. م. وبقي فيه حتى سنة ٦٩٨ ق . م . وراح حزقيا يشحذ قريحته لاستنباط وسيلة ينجي بها نفسه وقومه من الهلاك . والحق انه نفع اليهود، إذ انه عندما سمع باقتراب جيش سنحاريب، اسرع في انشاء سور حول الاحياء المنتشرة في جبل صهيون الى الشمال وفي منطقة الهيكل .

٥ - ومن الاعمال التي قام بها (حزقيا) النفق الذي حفره في الصخر بين بركة سلوان وعين ام الدرج، ذلك النفق الذي بلغ طوله ١٧٠٠ قدماً . والغاية منه ان يتمكن سكان المدينة من الوصول الى رأس النبع من داخل السور دون ان يعرضوا انفسهم لمهاجمة اعدائهم في ايام الحصار . واسال الماء (من بركة ماملا . .) في مجرى حفره تحت الارض الى بركة حفرها بين السور القديم والسور الحديث . سميت هذه البركة يومئذ (بركة حزقيا) . ويسميها

(١) وفي رواية اخرى (ربساكس) .

الناس في يومنا هذا (بركة حمام البطرك) او (بركة حارة النصارى) .

٦ - ولكن لا هذه المشاريع التي قام بها حزقيا لتزويد المدينة بالماء، ولا اسوار القدس التي كانت تحيط بها احاطة السوار بالمعصم؛ حتى ولا الخطب التي كان يلقيها (اشعيا[1]) النبي في شوارع اورشليم ليحمس الجماهير على القتال والمقاومة؛ اجل ما كان هذا بكاف لينقذ القدس من الآشوريين الذين كانوا يرابطون امامها بجيش قوي ضخم. ولكن الذي انقذها هو (الطاعون) الذي جاءهم من مستنقعات دلتا النيل والذي انتشر حتى كاد يقضي عليهم، فانسحبوا بعد ان فقدوا في هذه الحملة ١٨٥ الفاً من رجالهم .

٧ - يظهر ان الآشوريين عادوا الى القدس مرة اخرى، فاحتلوها . واعتقلوا الملك (منسه) الذي تولى الملك بعد ابيه حزقيا؛ فارسلوه الى بابل مصفداً بالاغلال(٦٧٨ - ٦٤٤ ق. م) . ولكنهم بعد حين اطلقوا سراحه فرجع الى القدس، وبنى السور الثاني.

٨ - بعد مدة وجيزة دب الضعف والانحلال في صفوف الآشوريين، فتخلوا عن هذه البلاد الى البابليين .

٩ - فاق الآشوريون البابليين والمصريين من حيث التنظيم الاداري . فقد سنوا الانظمة المتقنة للبلاد التي احتلوها، وكانوا يضيقون نطاق الولايات مخافة ان تتقوى الواحدة، فتنفصل عنهم . وكانوا حين نشوب ثورة في احدى هذه الولايات يعزلون اميرها الوطني، وينصبون مكانه واحداً منهم .

(١) اشعياء الاصحاح العاشر ٢ - ٣ « ماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد . الى من تهربون المعونة . واين تتركون مجدكم . اما يجثون بين الاسرى، او يسقطون تحت القتلى . »

وكان من واجبات هـذا الحاكم ان يحفظ النظام ؛ ويرسـل التقارير عن حالة مقاطعته الى الحكومة المركزية ؛ وان يجمع الضرائب ويرسلها الى العاصمة ؛ بعد ان يبقي منها مقدار ما يحتاج اليه في ادارة البلاد التي جمعت منها . ولكنهم لم يهتموا بترقية الشؤون الصناعية والتجارية . وكان جـل اهتمامهم منصرفاً الى سلب البلاد ، وجمـع ما فيها من ذهب وفضة وامتعة نفيسة .

* * *

القدس وبابل

جاء في اكثر الكتب التجارية ان البابليين استولوا على القدس واخـذوها من الاشوريين . والحقيقة انهم اخذوها من المصريين . اذ كانت ، يوم احتلالهم اياها ، منحازة الى ملوك مصر . خاضعـة لسلطانهم . تدفع الجزية لهم ، وتاتمر باوامرهم . وكان ظل الاشوريين قد زال عن هذه الربوع قبل ذلك باعوام . فاخذ البابليون والمصريون يتنازعون السلطة والسيادة . وكان على سكان اورشليم ومملكة يهوذا ان يختاروا احد الفريقين : فاما ان ينحازوا الى جانب المصريين او ان يقفوا في صفوف البابليين .

٢ – كان ملك اورشليم في ذلك الحـين (يهوياقيم)[1] ٥٩٩ ق . م ولقد خضع هذا لنبوخذ نصر ، وسلمه المدينة وعاش عبداً له ثلاث سنين[2] . ثم عاد فتمرد عليه[3]. فاقاله نبوخـذ نصر واقام مكانه ابنه (يهوياكين) ٥٩٧ ق. م . ثم عاد فاقال هذا ايضاً بعـد ثـلاثة شـهور لانه كان مثل ابيه شريراً[1] واخذه الى بابل بعد ان اقام مقامه صدقيا (٥٩٧ ق. م) واخذ معه عددا كبيراً من عظـماء بني اسرائيل .

٣ – اراد صدقيا في باديء الامر ان يتعاون مع البابليين عملا بوصية النبي ارميا الذي نصحه بالتعاون قائلا انه لافائدة من الخيانة ، الا ان الرؤساء مالوا الى شق عصا الطاعـة والخروج على البابليين . وكان ذلك بتشويق من مصر . فخرجوا (٥٩٣ ق. م) وكانت العاقبة وبالا عليهم .

٤ – عنـدما بلغ نبوخذ نصر[2] انتقاض بني اسرائيل امر قائده نبوزردان ان يقيم بموضعه حتى يوافيه ، وان يضرب اعناق الرهائن الذين معه . ثم سار هو حتى اتى بيت المقدس ٥٨٨ ق. م .

فحاصرها (٥٨٧ ق. م) وقد انضم اليه الادوميون نكاية ببني اسرائيـل . وهذا العداء بـين الفريقين (اي بين الادوميين وبني اسرائيل) كان قد تأصل منذ ان مر بنو اسرائيل من بلادهم على عهد موسى .

(١) (النهج القويم في التاريـخ القديم) لهارفي بورتـر استاذ التاريخ في الكلية الانجيليه . طبع في بيروت سنة ١٨٨٤ .

(٢) سفر الملوك الثاني : ٢٤ – ١ .

(٣) سفر الملوك الثاني : ٢٤ – ٤ .

(١) سفر الملوك الثاني : ٢٤ – ٩ .

(٢) تاريخ الامم والملوك للطبري . ج ١ ص ٣٨٢ . طبع في مصر سنة ١٩٣٩ .

٥ – كانت القدس يومئذ محصنه تحصينا متينا. ولما حاصرها نبوخذ نصر ، بني الابراج من حولها. ودام حصاره لها سنتين وفي قول اخر سبعة شهور. ذاقت خلالها الامرين : الجوع والمرض ؛ الى ان اختار اليود جانب الهرب . فثلموا جانباًمن السور ، وهربوا وعلى راسهم ملكهم (صدقيا) . فادركهم الكلدانيون في البرية . والقوا القبض على الملك وبنيه . واتوا بهم الى نبوخذ نصر مصفدين بالاغلال . فقتل ابنه على عينه . وفقأ بصره هو (اي صدقيا) وارسله الى بابل[1] . وراحت كلمة بابل هي العليا في اورشليم . فنهبها، ودمر الهيكل الذي بناه سليمان ، ودك اسوارها ، وجلا شعبها الى بابل . فقتل معظمهم هناك . ومن لم يقتل استعبده . وهكذا انقرضت مملكة يهوذا (٥٨٦ ق . م) . الامر الذي ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب.

٦ – جاء في اسفار العهد القديم [٢] ان نبوخذ نصر سبى كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس وجميع الصناع والاقيان . ولم يبق احد الا مساكين الشعب . . وارميا النبي فانه احسن اليه ولم يصبه باذى . ذلك لانه كان قد نصح قومه الا يثوروا في وجه البابليين . فكذبوه . ولما قص على نبوخذ نصر قصته قال له هذا : « بئس القوم قوم عصوا رسول ربهم » . ثم خلى سبيله .

ويظهر ان الذين استبقاهم نبوخذنصر في القدس، ولم ينفهم الى بابل ، لضعفهم او فقرهم هربوا الى مصر . فكتب الى ملك مصر يطلب ارجاعهم قائلا[٣] :

« ان عبيداً لي هربوا مني اليك . فارجعهم اليّ ، والا غزوتك . واوطات بلادك الخيل » . ولما رفض هذا طلبه غزاه فقتله . وسبى اهل مصر ، كما سبى عدداً كبيراً من سكان هذه البلاد .

٧ – فمن هو نبوخذ نصر[١] هذا ؟

انه اعظم ملوك الكلدانيين . دام على عرش بابل من ٦٠٤ الى ٥٦١ ق . م . وقامت بينه وبين فرعون مصر نيخو (اونخاؤس) الثاني عند الفرات معارك دامية (٦٠٤ ق . م) كان النصر فيها حليف البابليين . فتغلبوا على المصريين . وكان نصر البابليين عظيما بدرجة ان نيخو لم يحاول الاشتباك معهم في حرب مرة اخرى . فتخلى المصريون عن سوريا وفلسطين . ودخلت هذه تحت الحكم البابلي .

٨ – ذهب المسعودي[٢] الى ان (بختنصر) الذي فتح بيت المقدس وسبى بني اسرائيل لم يكن ملكاً كما وصفه اهل التواريخ في كتبهم ؛ وانما كان مرزبان[٣] العراق والمغرب ، وكان تابعاً لملك الفرس (كيخسرو) حفيد كيكاوس ؛ ذلك الملك الذي نال بني اسرائيل منه محن فشتتهم في البلاد وكانت له معهم اقاصيص يطول ذكرها[٤] . فصلب وجلد واحرق وباع ذراريهم ونساءهم .

قيل انه قتل في المعركة التي دارت رحاها بين

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح ٢٥ العدد ٦ .

(٢) سفر الملوك الثاني الاصحاح ٢٤ العدد ١٤ .

(٣) الطبري ج ١ ص ٣٨٣ .

(١) هناك من يسميه (نبوخذ رزر) او (نبوخاد رزار) وفي التوراة (نبوخذ ناصر) . وعلى قول الطبري (ج ١ ص ٣٨٢) بختنصر . وهي كلمة بابلية معناها : (ليحمي بنو التاج) او (دموع القضاء) .

(٢) ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي مؤلف (مروج الذهب ومعادن الجوهر) المتوفي سنة ٣٤٦ هـ .

(٣) اي صاحب جزؤ من المملكة او صاحب ناحية من نواحيها وواليها .

(٤) مروج الذهب ج ١ ص ١٩٢

نبوخذ نصر وبين بني اسرائيل اربعة وعشرون الف نسمة[١] .

٩ – لم تقم لبني اسرائيل قائمة بعد ذلك التاريخ. وقد اشار القران[٢] الى هذا الحادث التاريخي في الآية الكريمة التي جاء فيها : فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد . فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين . .

١٠ – واصبحت هذه البلاد من أدناها الى اقصاها مستعمرة بابلية . انها كانت تدفع الضرائب لبابل . وقد ازدادت العوامل التجارية والاقتصادية مع بابل . وانتشرت الكتابة المسمارية . وشاعت اللغة البابلية في السياسة والتجارة . وظلت هذه لغة البلاد الرسمية حتى الفتح الفارسي . واما اللغة التي كانت دارجة بين سكان البلاد فقد كانت الكنعانية .

* * *

القدس في زمن الفرس

عندما تغلب (كورش)[٣] ملك الفرس على البابليين ، واخضع بابل وآشور (٥٣٩ ق. م)؛ سار في فتوحاته قدما حتى احتل سوريا ، ثم جاء الى القدس فاحتلها (٥٣٨ ق. م) . واتسعت امبراطورية الفرس على عهده من الهند الى بحر ايجه ومصر . ان القائد الذي تمت هذه الفتوحات على يده هو (غوبرياس) . وهو الذي فتح القدس باسم الفرس .

٢ – تزوج كورش[٤] اخت زربابيل[٥] بن شلائيل بن يهوياكين بن يهويا قيم ملك يهوذا الذي ذكرناه في موضع آخر من هذا الكتاب . ولما دخل بها ارتفعت عنده. فقال لها : اطلبي مني ما تشائين . فطلبت منه ان يسمح لبني اسرائيل الذين نفاهم نبوخذ نصر الى بابل بالعودة الى اورشليم . فاذن بذلك (٥٣٨ ق. م) . على انه خيرهم بين الرحيل او البقاء اذا شاءوا. فآثر[١] فريق منهم البقاء وهم الذين اصابوا نجاحاً في منفاهم ، واختار ما يقرب من خمسين الف من الرجال (غير النساء والاطفال) الرحيل .

ويقول البرغوثي وطوطح في كتابهما (تاريخ القدس) في تحليل ذلك ان كورش كان يطمع بافتتاح مصر والمغرب . واعتقد ان حلمه لا يتحقق الا اذا ارجع اليهود الى بلادهم ، ليتكيء عليهم .

٣ – هذا ما ورد ذكره في اكثر كتب التاريخ

(١) وفي ذلك جاءت الاية : فاذا جاء وعد الاخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا .

( ) فضائل بيت المقدس لابن المرجي بن ابراهيم المقدسي . مخطوط ص ٢٢ .

(٣) قال المسعودي: انه بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب. وكان الناس يسمونه كورش. تولى الملك عام ٥٥٣ ق.م. ودام فيه تسعة وعشرين عاماً. كان الفرس يحبونه ويلقبونه بابي الشعب.

(٤) ابن العبري ص ٨١ .

(٥) كلمة عبرية معناها : (غريب عن بابل) .

(١) تاريخ العصور القديمة لبرستد .

وهو أن رجوع اليهود من المنفى كان على يد كورش. واما الطبري[١] فانه يقول : ان ذلك تم على يد (اخشويرش)[٢] بن كيرش الذي ملك بابل وناحيتها من قبل بهمن ، وان هذا قاتل الثوار الذين ثاروا على بهمن وتغلب عليهم ، وانه جمع الاشراف من حوله واطعم الناس اللحم واسقاهم الخمر ، وانه كان يأتمر بامره مئة وعشرون قائداً ومع كل قائد الف رجل من الابطال ، وانه تزوج امرأة من سبى بني اسرائيل تدعى اشتر[٣] .

٤ – ولهذا الزواج حكاية نقرأها بالتفصيل في سفر (استير) من اسفار العهد القديم . وهي تتلخص في السطور التالية[٤] :

بينما كان اليهود في بابل اخذوا يفكرون في انجع الوسائل للتخلص من السبي . ولما كانت احدى وصايا حكماء صهيون ان يتوسلوا لبلوغ اربهم بجميع الوسائل الممكنة ومنها الجمال ، عملا بالقاعدة المأثورة « الغاية تبرر الواسطة » فقد لجأ (مرد خاي بن بائير بن شمعي بن قيس) ، وهو احد الرجال الذين جاءوا من اورشليم مع السبي ، الى هذه الوسيلة وهي انه قدم استر بنت عمه الجميلة الى الملك (احشويروش) الذي كان غاضباً على امرأته (وشتي) لانها رفضت امراً من اوامره . ولما رأى الملك استير ، وشاهد ما كان عليه من جمال ؛ وضع تاج الملك على راسها ، وملكها مكان وشتي . راحت استير وابن عمها مرد خاي يدسان الدسائس ضد هامان وزير الملك الذي اراد ان يبطش باليهود ،

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٢ ص ٦٥٣ .
(٢) ورد هذا الاسم في اسفار العهد القديم (احشويروش) . ومن يدري ؟ لعله هو نفسه كورش الذي ورد ذكره في الاسطر المتقدمه .
(٣) ورد هذا الاسم في اسفار العهد القديم (استير) .
(٤) هيكل سليمان ص ١٤٠ .

فبطش الملك به ، وبكثيرين من اتباعه . وهكذا تمكن اليهود ، عن طريق الحيلة والجمال ، من تخفيف ويلات السبي ، ومن رجوع فريق منهم الى فلسطين. غير انهم عاشوا فيها كرعايا اذلاء ، لا كحكام مسيطرين . وظلوا كذلك بضعة اجيال .

٥ – بعد كورش[١] اعتلى عرش الفرس (ارتحشستا[٢]) ٥٢٢ ق. م . فاراد هذا ان يحول دون رغبات اليهود ، حتى انه امر بايقاف حركات البناء التي اقاموها في الهيكل . ولكن (داريوس[٣]) خال كورش ، وهو الذي خلف ارتحشستا ، اتاح لهم ذلك (٥١٩ ق. م) .

٦ – في عهد داريوس (٥٣١ – ٤٨٥ ق. م) جزئت الامبراطورية الفارسية الى عشرين ولاية . وكان على كل ولاية حاكم يدعى (مرزبان) . وكانت فلسطين احدى هذه الولايات. وكانت البلاد الواقعة شرقي الاردن وقبرص جزءاً من الولاية الفلسطينيه وكان ولاة الفرس وعمالهم يتمتعون بشيء قليل من السلطة .

٧ – ومن ملوك الفرس الذين كان لهم شأن في هذه البلاد (ارتاكسركس[٤]) الأول . فقد قامت على عهده عدة ثورات في البلاد . وحارب اليونانيين (٤٦٠ ق. م) والمصريين (٤٥٤ ق. م) .

بعث هذا الملك الى (عزرا) الذي كان سيم كاهناً في بابل ورجع مع من رجع من اليهود الى القدس

(١) تاريخ القدس الشريف لسركيس ص ٢٤ .
(٢) كلمة فارسيه اصلها : (ارتخشترا) . ومعناها : (نور ولعنة).
(٣) كلمة فارسيه يلفظها العرب : (دارا) . ومعناها (مانع) .
(٤) تولى الملك في ٤٦٥ ق. م . والذي رفعه الى العرش (آرتابان) قاتل ابيه . وقد ادرك بعد مدة وجيزة اهمية الجريمة ؛ فقتله بيده وقتل اولاده معه في قصره . دام ملكه قرابة اربعين عاما . ومات في ٤٢٥ ق. م .

امرأ (٤٥٨ ق. م) اقربه الدين اليهودي . ثم عين (نحاميا) حاكما على القدس (٤٤٥ ق. م). واقام عليها اثني عشر عاماً .

كان نحاميا من انصار الفرس ومن المقربين الى الملك . فمنحه هذا سلطة واسعة. واتاح له بناء ما تهدم من السور . ويظهر ان السور كان يحيط يومئذ بجبل صهيون من الناحية الجنوبية والغربية ، وبجبل موريا حتى شرقي الهيكل. وقد تمت عمارته في اثنين وخمسين يوماً .

٨ – ظلت القدس خاضعة لملوك الفرس ، تدفع لهم الضرائب والعوائد ، وتسهل لهم سبل العبور الى مصر ؛ الى ان احتلها الفاتح المقدوني الكبير (الاسكندر) ٣٣٢ ق. م

ونود ان نذكر فيما يلي نبذة عن طريقة حكم الفرس لهذه البلاد :

٩ – اشتهر الفرس[١]، الى عهد كورش ، بالتقشف والقناعة في معيشتهم . يقتاتون في الغالب بالخبز المجرد والماء . وربما اضافوا الى ذلك شيئاً من البقول وينامون على القاع . ومن عوائدهم ان يتزوج الاخ اخته والاب بنته والابن امه . وكانوا جهلاء . ولكنهم كانوا في نفس الوقت اقوياء . ولما فتحوا البلاد والامصار ،وتخلصوا من الاشوريين والبابليين، واختلطوا بالقبائل الغريبة عنهم ؛ ارتخت عزائمهم ، وتغيرت طبائعهم ، وجنحوا الى حب الملاهي ورغد العيش .

كان لهم جيش منظم .وكان هذا مقسما الى اقسام.

كان ملوكهم مطلقي الادارة . ولما جاء دارا قيد سلطة الملوك بمجلس مهمته اسداء المشورة لهم . واقام على الملك موظفا لقبه (حامل التاج) ، مهمته ايقاظ الملك في كل صباح.لا ترفع للملك الا الدعاوى الجسام . واما الشؤون الاخرى فكان يقضيها قضاة ينتخبون من الشيوخ .

كانت لهم[١]في البدء نقود مسكوكة من معدن الالكتروم[٢] . ولما توسع ملكهم ، على عهد دارا ، واصبحوا اسياد مناجم الذهب في الهند ؛ شرعوا يضربون نقودهم من معدني الذهب والفضة .

ان هذا النقد[٣]المنسوب الى دارا كان مكتوباً وكان مصوراً وكان عليه رسم دارا ممتطياً جواداً وبيديه قوس وسهم .

١٠ – بحثنا في السطور المتقدمة عن عهد احتلال الفرس الاول لمدينة القدس . وهو الذي جرى قبل الميلاد . ونود ان نبحث في السطور التالية عن عهد احتلالهم الثاني الذي جرى بعد الميلاد؛ فنقول :

انا وان كنا قرأنا في تاريخ الفرس : ان كسرى الاول الملقب بـ (كسرى انوشروان) والذي تولى عرش الاكاسرة في ٥٣١ بعد الميلاد ، كان من اشهر الملوك الساسانيين بل اشهرهم طراً ، وانه احتل سوريا وعقد حلفاً مع الرومان لخمسين سنة ، واعان اليمن على طرد الاحباش ونبذ سلطانهم من بلاده؛ ولكنالا نعلم بالضبط ما اذا كان الفرس قد اهتموا بالقدس على عهده .

١١ – ولكننا نعلم بالتأكيد ان حفيده (كسرى الثاني) وهو ابن هرمز الرابع قد صالح الرومان (٥٩١م) وغزا بر الاناضول وسوريا . فاستولى على دمشق (٦١٣م) وعلى القدس (٦١٤م) . ثم سار الى

(١) مختصر التواريخ القديمة للقس بولس رحماني السرياني . ص ١٦٩ (سنة ١٨٧٦) .

( ) (تجارة العراق قديماً وحديثاً) لرزق الله غنمة البغدادي ص ٢٤

(٢) انه معدن مزيج من الذهب والفضة والنحاس

(٣) مجلة الاثار (٥–٥ ص ١٩٩) للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف.

مصر فاحتلها . ولم يستطع الرومـان مقاومته . اذ كانوا مشتغلين باختلافاتهم الداخلية . وان القائد الذي تمت هذه الفتوحات على يده هو (شهرباراز) . وهو الذي فتح القدس باسم الفرس (٤ ايار سنة ٦١٤ للميلاد) .

١٢ — هذا ماذكرته الموسوعة البريطانية . واما المؤرخون العرب فقالوا ان القائد الذي احتلها كان يدعى (حرزويه) . وقد جـاء في (تاريخ القدس الشريف) لسركيس ص ١٥٧ ان غزوة القدس هذه تمت سنة ٥٩١ ،يوم ارسل برويز بن كسرى مرزبانه (خسرويه) الى القدس؛ فاحتلها ،وخرب كنائسها، ونهب خزائنها ، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً . وسواء كان الفاتح هذا او ذاك ، فان المعروف عن القدس انها كانت يومئذ (٦١٤ب.م) من المدن الكبيرة. كانت التجارة رائجة والصناعة متقدمة الى درجة ان كان يفد اليها تجار من جميع الجهات : من آسيا الصغرى الى بلاد فـارس ، ومن هذه الى افريقيا . وبعد ان كانت تعيش في رغـد من العيش ، ارسل كسرى ملك الفرس قائده (شهر باراز)[١] على رأس جيش عرم فافتتحها (في ٢٠ ايار ٦١٤) بعد حصار دام عشرين يوماً . استعمل الفرس اثناء ذلك الحصار جميع الوسائط اللازمة للاستيلاء على المدينة . فاقاموا الأبراج حولهـا ، ووضعوا عليها المنجنيقات . وفي اليوم العشرين قاموا بهجوم عـام فدخلوا المدينة . فهرب الجنود ، واستتر الكثيرون في الخنادق وآبار المياه ، واحتمى المسيحيون بالكنائس والأديرة . اما الفرس فقد اعملوا سيوفهم في كل من عثروا عليه . وذبحوا من المسيحيين سبعين الفاً . منهم ٢٤٥١٨[٢]

(١) وقيل ان قائد الفرس يومئذ كان (سابور) .

(٢) هناك من يعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه كثيراً . ولقد نشر بيترز في الصفحة ٣٨ من المجلد التـاسع من مجلة (جامعة القديس يوسف) التي صدرت في بيروت سنة ١٩٢٣ ان عدد الذين دفنوا في ماملا يومئذ اربعـة آلاف وستماية وثمانية عشر شخصاً فقط .

دفنوا في مـاملا و ٩٨٠٩ في حفر السور و ٢٠٠٠ أمام ابواب صهيون و ٤٢١٩ في دير يوحنا والباقون في السوق الكبير ، والسوق الصغير،وسوق اللحم ، وبالقرب من باب الضأن ،وعين سلوان،وعلى درجات كنيسة القيامة ، وعلى جبل الزيتون، وفي الكنيسة التي بناها جوستانيان .

١٣ — وقصارى القول ذلك الفرس عنداحتلالهم المدينة اسوارها . وكان معهم يومئذ ستة وعشرون الف يهودي[١] انضموا اليهم من طبريا والنـاصرة والجليل . فلم يكتف اليهود بتحريض الفرس على قتل المسيحيين ، بل راحوا يشتركون معهم في اعمال الهدم والتدمير . فاحرقوا كنيسة القيامـة وكنائس هيلانة والجسمانيه وقسطنطين والاكرانيون والقبر المقدس . وبالجملة احرقوا جميع الكنائس والاديار التي وجدوها فيها[٢] . كما احرقوا جميع كنائس فلسطين. ويقدر المؤرخون عدد القتلى من المسيحيين في القدس بتسعين الف نسمة. جاء في تاريخ القدس لعمر البرغوثي وخليل طوطح ان عددهم ٦٢ الفا . ويقول المستر بيرسون ان عدد القتلى من المسيحيين (٢٤٥١٨) بالتـمام .

اطلعت في مكتبة دير الروم الارثوذكس بالقدس على كتاب صدر حديثاً باللغة اليونانية ذكر فيه عدد الذين قتلوا في مدينة القدس يوم احتلها الفرس عام ٦١٤ بعد الميلاد ، وذلك نقلاً عن الراهب (انديوقس ستراتيوس) الذي حضر تلك الموقعة . ويقول هذا الراهب ان عـدد المقتولين ٦٧٥٩٤ منهم ٢٤٥١٨ قتلوا عند بركة ماملا و ٩٨٠٩ عنـد الثغرة التي فتحوها في السور وعبروا منها الى المدينة و ٦٩١٧

(١) (تاريخ كنيسة القيامة) لثاوفانس شار .

(٢) يقول ثاوفانس شار انه كان في القدس يومئذ نحـو ثلاثمئة كنيسة ودير .

في المغر والكهوف والبساتين و ٤٢١٩ في دير مار يوحنا و ٢٨١٨ بجانب بركة سلوان و ٢٢٧٠ عند بوابة صهيون و ٢٢١٢ في كنيسة قوزمو داميانوس (بالقرب من المكان المعروف بالازبكية الان) و ٢٢١٠ بجانب برج داود و ٢١٠٧ عند باب ستنا مريم و ١٢٠٩ على جبل الزيتون و ١٠٩٨ في ملاجيء العجزة و ٩٢١ في سوق القصابين و ٩١٢ في معبد السامريين و ٦٧٠ في كنيسة السيدة (على مقربة من المسجد الاقصى في الوقت الحاضر) و ٤٧٧ في كنيسة القديسة صوفيا و ٣٣٨ في كنيسة مار سرابيون و ٣١٧ في السوق الكبير و ٣٠٨٠ في الزقاق المؤدي الى مار يعقوب و ٣٠٠ عند درج القيامة و ٢١٢ في دير البنات تجاه خان الاقباط و ٢٠٢ في السوق الصغير و ١٩٦ الى الغرب من تل صهيون و ٨٠ تجاه الجلجلة و ٢٨ في ساحة الولاية و ٧ في كنيسة الخضر و ٣٢٣٩ في انحاء مختلفة اخرى من المدينة .

وقيل ان اجساد القتلى جمعت يومئذ والقيت في بركة ماملا .

١٤ — بعد احتلال القدس انصرف الفرس آخذين معهم البطريرك زخريا اسيراً . وهوالبطريرك الثاني عشر من البطاركة الذين اعتلوا الكرسي الاورشليمي . وقد مات في السبي . كما اخذوا عود الصليب الذي كانت الملكة هيلانة تركته فيموضعه. وعلى قول ان (مريم بنت موريق الملك) استوهبت عود الصليب والبطريرك ، وأناساً آخرين ممن سبوا ، فوهبها ما تريد .

١٥ — ولما تولى الامبراطور هرقل عرش القياصرة البيزنطيين (٦١٠ م) نزل الى الميدان ليحد من شوكة كسرى الثاني . وفي ٦٢٧ م تغلب عليه وكسر جيشه في نينوى. فهرب كسرى. وبعد أربعة أيام اغتيل (٦٢٨ م) من قبل شعبه ، لانه كان مستبداً . وفي ١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ م اعيد الصليب الى هرقل . فسادت كلمة الروم في مصر والشام . وافل نجم الفرس .

ولقد اشار الشاعر العربي الى افول نجم الفرس في قصيدة جاء فيها :

اين كسرى خير الملوك أنو شر — وان أم اين قبله سابور
لم يهبه ريب المنون فولى الـ — ملك عنه فبابه مهجور
حين ولوا كانهم ورق جف — فالوت به الصبا والدبور

١٦ — وقد غزا الفرس مدينة القدس[1] ، للمرة الثالثة .. على عهد الدولةالفاطمية، وكان ذلك حوالي سنة ١٠٧٧ م . يوم ارسل شاه العجم قائدا من قادة جيشه الى الولايات السوريه . فاكتفى هذا بنهبها، ثم ارتد. الامر الذي سنذكره في موضعه ان شاء الله .

(١) سركيس ص ١٦٩ .

القدس في عهد اليونان

احتل الفاتح المقدوني الكبير (الاسكندر[1]) القدس عام ٣٣٢ ق.م[1]. اخذهامن الفرس بعد ان قضى على امبراطوريتهم المترامية الاطراف . وكان ملك الفرس يومئذ دارا .

٢ – ترى كم كان عــدد جيشه ، ومن اين اتى القدس ، وكيف احتلها ، وهــل فتحها عنوة ام دخلهــا صلحاً ؟ واذا كان قد دخلها صلحاً فكيف تيسر له ذلك ؟ هذه اسئلة نرى في تحليلها والاجابة عليها مصلحة وفائدة . فنقول :

٣ – كان مع الاسكندر[2] اثناء دخوله القدس اربعون طبلخانه[3] القصد منهــا ارهاب العدو في ساحة الحرب . ويقدر بعض المؤرخين هــذه القوة باربعين الفاً .

٤ – جاء في كتاب (تاريخ القدس و فلسطين) لطوطح وشــحاده ان الاسكندر التقى بشيوخ بني اسرائيــل وكهنتهم على جبل سكوبس[4] ، الى الشمال من مدينة القدس . وهذا هو الواقــع . واما يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، فيقول[5] :

« ولمــا سمع اليهود باقتراب الاسكندر وجيشه هرعوا لاســـتقباله خارج المدينــة . هرعوا كلهم

---

(١) انه اســـكندر الثالث بن فيليب الثاني ملــك مقدونيا واوليمبيا . ولد عام ٣٥٦ ق. م . وتعلم على يد الفيلسوف اليوناني المشهور اريسطوطاليس . وقد دخل الحرب لاول مرة عام ٣٣٨ ق. م عندما قاد جيشاً ارسله ابوه لمكافحه الثوار في الجبال. وكان يومئذ في السادسة عشرة من عمره. جــاء في تفسير القرطبي انه (ذو القرنين) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. اقرأ سورة الكهف : «ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . انا مكنــا له في الارض و آتيناه من كل شيء سببا . قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعــل لــك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما . آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا . فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا » .

قال ابن اسحق نقلا عن ثور بن يزيد عن خــالد بن معدان الكلاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال : «ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب ».

وفي حديث عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سألوه عن ذي القرنين : « ان اول امره كان غلاماً من الروم ، فاعطى ملكا ، فسار حتى اتى ارض مصر ، فابتنى فيها مدينة يقال لها الاسكندرية . . »

واما سبب تسميته (بذي القرنين) فقيل : انه كان ذا ضفيرتين من شعــر فسمي بها . وقيل : انه رأى في اول ملكه كانه قابض على قرني الشمس فقص ذلك ، ففسر انه سيغلب ما ذرت عليه الشمس ، فسمي بذلك ذا القرنين . وقيل : لانه ملك فارس والروم . وقيل : لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعاً . وقيل : انما سمي ذا القرنين لانه كان كريم الطرفين من اهل بيت شريف من قبل امه وابيه. وهذا هو الارجح .

واما كلمة (اسكندر) فانها يونانيه . معناها : (المعين) و (المدافــع) .

---

(١) هــذا ما ذهب اليه اكثر المؤرخين . وقال آخرون ومنهم المستر بيرسون ٣٣٤ ق. م .

(٢) (كتاب السياسة) لارسطو .

(٣) بيت الطبــل ، ويشتمل على طبول متعددة . معهــا ابواق وزمارات .

(٤) كلمة يونانية . معناها : « الهدف » و « الاشراف » .

(٥) راجع الفصل الثامن من الكتاب الحادي عشر . الصفحة ٣٢٤ .

حتى لم يبق منهم فيها احد من السكان . ولما وصلوا الى مكان يسمى (صفـــا[١]) التقوا بالاسكندر . وصفا هـذه كلمة يونانية معناها الرجاء او الامل . ومنها يتمكن القادم من رؤية القدس وهيكلها معاً .

٥ – واما الفتح نفسه فقد تم صلحاً . فلم تقطر من اجـله نقطة دم . واذا اردت ان تعرف السبب في ذلك فاستمع الى القصة الآتية نقصها عليك بوجه الاختصار منقولة عن يوسيفوس نفسه ، ذلك المؤرخ اليهودي الذي عرف نفسية قومه اكثر من غيره من المؤرخين . قال[٢] :

كان الفرس ، على عهــد ملكهم دارا ، قـد اقاموا على السامرة حاكماً يديرهــا باسمهم . وكان هذا الحاكم يدعى (سنبلاط) . وله بنت تزوجهـا (منسه) اخو (جدوع[٣]) كاهن اليهود الاعظم بالقدس . وكان اليهود غير راضين عن منسه هـذا لاقترانه باجنبية . وكذلك كان اخوه جدوع . لا ، بل كان هذا اشد كرهاً لاخيه بسبب انه كان يرمي لان تكون وظيفة الكهنوت في يده . ولطالما تشاجرا من اجل ذلك . فذهب وفـد من اليهود الى منسه بتحريض من اخيه جدوع ، وطلبوا اليه ان يطلق امرأته ، او ان لا يقترب من منـبر الوعظ . فاصر منسه على الاحتفاظ بامرأته . وراح الفريقان يدسان الدسائس لبعضها البعض ويجمعان الانصار . واراد سنبلاط نسيب منسه ، ان يرشي خصوم صهره بالمال . ولكن دون جدوى . وكان هذا يعلل نفسه باقتراب جيش دارا ليتكىء عليه في تحقيق آماله . ولكن آماله لم تتحقق . إذ ان الحروب التي دارت رحاها بين دارا والاسكندر كانت عاقبتها وبالاً على الفرس . فتمكن الاسكندر من قهرهم . وراح يفتتح المـدن والامصار التي كانت بيدهم . فاحتل دمشق وصيدا . ثم راح يحاصر مـــدينة صور . وفيما كان يحاصرها ارسل رسله الى الحاخام الاكبر بالقدس ، طالباً منه ان يمده بعدد من المتطوعين ، وان يكون على صلات حسنة مع المكدونيين ، كما كان قبل ذلك مع الفرس . ولما لم يأته جواب يرضيه استشاط الاسكندر غضباً . وكانت صور قـــد سقطت في يده . فولى وجهه نحو القدس . واقسم ان لا يهنأ له بال حتى يدخلها ويوقف رئيس الكهنة عند حده ، فيجعله عبرة لمن اعتبر » .

عندئذ رأى سنبلاط الفرصة سانحة ، فانتهزها . وقلب لدارا ظهر المجن . فاخـذ معه سبعة آلاف رجل من اتباعــه ، وجاء الى الاسكندر وهو منهمك في حصار غزة[١] فقال له : انه وقومـــه يؤثرون الدخول تحت رايته على البقاء في حكم دارا . وقـد حدثه سنبلاط بما كان يدور في خلده في ذلك الحين عن صهره منسه وعن اخيه الكاهن الاعظم جدوع . واكد له انه من مصلحة الملك ان تكون قوى اليهود منشطرة الى شطرين ، كي لايتفقوا ويتحدوا . والا فانهم يكونون مصدر شغب وتعب، لملوك اليونان كما كانوا في السابق مصدر شغب وتعب لملوك آشور » .

---

(١) يقول المؤرخ الانجليزي المعروف وليـــام في كتابــه (Holy City) ج ١ ص ٦٩ ان صفـا Sapha هذه هي بيت صفافا الكائنة قبلي القدس ، وان اليهود التقوا بالاسكندر عندها يوم جاء من غزه الى القدس بقصد تخريبها ، وانهم استقبلوه لابسين ثيابا بيضاء ، وتضرعوا اليـه ان لا يؤذيهم . فقبل تضرعهم ولم يؤذهم ولم يؤذها .

(٢) «The Antiquities of the jews» by Flavius Josephus, translated by william whiston, printed in London & New York, Book XI' Chap. VIII, P.P. 323 – 325

(٣) وفي قول آخر ان اسم الكاهن الاعظم يدوع وليس بجدوع . انظر الى الجزء الثاني من المجلد الثالث من (تاريخ سورية) للمطران يوسف الدبس . ص ٦٤ . طبع بيروت ١٨٩٨ .

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا الحصار في كتابنا : (تاريخ غزه) .

في هـذه الاثناء كان الاسكندر قـد نجح في احتلال غزة وأمّ القدس قاصداً تدميرها .

ولما سمع اليهود باقتراب الاسكندر وجيشه من المدينة هرعوا لاستقباله في ظاهرها. هرعوا كلهم حتى لم يبق في المدينة أحد من السكان . ولما مثلوا بين يديه في مدخل المدينة ، قابله الكهنة والشيوخ بحلل بيضاء ، وراحوا يتضرعون اليه طالبين العفو .

كان الفينيقيون والمقدونيون المنخرطون في جيش الاسكندر يؤملون ان يسمح لهم قائدهم نهب المدينة ، وقتل الكهنة وتدمير الهيكل . ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. إذ صاح اليهود بصوت واحد مرحبين بمقدم الاسكندر. واراه الكاهن سفر دانيال من اسفار التوراة وقد جاء فيه «ان احد اليونان سيتغلب على الفرس وسيقوض عرش الاكاسرة » .

من هـذا نرى ان فتح القدس قـد تم صلحاً . وكان عدد سكانها يومئذ مئة وعشرين الفاً . ويقول يوسيفوس بعد ايراد قصة الفتح بالشكل المتقدم، ان الاسكندر طلب من الكاهن الاعظم ان يعلمه عما يبتغي . فقال له هـذا انه لا يبتغي شيئاً سوى ان يتاح له العمل بقوانين اجداده ، وان لا يدفع الجزية في السنة السابعة . فمنحه الاسكندر ما يشاء. وقد طلب منـه ومن باقي افراد الشعب اليهودي ان ينخرطوا في جيشه، وان يرافقوه في حروبه. فتطوع عدد منهم لهذه الغاية .

ليس هـذا فحسب. بل قيل[1] ان الاسكندر سأل رئيس الكهنة قائلاً : « انني ذاهب لمحاربة دارا وقومه الفرس . فهل ذلك بارادة الله ام لا ، فارجع الى بلادي. فقال له رئيس الكهنة: « اذهب ايها الملك العظيم ، فان الله معك[1] » .

(١) تاريخ القدس الشريف لسركيس . ص ٢٩ و ٣٢ .

٦ – منح الاسكندر اليهود الحرية . وسمح لهم بان يحكموا انفسهم بانفسهم . واعفاهم من دفع الجزية مرة في كل سبع سنين. وقد سكوا على عهده نقوداً نقشوا عليها : اورشليم المقدسة . خلاص صهيون . عصا هارون . اناء على شكل كوب بدون مقبض . وقـد نقش عليها من الخلف باللغة العبرية : شاقل اسرائيل[2] . نصف شاقل . ربع شاقل .

٧ – عندما مات الاسكندر (٣٢٣ ق. م) اقتسم ملكه قواده الاربعة ، يهمنا منهم اثنان :

(أ) (سلوقس) حاكم سورية .

(ب) (بطليموس) حاكم مصر .

وكانت القدس من نصيب بطليموس[3] .

٨ – حكم بطليموس اليهود رغم انوفهم. ارادوا مقاومته، إلا انهم لم يفلحوا. إذ شخص اليهم بجيشه. وحاصر القدس . فامتنعت عليه في بادىء الامر . ثم علم ان اليهود يحترمون السبت، ولا يأتون بعمل فيه ؛ فهاجم المدينة في يوم سبت . وقعد اليهود عن الدفاع . فافتتح المدينة، ودك قسماً من حصونها ، وعامل اهلها كما عامل اليهود في سائر انحاء البلاد معاملة قاسية . وأخذ منهم اكثر من مئة الف اسير

(١) تذكر ايها القارىء الكريم ان دارا الذي يحرضه على محاربته هو الذي انقذ اليهود وقومه من النفي ، وهو الذي ارجعهم الى اورشليم وحماهم واتاح لهم بناء الهيكل !..ولله في خلقه شؤون .

(٢) الشاقل عشرون جيره ويساوي حوالي ١٥ جراما .

(٣) قال الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ان (بطليموس) كلمة يونانية معناها: (العكاوي) نسبة الى (بطولمايوس) اسم عكا اليوناني .ومن الخطأ القول (بطلميوس) كما يفعل الكثيرون . وتجمع على بطالمة وبطالسة .

الى مصر . ثم عاد فلان في معاملتهم واستخدم فريقاً منهم في اعمال الحراسة .

ولم يتدخل في عاداتهم وتقاليدهم. غير انه اثقل كاهلهم بالضرائب . ومما هو جدير بالذكر ان بطليموس انتدب رجلا يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس[١]) مديراً للمال ورئيساً للجباة في سوريا والبلاد الفينيقية . وخوله - بناء على طلبه - سلطة واسعة ، وارفقه بالفي جندي مستأجر لهذه الغاية ، ليتمكن من تحصيل الضرائب بالقوة عند اللزوم . فاصبح مدير المال هذا هو الحاكم الفعلي المسيطر على جميع بلاد فلسطين . وظل الناس كذلك مدة ذاقوا خلالها مر العيش . إذ انه جمع الضرائب بالقوة من جميع البلاد دون ان يجد اية مقاومة تذكر .

٩ - ولقد وردت حكاية الضرائب هذه في بعض الكتب الاخرى على غير هذا الوجه . فقال المطران يوسف الدبس في كتابه (تاريخ سورية) الجزء الثاني ، المجلد الثالث ، الصفحة ١٢٣ ، نقلاً عن (تاريخ اليهود) ليوسيفوس ك ١٢ فصل ٣ و ٤ ما يأتي :

« ان اونيا رئيس احبار اليهود تقاعد عن دفع الجزية المعتاد دفعها كل سنة لبطليموس ، وقدرها عشرون وزنة[٢] . ارسل بطليموس اتينيون احد عماله الى اورشليم ، ليرغم اهلها على الدفع ، وهددهم بالطرد . فعظم القلق في اورشليم . واوفدوا يوسف ابن اخي اونيا الحبر . وكان هذا قد اشتهر بذكائه . فبرأ ساحة عمه . ثم طرحت ضرائب سورية واليهودية والسامرة في المزاد . فالتزمها يوسف بستة عشر الف وزنة اي ضعفي البدل المعروض . فأقطعه الملك تلك الأعمال عشر سنين . فقام بما فرض عليه . »

(١) (تاريخ غزه) للمؤلف .

(٢) كناية عن مئة وعشرة الآف فرنك .

١٠ - ويظهر ان السلوقيين ، حفدة الاسكندر في سورية ، عادوا فتغلبوا على البطالسة . وصارت القدس من املاكهم . ومن حكامهم الذين كان لهم شأن في ادارتها انطيوخس الرابع ويعرف بـ (انطيوخوس ابيفانوس[١]) . فقد احتلها سنة ١٦٨ ق . م[٢] وهدم اسوارها ودك حصونها ونهب هيكلها . ثم ضربه . وقتل من اليهود ثمانين الفاً في ثلاثة ايام لافرق بين الشاب والشيخ او بين المرأة والطفل وأتى بجند من اليونان لحمايتها ضد غارات الأعداء . وبنى لهم فيها حصناً . بناه بشكل يمكنه من الاشراف على التل الشرقي وعلى المدينة القديمة . وقد وسع القسم السفلي للمدينة ، وكان هذا داخلا في مدينة داود • وحصنه ، فجعله قشلاقاً للجيش السوري ، اقام فيه اليهود الجاحدين (المرتدين) . وقصارى القول عامل انطيوخوس اليهود شر معاملة فذبح على مذبحهم الخنازير ، ونصب فوقه التماثيل .

وكان دليله في اكثر اعماله منلاوس[٣] رئيس الاحبار اليهود الذي خان قومه وحصل على مركزه بواسطة الخيانة والنفاق .

١١ - ومما ذكره ابن العبري[٤] عن اعمال انطيوخوس : « انه نصب في مكان الهيكل صنم زاوس وهو المشتري ، والزم كاهن اليهود ان يضحي لهذا الصنم الأضحية . ولأنه ابى ، عاقبه بالموت . ثم قيل له ان امرأة اسمها (اشموني) مع سبعة من بنيها قد سبوا الاصنام . فاحضرهم بين يديه ، واماتهم شر ميتة . ودفنوا في اورشليم » .

(١) (انطيوخوس) كلمة يونانية . معناها : (المصادم) . ويجوز لفظها : (انتيوخوس) . و (ابيفانوس) ايضا كلمة يونانية . معناها : (الظاهر) .

(٢) يقول المستر بيرسون ١٧٨ ق . م .

(٣) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس . ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤) ص ١٠١

ليس هذا فحسب . بــل حرم[١] عليهم القيام بشعائرهم الدينية . فـاحرق كتبهم ، وحظر عليهم الختان ، وارغمهم على انتهاك حرمة السبت ، واكل الخنزير . واهلك منهم خلقـاً كثيراً . وسبى النساء والاطفال . ومن نجا من الموت هرب من المدينة .

ان العـامل الذي كان في القدس في ذلك الحين (١٦٧ ق. م) والذي قام بتنفيذ سياســة مولاه حرفاً بحرف هو (ابولينياس[٢]) . كان هذا رئيساً للجزية . وكان يعمل تحت امرته اثنان وعشرون الفاً من الجند . وكانت عاقبة هــذه السياسة ان قامت في القدس الثورة المعروفة بثورة المكابيين . تلك الثورة التي ضعضعت حكم اليونان (١٦٥ ق. م) . وقد فصلناها تفصيلاً في غير هذا المكان .

١٢ – بعد وفاة انطيوخوس الرابع تولى الملك ابنــه انطيوخوس الخامس ولقب (اوباتور) اي الشريف أباً . ودام في الملك سنتين (١٦٤ – ١٦٢ ق. م). ولما كان صغير السن تولى الامر (ليسياس) ، الوصي على العرش ، الذي نصبه ابوه قبل موته . فسالم هذا سكان البلاد . وسمح لليهود[٣] بمباشرة فروضهم الدينية ، على شرط ان يخلصوا للدولة والملك . هــذا كان في بادىء الامر ، ولكن ليسياس لم يكن مخلصاً في تصرفه . بل ، كان ينتظر اليوم الذي يستطيع فيــه ان ينفذ وصية انطيوخوس ابيفانوس ، فيبيد اليهود[٤] من الوجود . وراح يؤيد الحزب المناوىء للمكابيين الذي يرأسه رئيس الكهنة منلاوس . لا ، ولا كان يهوذا المكابي بمرتاح لهذه الهــدنة . وكان يتوقع من ورائها شراً .

(١) تاريخ (شرق الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ٤١

(٢) جاء ذكره في بعض الكتب (ابوللينوس) و (ابولونيوس) .

(٣) سفر المكابيين الثاني – فصل ١١ عدد ١٣ .

(٤) (تاريخ سورية) للمطران يوسف الدبس . ج٢ ص١٩٢

١٣ – ولقد حرض الوصي على العرش سكان يافا فتآمر هؤلاء على اليهود ، ووعدوهم ان يركبوا هم ونساؤهم واولادهم قوارب اعدوها لهم . ولما امعنوا في البحر اغرقوهم . وقامت بين المكابيين والعرب على اثر ذلك وقائع كثيرة . وانتشرت هذه فشملت اليونان واليهود ، فراحوا مرة اخرى يتحاربون . وحاصر جيش انطيوخوس الخامس اورشليم . وكان هذا مؤلفاً من مئة الف من المشاة وعشرين الفاً من الفرســان[١] . حـاصرها اياماً طويلة واذاقها مر العذاب . وامر الملك بهدم السور ، فهدم (١٦٣ ق.م) . وكادي فتك باليهود لولا انه اضطر للرجوع الى انطاكية بسبب الثورة التي نشبت في سـوريا ، والتي انتهت بانتصار خصمه ديمتريوس الاول الملقب بـ (سويتر[٢]) . فرفع الحصار وتنفست اورشليم الصعداء .

١٤ – اقام الملك ديمتريوس على رأس الادارة في اورشليم (بكيديس[٣]) . وقـلد (الكيمس[٤]) رياسة الاحبار . ووضع تحت تصرف الاثنين جيشاً كبيراً ليحكما به البلاد . اراد بكيديس ، في بادىء الامر ، ان يجنح الى السلم . ولكنه عاد فجنح للبطش ، عندما ايقن ان اليهود قوم مشاغبون . وان سياسة السلم واللين لا تجدي معهم . فقبض على ستين رجلاً منهم ، وقتلهم في يوم واحد . ثم قبض على كثيرين آخرين وذبحهم[٥] . وقامت بعد ذلك وقائع كثيرة

(١) (تاريخ شرق الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ٤٢ .

(٢) اي المخلص او المنقذ .

(٣) احد امناء الملك . وكان قبل ذلك والياً عبر الفرات .

(٤) يهودي من بني هارون الذين لا تحق لهم الرياسة . كان اسمه (يواقيم) ثم استبدله بـ (الكيمس) تشبها بالاسماء اليونانية وتزلفا الى الحكام اليونان . فاختاره الملك لرياسة الاحبار . وقد حرض الملك ضد المكابيين . وكان السبب فيما جرى بعدئذ من حروب (يوسيفوس ك ١٢ فصل ٩) .

(٥) (تاريخ سورية) للمطران يوسف الدبس . ص ٢٠٢ .

بين اليهود انقسم : (انصار الكيمس من ناحية والمكابيين من الناحية الاخرى) سالت فيها دماء كثيرة .

١٥ – ثم استبدل الوالي بكيديس بوال غيره يدعى (نكانور) . فهبط هذا اورشليم . وكان معه جيش كبير . فاراد هذا ايضاً ، بادىء ذي بدء ، ان يجنح الى السلم . ولكن موقفه هذا لم يعجب رئيس الاحبار الذي راح يشي به الى الملك . فأمره الملك بالقاء القبض على رئيس المكابيين وارساله اليه . فقامت بين الفريقين حرب من جديد . وسالت فيها دماء . وقتل نكانور . وخشي المكابيون أن يبطش بهم ديمتريوس ، فارسلوا رسولين من رجالهم الى روما . وعقدوا مع الرومان حلفاً (١٦١ ق. م) الغاية منه اتقاء شر اليونان .

١٦ – بعد مقتل نكانور عاد الملك ديمتريوس فارسل الى أورشليم الوالي السابق بكيديس ورئيس الاحبار الكيمس ، وارفقهما بجيش كبير ، نزلا به اورشليم . وقامت بين اليونان والمكابيين حروب جديدة ، قتل فيها يهوذا المكابي (١٦٠ ق . م) . والقى الوالي بكيديس القبض على أبناء الزعماء وجعلهم رهائن ، وزجهم في قلعة اورشليم . ثم أرسلهم الى روما . عندئذ هدأ اليهود . وجنحوا الى السلم . فاصطلح الفريقان . واستتب الهدوء الى حين . وكانت (انطاكية) يومئذ العاصمة التي يرجع اليها مندوب الملك الذي يقيم فيها في مختلف الشؤون .

١٧ – ثم جرى قتال من اجل الحكم بين الملك ديمتريوس ومنافسه (اسكندر بن انطيوخوس ابيفانوس) . كان النصر فيها حليف الاسكندر (١٥٠ ق. م) . فاستغل اليهود هذا التنافس . وراحوا يعرضون خدماتهم على من يؤمن لهم مصالحهم . اما الاسكندر فقد اعترف بيوناثان الذي قاد المكابيين بعد مقتل أخيه يهوذا ، رئيساً للاحبار . واما ديمتريوس فقد وعد سكان أورشليم بالوعود التالية[1] :

وعدهم[2] بأن يعفيهم من الجزية ، ومن مكس الملح (الذي كان مفروضاً على ما ينفق منه او يباع) ، ومن ضريبة الاكاليل (كان مفروضاً على كل واحد من الرعية ان يدفع حصة معينة من ثمن الاكليل الذي يقدمه للملك) . ووعدهم ان يترك لهم ثلث الزرع (قيل ان المقصود من ذلك البذر ، فمن بذر مثلاً اثني عشر مدّاً لزمه ان يدفع للملك اربعة أمداد من الحبوب) . وأعفاهم ايضاً من دفع نصف آتاء الشجر (اي ثمارها) . ووعدهم باعفائهم من العشور والضرائب ، ومن اتاوة المواشي .

هذا فيما يتعلق بالضرائب والمكوس .

ثم وعدهم بأن تكون أورشليم مقدسة وحرة هي وتخومها ، وان يطلق سراح المعتقلين ، ويعفو عن المجرمين ، وأن لا يثقل عليهم في أي أمر كان . وقبل ان يكتتب في جيش الملك ثلاثون الف رجلاً منهم ، وان يدخل خدمات الدولة من شاء منهم . ووهبهم واردات عكا وما يتبعها ، لينفقوها في سبيل معابدهم ، على ان يزيد عليها كل سنة خمسة عشر الف مثقال من الفضة ، تعطى لهم من دخل الملك الخاص وما يفيض من مال الحكومة . ويدفع الملك من جيبه الخاص جميع النفقات اللازمة لبناء الاسوار واعمال التجديد والترميم .

ولكن كفة الاسكندر كانت هي الراجحة .

---

(١) اتينا على ذكرها خصيصاً لان فيها ما يدلنا على طبيعة اليهود من ناحية وعلى نوع الضرائب والرسوم التي كانت تفرض على سكان اورشليم في ذلك العصر من الناحية الاخرى .

(٢) (تاريخ سورية) للمطران الدبس . الجزء الثاني . المجلد الثالث . ص ٢١٠ .

١٨ ـ انك ترى مما تقدم ان القدس كانت خلال القرن الثاني قبل الميلاد ، كريشة في مهب الريح . لا تعلم اين ، ولا متى تستقر ؟ يخطفها القوي من الضعيف . فلا تكاد تخضع لسورية يوما او بعض يوم حتى تمسي واذا هي في احضان مصر . تارة مع السلوقيين وطورا مع البطالسة .

١٩ ـ وفي خلال هذا التنافس كان المكابيون يظهرون على مسرح الوجود تارة ، واخرى يختفون . ولكنهم كانوا في اغلب الاحيان يختلفون ويدسون الدسائس لبعضهم البعض . فتضعضعوا . وفي سنة ٧٠ ق . م . اخذ اريسطوبولس المكابي التاج عنوة من اخيه هركانوس الثاني . فقامت بين الاخوين حرب اهلية . وراح كل منهما يستنجد بدولة اجنبية من الدول المجاورة له ليتغلب على اخيه . فاستنجد هركانوس[1] بالحارث ملك العرب . فانجده هذا وامده بجيش قوامه خمسون الف مقاتل ، وتغلب على اريسطوبولس[2] وجيشه ، وحاصر القدس ، وكاد ان يحتلها ، لولا ان جيش روما الذى كان استنجد به اريسطوبولس والذى جاء يقوده (بومبي) كان اكثر عددا . فكان النصر حليفه . ودخل بومبي القدس ظافرا (٦٣ ق . م) . وبهذا الفتح تم القضاء لا على الحكم اليوناني فحسب ، بل وعلى الغطرسة المكابية ايضا . وما كان بومبي لينجح في هذه المهمة ، لولا ان البلاد كانت منقسمة على نفسها ، وان الفوضى كانت تجتاحها من ادناها الى اقصاها .

(١) (التاريخ القديم) ص ٣٤٦ .

(٢) قال المستر كاست ان الطبقة المتدينة من اليهود كانت تعضد اريسطوبولس في خطته . وان هذه الطبقة كانت ترمي الى التغلب على اعوان هركانوس والى دفع عادية العرب . واما المطران الدبس فقد ذكر في كتابه (تاريخ سورية) ج٢ م٣ ص ٢٦٦ واظنه نقل روايته هذه عن (تاريخ اليهود) ليوسيفوس كتاب ١٣ فصل ٢٤ وكتاب ١٤ فصل ٤١ قال : « اتى جم غفير من اليهود يسألون بومبي ان يريحهم من ولاية كليهما . لانه لم يكن من عاداتهم ان يتولاهم ملوك بل ان يسوسهم رئيس كهنة ويقضي بينهم بحسب سنتهم » .

٢٠ ـ قبل ان نختم هذا الفصل ، نرى لزاما علينا ان نقول كلمة في الطابع الذى تركه عصر اليونان في هذه البلاد ، والآثار القديمة التي وجدت فيها ، ولها صلة بذلك العصر .

اما مميزات عصر اليونان في هذه البلاد فهي :

(أ) ظهور العنصر اليوناني وانتشاره في جميع البلاد بكثرة تلفت الانظار . حتى انهم امتزجوا بسكان البلاد الاصليين ، وناسبوهم .

(ب) انتشار اللغة اليونانية انتشاراً اصبحت معه لغة البلاد الرسمية ، ولغة العلم والمدارس . واما اللغة التي كان يستعملها اهل البلاد الاصليين فقد كانت يومئذ اللغة الآرامية . وقد ظلت الحال كذلك حتى خراب القدس الاول على يد تيطس وخرابها الثاني على يد ادريان .

(ج) اقتباس اهل البلاد الصناعات اليونانية ، ولا سيما صناعة الفسيفساء التي انتشرت بكثرة في الابنية ، سواء اكانت هذه في المدن ام في القرى .

(د) انتشار الحضارة اليونانية والثقافة . فقد اسس اليونان المدارس ، وبذلوا ما في وسعهم لينشروا عن هذه الطريقة آدابهم وافكارهم ومبادئهم وتقاليدهم ، حتى ومعتقداتهم الدينية .

(هـ) انتشار النقود اليونانية[1] ، وكانت على عهد الاسكندر بديعة السك والنقش كنقودنا الحالية وان كانت من النحاس[2] . وقد نقشت عليها رموز مختلفة للالهه والالعاب الاولمبية ، كما نقشت عليها صور الملوك والقواد .

(و) انتشار التجارة اليونانية . فقد انشأوا المصارف (البنوك) واتخذوا السفاتج (البوالس) فاقتبس ذلك عنهم اهل البلاد .

(١) (مجلة الاثار) لصاحبها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ٥٠ ـ ٩ ص ٤٦٢ .

(٢) بقيت النقود اليونانية التي سكها الاسكندر على هذا الشكل في عهد خلفائه . وظلت كذلك حتى اوائل العهد المسيحي .

القدس في عهد الرومـان

(قبل المسيح)

قلنا في اخر فصـــل اليونان ان المكابيين الذين سيطروا على مقدرات القدس زمنا ،راحوا يدسون الدسائس لبعضهم البعـــض ، فتضعضعوا ؛ وان اريسطوبولس المكابي اخذ التاج عنوة (٧٠ ق.م) من اخيه هيركانوس الثاني؛وانه قامت بين الاخوين حرب اهلية كان من نتائجها ان تدخلت روما في الامر . فجاء (بومبي) [١] ــ وكان يومئذ فيسورية يقضي على ما تبقى من الدولة السلوقية ــ وحاصرها (٦٣ ق .م) . قيلانه جاءها عن طريق اريحا، وانه هاجمها من الناحية الشمالية للهيكل .

دام الحصار ثلاثة شهور[٢]،ضربت القدس خلالها بالمنجنيقات . وقال يوسيفوس انه كان هناك جسر يربط منطقة الهيكل بحارة صهيون، فهدمه بومبي[٣] وظل يضرب المدينة حتي احدث ثقوبا في اسوارها ، وتمكن من احتلالها .

٢ ــ عندما تم للرومان ما ارادوا ، راحوا الى الهيكل ؛ فدخلوه ، واستباحوا حماه ، واعملوا في سكانه السيف بلا شفقة ولا رحمة . وراح بومبي يتوغل في ردهاته ومخادعه، الى ان توصل الى قدس الاقداس، الامر الذي يعتبره اليهود تدنيساً لهيكلهم. وزاد في طين اليهود بلة ان ذلك كلـه جرى في يوم سبت .

٣ ــ ولمـــا تم احتلال المدينة واستتب الامن

(١) ان اسمه الحقيقي عند الرومان (كنايوس بومبيوس) .
(٢) التاريخ القديم ص ٣٤٦ .
(٣) Valentine, P. 33

وعادت المياه الى مجاريها ؛ غادرها بومبي ، بعد ان اقام حاكما عاماً عليها (اسكارس[١]) . وخوله ان يحكم باسم روما جميع البلاد السورية من الفرات الى تخوم مصر . حكم هـذا المدينة بشدة : فالغى المجمع العام ، وهـدم الاسوار ، وقضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاما . ففرض عليهم ان يقدموا عند هيكلهم في كل يوم ذبيحة تكريماً لقيصر ولروما . ذلك رمز الولاء والخضوع . وكان اليهود يفعلون ذلك مكرهين .

٤ ــ والأنكى من ذلك كلـــه انـه اسر اريسطوبولس الذي اســتنجد به . اسره هو واولاده . وارسلهم الى روما مصفدين بالاغلال ، ليشهدوا استعراض جيشه ؛ ذلك الاستعراض الذي اقامه احتفاء بالنصر .

٥ ــ عندما قضى بومبي نحبه في روما ، واستولى على العرش (يوليوس قيصر[٢]) ٤٩ ق. م ، تنفس اليهود الصعداء . ذلك لان يوليوس كان معروفا بميله اليهم . فولى(انتيباتر[٣]) الحكم، وجعله كوال (Procurator) منتدب من قبل روما لادارة البلاد (٤٦ ق. م) . واقام من تحته (هركانوس) الحشموني حاكما على القدس . ولكن النفوذ المكابي

(١) او (اسكورس) وهو الذي تولى قيادة جيش الاحتلال.
(٢) (قيصر) كلمة لاتينية . اصلها: سيزر ·ومعناها (المشقوق عنه). ذلك لانهم شقوا بطن امه يوم ولد. و(يوليوس) السعيد .
(٣) يهودي المذهب آدومي الاصل روماني التابعية .



القديس يوسف النجار . . ومريم البتول . . وفي حضنها السيد
المسيح . . في طريقهم الى مصر . . هرباً من ظلم هيرودس الملك



اسكندر ذو القرنين

القائد المقدوني الذي فتح القدس سنة ٣٣٢ قبل الميلاد



يوليوس قيصر

في عهده تولى هيرودس ادارة القدس سنة ٤٩ ق.م



سوتر (بطليموس الاول)






نقود رومانية

القديم كان قد ضعف ، وسلطة الحشمونيين كانت قد تضاءلت حيال سلطة (انتيباتر) الآدومي .

٦ – ولما مات انتيباتر تسلم زمام الادارة في القدس ابنه (فصايل) . وكان اخوه هيرودس واليا في الجليل . فراح الحشمونيون بقيادة هيركانوس، والآدوميون بقيادة فصايل يقتتلون في شوارع القدس. فكانت الغلبة ، في بادىء الامر، للحشمونيين. وهرب هيرودس الى روما . وكان يوليوس قيصر قد مات .

٧ – تمكن (هيرودس)[1] من اقناع روما بصواب رأيه . وحصل ، بمعونة ماركوس انطونيوس واوقتافيوس [2] على لقب : (ملك اليهود) . ولكن هذا كان خاضعا في جميع حركاته وسكناته الى روما. وكانت كلمتها هي العليا . وبعبارة اخرى كانت فلسطين على عهده مستقلة استقلالا داخليا تحت السيادة الرومانية .

٨ – لنقف الآن برهة نصف خلالها هذا الرجل (هيرودس) الذي اشغل حيزا من كتب التاريخ . فنقول :

انه آدومي الاصل . اعتنق الديانة اليهودية ، ثم خرج على المكابيين انتقاما لابيه الذي قتله هؤلاء . والتجأ الى الرومان ، فنصبوه ملكا على فلسطين . وقد امده انطونيوس بالجند ، فقضى على المكابيين ، وقتل آخر ملوكهم انتيكانوس بن اريسطوبولس الثاني (٣٧ ق . م) . وكان اليهود يكرهونه بالرغم من انه امدهم بالمال والحبوب اثناء المجاعة التي اصابتهم عام ٢٢ ق . م . ورمم بناء الهيكل (١٨ ق . م) وقد كانوا يعتبرونه اجنبياً ، ذلك لانه كان يحب التقاليد الرومانية .

(١) (هيرودس) كلمة يونانية ،معناها: (هبة هيرا) زوجة المشتري .

(٢) صار بعدئذ امبراطور الرومان . ولقب بـ : (اغسطس قيصر).

ومن صفاته[1] انه رجل حرب وكفاح . وهو ذكي وقوي الارادة .لكنه ظالم يضحي بكل شيء في سبيل غاياته .وقد قتل[2] امرأته (مريمنا) وثلاثة من اولاده هم اسكندر واريسطوبولس وانتيباتر . قتل الاثنين الاولين بوشاية انتيباتر الذي زعم ان اخويه تآمرا على ابيهما من اجل الملك. ثم قتل انتيباتر عندما ايقن انه هو ايضاً قد تآمر مع الفريسيين على قتل ابيه . وشهد كثيرون على انه حاول ان يدس له سما . ولما قتل هيرودس اولاده قال قوله المشهور[3] : « يحلو للمرء ان يكون خنزيراً لهيرودس على ان يكون ابنا له . » وكان ذلك قبل الميلاد بسنة .

٩ – حاول هيرودس التوفيق بين اليهود والرومان . ولما فشل في مهمته شايع الرومان ضد قومه . ولقد ساعدهم علي توطيد اقدامهم في البلاد. ولما رأى ان الشعب يبغضه حاول ارضاءه ، وذلك بتجديد بناء الهيكل[4] . فشرع في السنة التاسعة عشرة من حكمه بالعمل . وقد تم تدشين البناء الجديد قبل ميلاد السيد المسيح باحدى عشرة سنة . ويقال ان قسما من سور الحرم الحالي بني يومئذ . وقصارى القول احتقر هيرودس اليهود . فكان يضحكهم تارة ، ويبكيهم اخرى .

١٠ – ومن اعماله انه بنى (القلعة) الكائنة بباب الخليل . وبنى حولها ثلاثة ابراج . والحجارة الضخمة التي نراها الان في اساسها من بنائه . وكان له بجانب القلعة قصر كبير . وقد شاد

(١) البرغوتي وطوطح .

(٢) (تاريخ سورية) للمطران يوسف الدبس .ج٢ ص ٢٩٦ .

(٣) يوسيفوس ك ١٦ .

(٤) هذا هو الهيكل الثالث .الاول هو الذي بناه سليمان الحكيم. والثاني هو الذي بناه زربابل بعد رجوع اليهود من السبي . ويقول بعض المؤرخين ان هيرودس لم يبن هيكلا جديدا وانما اضاف الى الهيكل القديم بعض الاروقة .

(حصن انطونيا[١]) . وفي وسط هذا الحصن بنى لنفسه قصراً ملوكيا فخما ، كما شاد عـدداً آخر من الابراج والقلاع والهياكل والتماثيـــل والحمامات . وشاد ملعباً على الطراز الروماني (انفيثياتر[٢]) . ومن الحصون التي بناهـا حصن كائن عند الزاوية الجنوبية الغربية للقسم العلوي من المدينـة ، وعلى التل المعروف بجبل صهيون .

١١ – وفي آخر سنة من سني حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم . ولما كان هيرودس قـــد امر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم ؛ فقـــد هربت به امه ، وهرب معها يوسف النجار ، الى مصر ، خشية ان يبطش به ذلك الملك العنيد الجبار . وفي السنة التي تلتها مات هيرودس بعـــد ان عاش في دست الحكم اربعين عاما . وقيـــل انه مات في السنة الرابعة للميلاد .

١٢ – ومن الوقائع الجديرة بالذكر على عهده ان القدس وما حولها من البلدان اصيبت بوباً جارف وقحط شديد لانحباس المطر . فجاع الناس ، ومات كثيرون . فسك هيرودس ما كان عنده من الذهب والفضـــة ، وارسله الى مصر ، فابتاع به تسعين الف كر من الحنطة ، وزعها على المحتاجين . واعطى الزراع قسما منها ليستعملونه بذارا ، على ان يردوه اليه بمقـــدار ما اخذوا . ولكي لا يجوع العمال اوجد لهم اشغالا . ويقال ان هـــذا هو السبب[١] الذي حدا به لبناء المـــدن[٢] والقلاع والقصور والحصون .

١٣ – سكت على عهد هيرودس (٤٠ – ق . م) نقود في اورشليم . نقشت عليها باللغة اليونانية اسم الملك هيرودس . واشكال مختلفة منها : خودة بين نخلتين يعلوهما نجم . ومجن مزخرف . وقرنان . وقرنان يحيطان برمانة . ونسر يشبه النسر الذي يشاهد على نقود البطالسة .

١٤ – اقام الرومان ، على اثر وفاة هيرودس الملك ، ابنـــه (ارشيلاوس) مكانه ٤ ق . م – ٦ ب . م . ولكن هذا عجز عن ادارة البـلاد . فقامت فيها ، ولا سيما في اورشليم ، ثورات وقلاقل انتهت باقالته . وقام كثير من رؤساء الاحزاب فنادوا بانفسهم مـــلوكا . فانتشرت الفوضى . وكثرت حوادث القتل والنهب والحرق والسلب . واضطر الوالي (سابينوس[٣]) ان يستنجـــد بـ (فاروس) والى سورية ، و بـ (اريتاس[٤]) ملك العرب . فانجده كل منهما بعشرين الف فارس . فخمدت الثورة . واخذ الرومان من اليهود الفي اسيراً فقتلوهم فوراً . وذاق اليهود الذل مرة اخرى .

١٥ – وفيما كانت الامور تجري في اورشليم على هذا الشكل ، كان ارشيلاوس واخوته في روما يتشاكون امام اغسطوس ، ويسعى كل منهم لقهر الاخر . الامر الذي جعل اغسطوس يحتقرهم كلهم .

---

(١) كان هذا الحصن يدعى قبل ذاك التاريخ : (انانيا) وفي قول اخر : (برج بارس) . بناه في الاصل المـــكابيون . وكان قصراً لملوكهم . فاحاله هيرودس الى حصـــن واسـع اسماه (حصن انطونيا) كما قلنا ، ذلك تعظيما لاسم صديقه وحاميه مارك انطونيوس .

(٢) جاء ذكر هذا الملعب في رسائل بيلاطس ص٥٩ الا انني لم اعثر له على اثر .

(١) (تاريخ اليهود) ليوسيفوس . ك١٥ فصل ١٢ وتاريـخ سورية للمطران الدبس . ج٢ ٣ ص ٢٩٢ .

(٢) هو الذي بنى (قيصرية) وجدد بناء السامرة وسماها (سبسطية) .

(٣) كان خازن اغسطوس . وقد ارسله هذا الى اورشليم ، لياخذ خزائن هيرودس . فنشبت نار الثورة في اورشليم وهو فيها . وعهد اليه بمهمة حفظ السلام .

(٤) هو (الحارث) ملك البتراء العربية .

وصادف ان وصل في ذلك الوقت الى روما وفد يهودي مؤلف من خمسين رجلا يشكون[١] من آل هيرودس ، ويرجون قيصر روما ان يضم بلادهم الى سورية ، وان يجعلها اقليما رومانيا ، وان لا يبقى لليهود الا استقلالهم في الشؤون المذهبية . وانضم الى هذا الوفد ثمانية آلاف يهودي من سكان روما . فضموا اصواتهم الى صوت الوفد .

فكانت النتيجة ان ابقى الرومان جنودهم في اورشليم .والحقوا فلسطين بسورية ، وجعلوها ولاية تابعة لمملكتهم . واتخذوا (قيسارية) عاصمة لولاتهم[٢]. لقربها من البحر من ناحية وللحط من شأن اورشليم من الناحية الاخرى . ذلك لأن اورشليم كانت مصدراً للقلاقل والفتن . وعلى هذا الحال انقلب الحكم الروماني من استقلال داخلي اقطاعي الى نظام استعماري . وراح الحكام الرومانيون يتعاقبون الحكم على هذا الاساس .

١٦ — وانا لذاكرون منهم ما يلي :

كوبونيوس	(٦ — ٩ م)
مارك ابيفيوس[٣]	(٩ — ١٢ م)
اينوس روفوس	(١٢ — ١٤ م)
فالريوس غراتوس	(١٤ — ٢٦ م)
بونتيوس بيلاطس[٤]	(٢٦ — ٣٦ م)

كان هذا الوالي حاكماً وقائداً عاماً وجابياً للضرائب .

(١) (تاريخ سورية) للمطران الدبس . ج ٢ ٣ ص ٣١٣ .

(٢) كان هؤلاء الحكام في بادىء الامر يخابرون روما عن طريق سورية . ثم صاروا يخابرون روما رأسا . وراح الواحد منهم يلقب بـ (نائب الملك) .

(٣) وفي رواية اخرى :(ماريوس امبيفيوس) .

(٤) يسميه العرب :(بيلاطس البنطي) .كذا ورد في (مختصر الدول) لابن العبري ص ١١٥ .

١٨ — وعلى عهده بيلاطس ، صلب السيد المسيح[١] وحدثت في القدس حوادث جسام ذكرها في تقريره[٢]. الذي رفعه الى قيصر روما (طيباريوس قلوذيوس) الذي تسلم العرش ١٤ م وظل فيه عشر سنين . ومن ذلك التقرير نستنتج الحقائق التالية :

اولاً — كان التباغض بين الرومان واليهود شديداً الى درجة ان رئيس الكهنة اليهودي وحاشيته رفضوا تلبية الدعوة التي وجهها اليهم بيلاطس ليحضروا الوليمة التي اقامها للوجوه والاعيان .وقد استقبلوه عند للقدس مجيئه بوجوم .

ثانياً — وصف الوالي الروماني اليهود بالمكر والخبث والرياء . وحذر القيصر منهم قائلا : انهم يضحون بكل رخيص وغال في سبيل مصلحتهم .

ثالثاً — ان القدس من اصعب المدن المحتلة من ناحية الحكم . كان يقول عنها[٣] « انها عش الدسائس والفتن » . شوارعها ضيقة . وهي مرصوفة رصيفاً سيئاً. موارد المياه والمجاري فيها من النوع المخجل . والامراض منتشرة فيها انتشاراً فظيعاً .

رابعاً — كان للهيكل سور . وكان الرومان يحكمون بالموت على الجندي الذي يتخطى هذا السور[٤].

خامساً — ان القوة العسكرية الرومانية التي كانت مرابطة في القدس كانت ضئيلة بدرجة

(١) انظر الى ما ذكرناه عن حادث الصلب في الفصل الذي خصصناه للقدس في عهد السيد المسيح .

(٢) جاء ذكر هذا التقرير في رسائل بيلاطس للاستاذ كروزير.

(٣) رسائل بيلاطس . ص ٥١

(٤) رسائل بيلاطس . ص ٦١

ان الوالي الروماني فيها طلب الى زميله في سوريا ان يمده بقوة من عنده ؛ فأبى هذا قائلا ان ما لديه من الجند لا يكفي للمحافظة على الأمن العام في كورته .

سادساً – تنبأ بيلاطس بقرب اضمحلال سطوة الرومان في الشرق ، بسبب قلة الجند اللازمين لحماية امبراطوريتهم المترامية الأطراف .

استحضر بيلاطس مهندسين : واحدا من انطاكية ، والآخر من الاسكندرية . ورسم له هذان المهندسان الخرائط اللازمة لإنشاء الطريقين اللتين تصلان القدس من الشمال والشرق . وقد انشأهما : الأولى من الساحل . والثانية من الاردن واريحا . وكانت اريحا يومئذ ذات اهمية من الناحية التجارية . وكانت فيها مصلحة جركية . هذا وان اعظم عمل قام به هذا الوالي الروماني بالقدس، هو قناة الماء التي بناها من الحجارة ، واسال فيها الماء من برك سليمان الى القدس . وقد كان في القدس يومئذ خمسون الفاً من السكان . ولم يكن فيها سوى بضعة آبار . ولقدعثر المنقبون على آثار هذه القناة بالقرب من قبة راحيل ، عند مفترق الطريق بين بيت لحم والخليل . واستعمل من اجل ذلك خزائن الهيكل. فثار اليهود من اجل ذلك . وكانوا ضد مشروع القناة . ولكنه اخمد ثورتهم ،وشتت شملهم بالقوة . الامر الذي ذكرناه بوجه التفصيل في فصلي (القدس في عهد المسيح) و (مياه القدس في التاريخ) . فليرجع اليهما من شاء .

كان بيلاطس يجلس احيانا في قصر هيرودس للقضاء بين الناس . ذلك القصر الذي كان قائماً في المكان الذي تقوم عليه الآن الكنيسة الانكليزية المعروفة بكنيسة المسيح عندباب الخليل من الداخل وثكنة البوليس ودير مار يعقوب للأرمن . ويقال ان محاكمة السيد المسيح جرت في هذا القصر ، وليس في القصر الاخر المعروف ببرج انطونيا في حارة السعدية حيث يقوم الآن دير راهبات صهيون .

هذا من حيث مقر القضاء . واما من حيث الدار التي كان يسكنها بيلاطس ، فيقولون انها كانت الى الشمال من الحرم ، وفي البقعة التي يقوم عليها الآن الفرن المعروف بفرن عبد ربه من الحارة السعدية ، وبجانب المئذنة المعروفة بالمئذنة الحمراء .

كان بيلاطس يقضي معظم الوقت في التجوال : مفتشاً مراكز الحدود ، مشاوراً موظفي الايرادات ، مصغياً للمظالم . وقد رأى بعينه تأثير الجدب والمحل وتعاسة الفلاحين ؛ فالغى الضرائب ، وارسل اليهم بعض الاعانات من قيسارية عاصمة البلاد .

اخرج بيلاطس من الادارة اكثر الموظفين الذين كانوا على عهد سلفه . ولكنه احتفظ باثنين منهم هما : ماركيوس رونوس ضابط الحرب الاول ، والكسندر سكرتيره اليهودي . وقد كان هذا بمثابة جاسوس عليه . حتى ان بيلاطس نفسه قال عنه في رسائله[1] : « هناك اثنان لا ينبغي لي اغضابهما في اي حال : القيصر (لتحفظه الالهة) والكسندري اليهودي » .

كان لليهود في عهد بيلاطس مجلس اعلى في القدس يسمونه (السنهدريم) ، ويبلغ عدد اعضائه السبعين . وهذا المجلس هو الذي كان يحكم اليهود تحت سلطان الرومان . وهو مؤلف من الكهنة والموظفين والفلاسفة وكبار المحامين . وكان

(١) رسائل بيلاطس . ص ١٢

للفريسيين[١] والصدوقيين[٢] مقاعد معينة في هذا المجلس . ولكن الاغلبية فيه كانت للفريسيين .

رغم كرهه لليهود كان بيلاطس يداريهم بقدر الامكان . ذلك لانه كان يخشى من دسائسهم ضده لدى قيصر ، ولدى من يعطف على اليهود من اصدقاء قيصر . استمع اليه يحدثك عن هذه الناحية[٣]:

« انني رجل فقير . ورغم ما سمعته عن تهديداتي لليهود ، خلال السنوات الثلاثة المنصرمة ، تراني احاول الابتعاد عن اذاهم . افضل ان اقضي السنوات الباقية لي في منصبي هذا ، في هدوء ، الى ان ينقلني قيصر . »

ومع هذا كله فقد انتهت ولايته بالعزل .



القدس في عهد السيد المسيح

قلنا في الفصل السابق أن (بيلاطس بونتيوس) هو الوالي الروماني الذي انتدب لادارة القدس على عهد الرومان ، وانه ادارها من سنة ٢٦ الى سنة ٣٦ للميلاد . وفي زمنه صلب السيد المسيح .

كان في باديء الامر يقيم في قيسارية (قيصرية) التي جعلها قاعدة حكمه . اذ كان يكره القدس . وقد قال عنها في الصفحة ٥١ من رسائله[٤] : « انها عش الدسائس والفتن » . وفي مكان آخر من رسائله وصفها بأنها « مدينة تعسة . ليس فيها شيء يستحق الاهتمام سوى الابنية الضخمة التي شيدها هيرودس » . وكان فيها يومئذ خمسون الفا من السكان .

٢ – عاش بيلاطس في قيصرية ردحاً من الزمن . كان يبعث منها باوامره الى اليهود . فلم يعبأوا به في باديء الامر . بل ثاروا عليه . فساق عليهم كوكبة من جنده بقيادة القائد ماركيوس . فسار الجند الى القدس ، حاملين الاعلام الرومانية . ومع الاعلام صور القياصرة الثلاثة : طيباريوس (الذي كان بيلاطس يحكم باسمه) واغسطس ويوليوس قيصر . ولما وصلوا اليها ، واحتلوا الاماكن المعدة لهم في ثكنة (انطونيا[١]) ، هاج اليهود وماجوا ، ثم راحوا يهاجون الرومان في ثكناتهم حاملين العصي الغليظة والحجارة ، وطلبوا نزع الاعلام حالا .

ولما لم يلب القائد طلبهم راحوا الى قيصرية يشكون امرهم الى الوالي بيلاطس . وكان على رأسهم الكاهنان حنان والعازر ورئيسها قيافا . وكان بين الجموع المحتشدة عدد غير قليل من المتعصبين والمتوحشين الذين وصفهم بيلاطس في الصفحة ٨٢

(١) الذين يحافظون على الشرع اليهودي ، ويقاومون اليونانيين والرومانيين وغيرهم من الاجانب .

(٢) اكثر مرونة من الفريسيين في امور الدنيا والدين ، ويعرفون بالفئة المعتدلة .

(٣) رسائل بيلاطس ص ١٢٢

(٤) هذه الرسائل ارسلها بيلاطس الى صديقه سنيكا في روما وقد جمعها الاستاذ و . ب . كروزير استاذ كلية ترينتي بجامعة اوكسفورد . وقد عربت ونشرت في جريدة (فلسطين) سنة ١٩٤٥ .

(١) حيث يقوم الان حبس المسيح وجزء من دير راهبات صهيون على درب الالام ومدرسة الروضة الى الشمال الغربي من الحرم .

من رسائله بقوله : «انهم اعتادوا الصراخ والشغب، وانهم يستسيغون الشجار من اجل الدين،فيمتبرونه طعاماً سائغاً وشراباً » .

كان بيلاطس يومئذ قادراً على قمع ثورتهم وتشتيت شملهم . ولكنه ضبط نفسه خشية ان يلومه قيصر، او يشي به اعداؤه في روما فيشوهون حقيقة عمله ويكونون السبب في ابعاده عن منصة الحكم . ورغم انه كان يكره اليهود كرهاً لامزيد عليه ؛فقد اعتزم مداراتهم بقدر الامكان، وصرفهم بالتي هي احسن. ذلك لانه كان يخشى دسائسهم واليهود مشهورون بالدس . وما كان ليخشى دسائسهم لولا انه كان فقيراً ، وكان في حاجة للمال الذي يربحه من وراء منصبه . لقد ذكر بيلاطس نفسه هذه الحقيقة في الصفحة ١٢٢ من رسائله فقال : « انني فقير . والافضل ان اقضي السنوات الباقية لي في منصبي هذا، فيهدوء، الى ان ينقلني قيصر » .

انهذا السبب هو الذي جعله يحتفظ بسكرتيره اليهودي الكسندر . رغم انه اقال اكثر الموظفين الذين كانوا على عهد سلفه . ولقد ذكر ذلك في الصفحة ١٢ من رسائله فقال :

« هناك اثنان لا ينبغي لي ان اغضبهما في اي حال : قيصري (حفظه الله) والكسندر اليهودي . . . » . وكان هذا يقوم باعمال التجسس له بين ابناء قومه .

ولما اشتعلت نيران الثورة بالقدس ، وعجز القائد ماركيوس عن تهدئتها ، كتب الى بيلاطس . فجاء هذا الى القدس . ونزل في القصر الذي بناه هيرودس الملك[1] . وفي هذا القصر جرت محاكمة السيد المسيح . وهناك من يعتقد ان المحاكمة جرت في القصر الذي كان يعرف يومئذ بـ (برج انطونيا) وقد ذكرناه في الاسطر المتقدمة .

٣ – قابل اليهود بيلاطس ببرودة تامة ووجوم. لانهم كانوا يكرهونه . ولم يكتفوا بذلك ، بل رفض رئيس الكهنة ورجال حاشيته الدعوة التي وجهها اليهم بمناسبة وصوله للمدينة وتسلمه الحكم فيها.

رغم هذا كله لم يثر . لا ، بل انه لم ينبس ببنت شفة . بل راح يعمل من اجل اصلاح حالة السكان الزراعية والاقتصادية . وكانت هذه في حاجة الى الاصلاح . فاخذ يقضي معظم وقته في التجوال : متفقداً مراكز الحدود ،مشاوراً موظفي الايرادات، مصغياً لمظالم الشعب . وقد رأى بعينه تأثير الجدب والمحل وتعاسة الفلاحين .فالغي الضرائب ، ومنحهم الهبات المالية .

ثم اخذ يفكر في تعمير المدينة نفسها ، وقد كانت في حاجة الى التعمير . اذ كانت شوارعها ضيقة وطرقها مرصوفة رصفاً سيئاً . ماؤها قليل ، ومجاريها قذرة . والامراض منتشرة فيها بشكل مخيف . فرأى بيلاطس بعين ثاقبة انه لا يتيسر له اصلاح هذه الحال الا اذا اتى اليها بالماء . فاخذ يفكر في سحب مياه (العروب) في اقنية حجرية . ولقد ظن ، وبعض الظن اثم ، ان هذا العمل سيتقبله اليهود بالارتياح ، لانه في مصلحتهم . وما درى انهم من الحماقة بدرجة انهم سيقاومونه . اجل ، رفض اليهود مساعدة بيلاطس في انشاء قناة الماء ، رغم انه حاول ان يقنعهم بان القدس سترد لاول مرة في التاريخ الماء القراح ، وان هذا امر حيوي ، هو في صالحهم من الوجهتين : العمرانية والدينية . ولكنهم ابوا . وقد قتلوا حاخاماً اشتبهوا بانه ينظر للمشروع بعين الرضا . ورفضوا

---

[1] كان ذلك البناء يومئذ قائماً في المكان الذي تقوم عليه الآن كنيسة المسيح Christ Church وثكنة البوليس ودير مار يعقوب للارمن .

ان يقدموا اية مساعدة مالية : لا من جيوبهم ولا من خزائن الهيكل ، حتى ولو على سبيل القرض .

لا . بل راحوا الى ابعد من ذلك . واخذوا يهددون بيلاطس بهدم القناة (انظر الى الصفحة ١٠٢ من رسائل بيلاطس) . ورجموا الوالي نفسه بالحجارة . عندئذ فقد بيلاطس صوابه . واصدر امره . فهاجمهم الجند . وشتتوهم بالقوة . وكان عدد القتلى كبيراً . ولقد حرم عليهم التظاهرات والاجتماعات العامه والتجمع في الشوارع والقاء الخطب المهيجة . فتفرقوا ايدي سبا . شأنهم امام القوة . وبهذه الوسيلة تمكن بيلاطس من قمع ثورتهم ، ومن الوصول الى هيكلهم ؛ فنهب امواله ، واتم بها مشروع القناة .

٤ — هذه توطئة لم نربدأ منها . اوردناها لنعطيك فكرة عن القدس بوجه خاص وعن اليهود والرومان بوجه عام ، عندما قام السيد المسيح بنشر رسالته وبث تعاليمه . ولولاها لكان بحثنا عن السيد المسيح نفسه وعما اصابه من اذى في ذلك العهد ناقصاً .

٥ — كانت القدس ، على عهد السيد المسيح ، اكبر واوسع مما كانت عليه في زمن سليمان الحكيم . وكان عدد سكانها قد ازداد كثيراً . وسورها قد اتسع ، فراح يشمل التلال الكائنة الى الغرب من الوادي المعروف بوادي التروبين[1] . وكان يقوم على الوادي المذكور ، في مواضع عديدة ، جسور مقنطرة كبيرة يعبرها المشاة . وكان في المدينة وفي اطرافها يومئذ عدد غير قليل من الكروم ، يزرع فيها العنب والتين والزيتون ، وتقوم في وسطها المناطر . وكانت سائط النقل للبضائع والآدميين منحصرة في الحمير من الدواب .

وكانت في القدس ابنية ضخمة هي التي شيدها هيرودس الملك على التلال الغربية : سيما قصره الجميل ، والحصن الذي اقامه على مقربة من الهيكل ، والهيكل نفسه الذي جدد عمارته ، والمدرج (امفيثياتر) الذي انشأه في وسط المدينة .

قصارى القول : كان كل شيء في المدينة يدل على السعة والثراء . الا في منطقة الهيكل ، فكان حماته يقومون باعمال لا ترضي الرب ولا العقل السليم . وفي هذا الظرف ظهر السيد المسيح .

٦ — هبط السيد المسيح القدس ، وكانت على عهده تدعى اورشليم . هبطها مرة في نعومة اظفاره ، وثلاث مرات بعد نشر رسالته : الاولى في الثامن عشر من شهر اكتوبر سنة ٢٨ للميلاد . والثانية بعد ذلك بشهرين ، اي في ديسمبر من تلك السنة . وفي الثالثة اعتقل ، وسيق الى المحاكمة ، وحكم عليه بالموت .

٧ — المعروف عند الكثيرين ان الذي اعتقله وادانه ، وصلبه هو (بيلاطس بونتيوس) الوالي الروماني الذي تقدم ذكره . وقد ورد اسمه في الكتب العربية بيلاطس البنطي . ولطالما اتهموه ، لهذا السبب ، بالغدر والظلم وعدم التسامح والاستبداد . ولكن الذي يطالع كتب التاريخ واسفاره المختلفة ، يرى ان ما اصاب السيد المسيح كان اليهود هم السبب فيه . اليهود . . القوم الذي نشأ منهم ، وليس الوالي الروماني ، ولا الرومان . واليك البيان كما رواه لنا التاريخ وروته الاسفار :

٨ — عندما ظهر المسيح واخذ يلقي تعاليمه على الناس كان في الثلاثين من عمره . ولم تكن تعاليمه سياسية البتة . ولم يكن يستهدف بنشرها السلطة الرومانية التي كانت مسيطرة على البلاد في ذلك الحين . وانما كان يتوخى اصلاح المجتمع الذي يعيش فيه ،

(١) هو الحي المعروف بـ(الواد) في يومنا هذا .

انقاذه من حمأة الشرور التي كان منغمساً فيها فكان يقول: «هذه هي وصيتي، ان تحبوا بعضكم بعضاً، كما احببتكم . ليس لاحد حب اعظم من هذا ان يضيع احد نفسه لاجل احبائه .» وقوله : «من لطمك على خدك الايمن ، فادر له الايسر .» وكان اكثر غضبه منصباً على حماة الهيكل ورؤساء الكهنة من بني اسرائيل الذين وصفهم «بالذئاب الكاسرة» . وقال عنهم : «انهم جعلوا الهيكل مغارة للصوص والعصابات» لكثرة الضرائب التي كانوا يجبونها والاموال التي يبتزونها من الزائرين . ولانهم كانوا يبيعون الغنم والحمام والبقر في داخل الهيكل ، حيث يقوم صيارفتهم .

انه كان يعرف اليهود معرفة تامة ، ولا سيما يهود اورشليم . فقد كان يكرههم ، ولا يأتمنهم على نفسه[١] . وكثيراً ما كان يقول : الخلاص هو من اليهود[٢] » .

٩– ان هذه المبادىء التي كان يبثها السيد المسيح فتحت عيون الجماهير ؛ فراحوا يلتفون حوله ، ويستمعون الى نصائحه . وقد ازدادوا اعجاباً به يوم سمعوا بمعجزاته ، ومنها انه :

(أ) حوّل الماء الى خمر في عرس اقيم في (قانا) من اعمال الجليل .

(ب) ابرأ ابن خادم الملك الذي كان مريضاً في (كفر ناحوم) . ابرأه بعد ان عز شفاؤه ، ولم يره .

(ج) اطعم جمعاً من الناس التقى بهم عند بحيرة طبرية ، ويقدر عددهم بنحو خمسة آلاف نسمة ، طعاماً لا يزيد على خمسة ارغفة وسمكتين .

(١) انجيل يوحنا – الاصحاح ٣ عدد ٢٤ .

(٢) انجيل يوحنا – الاصحاح ٤ عدد ٢٢ .

فاكل الجميع حتى شبعوا . وجمعوا الكسر التي تبقت ، فجاءت اثنتي عشرة قفة .

(د) مشى على الماء . فركد البحر ، بعد ان كان هائجاً .

(هـ) ابرأ المريض المقعد الذي مكث ثلاثين سنة ينتظر دوره ليغسل في بركة (حسدا)[١] بالقرب من (باب الضأن)[٢]. فقال له : « قم . احمل سريرك . وامش » . فقام في الحال وحمل سريره ومشى .

(و) أبرأ الأعمى[٣] . فرد اليه بصره .

(ز) أحيا الميت[٤] . فاخرجه من قبره .

(١) انها هي البركة الكائنة بداخل المدرسة الصلاحية للروم الكاثوليك عند باب الاسباط .

(٢) يعرف الان بباب الاسباط .

(٣) رأى انسانا اعمى منذ ولادته . فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من اخطأ . هذا ام ابوه ، حتى ولد أعمى . فقال لهم : « لا هذا اخطأ ، ولا ابوه . ولكن لتظهر اعمال الله فيه » . قال هذا وتفل على الارض . وصنع من التفل طينا ، وطلى عيني الاعمى. وقال له: اذهب واغتسل في بركة سلوام . فمضى واغتسل وغدا بصيراً .
(انجيل يوحنا – الاصحاح ٩ عدد ١ – ٧)

(٤) كان في بيت عنا (القرية التي نسميها الان العيزرية) رجل مريض يدعى « العازر » . وكان له اختان تدعيان : مريم ومرتا . وكان يسوع يحب مرتا واختها والعازر . فاخبرتاه بمرض اخيها . فجاء اليها ولكن متأخرا . ولما اتى يسوع وجد انه قد صار له اربعة ايام في القبر . وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا الى مريم ومرتا معزين . فلما سمعت مرتا ان يسوع آت لاقته . واما مريم فاستمرت جالسة في البيت . فقالت مرتا ليسوع : « يا سيدي لو كنت ههنا لم يمت اخي . لكني الان اعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيكه الله ». فصرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: « العازر هلم خارجا ». فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : « حلوه . ودعوه يذهب » .
« انجيل يوحنا – الاصحاح ١١ عدد ١ – ٤٤ »

ولقد جاء ذكر بعض هذه المعجزات في القرآن. اذ جاء في سورة (آل عمران)[١] ما يلي :

« ورسولاً الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ، أني أخلقُ لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكونُ طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأُحيي الموتى بإذن الله ، وأُنبئكمْ بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآيةً لكم ان كنتم مؤمنين » .

وجاء في سورة (الزخرف [٢] ما يلي :

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون » .

٦ — ان هذه الاقوال من جهة ، والمعجزات من جهة اخرى ، ولا سيما المعجزة الاخيرة (قيام العازر من قبره حياً) اثارت غضب اليهود وكهنتهم ، سيما وانه قام ببعض اعماله ومعجزاته في يوم سبت . وللسبت حرمته عند اليهود . فقاموا لذلك وقعدوا . وراحوا يفكرون في رفع امره الى السلطات الرومانية عسى ان تخلصهم منه . ولكن لا بد من وجود تهمة تبرر سوقه الى القضاء ، وادانته . فما هي هذه التهمة :

(أ) اتوا اليه مرة بامرأة زانية ، فسألوه عن حكمه فيها . فقال لهم : « من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها . والا فليخرج» . فخرجوا كلهم . ولم يبق هناك سواه والمرأة الزانية . فقال لها يسوع : ولا انا ادينك . اذهبي ولا تخطئي ايضاً[٣] . فاتهموه بتشجيع الخطيئة .

(ب) سألوه عن رأيه في (زكا) . ذلك الرجل العشار الذي كان رئيساً لجباة الاموال في اريحا ، والذي جمع اموالا طائلة عن طريق الرشوة والظلم . فامتدحه ، ولم يترفع عن النزول في بيته ، والاكل على مائدته ، واتخاذه من اخلص الاولياء مدى الدهر ، على امل ان يرتدع عن فعاله . وقد ارتدع : فوهب نصف ماله لفعل الخير . وصار تقياً . حتى رسم اسقفاً على قيسارية. فاتهموه بتشجيع الرشوة ، والظلم ، وابتزاز المال .

(ج) ارادوا ان يوقعوا بينه وبين السلطة الرومانية . فسألوه يوماً عن رأيه في الضرائب التي تجمعها تلك السلطة منهم ، وعما اذا كان يجب عليهم ان يدفعوها . فقال لهم : « ما دمتم تستعملون العملة التي عليها صورة قيصر ، فانكم تعترفون بسلطانه عليكم . اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » .

٧ — انك ترى مما تقدم ان اليهود لم يتمكنوا بادىء ذي بدء من ايقاع السيد المسيح في الشرك الذي نصبوه له . الى ان بحث عن الوهيته ، وقال لهم ان الله ابوه ، وانه والآب واحد[١] . عندئذ هاجوا وماجوا ، ورأوا فيه رجلاً ثورياً يريد تحطيم امانيهم. فهجموا عليه ، وكادوا يقتلونه . ففر من امامهم . وغادر المدينة . وفيما كان يسير على جبل الزيتون ، التفت الى اورشليم التي اقصوه عنها . وخاطبها قائلاً :

«يا اورشليم . يا اورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين . كم مرة اردت ان اجمع اولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خراباً ...»

(١) الاية ٤٩

(٢) الاية : ٦٣

(٣) انجيل يوحنا — الاصحاح ٨ عدد ١ — ١١

(١) حياة يسوع صفحة ٣٠١ .

٨ - كان السيد المسيح يكره اورشليم . وكان يذيع رسالته في ريفها، خشية ان يغدر به اليهود . ومن اقواله المأثورة في هذا الباب[1]: «لاكرامة لنبي في وطنه . »

ولمادخل القدس في (عيد المظال) لينشر رسالته، ويسمع صوته للعالم اليهودي مغتنما فرصة العيد ، وخرج منها على الشكل الذي وصفناه فيما سبق ، لم يجد ملجأ آمن من (بيت عنا)[2]. تلك القرية التي كان يحبها وطالما التجأ اليها في ايام ضيقه . وبعد ان مكث في بيت الاختين ، مرثا ومريم ، اللتين كان يحبها واخاهما (العازر) الذي احياه من الموت، خرج الى البرية . وراح يتجول في التلال والسهول الواقعة بين اورشليم ونهر الاردن . وقد قال يوماً لأحد تلاميذه : «للثعالب اوجار ولطيور السماء اوكار . واما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه . »

٩ - اجتمع مجلس السنهدريم على اثر قصة العازر وقيامه من القبر . فكروا في امر يسوع . وقالوا: « اذا ظل سائرا على خطته هذه، يفلت زمام الشعب من بين ايدينا . وتلجأ جماهير الفصح الى التمرد والعصيان، فتتوجه ملكا . وعندئذ يقوم الرومان فيدمرون هيكلنا وامتنا . » اي انهم في الظاهر كانوا يخشون سطوة روما ، وفي الباطن يخافون انهيار سلطتهم الدينية، فيحرمون الخيرات الكثيرة التي كانت تدرها عليهم تلك السلطة .

قال قيافا رئيس الكهنة : « خيراً ان يموت انسان واحد عن الشعب حتى لا تهلك الامة كلها . هذا الانسان يجب ان يموت . »

هذا هو القرار النهائي : يجب ان يموت في غير ابطاء . سواء اكان ذلك باغتياله سراً او بادانته قانونياً .

ولكن كان على السلطات ان تسير في حذر . لان كل محاولة لالقاء القبض عليه جهرة ستعجل الثورة . وكان يسوع في الواقع قد اختفى عن الانظار . ويقال ان نيقوديموس ، ذلك الشيخ العجوز الذي كان عضواً في مجلس السنهدريم ، ارسل اليه سراً منبئاً اياه بالقرار. فعاش في البرية شرقي اورشليم . ولكنه عاد فرجع اليها في عيد الفصح ودخلها للمرة الثالثة . لقد جاءها في هذه المرة علناً ، ودخلها جهاراً . وكان يعلم ان مصيره سيكون في هذه المرة الموت المحتم .

جاء المسيح مع تلاميذه الى مكان عبر (وادي قدرون) حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه . وفي تلك الليلة قام عن عشائه [1] وخلع ثيابه واخذ منشفة واتزر بها، ثم صب ماءاً في مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ [2] ويمسحها بالمنشفة التي كان متزراً بها . ثم قال لهم : « انكم تدعونني معلماً وسيداً . وحسناً تقولون . لاني انا كذلك . فاذا كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم ، فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض ... الحق اقول لكم انه ليس عبد اعظم من سيده ، ولا رسول اعظم من مرسله . ان علمتم هذا ، فطوباكم ان عملتموه .)

(١) انجيل يوحنا - الاصحاح ٤ عدد ٤٤ .

(٢) العيزرية . وهي قرية تبعد عن القدس نحو ميل واحد الى الشرق

(١) اختلفت الروايات حول المكان الذي تناول فيه السيد المسيح عشاءه الاخير . فمن قائل انه تناوله في بستان الجثمانية حيث داهمه الجند بدلالة يهوذا الاسخريوطي ، وقبضوا عليه . ومن قائل انه تناوله في المكان الذي تقوم عليه الآن الكنيسة المعروفة بكنيسة نياحة العذراء « دورميثيون » في حي النبي داود . ولكن الرواية الثانية وهي من تقاليد القرن الرابع عشر ضعيفة . لان ذلك البناء لم يقم الا بعد المسيح بعدة قرون .

(٢) من هنا نشأ العيد المعروف ب « خميس الغسل » في القدس حيث يجتمع المسيحيون في ساحة الكنيسة ويشاهدون البطريرك يغسل ارجل اساقفته اقتداء بالمسيح .

١٠ -- كان يهوذا سمعان الاسخريوطي[١] يعرف ذلك الموضع . لان يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه . فأخذ يهوذا الجند وخداماً من رؤساء الكهنة والفريسيين ، وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح . وكان مع تلميذه سمعان بطرس سيف ، فاستله ، وضرب به عبد رئيس الكهنة ، فقطع اذنه اليمنى . فامره يسوع ان يرجع السيف الى غمده . ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع ، واوثقوه ، ومضوا به الى دار رئيس الكهنة وكان الوقت شتاء والبرد قارصاً . فاضرم الخدم الجمر ليصطلي الحاضرون . وفيما كان رئيس الكهنة قيافا يستجوب يسوع ، جاء احد الخدم ولطمه قائلاً : (اهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟) . فأجابه يسوع : «ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي ، وان حسناً فلماذا تضربني » . وانكر بطرس الذي كان واقفاً يصطلي انه من تلاميذه[٢] .

١١ — ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية[٣] وكان الوقت صبحاً . فاستقبله بيلاطس . وسألهم عن التهمة التي يوجهونها اليه . ثم ادخله الى دار الولاية . وجرى بينهما حديث طويل . ثم قال لليهود : انا لم اجد فيه اية علة تستحق الاعدام . ولكنهم عندما صاحوا اخذه بيلاطس وجلده . وضفر العسكر اكليلاً من شوك وضعوه على رأسه والبسوه ثوب ارجوان . وكانوا يلطمونه[٤] .

(١) كلمة عبرية معناها « رجل القتل » . وكان هذا احد التلاميذ الاثني عشر الذين لازموا السيد المسيح حين تخلى عنه تلاميذه الاخرون . وكان المسيح يعرف انه شيطان وانه مزمع ان يسلمه الى اعدائه .

(٢) انجيل يوحنا — الاصحاح ١٨ عدد ١ — ٢٧ .

(٣) المظنون ان دار الولاية كانت يومئذ في « قصر انطونيا » وهو الذي اتخذ في الربع الاول من القرن العشرين مدرسة لروضة المعارف الوطنية ، الى الشمال من الحرم .

(٤) انجيل يوحنا — الاصحاح ١٩ عدد ١ — ٢

وصاحوا في وجه بيلاطس قائلين : اصلبه ! اصلبه ! فاسلمه اليهم ليصلب . فاخذوه الى موضع الجمجمة ويقال له (جلجثة) وصلبوه[١] ، وصلبوا اثنين آخرين معه . وكتب بيلاطس على الصليب هذه الكلمات :

يسوع الناصري ، ملك اليهود

١٢ — هنا يحسن بنا ان نستمع الى ما يقصه علينا بيلاطس بونتيوس عن هذه الحادثة . فقد جاء في التقرير الذي رفعه هذا الى القيصر في روما وصف مسهب للسيد المسيح ، وتعاليمه ، والاسباب التي ادت الى هياج اليهود وقيامهم ضده . ومن تقريره نستنتج الامور التالية :

اولاً — ان (يسوع الناصري) كان يومئذ لايتجاوز الثلاثين ربيعاً من عمره ، وانه ممتلىء هيبة ووقاراً . وعلى وجهه وفي مُحياه سمات النبل والشرف والوقار .

ثانياً — اتاح له الوالي الروماني ، ان يعمل ويُعَلِّمْ كما يشاء ، وان يخاطب الجماهير دون معارضة او مراقبة .

ثالثاً — ان هذه الحرية التي منحها الوالي الروماني ليسوع اغاظت اغنياء اليهود ورؤساءهم . اذ كان يسوع يشدد النكير عليهم . ويكثر من لومهم وتقريعهم ، قائلاً لهم : « انتم قبور مبيضة . انتم تظهرون امام الناس بمظهر حسن ، واما من الداخل فانكم مملؤون مرارة وموتاً » . وكان يسخر من اغنياء اليهود الذين ارادوا ان يرشوه بالمال ، قائلاً : « ان فلس المعوز خير من فلوسكم ، وافضل » .

(١) الاسلام لا يعترف بالصلب . وفي ذلك نزلت الاية الكريمة . « وما قتلوه . وما صلبوه . ولكن شبه لهم » .

وظل اليهود يدسون الدسائس وينصبون له المكايد حتى نالوا ما يبتغون . وكانوا السبب فيما جرى له . وما هو باول ، ولا آخر ، من عمل اليهود على مناوأته من المصلحين .

رابعاً — اغتنم رؤساء الكهنة واحزاب اليهود الثلاثة (الهيرودسيون والصدوقيون والفريسيون) وغيرهم من اليهود اعداء الناصري ، فرصة الاعياد اليهودية يوم غصت القدس بجماعات المعيدين الذين وفدوا اليها من كل حدب وصوب ؛ فالقوا القبض على السيد المسيح ، واتوا به الى بيلاطس قائلين: «اصلبه ! اصلبه !» فعز الامر على بيلاطس. وكان قد آلى على نفسه ان يحميه من «مخالب الذئاب الكاسرة » . ورأى ان الثورة لا محالة ناشبة ، اذا هو لم يعمل برأي اليهود ولم يصلبه . فطلب الى زميله قائد الجيش الروماني بسوريه ان يمده بمئة فارس ومئة راجل ولكن هذا لم يستطع ان يلبي طلبه لقلة ما عنده من الجند .

خامساً — ثار اليهود ، وقبضوا على يسوع ، فساقوه الى رئيس الكهنة (قيافا) الذي حكم عليه بالموت . وارسله الى بيلاطس مقيداً طالباً منه تنفيذ الحكم . فاحاله هذا الى هيرودس لانه من سلطنته (اي من ناصرة الجليل) . فاعاده ذاك الى بيلاطس قائلاً بدهائه المعروف « انه لا يتعدى حقوق الوالي الروماني » . وبالحال غص البلاط بالثائرين من اليهود الصارخين: « اصلبه ! اصلبه ! »

سادساً — كان المسيح هادئاً ساكنا وسط هذا البحر الهائج المتلاطم ، فلم يخاصم ، ولم يدافع . وقد حاول بيلاطس ان يسكن غضبهم قائلاً لهم : « ان لكم عادة في مثل هذا العيد ان تطلقوا سراح مجرم ، فخلوا سبيل يسوع.»

قالوا : لا ، بل اصلبه !

قال لهم : « ان الشريعة اليهودية نفسها تحذر من الاسراع في تنفيذ الحكم كما تطلبون . انها تحتم على القاضي ان يتروى بالامر ويصوم يوماً كاملاً قبل ان ينطق بحكم الاعدام . . . ان الشرع اليهودي يأمر بايقاف رجل على باب المحكمة حاملاً علماً وفارساً على بعد بضع خطوات منه ، ينا ديان بالحكم وباسماء الشهود ، علّه يدب في قلب احد الحضور رحمة فيقول كلمة يحامي بها عن المجرم . . . . »

صاحوا بصوت واحد : « خذه ! اصلبه ! »

فامر اذ ذاك بجلده ، ظناً منه ان ذلك يرضيهم . فابوا ، واصروا على طلبهم . فاخذ اذ ذاك طشتاً وغسل يده امامهم قائلاً لهم : «انني بريء من دم هذا الصديق » . فهاج اليهود وماجوا ، وقاموا وقعدوا واخذوا الناصري من امام الوالي الروماني ، فساروا به عن الطريق التي عرفت بعدئذ بدرب الآلام[١]. وساقوه الى جلجثة[٢]. وهناك صلبوه .

هذا ما ورد في الكتب والاسفار المسيحية عن الصلب . واما المسلمون فانهم لا يعترفون بالصلب . ولقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله[٣] :

---

(١) اسمها باللغة اللاتينية : (ريودولاروزا) .

(٢) (الجلجثة) او (الجلجلة) اسم الموضع الذي صلب فيه السيد المسيح . وقد اختلف المؤرخون في تاويل هذا الاسم . فقال القديس ايرونيموس ان الجلجلة معناها الجمجمة ، وانها سميت كذلك بسبب جماجم القتلى الذين لاقوا حتفهم في ذلك المكان . وقال اوريجانوس انه سمي كذلك لان جمجمة آدم ابي البشر مدفونة هناك . والقول الاول هو الصحيح .

(٣) سورة النساء : الاية ١٥٧

« وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم . »

هذا ولا بد من القول ان المسلمين يجلون السيد المسيح ويرفعونه الى اسمى درجات التقديس . وقد يصل اجلالهم له ولامه مريم البتول حداً يقصر عنه الكثيرون من اتباع المسيح انفسهم . فقد اقتبسوا هذا الشعور من كلام الله الذي أنزل على نبيهم ودوّن في قرآنهم، والذي يتلونه كل صبح ومساء في صلواتهم .

ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز[1] :

« فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله ، واشهد بانا مسلمون . ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين . »

وقال[2] : « إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوكَ فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلي مرجعكم ، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . »

وقال[3] : وجعلني مباركاً اين ما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا . والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . »

(١) سورة آل عمران : الآية ٥٢

(٢) سورة آل عمران : الآية ٥٥

(٣) سورة مريم : الآية ٣١

وكذلك قل عن مريم البتول . فقد ذُكرت بشيء كثير من التقديس والتعظيم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم . وانا لنكتفي منها بذكر الآيات التالية :

« اذ قالت الملائكة [1] يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . »

وقال[2] : « قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسني بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون . »

هذا من الناحية الدينية . اما من الناحية القومية . فيكفي القول : إنا ، نحن سكان هذه البلاد ، عرب قبل ان نكون مسلمين ومسيحيين . تجمعنا العروبة . وانا لنرجع فيها الى اصل واحد ، ودم واحد ، ووطن واحد ، ولغة واحدة ، وتاريخ واحد .

ولئن اختلفنا في بعض العقائد الدينية فان اختلافنا هذا لا يعدو اختلافاً بين اخوين يعيشان في منزل واحد حول اية مسألة من المسائل الاجتماعية الاخرى .

« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ألذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون . »[3]

(١) سورة آل عمران : الآية ٤٢

(٢) سورة آل عمران : الاية ٤٧

(٣) سورة المائدة : الاية ٨٢

القدس في عهد الرومـان

(بعد المسيح)

ذكرنا في الفصلين السابقين كيف كانت القدس في عهد الرومان قبل السيد المسيح . . وكيف كانت ،اثناءوجود المسيح فيها . . وكيف اضطهده اليهود . . وكانوا السبب في تعذيبه وموته على يد الوالي الروماني بيلاطس بونتيوس . . وانتهينا الى القول ان ولاية هـــذا الوالي قد انتهت – رغم كل الاعمال التي قام بها لارضاء قيصر في روما وارضاء اليهودفي اورشليم – بالعزل . ونريد الآن ان نقص عليك ماذا جرى بعـــد ذلك التاريخ . فنقول :

كانت فلسطين يومئـــذ تابعـة لسورية . وكان في سورية وال يـــدعى (ويتلوس) . فارسل هذا (مرشلوش) خلفاً لبيلاطس بونتيوس. وايد غايوس قيصر هذا التعيين .

٢ – ويظهر ان (هيرودس اغريبا) حفيـد هيرودس الكبير الذي كان يومئذ حاكماً في الجليل[١] اراد ان يهتبل الفرصة السانحة . فجاء الى القدس . وطمح في امتلاك زمام الامور فيها ليسترجـع مجد جده الاكبر . فنال مبتغاه . وانتعشت القدس على عهده . (٣٧ – ٤٤ ب.م) . فبنيت فيها القصور الشاهقة والاروقـة الفخمة والمســـارح الضخمة .

وانشئت على عهده ايضاً حارة جديدة سميت (بزيتا) وهي الكائنة في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة . وشرع في بناء السور المعروف بالسور الثالث. وادخل فيه المكان المعروف بالجلجثة . فنصح اليه الامبراطور قلاوديوس ان يقلل من انشاآته ولا سيا مـا يختص منها بالاسوار[٤] . وعلى عهـــده انشىء اول محفل ماسوني في اورشليم .

انه بعدان تزوج بنت اريطاس ملك العرب ،راح يفكر في الاقتران (بهيروديا) امرأة اخيه. فاكتشفت امرأته العربية مؤامرته . فهربت الى ابيها،وحدثته بما جرى . فما كان من هذا الا انه ساق عليه جيشاً. وظل يحاربه الى ان قهره ودحر جيشه . وقـــد سخطت عليه روما ،فنفته وامرأته هيروديا .

٣ – عندمـــا مات هـيرودس اغريبـــا Herod Agrippa كان ولده اغريبا الثاني البالغ من العمر ١٧ سنة في رومـا . وكان حـديث السن بـــدرجة لا يستطيع معهـا ان يتولى ادارة بـلاد

---

(١) انه هو الذي ارسل اليه بيلاطس السيد المسيح ليحاكمه . فرفض . وقد لقبه المسيح بالثعلب. استمع اليه يقول في انجيل لوقا (ص ١٣ – عدد ٣١ – ٣٤).

« في ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له اخرج واذهب من ههنا لان هيرودس يريد ان يقتلك فقـال لهم امضوا قولوا لهذا الثعلب ها انا اخرج شياطين واشفي اليوم وغداً وفي اليوم الثـالث اكمل ... يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين كم مرة اردت ان اجمـــع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . »

(٤) عندما حاصر تيطس القدس عام ٧٠ لم يكن بنـــاء هذا السور قد تم .

كاليهودية مليئة بالمشاغبات . ولذلك ارسل (كسبيوس فادوس Cuspius Fadus) حاكماً من لدن روما (٤٤ م) . وكان على عرش الرومان يومئذ (غايوس قيصر Gaius Gaesar) الذي تسنم العرش على اثر وفاة ابيه الامبراطور طيباريوس (٣٧ ب م) .

٤ — وجد الوالي كسبيوس فادوس[١] البلاد في حالة من الفوضى لا تطاق : الامن مسلوب والمجاعة سائدة والفتن منتشرة والخلاف مستحكم بين الشعب والحكومة .

وحدثت ، على عهده ، وقائع بين اليهود وبين خصومهم العرب والادوميين . فانتصر للعرب . وقبض على اربعة من اليهود . فقتل اثنين ، واراح البلاد من المشاغبين . وبعد ان مكث في الولاية سنتين استقال . فخلفه (طيباريوس اسكندر) ٤٦م Tiberius Alexander . وهو من اليهود المرتدين . وكان اول عمل له انه قتل اثنين من زعماء اليهود لانهما حرضا قومهما على الثورة ضد الرومان بسبب (احصاء اليهود) . وفي ايامه حصلت مجاعة شديدة .

٥ — وفي زمن خلفه (فنتديوس قومانوس) ٤٨م Ventidius Cumanus ثارت اضطرابات داخلية في القدس بسبب بعض كلمات فاه بها[٢] احد جنوده ، وقد عدها اليهود مهينة لمراسمهم الدينية . واتهموا الوالي بانه هو الذي حرض الجندي على قولها . حاول (قومانوس) في بادىء الامر اقناع اليهود بانه لم يحرض الجندي ، وطلب اليهم ان يخلدوا الى السكينة . ولكنهم لم ينصاعوا لاوامره . فاصدر امره الى الجند كي يكونوا على اهبة الاستعداد . فظن اليهود ان الجند سيهاجمونهم ، فهربوا . وداس بعضهم على بعض وهم هاربين في شوارع القدس الضيقة . فمات كثيرون دون ان يضربوا او يصابوا بيد .

وما كادون يفيقون من الم هذه الفوضى حتى وقعوا في افظع منها . اذ هاجم بعض اليهود عبداً من عبيد الامبراطور يدعى (اسطفان) ونهبوا ما بيده . فطالبهم قومانوس بتسليم المجرمين الذين اقترفوا هذا الذنب ، ورد ما اخذوه منه. فرفضوا . ومزق احد الجنود كتاب التوراة علامة التحقير والازدراء . فجاء اليهود الى (قومانوس) وشكوا اليه امرهم قائلين : انهم لا يحتملون عملا كهذا يعدونه تحقيرا لالهتهم . فارضاهم قومانوس في هذه المرة . وقطع رأس الجندي الذي قام بهذا العمل .

وفي عهد قومانوس ايضاً قام شغب بين اليهود والسامريين . اذ كان يهود الجليل يأتون الى الهيكل عن الطريق التي تمر من بلاد السامرة ، وكثيرا ما كان الخصام يتكون بين اليهود والسامريين لهذا السبب . وفي احدى المرات قتل عدد كبير من يهود الجليل . فجاءوا الى قومانوس يشكون . ولكن قومانوس التزم جانب السامريين . وساعدهم ، فتغلبوا على اليهود .

رفع الفريقان ، قومانوس واليهود ، امرهما الى القيصر . فسحب القيصر قومانوس . وحكم عليه بتجريده من رتبته العسكرية .

---

(١) ان المعلومات التي ذكرناها عن هذا الوالي والولاة الذين اتوا من بعده اقتبسنا معظمها عن كتاب انكليزي اسمه :
(Jerusalem, City of Herod & Saladin) by Palmer and W. Besant
ومن (تاريخ سورية) للعلامة المطران يوسف الدبس .

(٢) جاء في (تاريخ سورية) للمطران الدبس ان هذا الجندي كان من حراس الهيكل ، وانه لم يفه بكلام ، وانما كشف عن عورته على مرأى كثيرين من الشعب وبينهم عدد من الكهنة . وصادف ذلك اليوم عيد الفطر . فحسبوا ذلك اهانة لهم .

٦ – بعـــد قومـــانوس تولى الادارة (قلوديوس فيلكس Claudius Felix ، اخو بالاس Pallas صديق الامبراطور الحميم .

كان فيلكس رجلا ضخم الجثة ، عديم المبدأ . وكان مبذرا ومحبا للفخفخة والظهور . وكانت البلاد عند مجيئه في حالة من الفوضى لا تطاق . مليئة بالزعماء الطماعين : دينهم النهب والسلب وقطع الطرق . وكان احد هؤلاء الزعماء يهوديا من يهود مصر . فوصل من الجرأة الى درجة انه جمع من حوله عددا كبيراً من بني قومه . وصعد الى جبل الزيتون زاعما انه يستطيع بكلمة واحدة ان يدك اسوار المدينة ، فيدخلها هو وقومه دخول الظافرين . فاتاهم فيلكس بجنده ، فشتت شملهم وقتل منهم اربعماية شخص . وفي زمن فيلكس هذا قامت خصومات شديدة بين الشعب اليهودي وبين كبار الحاخاميين . فـــلم يكتف هؤلاء بان يسلق بعضهم بعضا بالكلام القارص، بل راح بعضهم يرجم البعض الآخر بالحجارة . وقـد حدثنـا المؤرخون الذين قصوا علينا قصة هـــذا الخلاف ان كبار الحاخاميين وصلوا من النفوذ الى درجة انهم نهبوا البيادر وخصوا انفسهم بجميع الاعشار التي حصلوها . فسببوا بذلك موت الفقراء من الحاخاميين جوعاً .

وفي عهد فيلكس ايضاً حدث اول اضطراب في قيسارية . كانت هـــذه المدينة منشطرة الى شطرين متساويين : الســوريون واليهود . وكان السوريون يدعون التفوق على الآخرين ، بحجـة ان هيرودس مؤسس المدينة وان كان هو بنفسه يهوديا الا انه هو الذي بنى الهياكل والتماثيل التي فيها والتي يقصد منها جعل المدينة سورية في نفس المكان الذي كان يقوم عليه برج ستراتو

واما اليهود فانهم ادعوا ان المدينة ، يهودية لان بانيها يهودي ، ويجب ان لا يحكمها الا اليهود .

واستعمل الفريقان ، من اجـل دعم حقوقهما ، السلاح . وكان لدى اليهود من السلاح احسنه . وتدخل فيلكس بين الفريقين بجنـــده وسلاحه . وارجع السكينة الى نصابها . ثم سمح لكلا الفريقين بان يرسلوا ممثلين لينوبوا عنهم في عرض قضيتهم على الامبراطور . وكان حـكم الامبرطور في صـالح السوريين وبالاحرى اليونان . فثـار اليهود لهـذا الحكم كعادتهم عندما يكون القرار في غير صالحهم .

٧ – بعدفيلكس تولى الادارة (فستوس) ٦٠م. كان رجلاً حازماً فتمكن من السيطرة على اليهود الثائرين . ومن التدابير التي اتخذت على عهده ان نيرون الملك امر رئيس الكهنة وخازن الهيكل اليهوديين بالبقاء في روما رهينة ليخلص اليهود في الطاعة له . ولكن حكم فستوس لم يدم طويلا . اذ اصابه مرض بعد حين ، ومات به ٦١ م .

٨ – بعـــد فستوس اقام نيرون (البينوس). ذكره المؤرخ يوسيفوس في تاريخه فقال: « انه لا يوجد نوع من انواع الذنوب والآثام الا وكان له دخل فيه.. انه لم يكتف بنهب النـاس وسرقة اموالهم وفرض الضرائب الباهظة عليهم ، ولكنه كان يطلق سراح المجرمين الذين كانوا في السجون تلقاء مبالـغ معينة فرضها عليهم . حتى انه لم يبق في السجن الا الاشخاص الذين لم يستطيعوا ان يعطوه شيئا . . » . فانتشرت الفوضى وعمت البلوى .

ولكن بالمر الذي يشير الى ما قاله يوسيفوس عن البينوس يحذر القراء من اخذ كلامه على علاته ، اذ ان يوسيفوس يهودي . ومن مصلحته ان يبرر عمل قومه يوم ثاروا . فكأنه يريـــد ان يثبت للملأ ان

اليهود ما كانوا ليثوروا لولا ظلم الحاكم الروماني . اذ ان يوسيفوس نفسه ذكر في مكان آخر من كتابه ان البينوس كان يرمي الى نشر الامن والسكينة والطمانينة في البلاد .

وقد كان من سؤ حظ البينوس انه صادق الحاخام الاكبر (حنان) .ولما اختطف الفوضويون من اليهود العازر ابن الحاخام الاكبر حنان ، وافق على اطلاق سراح عشرة من الاسرى المسجونين لديه كفدية تلقاء خلاصه . واتبعت هذه الطريقه في كثير من الحوادث المماثلة حتى اخليت السجون كلها . فلم يبق فيها سجين .

ولقد تم ترميم الهيكل في هذه الايام (٦٤م) . فوجد ثمانية عشر الفا من العمال الذين اشتغلوا في بنائه انفسهم من غير عمل . فانضم هؤلاء الى المساجين الذين اطلق سراحهم . فامتلات شوارع القدس بالعمال العاطلين والعصابات المسلحة واتباع الحاخامين المعزولين .

فاستخدم البينوس العدد الكبير من هؤلاء العمال العاطلين في رصف شوارع المدينة بالحجارة .

٩ — بعد البينوى تولى الادارة (جيسيوس فلورس Gessius Florus) ٦٥ م . ويظهر ان القدس كانت يومئذ تابعة لسورية . وانه كان في سورية وال روماني يدعى (كيستيوس غالوس Cestius Gallus) . وان هذا جاء الى القدس في عيد الفصح ٦٦ م وامر بتعداد الجديان Lambs الذين ذبحوا على سبيل التضحية . فكان عددهم ٢٥٥٫٦٠٠ ومعنى ذلك انه كان يومئذ في القدس وضواحيها عدد كبير من الناس ؛ منهم من كان في المدينة قبلا ، ومنهم من جاء اليها في ايام العيد ولاجل قضاء العيد فقط .

ليس بصحيح ما قيل عن (فلورس) من انه كان يرمي الى سوق اليهود الى الثورة . كلا . ولكنه كان يرمي الى جمع ثروة لنفسه باسرع ما يكون من الوقت . إذ انه كان يعتقد ان الثورة ان آجلا او عاجلا لا محالة واقعة . ولا مفر منها . ولذلك فكر في ادخار مبلغ من المال يكفي لمعيشته فيما اذا اقيل من عمله ، او نفي . ولم تكن الثورة من مصلحته .

الاضطرابات الاولى حدثت في قيسارية (سنة ٦٦ م) . إذ كان اليونان من يوم الى آخر يزدادون جرأة على اليهود ، ويحقرونهم .

كان لليهود كنيس . وكان امام هذا الكنيس . ساحة ارادوا ان يشتروها ليضيفوها الى كنيسهم ولكن صاحب العرصة وهو وثني رفض بيعها . وبنى فوقها عددا من الحوانيت الصغيرة . ولم يترك لليهود الا مدخلا ضيقاً الى كنيسهم . فذهب واحد منهم يدعى (جون) وشكا الى فلوروس امرهم . وطلب منه ان يتدخل في الامر . وعرض عليه في نفس الوقت رشوة قدرها ثمانية تالنت . وهذا مبلغ كبير .

ترك فلوروس اليهود واليونان يقتتلون من اجل الممر المؤدي الى كنيس قيسارية . فاستعمل الفريقان السلاح . وغلب اليهود على امرهم . فانسحبوا من المدينة الى مكان يبعد عنها عدة اميال . وارسلوا (جون) الى الحاكم فلورس وقد كان يومئذ في السامرة طالبين منه النجدة . ظن جون انه سينال حظوة عند فلورس بسبب الرشوة التي كان قدمها له . ولكنه ، على العكس من ذلك ، القى القبض عليه وزجه في السجن .

بعدئذ سافر فلورس الى القدس حيث كانت فكرة الثورة قد انتشرت . ولما رأى ذلك ثارت

براكين غضبه . فارسل الى اليهود رسلا يحذرونهم عاقبة الامر . ولكن اليهود التجأوا الى الهيكل . واخذوا ينادون القيصر (كأنه يسمعهم) . طالبين منه انقاذهم من فلورس . وراح بعضهم يحمل السلال في ايديهم، ويدورون على المنازل يستجدون الدراهم من اجل فلوروس، كأنه رجل بائس ومسكين وفي حاجة الى المال . . .

وفي اليوم التالي جاء الخبر بأن فلورس يتقدم مع جنده نحو المدينة . فارادوا ان يقابلوه وان يستعطفوا خاطره . ولكن فلورس لم يكن في حالة تمكنه من قبول رسلهم . فارسل اليهم ضابطاً من ضباطه يدعى (كابيتو) ومعه خمسون فارساً امرهم بترك النفاق والرجوع الى حيث كانوا .

دخل فلورس المدينة ممتطيا ظهر جواده . فاخذ السكان ينظرون اليه، ويتسائلون عما سيفعله ؟ فنصب في اليوم التالي محكمته على ابواب قصره . واستحضر كبير الحاخامين فطلب منه ان يسلمه الاشخاص الذين قادوا الثورة . فانكر كبير الحاخامين اية معرفة له بقادة الثورة ، وطلب منه ان لا يعاقب المدينة كلها من اجل خطأ اقترفه عدد من الشباب المتهوسين . ثم اعتذر لفلورس عما جرى وطلب منه الرحمة .

ولكن فلورس بدلا من ان يجيبه الى طلبه ، امر جنده بنهب المدينة (٦٦ م .) ونهب سوقها الكائن في القسم الاعلى من المدينة . فنهبوه، وسلبوا كل ما وقعت عليه ايديهم ، وقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً[1] عندئذ جاءته فيرونيكي (برنيكة) اخت اغريبا ضارعة . ووقفت امامه حاسرة الراس حافية القدم طالبة الرحمة . ولكن فلورس ، الحاكم الروماني الذي لا يعرف اللين رفض طلبها ، وحض جنده على المضي في النهب والسلب والقتل .

وفي اليوم التالي نادى فلورس اليه كبير الحاخامين مرة اخرى . وطلب منه اثباتا لاخلاص الشعب وندمهم على ما بدا منهم من عصيان ، ان يخرجوا لملاقاة كوكبتين من الجنود الرومانيين كانتا على وشك دخول المدينة ، وان يبدوا سرورهم . ففريق منهم رضي ، وفريق اخر رفض هذا التكليف . ثم عادوا ، فانصاعوا لنصائح الحاخامين . وهرعوا لاستقبال الجنود القادمين . ولكنهم ما لبثوا حتى اخذ بعضهم يسب فلورس . فداسهم الفرسان بخيولهم . وحدث على اثر ذلك اضطراب عظيم عند ابواب المدينة .

دخل الجند . وساروا نحو حصن انطونيا ، قاصدين وضع ايديهم على القلعة والهيكل معا . ولما دخلوا الحصن كان اليهود قد هدموا قسماً من المعبر الارضي الذي كان يربط الحصن بالهيكل . فاراد فلورس ان يعمر ما هدمه اليهود . ولكنه لم يستطع لكثرة اليهود الذين كانوا في الشوارع . فرجع الى قيسارية في اليوم التالي . تاركا ورائه كوكبة واحدة من الجند . وظلت المدينة في غليان وهياج .

بعث اليهود بشكواهم الى كيستيوس غالوس Gestius Gallus وطلبوا التحقيق . وكذلك فعل فلورس فارسل . هذا مفتشا للتحقيق يدعى نيابوليتانوس Neapolitanus . والتحق به ، عند اقترابه من القدس ، اغريبا . فخرج اليهود لاستقبالها من مسافة بعيدة . خرجوا يبكون ويتظلمون كعادتهم . وطلبوا من اغريبا ان يؤازرهم كي يتخلصوا من بلواهم ، ومن نيابوليتانوس ان ينقذهم من فلورس وظلمه . واخذوه وفرجوه على جميع احياء المدينة . وارادا ان يبرهنوا له على ان المدينة هادئة ، وان السكان ثاروا ضد فلورس ولم يثوروا ضد الرومان . ثم ذهب نيابوليتانوس الى

---

[1] جاء في (تاريخ سورية) للدبس ج٢ ص ٣٣٩ ان عدد القتلى بلغ يومئذ ٣٦٠٠ قتيلا .

الهيكل ليقـدم الضحايا التي كان يسمح للاجانب بتقديمهـا ، واشاد بذكر اليهود واخـلاصهم للامبراطورية ورجع الى كيستيوس .

واما اغريبا فقد نصـح اليهود بان يفكروا في مصلحتهم ، وان لا يستهينوا بقوة الرومان، وان لا يسببوا لانفسهم ولامتهم الخراب بسبب نزاع بسيط مع احد الحكام . وفيما كان يحدثهم كانت الدمـوع تتساقط من عينيه . وكانت برنيـكة اخت اغريبا تساعده في دفاعه .

رضخ اليهود لنصائح اغريبا ، وعبرات اختـه فيرونيكي ؛فركنوا الى الهدوء،ودفعوا الى الخزينة ما عليهم من ضريبة ، وعمروا الخراب الذي احدثوه في حصن انطونيا . ورجعت المياه الى مجاريها .

ولكن كان عليهم ان يطيعوا فلورس ما دام في دست الادارة حتى يقال من منصبه . فرفضوا ذلك . ولما اصر عليهم اغريبا بهذا الشرط، رجموه بالحجارة ، وسبوه وشتموه باقبح السباب والشتم .

فغادر اغريبا المدينة هو واخته . وتركا المدينة تنعى سوء طالعها .

فبدأ العصيان من جديـد . وكان البادىء في القدس اليعازر بن حنانيا الحاخام الاكبر . اذ منع العادة التي كانت متبعة من حيث تقديم الضحايا في الهيكل من لدن الاجانب . ومنع تقديم الهـدايا الملوكية . حاولت العناصر المعتدلة تهدئة الامن . ولكن دون جدوى . وامد اغريبا المعتدلين بقوة من عنده ، قوامها ثلاثة آلاف رجل . ولكن دون جدوى . ضبط الثوار الهيكل . وبقي المعتدلون والاغنياء في القسم العلوي من المدينـة . وبدأ الخصام بين الفريقين،وقد استمر سبعة ايام . حرق الثوار جميع الاضبارات والسجلات التي فيها الديون .

فخسر الاغنياء . وبرز في الميـدان زعيم جديد هو (مناحيم) الابن الاصغر ليهوذا الجليلي . فجاء هذا مرتديا ثيابا ملكية ومحاطا بحاشية من الجند ، كأنه يريد ان يقلد المكابيين ، وسمى نفسه ملكاً .

احتل الثوار قلعـة انطونيا والقصر الملكي واخرجوا الجند الروماني من المدينة .

وقتل الحاخام الاكبر حنانيا الذي وجد مختبئا في دهليز . فانتفخ مناحيم بالنصر الذي ناله بدرجة انـه اصبح لا يطاق . وكان بالامكان التخلص من هذا الملك المفقوع . . الذي خلع من قبـل رئيس الكهنة اليعازر . . وعُذب حتى مات . وسلم قائد الجند الروماني نفسه مشترطا انقاذ جنده . فسمح له بذلك . ولكنهم ما كادوا يلقون اسلحتهم حتى هاجمهم اليهود وقتلوهم كلهم الا ميتليوس فقد ابقوا على حيـاته شريطـة ان يتهـود (٦٦ م) . ولم يبق في اورشليم روماني واحد .

في نفس اليوم والساعة التي كان اليهود يغمس فيها خناجرهم في صدور الرومان بالقدس ، قامت مذبحة كبيرة ضدهم في قيسارية . حيث ثار السوريون واليونانيون ضدهم ، وذبحوا منهم عشرين الفا في يوم واحد . وقـد جرى نفس الشيء في كل مدينة سورية . وذبح اكثر اليهود في جميع هـذه المدن[١] فما كان ثمة لزوم لاية اسباب خصوصية لاثارة الشعور . ولا كان ثمة امكان لذلك . ذلك لان اليهود قوم ميـالون للاضطراب ، وفيهم قسوة وعناد ، وهم متعصبون ، ومغرورون . ولذلك كانت الحرب ضدهم لا بد منها ، وكان مصيرهم هذا لا مفر منه . (B. & palmer) قادتهم ما كانوا راغبين في

(١) جاء في (تاريخ سورية) المطران الدبس انه قتل يومئـذ في بيسان ثلاثة عشر الفاً من اليهود . وفي عسقلان الفان . وفي عكا الفان . وهكذا قل عن المدن الاخرى .

القتال . ولكن الجماهير كانت متحمسة للقتال . وازدادوا حماسا عندما نجحوا في اخراج الوالي الروماني كيستيوس خارج اسوار المدينة.

١٠ — عندما غلب كيستيوس على امره وطرد الى خارج المدينة ، اسرع نحو الجنوب مع جيش قوامه عشرون الف رجل . وعاد فاحتل المدينة .

عندما عاد كيستيوس لحصار القدس انقسم اليهود الى قسمين : قسم اراد ان يفتح ابواب المدينة الى الرومان ، وقسم ابى . وفيما كانوا يتجادلون اتتهم الاخبار برفع الحصار فجأة ، وانسحاب الجند لسبب لا يزال مجهولا حتى يومنا هذا .

وفيما كان الجند الرومانيون يتراجعون ، اخذ عدد كبير من اليهود يرمونهم بالاقذار والحجارة والسباب والشتائم . فانقلب الانسحاب الى هزيمة . ولما رجع كيستيوس بجيشه كان — على قول يوسيفوس — ربعه قد قتل . وساءت سمعة الجيش الروماني الى درجة لم يُسمع بمثلها من قبل .

١١ — ثار ثائر الامبراطور (نيرون) الطاغية. فارسل اليهم قائده فلافيوس فسباسيان[١] Vespasian ارسله على وجه السرعة لاطفاء الثورة . وامده بجيش مؤلف من ثلاثة فيالق (٦٠٠٠٠ مقاتل) . هذا عدا عن كتائب المتطوعين . جيش كامل العدة والعدد لم يجهز الرومان مثله من قبل . فحارب هذا الجيش اليهود في بلاد الجليل. وكان يرأسهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير. وانتصر عليهم . وباع الاسرى الذين اسرهم بيع العبيد (٦٧ م) . ولكن . انقضت شهور قبل ان يصل فسباسيان الى القدس .

(١) سماه ابن العبري في تاريخ (مختصر الدول) ص ١١٦ اسفسيانوس .

وبينما كان فسباسيان يقترب من اورشليم ، ويتأهب لفتحها ؛ كان اليهود[١] يعملون بقيادة (حنانيا) رئيس الكهنة . وقد عمر هذا الاسوار ورصفها . ودخلها في نفس الوقت (يوحنان الخارجي[٢]) فوضع يده على الاموال كلها . فثار ثائر اليهود ، وتمنوا ان لو يأخذ الرومان المدينة ليستريحوا من شره. وقامت حرب داخلية بين حنانيا الكاهن ويوحنان الخارجي. واستمد يوحنان العون من الادوميين (عرب). فاتته نجدة قوامها عشرون الف رجل ، مدججين بالسلاح . فدخل هؤلاء المدينة وكان الهواء يوم دخولهم ماطراً . وقتل جماعة يوحنان بمساعدة الادوميين نحو خمسة آلاف رجل من سكان اورشليم.

ثم ظهر خارجي آخر يسمى (سمعان بن جيورا). وكان معه عشرون الف رجل فاخذ يحارب اورشليم من الخارج .ويوحنان يحاربها من الداخل. وحدثت على اثر ذلك فتن وحروب طويلة ، اصاب اورشليم بسببها ضنك عظيم . فانتحر عدد كبير من اليهود بالقائهم انفسهم من على الاسوار . ولما اسفر النهار وجدوا على الطرق وفي الاسواق ثمانية آلاف وخمسمئة جثة مجندلة (شباط ٦٨ م) .

١٢ — في هذه الاثناء اضطر فسباسيان الى العودة الى روما ، ليتولى عرش الامبراطورية الذي شغر بموت نيرون الذي حطته الندوة عن اريكة الملك فانتحر (٦٨ م) . فتولى قيادة الجيش من بعده ابنه تيطس[٣] .

(١) سركيس ١١٩ .
(٢) ويسمونه « يوحنا الحبشي » .
(٣) سماه مجير الدين « طيطوس » وكذلك ورد اسمه في « تاريخ سورية » للمطران الدبس وفي مختصر الدول لابن العبري ص ١١٧ وذكره ابن خلدون والمعزيزي « طيطش » ومعناها « المحترم » تسنم عرش الامبراطورية من سنة ٧٩ الى ٨١ ب.م .

ولقد استولى الرعب على أفئدة اليهود قبل ان يصل تيطس ، الى درجة ان قسماً كبيراً منهم مات خوفاً وجزعا . ووصل الخوف والجزع بالحاخامين الى درجة انهم شعروا ، وهم في كنائسهم يعبدون الله ، ان الارض تحت اقدامهم قد زلزل زلزالها .

وفيما كان تيطس يحشدرجاله لمهاجمة المدينة كان جون يستعد لمهاجمة رجال العازر في الهيكل . وقد هاجمهم فعـلاً ، ودخل الى صميم الهيكل ، وذبح عدداً كبيرا من المعارضين . ومن تبقى منهـم انضم اليه . وبهذه الحركة قضى على شيعة العازر . فبقي في المدينة حزبان : حزب جون « في قلعة الهيكل التي عليها المعول في صيانة القسم السفلي من المدينة » ، وحزب سيمون « في قصر هـيرودس المسيطر على القسم العلوي منها » .

١٣ — وفيما كان الفريقان يقتتلان ، ظهر تيطس أمام اسوار المدينة ، ومعه جيش جرار . جاء معتزماً ان يدكها دكا ، وان يجعل عاليها سافلها . وكان ذلك سنة ٧٠ للميلاد (١١ ابريل[1]) .

١٤ — كان جيش تيطس مؤلفاً من اربعة فيالق :

(أ) الفيلق الخامس بقيادة (سيكستوس سيرياليس (Sextus Cerealis

(ب) والفيلق العاشر بقيادة (لارتيوس ليبيدوس (Lartius Lepidus

(ج) والفيلق الثاني عشر ، وهـو الذي غلب على أمـره يوم كان بقيـادة (كيستيوس (Cestius

(د) والفيـلق الخـامس عشر المرافق للقائد العـام تيطـس .

قدر عدد الجنود النظاميين في هـذه الفيالق بثلاثين الفاً . فاذا اضيف اليهم عـدد الخـدام والمتطوعين ، بلغ مجموع الحملة ثمانين الفـاً . وكان في عداد هذه الحملة فرقة كاملة العـدد من متطوعي الانباط وهم عرب .

١٥ — نصب تيطس مخيمه في شمال المدينة على جبل سكوبس وعلى بعد الف وثلاثمئة متر من السور[1] ومعه الفيلق الخامس عشر . واقام الفيلق العاشر على جبل الزيتون . ثم وضع الفيلق الخامس غربي المدينة تجاه برجي هيبيكوس وفصايل عند الباب المعروف بباب الخليل . ووضع الفيلق الثاني عشر في الموضع الذي نسميه اليـوم بالمسكوبية . وقصارى القـول احاط بالمدينـة احاطة السوار بالمعصم من الشرق والشمال والغرب .

الآلات التي استعملها الرومان في حصارهم هي التي اعتادوا استعمالها في مثـل هـذه الحالات : الابراج المتحركة والمقاليع ومـا الى ذلك من ادوات قتال . ولاجل بناء البروج وادوات الحصار قطـع الرومـان جميع الاشجار التي كانت حول المدينة[2] . لم تغرس اشجار جديدة مكان هذه الاشجار التي قطعت خلال القرون العشرة التي اعقبت هذا الحصار ، حتى ان الصليبيين عندما حاصروا المدينة لم يجدوا ما يحتاجون اليه من خشب .

١٦ — انقضت الايام الاربعـة الاولى للحصار بتنظيف الارض شمـال المدينـة ، وتهيئة وسـائل الهجوم من تلك الناحية . لانها الناحية الوحيدة التي اقامهـا السكان حول الحدائق والبساتين ، وقطعوا

(1) See Vol. i, P. 478 of the (Journal) Holy City, by Williams.

(١) (تاريخ سورية) للمطران الدبس . ج ٢ ج ٣ ص ٣٦٥

(٢) لبناء الابراج اللازمة للهجوم .

الاشجار المثمرة (يوسيفوس) التي كانت بين هذه البساتين وبين سور المدينة . وعلى قول انهم قطعوا جميع الاشجار التي كانت في شمال المدينة وغربها لئلا تعيق حركاتهم الحربية .

وصادف ان حل عيد الفصح، فهرعت الجموع من يهود و آدوميين الى الهيكل يتعبدون . وما كانوا يصدقون ان الهيكل ايضاً معرض لخطر السقوط في ايدي الاعداء . لا ، بل كانوا يعتقدون بان الاله يشوعاً سينقذهم مما هم فيه . ويقول تاكتيوس ان عدد الجماهير التي احتشدت في منطقة الهيكل يومئذ يقدر بستماية الف انسان . واما يوسيفوس فانه قدرهم بضعفي هذا العدد او يزيد . واما الذين اشتركوا بالقتال فعلاً فقد قدر يوسيفوس عددهم بثلاثة وعشرين الفاً .

وفي خلال المعارك المحلية التي قامت بينها هدم قسم كبير من المنازل وحرق القسم الآخر. وحرقت معها الحبوب التي كانت مدخرة فيها . ولهذا ذر قرن المجاعة في المدينة قبل ان يبدأ الحصار .

١٧ — كان للقدس يومئذ ثلاثة حصون : حصن هيرودس (باب الخليل) وحصن انطونيا (شمال الحرم) وحصن الهيكل .

وكانت المدينة نفسها تعج بالسكان[١] الذين ينتمون الى مختلف الاحزاب . اما العازر واتباعه الموجودون في منطقة الهيكل، فقد كان لديهم كميات كبيرة من الذخائر والمؤن ؛ واما خصومهم الذين كانوا في خارج الهيكل ، فلم يكن لديهم شيء من ذلك . وكانوا يتضورون جوعاً .

١٨ — ويقول يوسيفوس الذي كان يرافق تيطس وقد اشار الى هذه الحادثة في كتابه ان المدينة كانت في تلك الايام كالجسم الكبير المؤلف من اعضاء مشلولة. وكان البؤس مخيماً على الكهول من الرجال والعجائز من النساء . ووصل بهم البؤس والجوع الى درجة انهم اصبحوا يتمنون مجيء الرومانيين . وما كان يجدي بالمقاتلين من ابناء الشعب اي نصح كي يصطلحوا ويعملوا بيد واحدة على تخليص مابقي في ايديهم . وما كان ثمة اي امل في الوصول الى اي تفاهم بين الفريقين . وقد خيم الرعب والشقاء على المدينة من كل جانب .

١٩ — قبل ان يشرع تيطس في الحصار نصح الى السكان ان يفتحوا له الابواب. ولم يغرض لذلك شرطاً سوى الخضوع للسلطة الرومانية ودفع الخراج. فابوا . عندئذ شرع في القتال .

٢٠ — استولى الرعب على اليهود. ولاسيما عندما شرع الرومان يضربونهم بالحجارة وبالآلات التي اعدوها للحصار . وحاولوا الخروج من باب سري . قاصدين تخريب آلات الحصار بالنار . وحاربوا بجرأة ويأس . واشترك تيطس بنفسه في هذه المعركة . وقتل بيده اثني عشر يهودياً . وكاد اليهود يتغلبون على الرومان . لولا ان جاء الرومان مدد من الاسكندريه في آخر لحظة . فانتصروا على اليهود .

وفي اليوم الخامس عشر من ايام الحصار تمكن الرومان من اختراق جانب من القسم الخارجي للسور . ففر اليهود . وتخلوا عن شجاعتهم. ولجأوا الى داخل السور الثاني. فاستولى تيطس على بيزاتا[١] التي كانت تؤلف ثلث المدينة (٧ ايار سنة ٧٠ م).

٢١ — كان السور الثاني يمتد بين قصر هيرودس ومنطقة الهيكل قاطعاً وادي تيروبين (حارة

(١) قال يوسيفوس انه كان فيها يومئذمليون نسمة . واما المؤرخ الروماني Tactius تأسترفانه يقول انه كان فيها ستمئةالف نسمةفقط.

(١) حارة باب حطه وباب العمود في الوقت الحاضر .

الواد) . ذلك الوادي الذي امتلأ ، قبل الحرب الاهلية بين‌جون وسيمون ، بمنازل طبقة العوام من الشعب. وكان هذا الحي اكثر احياءالمدينة ازدحاماً بالسكان . والسور الذي كان يحميه لم‌يكن من القوة بدرجة التحصينات الاخرى . حتى ان الرومان تمكنوا في بحر خمسة ايام من‌اختراقه. فدخلوا المدينة وعلى رأسهم تيطس .

٢٢ — امر تيطس بعدم تخريب البيوت،وعدم النهب والسلب ، وعدم الاعتداء على السكان .فعل ذلك على امل ان يحدث تفرقة بين الجند والسكان. ولكن اليهودظنوا ذلك ضعفاًمنه .فراحوا يهاجمون الرومان في الشواع من المنازل والاسوار . وظلوا كذلك حتى تمكنوا من اخراجهم من الاماكن التي احتلوها في داخل المدينة . واستولوا على السور من جديد .

دامت المعركة اربعة ايام اخرى عندما دخل تيطس‌مرة اخرى، وهدم جميع القسم الشمالي من السور ، واستولى على القسم السفلي من المدينة .

٢٣ — استعرض تيطس جيشه امام اسوار المدينة ، وعلى‌مرأى‌من اليهود المحصورين فيها. ودام الاستعراض اربعة ايام كان الجيش الروماني خلالها يمر من امام المدينة بمشاته وفرسانه ،كلهم مرتدين بذاتهم العسكرية ومسلحين بالات عدد حربية كاملة . فامتلأت قلوب اليهود رعباً عندما رأوا هذا العدد من الجند ،وهذه الاسلحة الكاملة ، وهذا النظام البديع في السير وفي اتباع الاوامر .

٢٤ — خاف اليهود . ولكنهم لم يستسلموا . ما كان لهم اي امل . وكان يموت منهم في كل يوم آلاف كثيرة . وكانوا يلقون بجثث الموتى من على الاسوار الى الوديان . وكان الجنود يروحون ويغدون‌في شوارع‌المدينة ، باحثين عن غذاء يقتاتون به . ويا ويل الذي يعثرون عليه وفي يده اكل ، او على وجهه علامة الشبع . فقد كانوا يعذبونه حتى يعترف لهم اين يوجد ما يأكلون . اضاعوا كل امل في الهرب والنجاة (يوسيفوس) . وكانت ازقة المدينة مليئة بجثث الاموات من الشيوخ والعجز . والمنازل مليئة بالنساء والاطفال الذين كانوا يعالجون‌سكرات الموت من الجوع.وكثيرون منهم ماتوا ،بينما كانوا يحاولون دفن من سبقهم من الاموات .

٢٥ — وعندما اشتد الخطر ، المجاعة في الداخل والعدو في الخارج ، اتحد الاثنان : يوحنا وشمعون. وكان تيطس‌منهمكاً في تشييد ابراجه، ليهاجم منها الهيكل (وقد قضى في تهيئةذلك سبعة عشريوماً). فبنى منها في باديء الامر اربعة . ولكن اليهود تمكنوا من حرقها . فانسحب الرومان الى الوراء .

٢٦ — عقد تيطس مجلساً ليستشيره : ماذا يجب ان يصنع ؟ فتقرر ، بناء على اشارته ، اقامة سور A wall of Circumvallation حول المدينة وحصار كامل ، وقطع كل اتصال بين القدس‌والمدن الاخرى ، ولم يحاول اليهودعرقلة الاعمال‌التي قام بها الرومان في هذا السبيل (اذ كانوا ضعافاً للغاية) ولم يسمح لاحد بالوصول الى السور .

فاشتدت النكبة على اليهود . وزاد عدد الذين ماتوا منهم جوعاً .

ويقال ان تيطس نفسه ، رغم انه قوي الارادة ورغم تصميمه على الظفر مهما كلفه الامر ، اخذته الشفقة ؟ فراح يبكي ، ويشهد الله على انه لم يكن السبب في ما جرى . .

٢٧ — لم يفكر اليهود بالاستسلام . وعندما راح

واحد منهم يدعى (مانيا) يخابر الرومان من اجل الاستسلام، اكتشفوا امره؛ فقتلوه وثلاثة من اولاده.

وكذلك جرى لآخر منهم يدعى(يودا) ، ابن احد القواد الذي كان مسؤولا عن القسم العلوي من المدينة . فقد اتفق هذا مع عشرة من رجاله ، وارسل الى الرومان رسولا يدعوهم للمجيء واستلام القلعة .

ولكن تيطس لم ينخدع. وخشي ان يكون اليهود قد نصبوا له مكيدة جديدة . وعندما اكتشفت هذه المؤامرة قتل يودا ورجاله العشرة ، والقيت جثثهم من على الاسوار بين ارجل الرومانيين .

وفي تلك الآونة من الحصار جرح يوسيفوس المؤرخ المشهور . جرح بحجر اصابه في رأسه . وقد كان اليهود المحصورون يكرهونه اكثر من كرههم لأي انسان آخر . ولما كان يحرض قومه على الاستسلام ،فقد كانوا يعدونه خارجاً عليهم .

٢٨ – نصح يوسيفوس قومه بالاستسلام . فتبعه فريق منهم ، وخرجوا يريدون تسليم انفسهم الى الرومان . ولكنهم صادفوا طالعاً سيئاً . اذ كان قد اشيع عنهم ؛ انهم قبل خروجهم من المدينة ابتلعوا الذهب الذي كانوا يملكونه . فقتلهم المتطوعون من العرب والسوريين الذين كانوا في الجيش الروماني ،ليعثروا على الذهب الذي في بطونهم. فجزع اليهود الذين في داخل المدينة ، وعدلوا عن التسليم .

وكانت المجاعة تزداد كل يوم عن يوم . وكان عدد الاموات كل يوم في ازدياد . واكل الناس الكلاب والجرذان والحشرات . ولم يعد للفضة قيمة . وذبحت امرأة اسمها (مرباند) ابنها وأكلت لحمه . وانتشر الوبأ .

حتى ان أحد حراس الابواب المسؤولين عن حفظ سجل الاموات ، قال : ليوسيفوس انه مرمن بابه منذ بدء الحصار ١١٥،٨٨٠ ميتاً . ويقدر يوسيفوس ، نقلاً عن الكثيرين من المؤرخين الذين يثق بهم ، عدد الاموات منذ بدء الحصار بستماية الف .

٢٩ – ثابر تيطس على تشديد الخناق على اليهود،وظل يرمي السور بالمنجنيق وادوات الحصار. ويحفر الخنادق تحت السور حتى تمكن من قلقلة اساسه وهدمه . وظل يفعل ذلك حتى سقط السور .ولكن بالدهشته ماشدها عندما رأى تيطس ان اليهود كانوا قد بنوا وراء هذا السور الذي تهدم سوراً جديداً. وراح اليهود من فوقه يدافعون .

٣٠ – وعد تيطس بمكافأة عالية كل من يسبق الآخرين في تسلق السور . فحاول روماني يدعى (سابنيوس) مع احد عشر رجلاً آخرين تسلق السور . ولكنه قتل من لدن اليهود . وكذلك رفاقه. فمنهم من قتل، ومنهم من جرح. ولكن الرومان عادوا فتغلبوا . فاحتلوا قبل كل شيء قلعة انطونيا وساروا نحو الهيكل . فأخذ اليهود يسلمون انفسهم الى الرومان زرافات ووحدانا ، طالبين الرحمة من تيطس. فتلقاهم تيطس باللطف ، وارسلهم الى جفنة.

٣١ – قيل ان جندياً رومانياً[١] احرق الهيكل دون امر من تيطس . رفعه جندي آخر على اكتافه والقي بالنار من نافذة من نوافذ الهيكل الشمالية . حاول اليهود اطفاءها . ولكنهم دون جدوى . وتيطس نفسه مع اركان حربه اسرع لينقذ ما يمكن انقاذه . ولكنه جاء متأخراً . إذ سقط الهيكل الى الحضيض (١٠ آب سنة ٧٠ م) .

(١) قيل انه كان يعرف ان تيطس لا يريد ان يحرق الهكل ولكنه خالف امر قائده .

٣٢ – قتـــل عشرة آلاف شخص في مكان الهيكل . بينهم اطفال وشيوخ ، وحاخاميون . وهرب ستة آلاف الى القصر الملكي . ذلك البناء الفخم الذي كان يتوج جدار الهيكل من الناحية الجنوبية ويمتد حتى وادي قدرون شرقاً . ولكن الرومانيين اطلقوا النار على هـــذا القصر ايضاً . ومات الفـــارون . ويقول يوسيفوس ان ارض الهيكل كانت تغلي ناراً ودماً . وان عدد المذبوحين كان اكثر من عـدد الذابحـــين . وان الجنود الرومانيين كانوا يدوسون على جثث الموتى أثناء سيرهم . وان اكثر المنازل هدمت او احرقت . ولما دخل تيطس الى منطقة الهيكل استقبل فيه كما تستقبل الملوك .

عندما تم احتلال المدينة من قبل تيطس ، وذبح فيها من ذبح، وحرق ما احرق، واسر من اسر؛ راح يبيع هؤلاء الاسرى كالعبيد : فمنهم من اشـــترى ليحارب مع الرومان؛ ومنهم من القي للوحوش الضارية كي يصارع هذه الوحوش في المسارح، ومنهم من حكم عليه بالاشغال الشاقة في المناجم مدى الحياة .

وراح الرومانيون يبحثون عن اليهود الفارين في الغرف والمخابيء المحفورة تحت الارض. وكانت القدس في تلك الايام مليئة بمثل هذه الغرف والمخـــابيء . وعندما بحثوا عن الكنوز والاموال المخبأة فيها ، وجدوا بعض الناس مختبئين. فحكموا عليهم بالموت. وفي البعض الاخرى عثروا على جثث الموتى .

إلا يوحنا وسمعان ، فانهم لم يعثروا عليهما في باديء الامر، لا بين الاسرى ولا بين الاموات. ولكنهم عثروا عليهما بعد حين. اما جون فقد سلم نفسه بعد احتلال القدس ببضعـة ايام . فسجنه وابقاه سجيناً مدى الحياة . واما سيمون فلم يسلم نفسه الا في اكتوبر . وقد اخـذه معه الى روما . وفي الاستعراض الذي اقامه هناك احتفاء بالنصر قتله .

قدر يوسيفوس عدد من هلك في هـذه الحرب بمـليون ومائة الف نسمة . والذين اخذوا ارقــاء ونقلوا الى روميـة تسعة وتسعون الفــا . والباقون طردوا الى مصر وغيرهــا من البلدان وحقت على اليهود نبؤة ارميا الذي قال : « الذين للموت فالى الموت . والذين للسيف فـــالى السيف . والذين للجوع فـالى الجوع . والذين للسبي فالى السبي ».

٣٣ – قامت افراح الرومان: زينات، وضيافات، وترقيات ، ومكافئات ، وتقسيم منهوبات . ودامت هذه الافراح ثلاثة ايام (١ ايلول ٧٠)

بعدئذ سافر تيطس الى قيصرية . واخـــذ معه الفيلقين: الخامس والخامس عشر . وابقى في القدس الفيلق العاشر بقيادة (ترنتيوس روفوس) لاجل صيانة الامن في المدينة . وارسل الفيلق الثاني عشر الى شواطىء الفرات .

٣٤ – وفي قيسارية اقام تيطس الحفلات الدالة على انتصاره. واستحضر في هذه الاحتفالات وحوشاً ضارية. وارغم كثيرين من اسرى اليهود ان يصارعوها .

(١) اسم هـــذا الجندي (دوميروس) وهو سـوري الجنسية حوراني المولد مسيحي المـــذهب . ولقد تطوع في الجيش الروماني نكاية باليهود اعداء السوريين واعداء الرومان في ذلك الحين . واحرق الهيكل مخالفاً بذلك امر تيطس . وقـــد اشتركت اخته (دوميرا) معه في هذا العمل . وتبعهما عدد من الجنود الاخرين ، لاعتقادهم بان القضـــاء على الهيكل قضاء على الرمز الذي يلتف حوله اليهود .

(٢) من الاتفاقات الغريبة ان الهيكل القديم الذي بناه سليمان الملك دمر على يـــد نبوخذ نصر في مثل هذا اليوم (اي ١٠ آب) من سنة ٥٨٦ ق.م .

(١) لوك وكيث روش ص ٥٦

فظفرت بهم الوحوش ، وافترستهم . وكذلك فعل باليهود في حفلات ومصارعات اخرى .

ثم سافر تيطس الى روما ، مصطحباً معه يوسيفوس. فقوبل فيها بعظيم الاحتفاء كما لو كان ملكاً . فاقيمت على شرفه حفلات. ورفعت اقواس النصر .

٣٥ – سك الرومان ، احتفاء بهذا النصر ، نقودا (٧٩ – ٨١ م) يرى الرائي على وجه القطعة منها صورة تيطس وبيده الصولجان وامامه امرأة يهودية حزينة جالسة على الارض ومتكئة على نخلة ، وعلى الوجه الاخر اسير يهودي مكبل اليدين واقف ينظر الى امرأتين اسيرتين . وفي ذلك اشارة الى سبي اليهود الذي تم على يد تيطس الذي قهرهم وأذلهم .

٣٦ – يقول بالمر وبيزانت اللذان نقلت عنهما وقائع هذه الحرب الضروس ان المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي جرى ما جرى امام سمعه وبصره كان محقاً في زعمه ان اليهود ما كانوا ليبلغوا هذه الدرجة من الذل والمسكنة والتقهقر والانخذال ، لولا انهم كانوا مشاغبين وانانيين وفوضويين ، لا يحبون النظام ولا يطيعون الاوامر .

٣٧ – هجرت القدس هجرا طويلا بعد احتلالها من لدن تيطس. فلم يبق فيها سوى الحامية الرومانية بجنودها وضباطها ، وهم افراد الفرقة العاشرة ؛ وان الداخل من باب الخليل الى المدينة القديمة يرى على يساره تجاه السور بناء كبيرا . وفي الطابق الارضي لهذا البناء وفي وسطه يرى عموداً من رخام نقش عليه اسم هذه الفرقة .

وقد رجع اليها المسيحيون الذين كانوا فيها . واما اليهود فقد حظر عليهم الرجوع اليها . ذلك لان الرومان ايقنوا انهم مصدر القلاقل والفتن التي كانت تشتعل في البلاد ، وان اكثر هذه القلاقل والفتن كانت تنبعث من القدس التي اسموها ، كما اسماها اليونانيون من قبلهم ، «عش الدسائس والفتن» .

٣٨ – لم يضطهد امبراطور الرومان فسباسيان اليهود الذين عاشوا خارج مدينة القدس . اذ اكتفى بما اصابهم من ذل . ولكنه فرض على كل واحد منهم دراخمتين ؛ لا ، من اجل هيكلهم ولكن من أجل بناء هيكل باسم « جوبيتر كابيتالينوس» اي مشترى العاصمة . وقد حصلوها فوراً . وبحث عمال فسباسيان عن كل شخص يمت بالنسب الى الملك داود من اجل القضاء على الاسرة المالكة .

٣٩ – ظل اليهود قابعين في اماكنهم حيث كانوا اربعين عاما . لم يثوروا . لا ، بل ولم يحركوا ساكنا. ولكنهم عادوا الى الشغب في عهد الامبراطور تراجان (١٠٦ – ١١٤ م) . فقد حدثنا التاريخ انهم في روما مثلا كانوا يأتون باعمال من شأنها اغاظة الرومان. فبينما يكون هؤلاء مجتمعين ليحتفلوا بميلاد ولي عهدهم ، كان اليهود يقيمون المناحات . وبينما يكون البلاط الامبراطوري في حداد لموت احدى بنات الاسرة المالكة ، يظهر اليهود اقصى آيات الفرح والسرور : فيضيئون الشموع وينشدون الاغاني والاهازيج. ومن هذا العناد نشأ الاضطهاد الذي وقع عليهم في ذلك العهد .

٤٠ – ففي زمن الاسكندر ذبح اليونان جميع اليهود الذين كانوا فيها ، فقام اليهود الذين في قبرص على اثر ذلك وذبحوا ٢٤٠٠٠٠ من مواطنيهم . في طرابلس الغرب ومصر ايضاً ثار اليهود . كما ثاروا في بلاد ما بين النهرين .

واما في القدس ، وقد تمكن عدد كبير من اليهود من الرجوع اليها بسبب ضعف الحامية فيها ،

فقد ثاروا ايضاً . ولكن ثورتهم هذه أطفئت على الفور من لدن الحاكم الروماني (لوقيوس كويتوس Lucius Quietus)

٤١ – ولما مات تراجان واعتلى على عرش الامبراطورية (ادريانوس[١]) ١١٧ – ١٣٨ م تخلى عن جميع البلاد الواقعة في الشرق وراء نهر الفرات . فعاش اليهود في ما وراء ذلك النهر مع الفرس اصدقائهم وساداتهم الاقدمين .

وقد اعتزم ادريانوس ان يقضي على الشعب اليهودي الذي كان لا يهدأ له بال دون ان يكون السبب في نوع من انواع الشغب والاضطراب . فعين اخا زوجته (اكيلا) والياً على المدينة . وامره باعادة المدينة الى سابق عزها . فحظر هذا على اليهود الاختتان (الطهور) ، وقراءة التوراة ، واحترام السبت . واعتزم – الى ذلك – قلب مدينة القدس الى مستعمرة رومانية .

٤٢ – عندئذ قام بارقوخبا ، ابن الكوكب واضل اليهود . وانتحل لنفسه صفة المسيح المنتظر . وحرض قومه على الثورة . فقامت اضطرابات دموية (١٣٥ ب.م) كانت اشد الثورات التي قام بها اليهود واكثرها دما . ولكنها انتهت بفشل اليهود .

بدت الثورة باشاعات . وسرت الاشاعات بسرعة البرق : «المسيح المنتظر قد جاء ! . تحققت نبؤة (بلغام) ! . . يقود بارقوخبا مئتي الف محارب من اليهود المتدينين ! . »

عندئذ استحضر الوالي الروماني الجديد (تورنوس روفوس Turnus Rufus) الحاخام (عقيبا) اليه وسجنه . واتى به الى المحاكمة . وفيما كانوا يستجوبونه على فعاله ، تذكر الحاخام عقيبا انه حان وقت الصلاة . فقام يصلي دون ان يستأذن القضاة الذين كانوا يستجوبونه . فحكموا بتعذيبه .

اخفى اليهود بادىء ذي بدء غايتهم . كانوا يعرفون المغائر ، والمخابىء ، والممرات تحت الارض ، وطرق المواصلات . وحفروا الدهاليز تحت الارض واوصلوها بعضها ببعض . وحصنوا المواقع القابلة للتحصين . وقد نجحوا في ثورتهم في الايام الاولى من ثورتهم . فاستولوا على عدد كبير من القرى والمواقع المحصنة .

وكان همهم في الدرجة الاولى الاستيلاء على القدس . ولم يكن فيها يومئذ سوى حامية صغيرة . فدخلوها من غير مقاومة تذكر . واعادوا بناء الهيكل .

٤٣ – والحاكم الروماني (تورنوس روفوس) الذي كان لديه عدد قليل من الجنود وان كان استطاع ان يذبح عدداً كبيراً من اليهود الكائنين خارج القدس ، الا انه لم يكن من القوة بحيث يستطيع ان يسيطر على الثائرين في داخل القدس . وكان هؤلاء يزدادون سطوة وبأساً في كل يوم .

٤٤ – فنادى ادريانوس اليه (يوليوس سيفيروس Julius Severus) بوجه السرعة . وجاء هذا بقوة كبيرة . وسار على الخطة التي كان قد رسمها من قبله فسباسيان . فهاجم الامكنة المحصنة الواحد بعد الآخر . ثم احتل القدس . وكسر معنويات الثوار . وذبح بارقوخبا . فيأس الثوار . وراحوا يسمونه : (باركذيبا Bar koziba) ابن الكذاب . وفي المعركة التي تلت ذلك في ضاحية من ضواحي القدس ، وكان قائد الثوار فيها ابن بارقوخبا ، تغلب الرومان على اليهود وقتلوا منهم ٥٨٠٠٠٠ بالسيف . هذا غير الذين ماتوا منهم جوعاً او مرضاً او حرقاً بالنار . ومن لم يمت بطويقة

(١) يكتب البعض هذا الاسم (هدريان) و (هدريانوس) . وعندنا انه من الانسب كتابته بهذا الشكل : (ادريانوس) . فقد ذكره ابن العبري في (مختصر الدول) ص ١٢١ ادريانوس.

من الطرق ، طرده من المدينة . فلم يبق فيها منهم واحد .

٤٥ — ولما قضي على الثورة التي قادها باركوخبا سنة ١٣٥ بعد الميلاد ، فرض الوالي الروماني (سبتيموس سيفيروس Septimus Severus)[١] على اليهود تدابير لا يطيقونها ، لئلا يثوروا مرة اخرى . فغادروا فلسطين . وتشتتوا في جميع انحاء العالم : في سوريا وآسيا الصغرى وفي مصر وطرابلس الغرب وجزر الارخبيل وايطاليا وبلاد اليونان والغال وغيرها من البلدان .

ولم تقم لهم في فلسطين قائمة بعد ذلك التاريخ .

٤٦ — امست القدس خراباً على عهد ادريانوس . إذ انه حصدها حصداً . . واصبحت قرية صغيرة تابعة لقيسارية من جميع النواحي الادارية والسياسية والاقتصادية والدينية . وقد حظر على اليهود الرجوع اليها . وسكنها اقوام مختلطة من يونان وسوريين ورومان .

وقد اضطهد الامبراطور ادريانوس المسيحيين ايضاً[٢] . فامر (سنة ١٣٥ م) باجلائهم عن الكنيسة . وقد امر بردم المكان بكمية وافرة من التراب والحجارة . وغطى ارضه الاصلية وبلطه . وبنى فوق الجلجلة والقبر هيكلين وثنيين . ونصب فوقها تمثالي المشتري والزهرة . ثم حول الارض المجاورة لها الى بستان[٣] .

٤٧ — وفي عام ١٣٩ م اي بعد مضي اربع سنوات على خراب اورشليم الثاني ، بنى الامبراطور ادريانوس مدينة جديدة على انقاض المدينة القديمة احتفالاً بمرور واحد وعشرين عاماً على ارتقائه سدة الملك ، دعاها (ايليا كابيتولينا[١]) . وقد حظر على اليهود ليس فقط دخول هذه المدينة الجديدة ، بل والنظر اليها من بعيد . وبهذا قضى على كيانهم قضاء مبرماً والى الابد .

٤٨ — بنى (ادريانوس) سوقا في المكان المعروف الآن بباب العمود . واقام هناك اروقة واعمدة كثيرة قيل انها كانت تمتد حتى جبل صهيون .

٤٩ — بعد بناء القدس الجديدة (ايليا كابيتولينا) اصبحت[٢] المسكوكات التي ضربت فيها لاتينية . وقد توصل الاثريون الى عدد من هذه النقود الرومانية ترجع الى ذلك العهد والى عهود الاباطرة التي جاءت من بعده .

٥٠ — الان وقد انتهينا من ذكر الوقائع التي جرت في القدس على عهد الرومان ، نود ان نلقى نظرة على حالة القدس يومئذ من ناحية عمرانية واجتماعية ، فنقول :

منحوا البلاد ، في باديء الامر ، استقلالا داخليا تابعاً للسيادة الرومانية . وعينوا ابناءها حكاماً . ولكنهم عادوا مع توالي الثورات والاضطرابات فعدلوا عن الحكم الذاتي ، وضموها الى امبراطوريتهم . واخذوا يبعثون اليها بالحكام من ابناء روما ليحكموها . ومع ذلك فقد حدثنا التاريخ ان معاملتهم للشعوب والبلاد المحتلة كانت معاملة انسانية واحترام . وانهم كانوا يمنحونهم نفس الحقوق التي كانوا يمنحونها لابناء الوطن .

---

(١) كان هذا قبل ان يعتلي العرش متزوجاً امرأة سورية اسمها (جولية دمنة) . ومعنى سيفيروس الصارم . ولما اعتلى العرش اصبحت امرأته هذه الامرة الناهية في جميع انحاء الامبراطورية .

(٢) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧ .

(٣) رسالة القديس ايرونموس السابعة عشرة الى بولينا . عدد ٣

(١) ان هذا الاسم مأخوذ من اسم اسرته (ايليوس) . واسم التمثال (جوبيتر كابيتولين) الذي نصبه فوق المكان الذي صلب فيه السيد المسيح .

(٢) مجلة (الراعي الصالح) ج ١٢ .

٥١ – وقد ازدادت القدس، على عهدهم، اهمية من جميع النواحي السياسية والعسكرية والتجارية. لا، بل اصبحت من اهم الاهداف التي ترمي اليها الامبراطورية الرومانية في الشرق. فكانت الجيوش تفد اليها من الغرب الى الشرق.

٥٢ – وكان من الطبيعي ايضاً ان يكون لهذه الحركة، حركة الازدهار والعمران، تأثيرها في الحركة الفكرية وفي طرق الادارة والجباية. فقد حدثنا التاريخ انهم كانوا يفرضون الضرائب ويجبون الرسوم ومنها:

ومنها الجزية[1]، وعشر الغلة[2]، وخراج الاملاك[3]، واتاوة المال، والمكوس على الواردات والصادرات وما الى ذلك. ويقول الاستاذ محمد كرد على الذي اشار الى طرق الجباية[4] هذه في عهد الرومان ان روما غنيت يومئذ، والبلاد فقرت.

ان الطريق الحالية التي تمر من داخل المدينة من باب العامود الى باب الاسباط، والتي تفصل بين منطقة الحرم وحارة السعدية، كانت قبل العهد الروماني واديا يفصل بين حارتي موريا (منطقة الحرم اليوم). وبيزيتا (باب حطة وحارة السعدية اليوم) ولما احتل الرومان القدس ازالوا هذا الوادي باملائه بالتراب. وكان ذلك بامر من الامبراطور (بومبي).

٥٣ – كانت الطريق الاتي ذكرها من اهم الطرق التي تسير عليها القوافل التجارية في عهد الرومان:

القدس – اللسان – غور المزرعة – الكرك – الطفيلة – الشوبك.

وكان الانباط قد احتكروا القوافل ووسائل النقل على هذه الطريق في النصف الاول من القرن الاول للميلاد؛ لعدم وجود منافس لهم، ولعدم استعمال الطريق البحرية في ذلك الحين بسبب جهلهم فعل الرياح الموسمية.

وكانت هنالك طريق بين فيلادلفيا (عمان) والقدس[1] تتبع الطريق الحديثة التي تخترق وادي الاردن.

رصف الرومان هذه الطرقات، وجعلوها دائمية بدلا من مؤقتة. ولا شك ان المهندسين الذين رسموا مخططاتها كانوا ماهرين، بدليل ان اقساماً من هذه الطرق لا تزال باقية الى الآن.

٥٤ – هناك نقود ومسكوكات ترجع الى عهود الاباطرة: اغسطس (٦٣ ق.م – ١٤ ب.م). طيباريوس (١٤ – ٣٧ م). كلوديوس (٤١ – ٥٤ م). نيرون (٥٤ – ٦٨ م). فسباسبانوس (٦٩ – ٧٩ م). تيطس (٧٩ – ٨١ م). وهي تحمل آثارهم.

وبين عهدي طيباريوس وكلوديوس، اي في عهد كاليجولا (٣٧ – ٤١ م) ضربت عملة في اورشليم. وجميع القطع التي ضربت في ايامه تحمل نفس الرموز. نقش على وجهها: من الملك اغريباس (باليونانية) مظلة في حقل مزدانة بالزهوو، وعلى الخلف ثلاث سنابل، وعلى يسارها ويمينها رقم السنة السادسة من حكم اغريباس.

اثناء الثورة التي اوقد نارها (سمعان بارقوخبا) في زمن الامبراطور ادريانوس (١١٧ – ١٣٨ م)

(١) من سن ١٤ للذكور و١٢ للاناث حتى سن ٦٥.

(٢) كانوا يؤجرونها الى متعهدين يسمونهم (العشارين) وكان هؤلاء يجبون اكثر مما يستحقون وكثيراً ما بيع الفقراء الذين يعجزون عن دفع ضرائبهم في الاسواق بيع الرقيق.

(٣) واحد في المئة.

(٤) خطط الشام ص ٤٧ الجزء ٥.

(١) (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها) لبيك باشا. ص ٧١

ضرب اليهود في اورشليم مسكوكات عبرية (١٣١م) نقش على وجهها : اورشليم . هيكل في واجهته اربعة اعمدة . غصن نخلة . سمعان . عنقود . عود طرب . شجرة بلح مثمرة . غصن دالية . وعلى الخلف : السنة الاولى من خلاص اسرائيل . السنة الثانية. شجرة في حقل .حزمة من الاغصان. حرية اورشليم . بوقان . اناء له مقبضان .

وكثير من هذه القطع النقدية ضرب على مسكوكات قديمة ، تعود الى زمني ادريانوس وتراجان[1] .

٥٥ — اللغات التي كانت مستعملة في القدس ، على عهد الرومان ، هي : (الآرامية) . وقد كانت هذه يومئذ لغة التخاطب العامة .و (العبرية) لغة اليهود من السكان . و (اليونانية) لغير اليهود ، وللمثقفين من السكان على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم . و (اللاتينية) لموظفي الرومان وعمالهم . وقد بلغت هذه الذروة على عهدهم .

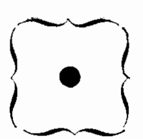
٥٦ — كان الرومان ماهرين في صناعة البناء ، والنقش على الرخام . وفي صناعة التماثيل والاوثان . لهم ولع بالشغل والعمل . يرغبون في القناعة . لهم عزم ثابت . ذوو شدة ومراس .

ولقد قطعوا شوطاً بعيداً في سبيل عمران هذه البلاد . فلا المعابد التي بنوها ، ولا المخافر والحصون التي شيدوها ، كانت لتلهيهم عن واجباتهم الاخرى. فقد عبدوا الطرق، وحفروا الصهاريج ، وانشأوا المجاري ، واقاموا السدود والجسور ، وغرسوا الاشجار . فازدهرت التجارة والصناعة في عهدهم .

٥٧ — ولكنهم بعد الفتوحات ابطرتهم النعمة والسعة . فتفرغوا للملاهي ،واحبوا العظمة ، واشتغلوا بالملاعب والملاهي ، وانتحلوا ديانة الامم والبلدان التي افتتحوها .

٥٨ — وانه لمن المؤسف القول ان اكثر المنشآت التي قامت في هذه البلاد على عهد الرومان ، عفت آثارها : فقسم منها الم به الخراب في اثناء الثورة المكابية وثورة بارقوخبا وغيرها من الثورات . وما تبقى منها بعد هذه الثورات ، خربه الفرس عندما احتلوا المدينة (٦١٤ م) قبيل الفتح الاسلامي . وكان تخريبهم لها بتحريض من اليهود . ولقد حدثناك عن هذا الحادث بالتفصيل في فصل الفرس .

(١) مجلة (الراعي الصالح) ج ١٢



القدس في العهد البيزنطي

وصل الاصطدام ذروته بين الوثنيين والمسيحيين على عهد امبراطور الرومان مكسيمينوس (٣٠٣م). وكان على رأس الكرسي الاورشليمي يومئذ الاسقف ايرمون[١]. فقد قبض على عدد كبير من المسيحيين، وقتلوا بعد ان عذبوا: بعضهم احرق بالنار، والبعض الآخر طرح لوحوش البر. وكان الوثنيون في بعض الأحايين يكتفون بتكليفهم بالرجوع عن ديانتهم. فاذا رفضوا عُذبوا بوضع ارجلهم في قوالب من حديد، او كشطت جلودهم وهم احياء. وقد امر الوالي الروماني ارضاء للامبراطور مكسيمينوس ان لا تدفن جثث الموتى من المسيحيين.

٢ – عندما مات مكسيمينوس (٣١٤ م) وتولى الامبراطور قسطنطين الامر، وقف الاضطهاد الذي كان موجهاً للدين المسيحي. اذ نشر هذا امراً اتاح فيه لجميع رعاياه حرية الدين.

٣ – كانت الامبراطورية الرومانية منشقة الى مملكتين:

(أ) المملكة الغربية وعاصمتها روما

(ب) المملكة الشرقية وعاصمتها بيزانس

وكانت فلسطين آنئذ تحت سيطرة المملكة الرومانية الشرقية وكانوا يسمونها: (الدولة البيزنطية).

ولكن الملك قسطنطين وحّد المملكتين كما سترى في الاسطر التالية:

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية. ص ٢٧

(٢) استانبول

٤ – ان اول من تنصر من اباطرة الرومان هو امبراطور المملكة الرومانية الشرقية: (قسطنطين)[١]. فقد تنصر هو وسمح للنصرانية بالانتشار في الغرب، بينما كانت هذه مضطهدة في الشرق. وقامت بينه وبين ليسينيوس حروب كان النصر فيها حليفه. فتم له ما اراد. وفتح روما. فاصبح القائد غير المنازع للمملكة الرومانية في الشرق والغرب. واقام على انقاض بيزانس القديمة مدينة جديدة اسماها: قسطنطينية (٣٣٠ ب م). فزاد في ساحتها اربعة اميال. وبنى حولها سورا. واتخذها عاصمة ملكه. وبنى في القسطنطينية كنيسة اسماها: (اياصوفيا). فمن هو هذا قسطنطين؟

٥ – جاء في الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britannica انه (قسطنطين الكبير). وانه ولد بمدينة (نيش) من أعمال صربيا. وكان ذلك بتاريخ ٢٧ شباط ٢٨٨ م. وقد عاش تسعاً واربعين سنة. تسنم العرش بعد وفاة ابيه قسطنطينوس الاول. وكان ذلك بتاريخ ٢٦ تموز ٣٠٦ م. وراح يحمل لقب «قيصر» في الشرق والغرب من مملكته.. تزوج من فوستا Fausta ابنة مكسيميان.. وانتصر في حروبه على اعدائه. وكان يقود جيشاً قوامه مئة الف مقاتل. وقيل في انتصاره انه[٣] بينما كان يزحف صوب اهدافه

(١) قسطنطين كلمة لاتينية معناها: الحازم.

(٢) ويسمونها اسطنبول واسلامبول واستانبول واستنبول. وهي مؤلفة من ثلاث كلمات: اس – تن – بولس. اي في المدينة.

(٣) (تاريخ مختصر الدول) لابي الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري. ص ١٣٤

في اوروبا ؛ شاهد في السماء ، وهو يبتهل الى رب السماء كي ينصره على اعدائه ، قبساً من نور شبيه بشارة الصليب . فاستبشر . وصاغ لنفسه صليباً من ذهب ، وكان يرفعه على رأس رمحه . ولما غزا روما وافتتحها ،وتم له ما اراد، رأى من مصلحته ان يتنصر . فتنصر ، واصبح منذ ذلك الوقت مسيحياً صادقاً .

٦- في سنة ٣٢٥م اصبح قسطنطين الحاكم المطلق في الشرق والغرب . وفي سنة ٣٢٦ م نقل عاصمة ملكه من روما الى الشرق . وقبل نهاية السنة نفسها كان الحجر الاساسي لمدينة القسطنطينية الجديدة قد وضع . فقد فعل ذلك بغية ان يتخذ الدين المسيحي الدين الرسمي لمملكته . ذلك لان روما كانت يومئذ غارقة في عبادة الاوثان .

٧ - وقبل ان يموت قسم مملكته (٣٣٥م) بين اولاده الثلاثة : قسطنطينوس وقسطنطينس وقوسطوس .وحفيديه دالماتيوس وهينباليانوس. اما قسطنطينوس وهو ابنه الاكبر فقد اعطاه القسطنطينية واما ابنه الثاني قسطنطينس فقد اعطاه مصر والشام وما بين النهرين وارمينيا . واما قوسطوس ، وهو الابن الاصغر فقد اعطاه روما . واعطى حفيديه ما ان تبقى من اجزاء مملكته .

٨ - اضطهد الملك قسطنطين اليهود[1] ففرض عليهم ان يتنصروا . فريق منهم تنصر بالفعل ،ولكنهم لم ياكلوا لحم الخنزير . وفريق تظاهروا بالنصرانية ، ولكنهم ظلوا على دينهم ، وامتنع الاخرون عن التنصر ، فقتلوا . ومن نجا من القتل غادر البلاد .

٩ - وضع قسطنطين قوانين عديدة لتنظيم الادارة والجيش . ففصل بين السلطتين ، ولم يسمح

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس . ص ١٥٦

للحكام الاداريين بالتدخل في الشؤون العسكرية .

ونظم ايضا الشؤون المالية والبلدية والزراعية . ووسع سلطات رجال الكهنوت . وشجع (اللامركزية) في اعمال الولايات .

١٠ - توفي في ٢٢ ايار ٣٣٧ م . ودفن في كنيسة ابوستولس بالقسطنطينية .

١١ - عندما تنصر قسطنطين تبعه خلق كثير من سكان البلاد التي كان يحكمها ،ومن سكان البلاد المجاورة لمملكته ايضا ، فتنصروا . وكذلك قل عن سكان فلسطين الذين اعتنقوا النصرانية . ولم يمض وقت كبير حتى تنصرت امه الملكة هيلانة[1]. وزارت هيلانة مدينة القدس(٣٢٦ م). فبنت فيها كنيسة القيامة .

ترى كيف ولماذا واين بنتها ؟ هذا ما سنقصه عليك في السطور التالية :

١٢ - قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان السيد المسيح أدين في القدس على عهد الوالي الروماني (بيلاطس) وحكم عليه بالموت . وكان من عادة الرومان ان يصلبوا المحكوم . فاخذه الجند . ولما مضوا به الى الموضع الذي يدعى (الجمجمة) صلبوه[2] هناك .ويقال لهذا الموضع ايضاً (جلجثة). وكان المكان الذي صلب فيه قريباً من المدينة[3] ، خارج السور . ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف[4] . « وكان هذا رجلا صالحاً

(١) (هيلانة) كلمة يونانية . معناها : (الفاتنة) .

(٢) العقيدة الاسلامية تقول : « وما قتلوه ، وما صلبوه ، ولكن شبه لهم . . » الى آخر ما جاء في الاية ١٥٧ من سورة النساء .

(٣) انجيل يوحنا : - ف ١٩ عدد ١٧ - ٢٠

(٤) انجيل متى : - ف ٢٧ عدد ٥٧ - ٦٠

وباراً . ولم يكن موافقاً لرأيهم وعملهم[١] » . « فتقدم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فامر بيلاطس حينئذ ان يعطى الجسد . فاخذ يوسف الجسد . ولفه بكتان نقي . ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة . ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضى[٢] » .

كان قبر المسيح في البدء عبارة عن مغارة[٣] محفورة في الصخر ، لها حجرة خارجية بمثابة دهليز . ولهذا الدهليز باب منخفض جداً من الجهة الغربية يسده حجر كبير . وهو يفضي الى حجرة داخلية ترى فيها عن يمينك صفة محفورة في الصخر وضعت عليها رفات المسيح .

ويظهر انه كان في ذلك المكان في اوائل عهد النصرانية كنيسة . ولكنا لا نعلم الا النذر اليسير عن هذه الكنيسة التي حدثنا التاريخ عنها فقال[٤] : « ان المسيحيين اضطهدوا اضطهاداً شديداً على عهد امبراطور الرومان ادريانوس (١٣٥م) ، وان هذا الامبراطور اجلاهم عن الكنيسة ، وامر بردم المكان وتغطيته بالتراب والحجارة ، ثم بلطه ، وبنى فوق الجلجلة والقبر هيكلين وثنيين ، ونصب فوقهما تمثالي المشتري والزهرة . ثم حول الارض المجاورة لهما الى بستان » .

ولما تبوأ الملك قسطنطين عرش القياصرة واعتنق الدين المسيحي وكان تقياً ، انتعشت النصرانية انتعاشاً كبيراً . وزارت امه الملكة

(١) انجيل لوقا : - ف ٢٣ عدد ٥٠ - ٥١

(٢) انجيل متى : - ف ٢٧ عدد ٥٨ - ٦٠ . انجيل مرقس : ف ١٥ عدد ٤٦ . انجيل لوقا : - ف٢٣ عدد ٥٠ - ٥٢

(٣) تاريخ كنيسة القيامة لثاوفانوس .

(٤) رسالة القديس ايرونيموس السابعة عشرة الى بولينا - عد ٣

هيلانة اورشليم (٣٢٦ م) ؛ فهدمت الهيكل ، وحطمت الاصنام التي اقامها ادريانوس ، وازالت الاتربة والحجارة . فظهرت صخرة الجلجثة[١] بارزة على هيأتها الأصلية وفي وسط البستان بدت مغارة المسيح . وفي هذا المكان نفسه بنيت (كنيسة القيامة) (٣٣٥م). وكانت يومئذ مستطيلة الشكل على غرار كنيسة المهد في بيت لحم في يومنا هذا . وكان موضع القبر ، في بادىء الأمر ، خارج السور . ولما بنت الملكة هيلانة الكنيسة وسعت السور هناك بحيث اصبحت الكنيسة داخل السور ، وراحت تعتبر جزءاً من المدينة . ويشمل هذا الاسم الآن مجموع الكنائس والمعابد المشيدة فوق الجلجلة وقبر السيد المسيح والمغارة التي اكتشف الصليب فيها .

١٣ - قال ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) نقلاً عن ابن الراهب :

« عندما جاءت هيلانة ام الملك قسطنطين لزيارة بيت المقدس سألت عن موضع الصليب . فاخبرها مقاريوس الاسقف ان اليهود اهالوا عليه التراب والزبل . فأحضرت رجال الكهنوت وسألتهم رفع ماهنالك من الزبل. ثم استخرجت ثلاثة من الخشب : خشبة المسيح والخشبتين اللتين صلب عليهما اللصان . وسألت ايتها خشبة المسيح . فقال لها الاسقف ان الميت يحيا بمسيسها . وبنت على الموضع كنيسة

(١) اختلف المؤرخون في تأويل هذا الاسم : فقال بعضهم انه اسم الموضع الذي جاء الجند بيسوع اليه بعدما حكم عليه بالموت . وقال القديس ايرونيموس ان الجلجلة معناها الجمجمة. وانها سميت كذلك بسبب جماجم القتلى االذين عوقبوا في هذا المكان . وقال اوريجانس انه دعي الجمجمة لان جمجمة آدم ابي البشر مدفونة هناك . والاعتقاد سائد بين المؤرخين ان في هذا الموضع مات المسيح،وفيه اكتشفت الصليب.وكان من عادة الرومان ان يدفنوا أدوات الصلب بجوار قبر الرجل المحكوم عليه بالموت .

(القيامة[1]) . وامرت مقاريوس الاسقف ببناء الكنائس . وكان ذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين سنة من مولد المسيح عليه السلام » . وقال في مكان آخر : « انها اخرجت الصليب من تحت الزبل والقمامات وغشته بالحرير والذهب وجاءت به الى روما » .

وذكر المقريزي (١٣٥٨ – ١٤٤١ م) في كتابه « القول الابريزي » ماحرفيته : « وفي السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت امه هيلانة الى القدس وبنت به كنائس للنصارى . فدلهامقاريوس الاسقف على الصليب ، وعرفها ماعملته اليهود . فعاقبت كهنة اليهود حتى دلوهاعلى الموضع . فحفرته . فاذا قبر وثلاث خشبات . زعموا انهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الثلاث خشبات ، الا بان وضعت كل واحدة منها على ميت قد بلي ، فقام حياً عندما وضعت عليه خشبة منها . فعملوا لذلك عيداً مدته ثلاثة ايام ، عرف عندهم بعيد الصليب . وعملت له غلافاً من ذهب . وبنت كنيسة القيامة التي تعرف اليوم بكنيسة قمامة . واقامت مقاريوس الاسقف على بناء بقية الكنائس وعادت الى بلادها . فكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلثمائة وثمان وعشرين » .

والمأثور في تاريخ الكنيسة ملخصاً[2] عن اوسابيوس Eusebius (٣٢٦ – ٣٣٥) وسقراط (ك ١ ف ١٧) وسوزومانوس (ك ٢ ف ١) وتوادوريطوس (ك ١ ف ١٧) من مشاهير مؤرخي الكنيسة في القرنين الرابع والخامس ان القديس مقاريوس بطريرك اورشليم وقت اجتماع الاساقفة في المجمع الاول المسكوني (سنة ٣٢٥) هو الذي قال للامبراطور قسطنطين العظيم ان الاماكن المقدسة مطمورة وقائم عليها هياكل وثنية . فاسف الامبراطور وقرر بالحال ارسال والدته القديسة هيلانة الى اورشليم (٣٢٦) . فجاءت هذه ووجدت المغارة التي فيها الصلبان والجلجلة ومحل القبر . واخبرت الامبراطور . فامر ببناء كنيسة القيامة فوق محل الصليب .

١٤ – حدثني الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية في بيروت ودمشق والبرازيل ان الملكة هيلانة والدة قسطنطين البيزنطي عندما اكتشفت عود الصليب عملت الترتيب التالي الذي كانت قد اتفقت عليه قبلاً مع ابنها ومع الحكومة : انها اقامت على رؤوس الجبال تلالا في مسافات مختلفة بين القدس والقسطنطينية ، وراحت توقد على هذه التلال المشاعل بوساطة اناس مخصوصين وضعتهم قبلاً لهذه الغاية ، حتى وصل الخبر الى القسطنطينية . فاحتفل هناك باكتشاف عود الصليب . وهذا هو السر في ان النيران **توقد في** « عيد الصليب » . ذلك لانه لم يكن ثمة يومئذ أية واسطة اخرى لاجل نقل الخبر بسرعة كما هي الحال في يومنا هذا .

١٥ – قال الراهب ثاوفانوس ان قسطنطين لم يبن كنيسة واحدة في ذلك الموضع ، بل بنى ثلاث كنائس ؛ هي :

(أ) كنيسة القيامة (او كنيسة القبر المقدس)

(ب) كنيسة الجلجلة (وهي التي عرفها العرب فيما بعد بالاقرانيون)

(ج) كنيسة الشهادة (او المرتريون) وهي متاخمة للجلجلة ومحتوية على جزء منها . وقد دعيت ايضاً (كنيسة اكتشاف الصليب) . ذلك لانه يوجد تحتها مغارة قيل ان الصليب اكتشف فيها .

(١) هكذا كان اسم القيامة في اوائل الفتح الاسلامي .

(٢) مجلة (الراعي الصالح) الجزء الثامن . ص ١٤٧

وكان حول هذه الكنائس اروقة جميلة وباحات واسعة وصفوف من اعمدة مرمرية ، يتألف من مجموعها بناء فخم ، طوله مئة متر او يزيد . وقد استغرق تشييد هذا البناء ست سنين .

١٦ – هذا ما عرفناه عن (كنيسة القيامة) التي بنتها الملكة هيلانة بامر من ولدها قسطنطين . وقد تم تدشينها في الثالث عشر من شهر ايلول عام ٣٣٥ للميلاد .

١٧ – ولما اعتلى جوليان الجاحد[١] العرش ، فرح اليهود؛ إذارسل هذا رسالة الى البطريرك الغى فيه جميع القوانين التي صدرت ضد اليهود . ووعدهم بالشيء الكثيرعندما يرجع من الشرق. وامر باعادة بناء الهيكل بالقدس ، وعهد بهذه المهمة الى رجل من رجاله المخلصين هو البيوس Alypius . فطفق اليهود يردون الى القدس من كل صوب . ولكنهم ما كادوا يحفرون الاساس لبناء الهيكل ، حتى اندلع لهيب النار من تحت الارض ، وسمع انفجار شديد . فهرب العمال ، وتأجل العمل . ولم يتجدد . واعتبر الناس هذا دليلاً على غضب السماء . ثم مات جوليان وبموته قضي على امل اليهود . فيئسوا . فريق منهم فسر ذلك باحتراق الغاز السام الذي تحت الارض ، وفريق قال ان المسيحيين اعدوا تلك النيران ليحولوا دون اعادة بناء الهيكل .

١٨ – ان اتحاد المملكتين الرومانيتين الشرقية والغربيةلم يدمطويلا. إذ انهعندماتوفي(ثيودسيوس) سنة ٣٩٥ م احد قياصرة الرومان في الشرق اقتسم ولداه (اركاديوس) و (هونوريوس) المملكة . فجعلاها مملكتين : واحدة في الشرق وعاصمتها بيزانس .والثانية في الغرب وعاصمتها روما .

١٩ – في سنة ٥١٣م كان حاكم (اوليمبوس) منتدباً من قبل الملك انسطاسيوس. وعلى عهده كان بطريرك القدس الياس الثاني (وكان هذا من نسل عربي) . وقد ثار الرهبان في عهده على رؤسائهم . كما ثاروا ضد الملك وضد الرسول الذي ارسله الى القدس . فعزله الملك . ونفاه الى العقبة . فاقيم بدلاً منه (يوحنا الثالث) بطريركا على اورشليم . ولكن الملك عاد فعزل اوليمبوس ، وعين بدلا منه والياً اسمه (انسطاسيوس) .

٢٠ – في ٥٢٧ م توفي الملك يوستينوس وخلفه يوستنيانوس (جوستنيان) العظيم . وعلى عهده ثار اليهود والسامريون للمرة الثالثة في فلسطين . فقاد عليهم قائده يوحنا . وبمساعدة والي فلسطين ثؤدورس أطفئت الثورة ، وتشتت شمل اليهود ، وقتل من السامريين عشرون الفاً[١] . وقد انشأهذا عدداً من الكنائس والاديرة والصوامع في اورشليم وفي ما حولها من الجبال والوديان .وانتشر فيالبلاد عدد كبير من النساك والرهبان .

٢١ – بنى جوستانيان الاول ، في مدينة القدس مستشفى . كما بني فيها سنة (٥٤٣ م) كنيسة اسماها : (كنيسة العذراء الجديدة[٢]) . وفي قول ان الذي شرع في بناء هذه الكنيسة هو البطريرك ايليا الاول . وقد اتمها جوستانيان . اما البطرك ايليا (وكانوا يسمونه ايضاً الياس) فانه عربي من

(١) اسمه الاصلي Flavius Claudius Julianus ولد في استانبول سنة ٣٣٢م .تسلم العرش سنة ٣٦٠م وتوج في استانبول عام ٣٦١م. انه ابن يوليوس قسطنطين الكبير. كان وثنياً . وكان يكره الدين المسيحي. وكان يؤثر عبدة الاوثان على المسيحيين في مناصب الدولة. ولهذا لقبوه بالجاحد.

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية ص ٣٧ .

(٢) سميت كذلك للتفريق بينها وبين كنيسة اخرى تحمل هذا الاسم بنيت قبل هذا التاريخ . وكانت عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربية .

نجد . وفي قول انه يوناني ولد في بـــلاد العرب . انــه هو الذي بنى دير العذراء في القدس ودير قسطنطين . وعلى عهــده قام البدو بغزو القدس ، ونهبوا الاديرة ، وذبحوا الرهبان .

٢٢ – وعلى ذكر (كنيسة العذراء) التي بناها جوستانيان نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ، ان المؤرخين اختلفوا في تعيين موضعها . فمنهم من قال : انها كانت تقوم في نفس الموضع الذي يقوم عليه الآن المسجد الاقصى . ومن هؤلاء : الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف[١] . وسركيس[٢] . ومنهم من جاوز هذا الى حد القول ان المسجد الاقصى نفسه هو الكنيسة اياها ، لا قـدم ولا أخر . ومن هؤلاء : الدكتور ريشاردسون ، وفليكس فابري Felix Fabri ، وفيـــلب داويرزا Philip D'auersa ، وادوارد هوغ[٣] وادوارد روبنسون[٤] .

واما ابن البطريق فقد قال : ان الروم لم يعظموا الموضع الذي كان يقوم عليه هيكل بني اسرائيل ،ولم يبنوا عليه كنيسة. يقول السيد المسيح : «هو ذا يترك لكم بيتكم خراباً» . وقد ايد هذا القول كثيرون نذكر منهم : طوبلر[٥] . ورايس[٦] .

(١) مجلة الاثار ٥–٦ ص ٢٤٣

(٢) تاريخ القدس الشريف ص ١٥٧

(٣) Visit to Alexandria, Damascus & jerusalem, by E .Hogg II. P.289.

(٤) Biblical Researches by E. Robinson. I. PP. 438 - 41.

(٥) Topographie Von Jerusalem, by Tobler 1. PP. 581 - 2

(٦) Z. D. P. W. by Reiss, XI. PP. 204 - 7

وغلدمايستر[١] . وكرزويل[٢] . وغيرهم كثيرون .

٢٣ – وفي زمن جوستانيان ثارالسمرة وذبحوا المسيحيين في احيائهم . ولكن ثورتهم اطفئت وعوقبوا . فاستتب الامن . وفي المجلس الكنائسي الخامـــس الذي التأم على عهده (٥٣٤ م) تقرر ان تكون القدس مركزا للبطريركية .

٢٤– ولكن لم يمض زمن كثير حتى دب الفساد بين رجال الدين المسيحي . فراح هؤلاء يختصمون ويتجادلون في صفات المسيح[٣] (فذهب بعضهم الى انه ذو طبيعة ومشيئة واحدة) . وقال بعضهم : (انه ذو طبيعتين ومشيئتين : الهية وانسانية) . وقال اخرون : (ان هذا الا رسول ونبي كريم[٤]) .

وكان جو القدس يومئذ مشبعا بانين الاشخاص الذين عذبوا اجسادهم من اجل تخليص ارواحهم[٥] . فراح المسيحيون يتساءلون عما اذا كانت خشبة الصليب قد اكتشفت ؟ ومن ذا الذي يملكها فيما اذا اكتشفت ؟ وهل يجوز ان يقتطع جزء منها ليباع الى الحجاج او الى امير ذي نفوذ واعتبار ؟ وفيما كان رجال الدين يتجادلون في هذه المسائل وما شابهها من الاختلافات الدينية ، كانت البلاد تتدهور تدهورا ظاهرا .

(١) Die Arabischen Nachrichten Zur Geschichte der Harambauten, Z. D. P. W. XIII. PP. 12 - 13, by Gildmeister

(٢) Early Muslim Architecture, by K. A. C. Creswell. Pp. 23 - 24

(٣) The Desert of the Exodus, by E. H. Palmer

(٤) البرغوثي وطوطح .

(٥) B. and Palmer

٢٥ – ان من يتتبع تاريخ ذلك العصر يرى انه بعد موت جوستانيان (٥٦٧م) تسنم العرش عدة اباطرة. ولكن اكثرهم كانوا ضعفاء. وكانوا السبب في سرعة تدهور الامبراطورية . وقد استغل الفرس هذه الفرصة ،فاخذوا يغزون الولايات الشرقية .

٢٦ – وعندما تبوأ العرش الامبراطور (هرقل) ٦١٠ – ٦٤١م زحفت جيوش كسرى ملك فارس (٦١٣م) غربا . وبعد استيلائها على سوريا زحفت الى فلسطين وفي عام ٦١٤م احتلت القدس وذبحت ٩٠٠٠٠ مسيحياً .

ولقد اقدموا على هذه الغزوة بتحريض من اليهود الذين كانوا يتوقون للانتقام من المسيحيين . فهدموا كنيسة القيامة . كما هدموا معظم الكنائس والاديرة التي كانت في القدس . وامر كسرى ان يؤخذ رخام هذه الكنائس وينقل الى بلاده .

ولقد اصاب الروم في ذلك العهد جوع شديد ، حتى قيل ان الناس اكلوا الجيف وجلود البهائم .

٢٧ – ولكن هرقل عاد فجمع قواه ، وقطع خط المواصلات بين الجيش الفارسي وقاعدته في الرافدين . وانتصر على الفرس في معركة نينوى الحاسمة ٦٢٧ للميلاد . وعلى اثرها تصالح الفريقان فاطلق الفرس سراح الاسرى من الرومان واعادوا الغنائم التي نهبوها من القدس ورجعت سوريا وفلسطين الى حظيرة الدولة البيزنطية . ودخل هرقل مدينة القدس في ١٤ ايلول ٦٢٩ .

٢٨ – في تلك الفترة من الدهر ظهر الاسلام . وظهر النبي العربي المصطفى محمد عليه الصلاة والسلام . وراح هذا يدعو الناس كافة لترك عبادة الاصنام . واتباع دينه : دين الاسلام .

وكانت دولة الرومان، في ذلك الزمان، من اقوى الدول في ذلك العصر [١] . وكذلك قل عن دولة الفرس التي كان يقوم على راسها كسرى . وكانت هاتان الدولتان تتناطحان، وتعملان على نشر سيطرتهما على الامم المجاورة لهما ، وبعد ان كانت الحرب سجالا بينهما ،انتصر هرقل على كسرى (٦٢٥ م). فقويت شوكته . واصبح ذا بأس وقوة . وراحت اعلام بزنطية تخفق على مصر وسورية وفلسطين . واسترجع هرقل من الفرس الصليب الذي كانوا قد اخذوه من بيت المقدس .

كان اغتباط المسلمين يومئذ بانتصار هرقل على فارس عظيماً . ذلك لان هرقل كان مسيحياً . والمسيحيون اهل كتاب كالمسلمين . واما الفرس فكانوا مجوساً . ولهذا كان المسلمون يكرهون ان ينتصر المجوس على المسيحيين . وقد غاظهم انتصار الفرس في بادىء الامر ، يوم غزا الفرس هذه البلاد (٦١٤م) وقتلوا من سكانها المسيحيين خلقاً كثيراً وهدموا جميع كنائسهم .

وما ارتاب المسلمون ابداً في ان الروم سيعودون فينتصرون على الفرس بعد قليل . وكان في طليعة المتنبئين بانتصار الروم على الفرس بعد قليل النبي محمد عليه الصلاة والسلام وصاحبه الامين ابو بكر .

ولم يمض على تنبؤهم سوى بضع سنين حتى انتصر هرقل (٦٢٥م) وهزم الفرس . وفي ذلك نزلت الاية الكريمة [٢] :

« الم . غلبت الروم . في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين. لله الامر من

---

(١) (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل . ص ٣٧٠

(٢) سورة الروم : الايات ١ – ٥

قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

ورغم هذا النصر الذي ناله البيزنطيون، على يد هرقل ، والذي كان يتمناه المسلمون ؛ فان النبي محمداً عليه الصلاة والسلام ، راى من الحكمة ان يدعو هرقل وقومه الى دينه .

وكما ارسل النبي رسله الى كسرى عظيم فارس ، والى المقوقس عظيم القبط في مصر ، والى امراء عُمان واليمامة والبحرين ، والى الحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، والى نجاشي الحبشة ؛ فقد ارسل ايضاً رسولا من عنده ، هو دحية بن خليفة الكلبي . ارسله الى هرقل عظيم الروم ، يدعوه الى الاسلام . وارسل مع الرسول كتاباً الى هرقل ختمه بخاتمه الذي نقش عليه « محمد رسول الله » . قال فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبدالله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . اما بعد ، فاني ادعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم . يؤتك الله اجرك مرتين . فان توليت ، فانما عليك اثم الاريسيين[1] يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضا بعضاً أرباباً من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

كان هرقل ، عندما دخل عليه رسول النبي العربي دحية الكلبي ، في مدينة حمص . وكان قد عاد يومئذ من المعركة التي انتصر فيها على الفرس . واسترجع منهم الصليب الذي اخذوه من بيت المقدس . وكان قد نذر لله على نفسه ان يحج الى بيت المقدس ماشيا ، ليرد الصليب الى مكانه . فتناول كتاب النبي من يد الرسول الذي حمله اليه . وتلي عليه مترجماً . فلم يغضب . بل رد عليه رداً حسناً . ولكنه في قرارة نفسه لم يعبأ بهذا الداعي الى دين جديد . ولم يدر بخلده انه لن تمض سنوات قليلة، حتى يكون بيت المقدس، وتكون فلسطين كلها ، والشام، تستظل براية الاسلام . وهكذا كان .

٢٩ ــ وفي عهد هرقل هذا (٦١٠ — ٦٤١م) جرى حادث الاسراء والمعراج . حيث اسرى بالنبي العربي الكريم الى بيت المقدس . ومن فوق الصخرة المشرفة الموجودة في هذا البيت ، عرج النبي الى السماء . وفي ذلك نزلت الآية الكريمة[1] :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » .

وقد اختلف العلماء في تفسير الاسراء وفي وصفه على حقيقته : هل كان بالروح أم بالجسد ؟ فذهب بعضهم الى أنه كان بالروح . وقال آخرون انه كان بالجسد . وسواء أكان الاسراء والمعراج ايضاً بالروح أو بالجسد ، فانهما ان دلا على شيء ، فانما يدلان ، على ما كان لهذا البلد المقدس من اهمية في نظر الرسول . اذ كان عليه الصلاة والسلام يعلم العلم اليقين ان الحجاز وما يليه من اقطار وسهول وبقاع ومن اودية غير ذات زرع ، لا تنفع العرب في شيء ، ما لم يكن هذا البلد

---

(١) قال الاستاذ محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ص ٣٧١ انه من معاني الاريسيين الخدم والحشم . وان القصد من ذلك تحذير هرقل انه مسؤول عن اثم رعيته لصده اياهم عن الدين .

(١) سورة الاسراء الاية

المقدس ايضاً مرتبطاً بها . وانه لا حياة للعرب في جزيرتهم ، اذا لم تكن تخومها الشمالية محمية ، واذا لم يكن هذا البلد ايضاً في حوزتهم . ولهذا راح يحث المسلمين على فتحه .

وفي ذلك وردت احاديث نبوية كثيرة . ومن دلائل التشجيع انه جعل المسجد الاقصى ببيت المقدس،زهاء سبعة عشر شهرا، قبلته في صلاته.

ومن كثرة ما جاء على لسان النبي عليه الصلاة والسلام من آيات واحاديث في مدح بيت المقدس وتقديسه،ان بعض الصحابة ارتاوا ، عند موته ، ان يدفن في بيت المقدس . وكان الكثيرون يريدون الأخذ بهذا الرأي،لولا ان هذا البلد كان لا يزال بأيدي الروم ، وكان بين الروم والمسلمين عداوة شديدة منذ معركة (مؤتة) و (تبوك) .

ومع ذلك فقد ظل المسلمون حافظين وصية نبيهم . فراحو ، بعد موته ، يعدون العدة لفتح القدس . وقد جاءهم التوفيق على يد عمر بن الخطاب الذي تم له فتح هذا البلد المقدس في السنة الخامسة عشرة للهجرة (٦٣٦م) . وسنقص عليك قصة هذا الفتح في الفصل القادم ان شاءالله .

*

* *



الباب الثاني

الفتح الاسلامي

- القدس وعمر بن الخطاب
- القدس وبنو اميـــة
- القدس وبنو العباس
- القدس وبنو طولون
- القدس وبنو الاخشيد
- القدس الفـاطمية
- القدس والاتراك السلجوقيون
- القدس والأرتقيون

القدس والفتح الاسلامي

آيات واحاديث في قدسية (القدس) :

ليس بمستغرب ان يفكر المسلمون في فتح القدس، وهي المدينة المقدسة في نظرهم ، التي ورد ذكرها في قرآنهم ، وعلى لسان نبيهم ، وفي احاديث صحابتهم وأئمتهم واعلامهم .

فقد اسرى بالنبي المصطفى عليه الصلاة السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . . . » . وما كان النبي ليسرى الى الى هذا البلد الامين ، لولا انه كان يعلم العلم اليقين انه عرق الجزيرة النابض وقلبها الخفاق ؛ وانه لا حياة للعرب في جزيرتهم ، اذا لم يكن هذا البلد في حوزتهم . واذا لم تكن تخومهم الشمالية بين البحر والبادية محمية .

هذا هو سر الاسراء .

ورد في الحديث الشريف : « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الاقصى » .

وروي عن الامام علي بن ابي طالب انه قال : «وسط الارضين ارض بيت المقدس، وارفع الارض كلها الى السماء بيت المقدس » . وعن ابي هريرة انه قال : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » .

وقال الامام علي لصعصعة: « نعم المسكن بيت المقدس . القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله . وليأتين على الناس زمان يقول احدهم : ليتني تبنة في لبنة في بيت المقدس » .

وعن عمران بن حصين انه قال: «قلت . يارسول الله ما احسن المدينة ! قال : كيف لو رأيت بيت المقدس . قلت : وهل هي احسن ؟ قال : كيف لا ، وكل من بها يزار ولايزور . وتهدى اليها الارواح ولا تهدى روح بيت المقدس لغيرها . . . » .

وعن ابي هريرة ان النبي قال: « اربع من مدائن الجنة : مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس » .

الفتح الاسلامي سبقه فتح عربي :

هذا هو السر الذي حدا بالمسلمين للتفكير في فتح بيت المقدس . ولا غرابة في ذلك . فقد سبق الفتح الاسلامي هذا ، فتح عربي من قديم العصور والازمان . وثبت ان العرب كانوا يقطنون فلسطين قبل الغزو البابلي ، اي قبل الفتح الاسلامي بنحو ٤٤ قرناً . وكذلك قل عن الفتح الحمورابي، وهو فتح عربي ؛ فقد سبق هذا الفتح ، الفتح الاسلامي بنحو ٢٨ قرناً .

ان الكنعانيين و اليبوسيين[١] والعمالقة الذين استوطنوا فلسطين، اتوها من جزيرة العرب . وان الانباط الذين كونوا دولة البتراء الشهيرة التي امتد سلطانها الى فلسطين وسورية كانوا عرباً . وكذلك

(١) اقرأ ما كتبناه عن اليبوسيين الذين كانوا اول من بنى مدينة القدس ، وكانت على عهدهم تدعى (يبوس)، في الفصل الاول من هذا الكتاب . وعنوانه : (القدس مدينة يبوسية).

قل عن ملوك الحـــيرة في العراق والغساسنة في بر الشام .

اجل ٠انه مما لا شك فيه انالعرب اهتموا بهذه البلاد منذ العصور القديمة . فقـد هبطها[١] عرب البادية،قبل انيهبطوا مصر ويؤسسوا فيها دولتهم المعروفة (بملوك الرعاة) وبعد خروجهم منهـا . وكذلك قل عن القبائـــل اليمنية التي غادرت جزيرة العرب على اثر (سيل العرم) . فانهـا نزلت هـذه البلاد ، واستوطنتها ، وسرحت في ارضها وبقاعها سوائمها ، وارتادت مناجعها.وهي التي تدر لبناً وعسلا . ولطالما تغنى العرب بها في جاهليتهم واسلامهم .

النبي يبشر المسلمين بفتح القدس :

روي عن محمد بن حسنبنقتيبة العسقلاني انه قال[٢] : حدثنا محمد بن النعمان عن سليمان بن عبـد الرحمن عن بنت شرحبيل عن هاني بن عبد الرحمن عن ابراهيم عن ابي عبلة عن عبدالله بن الديلمي عن عبد الرحمن بن غنم قال : سمعت معاذ بن جبـــل يقول : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « يا معاذ . انـــه سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش الى الفرات ،رجـــالهم ونساؤهم . وهم مرابطون الى يوم القيامة . فمن احتل ساحلا من سواحـــل الشام وبيت المقدس ، فهو فيجهاد الى يوم القيامة » .

وروي ان النبي قال لشداد بن اوس : « الا ان الشام ستفتح ، وبيت المقدس سيفتح ، وتكون انت وولدك ائمة بها ان شاء الله » .

(١) (الفلسطينيون عرب)للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف رئيس المجمع العلمي في لبنان

(٢) مثير الغرام ص ١٦٥

معركتا (مؤتة) و (تبوك)

لم يكتف النبي بهذا الاسلوب من التشجيع على فتح بيت المقدس . فقد قرن القول بالفعل . ولقـد حدثنا التاريخ انه هو بنفسه حاول فتحها في حياته ثلاث مرار :

فقد جهز[١] في السنة الثانية للهجرة (٦٢٩ م) جيشاً قوامه ثلاثة الاف مقاتل . وأَمّرَ عليه مولاه زيد بن حارثة . ولكن هـــذا الجيش انكسر في موقعة (مؤته) . ثم حاول فتحها مرة اخرى . وقاد هو بنفسه جيشاً وصل به الى تبوك . ولقـد ذكر كعب بن مالك[٢] هـــذه الغزوة في احاديثه فقـــال :

ان النبي عليـــه الصلاة والسلام كان اذا اراد المسير في الغزاة، يؤذن بالمسلمين بالجهاد،ويكتمهم اين يجاهدون مكيدة للعدو ٠ الا في غزوة تبوك التي كان يرأسها بنفسه فقد بيّنها للمسلمين وقال :

« يا أيها الناس . إني أريد الروم »

وكان مع النبي يومئذ ثلاثون الف مقاتل وعشرة الآف فرس من الخيل . وقد استخلف على المدينـة ، (محمد بن مسلمة الأنصاري) .

وعندما بلغ تبوك بعث منها علقمـة بن مجزز المدلجي الى فلسطين ،وبعث خالدبن الوليد الى دومة الجندل . واما هو فبعد ان صالح اهله ايلة[٣] وتلك الانحاء قفـل راجعـاً . ذلك لان احوال قريش كانت يومئذ تستدعي وجوده في الحجاز .

ثم جهز النبي للمرة الثالثـــه في السنة الحادية

(١) البرغوثي وطوطح

(٢) ابن عساكر ص ١٠٦ و ١٠٧

(٣) العقبة .

عشرة للهجرة (٦٣٢ م) جيشاً أمّر عليه أُسامة ابن يزيد. ولكن المنية فاجأته، قبل ان يغادر جيش أُسامة البلاد[١] .

أبو بكر الصديق يغزو الروم :

أكمل ابو بكر وصيـــة النبي ، وارسل الجيش الذي كان النبي قد اعده بقيادة اسامة بن زيد ، وزوده بالنصيحة التالية :

« لا تخونوا ، ولا تغـدروا ، ولا تغـلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لله وسوف تمرون باقوام قدفرغوا انفسهم في الصوامع[٢]. فدعوهم وما فرغوا انفسهم له .

ولكن جيش أُسامــة لم ينجح عامئـــذ الا في اخضاع بعض القبائل . فرجع الى الحجاز بعـــد اربعين يوما .

ما كان اخفاق اسامة ليفت في عضد ابى بكر، اذ راح يسـتنفر العـرب . ولبى هؤلاء دعوته ، فخفوا سراعاً من جميع انحـــاء الجزيرة العربية . واعتزم - في هذه المرة - فتح الشام كلها ، لا فتح بيت المقدس وما حولها من البلدان فقط .

(١) جاء في كتاب (مختصر الدول) لابن العبري الصفحة ١٦٢ ان نبي الاسلام محمداً عليه الصلاة والسلام عندما توفاه الله اراد اهل مكة من المهاجرين رده اليها لانها مسقط رأسه. واراد اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة ، لانها دار هجرته ومدار نصرته . وارادت جماعة نقله الى بيت المقدس، لانه موضع دفن الانبياء ، وفيها المسجد الاقصى الذي اسرى به اليه، وكثيرا ما كان يذكره، وكان قبل موته معتزما فتحه. ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة .فدفنوه بحجرته حيث قبض.

(٢) يعني بهم الخورة والرهبان

ولقد جهز لهذه الغاية اربعة جيوش ، وعقـــد الويتها لاربعة من كبار القواد . هم :

(١) عمرو بن العاص	فلسطين[١]
(٢) شرحبيل بن حسنه	الاردن
(٣) يزيد بن أبي سفيان	البلقـاء
(٤) أبو عبيدة بن الجراح	دمشق

عندما سلم ابو بكر الراية الى عمرو بن العاص قال له[٢] : قد وليتك هذا الجيش[٣]. فانصرف الى اهل فلسطين ، وكاتب اباعبيدة ، وانجـده اذا ارادك . ولا تقطع امراً الا بمشورته . اتـــق الله في سـرك وعلانيتك ، واستحيه في خلواتك . فـانه يراك في عملك . وقد رأيت تقدمتي لك على من هم اقدم منك سابقة،واقـدم حرمة؛ فكن من عمال الآخرة. وارد لعملك وجه الله . واسلك طريق ايلياء حتى تنتهي الى ارض فلسطين. واياك ان تكون وانياً عما ندبتك اليه . واياك والوهن ، واياك ان تقول جعلني ابن ابي قحافة في نحر العدو ولا قـوة لي به . واعلم يا عمرو ان معك من المهاجرين والانصار من اهل بـــدر . فاكرمهم ، واعرف حقهم ، ولا تتطـــاول عليهم بسلطانك . ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول :انما ولاني ابوبكر لأني خيرهم . واياك وخدائع النفس . وكن كأحدهم . وشـــاورهم فيما تريـد من امرك . والصلاة ثم الصلاة. أذن لها اذا دخل وقتها .واحذر من عدوك . وامر اصحابك بالحرس . ولتكن انت بعد ذلك مطلعاً عليهم . واطل الجلوس بالليل مـع اصحابـــك، واقم بينهم واجلس معهم. اتق الله اذا

(١) جرى ، بعد نشوب القتال، تبديل في القواد. فتم فتح القدس على يد ابى عبيدة بن الجراح .

(٢) فتوح الشام للواقدي .

(٣) يعني اهل مكة والطائف وهوزان وبني كلاب . وجاء في كتاب (التنبيه والاشراف) للمسعودي ان جند فلسطين كانوا من لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة .

لاقيت العدو. وقدم قبلك طلائعك فيكونوا امامك. واذا وعظت فاوجز. واصلح نفسك، تصلح بك رعيتك. واذا رأيت عدوك فاصبر ولا تتأخر. فيكون ذلك فخراً منك. وألزم اصحابك قراءة القرآن. وانههم عن ذكر الجاهلية، وما كان فيها، فان ذلك يورث العداوة بينهم. واعرض عن زهرة الدنيا حتى تلقي من مضى من سلفك. وكن من الائمة الممدوحين في القرآن؛ اذ قال تعالى: «وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا، واوحينا اليهم فعل الخيرات واقامة الصلاة وايتاء الزكاة، وكانوا لنا عابدين.»

ثم قال له: «امض بارك الله فيك وفيهم.» «فساروا في سبعة آلاف مقاتل يريدون فتح فلسطين.»

معركتا (اليرموك) و (فحل):

سار الامراء في الاتجاه الذي عينة لهم القائد الاعلى ابوبكر الصديق. فتغلغلوا في احشاء البلاد. ثم التحق بهم خالد بن الوليد قائد جيش العراق. فولوه امارة الجيش المحارب كله. ووقعت واقعة (اليرموك) الشهيرة بين الروم والعرب. قدر المؤرخون عدد الروم الذين اشتركوا في تلك الموقعة بمئتي الف. والعرب باربعين الفاً. ولكن النصر، رغم ذلك، كان حليف العرب. ان معركة اليرموك هذه من المعارك الفاصلة التي قررت مصير سورية وفلسطين معاً، وازالت سيطرة الروم عن الشرق كله، ومن المعارك الحاسمة معركة (فحل)[1] التي سار العرب اليها بعد معركة اليرموك[1] وافتتحوها فقد تمكن العرب بعدها من قطع الاتصال بين قوى الروم العسكرية بفلسطين وعاصمتهم في انطاكية. وكانت هذه اعظم ضربة وقعت على رأس الروم، بعد الضربة التي انزلها بهم الفرس قبل ذلك ببضع سنين (٦١٤م).

جيش لفتح الشام وآخر لفلسطين:

بعد معركة فحل شطر الجيش العربي نفسه الى شطرين: شطر سار لفتح الشام بقيادة ابي عبيدة بن الجراح. والشطر الاخر انتشر في فلسطين يبتغي رفع راية الاسلام فيها، بقيادة عمرو بن العاص. والجيش الفلسطيني ايضاً انتشر الى خمس حملات؛ فتولى:

(أ) معاوية بن ابي سفيان واخوه يزيد قيادة الحملة التي ارسلت الى قيساريه لمنازلة حاميتها.

(ب) علقمة بن حكيم ومسروق بن فلاك العكي قيادة الحملة التي ارسلت الى القدس لمنازلة حاميتها.

(ج) ايوب المالكي قيادة الحملة التي ارسلت الى الرمله

(د) علقمة بن مجزز قيادة الحملة التي ارسلت الى غزه

(هـ) وعمرو بن العاص تولى محاصرة (اجنادين[2]).

وكان فيها حامية قوية للروم يقودها ارطبون.

فاستسلمت اجنادين في منتصف السنة الخامسة عشرة للهجرة (٦٣٦ م). وانسحب ارطبون مع من سلم من رجاله الى القدس.

---

(١) هي اليوم قرية من قرى اربد من لواء عجلون من اعمال شرق الاردن. وقال الاستاذ احمد سامح الخالدي في شرحه لمثير الغرام (ص ١٠) انها خربة تعرف اليوم بطبقات فاحل او طبقات فحل جنوبي جسرا المجامع. وكانت تسمى فيما مضى (بلا). وهي احدى المدن اليونانية العشرة في شرق الاردن.

(١) (حروب الاسلام والامبراطورية الرومانية) لامين سعيد. ص ١٤٦

(٢) هي اليوم منطقة رملية بين مدينتي الرملة وبيت جبرين. وقد طمست معالمها عوامل الزمن. وعلى رأي الاستاذ احمد سامح الخالدي (راجع شرحه لمثير الغرام ص١٣) انها هي الخربة المعروفة بالجنابتين بالقرب من الرمله.

انتداب ابي عبيدة بن الجراح لفتح القدس

يظهر انابا عبيدة بن الجراح كان في تلك الاثناء، قد انتهى من فتح الشام، فاستخلف عليها يزيد بن ابي سفيان، ورجع هو ليتولى قيادة الجيش الاسلامي الذي كان يحاصر القدس (٦٣٥م). وراح عمرو بن العاص[١] فتتح المدن الفلسطينيه، الواحدة بعد الاخرى. وكان ابو بكر الصديق قد انتقل الى دار البقاء، وتولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب.

مقاديم الجيش :

وفي كتاب للآباء الفرنسيسيين[٢] انه بعد فتح الشام اوعز عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح[٣] ان يزحف الى القدس. فلبى ابو عبيدة امر الخليفة. واستدعى سبعة من مقاديم الجيش، فعقد لكل منهم راية، ضاما اليه خمسة آلاف مقاتل بين فارس وراجل. وامرهم بالمسير الى بيت المقدس.

ففي اليوم الاول[٤] دعا (خالد بن الوليد) فعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وسرحه الى بيت المقدس.

وفي اليوم الثاني دعا يزيد بن ابي سفيان). وعقد له راية. وضم اليه خمسة آلاف فارس. وامره ان يلحق بخالد.

(١) ابن خلدون ج٢ ص ١٠٥

(٢) طوطح وشحادة.

(٣) انه عامر بن عبيد الله بن الجراح. ويتصل في فهر بنسب النبي الذي لقبه (امين الامة). وهو احد العشرة الاولين الذين بايعوا النبي. توفي في طاعون عمواس (١٨هـ — ٦٣٩م). ودفن في الغور المعروف بـ (غور الكبد) من اعمال الاردن.

(٤) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس. ص. ب ١٦٠.

وفي اليوم الثالث دعا (شرحبيل بن حسنه). وعقدله راية. وضم اليه خمسة آلاف فارس من اهل اليمن. وقال له : سر بعساكرك الى بيت المقدس ولا تختلط بمن تقدم قبلك.

وفي اليوم الرابع دعا (المرقال بن هاشم). وعقد له راية. وضم اليه خمسة آلاف فارس من جميع المسلمين. وسرحه على اثر شرحبيل.

وفي اليوم الخامس دعا (مسيب بن نجية الغزاري). وعقد له راية. وضم اليه خمسة آلاف فارس من النخع وغيرها من القبائل. وامره بالمسير في اثر اصحابه.

وفي اليوم السادس دعا (قيس بن المرادي). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وسيره وراءهم.

وفي اليوم السابع دعا (عروة بن مهلهل ابن زيد الخيل). وعقد له راية. وضم اليه خمسة الاف فارس. وسيره وراء الجميع.

كان جملة من سيرهم عمر بن الخطاب من الشام الى بيت المقدس سبع فرق. مجموع افرادها خمسة وثلاثون الفاً. كلهم[١] فرسان نشيطون ورجال ماهرون في الفروسية والمبارزة ورمي النبال. وكان حملهم خفيفاً. وكانت مؤنهم واثقالهم لاتذكر. وكانوا يقنعون بالاقل من الحاجيات. وما عرف التاريخ اصبر منهم على العطش والجوع والمشي عند الحاجة. وكان مبدأهم في الحرب : « لن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها. ولا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ».

كان كل واحد من هؤلاء الامراء يحط رحله في

(١) البرغوثي وطوطح.

الموضع الذي خصصه له القائد العام ابو عبيدة بن الجراح تجاه بيت المقدس . فوصلوا كلهم ، الواحد بعد الاخر ، على سبعة ايام .

فحل خالد بن الوليد قرب الباب الذي يؤدي الى اريحا ، وعروة بن مهلهل مما يلي طريق الرملة . وفي المكان المعروف الان بباب الساهرة يزيد بن ابي سفيان . وكذلك فعل القواد الاخرون .

انذار ابي عبيدة بن الجراح :

ولما وصل ابو عبيدة الى الاردن ، بعث الرسل الى اهل ايلياء . وبعث معهم الانذار التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من ابي عبيدة بن الجراح الى بطارقة اهل ايلياء وسكانها . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول . اما بعد فانا ندعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور. فان شهدتم بذلك ، حرمت علينا دماؤكم واموالكموذراريكم ؛ وكنتم لنا اخوانا . وان ابيتم، فاقروا لنا باداء الجزية عن يد وانتم صاغرون . وان انتم ابيتم ، سرت اليكم بقوم هم اشد حبا للموت منكم لشرب الخمر واكل لحم الخنزير . ثم لا ارجع عنكم ان شاءالله ابدا، حتى اقتل مقاتليكم واسبي ذراريكم» .

انقضت الايام الاربعة الاولى دون حرب او ضرب . وانتظر المسلمون ان ياتيهم جواب الروم على الانذار المتقدم ذكره . ولكن دون جدوى . وفي اليوم الخامس[1] اقترب يزيد بن ابي سفيان من السور ، وكلم الروم المحاصرين بواسطة ترجمان اخذه معه . فخيرهم : اما ان يسلموا ، او يدفعوا الجزية، او القتال . فرفضوا الشقين الاولين ، واختاروا القتال .

وبعد ذلك كتب مقاديم الجيش الى ابي عبيدة يخبرونه بما جرى .فاصدر امره بالهجوم على المدينة. وقال لهم انه قادم في اثر الكتاب .

بدء القتال :

بدأ القتال في اليوم التالي . فكان اول من برز للقتال بنو حمير ورجال اليمن . فتلقاهم الروم بالنبال . وكان هؤلاء يتلقونها بدرقهم (دروعهم) . وفي اليوم الثاني تقدم الباقون من رجال القبائل الاخرى . ونشبت معركة دامية حتى اليوم العاشر . وفي اليوم الحادي عشر اشرقت راية ابي عبيدة ، وفي رفقته عبد الرحمن بن ابي بكر ، ونفر من الابطال المجاهدين . فاستقبله المسلمون بالتهليل والتكبير . فدب الرعب في قلوب الروم . وحمي وطيس القتال. واعتزم المسلمون ان لا يرفعوا الحصار حتى يقضي الله بينهم وبين الروم. وكان الوقت شتاء. ودام الحصار اربعة شهور . لم ينقض يوم واحد منها دون قتال . الى ان قنط السكان . وحل فيهم الضنك والجوع . فرأوا التسليم . وخرجوا الى ابي عبيدة مستأمنين . يتقدمهم قائدهم (صفرونيوس) حاملا على صدره الصليب المقدس . وعلى جانبيه القسس والرهبان : كل منهم يحمل الانجيلا . فطلبوا الصلح . فتلقاهم ابو عبيدة بالترحيب ، وخاطبهم بدعة ولين قائلا لهم : «ان التسليم اكثر نفعاً لكم » . فانصاعوا . ولكنهم اشترطوا ان لا يسلموا المدينة إلا لشخص الخليفة . فوافقهم . وامر جنده بالكف عن القتال . فسارت هدنة استمرت الى ان جاء عمر بن الخطاب .

---

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس . ص ١٦١ .

قرر الروم الاستسلام بحضور الخليفة :

كتب ابو عبيدة الى الخليفة يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم . لعبدالله عمر امير المؤمنين من عبيدة بن الجراح . سلام عليك . فاني احمد الله الذي لا اله الا هو . اما بعد فانا اقمنا على اهل ايلياء . فظنوا ان لهم في مطاولتهم فرجا . فلم يزدهم الله بهذا الا ضيقا ونقصا وهزالا وذلا . فلما راوا ذلك، سالوا ان يقدم عليهم امير المؤمنين، فيكون هو الموثق لهم والكاتب . فخشينا ان يقدم امير المؤمنين ، فيغدر القوم ويرجعوا ؛ فيكون مسيرك اصلحك الله عناء وفضلا . فاخذنا عليهم المواثيق المغلظة بايمانهم ، ليقبلن وليؤدن الجزية ، وليدخلن فيما دخل فيه اهل الذمة؛ ففعلوا . فان رايت ان تقدم فافعل . فان في مسيرك اجرا وصلاحا . اتاك الله رشدك . ويسر امرك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »

عمر بن الخطاب يلبي النداء :

كان عمر بن الخطاب رجلاً ديمقراطياً ، ولم يكن دكتاتوراً . ولهذا جمع اليه ، بمجرد وصول رسالة ابن الجراح ، اهل الحل والعقد ؛ واستشارهم في الامر . فكان رأي عثمان : ان لا يذهب الخليفة بنفسه . إذ ان العدو لا بد وان يضطر للتسليم ، ما دام قد اصيب بالضعف والرعب . وكان رأي علي : ان يسير الخليفة الى فلسطين ، عملا برأي قائده المحنك ، خشية ان ييأس العدو اذا رفضت شروطه المعقولة ؛ فيتمسك بحصنه ، او يأتيه مدد من عدو آخر . فيتغير الموقف ، وتنعكس الآية ، ويصيب المسلمين ضرر عظيم .

اخذ الخليفة برأي علي . وسار الى بيت المقدس بعد ان استخلفه على البلاد . وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة[١] :

سما عمر لما اتته رسائل
كاصيد[٢] يحمي صِرمة[٣] الحي اغيدا[٤]
وقد عضلت[٥] بالشام ارض اهلها
تريد من الاقوام من كان انجدا[٦]

سار عمر راكباً راحلته ، ومعه غلام له يعاقبه الركوب ؛ متزودين شعيراً وتمراً وزيتاً . وعلى بعيرهما الاحمر قربة ماء[٧] .

بعد ان سار[٨] امير المؤمنين عن المدينة قاصداً بيت المقدس نزل الجابية[٩]. فاستقبله[١٠] يزيد وابو عبيدة وخالد على الخيول . عليهم الديباج والحرير . فنزل واخذ الحجارة ورماهم بها . وقال : « ما اسرع ما رجعتم عن رأيكم . اياي تستقبلون في هذا الزي . وانما شبعتم منذ سنتين . وبالله لو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم » .

وفيما كان معسكراً بالجابية فزع الناس الى السلاح . فقال لهم ما شأنكم ؟ فقالوا : الا ترى الخيل والسيوف ! فنظر . فاذا كردوس يميلون

(١) نقلها الطبري في الصفحة ١٠٨ من كتابه
(٢) (الاصيد) الاسد الذي يختال في مشيته ، والملك الذي لا يلتفت الى ورائه .
(٣) (صرمة) بالصاد المكسورة قطاع الابل .
(٤) (غيد) الغلام يغيد غيداً مالت عنقه ولانت اعطافه فهو (اغيد).
(٥) (عضلت) الارض باهلها اي غصت بهم لكثرتهم وضاقت.
(٦) الرجل الشجاع الذي يقدم على مالا يستطيعه سواه .
(٧) (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي . ج ١ ص ٢٨ .
(٨) (اشهر مشاهير الاسلام) لرفيق بك العظم .
(٩) قرية من قرى الجولان شمالي حوران .
(١٠) ابن الاثير . ص ١٩٤ .

بالسيوف . فقال عمر : هذه مستأمنة ، فلا تراعوا، وامنوهم . فامنوهم . واذا هم اهل ايليـــاء . وعلى رأسهم (العوام) . فتلقاهم المسلمون براية الامان . وامـا (الارطبون) و (التـذارق) ومن لم يشأ مصالحة المسلمين من امراء الروم فقد لحقوا بمصر . ولم يكونوا مع الوفد .

قص الوفد على عمر بن الخطاب مـا هم فيـه من ضنك عظيم وحصار شديد . وقالوا له انهم ايقنوا بعد انقطاع المدد عنهم واستيلاء المسلمين على اطراف الشام ومدنها العظام ، مأخوذون لا محالة . وانهم خافوا إذا سلموا المدينة للمسلمين أن لا يصالحوهم على ما صولح عليه اهل المدن الاخرى ، لكثرة ما لاقى المسلمون منهم من عناء ، وما بذلوا في حروبهم من دماء . ولما كان بيت المقدس مكرماً عند المسلمين ، لانه محل الإسراء ، ومقر الانبياء ؛ خافوا ان ينزع المسلمون منهـم كنيستهم الكبرى . فرأوا توكيداً للامان ، ان ياخذوا العهد من امير المؤمنين . وقد طلبوا الأمان .

بعد ان سمع عمر بن الخطاب كلام وفد الروم ، غادر الجابية قاصداً بيت المقدس . فركب[1] فرسه . فرأى به عرجاً ، فنزل عنه . واتى ببرذون[2] ، فركبه . فجعل يتجلجل به . فنزل وضرب وجهه، وقال : لا اعلم من علمك هذه الخيلاء . فركب بعيرا ولم يركب برذونا بعده .

عندما اقترب عمر رضي الله عنـه من ايليـاء تلقـــاه المسلمون[3] بخيلهم ورماحهم ورجالهم . واصطفوا لاستقباله صفوفاً متراصة ؛ راكبين خيولهم ، سارعين رماحهم . ثم اقبـل عليه قائد الجيش ابو عبيدة في موكب عظيم من جنده وحاشيته . فاذا هو على قلوص[1] ، لابساً سلاحه ، متنكباً قوسه . فلمـــا راى امير المؤمنين؛ اناخ قلوصه ، واناخ امير المؤمنين بعيره . فنزل ابو عبيدة واقبل الى عمر . واقبـل عمر الى ابي عبيدة . فلمـا دنا عمر من ابي عبيدة مد ابو عبيدة .يده الى عمر ليصافحه، فمد عمر يده ؛ فاخذها ابو عبيدة واهوى ليقبلها، قاصدا تعظيمه . وتعانق الشيخان ، ثم ركبا يتسامران . وسارا، وسار الناس امامهما .

وهناك رواية اخرى تقول :ان عمر بن الخطاب جاء من المدينة راسا الى بيت المقدس . وانه لمـا وصل اليهـــا نزل على الجبـــل الشرقي المعروف ب (طور زيتا)[2] وحكي ان قـادة الجيش تلقوا عمر رضي الله عنه عندما اقترب من ايلياء ببرذون وثيـاب بيض . وكلموه ان يركب البرذون، ليراه العدو، فهو اهيب له عندهم . وان يلبس الثياب البيض ويطرح الفروة عنه . فابى . ثم لجوا عليه . فركب البرذون بفروته وثيابه . فهملج[3] بـه البرذون وخطام ناقته بيده بعـد . فنزل وركب راحلته ، وقال: «لقد غيرني هذا حتى خفت ان اتكبر وانكر نفسي . فعليـكم يا معشر المسلمين بالقصد ، وانما اعزكم الله عز وجل به » .

وبعد ان استراح قليلا قص عليه ابو عبيدة الخبر اليقين منذ افترقا الى ذلك الحين .

(١) ابن الأثير . ص ١٩٤ .

(٢) (البرذون) من الدواب مـا هو دون الخيل العراب واقدر من الحمير . انثاه برذونه وجمعها براذين .

(٣) الانس الجليل .

(١) القلوص من الابل الشابة .

(٢) هذا ماقاله مجير الدين في كتابة (الانس الجليل) .واما المؤرخون الاخرون فيقولون ان عمر اقبل على القـدس من ناحية (جبل المكبر) .ولما بلغ ذلك الجبل ورأى منه المدينة ،هلل وكبر . وتبعه صحبه . فهللوا وكبروا . ومن ذلـك اليوم سمي ذلك الجبل : (جبل المكبر) .

(٣) هملج البرزون مشى مشية سهلة في سرعة .

العهدة العمرية

بكى عمر على ما روى له رقة وحنانا . وامر من فوره ان يبلغوا بطريرك المدينه قدومه . فلبى امره على جناح السرعة . فخرج حينئذ البطريرك من الكنيسة ، يتبعه الاساقفة والقسيسون والرهبان والشمامسة ، حاملين الصليب المقدس . ولما انتهوا الى مقام الخليفة ، خف للقائهم . وقـد حياهم بالسلام . واقتبلهم بمزيد الاحتفاء والاكرام . ثم تحادثوا في شروط التسليم . وكتب لهم (١٥هـ — ٦٣٦م) وثيقة الامان التاليـة وهي التي عرفت فيما بعـد بالعهدة العمرية : —

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان . اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من اموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار احد منهم . ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود . وعلى اهـل ايلياء ان يعطوا الجزيـه كما يعطى اهل المدائن . وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم ، فهو آمن على نفسه وما له ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن اقام منهم آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم امنون على انفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم ، حتى يبلغوا مامنهم . ومن كان فيها من اهل الارض ؛ فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم . ومن رجع الى اهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمسة عشر .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان »

هذا هو عهد الامان الذي اعطاه عمر بن الخطاب لاهل ايلياء . وقد سلمه الى صفرونيوس بطريرك الروم ، وهو الذي طلب حضور الخليفة بنفسه ليتسلم المدينة . ولقد تسلمها عمر وسلم صفرونيوس هذا العهد . وقد اخذناه عن الامام ابي جعفر محمد ابن جرير الطبري . اقرأ الجزء الثالث الصفحه ١٠٥ من كتابه (تاريخ الامم والملوك) . طبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة . واخذه الطبري عـــن خالد وعبادة من الصحابة المعروفين . ونقل عنه معظم المؤرخين . وهو الذي اعتمدناه .

ونقل مجير الدين النص نفسه في كتابه (الانس الجليل) الصفحة ٢٢٤ ، وان كان في روايته بعض التحريف ، كقوله (مقيمها) بدلا من سقيمها ، و(بريها) بدلا من بريئها ، وبيعتهم بدلا من بيعهم . (وصليبم) بدلا من صلبهم . (وايليا) بدلا من ايلياء . وما الى ذلك من الفروق البسيطة التي يدركها القارىء اللبيب .

النص الحقيقي للعهدة

هذه هي (العهدة العمرية) . وهذا هو نصها الذي اجمع عليه المؤرخون! . ولست ادري ، وايم الحق ، من اين اتى رجال البطريركية الارثوذكسية في القدس ، بالنص الذي اذاعوه في اليوم الاول من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٥٣ ، وقالوا عنه انه نسخة عن الاصل المحفوظ في مكتبه الروم بالفنار من اعمال استانبول .

وهو ، في اعتقادي ، نص ملفق ؛ القصد منه اظهار ما للروم من (حق التقدم) على الطوائف المسيحية الاخرى . وما كنت لاعبأ بهذه الناحية ، لولا ان فيه ذكراً لطوائف لم تكن موجودة في القدس عندما دخلها عمر بن الخطاب ، ولم يأت ذكرها بتاتاً في العهدة العمرية .

وقبل ان ادلك على مواضع الضعف في النص المنشور حديثاً ، ارى من الحكمة ان ادرجه فيما يلي كما اذاعه رجال البطريركية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله الذي اعزنا بالاسلام واكرمنا بالايمان ورحمنا نبيه محمد ﷺ وهدانا من الضلالة وجمعنا بعد الشتات والف قلوبنا ونصرنا على الاعداء ومكن لنا من البلاد وجعلنا اخواناً متحابين . واحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة . هذا كتاب عمر بن الخطاب بعهد وميثاق اعطى الى البطرك المبجل المكرم وهو صوفرونيوس بطرك **الملت** الملكية في طور الزيتون بمقام القدس الشريف في الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا واين وجدوا وان يكون عليهم الامان . وان الذمي اذا حفظ احكام الدين وجب له الامان والصون منا نحن المؤمنين والى من **يتولى بعدنا وليقطع عنهم اسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من اسباب الطاعت والخضوع . وليكن الامان عليهم وعلى كنائسهم وادياراتهم وكافت** زياراتهم التي بيدهم داخلا وخارجاً **وهي** القمامة وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام كنيسة الكبراء والمغارة **ذي** الثلاثة ابواب قبلي وشمالي وغربي وبقية اجناس النصارى الموجودين هناك وهم **الكرج والحبش والذين ياتون للزيارة من الافرنج والقبط والسريان والارمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ويكون متقدماً** عليهم لانهم اعطوا من **حضرت** النبي الكريم والحبيب المرسل من الله **وشرفوا** بختم يده الكريمة وامر بالنظر اليهم والامان عليهم . كذلك نحن المؤمنين نحسن اليوم اكراماً لمن احسن اليهم ويكونوا معافين من **الجزيت** والغفر **والمواجب** ومسلمين من **كافت** البلايا في البر والبحور وفي دخولهم للقمامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء . واما الذين يقبلون الى الزيارة الى القيامة يؤدي النصراني الى البطرك درهم وثلث من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة **يحفظه** ما امرنا به سلطاناً ام حاكم ام والي يجري حكمه في الارض غني ام فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات . وقد اعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام عبد الله وعثمان بن عفان وسعد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف وبقية الاخوة الصحابة الكرام . فليعتمد على ما شرحنا في كتابنا هذا ويعمل به . وابقاه في يديهم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله واصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل في العشرين **من الشهر** ربيع الاول سنة **خامس وعشر** للهجرة النبوية **وكلمن قوى** مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن والى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثاً ولرسوله الكريم باغضاً » .

هذا هو النص الذي اذاعه رجال البطريركية بالقدس . وقد ارسلوا نسخا كثيرة منه الى مختلف المكاتب والدواوين . فاعتبره القوم حقيقة ثابتة !

واما الاسباب التي حدتني الى الشك في صحة هذه النسخة فهي :

اولا — **لأن** نصها يخالف النص الذي اعتمده المؤرخون العرب والذي دوناه في السطور المتقدمة .

ثانياً — لانه كتب باسلوب غير الاسلوب العربي

القديم الذي كان معروفاً في القرن الاول للهجرة . فما عرف العرب في ذلك القرن كلمة (الملت) بالتاء المفتوحة ، وانما عرفوها بالتاء المربوطة (الملة) . لا ، ولا (الذمت) و (كافت) و (حضرت) و (الجزيت) و (الطاعت) . فان التاء المفتوحة في الكلمات المتقدم ذكرها وفيما يشابهها من كلمات ، من وضع الاتراك - وكذلك قل عن الكلمات والجمل التالية :

« البطرك المبجل المكرم وهو صوفرونيوس بطرك الملت الملكية في طور الزيتون بمقام القدس الشريف . . . » .

« كحسب ما قد جرى منهم من الطاعت والخضوع . . » .

« . . لانهم اعطوا من حضرت النبي الكريم والحبيب المرسل من الله . . » .

« . . وكلمن (. .) قرى مرسومنا هذا . . » . وكأنهم يريدون ان يقولوا : كل من قرأ مرسومنا هذا . . .

هذه وغيرها من الكلمات والتعابير ، ولا سيما الكلمات التركية المثبتة في الطرف الايسر من البيان المنشور ، وقد قيل عنها انها (ترجمة حرفية) للنص الاصلي (؟) . . كل ذلك يدل على انها نسخت في العهد التركي . وفي صدرها كلمة (عهدنامه) وشهادة (رب سهل امورحسين) . . كل ذلك مكتوب بمداد مختلف الالوان : فيه الاسود والاحمر والمذهب . وبعض السطور مزينة باشكال مختلفة من الزهر . الامر الذي لم يكن مألوفا في القرون السابقة ، بله القرن الاول للهجرة .

ثالثاً — ما كانت هذه المدينة تسمى يومئذ بـ (القدس) . لا ، ولا بالقدس الشريف . بل كان اسمها: (ايليا) و (ايلياء) .

ولقد صحبها اسمها هذا منذ عهد الرومان ؛ يوم فتك الامبرطور ادريانوس باليهود ، وخرب اورشليم (١٣٩ م) ، وبنى على انقاضها مدينة جديدة اسماها : (ايليا كابيتولينا) . وهي مشتقة من (ايليوس) كلمة يونانية معناها الشمس و (كابيتول) معناها المركز او المقر . وقد ظل هذا الاسم معروفا في اوائل الفتح الاسلامي . فخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهده اهل (ايلياء) ولم يخاطب اهل القدس . ولم يكن اسم (القدس) معروفاً في ذلك العهد .

رابعاً — المعروف انه لم يكن من الطوائف النصرانية في ايلياء ، عندما فتحها عمر بن الخطاب ، سوى « الروم » . اذ كانت فلسطين كلها ، لا ايلياء وحدها ، في عهد هرقل داخلة في حظيرة الدولة البيزنطية ، وكانت تسودها تعاليم الكنيسة الشرقية . وكان الروم وحدهم موضع البحث في ذلك الحين . ولم يرد في النص الاصلي اي ذكر للافرنج والقبط والسريان والارمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة ، الذين ذكروا في النص الذي اذاعته البطرىركية انهم كانوا تابعين لبطريرك الروم ! . وليس يعني هذا ان العهدة العمرية لا تشمل هذه الطوائف او انها مستثناة من الامان . وانما نعني انه لم يبحث عنهم . ولو كان منهم احد يومئذ في القدس ، لنص عنهم في العهد .

ذلك لان الغاية واحدة. الا وهي «التسامح الديني». وهذا ما كان يهدف اليه الخليفة في عهده، ومـا فعله الخلفاء من بعده.

أهل ايلياء أيضاً يمضون عهداً :

قال عبد الرحمن بن غنم[١] ان عمر بن الخطاب كما انه اعطى اهل ايلياءعهداً، اخذ عليهم ايضاً عهداً حين صالحهم. واليك صيغة العهد الذي اخذه عليهم :

« هـذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين من نصارى مدينة ايلياء. انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا. وشرطنا لكم ان لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية[٢] ولا صومعة راهب. ولا نجس منها ما كان في خطط المسلمين. ولا نمنع كنائسنا ان ينزلها احد من المسلمين في ليل ولا نهار. وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل. وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال، نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً. ولا نكتم غشاً للمسلمين. ولا نعلم اولادنا القرآن، ولا نظهر شركاً، ولا ندعو اليه احداً، ولا نمنع احداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده. وان نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر. ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكنى بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح، ولا نحمله معنا. ولا ننقش على خواتمنا بالعربية. ولا نبيع الخمور. وان نجز

(١) الانس الجليل

(٢) مصرية. معناها مسكن الاسقف.

مقادم رؤوسنا، وان نلزمزينا حيثما كنا. وان نشد زنانير على اوساطنا. ولا نظهر الصليب على كنائسنا. ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في اسواقهم. ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضرباً خفيفاً. ولا نرفع اصواتنا مع موتانا. ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين. ولا نطلع عليهم في منازلهم.. »

هذا ما كتبه قائد جيشه. ولما اتى عبد الرحمن بن غنم بالكتاب الى عمر بن الخطاب زاد فيه ما يأتي :

«... ولا نضر احدا من المسلمين. شرطنا لكم ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان. فان نحن خالفنا شيئاً من شروطنا لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا. وقد حل لكم منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق. »

هذا ما رواه الامام البيهقي وغيره. ويقول مجير الدين في كتابه (الأنس الجليل) ان هذه الشروط اعتمدها ائمة الاسلام وعمل بها الخلفاء الراشدون.

متى تم فتح القدس ؟

بعد ان امضى عمر بن الخطاب لاهل ايلياء عهد الامان واخذ عليهم صك العهد المتقدم ذكره، دخل بيت المقدس سنة ١٥ للهجرة (٦٣٦ م.) هذا ماقاله مجير الدين في كتابه الانس الجليل. وقد ايده في ذلك الطبرى وغيرهما من المؤرخين. واما سبط بن الجوزي ورفيق العظم[١] وابن العماد[٢] والمسعودي[٣] وابن رستة[٤] فقد ذهبوا

(١) مؤلف كتاب (اشهر مشاهير الاسلام).

(٢) مؤلف كتاب (شذرات الذهب) ج ١ ص ٢٨

(٣) مؤلف كتاب (التنبيه والاشراف) ج٧ ص ٣٢٩.

(٤) مؤلف كتاب (الاعلاق النفيسة) ص ٣٢٩.

الى ان فتح بيت المقدس قد تم في سنة ست عشر في ربيع الاول، وقيل لخمس خلون في ذي القعدة. واما ابن خلدون (ص ١٠٦) فقد ذكر الروايتين ولكنه رجح الاولى (اي ١٥هـ). وكذلك فعل ابو الفداء[١]. واما البلاذري[٢] فانه يقول ان فتح ايلياء تم في سنة ١٧ للهجرة.

عندما دخل عمر المدينة استقبله صفرونيوس. وقد دخل من ورائه المسلمون. دخلوها مكبرين مهللين. وعلى قول الانس الجليل ان عدد الصحابة الذين دخلوها معه اربعة الاف. وقد كانوا متقلدين سيوفهم. وراية العرب ترفرف فوق رؤوسهم.

تذكرت حرب الروم[٣] لما تطاولت
واذ نحن في عام كثير نزائله
واذ نحن في ارض الحجاز وبيننا
مسيرة شهر بينهن بلابله
واذ ارطبون الروم يحمي بلاده
يحاوله قرم هناك يساجله
فلما رأى الفاروق ازمان فتحها
سما بجنود الله كيما يصاوله
فلما احسوء وخافوا صواله
اتوه وقالوا انت ممن نواصله
والقت اليه الشام افلاذ بطنها
وعيشا خصيبا ما تعد ماكله
اباح لنا ما بين شرق ومغرب
مواريث اعقاب بنتها قرامله
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله
تحمل عبا حين شالت شوائله

(١) مؤلف كتاب (المختصر في اخبار البشر) ص ١٦٩.
(٢) مؤلف كتاب (فتوح البلدان) ص ١٤٥.
(١) من قصيدة لزياد بن حنظلة اشار فيها الى فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب. نقلناها عن الطبري ص ١٠٨

الصحابة الذين اشتركوا في الفتح:

وانه ليحسن بنا ان نذكر هنا اسماء الصحابة الذين دخلوا بيت المقدس يومئذ مع عمر بن الخطاب نقلناها عن الانس الجليل ومثير الغرام:

ابو عبيدة بن الجراح (واسمه عامر بن عبد الله ابن الجراح) الفهري. معاذ بن جبل الانصاري. بلال بن رباح مؤذن الرسول. عياض بن غنم[١]. خالد بن الوليد[٢]. ابو ذر الغفاري (واسمه جندب بن جناده). ابو الدرداء عويمر[٣]. عبادة بن الصامت الانصاري[٤]. سلمان الفارسي[٥]. ابو مسعود الانصاري (عقبة بن عامر البدري). تميم بن اوس الداري[٦]. عمرو بن العاص السهمي. عبدالله ابن سلام ابو الحارث (اسرائيلي الاصل وكان اسمه الحصين فغيره الى عبدالله. شهد فتح بيت المقدس). سعيد بن زيد (وعن مثير الغرام انه سعيد بن زيد

(١) جاء في مثير الغرام – انه بنى في بيت المقدس حماما.
(٢) بطل اليرموك. دخل بيت المقدس وشهد فتح دمشق. وتوفي بحمص. وقبره فيها يزار.
(٣) جاء في شرح مثير الغرام للاستاذ احمد سامح الخالدي انه هو سعد بن ابي وقاص. وفي الانس الجليل ان ابا الدرداء عويمر رجل، وسعد بن ابي وقاص رجل اخر. وكلاهما من الصحابة الذين حضروا فتح بيت المقدس.
(٤) (عبادة بن الصامت) صار بعدئذ واليا على ايلياء. وهو اول من تولى القضاء في فلسطين. سكن بيت المقدس. ومات ودفن فيها (٣٤ هـ).
(٥) كان مملوكا فارسيا، فاسلم. ثم اشتراه ابوبكر، واعتقه. وقد مات في خلافة عثمان بالمدائن (٣٦ هـ).
(٦) «تميم بن اوس الدارى» دخل القدس يوم الفتح. وكان اميرا عليها يقضي للناس باذن عمر. رغم المقام الرفيع هذا دخل عليه «روح بن زنباع» الجذامي يبغي لفرسه شعيرا عملا بقول النبي «من نقى لفرسه شعيرا في سبيل الله كتب له بكل شعيرة حسنة». رواه الطبراني في معجمه الصغير «مثير الغرام ص ٢٤٣». قيل انه اول من اسرج المساجد. توفي سنة ٤١ هـ.

ابن عمرو بن نفيل) . ابو اسحاق سعد بن ابي وقاص (واسمه مالك بن وهب) . مرة بن كعب الفهري. كان من خطباء ايليا في امارة معاوية ، توفي بالاردن (٥٧هـ – ٦٧٦ م). شداد بن اوس ابن اخي حسان بن ثابت[١] وقبره ظاهر ببيت المقدس يزار في مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد الاقصى . ابو هريرة (واسمه عبد الرحمن بن صخر) . معاوية بن ابي سفيان . وقد تعاهد مع عمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان على ان يناصر كل منهما الآخر .

ومن الذين حضروا فتح القدس ايضاً عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي . عبدالله بن عباس . عبدالله بن عمر بن الخطاب . عوف بن مالك ابن عوف الاشجعي . ابو جمعة الانصاري . جندب بن سباع وقيل حبيب بن سباع وقيل ابن وهب . واثلة بن الاسقع الهوازني . مات في بيت المقدس . وقيل مات في الشام . ابو امامة صدى بن عجلان الباهلي ، سكن بيت المقدس . محمود بن الربيع (ابو نعيم). يزيد بن ابي سفيان. (كان اميرا بالشام ولما مات امر عمر مكانه اخاه معاوية بن ابي سفيان) . ابو ريحانة شمعون القرظي (من بنى قريظة كانت ابنته ريحانة سرية النبي ، سكن بيت المقدس وكان يعظ في المسجد الاقصى ، مات من غير عقب ودفن في القدس) . الشريد بن سويد . عبدالله بن ابي الجدع التميمي ويقال له الكناني . فيروز الديلمي (ويقال له ابو عبدالله وقيل ابو عبد الرحمن وابو الضحاك الحميري . سكن بيت المقدس . ويقال انه مات بها وجاء في مثير الغرام ان معاوية ولاه على صنعاء) ذو الاصابع اليمني[١] ويقال له الجهني او الخزاعي . قال الحافظ ابو بكر الخطيب انه مات ودفن في القدس. مات من غير عقب . ابو محمد البجاري (الانصاري البدري) قال صاحب مثير الغرام اظنه مسعود بن انس بن زيد بن احرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك البجاري . كذا نسبه الواقدي وغيره . قال الحافظ ابو بكر الخطيب انه مات من غير عقب. ودفن في القدس . سلام بن قيصر (وقيل سلامة بن قيصر) . كان واليا لمعاوية على بيت المقدس، وله عقب بها. وانكر بعضهم صحبته . مات ودفن في القدس . عبدالله بن كعب[٢] (ويقال له ابن ام حرام) . سكن بيت المقدس . وهو اخر من مات فيها من الصحابة . عصيف بن الحارث. صفية بنت حيى ام المؤمنين. قدمت بيت المقدس فصلت فيه. وصعدت على طور زيتا فصلت. ودعت الى الله ، ثم قالت: «من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة الى الجنة او الى النار » . علقمة بن حكيم . صفران ابن امية . سهيل بن عمرو . الحارث بن هشام .

عمر بن الخطاب وكنيسة القيامة :

كان اول عمل قام به عمر بن الخطاب بعد فتحه بيت المقدس ان زار كنيسة القيامة. ولما كان في داخل الكنيسة حان وقت الصلاة . فاشار عليه

---

(١) كان ذا علم وحلم وعبادة واجتهاد . وهو الذي بشره النبي لما دنت وفاته « صعمم » بفتح الشام وبيت المقدس. وله عقب ببيت المقدس .

(١) انه من اهل اليمن الذين جاؤا للفتح ونزلوا ببيت المقدس. روى عنه انه قال : «قلت يا رسول الله ارايت ان ابتليت بالبقاء بعدك اين تامرني . قال ، عليك بيت المقدس. لعل الله يرزقك ذرية يغدون ويروحون اليه (يعني مسجد بيت المقدس) شرح مثير الغرام ص ٣٢ .

(٢) من اوائل الذين اسلموا وممن صلى الى القبلتين . انه قريب عبادة بن الصامت . وهو احد الاربعة الذين جمعوا القرآن (الشذرات ج١ – ص ٣٢) . فقال عمر عنه يوم مات : (اليوم مات سيد المسلمين) .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم. ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم. ولا ينتقص منها ولا من حيزها. ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم. فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله. لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك — كتب وحضر سنة ١٥

خالد بن الوليد — عمرو بن العاص — عبد الرحمن بن عوف — معاوية بن أبي سفيان

عمر بن الخطاب



الخليفة العادل عمر بن الخطاب امام اسوار بيت المقدس

البطريرك صفرونيوس ان يصلي في داخل الكنيسة قائلا : (مكانك صل). ولكن عمراً ابى وخرج من الكنيسة ، وصلى في مكان قريب منها لجهة الجنوب. وبعد ان اتم صلاته قال للبطريرك : (ايذن لي ايها الشيخ ، انني لو اقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها الايدي من بعدي في حجة اقامة الصلاة فيها . واني لآبى ان امهد السبيل لحرمانكم منها ، وانتم لها احق واولى) .

أين بنى عمر مسجده ؟

ثم طلب الى البطريرك ان يريه مكان الهيكل . وفي قول – وهذا هو الاصح – ان عمر طلب الى البطريرك ان يدله على مكان يبني فيه مسجداً للمسلمين. فدله البطريرك على منطقة الهيكل .

وذهب الاثنان معاً الى منطقة الهيكل، يرافقهما عدد من الصحابة والقسس وقادة الجيش . وكان المكان مهجوراً بالمرة ، ينعق فوقه بوم الخراب .ولم يكن فيه سوى الطلل الباقي من عهد الرومان .ولم يكن على الصخرة أي نوع من انواع البناء . لا بل كانت الصخرة مغطاة بالزبل والاقذار . اذ كان سكان المدينة قد اتخذوها مزبلة .

فدهش عمر، وراح ينضح التراب بكفيه، وينقله بثوبه ؛ وتبعه الصحابة ، فراحوا يرفعون عن الصخرة التراب ، الى ان بدت للناظرين ؛ فأمر عمر ببناء مسجد في ذلك المكان .

ذكر المؤرخون هذه الحقيقة. وهي ان عمر رضي الله عنه قد بنى مسجده في المنطقة التي كان يقوم فيها الهيكل . وقال بعضهم انهم رأوا المسجد بأعينهم[١]

وأنه كان يتسع لثلاثة الاف من المصلين . ولكن احداً من هؤلاء وأولئك لم يذكر لنا : اين كان ذلك المسجد بوجه التحديد ؟ فمنهم من قال : انه كان عند الصخرة التي نظفها عمر بيده . ومنهم من قال : انه كان في الموضع نفسه الذي يقوم عليه البناء الحالي للمسجد الاقصى .

وسواء بنى عمر رضي الله عنه مسجده في هذا الموضع ، أو ذاك ؛ على الصخرة ، أو الى جانبها ، أو بعيداً عنها ؛ فانه مما لا شك فيه أن موضع الحرم الحالي بوجه الاجمال مقدس في نظر المسلمين .

انه اولى القبلتين . فقد صلى المسلمون عليه في باديء الامر نحو سبعة عشر شهراً قبل ان يتخذوا الكعبة قبلتهم .

وهو ثالث الحرمين اللذين خصهما الله بالشرف والتعظيم[١] .

وقد روي عن النبي (صلعم) أنه قال : « ان الصلاة في المسجد الاقصى افضل من الصلاة في غيره ». ولهذا امر المسلمين ان يحرموا للحج من بيت المقدس . وفي ذلك قال : « من أهل بالحج والعمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة » .

وفي رواية اخرى[٢] ان عمر انتهى الى المسجد الاقصى ليلاً . فدخله ، وصلى به . ولم يلبث ان طلع الفجر . فامر المؤذن بالاقامة . فتقدم ، وصلى

(١) ومنهم السائح المعروف (آركولف) الذي زار القدس سنة ٦٣٣ للميلاد . والسائح المؤرخ (جيروم) الذي زارها بعده بقليل .

(١) الاول هو (المسجد الحرام) بمكة . والثاني هو المسجد الذي دفن فيه النبي بالمدينة . وهذا هو الثالث . وقد جاء في الحديث : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام . ومسجدي هذا . والمسجد الاقصى .

(٢) اشهر مشاهير الاسلام – لرفيق بك العظم .

بالناس ، ثم دعا بكعب الاحبار[1] وكان لما دخل المسجد ، قال : ارقبوا لي كعبا . ولما اتى به قال له : « اين ترى ان نجعل المصلى » ؟ فقال : « الى الصخرة » . قال عمر : « ضاهيت والله اليهودية يا كعب » . ثم قال : « بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورها » . فانا لم نؤمر بالصخرة ولكنا امرنا بالكعبة . فجعل قبلته صدره .

ثم قام الى كناسة[2] كان الروم قد دفنوا بها الهيكل[3] في زمن بني اسرائيل ، وقال : « يا ايها الناس ، اصنعوا ما اصنع ». وجثا في اصلها ، وجثا في فرج من فروج قبائه . وبنى فوقه مسجدا . وبينا كان عمر ينظف موضع الصخرة سمع التكبير من خلفه . فقال : ما هذا ! قالوا : كبر كعب ، وكبر الناس بتكبيره .

ولا غرابة ان يظهر كعب الاحبار سروره ويكبر لما جرى . وهو اسرائيلي الاصل . يعلم سوء ما لاقى بنو اسرائيل من الرومان ، وما كانوا يلاقونه من اضطهاد من النصارى الذين حظروا عليهم حرية التوجه الى قبلتهم . كما يعلم جميل المسلمين لاهل الكتاب واطلاقهم لهم حرية التعبد والسكن والاعتمال حيثما كانوا .

تفقد عمر معالم المدينة ومصالح السكان :

وبعد ان اتم عمر بن الخطاب زيارته لهذين المكانين المقدسين : القيامة والصخرة . راح يجول

(١) كان يهودياً ثم اعتنق الاسلام. ورافق عمر بن الخطاب اثناء فتحه بيت المقدس. وكان اليهود يتمنون ان لو يفتح المسلمون بيت المقدس نكاية بالمسيحيين. وكثيراً ما كانوا يحرضونهم على فتحها.

(٢) الكناسة الزبالة .

(٣) الهيكل الذي بني على الصخرة . وكان الرومان قد هدموه والقوا عليه الزبالة نكاية باليهود .

في شوارع المدينة ويغشي اسواقها . وكانت هذه لا تزال تئن من الخراب الذي احدثه الغزو الفارسي . ذلك الغزو الذي سبق الفتح الاسلامي باثنتي عشرة سنة . فرآى بعين ثاقبة ان يبدأ بالتنظيم الاداري والقضائي اولاً . فلم يتمهل ، ولم يتوان . ففرض للمسلمين الفروض[1] واعطى العطايا . اعطى صفوان ابن امية والحارث بن هاشم وسهيل بن عمرو اقل مما اخذ من قبلهم . فامتنعوا من اخذه . وقالوا : لا نعرف ان يكون احد اكرم منا . فقال : اني انما اعطيتكم على السابقة في الاسلام ، لا على الا حساب. قالوا : فنعم اذن ، واخذوا[2]

ثم وضع التاريخ الهجري . ودون الدواوين . وقسم البلاد الى مناطق . وعين عليها الامراء . ورتب البريد. واقام العيون (الاستخبارات) .وعين قاصياً (مفتشاً) يطوف على المأمورين ، ويحق الشكايات. واسس الحسبة (البلدية) لمشارفة الموازين والمكايل ومراقبتها ولمنع الغش وتنظيف الازقة وشر الكنف والرفق بالحيوان . وهدم البناء المحدث في وسط السوق. وحظر على الناس الازدحام في الطرق.

وحضهم على التجارة ، فقال : «لا يلهكم الرياسة وحبها. لا يغلبنكم الغرباء على التجارة فانها ثلث الامارة».

روى عن سلامة بن قيصر وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلفه ببيت المقدس يصلي بالناس، انه رضى الله عنه لما فتح بيت المقدس وقف على راس السوق في اعلاه فقال : لمن هذا الصف ؟ يعني صف سوق البزازين . فقالوا : للنصارى. فقال :لمن الصف

(١) الرواتب .

(٢) (الكامل في التاريخ) لعماد الدين اسماعيل بن سعيد المعروف بابن الاثير الحلبي المتوفى سنة ٦٩٩ هـ ص ١٩: والطبري ص ١٠٨ .

الغربي الذي فيه حمام السوق ؟ فقالوا للنصارى . فقال بيده هكذا : هذا لهم، وهذا لهم يعني النصارى. وهذا لنا مباح يعني السوق الاوسط الذي بين الصفين وكانت فيه قبة من رصاص .

ذمي يشكو امره لعمر ، فيأخذ بيده :

وبينما كان يبحث عن شؤون المدينة وعما اصاب سكانها من حيف وضيم اثناء الفتح ، اتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرم عنب .فشكا اليه الذمى قائلا[1]: يا امير المؤمنين كرمي كان في ايديهم ، فلم يستبيحوه ، ولم يتعرضوا له . وانا رجل لي ذمة مع المسلمين، وقعوا فيه فدعا عمر رضي الله عنه ببرذون له . فركبه عريانا من العجلة . ثم خرج يركض في اعراض المسلمين . فكان اول من لقيه ابو هريرة يحمل فوق رأسه عنباً . فقال له : وانت ايضاً يا ابا هريرة ! فقال : يا أمير المؤمنين . أصابتنا مخمصة شديدة . فكان احق من اكلنا من ماله من قاتلنا . فتركه عمر . ثم اتى الكرم . فنظره . فاذا هو قد اسرعت الناس فيه . فدعا عمر الذمي ، فقال له : كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا . فقال له شيئا . قال : فخل سبيله . ثم اخرج عمر ثمنه الذي قال له . فاعطاه اياه . ثم اباحه المسلمين .

وقد امر رجاله بالعدل . وقال لهم : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .

تقشف أبي عبيدة بن الجراح :

روى ان عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الامان والصلح، دخل الناس بعضهم في بعض واقام عمر اياماً . ثم قال لأبي عبيدة : « لم يبق امير من الاحياء غيرك الا استزارني » . فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين . اني اخاف ان استزيرك فتعصب عينيك في بيتي . قال : فاستزرني . قال : فزرني . فلما أتاه عمر في بيته فاذا ليس فيه شيء الا لبد فرسه . واذا هو فراشه وسرجه. . واذا هو وسادته .واذا كسر يابسة في كوة[1] بيته.فجاء بها. فوضعها على الارض بين يديه . واتاه بملح جريش وكوز خزف فيه ماء .فلما نظر عمر الى ذلك بكى . ثم قال : انت اخي . وما من احد من اصحابي الا وقد نال ونالت منه غيرك . فقال له ابو عبيدة : « الم اخبرك انك ستعصب عينيك » .

ثم جمع المسلمين فقال : ما يحل للوالي من هذا المال ؟فقالوا جميعاً : اما لخاصته فقوته وقوت عياله ، لا وكس ولا شطط . وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف . ودابتان الى جهاده وحوائجه وحملانه الى حجه وعمرته . والقسم بالسوية ان يعطي اهل البلاء على قدر بلائهم . ويرم امور الناس بعد . ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تكشف . ويبدا باهل الفيء اي الذين افاء الله عليهم بان اشتركوا في الجهاد والفتح ، ولمن لحق بهم واعانهم واقام معهم

عمر بن الخطاب ينصح رجاله :

بعد ان رتب الامور ووضع كل شيء في نصابه اعتزم الرجوع الى المدينة . وقبل مغادرته بيت المقدس ودع جنده . وبعد ان حمد الله واثنى عليه بما هو اهل له ، وصلى على نبيه ، خاطبهم قائلاً[2] :

« يا اهل الاسلام ، ان الله قد صدقكم الوعد .

---

(١) الانس الجليل.

(١) « الكوة » الخرق الصغير في الحائط و« الكو » الخرق الكبير .

(٢) الانس الجليل .

ونصركم على الاعداء . واورثكم البلاد . ومكن لكم في الارض . فلا يكونن جزاؤه منكم الا الشكر . واياكم والعمل بالمعاصي . فان العمل بالمعاصي كفر للنعم . وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ، ثم لم يفزعوا الى التوبة ،الا سلب عزهم وسلط عليهم عدوهم».

وبعد ذلك أذن بلال ، وسمع الصحابة صوته ، فذكروا النبي ، وبكوا . اذ كان آذانه ذاك اول اذان بعد موت النبي . وكان اطولهم بكاء ابو عبيدة الجراح القائد العام الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في افتتاح بيت المقدس . ثم قضى صلاته ، وقفل راجعاً الى الحجاز .

يزيد بن أبي سفيان يتولى إدارة القدس :

وقبل سفره الى الحجاز اقام عمر على بيت المقدس (يزيدبن ابي سفيان)، على ان ياتمر باوامر ابي عبيدة بن الجراح . وانتدب للصلاة من بعده (سلامة ابن قيصر) . هذا في بيت المقدس ومن الناحية الادارية . واما من الناحية العسكرية فقد امر على فلسطين رجلين . فجعل (علقمة بن حكيم) على نصفها الشمالي وانزله الرملة ، و (علقمة بن مجزز) على نصفها الجنوبي وانزله ايلياء . فنزل كل منهما في عمله مع جنوده .

عمر بن الخطاب يزور القدس مرة اخرى :

ولقد عاد عمر ، فزار القدس مرة اخرى عام ١٧ للهجرة (٦٣٩ م) ويعرف بعام الرماد ؛ اذ اجتاح[١] الحجاز عامئذ قحط شديد ، وجاع الناس ، وهلكت الماشية . فامر الخليفة عامليه ابا عبيدة وعمرو بن العاص ،فارسلا الحبوب من سورية

(١) بيك باشا ص ١٠٤ .

وفلسطين الى البلاد الحجازية بطريق العقبة . وقيل ان السبب في مجيئه هو الطاعون. فقد انتشر هذا في الشام وفي فلسطين .ودام فيها ثلاثين يوماً ، وانتشر بشكل خاص في (عمواس) . فمات من جرائه خلق كثير : منهم ابو عبيدة بن الجراح[١] وضرار بن الازور الكندي[٢] ومعاذ بن جبل[٣] ويزيد ابن ابي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، والحارث ابن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن سهيل وعدد آخر من اشراف الناس[٤] . فخاف عمر ان ينتهز الروم فرصة ضعف البلاد ، بسبب هذه المصائب ؛ فسار الى القدس ، ونزلها ثانية . فآسى الثكالى واليتامى ، واعان الفقراء والمحتاجين . ونظر في امور الناس ومصالحهم . ثم صلى وصلى الناس من ورائه . وبكى وبكوا معه على تلك الارواح الطاهرة التي قضت نحبها وهي تجاهد في سبيل اعلاء كلمة الله .

اثر الفتح الاسلامي في فلسطين :

وانه لجدير بنا ان نذكر هنا[٥] ان الشعب الفلسطيني لم يتاثر ، على مر الدهور ، باي فتح مثل تاثره بالفتح اسلامي ، وان ثقافته لم تتاثر عن طريق الامم التي احتلت بلاده ، مثل تاثرها بالفتح العربي. **فقد ترك هذا الفتح العظيم في هذه البلاد طابعا لا تقوى على محوه يد الدهر .**

ولم يكن الفتح العربي للقدس فتحا دينيا فحسب ؛ بل كان فتحا عسكريا ، وعنصريا ، ولغويا ايضا[٦]

(١) دفن في غور ابي عبيدة ، وقبره لا يزال ظاهرا للعيان .
(٢) دفن بالقرب من ابي عبيدة بن الجراح .
(٣) دفن في الشونة (٤) الطبري . ج ٣ ص ١٦١
(٥) المهتدي ص ٤
(٦) المهتدي ص ٥

انه كان فتحا عسكريا ، لان فتوحات العرب من بعده اتسعت حتى شملت الهند والصين من الشرق وبحر الظلمات من الغرب ؛ وعنصريا ، لان الجنس العربي تغلب على الاجناس الاخرى بدرجة انه تمثلها في اكثر الاقطار ؛ ولغويا ، لان اللغة العربية انتشرت انتشارا سريعا .

وضرب المسلمون [١] في بيت المقدس ، غداة الفتح ، مسكوكات من النحاس نقشوا على وجهها (محمد رسول الله) ورسم سيف، وعلى الوجه الاخر ايلياء وفلسطين وحرف «م» و «الهلال» .

كانت اللغة اليونانية قبل الفتح الاسلامي وفي اوائله سائدة في بيت المقدس . فاتت ، مع الفتح ، اللغة العربية تنافسها . وما هي الا بضع سنين حتى تلاشت الاولى وسيطرت الثانية . وفي خلافة عبد الملك بن مروان الغيت اليونانية، وقامت مكانها اللغة العربية . وراحت هذه تستعمل في جميع مصالح الدولة ودواوينها . وضربت الدنانير الاسلامية. فاصبحت الحكومة عربية بكل ما في هذه الكلمة من معنى . ومستقلة استقلالا تاما بكل ما في كلمة الاستقلال من معان سياسية واقتصادية وثقافية . والفضل في ذلك كله يعود الى الفتح العربي الذي تم على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب .

التسامح الديني

ولقد تمتع المسيحيون[٢] في زمن العرب بالحرية الدينية . وراوا من شممهم وابائهم وكرم نفوسهم ما لم يروا مثله من الرومان والبيزنطيين المسيحيين انفسهم » .

(١) مجلة « الراعي الصالح » . ج ١٢ . ٣١ ديسمبر ١٩٤٣ ص ١٨٢

(٢) تاريخ القدس – اطوطح وبولس . ص ٢٥ .

تغلغل القبائل العربية في البلاد :

ومن مميزات الفتح العمري ان العنصر العربي قد انتشر في فلسطين انتشاراً سريعاً . واليك[١] اسماء بعض الذين وصلت الينا اسماؤهم ممن نزلوا بيت المقدس بعد الفتح العمري وقبل الفتح الصلاحي . فريق منهم نزله زائراً وفريق مستوطنا :

اويس بن عامر القرني . عبيد عامل عمر على بيت المقدس . استعمله على بيت المقدس عندما وقع الطاعون فيها ، فكانت الجنائز تغسل وهو يصلي فيها . ولا يحمل الجنائز الا الشباب . عمر بن سعد من عمال عمر بن الخطاب ، استعمله على حمص. شداد[٢] بن اوس ، وكنيته ابو ثابت . حضر فتح بيت المقدس . ابو نعيم المؤذن وهو اول من اذن ببيت المقدس (بعد بلال).وكان عبادة بن الصامت والي ايلياء يأتم به في صلاته . ابو الزبير الدار قطني . مؤذن بيت المقدس . ابو سلام الجيش (واسمه محظور) . ابو جعفر الحرش (وفي مثير الغرام ابو خصص) . خالد بن معد بن الكلاعي . جهينة ام الدرداء[٣] . كانت تجالس المساكين ببيت المقدس. فتقيم سنة فيه ، وسنة في الشام . ابو العوام ، مؤذن بيت المقدس . قبيعة بن ذؤيب . عبدالله بن محيريز. هاني بن كلثوم . عرضت عليه امارة فلسطين فامتنع . محارب بن اثار . كان قاضياً . وحديثه

(١) الانس الجليل ومثير الغرام .

(٢) انه شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر ، صحابي من الانصار . كان عالماً ، وكان تقياً وحليماً . مات في بيت المقدس ودفن فيها (٤١ هـ) .

(٣) خطبها معاوية بن ابي سفيان فابت . وقالت سمعت ابا الدرداء يقول سمعت رسول الله يقول المراة لآخر ازواجها فاذا اردت ان تكوني زوجي في الجنة فلا تتخذي بعدي زوجا. ومن اقوالها : « طلبت العبادة في كل شيء. فما رايت اشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم » .

يخرج في كتب الاسلام . وكان يقوم الليل، ويكف عن الناس ، ويبسط في النفقة لسكان بيت المقدس . عبدالله بن فيروز الديلمي . فقيه مقدسي خرج له ابو داود والنساءي وابن ناحبة . زياد بن ابو سودة . مقدسي روي عن عبادة بن الصامت وابي هريرة . ابو الحسن الازهري الاندلسي الملقب بالنهرواني . ابراهيم بن محمد بن يوسف العرياني. ابو عتبة الخواص. عباد بن عباد الارسوفي . ثوربن يزيد . مات ببيت المقدس سنة ١٥٣ هـ - ٧٧٠ م . عبدالله بن عامر العامري . ابو عبدالله بن خصيف . قاسم الزاهد (وعلى قول مثير الغرام قثم الزاهد) . محمد ابن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي . ابو محمد عبدالله بن الوليد بن سعدبن بكر الانصاري مات في بيت المقدس . جعفر بن محمد النسابوري (٢٧٠ هـ) . كعب الاحبار بن مانع الحميري . كان يهوديا فاسلم . ابراهيم بن ابي عبلة المقدسي . جبير ابن نصير الحضرمي . عبد الرحمن بن غنم الاشعري (وفي مثير الغرام عبد الرحيم بن غنم الاشعري) . مالك بن دينار . محمد بن واسع . بنت اسماعيل العدويه البصرية مولاة آل عقل . توفيت ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م وقبرها على راس جبل طورزيتا شرقي بيت المقدس . سليمان بن طرخان الهيثمي التميمي . مقاتل بن سليمان المفسر (مات سنة ١٥٠ هـ) . الاوزاعي عبد الرحمن بن عمر . سفيان الثوري (ابن سعيد بن مسروق) مات سنة ١٦١ هـ . ابراهيم بن ادهم بن اسحق توفي سنة ١٦١ هـ . الليث بن سعدبن عبدالرحمن الفهمي[١]. ركيع بن الجراح بن سليم . ابوسفيان الرواسي مات سنة ١٩٧ هـ . محمد بن ادريس الشافعي احد الائمة المجتهدين العظام في الاسلام . المؤمل بن اسماعيل البصري توفي سنة ٢٠٦ هـ. بشير بن الحارث الحافي . ذو النون المعري ابو الفيفي ثوبان ابن ابراهيم . السري بن المفسلي السقطي مات ٢٥١ هـ . محمد بن كرام المتكلم . توفي ببيت المقدس (٢٥٥) ودفن بباب اريحا عند قبور الانبياء . صالح بن يوسف ابو شعيب المقنع[١] بكر بن سهل الدمياطي . احمد بن يحيى البزاز البغدادي اقام ببيت المقدس الى ان مات به ٣٤١ هـ. الشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي. ابو الفرج عبد الواحد بن احمد بن محمد بن علي بن احمد الشرازي (شيخ الاسلام ، وهو الذي نشر مذهب الامام احمد في بيت المقدس). ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى[٢] النابلسي توفي سنة ٤٩٠هـ . ابو الفضل عطاء شيخ الشافعية بالقدس وشيخ الطريقة الصوفية . ابو المعالي المشرف بن الرجا بن ابراهيم المقدسي من علماء بيت المقدس . ابو القاسم بكر بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الانصاري . كانت الفتاوي تاتي اليه من مصر والشام . اسره الافرنج وقتلوه في بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ . ابو القاسم عبد الجبار بن احمد بن يوسف الشرازي . استشهد على يد الافرنج حين اخذهم القدس سنة ٤٩٢ هـ . الامام الغزالي (حجة الاسلام) ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطرسي .صنف اكثر تصانيفه ببيت المقدس ومنها احياء العلوم ولد في ٤٥٠هـ وتوفي سنة ٥٥٠هـ. محمد

(١) كان نظير مالك في العلم. قيل كان دخله في السنة ثمانين الف دينار. ولكن لا ينقضي عام الا وعليه دين من كثرة جوده وبره . مات سنة ١٧٥هـ

(١) يقال انه حج سبعين حجة راجلا . وكان في كل حجة يحرم من صخرة بيت المقدس . توفي سنة ٢٨٢هـ

(٢) اقام بالقدس مدة طويلة . وهو استاذ حجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي وصاحب المدرسة النصرية (الزاوية الغزالية بالقدس) .

بن حسن بن سهـــل بن عبدالله البلاشاغـــوي ولي قضاء بيت المقدس ٥٠٦هـ

ابو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن احمد[١] المعروف بابن القيسراني، ولد ببيت المقدس ٤٤٨هـ وله تصانيف جمه . ابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون القرشي الكوفي . ابو روح ياسين بن سهل القابس الخشاب[٢]. ابو الفتح سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي، ولد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ . الامـام ابو بكر الطرطوش محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان بن ايوب القرشي الفهزي الاندلسي . ولد ٤٥١ هـ وتوفي ٥٢٠ هـ . ابو عبدالله محمد بن احمد بن يحيى الامـوي العثماني المقدسي توفي ٥٢٧ هـ . ابو عبدالله محمـــد بن احمد المقدسي العثماني المشهور بالديباجي من اولاد الديباجي بن عبدالله بن عمر ابن عثمان بن عفان . ابو الحسن علي بن احمد بن عبدالله الريفي المقـدسي . ابو علي الحسن بن فرح بن حـاتم المقدسي . الامـــام ابوبكر بن العربي محمد بن عبدالله المغربي الاندلسي الاشبيلي توفي ٥٤٣ هـ . ابو بكر الجرجاني محمد بن احمد بن ابي بكر ٥٤٤ هـ . تاج الاسلام ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني توفي ٥٦٢ هـ . ادريس بن ابي خـــولة الانـطاكي . عبد العزيز المقدسي . جبير بن نفير الحضرمي . اتى بيت المقدس وصلى فيه . ومات سنة ٧٥ هـ . ومن اقواله : « خمس خصال قبيحة: الحدة في السلطان، والحرص في العلماء، والقسوة في الشيوخ، والشح في الاغنياء، وقلة الحياء في ذوي الاحساب . عمر بن عبد العزيز . امير المؤمنين الامام العادل . قال صاحب مثير الغرام انه اجتمع بخالد بن يزيد بن معاوية بصخرة بيت المقدس .

رجا بن حيوة الملقب بابي المقـــدام وابي نصر الكندي . هو الذي كان يشرف على بناء قبـــة الصخرة في ايام عبد الملك .

وكان من جـلة العلماء الاعـلام . توفي سنة ١٠٢ هـ . الوليد بن عبد الملك . سليمان بن عبد الملـــك . ابو جعفر المنصور . توفي سنة ١٥٨ هـ . المهدي بن المنصور توفي سنة ١٦٩ هـ

هذا غيض من فيض لاسماء عدد من الصحابة والاعلام الذين نزلوا بيت المقدس وقضوا نحبهم فيه اثناء الفتح العمرى وبعده .

(١) جاء في شرح مثير الغرام انه الامام الحافظ ابو الفضل علي ابن محمد بن طاهر .

(٢) وفي مثير الغرام (ابورياح ياسين).



الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فاتح القدس



القائد خالد بن الوليد سيف الله المسلول

القدس في عهد بني امية

معاوية بن أبي سفيان :

معاوية بن ابي سفيان هو مؤسس الدولة الاموية. كان ، على عهد النبي ، كاتب الوحي . وكان احد قادة الجيش العربي الذي انتدبه ابو بكر الصديق لفتح الشام وفلسطين . فقد اشترك في واقعة اليرموك ، وحاصر قيسارية وافتتحها . وحضر فتح بيت المقدس ، وكان من شهود (العهدة العمرية) التي اعطاها عمر بن الخطاب لاهل ايلياء . وقد ولاه عمر بعدئذ الشام (١٨ هـ – ٦٣٩ م) . وولاه عثمان نفس العمل بعد مقتل عمر .

ولما مات عبد الرحمن بن علقمة الكناني ، وكان على فلسطين ، ضم عمله الى معاوية ، فاصبح معاوية (٢١ هـ – ٦٤١ م) الحاكم المطلق في البلقاء والاردن وفلسطين وانطاكية والسواحل ومعرة مصرين وقيليقية . وظل اميرا في الشام عشرين سنة ، قبل ان يتولى الخلافة ويستقل بالحكم .

دم عثمان بن عفان :

ولما قتل عثمان وتولي الخلافة على بن ابي طالب لم يبايعه معاوية بالخلافة . لا ، بل راح يطالب بدم عثمان ويتهم عليا بقتله . وانضم اليه عمرو بن العاص. وذكر المؤرخون[1] ان معاوية قدم بيت المقدس ، وقدم عليه عمرو بن العاص ، فبايعه على دم عثمان وامضيا في بيت المقدس الاتفاق التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان وحمل كل واحد منهما صاحبه الامانة ان بيننا عهد الله على التناصر والتناصح في امر الله والاسلام ولا يخذل احدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة [1] ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابدا ما حيينا فيما استطعنا » .

راح معاوية بعد هذا التعاهد يطالب عليا بدم عثمان ولكن عليا رفض طلبه قائلا : « . . ما انت وعثمان. انما انت رجل من بني امية ، وبنو عثمان اولى بعثمان منك » .

معركة صفين :

فقامت بين الرجلين واتباعهما (حرب صفين) المشهورة ٦٥٧ م – ٣٧ هـ . كان النصر فيها حليف معاوية . فخلا له الجو . واصبح الامر المطلق في مصر والشام والعراق والحجاز .

٤ – بويع بالخلافة[2] ٤١ هـ – ٦٦١ م . وانشأ اسطولا عظيما غزا به الروم. وحاصر القسطنطينية. وابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه اليها احد . منها انه اول من وضع البريد ، واستخدم المسيحيين في مصالح الدولة، واخرج الخلافة عن اصولها، **فبعد ان كانت بالعهد لا فضل الصحابة او بالشورى بينهم جعلها – كالملك – وراثيه .**

ان اول من اتخذ (سرير الملك) للجلوس عليه في الاسلام معاوية بن ابي سفيان. وهو اول من اتخذ (المقصورة) للصلاة في الجامع[3] .

(١) خطط الشام ج ١ ص ١٣٨ .

(١) البطانة، ومن تتخذه لك معتمداً من غير اهلك. (البستان).

(٢) جـاء في الصفحة ١٦ من الجزء الثامن من كتاب (البداية والنهاية) لابي الفداء ان معاوية بويع بالخلافة في ايلياء (القدس) وجاء في (مثير الغرام) ان معاوية بويع بايليا في رمضان (٤٠ هـ) تلك بيعة اهل الشام. ودخل الكوفة فبايعه الحسن بن علي (٤١ هـ)

(٣) صبح الاعشى ٤ ص ٧ .

والي القدس : سلام بن قيصر

جاء في الانس الجليل ان سلامـــا بن قيصر (وعلى قول سلامة بن قيصر) وهو صحابي مشهور كان واليـــا لمعاوية على بيت المقدس . وانكر بعضهم صحبته .

ولقد انشيء مقر جديد للحكومة (في غضون القرن السابع للميلاد) اي اثناء حكم معاوية بن ابي سفيان . في نفس المكان الذي كان يقوم عليه قصـــر هيرودس في عهد الرومان . وهذا المقر عبارة عن حصن مستدير بني على طراز قصـــور الخلفاء التي رايناها في مـــدن الشام . والحصن متصل بسور يقع في الطرف الجنوبي من صحن القلعة .

القدس في اوائل العهد الاموي :

زار القدس على عهـــد مؤسس الدولة الاموية معاوية بن ابي سفيان ، اسقف افرنسي الاصـــل يدعى (اركولفوس) . هبطها عام ٦٧٠ للميـــلاد . وقضى فيها تسعة شهور وذكر عنها الشيء الكثير . وانا لننقل فيما يلي بعض النقاط التي تهمنـــا من رحلته [١] :

«كان على سور بيت المقدس يومئذ ٨٤ برجا . وله ستة ابواب ثلاثة منهـا فقط تستعمل للدخـــول والخروج : واحد منها غربي المدينة والثاني شماليها والثالث شرقيها .

في اليوم الخامس عشر من ايلول من كل سنة يؤم القدس من كل حدب وصوب جماهير غفيرة مختلفة الاجناس والاديان بقصد التجارة وتبادل العطـــاء والبيع والشراء . وكثيرا ما يمكث هؤلاء في هذه المدينة المضيافة بضعة ايام . فترى الشوارع مكتظة بجمالهم وخيلهم وحميرهم ، دع عنك البغال والثيران ، بشكل يجعل السير فيها ضعيفا . ومن الغرائـــب التي يكاد المرء لا يصدقها ، ان المطر يهطـــل بغزارة عشية اليوم الذي تترك فيه هذه الجمـــوع الغفيرة وحيواناتها المدينة ؛ فيغسل الشوارع ، ويزيل مـــا فيها من روث واقذار . وتسيل مياه الامطار هذه في المنحدرات كالانهـــار ، فلا يبقى منهـــا في الابار سوى القليل .

في تلك البقعة الجميلة ، حيث كان يقوم في يوم من الايام هيكل سليمان ، بنى المسلمون مسجدا مربع الاضلاع . بنوه من حجارة واعمدة ضخمة نقلوها من بعض الاطلال والخرائب المجاورة . ويقال ان هذا المسجد يتسع لثلاثة الاف من المصلين » .

بعد ان وصف كنيسة القيامة وكنائس القدس الاخرى ، واتى على لمحة من تاريخ السيد المسيح مما لا **يخرج عما قلناه عن هذا الموضوع في فصول اخرى من هذا الكتاب ، قال :**

« ليس على جبل الزيتون اشجار خلا العنـــب والزيتون . ولكن نوعا جيدا من القمح يزرع فيه . واظن ان تربة هذا الجبل لا تساعد على غـــرس الاشجار . وانمـــا تنفع لزرع الحبوب والزهور . ان اعلى نقطة فيه مرتفعة عن سطح البحر مقـــدار ٢،٦٩٣ قدمـــا . ان جبل صهيون اصغر من جبل الزيتون من حيث الطول والعرض . وبين هذين الجبلـــين يقـــع وادي يهوشافاط ، ويقـــال له وادي جهنم ووادي قدرون ايضـــا .

---

(١) The Pilgrimage of Arculfus, Translated by, Rev. - James Rose Macpherson. B. D.

ويؤتى بالخشب الى بيت المقدس من غابة كثيفة واقعة على بعد ثلاثة اميال من الخليل الى الشمال ، وعلى تل منتصب في وسط سهل متسع يقع على يسار لمسافر الى القدس ، ولا يبعد عن الطريق الا قليلا . وفي هذه الغابة تنبت اشجار الصنوبر بكثرة . ومن هذه الاشجار ينقل المقدسيون الخشب الذي يحتاجون اليه من اجل البناء والوقيد . ينقلونه على جمالهم . اذ ان المركبات والكارات نادرة الوجود في القدس ، وفيما حولها من بلدان » .

يزيد بن معاوية

عين معاوية ، قبل وفاته ، ولده يزيد وليا للعهد. ولما مات تولى يزيد الملك ٦٠ هـ — ٦٨١م . وفي زمنه قامت فتن في الحجاز والعراق . ففي الحجاز عصاه عبدالله بن الزبير . وتحصن بالكعبة . فغزاها يزيد بجيشه . وحاصر الكعبة ورماها بالنار[1] لتحصن عبدالله بن الزبير فيها . وفي العراق ثار الشيعة وقتل الحسين بن علي في كربلاء . قتله ابن زياد عامل يزيد على العراق .

عبد الله بن الزبير في الحجاز

بعد موت يزيد ، بويع ابنه معاوية ٦٤هـ — ٦٨٤م ولكنه لم يمكث في الحكم اكثر من شهر ونصف . اذ توفي دون ان يكون له ولد .

فهتف اهل الحجاز بمبايعة (عبدالله بن الزبير). ويقال ان معاوية بن يزيد تنازل له عن الخلافة قبل وفاته . ومن قائل انه تنازل عنها يوم بايعوه ، لما شعر بعجزه عن مناهضته .

(١) العقد الفريد .

مروان بن الحكم في الشام

تبع اهل الحجاز عبدالله بن الزبير . وبقيت مصر مترددة حينا ، ثم اقرته . واما اهل الشام فقد بايعوا مروان بن الحكم . فاحترب الفريقان : عبدالله بن الزبير (الحجاز) ومروان بن الحكم (الشام) وجيشاهما في مرج راهط . وانقسمت البلاد الى قسمين : — قيس ويمن . وكان النصر لمروان (قيسي). وكان بفلسطين نائل بن قيس الجذامي فمال الى الزبير . ولكن مروان حاربه وتغلب عليه . فاخذها منه . ثم سار الى مصر . فصالحه اهلها . فاخذها من ابن الزبير . واستتب لمروان الامر في مصر والشام (٦٤ هـ —) . ٦٨٤ م .

عبد الملك بن مروان

ولما توفي مروان بن الحكم ، بويع ابنه عبدالملك بن مروان (٦٥ هـ — ٦٨٤ م). وعلى عهد عبدالملك هذا كان الوالي على فلسطين رجل يدعى (منصور) . انه (اي عبدالملك بن مروان) هو الذي بنى مسجد الصخرة والمسجد الاقصى . وهما من اعظم آثار بني امية في فلسطين . لا بل من مفاخر العرب في الشرق كله . واليك ما نعرفه عن هذين المسجدين :

مسجد الصخرة :

بناه الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان بعد أن استشار المسلمين ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين. وعهد بادارة العمل إلى اثنين من رجاله هما : رجاء بن حياة بن جود الكندي[1] أحد

(١) اصله من بيسان . ويكنى بأبي المقدام . توفي سنة ١١٢هـ — ٧٣٠م .

العلماء الاعلام في صدر الاسلام · ويزيد بن سلام[١] مولى عبد الملك بن مروان . وعلى قول مجير الدين[٢] أن الموكل بالصرف رجاء ، وان هذا ضم إليه يزيداً وولديه .

شرع البناؤون في البناء سنة ٦٦هـ – ٦٨٥ م وفرغوا منه سنة ٧٢[٣] هـ – ٦٩١ م . فبنوا في باديء الامر قبة السلسلة الكائنة شرقي الصخرة لتكون نموذجاً . ثم بنوا المسجد نفسه .

ولما كان قد بقي من المبالغ المخصصة للبناء مئة الف دينار ،فقد أمرعبد الملك بهاجائزة الى رجاء ويزيد فرفضا قائلين : « نحن أولى ان نزيده من حلي نسائنا ، فضلاً عن اموالنا . فاصرفها في أحب الاشياء اليك » . فأمر[٤] بان تسبك وتفرغ على القبة والابواب .

نقش اسم عبدالملك بن مروان على قناطر التثمينة الوسطى في الناحية الجنوبية الشرقية من الداخل وبالخط الكوفي المذهب . وانك لواجد هناك كتابة مزخرفة بالفسيفساء على ارض لازوردية[٥] تقول : « بنى هذه القبة عبدالله عبد الملك بن مروان امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضي عنه آمين » .

(١) من اهل بيت المقدس .
(٢) كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ج ١ ص ٢٤٢
(٣) هذا ما جاء في اكثر الكتب التاريخية ، وهو الذي اعتمدناه واما سبط بن الجوزي فقد ذكر في كتابه « مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » أن ابتداء البنيان كان سنة ٦٩ هـ والفراغ منه سنة ٧٢ هـ . وكذلك قال ابو المحاسن القاضي بهاء الدين وابو عبدالله السيوطي شمس الدين . وجاء في « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لمؤلفه احمد المقدسي ص ٩٨ انه بني سنة ٧٠ للهجرة .
(٤) مجير الدين ج ١ ص ٢٤٢
(٥) اللازورد معدن مشهور ينشأ في ارمينية وفارس. وهوازرق شفاف يضرب الى خضرة وحمرة (البستان) .

ذهب بعض المؤرخين ، ومنهم اليعقوبي[١] سنة ٢٦٠ هـ – ٨٧٤ م ، الى ان الغاية من بناء مسجد الصخرة بهذا الشكل البديع هي الاستعاضة عن الكعبة بسبب ثورة عبدالله بن الزبير الذي ثار على الامويين واعلن استقلاله في الحجاز (٦١ هـ –٦٨٠م) . فاراد عبد الملك بن مروان ان يصرف الناس عن الكعبة ، خشية ان ياخذهم ابن الزبير عند الحج بالبيعة . وعلى قول انه منعهم عن الحج بالمرة . واعتزم بناء مسجد الصخرة .

ومن المؤرخين من يرى ان عبد الملك بن مروان انما بناه حتى يكون للمسلمين مسجد يضاهي في بهائه وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة . وخاصة انه كان في سورية وفلسطين يومئذ من الكنائس الكثيرة البالغة غاية العظمة ما خشي معه عبدالملك ان يظل المسلمون يتطلعون الى هذه المنشآت المسيحية دون ان يكون لهم ما يفخرون به . فقد روى المقدسي[٢] الذي جاء بعد اليعقوبي **بقرن والذي هبط بيت المقدس سنة ٣٧٤ هـ – ٩٨٤ م « ان عبد الملك عندما راى قبة القيامة**

(١) انه احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي . ولد في مصر ، وساح في بلاد الاسلام . ثم عاد الى مصر ، وتوفي بها (٢٨٤ هـ – ٨٩٧م).وقدالف قبل موته كتابين : اولها في التاريخ. ويعرف بـ (التاريخ اليعقوبي) ، طبع في ليدن سنة ١٨٨٣م. والثاني في الجغرافيا وقد اسماه :(كتاب البلدان)،طبع في ليدن ايضاً سنة ١٨٦٠م . واليعقوبي اول من بحث عن السبب في بناء مسجد الصخرة من المؤرخين العرب .
(٢) كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ص١٥٩ .

التي يحج اليها المسيحيون خشي ان تؤثر ضخامة هذه الكنيسة على قلوب المسلمين . فاعتزم ان يبني قبة مثلها او احسن . ونصب على الصخرة قبة كما ترى » .

ومهما قيل في الغاية التي كان يهدف اليها عبد الملك بن مروان من وراء هذا البناء ، فمما لا شك فيه انه استشار المسلمين في بنائه كما قلنا في مستهل البحث . ولكن اقوال المؤرخين تضاربت من حيث الردود التي حصل عليها . فقد قرات في مخطوط عثرت عليه في خزانة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف[١] بعنوان (تاريخ الخلفاء المسلمين) ص ٩١ « ان عبد الملك بن مروان عندما اعتزم بناء صخرة بيت المقدس والمسجد الاقصى قدم من دمشق الى بيت المقدس . وبث الكتب في عمله كله الى جميع الامصار . وقال : ان عبد الملك يريد ان يبني قبة على الصخرة تكن المسلمين من الحر والبرد . ولا يريد ان يفعل ذلك دون راي رعيته . فلتكتب اليه الرعية بما ترى . فوردت عليه الكتب قائلة : يرى امير المؤمنين رايه موفقا سعيدا . نسال الله تعالى ان يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده ، ويجري ذلك على يديه ، ويجعله مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة » .

هذا ما رواه المعلوف ، واظن انه ماخوذ عن ابن البطريق .

واما اليعقوبي (سنة ٢٦٠ هـ – ٨٧٤ م) فانه يقول ان المسلمين ضجوا عندما ادركوا الغاية التي يرمي اليها وهي صدهم عن الحج .فقالوا : اتمنعنا عن حج بيت الله الحرام،وهو فرض من الله . فقال لهم: الم يحدثنا ابن شهاب الزهري ان النبي عليه الصلاة والسلام قال : (لا تشد الرحال الا الى ثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى) . ثم ذكر لهم كيف انه اسرى بالنبي الى هذا المكان ، وكيف انه وضع قدمه على هذه الصخرة عندما صعد الى السماء .

وبهذه الوسيلة تمكن من اقناعهم ، ومضى في مشروعه العظيم ، الى ان تمّ له ما اراد .

اختلف المؤرخون فيما اذا كان عبد الملك قد استعمل في بناء مسجد الصخرة بعض الحجارة والاعمدة التي كانت في كنائس فلسطين ، تلك الكنائس التي دمرها الفرس[١] قبيل الفتح الاسلامي ، او في غيرها من الكنائس .

فروى ابن البطريق[٢] في تاريخه ما نصه : « وبامر عبد الملك بن مروان قلعت قبة كانت للنصارى في كنيسة بعلبك ، وهي من نحاس مطلي بالذهب . فنصبها على الصخرة » .

وقال المستر ريشموند[٣] : « ان مواد البناء كانت يومئذ متوفرة في البلاد ، ولا سيما من بقايا الكنائس التي هدمها الفرس يوم احتلوا القدس عام ٦١٤ للميلاد . تلك البقايا التي كانت مبعثرة هنا وهناك » .

واما الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف الذي نقل[٤] عن ابن البطريق الرواية المتقدم ذكرها، فقد

(١) عضو المجامع العلمية في مصر وسورية ولبنان .

(١) راجع ما كتبناه عن هذا في فصل الفرس.

(٢) انه سعيد بن بطريق من فسطاط مصر« ٢٦٣هـ – ٣٢٨هـ» صار في خلافة القاهر بالله بطريركا على الاسكندرية.ومات بها . له « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، طبع في ثلاثة اجزاء سنة ١٩٠٦ على نفقة الجمعية المشرقية بباريس .

(٣) Dome of the Rock by E. T. Richmond. P. 2

(٤) مجلة الآثار ٥ – ٦ ص ٢٤٨

قال انها تحتاج الى تمحيص .وقال المستر كرزويل[١] انه لا يشك في أن الذين بنوا مسجد الصخرة استفادوا من قياسات كنيسة القيامة . فان قطر قبة الصخرة من الداخل ٢٠ متراً و ٣٠ سنتمتراً . وارتفاعها ٢٠ متراً و ٤٨ سنتمتراً . وقطر قبة القيامة من الداخل ٢٠ متراً و ٩٠ سنتمتراً . وارتفاعها ٢١ متراً و ٥ سنتمترات .

ومهما كان الامر فان مما لا ريب فيه ان مسجد الصخرة ، بقبته الجميلة ، وبنائه المتين ، وتكوينه الرائع ؛ جاء آية في فن الهندسه لا في العصر الذي بني فيه فحسب ، وانما على مر العصور والايام . فقد بهرت قبته ببهائها ورونقها وفخامتها وتناسقها كل من انعم النظر فيها وحاول دراستها من العلماء والباحثين . وانك لترى في هذا المسجد ، وانت تنظر اليه ، جمال الهندسة العربية والذوق العربي ممتزجاًبشيء من الطراز الفارسي والاسلوب البيزنطي . ولا ريب فقد اشترك في بنائه صناع من العرب والفرس والروم البيزنطيين .

قال الدكتور هارتمان Hartmann ان مسجد الصخرة نموذج من التناسق والانسجام .وقد أيده في وصفه هذا البحاثة الهولندي المعروف « فان برشم » .

وقال الاستاذ هايتر لويس[٢] : « ان مسجد الصخرة ، بلا شك ، من اجمل الابنية الموجودة فوق هذه البسيطة . لا ، بل انه أجمل الآثار التي خلدها التاريخ » .

وقال المستر فرغوسن : « ان مسجد الصخرة من الجمال على جانب عظيم . لقدزرت كثيراًمن القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند وفي اوربا وفي اكثر انحاء العالم. ولكني ،على ما اذكر ،لم ار ما هواجمل ولا ابدع،ولا افخم من قبة الصخرة . وان التناسب البديع في الاحجام والالوان لم اجده في أي بناء آخر» .

وقال الكابتن كرزويل ، استاذ فن العمارة الاسلامية بجامعة فؤاد الاول بالقاهرة : « لقبة الصخرة أهمية ممتازة في تاريخ العمارة الاسلاميه . فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين » .

جاء في (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) ص ١٠٠ انهم ، عندما بنوا قبة الصخرة ، كانوا في كل اثنين وخميس يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماورد الجوري .ويخمرون هذا المزيج ليلا . وفي الغداة يأمرون الخدام ، فيدخل هؤلاء الحمام ، فيغتسلون ، ويتطهرون، ثم يرتدون الثياب النظيفة ويأتون الى مسجد الصخرة حاملين ما تخمر بالامس . وبعد ان يغسلوا الصخرة ، يأتون بمجامر الذهب والفضة فيها العود والند الممزوج بالمسك والعنبر . فيرخون الستور حول الاعمدة كلها . ثم يحملون البخور ، ويدورون حول الصخرة. ثم ينادي المنادي في صف البزازين: الا ان الصخرة قد فتحت للناس . فمن اراد الصلاة فيها فليأت .

وكان يقف على كل باب من ابواب المسجد عشرة من الحجاب . ومتى دخله المصلون شموا رائحة البخور والمسك والعنبر .

---

(١) The Origin of the plan of the Dome of the Rock – by K. A. C. Creswell , P 27

(٢) The Holy Places of Jerusalem by Hayter Lewis. P. 26

المسجد الاقصى[1] :

بعد ان بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة سنة ٧٢ هـ — ٦٩١ م بنى المسجد الاقصى ٧٤ هـ — ٦٩٣ م .

ذكر المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » ان باني المسجد هو عبد الملك بن مروان . وايده في قوله هذا اكثر المؤرخين في القرنين الثالث والرابع للهجرة . وهناك من يقول ان باني المسجو هو الوليد بن عبد الملك الذي انتهى اليه الحكم سنة ٨٦ هـ — ٧٠٥ م . ويستدل هذا الفريق على صحة قوله بما جاء في الرسائل[2] التي كتبها « قرة بن شريك »عامل الامويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى احد حكام الصعيد بين سنتي ٩٠ و٩٦ للهجرة . تلك الرسائل التي كتبت علىورق البردى والتي ورد فيها ذكر الاقصى . وفيها طلب « قرة بن شريك » من احد حكام الصعيد ان يرسل اليه صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس .

قال العمري في كتابه « التعريف » عن الوليد انه نقل الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق ، ومنها الى القدسومكة والمدينة ؛ ليزين بها جدران المسجد .

(١) كان اسم (المسجد الاقصى) يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله ،بما فيه المسجد الحالي الذيندعوهبالاقصى ومسجد الصخرة وما بينهما . وبعبارة اخرى جميع الاماكن والمعابد الاسلامية القائمة ما بين الاسوار . وهذا ما قصدته الاية الكريمة :«سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . » وفي يومنا هذا يطلق على المسجد الواقع جنوبي قبة الصخرة وفي الناحية القبلية من الحرم.

(٢) محفوظة في المتحف البريطاني بلندن .

واني ميال للاعتقاد بان البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان « ٧٤ هـ — ٦٩٣ م » وتم في زمن ابنه الوليد[1] « ٨٦ هـ — ٧٠٥ م » . ومهما كان الامر فمما لا شك فيه انه هو الذي غشى قبة الاقصى بالنحاس . وهذا اخذه من كنيسة في بعلبك[2] .

قال المستر كرزويل K. A. C. Creswell مفتش الآثار في حكومة فلسطين ايام الانتداب البريطاني ، انه كان هناك ، في الموضع الذي يقوم عليه الاقصى الآن ، مسجد بناه عمر بن الخطاب سنة ١٤ هـ — ٦٣٥ م .

وحذا حذوه آخرون فقالوا : « ان عبد الملك بن مروان بنى المسجد الاقصى في الموضع الذي كان يقوم عليه مسجد عمر من الناحية الشرقية ، وان هذا المسجد كان محاذيا للسور الشرقي ، وقد تم بناؤه في السنة الثامنة عشرة او السنة الحادية والعشرين للهجرة . وكان يتسع لثلاثة الآف من المصلين . كان سقفه من خشب ، وقد اندثرت آثاره مع الزمن » . ولقد ضرب على هذا الوتر كثيرون من المؤرخين المسلمين فقالوا: انالمسجد الذي بناه عمر بن الخطاب يوم الفتح اقيم في المكان الذى فيه المسجد الاقصى الحالي اي في الطرف الجنوبي من ساحة الحرم .

(١) اشتهر الوليد بالبناء . فهو الذي بنى المسجد الامويبالشام. وهو الذي عمر ووسع عدداً كبيراً من المساجد في المدنالتي افتتحها.وفي ايامه فتحت الاندلس والهند واتسعت امبراطورية العرب من الصين شرقاً الى المحيط الاطلنطي غرباً،ومن البحر الاسود شمالا الى صعيد مصر جنوباً .

(٢) (خطط الشام) للاستاذ محمد كرد علي . ص٢٦٦ .

وهنــــاك رواية اخرى تقول ان المسجدالذي بناه عمر ،بني عند الصخرة التي نظفهـــا بيده من الاوساخ حيث دفن الروم هيكل بني اسرائيل . ولم يبن في موضع الاقصى الحالي . ولكن هـــذه الرواية الاخيرة ضعيفة . لم يرد في كتب التاريخ ما يؤيدهـــا .

وذهب بعض المؤرخين[١] الى ان المسـجد الاقصى بني في الموضـع الذي كانت تقوم عليـه الكنيسة التيبناها الامبراطور البيزنطي جوستانيان (٥٤٣ م) ، وان اسم المهندس الذي هندسها (تيو دوروس). ومنهم من تجاوز هــذا الىحد القــول ان المسجـد الاقصى هــو نفسه الكنيسة اياها لا قـــدم ولا اخر . وكانت على قول هؤلاء ، تدعى يومئـــذ (كنيسة العذراء الجديدة) لاجل التفريق بينها وبين كنيسة بنيت بهذا الاسم قبل ذلك التاريخ . وكانت هذه (اي القديمـة) عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربيـة . واما المؤرخ جيمس فرغسون ، فقد انكر هـذا القول في الصفحة ١١٨ من كتابه :

An Essay On The Ancient Topography of Jerusalem

اذ قال : « ان المسجد الاقصى ليس بكنيسـة جوستانيان . ولا صحة ايضا للقول القائل انه بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه تلك الكنيسة . فلا القناطر ولا العقود التي تحمل الاقصى ؛ لا ،ولا الاعمدة والتيجان التي فوق الاعمدة من النوع الذي كان معروفا على عهد جوستانيان . وبـــناء المسجد نفسه لا يشبه اية كنيسة من الكنائس التي بنيت في ذلك العهد . ولم يكن لاية كنيسة من الكنائس التي بنيت في تلك العهود قبة كقبة المسجدالاقصى .

اضف الى ذلك انه لا يعقل ان يبني جوستانيان كنيسة في وسط المكـــان الذي كان يقـوم عليه هيكل سليمان . وهو الرجل الذي اشتهر بالزهد والتدين

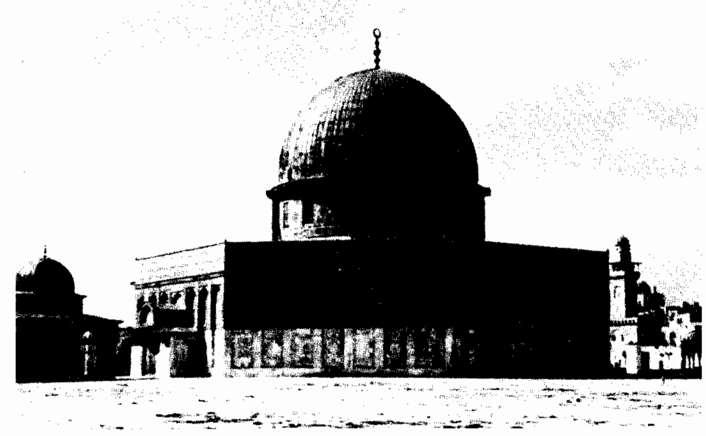
قال اوتيخيوس[١] « ان النصارى لم يبنوا اية كنيسة في منطقة الهيكل بسبب غضب السيد المسيح على تلك المنطقة ودعائه عليها بالخراب . » ولم يذكر التاريخ ان المسلمين سلبوا النصارى اية كنيسة من كنائسهم اثناء الفتح الاسلامي . ولو فعلوا ذلك لاقام المؤرخـــون المسيحيون الضجيج وانتقدوا اعمال المسلمين . ولكن العهدة العمرية التي اعطاها عمر بن الخطاب الى نصارى ايلياء تشهـد بعكس ذلك .

هذه نبذ موجزة عن مسجدي الصخرة والاقصى . اوردناها هنا . ومن شاء التفصيل عن هذين المسجدين ، فليرجع الى كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك). ذلك الكتاب الذي طبع في (مطبعة دار الايتام الاسلاميـــة) بالقدس سنة ١٩٥٨ .

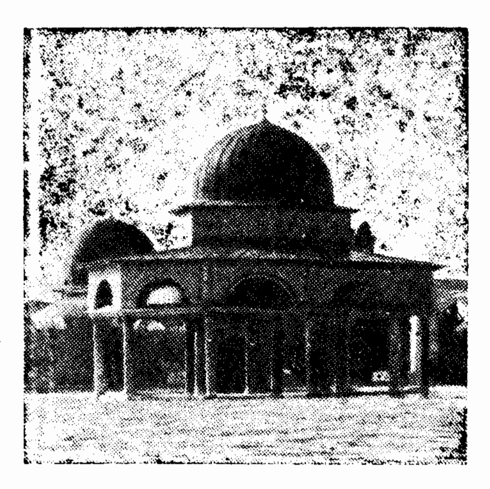
---

(١) Biblical Researches; Vol. I. P. 440 by Dr. Robinson, الدكتور ريشاردسون Dr. Richardson وكاثروود Catherwood وبـونومي Bonomi واروندل Arundale

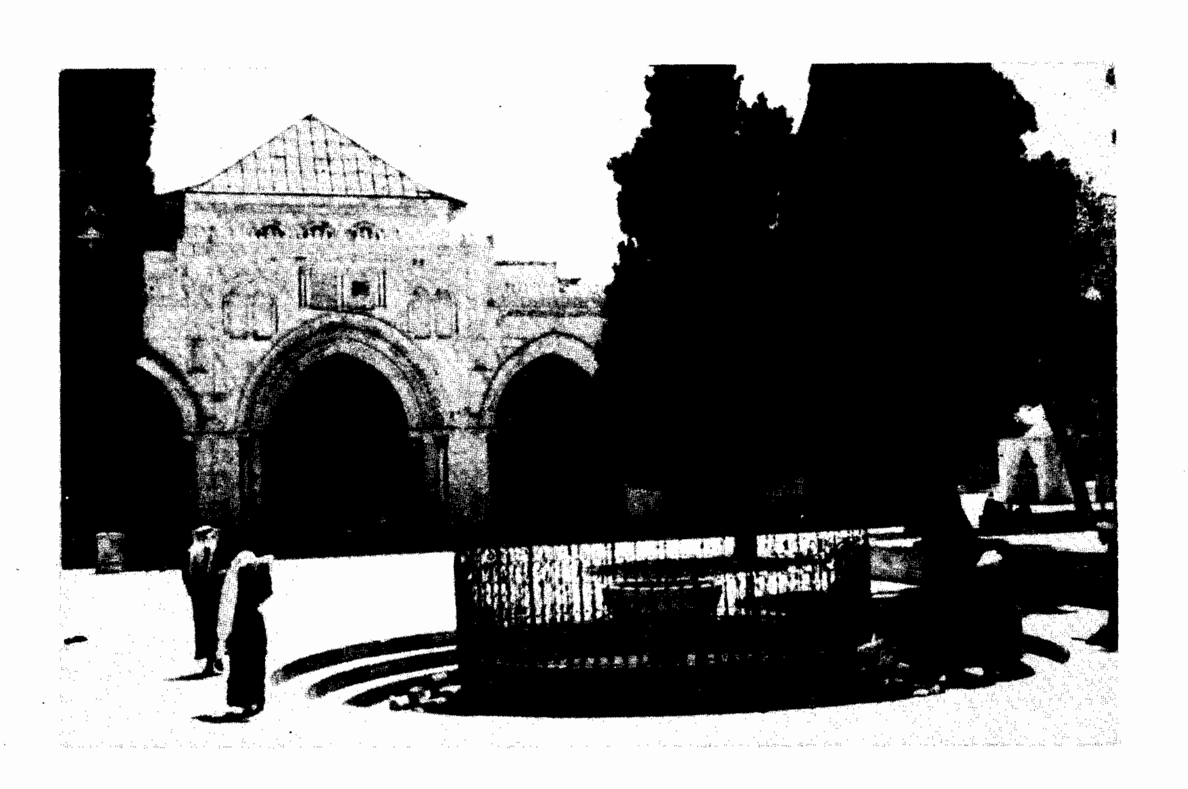
(١) «Eutychii Annals» Vol-II, P. 289



قبة الصخرة المشرفة



قبة السلسلة



المسجد الاقصى المبارك

القضاء على ثورة ابن الزبير

ظــل عبد الملك بن مروان يتربص بابن الزبير الدوائر ،حتى ظفر به ، فقتله (٧٣هـ) . وبايعه سكان الحجاز واليمن ،وصفا له ملك مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وغيرها من البلدان .

نقود ومسكوكات أموية :

ومن اعماله انه اول من حول الدواوين الى العربية . ونقش الدنانير والدراهم بالعربية[١] . وكان النقش على الجانب الواحد (الله احد) وعلى الاخر (الله الصمد)[٢] . قال البلاذري[٣] : قلت لسعيد بن المسيب من اول من ضرب الدنانير المنقوشة . فقال : عبد الملك بن مروان . وكانت الدنانير في الجاهليــــة ترد رومية والدراهم فارسيــة .

فكانوا لا يتبايعون الا على انها تبر . وكان وزن المثقال عندهم اثنــين وعشرين قيراطاً الا كسراً ، ووزن العشرة دراهم سبعة مثاقيل . وكان الرطــل اثني عشر اوقية ، وكل اوقية اربعين درهماً . فأقر رسول الله ذلك ،وأقره ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ، واقره بنو امية في بدء عهدهم . الى ان جاء عبد الملك ابن مروان وضرب الدنانير خاصته .

سك المسلمون في ايلياء[٤] نقوداً نقش على وجهها — محمد رسول الله ، ورسم سيف . وعلى الخلــــف ايلياء وفلسطين وحرف م والهلال .

(١) كان نقش الدنانير قبل ذلك بالرومية والدراهم بالفارسية.
(٢) مجير الدين .
(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٧١ و ٤٧٢
(٤) مجلة الراعي الصالح ج ١٢

الطرق في عهد عبد الملك :

وقد اعتنى عبد الملك بن مروان بفتح الطرق وتعبيدهـــا . وكان يضع على مسافات معينــة من هذه الطرق حجارة ينقش عليها اسم الذي امر بتعميرهـــا ، والمسافة التي تفصل بين دمشق مقر الخلافة والمكان الذي فيه الحجر :

أ — عثر المنقبون[١] في عام ١٨٨٤ بين خرائب (خان الحترورة) على طريق أريحا على بلاطة[٢] من الرخام مكسورة وقــد نقش عليهــا الكلمات التالية : « . . وسلم امر بعمارة هــذا الطريق وصفة الاميال عبدالله عبدالملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من دمشق الى هذا الميل تسعة ومابة ميل . . . »

ب — وفي عام ١٨٩٣ عثروا بالقرب من باب الواد على طريق الرملة على حجر ابيض[٣] نقشت عليه هذه الكلمات : —
« امر بعمارة هذا الطريق وصفة الاميال عبد الله عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من ايليا الى هذا الميل ثمنية اميال . . »

ج — وفي القرب من دير القلط ، شمــالي الطريق المؤدية الى اريحا ، عثروا عام ١٨٩٦ على بلاطة من رخام نقشت عليها هذه الكلمات :
« . . . امر بعمارة هذا الطريق وصفة الاميال

(١) Materiaux Pour un corpus. Inscriptionum Arabicarum, par Max Van Berchem.
(٢) هذه البلاطة موجودة الان في متحف استنبول
(٣) هذا الحجر موجود الان في متحف اللوفر بباريس

عبدالله عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من دمشق الى هذا الميل سبعة اميال ومائة ميل . »

د — وعلى حجر كلسي ابيض عثروا عام ١٩٠٢ عند كنيسة ابو غوش ، على طريق الرملة ، نقشت عليه هذه الكلمات :

«امر بعمارة هــذا الطريق وصفة الاميال عبد الملك امير المؤمنين رحمة الله عليه من ايليا الى هذا الميل سبعة اميال » .

هـ — من هذه الاميال المكتوبة على الحجارة لمعرفة المسافات نستنتج ما ياتي :

١ — الامويون كانوا يُعنون بتعبيد الطرق وتعميرها .

٢ — وكانوا يهتمون بذكر المسافات .

٣ — وان المسافات كانوا يقيسونها بالاميال لا بالكيلومترات .

صفات عبد الملك :

قال عمرو بن العاص : « كان عبد الملك حسن البشر عند اللقاء ؛ حسن الحديث اذا حدث ؛ حسن الاستماع اذا حُدث ؛ هين المؤنة اذا خولف ؛ لا يمازح من لا يثق بعقله ودينه ؛ ولا يخالف لئيماً ؛ ولا يتكلم بما يعتذر منه » .

كان يكره الكذب والكذابين . وعندما ظهر الحارث الكذاب راح يطلبه . ولما علم الحارث بذلك هرب فاختفى ببيت المقدس . فظل عبد الملك يبحث عنه حتى عثر عليه وقتله .

كان يحب الصلاة . قيل انه كان يوماً من الايام جالساً في الصخرة عند ام الدرداء . فقامت تتوكأ عليه حتى ادخلها المسجد . ومضى فصلى بالناس .

ومن صفات عبد الملك بن مروان انه كان متساهلاً . ومن البراهين التي يذكرونها على حسن معاملته للنصارى وثقته بهم ، انه ولاهم خدمة المسجد الأقصى . فقد حدثنا مجير الدين الحنبلي انه كان لهذا المسجد عشرة خدام من النصارى يتوارثون خدمته في عمل الحصر وكنس المسجد وكنس القناة التي يجري الماء فيها الى الصهاريج وكنس الصهاريج[1] . ولقد بلغ التساهل معه الى حد انه لم يغضب يوم دخل عليه الاخطل ذلك الشاعر النصراني التغلبي ثملاً وقال :

ولست بصائم رمضان طوعاً
ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بقائم ابداً انادي
قبيل الصبح حي على الفلاح
ولست بزاجر عيسا بكوراً
الى بطحاء مكة للنجاح
ولكن سأشربها شمولاً
واسجد عند منبلج الصباح

الوليد بن عبد الملك :

بعد وفاة عبد الملك بن مروان بويع ابنه الوليد ٨٦هـ — ٧٠٥ م . وقد كانت ايام الوليد من ابرك ايام بني امية[2] . وقد سهل الطريق ؛ وعمر الجوامع العظام ؛ وبث في الامة روح العمران ؛ واعان الفقراء والمرضى والمقعدين والعميان . وبلغ بنو أمية على عهده اقصى درجات العز . فتغلغلت جيوشه في بلاد الترك والروم والهند . وفتح موسى بن نصير باسمه الاندلس ، فاتى اليه منها بالأموال والجواهر . ووقف ابناء الملوك والأمراء على بابه يطلبون الرضى والامان . وكان قد همّ بالاقامة في بيت المقدس .

(١) الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ج١ ص٢٤٩
(٢) خطط الشام ج١ ص ١٥٣

في زمن خلافة الوليد بن عبد الملك عومل المسيحيون في القدس وفلسطين معاملة قاسية[١] لعدم موافقتهم المسلمين في الهجوم على القسطنطينية ، ووضعت الجزية على الرهبان ، وجعلت اللغة العربية اجبارية .

المسجد الاقصى :

هناك من يقول ان الذي بنى المسجد الاقصى الوليد بن عبد الملك الذي انتهى اليه الحكم سنة ٨٦ هـ — ٧٠٥ م . ويستدل هذا الفريق على صحة قوله بما جاء في الرسائل[٢] التي كتبها (قرة بن شريك) عامل الامويين على مصر في عهد الخليفة الوليد الى احد حكام الصعيد بين سنتي ٩٠ و ٩٦ للهجرة . تلك الرسائل التي كتبت على ورق البردي والتي ورد فيها ذكر الاقصى . وفيها طلب (قرة بن شريك) من ذلك الحاكم ان يرسل اليه صناعاً ماهرين لمسجد بيت المقدس .

قال العمري في كتابه (التعريف) عن الوليد انه نقل الفسيفساء من القسطنطينية الى دمشق ، ومنها الى القدس ومكة والمدينة ، ليزين بها جدران المساجد .

واني ميال الى الاعتقاد بان البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان (٧٤ هـ — ٦٩٣ م) وتم في زمن ابنه الوليد[٣] (٨٦ هـ — ٧٠٥ م) . ومهما

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية ص٥٨ .

(٢) محفوظة في المتحف البريطاني بلندن .

(٣) اشتهر الوليد بالبناء . فهو الذي بنى المسجد الاموي بالشام. وهو الذي عمر ووسع عدداً كبيراً من المساجد في المدن التي افتتحها. وفي ايامه فتحت الاندلس والهند واتسعت امبراطورية العرب من الصين شرقاً الى المحيط الاطلنطي غربا ، ومن البحر الاسود شمالا الى صعيد مصر جنوبا .

كان الامر فمما لا شك فيه انه هو الذي غشى قبة الاقصى بالنحاس. وقد اخذه من كنيسة في بعلبك[١].

ومن اعمال الوليد في بيت المقدس انه كان يضع الفضة في قصاع ويقسمها على قراء المسجد . توفي سنة ٩٦ للهجرة .

سليمان بن عبد الملك :

بعد وفاة الوليد بن عبد الملك ولي اخوه سليمان ابن عبد الملك (٩٦ هـ — ٧١٤ م) . وكانت دمشق عاصمة الدولة الاموية . واما فلسطين فقد كان فيها وال يرجع في امره الى حكومة الشام . الا في زمن سليمان بن عبد الملك فقد احب هذا فلسطين وخاصة الرملة. وقد كان والياً عليها عندما جاءه الخبر بوفاة اخيه الوليد . وقد بايعه الناس وهو على سطوح الصخرة . وهم ان يحول عاصمته من دمشق الى الرملة او القدس . ثم عدل عن ذلك .

بعد ان تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة اتى بيت المقدس، واتته الوفود بالبيعة. فكان يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة (قبة السلسلة) . ويبسط. ويجلس الناس من حوله على الكراسي والوسائد ، والى جانبه الاموال وكتاب الدواوين .

عمر بن عبد العزيز :

مات سليمان بن عبد الملك وهو يبني مدينة الرملة (٢١ صفر ٩٩ هـ) ، فبويع ابن عمه عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ — ٧١٧ م) . فقد اشتهر هذا بالعدل والحلم. فمنع عماله عن اخذ الجزية من اهل الذمة . وقد كان في نفس الوقت بعيد النظر . إذ انه لما احس بنية اليهود ببيت المقدس اخرجهم منها .

(١) (خطط الشام) لمحمد كرد علي .ص٢٦٦ .

فترة من الهدوء تسبق العاصفة :

بعد عمر بن عبد العزيز تعاقب على كرسي الدولة الاموية كل من :

يزيد بن عبد الملك	١٠١ هـ — ٧٢٠ م
هشام بن عبد الملك	١٠٥ هـ — ٧٢٤ م
الوليد بن يزيد	١٢٥ هـ — ٧٤٣ م
يزيد بن الوليد	١٢٦ هـ — ٧٤٤ م
ابراهيم بن الوليد	١٢٦ هـ — ٧٤٤ م
مروان بن محمد	١٢٧ هـ — ٧٤٤ م

ولم يجر في فلسطين خلال هذه الفترة من الزمن حوادث تستحق الذكر ، سوى ان اهلها تآمروا في زمن يزيد بن الوليد (١٢٦هـ) على اميرهم ، فقتلوه .

فلسطين تثور ضد الحكم الاموي :

وفي زمن مروان بن محمد ، وهو آخر الخلفاء الامويين ، انتشر الفساد وساءت الاحوال في جميع انحاء البلاد ، وكثرت الفتن بدرجة ان منازعي مروان على الخلافة كثروا . ومن الذين ثاروا في وجهه الحكم ابن ضبعان بن روح بن زنباع زعيم فلسطين في ذلك الحين . وكان من هؤلاء وفي طليعتهم ابو العباس الهاشمي . فقد بايعه اهل العراق وخراسان . فاشتد ساعده . وجمع جيشاً حارب به جيش مروان . فتغلب عليه . وهرب مروان الى مصر ، فلحق به وقتله ، وبهذا قضى على الدولة الاموية قضاء تاماً (٢٧ جمادي الآخرة ١٣٢ هـ — ٧٥٠ م .) .

وفي ذلك قال الشاعر[١] :

باتوا على قلل الاجيال تحرسهم
غلب الرجال فما اغنتهم القلل

(١) خطط الشام ج١ص١٧٥ .

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم
فاودعوا حفراً يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا
اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهراً وما شربوا
فاصبحوا بعدطول الاكل قد أكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم
ففارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا
فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
اضحت منازلهم قفراً معطلة
وساكنوها الى الاجداث قد رحلوا

نهاية الحكم الأموي :

لما قتل مروان بن محمد تفرق بنو امية في البلاد هربا بانفسهم[١] . وقد كان عبدالله بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب قتل منهم على نهر ابي فطرس[٢] من بلاد فلسطين نحوا من ثمانين رجلا (١٣٢ هـ) . وحذا اخوه داود بن علي بالحجاز حذوه ، فقتل منهم نحوا من هذا العدد .

(١) كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٣٢٩ و ٣٣٠
(٢) جاء في (دائرة المعارف) للمعلم بطرس البستاني ج ٢ص٣١٠ انه نهر كائن قرب الرملة من ارض فلسطين. وقال المهلبي انه يوجد على اثنى عشر ميلا من الرملة ومنها الى الشمال نهر يقال له (نهر ابي فطرس) مخرجه من عين في الجبل المتصل بنابلس. وينصب في البحر المتوسط عند مدينتي ارسوف ويافا.
وقال ابو نواس :
واصبحن قد فوزن عن نهر فطرس
وهن من البيت المقدس زور

وكان مع مروان حين قتل، ولداه عبدالله وعبيدالله، فهربا الى مصر، فالنوبة . اما عبيدالله فقد مات من الفر والعطش . واما عبدالله فقد ذهب الى الحجاز. وظل يتنقل في البلاد الى ان اسره ابو العباس السفاح. فعاش في السجن بقية ايام ابي العباس وايام المنصور والمهدي والهادي . فاخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير .

القدس في زمن العباسيين

قلنا في آخر الفصل المتقدم ان الاحوال في البلاد على عهد (مروان بن محمد) آخر الخلفاء الامويين ، ساءت الى درجة ان منازعيه على الخلافة كثروا . وكان من هؤلاء وفي طليعتهم **ابو العباس الهاشمي** . فقد بايعه اهل العراق وخرسان . بايعوه في الكوفة .فاشتد ساعده . وجمع جيشاً حارب به جيش مروان فتغلب عليه . وهرب مروان الى مصر . فلحق به وقتله . وبهذا قضى على الدولة الاموية . (٢٧ جمادي الاولى١٣٢ هـ — ٧٥٠ م) .

٢ — القائد العباسي الذي احتل فلسطين في ذلك الحين هو (**صالح بن علي**) عم السفاح . فقد جاء اليها في خمسين الف مقاتل . ففتحها . وكان زعيمها في ذلك الحين (الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع) . فانخرط هذا تحت لواء الحكم العباسي . انه في الحقيقة كان من الذين ثاروا على مروان بن محمد وكان من العوامل التي ادت الى انهيار الحكم الاموي في فلسطين .

٣ — ارسل القائد صالح بن علي الى ابن اخيه السفاح ، زعماء الامويين الذين كانوا قد التجأوا الى فلسطين ، ومنهم الوليد بن معاوية بن عبد الملك وعبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك وعبد الجبار ابن يزيد بن عبد الملك . فقتلهم .

٤ — قيل[1] ان صالح بن علي لما قدم فلسطين اظهر للناس ان امير المؤمنين اوصاه ببني امية وامره بصلتهم والحاقهم في ديوانه ورد اموالهم اليهم . فقدم عليه من اكابرهم وخيارهم ٨٣ رجلا ، وفي قول[2] ٧٢، فقتلهم . ولم يبق منهم سوى افراد قلائل . منهم عبد الرحمن بن معاوية مؤسس الدولة الاموية بالاندلس .

٥ — نذكر فيما يلي اسماء الخلفاء العباسيين الذين تولوا الخلافة وكانت القدس من اعمالهم تارة بالفعل وطورا بالاسم :

ابو العباس عبدالله بن محمد الملقب بالسفاح	١٣٢ هـ — ٧٥٠ م
ابو جعفر المنصور	١٣٦ هـ — ٧٥٤ م
محمد المهدي	١٥٨ هـ — ٧٧٥ م
موسى الهادي	١٦٩ هـ — ٧٨٥ م
هارون الرشيد	١٧٠ هـ — ٧٨٦ م

(١) خطط الشام ج ١ ص ١٧٥
(٢) الطبرى

محمد الامين	١٩٣ هـ - ٨٠٩ م
عبدالله المأمون	١٩٨ هـ - ٨١٣ م
المعتصم بن الرشيد	٢١٨ هـ - ٨٣٣ م
هارون ابو جعفر (الواثـق بالله)	٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م
جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله)	٢٣٢ هـ - ٨٤٧ م
المنتصر بن المتوكل	٢٤٧ هـ - ٨٦١ م
احمد بن محمد بن المعتصم (المستعين بالله)	٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م
المعتز بالله بن المتوكل	٢٥٢ هـ - ٨٦٦ م
المهتدي بالله بن الواثق	٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م
المعتمد على الله بن المتوكل	٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م
المعتضد بالله	٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م
المكتفي بالله بن المعتضد	٢٩٢ هـ - ٩٠٥ م
المقتدر بالله جعفر	٢٩٥ هـ - ٩٠٨ م
القاهر بالله بن المعتضد	٣٢٠ هـ - ٩٣٢ م

وانا لذاكرون فيما يلي الوقـائع التي وقعت على عهد هؤلاء الخلفاء والتي اتصلت بنا انباؤها وكانت لها صلة ببيت المقدس :

٦ - ابو العباس عبدالله محمد الملقب بالسفاح :

عندما بويع في ١٣ ربيع اول سنة ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م كان اول عمل قام به انه اقال ولاة الامصار وابدلهم بولاة من اقاربه ، فجعـل على مصر عمه (صالح بن علي) قاتل مروان . وفي غرة شعبان ١٣٣ هـ ورد اليه كتـاب امير المؤمنين بامارته على فلسطين [١] .فنزلها ومعه عبد الملك بن نصير وعدة من اهل مصر .

وفي رواية اخرى[٢] ان والي سورية وفلسطين كان يومئذ(عبدالله بن علي) . ثم ضمت الاردن الى دمشق . وتعين (صالح بن علي)حاكما علىفلسطين والبلقاء تحت امرة (عبدالله بن علي). وكلاهمـا عباسي . وظل تابعا له حتى خرجعبداللهعلىالمنصور وغلب . فتعين صالح الى مصر .

(١) جرجي زيدان ج ١ ص ١٢٧

(٢) تاريخ فلسطين للبرغوثي وطوطح

٧ - ابو جعفر المنصور :

عندما بويع في ١٣٦ هـ - ٧٥٤م امر(محمد بن الاشعث) ان يسير الى الاردن ويخرج عمال (صالح بن علي) من الاردن والبلقاءوفلسطين . فاخرجهم منها . وقدم بيت المقدس [١] بعد الرجفـة الاولى وكانقد وقع شرقي المسجد وغربيه . فرفعوا اليه ذلك ليبنيه . فقال مـا عندي شيء من المال . فأمر بقلـع الصفائح الفضة والذهب التي على الابواب . فضربـت دنانير ودراهم وانفق عليه حتى فرغ منه (١٥٤هـ - ٧٧٤م) وتوفي سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م .

زار بيت المقدسعلى عهده الليث بن سعد بنعبد الرحمن الفهمي عالم اهل مصر . التقى بالخليفة ابي جعفر المنصور عند المسجـد الاقصى . وقيل انه[٢] كان نظير مالك في العلم .

ثم حدث زلزال اخر سنة (١٥٨هـ - ٨٨٤ م) فوقع البناء الذي كان امر به ابو جعفر المنصور . ان هذا الزلزال كان شديداً ، لدرجـة انه اثر على جميـع المباني في المدينة المقدسة ، ولا سيما المسجد الاقصى . حتى ان الناس امتنعوا عن الصلاة فيـه مدة طويلة .

ولما قدم المهدي من بعده كان المسجد خرابا . فامر ببنائه وقال :

(١) مثير الغرام .

(٢) الانس الجليل ح ١ ص٢٥٩

« رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال . انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه » فتم البناء في خلافته (١٦٣ هـ - ٧٨٠ م).

لسنا ندري كيف كان تخطيط الاقصى في ادواره الاولى . الى ان جاء المقدسي في القرن الرابع الهجري (٣٧٥هـ - ٩٨٥م) ووصف لنا في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) تخطيطه ايام المهدي . ويؤخذ من وصفه ذاك انه كان يتكون من رواق اوسط كبير يمتد من الشمال الى الجنوب ، يغطيه جملون ، وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة . وتكتنف الرواق الاوسط من كل من جانبيه سبعة اروقة موازية له واقل ارتفاعاً منه ، محمولة عقودها جميعاً على اعمدة اسطوانية . ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان يسمى: (باب النحاس الاعظم) يؤدي الى الرواق الاوسط رأساً . وعلى كل من يمينه ويساره سبعة ابواب يؤدي كل منها الى رواق من الاروقة الجانبية المتقدم ذكرها .

٨ - **محمد المهدي بن المنصور** . بويع سنة ١٥٨ هـ -- ٧٧٥ م . وفي عهده عمر المسجد الاقصى . في اقصى الجنوب بالمسجد المذكور قبة مزينة **بالفصوص الذهبية الملونة . يغلب على الظن انها صنعت في خلافة المهدي**[١] .

امر بابعاد بطريرك اورشليم الياس الثالث الى بلاد الفرس . وامر ان يسكن المسيحيون في محلة واحدة . وحصل منهم فدية .

روى عن ابن حارثة احمد بن ابراهيم بن هشام الغساني قال : كان المهدي يقول لكاتبه ابى عبد الله الاشعري ان بني امية سبقونا في اربعة

(١) خطط الشام ص٢٧١ .

اشياء : المسجد الاموي بدمشق ، والموالي ، وعمر بن عبد العزيز ، ومسجد الصخرة في بيت المقدس .

مات سنة ١٦٩هـ - ٧٨٥م .

٩ - لم تذكر القدس في زمن الخليفة العباسي **موسى الهادي** (١٦٩هـ -٧٨٥م) . واما في زمن اخيه **هارون الرشيد** (١٧٠هـ - ٧٨٦م) فقد ذكرت كثيراً . ولا بدع فقد بلغت دولة العرب في ايامه من العمران والمجد ما فاح ارجه في اقاصي الارض .

فقد عامل هارون الرشيد النصارى معاملة حسنة[١] . فسمح للامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء حيث يقوم على آثارها كنيسة الدباغة وبجانبها دير يأوي اليه زوار اللاتين . وفي سنة ٧٩٦م اهدى شارلمان ساعة وفيلاً واقمشة نفيسة . وتعهد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يأتون لزيارة القدس . كان شارلمان على احسن حال مع هارون الرشيد . فكان يرسل في كل سنة وفداً الى القدس يحمل الهدايا الى الخليفة والاموال لفقراء المسلمين . وارسل الخليفة اليه[٢] مفاتيح القيامة والقبر المقدس .

١٠ - خلف الرشيد ابنه **محمد الامين** (١٩٣ هـ - ٨٠٩م) ومن بعده جاء اخوه عبد الله المأمون .

فقد بويع **المأمون** بالخلافة سنة ١٩٨هـ - ٨١٣م . على عهده زار الامام الاعظم محمد بن ادريس الشافعي

(١) البرغوثي وطوطح .

(٢) يقتضي الانتباه الى هذا القول اي ان المفاتيح التي ارسلها هارون الرشيد الى شارلمان الملك . هي مفاتيح كنيسة القيامة وليست مفاتيح بيت المقدس كما جاء في بعض الروايات . ومنها رواية نجيب العقيقي كما روى في الصفحة ٤٦ من كتابه (المستشرقون) . كما انه لا صحة للقول الذي ورد في الكتاب نفسه بان ذلك جرى سنة ٨١٠م . لان هارون الرشيد انتقل قبل ذلك الى دار البقاء .

بيت المقدس[1]. وصلى فيه . كما زارها عدد كبير من العلماء واهل الفضل. وبلغ العلم على عهده مبلغاً عظيما.

١١ – اصاب قبة الصخرة شيء من الخراب في عهد الخليفة العباسي المأمون .فأمر بترميمه عندما زار بيت المقدس . ولما انتهى العمال من الترميم (٢١٦هـ – ٨٣١م) ارادوا ان يتزلفوا اليه ، فاستبدلوا اسم الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان باسمه .ولكنهم غفلوا عن تغيير السنة التي حدثت فيها العمارة .ترى كيف عرفنا ذلك ؟

ان فوق الاعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد حول الصخرة من الناحية الجنوبية الى الشرق خطاً ضيقاً مصنوعاً من البلاط الازرق نقشت عليه بالاحرف الكوفية المذهبة الكلمات الآتية :

«بنى هذه القبة عبد الله، عبد الله الامام المأمون امير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين .» لم يفطن الصانع الى تغيير التاريخ. فقد ابقى سنة ٧٢هـ. وهي السنة التي اتم فيها عبد الملك بن مروان البناء . ولم يذكر السنة التي تم ترميم البناء فيها على يد المأمون (٢١٦هـ – ٨٣١م) .

ثم انه وجد المكان ضيقاً بحيث لا يتسع لاسم الخليفة المأمون والقابه . فاضطر الى كتابة ذلك بطريقة تخالف تلك التي كتبت بها الكلمات الاخرى. اي ان الحروف التي كتب اسم المأمون بها مزدحمة متراصة، يختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها. ثم ان لون الفسيفساء التي جرى بها التحريف اشد سمرة من لون الفسيفساء القديمة .

ما كاد المأمون ينتقل الى دار البقاء حتى اخذت مملكته المترامية الاطراف بالانقسام .

(١) الانس الجليل ج١ص٢٦٠ .

١٢ – **المعتصم بن الرشيد** : تولى الخلافة بعد اخيه المأمون (٢١٨هـ–٨٣٣م) فلقب نفسه المعتصم بالله . وفي عهده بدأ تقهقر دولة العرب. اذ فضلا عن كونه اميا وضعيفا، كان اول من جند الاتراك واستعان بهم في الحرب . وقد امر عامله في مصر ان يسقط من في ديوان مصر من العرب وان يقطع العطاء عنهم . وراح العباسيون من بعده يرقون مواليهم من حارس ووصيف الى قائد وامير . ولم يحفظ هؤلاء الجميل . فانكروا حسن الولاء وسلبوا الخلفاء ابهة الملك . واصبح هؤلاء آلات بايديهم . وفي ايام المعتصم (٢٢٤هـ – ٨٣٨م) بعث الخليفة الى فلسطين رجلا من رجاله يدعى رجاء بن ايوب الحضاري (وفي رواية رجاء ابن اشيم الحميري[1]) . وسار هذا لقتال تميم اللخمي ويعرف بابي حرب .ويلقب ايضاً بالمبرقع. وكان من اهل الغور .خلع الطاعة .ودعا لنفسه.فتبعه خلق كثير .وروي الطبري ان السبب الذي حدا بالمبرقع للخروج على السلطة العباسية ان جنديا اراد النزول في داره وهو غائباً عنها . وفيها زوجته (وفي قول اخته) . فمانعته . فضربها بسوط اصاب ذراعها . فاثر فيها . فلما رجع ابو حرب الى منزله ، بكت وشكت اليه ما فعل بها . وارته الاثر بذراعها . فتناول ابوحرب سيفه ، ومشى الى الجندي. فقتله . ثم هرب .والبس وجهه برقعا. وراح يتنقل من جبل الى جبل في بقاع فلسطين والاردن ويصف الظلم الذي اصابه . فصدقه كثيرون . وكثر انصاره[2]. وكان مع رجاء الحميري ايضا جيش كبير العدد .فاحترب الفريقان في الرملة (٢٢٦هـ – ٨٤٠م). وكانت الغلبة للقائد العباسي . فأسر تميم . وقتل عدد كبير من اصحابه .

(١) (خطط الشام) لمحمد كرد علي . ج ١ ص١٩٢

(٢) قيل انه كان مع المبرقع يومئذ خمسون الفا من اهل اليمن .

١٢ ـ **هارون ابو جعفر** : (الواثق بالله)تولى الخلافة بعد موت ابيه المعتصم (٢٢٧هـ ـ ٨٤٢م) . وقد بلغ الخصام على عهده بين القيسية واليمنية الى الذروة .

ثار القيسيون بالشام فبعث الواثق اليهم رجاء ابن ايوب الحضاري وفي رواية[١] رجاء بن اشيم الحميري فاخضعهم . ثم سار رجاء الى فلسطين لقتال تميم اللخمي ويعرف بابي حرب ويلقب بالمبرقع . وكان هذا قد خرج على العباسيين ودعا لنفسه فتبعه خلق كثير ومنهم جماعة كبيرة من لخم وجذام وعامله وقد قدروا اتباعه بمئة الف نسمه .

١٣ – عندما توفي الواثق بالله بويع اخوه **جعفر بن المعتصم** (٢٣٢هـ – ٨٤٧م) ولقب بالمتوكل على الله . وقد قسم مملكته بين اولاده :فولى المنتصر افريقية وكل المغرب وسوريا ومابين النهرين والحجاز واليمن وحضر موت والبحرين والسند، وولى المعتز خراسان وطبرستان وفارس وارمينيا واذربيجان ، وولى المؤيد دمشق وحمص والاردن وفلسطين.ولكن المنتصر لم يقنع بهذا فراح يدس الدسائس ضد اخوانه حتى قتل بيد الحرس التركي .

زار بيت المقدس حوالي ذلك التاريخ ذو النون المصري ابو الفيض ثوبان بن ابراهيم الصالح ، فقال عنها[٢] **«وجدت على صخرة بيت المقدس كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل.وهذه الكلمات اصول ما استعبد الله به الخلق.»** استحضره المتوكل على الله من مصر . وكان كلما وعظه يبكي .

(١) خطط الشام ج١ ص ١٩٢

(٢) ابن جلكا نج١ ص١٠١

١٤ – لم تذكر القدس في عهد **المنتصر بن المتوكل على الله** (٢٤٧هـ – ٨٦١م) **والمستعين بالله** (٢٤٨ هـ – ٨٦٢ م) **والمعتز بالله** (٢٥٢ هـ – ٨٦٦ م) . وكل ما يجدر بنا ان نذكره عن هذا العهد ان دسائس الاتراك قد كثرت في بغداد مقر الخلافة حتى انهم اوعزوا الى المعتز ان يتنازل عن الخلافة ففعل فاودعوه السجن . ثم قطعوا عنه الغذاء فمات جوعاً .

وفي عهده عقد لعيسى[١] بن الشيخ بن السليل الشيباني على الرملة ، فانفذخليفته (ابا الفراء) اليها واستولى على فلسطين جميعها. وتغلب على دمشق واعمالها . وامتنع عن حمل المال الى العراق .

١٥ – اقام الاتراك عنه ابن عمه **المعتدي بالله** بن الواثق (٢٥٥ هـ – ٨٢٩م). وفي زمنه كان احمد ابن عيسى بن الشيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين[٢] والاردن. فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها . فبعث احمد بن المدبر (مدير المالية في مصر ومفتش الخراج فيها) بسبعمائة وخمسين الف دينار من مال مصر الى بغداد. فقبض ابن شيخ عليها وفرقها في اصحابه . وكانت الامور قد اضطربت ببغداد. فطمع ابن شيخ في التغلب عليها ، واشيع انه يريد مصر .

١٦ – وفي رجب ٢٥٦ هـ ذبح المهتدي وبويع **المعتمد على الله** وهو ابن المتوكل الثالث. **فبايعه الجميع إلا ابن شيخ زعيم فلسطين . فانه لم يدع له . ولم يبايعه لا هو ولا اصحابه. فبعث اليه بتقليد ارمينيا فوق ما معه من بلاد الشام.** وفسح له في الاستخلاف

(١) خطط الشام ج ١ص١٩٥ .

(٢) جرجي زيدان ج ١

عليها والاقامة على عملهـــا . فدعا حينئذ للمعتمد وبايعه .

١٧ – كتب الخليفـة المعتمد على الله (٢٥٦ هـ – ٨٧٠ م) الى احمـد بن طولون بمصر وكان قائداً للقوات المصرية يأتمر بامر الخليفة العباسي ببغـداد . بعث اليه سراً ان يتأهب لحرب ابن شـيخ . فجهز هـذا جيشاً كبيراً . وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد ما اخذ من المال. فاجاب بجواب قبيح . فسار احمد في ٦ جمـــادي الآخرة مستخلفاً اخاه موسى بن طولون على مصر . ولكنه قبل ان يصـــل الى فلسطين استبدله الخليفة بـ (اماجور التركي) . فلقيه اصحاب ابن شـــيخ وعليهم ابنه. فحاربهم اماجور ،فانهزموا منه وقتل قائدهم. فلحق ابن شيخ بارمينيا .وتقلد اماجور اعمال الشام كلها .

١٨ – لم تذكر القدس في عهـــد **المعتضد بالله** (٢٧٩ هـ – ٨٩٢ م) سوى انه اهتبـــل الفرصة فسعى لاستعادة سلطة اسلافـه على البلاد . ولكنه مات قبل ان ينال مبتغاه .

١٩ – ولما تولى الخلافة ابنه **المكتفي بالله**(٢٩٢هـ – ٩٠٤ م) انفذ جيشاً الى الشام فتملكها . ثم هجم على مصر فاخترقها . وهكذا عـــادت السلطة الى الخلفاء العباسيين في مصر والشام معاً على عهده بعد ان بقيت ردحاً من الزمن في يد الطولونيين .

٢٠ – بعـد المكتفي بويع جعفر **المقتدر بالله** (٢٩٥ هـ – ٢٠٨ م) وفي زمنه توفي عيسى بن محمد الامير النوشري الذي تولى امرة الشام على عهـــد المنتصر والمستعين،وتولى شرطة بغداد ايام المكتفي، وامرة مصر على عهـد المكتفى واخيه المقتدر بالله وكانت القدس من اعماله .توفي وهو على امرة مصر[١] .

(١) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠٦

فحمل الى القدس ودفن بها (٢٩٧ هـ – ٩٠٩ م) .

٢١ – ولما قتل المقتدر ، بويع اخوه **القاهر بالله** الابن الثالث للمعتضد بالله(٣٢٠ هـ – ٩٣٢م) . فولى هذا على مصر ابا بكر محمد بن طغج . ومن هـــذا نشأت دولة حكمت مصر وسوريا مـدة من الزمن عرفت « بالدولة الاخشيدية » .

٢٢ – قبع الخلفاء العباسيون بعد ذلك التاريخ في قصورهم . فلم يبق لهم في شؤون الملك حول ولا طول . واقتصرت سلطتهم على المسائل الدينيـة . وظلوا كذلك الى ان زحف هولاكو على بغـداد (٦٥٦ هـ – ١٢٥٧ م) وقضى على الخلافة العباسية فيها . فغادروهـا بعـد ان عاش منهم فيهـا سبعة وثلاثون خليفة . غادروها الى مصر . حيث عاش منهم خمسة عشر خليفة ،كان آخرهم محمد **المتوكل على الله** الذي تنازل عن الخلافة الدينية الى السلطان سليم العثماني (٩٢٣ هـ – ١٥١٧ م). وسلمه مفاتيح الحرمين . فتكون الخلافة قد عاشت ٧٦٧ سنة . .

٢٣ – ان تاثير العباسيين في فلسطين ولا سيا في عهـدهم الاخير كان ضئيلاً بسبب بعـد المسافـة . ولذلك انتقلت السلطة فيها بسرعة من يد العباسيين الى يد الطولونيين ، فالى الاخشيديين والفاطميـين بمصر .

ومع هذا كله لم يخل عهدهم من الوقائع التي لها صلة بهذه البلاد . وكانت القدس على عهدهم لا تزال تحمل اسمها الروماني الذى احتفظت به منذ الفتح الاسلامي : ايليا .

٢٤ – ذكر ابن خرداذبه[١] بيت المقـدس في

(١) ابو القاسم عبيد الله بن خرداذبة من الادباء الذين عاشوا في اواسط القرن الثالث للهجرة

كتابه (المسالك والممالك)[١] فقال :« كورة ايلياء وهي بيت المقدس بينهـا وبين الرملة ثمانية عشر ميلا . ومنها الى مسجد ابراهيم ثلاثة عشر ميلا مما يـلي القبـلة . ومنهـا الى البحـيرة المنتنـة[٢] اربعة اميال » .

٢٥ – زار القدس خلال القرن التاسع للميلاد (برنارد الحكيم) . زارها بعد ان نال رضى البابا في روما . وقد مر بالاراضي الايطالية التي كانت خاضعة للنفوذ العربي .فحمله صاحب بارى[٣] رسائل الى امراء الشرق يوصيهم به خيرا .

(١) طبع في ليدن ص ٧٨

(٢) البحر الميت .

(٣) هو الامير خفاجه الذي انتدبه ابو الغرانيق محمد الثاني بن احمد الاغلبي لاتمام فتح ايطاليا سنة ٢٥١ هـ – ٨٦٥ وكان يطلق عليه حاكم ايطاليا وقائدها العام (رواد الشرق العربي ص ٥٤)

وصف برنارد القدس وما حولها من القرى فقال : « ان المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام . والامن العام مستتب . حتى ان المسافر ليلا يجب ان تكون بيده وثيقة تثبت هويته ، والا زج في السجن حتى يحقق في امره ويتضح قصده . واذا سافرت من بلد الى بلد ونفق جملي او حماري وتركت امتعتي مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة ، عـدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد » .

كان ذلك في عام ٨٧٠ للميلاد . ولكن تفكيره كان منصرفاً بالاكثر الى اماكن العبادة . فذكرها كلها ولم يذكر عن المدينـة نفسها الا النذر اليسير . وقال انه نزل في نزل معـد للحجاج الذين يتكلمون اللغـة الرومانية . ذلك النزل الذي اسسه الملك شارلمان . وبجانبه سوق يترتب على الشخص الذي يعيش فيه[٢] ان ينقـد المحتسب الذي يناظره قطعتين من الذهب كل سنة .

(٢) كذا في الاصل . ولعله اراد ان يقول: (الذي يعمل فيه).

* *
*

الدولة الطولونية

عندما غزا العرب بلاد الترك ، واسروا من اسروا من سكانها ؛ راحوا يرسلون الى بلاط الخليفة ببغداد من يأسرونه من الترك ، فيستخدمهم الخلفاء وكبار الامراء في منازلهم ويدعونهم بالمماليك .

من هؤلاء الاسرى[1] (**طولون**) . وهو ينتمي الى احدى القبائل الاربع والعشرين التي تتألف منها تركستان . اسره (ابن اسد الصامي) احد عمال المأمون في احدى المواقع الحربية . فارسله الى الخليفة . فاعجب المأمون به والحقه بحاشيته . وما زال يرقيه حتى جعله رئيس حرسه ولقبه بامير الستر .

٢ — بقي طولون في منصبه عشرين عاماً ، خدم خلالها **المأمون** واخاه المعتصم . وفي زمن المعتصم هذا **كان** الضعف قد دب في صفوف العباسيين الى درجة انه لم يبق للخليفة سلطة على البلاد سوى الاسم . واصبحت خلافتهم دينية لا دنيوية . فسيطر طولون ، ولقب بعدئذ بابي العباس .

هذا هو مؤسس الدولة الطولونية .

تألق نجم ابن طولون ، باديء ذي بدء ، في مصر (٣٤٨ هـ — ٨٦٢ م) وطارت شهرته . فكان تقيا ، لين العريكة ، مقداما ، ملما بالسياسة ؛ وكان قائداً للقوات العسكرية فيها ، يأتمر بامر الخليفة العباسي ببغداد .

ولقد طلب منه الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل (٢٥٦ هـ — ٨٦٩ م) ان يتأهب لمقاتلة احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني قائد الجند بفلسطين والاردن ، لان هذا ابى ان يبايع المعتمد بالخلافة . وقد سار بجيش كبير لمحاربته . غير انه قبل الوصول الى فلسطين امر بالرجوع الى مصر .

ذلك لان اماجور التركي والي الشام ، عندما رأى تالق نجم ابن طولون في مصر ، اخذ يوغر صدر الخليفة عليه (٢٥٧ هـ — ٨٧٠ م) . فامره الخليفة بالرجوع الى مصر . وارسل اماجور على بر الشام . وبقي ابن طولون واليا عاما على القطر المصري .

٣ — ولما توفي **اماجور** اغتنم ابن طولون الفرصة ليضم سوريا الى مصر . وقد سار اليها بجيشه . ولما احتشدت جيوشه في فلسطين ، اتاه محمد حاكم الرملة خاضعاً . فاقره في منصبه . ولما وصل دمشق رحب به علي بن اماجور فاقره في منصبه . وهكذا علت كلمته في بري مصر والشام (٢٦٥ هـ — ٨٧٨ م) .

٤ — وعلى قول[1] ان القدس دخلت في حكم ابن طولون سنة ٨٣٣ م وان النصاري قاسوا على عهده وانه حظر عليهم ان يلبسوا الا الدرع مرفوعا من قبل ومن دبر . وحرم عليهم ركب الخيل .

٥ — ومن الاحداث التي حدثت في عهد احمد ابن طولون الحرب العصبية التي وقعت بفلسطين (٢٥٧ هـ — ٨٧٠ م) بين لخم وجذام ، فتحاربوا حربا اخذت من الفريقين .

---

(١) جرجي زيدان ج ١ ص ٦٤٣

(١) السير السليم . ص ١٢٩ وتاريخ القدس لسركيس ص ١٦٨ .

٦ – توفي ابن طولون في اليوم العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠هـ –١١مايو ٨٨٤م ودفن عند سفح المقطم بمصر .

٧ – بعد موته اقيم ابنه **خماروية** في مكانه (٢٧٠ هـ – ٨٨٣ م) فكان اميراً على مصر والشام. وعلى عهده وقعت واقعة بين احمد بن الموفق الملقب بالمعتضد بالله وبين خماروية تدعى (واقعة الطواحين) .

٨ – وطد خماروية بعدئذ العلائق بينه وبين الخليفة المعتضد بالله ، وارسل الى بغداد وفداً يحمل للخليفة الهدايا،ويعلمه ان مصر تؤدي الخراج وقدره مائتا الف دينار . فثبته الخليفة في امارته لثلاثين سنة . ولكنه مات مقتولا (٢٨٢ هـ) .

٩ – حال موت خماروية بويع ابنه (**جيش**) الملقب بابي العساكر . فلا الشام قبلته ولا مصر اقرته . فثار الجميع عليه وقتلوه .

١٠ – بعد مقتل جيش اقام زعماء الثورة اخاه (**هارونا**) مكانه (٢٨٣ هـ – ٨٩٦ م) . وثبته الخليفة المعتضد على مصر . ولكن الناس عدلوا عن طاعته بعد نصبه . وعصوه . ورئيس هذه الثورة (**طغج بن جف**) صاحب الشام . فاغتنم الخليفة المعتضد الفرصة ، وعزم ان يستعيد سلطة اسلافه على البلاد .

١١ – قتل هارون بطعنة من احد المغاربة في جيشه (٢٩٢ هـ – ٩٠٤ م). ويقال ان عمه شيبان ابن احمد هو الذي قتله . ولكن الامراء ثاروا عليه واجبروه على التسليم . فتسلم الامر **محمد بن سليمان** وهو الذي أنفذ من لدن الخليفة المكتفي بالله بن المعتضد الى الشام على رأس جيش ليمتلكها. وتلك مصر من بعدها . واعاد الى الخليفة العباسي سلطته السابقة .

وقد قتل شيبان بعد ذلك ببضعة ايام . وهكذا انتهى حكم الدولة الطولونية في القدس (٩٠٥ م[1]) .

١٢ – ما كانت القدس من الاهمية بمكان على عهد الدولة الطولونية . ولم تذكر الا قليلا . لان البلاد كانت في حال حرب . وما كانت القدس مهمة من الناحية الستراتيجية . اذ انها لم تكن واقعة على الدرب بين مصر والشام بالتمام . وقد احتل مكانها من هذه الناحية يومئذ المدن الساحلية الواقعة على تلك الطريق وفي مقدمتها الرملة . وما كان الناس ليقصدوا القدس يومئذ الا لغايات دينية.

(١) « تاريخ القدس » لخليل سركيس . ص ١٦٨ و « السير السليم » ص ١٢٩ .



الدولة الاخشيدية

ظن بنو العباس انهم نجوا ممن يناصبهم العداء في الشام ومصر، يوم قضوا على ابناء طولون. ولكن ظهرت لهم (الدولة الاخشيدية) او (دولة بني طغج) . ورأس هذه الدولة هو محمد الاخشيد (الملقب بابي بكر) بن طغج بن جف بن بلتكين ابن فوري بن خاقان .

٢ — نزل جف هذه البلاد على عهد المعتصم بالله ابن هارون الرشيد ، فاقطعه السامرا (او سر من رأى) . وتوفي في بغداد في الليلة التي قتل فيها المتوكل على الله (٢٤٧هـ — ٨٦١م) . دخل طغج بن جف في خدمة خمارويه بن احمد بن طولون ، فقلده بعض المناصب الهامة ، وولاه دمشق وطبرية . وظل يرتقي في هذه المناصب الى ان مات في حبس العباس بن المحسن وزير الخليفة العباسي المكتفي بالله .

وكان مع طغج في السجن ابنه محمد الاخشيد . ولكنه نجا من السجن . وجاء الى الشام . وهناك ولاه الخليفة المقتدر مدينة الرملة (٣١٦هـ — ٩٢٨م) . فاقام بها سنتين . ثم تولى الشام (٣١٨هـ — ٩٣٠م) .

٣ — ولما قتل الخليفة العباسي المقتدر بالله وبويع بالخلافة اخوه القاهر بالله بن المعتضد بالله (٣٢٠هـ — ٩٣٠م) ولي هذا اي (محمد بن طغج)[١] مصر ، ولقب بالاخشيد[٢] (٣٢٧هـ — ٩٣٨م) . ومن هذا نشأت دولة حكمت مصر وسوريا معاً مدة من الزمن عرفت : (بالدولة الاخشيدية) .

٤ — وفي سنة (٣٢٨هـ — ٩٣٩م) اعطى[١] الخليفة الراضي بالله لقب امير الامراء لمحمد بن رائق صاحب فلسطين وكان مستقلاً عنه . فلاح له ان يغزو الشام وعليها الامير بدر بن عبدالله الاخشيدي. فحاربه فهرب بدر ، فنهض محمد الاخشيد من مصر لانجاده . ولكن الفريقين اصطلحا قبل ان يصطدما. ولكنهما عادا فاقتتلا. فوضع محمد الاخشيد يده على الرملة . واسر خمسماية رجل من جيش ابن رائق .

٥ — قتل في هذه المعركة حسين اخو الاخشيد[٢] . فانفذ ابن رائق ابنه مزاحماً الى الاخشيد ليعزيه ، فأكرم وفادته . واصطلحا على ان تكون البلاد من الرملة الى حدود مصر للاخشيد وباقي الشام **لمحمد بن رائق** ، وان يحمل الاخشيد الى ابن رائق في كل سنة مئة واربعين الف دينار تعويضاً عن الرملة .

٦ — ولما قتل محمد بن رائق[٣] سنة ٣٣٠هـ نهض محمد الاخشيد لاسترجاع البلاد التي كان تنازل عنها لمحمد بن رائق . وقد استرجعها منه

---

(١) جاء في خطط الشام ج ١ ص ٢١٣ ان محمد بن طغج تقلد مصر من جهة الراضي ، وان هذا ولاه اياها بعد ان عزل متوليها احمد بن كيغلغ وضم اليها البلاد الشامية .

(٢) هذا لقب ملوك فرغانة الذين تحدر منهم . ومعناه (ملك الملوك) .

---

(١) جرجي زيدان ج ١ ص ١٨٥

(٢) لسنا ندري ان كان هذا هو اخو الاخشيد الذي جاء ذكره في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢١٠ والذي اسماه الحسن بن طغج بن جف الامير المظفر الفرغاني التركي وقال عنه انه مات في الرملة ودفن بالقدس (٣٤٢هـ — ٩٥٣م). ام ان للاخشيد اخين احدهما حسن الذي ذكر في النجوم والثاني حسين هذا .

(٣) قتله الحمدانيون بالموصل .

بالفعل . وفي سنة ٣٣٢ هـ – ٩٤٣ م تولى امارة الحجاز . فسادت كلمته في مصر والشام وفلسطين والاردن والحجاز .

٦ – مات الاخشيد في دمشق ، ودفن في القدس (٣٣٤ هـ – ٩٤٥ م) .

بعد موته ولي الامر ابنه ابو القاسم محمد الملقب بـ (**انوجور**) . فاستضعفه سيف الدولة . وقصد دمشق فملكها . فخابروا كافورا وصي الامير . فجهز هذا جيشاً عرمرماً . فالتقى الجيشان قرب الرملة . وانهزم سيف الدولة . واسترجع كافور دمشق وفلسطين[١] (٣٣٤ هـ – ٩٤٦ م) .

٧ – زار القدس خلال تلك الفترة من الزمن السائح الفارسي المشهور ، **ناصري خسرو** ووصفها في كتابه (سفرنامة[٢]) . وان ارضها كلها مبلطة بالحجارة . وانهم سووا الجهات الجبلية فجعلوها مسطحة بحيث تغسل الارض كلها وتنظف بعد الامطار . وانه يوجد على حافة سهل (الساهرة) قرافة عظيمة وقبور كثير من الصالحين .

٨ – ولما مات انوجور بن الاخشيد (٣٤٩هـ – ٩٦٠م) حمل الى القدس ودفن بها عند ابيه . ومن بعده تولى الحكم **اخوه** علي الملقب بابي الحسن . ولم يكن له من الامر شيء سوى الاسم . اذ منع كافور الناس من الاجتماع به . وظلت صلاته بمدبر مملكته كافور سيئة الى ان اعتلت صحته . ومات لاحدى عشرة خلت من محرم سنة (٣٥٥ هـ – ٩٦٥م) وحمل الى القدس . ودفن عند ابيه الاخشيد واخيه انوجور .

(١) البرغوثي وطوطح .

(٢) رحلة تقع حوادثها بين سنة ٣٤٧هـ – ٩٥٨م وسنة ٤٤٤هـ – ١٠٥٢م . نقلها الى العربية وعلق عليها يحيى الخشاب بمصر ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م .

وبموت ابي الحسن انفرد كافور في حكم مصر . ولقب بالاخشيدي (٣٥٥هـ – ٩٦٥م) . وخطب له على منابر مصر والشام والحجاز والثغور . وكانت هذه كلها من اعماله .

٩ – لما انفرد **كافور** بالامر (٣٥٥هـ–٩٦٥م) كان في بيت المقدس[١] وال يعرف بمحمد بن اسماعيل الصنهاجي . اضطهد بطريق القدس وكان ابى مقابلته فهجم عليه الوالي في اشياعه . واحرق ابواب كنيسة القيامة . وسقطت قبتها . ونهبوا كنيسة صهيون واحرقوها . **قال** ابن بطريق : وهدم اليهود وخربوا اكثر من المسلمين . ثم قتل البطريق .

١٠ – توفي كافور سنة ٣٥٦هـ – ٩٦٦م ودفن في القدس[٢] . ووقع الخلاف ، على اثر وفاته ، بين الاخشيديين . فراح كل واحد منهم يدعي الامارة

(١) خطط الشام ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) قال صاحب (النجوم الزاهرة) ج ٤ ص ١٠ انه توفي في مصر وحمل تابوته الى القدس ودفن به . وكتب على قبره :

ما بال قبرك يا كافور منفرداً ... بالصحصح المرت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك آحاد الرجال وقد ... كانت اسود الشرى تخشاك في الكتب

(والمرت) مفازة لا نبات فيها .

واما ابن خلكان فيقول نقلا عن القضاعي في كتاب الخطط وعن الفرغاني في تاريخه ان كافور توفي سنة ٣٥٧هـ – ٩٥٧م وانه دفن بالقرافه الصغرى ، وقبته مشهورة هناك .

وقال المقريزى ، نقلا عن ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله انه في سنة ٣٦٢ للهجرة سار (اي المعز) على شاطىء النيل حتى بلغ بني وائل ومعه وجوه الدولة ، فعطف على بركة الجيش ثم الصحراء ، ومر على قبر كافور .

وقال جرجي زيدان في كتابه (تاريخ مصر) ج١ ص١٩١ انه دفن في القرافة الصغرى ، وقبته هناك .

وقال الوليد بن بكر العمري : وجدت على قبر كافور مكتوباً :

انظر الى عبر الايام ما صنعت ... افنت اناساً بها كانوا وما فنيت
دنياهم ضحكت ايام دولتهم ... حتى اذا فنيت ناحت لهم وبكت

لنفسه . فتضعضعت الدولة الاخشيدية . واستولى **جوهر الصقلي** قائد المعز الفاطمي على البلاد .

١١ — لم تذكر القدس على عهد الاخشيديين ، الا قليلا . ولم تكن يومئذ ذات اهمية لا من الناحية التجارية ولا من الناحية الحربية . ذلك لانها لم تكن واقعة على الدرب الاساسي بين مصر والشام . وقد احتل مكانها من هذه الناحية المدن الواقعة في السهل والكائنة على الدرب بالذات مثل الرملة . وما كانت القدس يومئذ لتقصد بالذات ، الا لغايات دينية .

١٢ — ان احسن وصف للقدس ، على عهد الاخشيديين ، نجده في الصفحة ٥٦ من كتاب (مسالك الممالك) **للاصطخرى**[1] . قال :

« فلسطين ازكى بلدان الشام . ومدينتها العظيمة الرملة . وبيت المقدس يليها في الكبر . وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد اليها من كل مكان قصد من فلسطين . وبها مسجد ليس في الاسلام مسجد اكبر منه . والبناء في زاوية من غربي المسجد يمتد على نحو نصف عرض المسجد . والباقي من المسجدفارغ الا موضع الصخرة ، فان عليه حجراً مرتفعاً مثل الدكة . وفي وسط الحجر على الصخرة قبة عالية جداً . وليس ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع . وهو من اخصب بلدان فلسطين . وفي مسجد بيت المقدس ، لكل واحد من عامة الانبياء المعروفين ، محراب معروف . ويزرع في جبالها وسهولها اشجار الزيتون والتين والجميز والعنب ، وسائر الفواكه اقل من ذلك » .

(١) هو ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارس الاصطخرى المعروف بالكرخي . عاش في اواسط القرن الرابع للهجرة . وقام برحلته سنة ٩٥١ للميلاد . وكتابه هذا طبع في ليدن سنة ١٨٧٠ .

★ ★
●

القدس الفاطمية

كان كافور آخر ملوك بني الاخشيد . ولما اذنت شمس الدولة الاخشيدية بالافول ، رأى عقلاء مصر انه لا ينجيها من الفوضى التي كانت فيها الا القاؤها في حضن دولة قوية . فكتبوا الى **المعز الفاطمي** صاحب المغرب يستدعونه الى مصر . فجهز هذا حملة مؤلفة من مئة الف محارب ، والف وخمس مئة جمل تحمل الذهب والفضة . وارسلها الى مصر بقيادة (**جوهر**). فدارت الدائرة على الاخشيديين . واقام جوهر الخطبة للمعز .

لم يدخل المعز في طاعة الخلفاء العباسيين . بل ادعى الخلافة لنفسه ، قائلا : « نحن افضل من بني العباس . انا من ولد فاطمة بنت رسول الله » . وكان الخليفة في بغداد يومئذ المطيع لله العباسي . فلم يقره على عمله . وراح الاثنان يتنازعان .

ولما استقرت قدم جوهر بمصر ، سير جمعا كبيراً الى الشام بقيادة (جعفر بن فلاح) . فجاء هذا الى الرملة ، وكان بها الحسن بن عبدالله بن طغج ، فقاتله جوهر وتغلب عليه . ثم استولى على فلسطين كلها ، وجبى اموالها . ثم ملك الشام . واقام الخطبة للمعز (٣٥٩ هـ – ٩٦٩ م) . فقطعت الخطبة العباسية فيها ، واصبح الفاطميون خلفاء مصر والشام والمغرب معاً .

٢ – بعد وفاة المعز تولى ابنه **العزيز**[١] (٣٦٥ هـ – ٩٧٥ م) . فقامت بينه وبين (**افتكين**) صاحب الكلمة العليا في الشام حرب دامت شهرين . قتل فيها عدد كبير من الفريقين . وقد استعان اهل الشام على المغاربة بالقرامطة[١] . فجاء ملك القرامطة (الحسن بن احمد القرمطي) من بغداد . واجتمع اليه من رجال الشام نحو خمسين الف مقاتل . فرحل جوهر قائد العزيز الفاطمي من دمشق . وتبعه افتكين والقرمطي واتباعهما . فحصروه في عسقلان سبعة عشر شهراً . ذاق خلالها الامرين . ولكنه تمكن بعد جهد جهيد من الخلاص . فرجع الى مصر . واخبر العزيز بما جرى .

٣ – سار العزيز ، في هذه المرة ، الى الشام بنفسه ، ومعه سبعون الف مقاتل . فالتقى بافتكين والقرامطة في ظاهر الرملة ، فقاتلهم ، وانتصر عليهم ، واسر افتكين ، واخذه الى مصر حيث مات فيها . وبلغت خسائر جيش العزيز عشرين الفاً من المغاربة .

٤ – جاء العزيز الى فلسطين مرة اخرى عندما ثار (**مفرج بن الجراح**) امير بني طيء وسائر العرب في فلسطين . خشي العزيز يومئذ عاقبة الامر . فجهز العساكر لمحاربته . وارسلهم

---

(١) اسمه نزار بن معد . كان محبا للعلم . وكان يكره اهل السنة . وسد الامر الى رجاله من المسيحيين واخرين من اليهود . ولقد تزوج من سريم اخت البطريرك اوريستيس الذي تولى الكرسي لاورشليمي سنة ٩٨٤م .

(١) فرقة من الباطنية نسبوا الى حمدان قرمط . لقب بذلك لقرمطته في خطه و في خطوه . والقرامطه زنادقة دهريون يقولون بقدم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها ، ويميلون الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع وينكرون الثواب والعقاب . ويقولون ان الجنة نعيم الدنيا ، وان العذاب انما هو الاشتغال بالصلاة والصوم والحج . ما الى ذلك (دائرة معارف وجدي ج٧ ص ٧٢١) .

بقيادةقائده التركي (بلتكين) . فسار هـذا الى الرمـلة . واجتمع اليه العرب من قيس وغيرهم . ولقي ابن‌الجراح ، فهزمه . فاستولى على البـــلاد كلها . وصفا له لجو .

اقام العزيز على ولاية فلسطين وزيراً قبطياً هو الشيخ ابو اليمن قزمـــان بن مينا الكاتب[١] . وسكن هذا في دير السلطان من امـلاك القبط . ولما اقتتلت جيوش الشام ومصر هرب هذا ، آخذاً معه اموال الدولة. وقد بلغت‌يومئذ مئة الف‌دينار .

٥ – ولمـا توفي العزيز خلفه ابنه المنصور ، ولقب **الحاكم بامر الله** (٣٨٦ هـ – ٩٩٦ م) فحكم البـلاد نحو ٢٥ سنة . كانت مليئة بالحوادث الغريبة والمتناقضات . ولهذا رأينا من الفائدة ان نأتي على ذكر بعضها . ولا سيما تلك‌التي تفسر لنا ما الم بالقدس في تلك الفترة من الدهر .

قرانا عنه‌بحوثا كثيرة للمقريزي[٢] وابن الاثير[٣] وابن الجوزي[٤] وابن خلكان[٥] وابن خلدون[٦] وابن العميد[٧] وابن تغرى‌بردى[٨] ومحمد عبدالله عنان[٩]. وفي مخطوط كنسي اسمه (سير البيعة المقدسة) وهو ذيل لكتاب (ســـر الآباء البطاركة) الذي وضعه ســـاويرس بن المقفع اسقف الأشمونين في عهد المعز العزيز. واشترك في كتابة هذه السير عدد من‌الاحبار المتعاقبين.منهم الانبازخاريا البطرك‌الرابع والستين. وقد عاصر هذا الحاكم بامر الله . وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة نسخة فتوغرافية لهذا المخطوط .

قبل كل شيء نريد ان نصف لك الحاكم ، مـن الناحية البدنية والعقلية ، وصفاً يساعدك على تفهم الاحداث التي وقعت على يده . فنقول :

كان‌الحاكم ذا بنية قوية وطلعة مهيبة وصـــوت جهوري . انه رجل غريب الاطـوار . متناقـض الصفات والاعمال . فاقد الاتزان . كان كل يوم في حال .

فتارة كان يظهر في صورة جبار منتقم . وظالم يحب سفك الدماء . وغدار لا يستقر عـلى ثقـة او صداقة . . وطورا كان يظهر في مظهـر الجـــود والتقشف والزهد والميل لفعل الخير .

ويل لمن يلاقيه في ساعة الغضب ! وطوبى لمن يلقاه في ساعة الرضا !

وكثيرا ما كان يأمر بالشيء ويبالـغ في العطـاء ثم يرجع عنه ويبالغ في نقضه .

كان احيانا يحب العلم ويكرم العلماء . . ولكن سرعان ما ينقم على العلم والعلماء ؛ فيضطهدهم ، او يقتلهم ، او ينفيهم . . .

كريم احيانا ، وبخيل الى ابعد حدود البخل في بعض الاحايين . متدين . . زاهد . . تقي احيانا . واحيانا ياتي بفعال لا تمت الى الدين بصلة . .

ومن غريب طباعه انه كان يكره اكل الملوخية والترمس والجرجير ، وما الى ذلك من طعام . وقد منع الناس المستظلين بحكمه من اكلها . وحرّم ذبح

(١) (تاريخ الكرسي الاورشليمي للاقباط الارثوذكس) للشماس كامل صالح نخله الاسكندري . مخطوط.
(٢) ج ٢ ص ١٦٧
(٣) ج ٩ ص ٤٠
(٤) ج ١٣ ص ٤٠١
(٥) ج ٢ ص ١٦٦
(٦) ج ٤ ص ٦٠
(٧) طبعة ليدن . ص ٢٥٩
(٨) ج ٤ ص ١٧٨
(٩) طبعة (دار النشر الحديث) بالقاهرة .ص ٤٠ ومابعدها

الابقار الا في عيد الاضحى . كما حرم صيد السمك الذي لا قشر له . وحرّم دخول الحمام بلا مئزر . وحرّم على النساء ان يكشفن وجوههن في الطريق . كما حرّم عليهن التزين والتبرج والمشي وراء الموتى والبكاء والعويل والصياح . ومنع زيارة القبور ، وحرّم على الناس ان يخرجوا من منازلهم بعد الغروب ، وامرهم بالبقاء داخل منازلهم حتى الفجر ، وهكذا توقف البيع والشراء ليلاً . ولم يكتف بتحريم شرب الخمر ، ولكنه امر بكسر جميع الاواني التي يشرب فيها . وحظّر بيع الزبيب واستيراده . كما حظر شراء مقدار من العنب يزيد على اربعة ارطال ، لئلا يستعمل في صنع النبيذ . وقد اتلف معظم الكروم ، وهاجم اماكن البغاء . واعدم جميع الكلاب (خلا كلاب الصيد) . كما امر بقتل جميع الخنازير .

والغريب في هذه الامور انه لم يكتف بالنصح والاقناع ، وردع الفاعلين بالتي هي احسن ، او بالتشهير او التغريم او الجلد او السجن . ولكنه كان احيانا يصل في قصاصه حدّ الاعدام . واغرب من ذلك ان كثيراً ما كان يلغي في غده امراً كان اصدره في امسه .

امه (اي ام الحاكم بامر الله) جارية رومية نصرانية من الطائفة المعروفة بطائفة الروم الملكية . وكان لها ايام ابيه العزيز بالله بن المعز لدين الله نفوذ عظيم في الدولة . حتى انه (اى العزيز) انتدب اخاها (اريسطيس) بطركاً للملكية ببيت المقدس (٣٧٥ هـ — ٩٨٥ م) . وكان لهذه المصاهرة اثرها حيناً من الدهر في سياسة العزيز نحو النصارى من حيث التسامح الواضح والعطف الشديد . ولكن . هذا العطف لم يستمر طويلا . بل انقلب الى بغض . ففي سنة ٣٩٥ هـ — ١٠٠٤ م امر النصارى ان يلبسوا الغيار ، ويشدوا الزنار ، وان يلبسوا العمائم السود . والغى اعيادهم : عيد الصليب ، وعيد الغطاس ، وعيد الشعانين واعياد الشهداء . وحرم ضرب النواقيس . وامرهم بان يعلقوا الصلبان في اعناقهم .

وحرم على النصارى واليهود معاً ركوب الخيل . الا الحمير والبغال ، فيجوز لهم ان يركبوها شريطة ان يكون سرجها من خشب . . ولا يجوز لهم ان يستخدموا رجلا مسلماً ، او جارية مسلمة . . وحظر على المكارية المسلمين ان يحملوا على دوابهم ذميا ، كما حظر على الملاحين المسلمين ان يحملوا في سفنهم ذمياً .

وفي سنة ٣٩٩ هـ — ١٠٠٨ م امر بهدم عدد من الكنائس ومنها (كنيسة القيامة)[١] . وتقول الرواية الكنسية المعاصرة ان الامر الذى اصدره الحاكم يومئذ بهدم هذه الكنيسة صيغ في عبارة موجزة تقول : خرج امر الامامة اليك بهدم قمامة . فاجعل سماءها أرضاً ، وطولها عرضا » . وتقول الرواية ان الذي كتب هذا الامر كاتب نصراني يسمى : (ابن شترين) . وان الامر ارسل يومئذ الى (بارختكين) والى الرملة (فلسطين) . فقام بتنفيذه في الحال[٢] . فهدمت كنيسة القيامة . وأزيلت كنيسة « مار قسطنطين » التي بداخلها .

(١) هكذا كانوا يسمون « كنيسة القيامة » في ذلك الحين . وقد ظل اسمها هذا « اي القمامة » عالقاً بها حتى اواخر العهد التركي . والسبب في هذه التسمية راجع الى ان القبر المقدس بني على الموضع الذي كانت توضع به القمامة خارج اسوار بيت المقدس ايام المسيح ، وهو نفس الموضع الذي يقول الانجيل : أن السيد المسيح قد صلب فيه « راجع معجم البلدان لياقوت » .

(٢) كتاب « الحاكم بامر الله » لمحمد عبد الله عنان . ص ٦٩

وهدم الدير الملاصق لها . وكان هدمها في شهر صفر سنة ٤٠٠ هـ - ١٠١٠ م .

وقيل في تحليل السبب الذي جعل الحاكم ينقم على النصارى ، هو ان الوزراء والكتاب الذين استخلصهم للحكم من النصارى ، اسرفوا[1] في الاستئثار بسلطانهم واستغلالها . فقد اطلقوا العنان لاهوائهم الطائفية . وقدموا النصارى في مناصب الدولة ، واقصوا عنها المسلمين . وجمع الموظفون النصارى عن هذه الطريق ثروات طائلة . واقتنوا كثيراً من الجواري والعبيد المسلمين . واكثروا من اقامة الكنائس والاديار . فبدت الاقلية النصرانية عزيزة الجانب ، وتقلص نفوذ الاكثرية المسلمة في البلاد .

واما (كنيسة القيامة) التي امر الحاكم بهدمها ، فقد ذكر المؤرخون لها سببين ؛ احدهما : ما وصل الى علمه عن الصلوات والادعية الدينية والشعائر التي اعتبرت شبيهة بالوثنية[2] وهي مثيرة ؛ وما يتبعها من مواكب دينية صاخبة ، يضج فيها النصارى بالصلوات والادعية ويرفعون الصلبان الضخمة . ولا سيما في ايام الفصح وفي عيد الشعانين . وتقول الرواية الكنسية المعاصرة[3] : (ان راهباً قبطياً يدعى يونس نقم على البطريرك زخاريا ، لانه لم يرسمه اسقفاً . فتقدم الى الحاكم . ووصف له ما يتمتع به الاحبار النصارى من النفوذ والجاه ومظاهر السلطان والعظمة والثراء . وكونهم يبيعون المناصب الكنسية) . وقال الراهب للحاكم : (انت ملك الارض . لكن للنصارى ملك لا يعبأ بك ، لكثرة ما قد اكتنز من الاموال . لانه يبيع الاسقفية بالمال) . وراح يعدد امام الحاكم ما كان وما لم يكن من العيوب والمثالب التي اثارت سخطه ، فاصدر امره بهدم الكنائس ومطاردة النصارى .

قال جرجي زيدان عند اشارته لهذه الحوادث في كتابه (تاريخ مصر الحديث) ج ١ ص ٢٠٨ : «ان السبب الرئيسي لهذا الاضطهاد تقدم النصارى في ايامه حتى صاروا كالوزراء . وتعاظموا لاتساع احوالهم وكثرة اموالهم فتزايدت مكايدتهم للمسلمين على عهد عيسى بن نسطوروس وفهد بن ابراهيم النصرانيين . . وكانت هناك يومئذ حرب بين الروم والمسلمين . فخرب الروم بعض جوامع المسلمين . فانتقم الحاكم منهم . . » .

ويبدو ان هذه الشدة التي استعملها الحاكم بامر الله مع النصارى واليهود ، قد احدثت اثراً سيئاً في البلاد ، فراح النصارى واليهود يفرون منها الى الخارج ؛ ولهذا عاد الحاكم ، فندم . والغى (٤١١ هـ - ١٠٢٠ م) . معظم القوانين والاوامر المتقدم ذكرها . واطلق للنصارى واليهود الحرية والقيام بشعائرهم الدينية كما يشاءون . وسمح للنصارى بتجديد ما درس من كنائسهم وبيعهم واديارهم . ورد لهم ما اخذه منهم . ليس هذا فحسب . بل سمح للذميين الذين دخلوا في دين الاسلام كرهاً ، ان يرتدوا ويعودوا الى دينهم الاصلي . فارتد كثيرون .

ومن السجلات الدالة على اطلاق الحرية للنصارى في اقامة شعائرهم واعادة كنائسهم ، سجل الى (نيقيفور) بطريرك بيت المقدس ، يؤذن فيه

(١) (الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية) لمحمد عبد الله عنان ص ٧٥

(٢) تاريخ الانطاكي ص ١٩٦

(٣) المخطط الكنسي المسمى (سير البيعة المقدسة) وهو، كما سبق وقلنا، ذيل للكتاب الذي وضعه الاسقف ساويرس بن المقفع بعنوان (سير الآباء البطاركة). وكتاب (الحاكم بامر الله) لمحمد عبدالله عنان ص ٦٩

باقامة الصلاة في عرصة كنيسة القيامة واطلالها . وقد اصدر بعدئذ امره بتعمير الكنيسة المذكورة. وفي قول انه امر بتعميرها من ماله الخاص . ولكنه قضى قبل ان تعمر . وقد أعيد بناؤها في عهد المستنصر بالله . ولم يقتصر ظلمه على النصارى واليهود بل تعداه للمسلمين ايضاً . ولاختلاف المذهب بين الحاكم ورعاياه دخل كبير في ذلك . انظر مثلا : فقد حدثنا المؤرخون ومنهم المقريزي[١] ان الحاكم امر (٣٩٥ هـ – ١٠٠٤ م) بسب ابي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة[٢] . انه لم يفعل ذلك سراً . بل امر بان تكتب اسماء هذا الرعيل من السلف الصالح – مقرونة باللعنات – على ابواب المساجد ، وعلى ابواب الحوانيت والدور والمقابر . ولما ضج الشعب لهذا الاجراء المثير ، تراجع الحاكم وامر بالغاء المرسوم (٣٩٧ هـ – ١٠٠٦ م) . وامر بمحو كل ما كتب على المساجد والدور والقبور .

وفي بعض الروايات انه حاول ان يعدل بعض الاحكام الجوهرية للدين الاسلامي : كالصلاة والصوم. ولكن لم يرد دليل قطعي على انه عدلها . وان كان ورد دليل على انه الغى صلاة الجمعة في رمضان والعيدين . وقد الغى الزكاة والحج .

لسنا نريد ان نذهب الى بعيد في تحليل العقيدة الدينية التي كان يعتنقها الحاكم بامر الله . ولكن لا بد لنا من اشارة خاطفة الى (المذهب الدرزي) الذي وضعت أسسه في تلك البرهة المليئة بالمفاجئات من الدهر . فنقول :

من الرجال الذين نشأوا في ذلك الزمان رجل يدعى (حمزة بن علي الزوزني) . ذكره المؤرخون فقالوا انه هو مؤسس المذهب الدرزي. وقد اعتبروا ما كتبه[١] (انجيلا) للدعوة الالحادية التي كان يبشر بها ، والتي تقوم على الاعتقاد بالوهية الحاكم .

وكان لحمزة بن علي هذا زميلان ساعداه في نشر الدعوة. وهما: محمد بن اسماعيل (اوانوشتكين) والحسن الفرغاني الملقب بالاخرم . بدأوا في نشر دعوتهم بمصر . ولما طوردوا نزلوا الشام . وفي الشام نشروا دعوتهم . فكانت اصل المذهب الذي يعتنقه الدروز في يومنا هذا . ويدعو حمزة في رسائله للتبرؤ من جميع الاديان الاولى . ويدعو الناس لدينه الجديد . واهم ركن من اركان هذا الدين هو تأليه الحاكم بامر الله . وكما نسخ محمد الشرائع التي سبقته، فان للحاكم الحق في ان ينسخ شريعة محمد . . ومن هنا جاءت مطاردته لاحكام الدين الاسلامي. ولكن دعوته بقيت محصورة في طائفة محدودة من الناس .

وفي زمنه[٢] ثار (المفرج الطائي) مرة اخرى على الدولة الفاطمية. فنزل على الرملة (٣٨٦هـ–٩٩٦م). ونهب اهلها. فانفذ اليه ارجوان وصي الحاكم (جيش ابن الصمصامة بن عليان) فحاربه . واسترد الرملة منه . وهرب المفرج الطائي من بين يديه. ثم ثار ثانية فملك الرملة ، وما والاها. فخشي الحاكم عاقبة الامر . فارسل يسترضيه وابنه حسانا . فاصطلح الفريقان . ولكن الحاكم عاد فغدر بالاثنين. وازاح حسانا وابنه المفرج وعشيرتهما عن اراضي الرملة . واخذ ما كان لهما فيها من الحصون . ونهب اموالهما . ثم امنهما على

(١) المقريزي ج ٤ ص ٧٣ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ .

(٢) (الحاكم بامر الله واسرار الدعوة الفاطمية) لمحمد عبدالله عنان . ص ٧٦ .

(١) هناك في دار الكتب المصرية طائفة من الوثائق الخطية كتبت بين سنتي ٤٠٨ و ٤٠٩ للهجرة (١٠١٧م). واهم هذه المخطوطات هو المخطوط الذي يحمل رقم ١٣٣ .

(٢) (تاريخ فلسطين) لعمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح .

حياتها . فاستسلما . وبعد ان اكرمها وضع للمفرج . من دس له السم. فمات . وظن الحاكم انه ارتاح منه. غير ان ولده حسانا قام (٤٠٢هـ – ١٠١١م) يثأر. وعقد حلفاً مع (صالح بن مرداس) امير بني كلاب و(سنان بن عليان) امير الشام ؛ على ان تكـون البلاد :

آ) من حلب الى عانه — لصالح بن مرداس

ب) دمشق وملحقاتها — لسنان بن عليان

ج) من فلسطين الى مصر — لحسان بن مفرج الطائي

وقد استغاث به (اي بحسان بن مفرج) آل المغربي، وكبيرهم أبو الحسن بن علي المغربي . وكان هذا قـد خدم العزيز وزيراً في الشام .ولكن الحاكم في فورة من فوراته الفجائية غضب عليه وعلى ولده محمد ؛ فقضى عليهما واستطاع ولده الثـاني ابو القـاسم ان ينجو بنفسه . ففر من الشام .واستغاث بحسان. وكان هذا قد ارتفع الى مقام الزعامة : لا ، لاسرة الجراح وحدها ؛ بل لفلسطين كلها.وكان آل الجراح من ألد الخصوم للدولة الفاطمية .

فثار حسان .وزحف على الرملة .واستولى عليها. وقتل حاكمها.واستدعى حسان وعترته آل الجراح، وصـالح بن مرداس امير بني كلاب ، وسنـان بن عليان امير الشام؛استدعوا (الحسن بن جعفر الحسني) امير الحرمين . فنادوا به خليفة علوياً مكان الحاكم . وسمي الحسـن (امير المؤمنين الراشد لدين الله) . ودخلت القدس يومئذ في طاعته .

وبعث الحاكم جنده الى فلسطين .يقودهم (يارتكين) العزيزي .الا ان بنى الجراح تقووا عليهم . وبسطوا نفوذهم على جنوب الشام كله . وبعد ذلك اصطلح الفريقان . فعاد الحسن بن جعفر الى مكة . وعـاد الحاكم ، فبسط سيادته على هذه البلاد .

وانك لواجد الخبر اليقين عن هذه المعارك التي وقعت في فلسطين ايام الحاكم بامر الله في نهاية الارب (ج ٢٦ ص ٥٦) والانطـاكي (ص٢٠١) والمقريزي (ج ٣ص٢٥٥) وابن خلدون (ج ٤ص٥٧) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٢٢٢) والحاكم بامرالله (ص١٠٢).

٦ – وتولى الخلافة الفاطمية **الظاهر لاعزاز دين الله** بعد ابيه الحاكم بامر الله . وسيطر الظاهر على هذه البقعة من الارض من سنة ٤١١ الى ٤٢٧ هـ (١٠٢٠ – ١٠٣٥م) [1] . وفي عهده توفي محمد بن ابراهيم بن محمد ابو الفتح الطرسوسي المجاهد في سبيل الله . استوطن بيت المقدس بنية الرباط ، وتوفي به (٤٠٨ هـ – ١٠١٧ م) .

٧ – من الحوادث التي وقعت في القدس على عهد الظاهر لاعزاز دين الله ، ان النصارى تمتعوا بحريتهم الدينية على مقياس واسع . فسمح للذين غيروا معتقدهم على عهـد ابيه الحاكم بامر الله ان يرجعوا الى حظيرة دينهم القديم . واعيـد بناء الكنيسة المتهدمة . **ولقـد تم ذلك عملا بالهدنة التي عقدت مع الروم (٤١٨ هـ – ١٠٢٧ م) . اذ اعاد الروم بناء جامع القسطنطينية ، واعاد هو بنـاء كنيسة القيامة . قال الانطاكي[2] ان الظاهر شرع في بناء سور القدس . وخرب المتولون لعمله كنائس** كثيرة في ظاهر المدينة واخذوا حجارتها الى الاسوار. وحدث زلزال كبير على عهده .

وفي خلافـة الحاكم بأمر الله الفاطمي زلزلت

(١) النجوم الزاهرة ج٤ ص٢٤٣

(٢) يحيى بن سعيد بن يحيى (٤٠٥هـ) مؤلف كتاب (تاريخ الذيل) تتمة ابن البطريق

الارض(٤٠٧هـ – ١٠١٦ م) . فسقطت على أثرها بعض اجزاء القبة الكبيرة في مسجد الصخرة وقسم كبير من سور الحرم . فرممت في خلافة ولده الظاهر لاعزاز دين الله (٤١٣ هـ – ١٠٢٢ م) . وكانت يومئذ مغطاة بالرصاص من الخارج وبالفسيفساء من الداخل . وقد تم تعميرها على يد (علي بن أحمد) المنقوش اسمه على الاخشاب الملصقة في صدغ الدهليز الذي في رقبة القبة . وقيل[1] ان الحاكم بأمر الله نفسه هو الذي قام بتعميرها يومئذ . فاصلح القبة القديمة وضرب عليها قبة اخرى من الخشب لتقيها من عبث الامطار وتأثير الاجواء .

٨ – وفي زمن الخليفة **المستنصر بالله** بن الظاهر لاعزاز دين الله (٤٢٧ هـ – ١٠٣٦ م) اتسع سلطان الفاطميين ، وامتد من المغرب ومصر الى خراسان وفارس . ثم عاد ينكمش. وعلى عهده كثرت الزلازل في مصر والشام (٤٦٠ هـ – ١٠٦٧ م) . فانثلم سور القدس . وانشقت الصخرة .

وفي سنة ٤٥٨ هـ – ١٠٦٦ م امر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بتجديد الواجهة الشمالية للمسجد الاقصى وسجل هذا التجديد في كتابة كوفية حفرت بالحجر باعلى الواجهة الشمالية للرواق الاوسط هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت واليه انيب . امر بعمل هذا الوجه مولانا وسيدنا معد ابي تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى سلفه وخلفه ، في نظر الامير الاجل الاعز علم الملك نصر الدولة ذي الفضيلتين . وجرى ذلك على يد الفاضل ابي الحسين

(١) (الرحلة الحجازية) لمحمد لبيب البتنوني . طبع بمصر . ص١٦٣

، عبد الرحمن بن الحسن بن علي الانصاري المعروف بالاجوف سنة ثمان وخمسين واربعمائة » .

ظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التي تمت في السنين الاخيرة .

مثلا فيما يعلو العقود التي تحمل القبة ، والفسيفساء المذهبة التي ما زالت موجودة الى الآن ، والرواق الاوسط باعمدته ، وما يعلوها ، وبعض الاعمدة والعقود في القسم الشرقي . والمرجح ان مساحة المسجد من الداخل ايام الظاهر هي نفس مساحته الحالية اي ٨٠ متراً طولا و٥٥ متراً عرضاً .

وفي ١٠ محرم سنة ٤٢٥ هـ (١٠ كانون الاول ١٠٣٣ م)حدث زلزال آخر. فخرب المسجد الاقصى الذي عمره المهدي خراباً ظاهرا . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله في السنة التالية (١٠٣٤ م) مبقياً ما امكن ابقاؤه من البناء السابق . ولم يغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف اربعة اروقة من كل جانب . فاصبح يكتنف الرواق الاوسط الكبير ثلاثة اروقة فقط من كل جانب . والمعتقد ان القبة الحالية والابواب السبعة التي في شمال المسجد هي من صنع الظاهر لاعزاز دين الله . وتحتوي الفسيفساء الذهبية التي تحلى الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل القبة كتابة[1] بالخط الكوفي تشير الى ذلك التجديد هذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . جدد عمارته مولانا علي أبو

(١) اكتشف المهندسون هذه الكتابة اثناء قيامهم بالتعميرات التي جرت في الاقصى سنة ١٩٢٥ . اقرأ ما كتبناه عن تلك التعميرات في كتابنا :(تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) .

الحسن الامام الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين ابن الحاكم بامر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الاكرمين ، على يد ابي محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اثابه الله ، وتولى ذلك الشريف ابو القاسم ابن ابى الحسن الحسين سنة ٤٢٧ اعانه الله » .

٩ - وتوفي (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م) احمد بن محمد بن عقيل الشهر زوري الامام الفاضل والاديب الشاعر . توفي في القدس ودفن فيها[١]. ومن شعره:

واحسرتا مات حظي من قلوبكم
وللحظوظ كما للناس آجـال

١٠ - كان المستنصر ضعيفاً[٢] . فقويت شوكة الاتراك في زمنه (٤٥٩ هـ - ١٠٦٦ م) . وراحت البلاد نهباً مقسما بين الاتراك والعبيد . فكتب الى بدر الجمالي صاحب الشام يطلب منه ان يأتي بجيشه الى مصر ليوليه عليها . فقبل هذا مشترطا ان يستبدل جنود مصر بمن يختارهم من اهل الشام . وسافر من سوريا الى عكا برا ، ومنها الى مصر بحراً (٤٦٧ هـ - ١٠٧٤ م). فقضى على امراء المستنصر. فقلده هذا وزارة السيف والقلم ، ولقبه (امير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين) . وعادت سطوة الخليفة السياسية والدينية الى الديار المصرية .

١١ - اغتنم الامير[٣]**اتسز بن اوق الخوارزمي** احد الامراء التركانيين غياب بدر الجمالي عن سوريا، فقدم اليها غازياً ؛ فاستولى على بيت المقدس[٤] وطبرية وما بعدها حتى دمشق . ثم تحول الى مصر في ٢٠ الف مقاتل . وعسكر بالقرب من القاهرة. فصالحه بدر الجمالي على ١٥٠ الف دينار ، يدفعها له بعد خروجه من مصر . ثم هاجمه وتغلب عليه . وخسر التركمان على اثر تلك المعركة جميع البلاد التي افتتحوها في سوريا . فدخلت في حوزة الخليفة المستنصر . ومات بدر الجمالي في مصر (٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م) بعد ان حكم فيها عشرين سنة . وبعده ببضعه ايام توفي الخليفة المستنصر .

١٢ - من المعاهد التي كان لها شأن عظيم في القرنين الرابع والخامس الهجري (دار العلم الفاطمية) ببيت المقدس[١]. وكانت هذه الدار فرعا لدار العلم الفاطمية التي اسسها في القاهرة الحاكم بامر الله (٣٩٥هـ - ١٠٠٤م) .

١٣ - ان احسن وصف لمدينة القدس،على عهد الخلفاء الفاطميين ، نجده في كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي[٢]. فقد كانت فلسطين

(١) النجوم الزاهرة ج٥ص ٨١
(٢) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج١ص ٢٢٥
(٣) تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج١ ص٢٢٧
(٤) في النجوم الزاهرة ج٥ ص٨٧ ان اتسز بن اوق دخل القدس سنة ٤٦٣هـ - ١٠٧٠ م

(١) (المعاهد المصرية في بيت المقدس) للاستاذ احمد سامح الخالدي ص ٤

(٢) شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر الملقب بالمقدسي . ولد في بيت المقدس (سنة ٣٣٦هـ - ٩٤٦م) . وهو ينتمي الى اسرة البشارى التي استوطنت بيت المقدس منذ الفتح الاسلامي . امه تنتمي الى اسرة اصلها من(بيار) في ولاية جرجان من بلادالفرس. التقط حب البناء منجده لابيه ابي بكر . اذ كان هذا معمارياً ماهرا . وكان ضليعاً في العلوم الدينية والقضائية ، وفي الجغرافيا والشؤون الاقتصادية والتجارية . وعندما بلغ العشرين من عمره حج الى بيت الله الحرام . ولم يكتب كتابه الذي ذكرناه في الاسطر المتقدمةوالذي بز بهمن تقدمهمن الجغرافيين العرب، الا بعد ان بلغ الاربعين من عمره . وكان قد جاب البلاد والامصار ، ودرس الطبائع والاحوال . كان كاتباً وشاعرا من طراز عال .

على عهده جزءاً من الشام . وكانت الشام يومئـــذ مقسمة الى ستـة الوية[١] هي :

١ – قنسرين – عاصمتها حلب (ومن اعمالهـــا انطاكية ومرعش واسكندرونه وحماه ومعرة النعمان)

٢ – حمص – عاصمتها حمص (ومن اعمالها السلمية وتدمر واللاذقية وجبلة)

٣ – دمشق – عاصمتها دمشق (ومن اعمالهـا الغوطة وبانياس وحوران والجولان والحولة والبقاع)

٤ – الاردن – عاصمتها طبرية (ومن اعمالها عكا وصور واللجون ودرعا وبيسان)

٥ – فلسطين – عاصمتها الرملة (ومن اعمالهـا بيت المقدس وبيت جبرين وغزة وعسقلان ويافـــا وارسوف وقيصرية ونابلس واريحا وعمان)

٦ – الشراة – عاصمتها صفار (ومن اعمالهـــا مؤاب وتبوك ومدين ومعان)

وصف المقدسي جميع هذه المدن . ولما جاء الى ذكر بيت المقدس[٢]، قال :

«بيت المقدس ليس في مدائن الكور اكبر منها . لا شديدة البرد ، وليس بها حر ، وقل ما يقع بهـا الثلج . سألني ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت : سجسج ، لا حر ولا برد شديد . قال : هذه صفة الجنة . . بنيانهم حجر ، لا ترى احسن منه ، ولا اتقن من بنائها ، ولا اعف من اهلها ، ولا اطيب من العيش بها ، ولا انظف من اسواقها ، ولا اكبر من مسجدها ، ولا اكثر من مشاهدها . عنبها خطير ، وليس لمعنقتها نظير . وفيها كل حاذق وطبيـب . واليها قلب كل لبيب . ولا تخلو كل يوم من غريب .

« كنت يوماً في مجلس القاضي المختار ، ابي يحيى ابن بهرام بالبصرة . فجرى ذكر مصـــر . الى ان سئلت : اي بلد اجل . قلت بلدنا . قيل : فايها اكثر خيرات . قلت : بلدنا قيل : فايها اكبر . قلت بلدنا . فتعجب اهل المجلس من ذلك . وقيل : انت رجل محصل . فقد ادعيت ما لا يقبل منك . وما مثلك الا كصاحب الناقه مع الحجاج . قلت : اما قـولي اجل ، فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة . فمن كان من ابناء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها . ومن كان من ابناء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها . واما طيب الهواء فانه لاسم لبردها ولااذى لحرها . واما الحسن فلا ترى احسن من بنيانها ، ولا انظف منها ، ولا انزه من مسجدها . واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيهـــا فواكه الاغوار والسهل والجبـــال ، والاشياء المتضادة كالاترجة واللوز والرطب والجوز والتين والموز . واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر واليها المنتشر . وانمـا فضلت مكة والمدينـة بالكعبة والنبي ﷺ ، ويوم القيامة تزفان اليها فتحوي الفضل كله . واما الكبر فالخلائق كلهم يحشرون اليها . فاي ارض اوسع منها . فاستحسنوا ذلك ، واقروا به .

« إلا ان لها عيوباً عـدة . يقال ان في التوراة مكتوب : (بيت المقـــدس طشت من ذهب مليء بالعقارب[١]) . ثم لا ترى اقذر من حماماتهـا . ولا اثقل مؤنة . قليلة العلماء . كثيرة النصارى . وفيهم جفـــاء . . ضرائب ثقال على ما يبـاع رجالة على

(١) جمع (لواء) وهو ما نسميه اليوم بالمنطقة او الكور كما قال المقدسي نفسه في كتابه .

(٢) (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) ص ١٦٥

(١) جاء في (اتحاف الاخصا) ص٦١ عن صفوان بن عمر انه قال :– قال الفقيه ابو المعالي المشرف :– «ويعني بالعقارب بني اسرائيل الذين كانو يعملون فيه بمعاصي الله تعالى حتى عمهم من البلاء ماعمهم .»

الابواب . فلا يمكن احداً ان يبيع شيئاً مما يرتفق به الناس الا بها مع قلة يسار . وليس للمظلوم انصار . والمستور مهموم . والغني محسود . والفقيه مهجور . والاديب غير مشهود . لا مجلس نظر ولا تدريس . قد غلب عليها النصارى واليهود . وخلا المسجد من الجماعات والمجالس . وهي اصغر من مكة واكبر من المدينة .

«عليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق . ولها ثمانية ابواب حديد : باب صهيون ، باب التيه ، باب البلاط ، باب جب ارميا ، باب سلوان ، باب اريحا ، باب العمود ، باب محراب داود . الماء بها واسع . ويقال ليس ببيت المقدس احسن من الماء والأذان . قل دار ليس بها صهريج واكثر . وبها ثلاث برك عظيمة : بركة بني اسرائيل ، بركة سليمان ، بركة عياض . حماماتهم لها دواع من الازقة . وفي المسجد عشرون جباً متبحرة . وقل حارة الا وفيها جب مسبل . غير ان مياهها من الازقة . وقد عمد الى واد فجعل بركتان يجتمع اليها السيول في الشتاء . وشق منها قناة الى البلد تدخل وقت الربيع ، فتملأ صهاريج الجامع وغيرها » .

١٤ — وصف المقدسي مسجد الصخرة . فقال : ان قبته مكونة من ثلاثة اقسام : الاول من الواح مزوقة . والثاني من اعمدة حديدية شبكت لئلا تميلها الرياح . والثالث من خشب عليه الصفائح . وفي وسطها طريق الى عند القضبان الحديدية يصعدها الصناع لتفقدها وترميمها . فاذا بزغت الشمس على القبة اشرقت . وتلألأت المنطقة . ورأيت شيئاً عجيباً » .

ومضى المقدسي في وصفه يقول : « ان مسجد الصخرة بناء مستدير . تعلوه قبة مرتكزة على منطقة محاطة بست عشرة نافذة . محمولة على اربعة اركان من الرخام الابيض ، واثني عشر عموداً ، بين الركن والآخر ثلاثة اعمدة . ويحيط بهذه الدائرة بناء مثمن الشكل طول كل ضلع منه ٢٠ متراً و ٥٩ سانيمتراً وعلوه تسعة امتار ونصف . كلها مكسو بالرخام الابيض المشجر والمرقش . ويحتوي كل ضلع على سبع طاقات : اثنتان في الطرفين مسدودتان والخمسة مركب عليها الزجاج . ومن ظاهرها الشبابيك الحديد . وهناك مثمن آخر بين الدائرة الداخلية وجدران المسجد الخارجية . ويعلو هذه التثمينة قناطر محمولة على ثمانية اركان مؤزرة بالرخام المشجر والملون وستة عشر عموداً . وهذه الاعمدة موزعة بحيث يعقب كل ركن عمودان . ويربط الاركان والاعمدة التي بينها بساطل ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش بالذهب . ويعلو البساطل قناطر كلها مزينة بالفصوص المذهبة البديعة والمزينة بانواع التشجير والتنميق . وقد نصب على هذه سقف مائل من الخشب مصفح بالرصاص » .

وبعد ان وصف المسجد الاقصى وصفاً دقيقاً ، قال[١] :

«سلوان محلة في ربض المدينة تحتها عين عذيبة تسقي جناناً عظيمة . اوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد . تحتها بئر ايوب . ويزعمون ان ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة . وادي جهنم على قرنة المسجد الى آخره قبل الشرق . فيه بساتين وكروم وكنائس ومغاير وصوامع ومقابر وعجائب ومزارع . في وسطه كنيسة على قبر مريم . ويشرف عليه مقابر فيها شداد بن اوس الخزرجي ، وعبادة بن الصامت . وجبل زيتا مطل على المسجد

(١) ذكرنا ماقاله المقدسي عن المسجد الاقصى في كتابنا : (تاريخ الحرم القدسي) .

شرقي هذا الوادي ، على رأسه مسجد لعمر نزله ايام فتح البلد ، وكنيسة على الموضع الذي صعد منه عيسى (ع)، وموضع يسمونه الساهرة . وحدثوني عن ابن عباس ان الساهره هي ارض القيامة : بيضاء لم يسفك عليها دم » .

وفي مكان آخر من كتابه[1] قال :

« سكان بيت المقدس كلهم شيعة . ولا ماء فيه للمعتزلة . وانما هم في خفية . ولا ترى به مالكياً ولا داودياً . ولاصحاب ابي حنيفة بالمسجد الاقصى مجلس ذكر يقرؤن في دفتر . وكذلك الكرامية في خوانقهم . والتجارات به مفيدة . يرتفع من فلسطين الزيت والقطين والزبيب والخرنوب والملاحم والصابون. ومن بيت المقدس الجبن والقطن والزبيب العينوني والتفاح وقضم قريش الذي لانظير له والمرايا وقدور القناديل والابر » .

١٥ — وهناك وصف آخر لمدينة القدس ، على عهد الفاطميين ، في (سفر نامة) . ذلك السفر الممتع الذي الفه **(ناصري خسرو)**[2] . وقد دوّن فيه انباء الرحلة التي قام بها من وطنه ايران ، الى بلاد الحجاز ، **والتي** دامت قرابة سبع سنين (١٠٤٥ — ١٠٥٢م) . وقد عرج خلالها على بيت المقدس (٤٣٨هـ — ١٠٤٧ م) . ثم رجع اليها مرة اخرى . فوصفها وصفاً دقيقا . وانا لذاكرون فيما يلي بعض ما قاله عنها[1] :

(١) ص١٧٩ — ١٨٢

(٢) ابو معين ناصري بن حسرو . ولد في قرية من اعمال بلخ سنة ٣٩٤هـ — ١٠٠٣ م وقيل انه يرجع في نسبه الى الامام علي. كان يشغل منصباً ادارياً هاماً في ولاية خراسان من اعمال الدولة السلجوقية . قضى ناصري خسرو ، حسب اعترافه ، معظم حياته مدمناً الخمرة ، وفيما كان يتجول في يوم من الايام ، بين بلخ والمرو متفقداً شؤن المنطقة التي عهد اليه بادارتها ، راى في نومه شبحاً وكأن هذا الشبح كان يؤنبه لاستهتاره واكثاره من شرب الخمر . فما كاد يفيق من نومه حتى تاب . واعتزم السفر الى بلاد الحجاز ، ليحج . وما هي الا عشية او ضحاها حتى استقال من منصبه ، وغادر وطنه ميمما شطر الحجاز. وفي طريقه اليها عرج على بيت المقدس. وقد رافقه في رحلته هذه اخوه وعبده الهندي .

« دخلت بيت المقدس في اليوم الخامس من شهر رمضان سنة ٤٣٨هـ — ٥ آذار ١٠٤٧ م . فاكون قد قضيت سنة كاملة في الطريق منذ غادرت بلدي بلخ . وكان سفري متواصلاً ، لم استرح من عنائه إلّا هنا . . ان السوريين وسكان البلاد المجاورة يسمون هذه المدينة : (بيت المقدس) او (البيت المقدس) . ويسمونها ايضا (القدس). وكثيراً ما يحج هؤلاء اليها عندما لا تتيسر لهم وسائط الحج الى مكة ، ويشبعون فيها رغباتهم الدينية . فيضحون فيها الضحايا ، ويتقربون الى الله بالصلاة والعبادة . ويصل عدد الحجيج في بعض الاعوام الى عشرين الف . وكثيرا ما يأتي هؤلاء معهم باطفالهم ليختنوهم بين جدرانها وبالقرب من مساجدها .

« ان القرى والارياف الكائنة حول بيت المقدس واقعة على سفوح الجبال . والاراضي مزروعة زرعاً جيداً . ينبت فيها القمح والتين والزيتون . كما ينبت فيها انواع كثيرة من الاشجار . ورغم انه **لا يوجد بالقرب منها عيون جارية ، فان الخصاب في زروعها كثير الوقوع. والاسعار معتدلة ، وكثير من الرؤساء يملك الواحد منهم ١٦٨٠٠ غالوناً**

(١) ننقل هذا الكلام عن النسخة الانجليزية المترجمة عن الاصل الفارسي. وقد ترجمها غاي لو سترينج Guy Le Strange في كتابه الذي اسماه :

Diary of a Journey through Syria & Palestine وقد طبع في لندن عام ١٨٩٦

من زيت الزيتون[١] . والزيت يحفظ في الابار والاحواض ، ويصدرونه الى البلاد الاخرى .

« القدس مدينة قائمة على تلال . تعيش على مياه الأمطار . ليس فيها ينابيع جارية وانما تكثر هذه في القرى المجاورة . يحيط بالمدينة سور منيع من الحجارة . وللسور ابواب حديدية . ليس فيها اشجار ، اذ انها مبنية على الصخر .

« القدس مدينة عظيمة جداً ، يقطن فيها عشرون الفاً من السكان . فيها ابنية عالية واسواق جميلة ، ومبنية بناء متقناً ونظيفة . اسواقها كلها مرصوفة بالبلاط . ولقد ازالوا التلال والمرتفعات ، فجعلوها منبسطة بحيث يتمكنون من تنظيف المكان كله بسهولة كلما هطل المطر .

«فيها صناع كثيرون . ولكل صنعة سوق خاص بها . والمسجد قائم في الحي الشرقي الى الجنوب من المدينة ، بحيث يؤلف القسم الشرقي لسور المدينة سور المسجد ايضاً . وعندما تخرج من المسجد ، ترى امامك سهلاً فسيحاً منبسطاً يسمونه : (الساهرة[٢]) . وعلى حدود هذا السهل تقوم مقبرة كبيرة .

«وفيه امكنة يأتي الناس اليها للصلاة والدعاء الى الله كي يقضي حاجتهم ... وبين المسجد والسهل واد كبير وعميق . وفي بطن الوادي ضرائح كثيرة ، ومقامات بنيت على الطراز القديم ، ومنها (طنطور فرعون[١]) . وهذا الوادي يسمونه (وادي جهنم) . ولقد قيل لي ان السبب في تسميته بهذا الاسم ان جيوش المسلمين كانت في الفتح الاسلامي معسكرة في سهل الساهرة ، وانه لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطل من هذا السهل على الوادي قال :

« حقاً ان هذا هو وادي جهنم .. » ويعتقد العوام انك اذا وقفت على جانب من جوانب هذا الوادي ، سمعت صراخ اولئك الذين يعذبون في جهنم . ولكنني لم اسمع شيئاً ! . .

«وعلى بعد نصف فرسخ من المدينة الى الجنوب ، وفي اسفل الوادي ، تجد عينا من الماء تنبع من الصخر وتسمى (عين سلوان) . وحول العين ابنية عديدة . والماء يجري بانحدار من تلك العين الى القرية حيث يقوم عدد كبير من المنازل والبساتين . ويقال ان من يغتسل بماء هذه العين من رأسه الى اخمص قدميه يشفى من اوجاعه ، حتى ومن الامراض المزمنة .

« وفي المدينة بيمارستان[٢] بديع جداً . وينفق على هذا البيمارستان مبالغ طائلة تأتي عن طريق البر والاحسان . ويعالج فيه عدد كبير من المرضى . والاطباء يتقاضون راتباً مقطوعاً . »

ثم وصف المسجد الاقصى والصخرة وصفاً دقيقاً . ذكرناه في كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك) .

---

(١) وردت هذه الرواية في كتاب (رواد الشرق العربي) لمؤلفه الاستاذ نقولا زيادة ص٦٦ بالشكل الاتي : «يبلغ الدخل السنوي لبعض كبار المثريين نحوا من خمسين الف من من زيت الزيتون (يقابل ٤٢٠٠ تنكة) . ويستعمل القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الاجزاء السفلى من الاشجار ، لحفظها من الديدان ويستعمله الصيادلة لاجل المحافظة على العقاقير من الحشرات » .

(٢) يقول المترجم ص ٢٤ انهذا الاسم ورد في بعض النسخ غلطاً (السامرة) . وان الاصل هو (الساهرة) اي السهل ، وهو المكان المنبسط الذي يؤلف القسم الشمالي من جبل الزيتون . كنا نريد تعليل قوله هذا بانه يقصد السهل الفسيح الكائن غربي جبل الزيتون لا شماليه . وهو الى الشمال من السور ، حيث يقوم الان حي باب الساهرة . لولا انه بحث في السطور الاخرى عن واد عميق يفصل بين المسجد والسهل . وليس ثمة واد عميق سوى وادي جهنم الذي يفصل بين السور والطور .

(١) قبر ابيشالوم .

(٢) انه اول مستشفى اسس في بيت المقدس ، وهو من المعاهد الكبرى التي اسسها الفاطميون في هذه البلاد (المعاهد المصرية في بيت المقدس للاستاذ احمد سامح الخالدي ص ٥) .

القدس في عهد السلجوقيين

السلجوقيون اخلاط من الترك . انهم اصل الاتراك العثمانيين . كان في مقدمتهم رجل يقال له (دقاق[١]) . وهذا انجب (**سلجوق**) . وقد اسلم سلجوق ، وعاش في انحاء بخارى . وكان يغزو الترك . ولما توفي ترك ثلاثة اولاد : ارسلان وميكائيل وموسى . وخلف ميكائيل بيغو وطغرل واينال وجفرى وداود .

٢ — عظم امر **طغول بك** من هؤلاء الامراء ، وكان شجاعاً ؛ فملك جرجان ، وطبرستان ، وخوارزم ، وهمذان ، والدينور . وهادنه ملك الروم . فعمر مسجد القسطنطينية ، واقام فيه الصلاة والخطبة لطغرل بك . ثم دخل بغداد (٤٤٧ ﻫ — ١٠٥٥م)[٢] ولقب بالسلطان ركن الدين ابى طالب محمد طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق .

كان في بغداد يومئذ الخليفة العباسي القائم بامر الله ، فأبقاه . ولكنه قبض على الملك الرحيم ابي نصر وعلى قواده ، وازال دولة بني بويه .

٣ — ولما توفي تولى الملك من بعده ابن اخيه عضد الدولة ابو شجاع **محمد الب ارسلان**[٣] بن جفري بك . ففتح هذا حلب ، وهزم الروم ، وكان جيشه لا يقل عن اربعمئة الف مقاتل .

ثم استولى الب ارسلان على القدس (٤٦٥ ﻫ — ١٠٧٢ م) والرملة . اخذهما من خلفاء مصر الفاطميين . وخطب للقائم العباسي . واتسع ملكه حتى امتد من الصين شرقاً الى اقصى اليمن في الجنوب .

من رجال القدس الذين اشتهروا ، على عهد الب ارسلان ، سلطان بن ابراهيم بن المسلم المقدسي . وكان يكنى بابي الفتح . ولد بالقدس[١] سنة ٤٤٢ﻫ — ١٠٥٠ م وتفقه على الفقيه نصر المقدسي (استاذ الغزالي) حتى برع في الفقه . كان من المؤلفين . وروى عنه الكثيرون .

٤ — ولما مات الب ارسلان تولى الملك ولده جلال الدولة ابو الفتح **محمد ملك شاه** ، ولقب بالسلطان العادل .

وعلى عهده ثار المقدسيون على حاكمهم (٤٧٠ﻫ — ١٠٧٧م) . فأرسل عليهم جيشاً بقيادة قائده (آتسز بن اوق) الخوارزمي . فحاصر هذا المدينة ، وكان فيها عسكر مصري ، ففتحها عنوة ، ونهبها ، وقتل اهلها ؛ حتى انه لم ينج منهم من احتمى بالمسجد الاقصى ، ولكنه كف عمن عاذ بالصخرة[٢] .

جاء في تاريخ[٣] غزة (انه عندما اغار على القدس قتل من سكانها ثلاثة آلاف انسان . ونهب

---

(١) قال ابن الاثير في كتابه (الكامل في التاريخ) ج ٩ ص ٣٢٢ ان اسمه (تقاق)

(٢) وعلى قول ابن الاثير ٤٣٠ ﻫ — ١٠٤٥ م

(٣) الب آرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق (خطط الشام ج ١ ص٢٦٢)

---

(١) « اهل العلم بين مصر وفلسطين » للاستاذ احمد سامح الخالدي ص ٨

(٢) البرغوثي وطوطح

(٣) للمؤلف

اموالهم ، وسبى نساءهم ، واستعبد احرارهم) .
وقال الاستاذ محمد كرد علي[١] :

كان **اتسز بن اوق** التركماني ظالما . حتى خلت البلاد من قاطنيها . فساد الجوع ، واشتد الغلاء حتى بيعت غرارة القمح باكثر من عشرين دينارا ، وقيل بمئتي دينار ، هذا اذا وجدت . ومنع الاذان (حيى على خير العمل) . وكان يعتقل الناس ، فيفتدون انفسهم بمال يؤدونه له . ويظهر ان فعاله هذه ادت الى قيام ثورة في الشام . وان الثورة سرت الى فلسطين . وكان آتسز واصحابه تركوا اموالهم بالقدس . فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على اموالهم ونسائهم ،فنهبوها . واستعبدوا الاحرار . فخرج اتسز من دمشق فيمن انضوى اليه ، ودخل القدس ، فقتل ثلاثة آلاف انسان . واحتمى قوم بالصخرة والجامع ،فقرر عليهم الاموال، لانه لم يقتلهم ، واخذ مالا كثيرا . ثم سار الى الرملة فلم يجد بها احدا . ثم سار الى غزة ، وقتل كل من فيها ، فلم يدع عينا تطرف .

– ومن عمال ملك شاه الذين تولوا ادارة بيت المقدس الامير (**ارتق بن اكسك**[٢]) التركماني . فقد كان هذا – قبل ان يتولى ادارة القدس – من مماليك[٣] ملك شاه .عمل تحت امرته . ثم صار الى تتش . وقيل انه كان زعيما للقبائل التركمانية التي اخرجها السلجوقيون من ضواحي بحر قزوين ، وساقوهم الى سوريا ، فانتشروا فيها وفي فلسطين . وقداستولى على بيت المقدس[٤] بحد السيف . واسس فيها دولة عرفت بدولة الارتقيين (٤٧٠هـ–١٠٧٧م).

٦ – وفي سنة ٤٨٤هـ–١٠٩١ م توفي ارتق[١] عن ولدين :

الغازي [٢] وسقمان [٣] . فحكما معا في بيت المقدس وسائر فلسطين وفي قسم من البلاد الواقعة غربي سوريا .

٧ – وصل عمال ملك شاه من الظلم والقسوة[٤] الى درجة ان المسيحيين الذين كانوا يؤمون بيت المقدس بقصد الحج ، راحوايندبون سقوط حكومة الخلفاء العرب التي اشتهرت بتسامحها الديني ومساعدتها للمسيحيين في القيام بواجباتهم وطقوسهم الدينية . ولكن مهمايكن من امر العمال ، فقد اتسعت[٥] مملكة السلطان ملك شاه اتساعا عظيماً . فاطاعته البلاد جميعها . وخطب له من حدود الصين الى الداروم من ارض الشام . واطاعته اليمن والحجاز . كان يأخذ خراج ملك القسطنطينية كل سنة . وعمل اعمالا خيرية كثيرة .

٨ – ولما مات ملك شاه ، ضبطت زوجته (**تركان خاتون**) العسكر ، وكتمت موته . ثم حلفتهم من اجل ولدها **محمود** . فتولى الملك من بعده. وقامت بينه وبين اخوته حروب لا نرى مجالا

(١) خطط الشام . ج ١ ص ٢٦٤

(٢) وعلى قول تغري بردى في النجوم الزاهرة ٥ص ١٠٦ وابن خلكان ج١ ص٨٥ ارتق بن اكسب

(٣) (دائرة معارف وجدي) ج١ ص١٤٦

(٤) (تاريخ مصر الحديث)لجرجي زيدان .ج١ص٣٣٣

(١) وعلى قول انه توفي سنة ٤٩٣هـ – ١٠٩٩ م (دائرة معارف وجدي) ج١ ص١٤٦

(٢) كذا وردت في تاريخ مصر الحديث . وكتبها ابن ميسر في تاريخه (ايلغازي) .ووردت في نجوم الزاهرة (ايل غازي).

(٣) كذاوردت في تاريخ مصر الحديث .وكتبها ابن ميسر في تاريخه (سكمان) .وكذلك وردت في النجوم الزاهرة

(٤) The Decline & Fall of the Roman Empire Chap. 57. Gibbon

(٥) (تاريخ الدولة الاتابكية) لابن الاثير .ص ٢٣ .

لذكرها هنا . غير انه لا بد من القول ان السلطان ملك شاه كان – قبل موته – قد اقطع اخاه تاج الدولة **الامير تتش** بن السلطان الب ارسلان مدينة دمشق واعمالها وطبرية وبيت المقدس وغيرها (٤٨٦هـ – ١٠٩٣ م) .

٩ – ولكن هذا لم يهنأ بها كثيراً . اذ ما كادت سنة ٤٨٩ هـ[١] – ١٠٩٥م تهل ، حتى جاء **الافضل** امير الجيوش من مصر الى القدس ، يسعى لتخليصها من الارتقيين . فسار اليها على رأس جيش جرار من مصر ،وكان بها – كما قدمنا – سقمان بن رائق واخوه ايل غازي وابن عمهما سونج ؛ فحصر البلد، ونصب عليها المنجانيق ، وقاتلهم اربعين يوماً . وارسل اهـــل القدس فواطئوه على فتح الباب . وطلبوا منه الامان ، فامنهم . وفتحوا له الباب ، وخرج سكمان من باب آخر . ومضى الى الرها ، ومضى اخوه ايل غازي الى بغداد .

١٠ – ظـل النزاع قائمـــاً بين الفـــاطميين والسلجوقيين – الفاطميون متمسكون بالخلافة العلوية والسلجوقيين يميلون الى الخلافة العباسية – الى ان باغتهم الصليبيون . فرأى هؤلاء الطريق ممهـــدة لاحتلال البلاد . فاحتلوهـــا فعـــلاً . وطردوا الفريقين منها .

(١) هذا ما جاء في النجوم الزاهرة . ص ٤٨٦ . وجاء في خطط الشام ج ١ ص ٢٧٣ ان امـــير الجيوش الافضل حاصر القدس واحتلها سنة ٤٩١ هـ – ١٠٩٦م .وايد هذه الرواية ابن ميسر في تاريخه ص ٤٦٢ . واما ابن العبرى فـــانه يقول (ص٣٤٢) ان ذلك جرى سنة ٤٩٢هـ وان المصريين وان نصبوا المنجنيق نيفا واربعين يومـاً الا انهم تملكوا بيت المقدس بالامان .

الباب الثالث

الحروب الصليبية

و

صلاح الدين

- القدس والحروب الصليبية
- القدس وصلاح الدين
- القدس وحفدة صلاح الدين

القدس والحروب الصليبية

زار بيت المقدس عام ١٠٩٣ م عدد من الزائرين بينهم راهب افرنسي يدعى (**بطرس الناسك**) . قابل هذا الراهب بطريرك القدس سمعان ، وتحدث الاثنان معاً حول ضرورة تخليص القدس من يد المسلمين . ولما رجع الى بلاده ، اخذ معه رسالة استغاثة من البطريرك للبابا (**اوربانوس الثاني**) .



البابا اوربانوس الثاني

وراح يدعو الناس لانقاذ المسيحيين في الارض المقدسة من ربقة العبودية . وانتشرت الفكرة بمساعي البابا الذي خطب معلناً ضرورة انقاذ ضريح السيد المسيح من ايدي الكفار ، ومنحهم غفراناً تاماً عن جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر . ووعد الذين يموتون فيها جنات الخلد (١٠٩٥ م) . واعفاهم من دفع الفوائد .

٢ – فهل كان المسيحيون حقاً مضطهدين في ذلك الحين . هذا ما نريد ان نعالجه في الاسطر التالية :

قال الاستاذ رئيف ميخائيل الساعاتي[١] :
« انصافاً للحق يجب ان نصرح بان مسيحيي فلسطين كانوا يعيشون مع المسلمين ، اخوانهم في الوطنية واللغة ، في سلام وصفاء . وكان الخلفاء يسندون الوظائف العالية الى اصحاب المواهب منهم . اما الاضطهادات التي كانت تحيق بهم في بعض فترات التاريخ ، فترجع الى شذوذ عقلية بعض الملوك الذين لم ينج المسلمون انفسهم من اذاهم . فاذا كان ملك مستبدا عاتياً ، فمن الظلم ان نقيس عليه سائر الملوك » .

وقال الاستاذ (سيد امير علي)[٢] في الصفحة ٢٧٦ من كتابه (تاريخ العرب والتمدن الاسلامي[٣]) :

« كان المسيحيون منذ تأسيس الدولة الاسلامية مغمورين بفيض من الكرم والتسامح ، فكانوا يؤدون مراسيمهم الدينية بالحرية التامة ، ويتمتعون بحقوقهم المدنية كاملة غير منقوصة ، ويتنقلون في انحاء

(١) مجلة (الراعي الصالح) الجزء السابع ص١٣٣ في ٣٠ سبتمبر ١٩٤٠ .

(٢) العضو في مجلس شورى الملك بانكلترا ومؤلف (روح الاسلام) و (القانون الاسلامي) .

(٣) الف هذا الكتاب باللغة الانكليزية وعنوانه :
A Short History of the Saracens
وترجمه الى اللغة العربية رياض رافت . وطبع في القاهرة ١٩٣٨ .

الامبراطورية حسبما يشاؤون واينما يبتغون . ويتكاتبون مع امراء الدول الاجنبية دون لوم او تثريب ، كما كان لهم الحق في تلك الضياع والارضين. وعلى الجملة كانوا يتمتعون بكل مـا يتمتع به المسلمون .

« اما مناصب الدولة فكانت مفتوحة ابوابها امامهم دون تفرقة بينهم وبين المسلمين ، باستثناء ايام الحكام المتعصبين . وكانت الكنائس والاديرة المسيحية قائمة في كل مكان . وكان الحجاج المسيحيون يؤمون القدس من كل حدب وصوب بسلام آمنين ولم يتيسر لهم ذلك الا بفضل احتلال العرب لتلك البلاد . وفي بيت المقدس الذي يحترمه معتنقو الديانة الاسلامية والمسيحية ، خصص حي كامل لسكنى البطريرك والكهنة (١٠٦٣ - ١١١٠ م).

ولكن بعض المتهوسين من الحجاج لم يكونوا ليخففوا من غلوائهم ومعتقدهم ان المسيحيين مظلومون . وكانوا ينظرون الى بقاء المسلمين في القدس بعين البغض والاستنكار . وكانوا يعودون الى بلادهم وقلوبهم مملوءة بالحسد والحقد » .

من هنا نشأت الحروب الصليبية .

وعندما وصف المقدسي (بيت المقدس[١]) في اثناء رحلته قال عنها ما يأتي: «حيثما ذهبت وجدت اليهود والنصارى اصحاب الكلمة العليا». والمقدسي كما هو معروف ، زار بيت المقدس (٩٨٥ م) قبل الحروب الصليبية (١٠٩٣ م). بقرن او يزيد. وروايته هذه تدل على ان النصارى كانوا يومئذ معززين غير مضطهدين . وهذا يناقض السبب الذي اختلق بعدئذ لاجل القيام بالحملة الصليبية على بيت المقدس .

(١) اقرا ما قاله عنها بالتفصيل في فصل الفاطميين .

ولقد ايد هذه الرواية (غاي لوسترينج) في مقدمة كتابه[١] فقال: « يجدر بنا ان نعترف ان المسيحيين لم يكونوا بمضطهدين ذلك الاضطهاد الذي اتخذوه سبباً لحملاتهم الصليبية » .

اذاً ماهي الاسباب الحقيقية للحملات الصليبية؟ يقول الروم[٢] :

« ان الغاية الظاهرة من الحروب الصليبية تخليص الاراضي المقدسة من يد المسلمين. ولكن الصليبيين اظهروا بفعالهم ان غايتهم الحقيقية هي الاستيلاء على الاراضي المقدسة وجعلها لاتينية ، وان يلاشوا الارثوذكسية منها » .

واما اللاتين فانهم ينكرون هذا القول ، ويدحضونه بشدة ، ويقولون ان الغاية الحقيقية هي تخليص (قبر المسيح) من يد المسلمين .

ويقوم فريق آخر من هؤلاء، فيعترف ان الغاية من الحروب الصليبية، لاهذه ولاتلك ؛ وانما هي غاية تجارية بحتة » .

٣ - من احسن ما قيل في اسباب الحملات الصليبية القول التالي[٣] :

« ان البابوات بعد ان وقفوا على شغف العالم الاوروبي بالثقافة العربية ، حيث كان يترتب على الذين يريدون الوقوف على حضارة عصرهم ان يجيدوا اللغة العربية ، وللعربية فلسفة ، وفلسفتها تناقض الانجيل . وكان العرب قد سادوا العالم بالقرآن . وكاد صوت المؤذن يتغلب على صوت الناقوس. وكاد

(١) "Description of Syria including Palestine" by Guy Le Strange

(٢) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية . ص٧١ - ٧٢

(٣) (المستشرقون) لنجيب العقيقي وهو لبناني مسيحي. ص٤٢-٤٥ طبع بيروت ١٩٣٧ .

العرب يشكلون خطراً على اوروبا في دينها ودنياها. لذلك سعوا لمقاومتها بطرق مختلفة ، منها :

(١) تحريم الفلسفة الاسلامية والآخذين بها .

(٢) تشييد مدارس لتعليم العربية والعبرية والكلدانية في اشهر عواصم اوروبا .

(٣) انشاء رهبنة الاخوة الوعاظ (اي الدومينيكيين) وتثقيفهم الثقافة العربية. وجعلوا دستورهم التبشير بالمسيحية ، والرد على القرآن .

«ولقد اذكى الامراء في الشعب عاطفته الدينية. فقالوا له :(انت مسيحي) . وصوروا له المغارة التي ولد فيها المسيح، وكرم الزيتون ، والعشاء السري، وطريق الجلجلة ، وقبر المسيح ، مخضباً بالدم ! ثم قالوا له: ايجوز ان يبقى قبرالمسيح بيد محمدوجماعته؟ وقد وصفوا له محمداً النبي العربي الكريم بعبارات تدل على جهل وتعصب لايبررهما الا تغرض وارادة يرميان الى استفزاز شعور العامة على قتال المسلمين».

وقال هري ايمرسن فوسديك في كتابه (حجة الى فلسطين[١]) : « ان الحافز الاساسي للحملات الصليبية لم يكن سامياً بالشكل الذي حاولوا افهامه للناس . فقداماط البابا اوربانوس اللثام عن الحقيقة عندما نادى اليه الامراء الاقطاعيين الذين كانوا دوماً يقتتلون ، وقال لهم : اذا كان لا بد من اراقة الدماء ، فهاكم الكفار ! . اذهبوا اليهم وغمسوا ايديكم بدمائهم . . . ولئن كنت احدثكم بهذه الخشونة فما ذلك الا لان رسالتي تحتم علي ذلك ..فيا جنود الجحيم ، كُونوا جند الله الذي لايموت !. . »

الى ان قال فوسديك : «ومن هذا يفهم انه كتب عليهم مقاتلة المسلمين لئلا يقتل بعضهم بعضا. فكانت النتيجة انهم قاتلوا المسلمين واقتتلوا .. فقد حدثنا التاريخ ان العداوة والبغضاء تأصلتا بين مختلف الطوائف المسيحية بالاستانة، لدرجة ان رجال الكنيسة الارثوذكسية فيها قتلوا بضعة الاف من اللاتين ومن رجال الكنيسة الكاثوليكية. وباعوا زهاء اربعة الاف اخرين في الاسواق بيع العبيد، فاشتراهم المسلمون ، وراح الارثوذكسيون يصلون صلاة الشكر لله ،عندماقطعوا رأس اسقف من اسافقة اللاتين ، وربطوه بذنب كلب ، وجروه في شوارعالمدينة . »

٤ — قال المؤرخ الافرنسي (مكسيموس موند[١]) ما يأتي :

« عقد البابا اوربانوس الثاني الاجتماع الاول لاجل ترتيب الحملة الصليبية في مدينة (بلاصانس) ، حيث اجتمع مايزيد علىمئتي اسقف ورئيس اساقفة واربعة آلاف اكليركي وثلاثين الفاً من العلمانيين المنتمين الى مختلف الاقطار والامصار . اجتمع هؤلاء في الهواء الطلق فيمكان فسيح خارج المدينة. فقرروا ارسال حملة صليبية الى اورشليم ، ليأخذوا قبر المسيح من ايدي المسلمين .

« ولكن . يظهر ان الاجتماع الاول لم ينجح . فقد انعقد بعد حين (١٠٩٥ م) اجتماع ثان فی

---

(١) A Pilgrimage to palestine by Harry Emerson Fosdick, P. 255 Student Christian Movement Press, London.

(١) الف كتابا باللغة الافرنسية ترجمه مكسيموس مظلوم الى العربية بعنوان : (تاريخ الحروب المقدسة في المشرق) . واقواله هذه وردت في الصفحة ٧ من الترجمة العربية، طبعت في اورشليم١٨٤١ .ومكسيموس هذا هو بطريك انطاكيا والاسكندرية واورشليم وسائر المشرق .

مدينة كليرمون ، وكان الفصل شتاء والبرد قارساً. خطب البابا . وخطب بطرس الناسك . فادعى : انه شاهد المسيحيين مثقلين بالسلاسل الحديدية ، يعاملون معاملة الاسرى والعبيد . وانه رأى قبر المسيح مهاناً ، وزواره مضطهدين من قبل اعداء الله والبشر » .

الى ان قال[1]: «ان كهنة الرب فقراء واذلاء ! يجرون من داخل الكنيسة الى الخارج ، حيث يضربون ويقتلون» ! عندئذ تقرر القيام بحملة صليبية واسعة ، لتخليص القدس وقبر المسيح من يد المسلمين !

٥ – هرعت الجموع للاشتراك في الحملة الاولى . فريق منهم محارب . وآخرون فلاحون



« جندي صليبي محارب »

(١) تاريخ الحروب المقدسة ص ١٠

التحقوا بالحملة على أمل الغنم ، سواء من الناحية المادية او المعنوية ؛ رجال ونساء . قسس ورهبان . بعضهم مشاة على اقدامهم ، والبعض راكبين خيولهم او بغالهم او حميرهم . والبعض الآخر على عجلات. والفريق الراكب هم الامراء . انهم كانوا مدججين بالدروع والسيوف والرماح . ومن ورائهم الخدم وافراد الحاشية . واما الجنود المشاة فبأيديهم الاقواس والنشاشيب (السهام) . جهلة لا قائد لهم ، ولا آمر ، ولا رادع : كل يغني على ليلاه . وكثيراً ما اختلفوا ، وتضاربوا ، وتقاتلوا . لا نظام ، ولا ترتيب ، ولا مواقيت معينة للسفر والراحة . وقصارى القول : فوضى لا سائس لها ولا زاجر .

حتى ان بطرس الناسك نفسه شكا من سلوكهم وسماهم[1] لصوصاً لا يستحقون رؤية قبر المسيح » .

قال مكسيموس موند[2]: **انا الحملة الصليبية الاولى** كانت مؤلفة من ثلاثمئة الف مقاتل . وقال آخرون غير ذلك . والحقيقة انه يجب علينا ان نتلقى كل ما قيل عن عدد الصليبيين الذين اشتركوا في الحملات الصليبية بالحيطة والحذر . ان المؤرخ فالشر Fulcher نفسه الذي رافق الحملة الاولى يعترف[3] انه لا الكاتب ولا القارىء الاعتيادي اللذين عاشا في ذلك الزمن ، كان باستطاعتهما ان يفهما الارقام فهماً حقيقياً . الارقام الرومانية وان كانت مستعملة في ذلك العهد ، إلا انه ما كان من السهل قراءة ستة ارقام مكتوبة على صف واحد ، او ادراك المعنى الحقيقي الذي كانت ترمز اليه هذه الارقام . حتى

(١) ص ١١

(٢) وتاريخ الحروب المقدسة ص ٢٩

(٣) The First Crusade by August C. Krey ' P. 16' printed in London, 1921.

ان الكتّاب الذين رافقوا الحملات الصليبية ، اذا ما ارادوا وصف جسامتها ، كانوا يكتفون بالقول: « انها مؤلفة من عدد لا يحصى » او « انهم كرمل البحر » و « اوراق الخريف » وغير ذلك من العبارات الغامضة . وقد استنتج فالشر واوغست وغيرهما من المؤلفين، انه ليس بالامكان تعيين عدد الصليبيين الذين اشتركوا في الحملات الصليبية بالضبط. اضف الى ذلك ان قسماً من الذين سجلوا اسماءهم في بادىء الامر قد تخلوا عن الحملة في الطريق او هربوا منها . وهناك آخرون التحقوا بها . وما كان عددهم ثابتاً بالمرة .

٦ – لم يكن لهذه الحملة قائد عام[١]. وانما كان لها قواد كثيرون نذكر منهم : – بطرس الناسك[٢]. غودفري دوبويون[٣] . اويستاس غويتار[٤] . غوشالك الكاهن[٥]. الكونت اميكون[٦] بوهيموند تارنتوم[٧] . تنكريد ريموند اوف طولوز[٨] . اوسطاكيوس[١] . بلدوين[٢] . جرارد . غرنيل . روبرت الملقب بـ (قورت هاوز)[٣] . الكونت روبرت فلاندرس[٤] . الكونت روبرت اوف نورمندي اسطفان[٥] . كاتريز[٦] . ريكاردوس اميرسالارنوس . رانولف . روبرت دوهوس . روبرت دوسوردقال هرقل دوبولتناك . غولياقوس دو ساريان . اديمار دو مونتيل[٧] ريموند بالاط . سيمون[٨] . كليرمونت . الكونت سان جيل . روجار دوقواكس غرلياموس . رامبرت دواورانج هرمفروا دو منتيك . ايزارد دوديا . وغيرهم كثيرون .

٧ – ولما كانت مؤن هذه الجموع الغفيرة قليلة ، فقد قاموا[٩] بانواع النهب والخطف والسلب في البلاد التي اجتازوها . و « كانت انباؤهم[١٠] المتكررة ، وما اقترفوه من فظائع ، وما اخرجوه من موبقات تسبقهم الى الاراضي التي كانوا يزمعون اجتيازها . وكان سكانها يغادرون مدنهم ودساكرهم ، حاملين معهم كل ما يملكون هربا من لقائهم » .

---

(١) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكسيموس موند . ص٢٩

(٢) قاد المتطوعين الفرنسيين . وسار عن طريق المانيا . وبطش بالهنغاريين ، فقتل منهم اربعة الاف رجل . فقابله الهنغاريون ، وفتكوا بجيشه فتكاً ذريعاً .

(٣) امير بلاد اللورين . قاد عشرة آلاف فارس ، واربعين الف رجل من المتطوعين الافرنسيين القاطنين حول الرين . وكان هؤلاء اكثر فطنة وادبا من الذين تقدموهم .

(٤) نهب هو واتباعه البلغاريين في اثناء مرورهم من بلغاريا . فقاتلهم البلغاريون ، وقتلوا عددا كبيرا منهم ، وشتتوا الاخرين .

(٥) قاد متطوعي النمسا والتحق ببطرس .

(٦) قاد متطوعي المانيا . فاظهر هو واتباعه عجرفة زائدة . وتعدوا على سكان البلاد التي مروا منها. فقاتلهم البلغاريون. واحاق بهم ما احاق بغيرهم .

(٧) قاد في بادىء الامر هو وابن عمه تنكريد عشرة آلاف فارس وعشرين الفا من المشاة . وقد كان طويل القامة . محبا للفخفخة . حسودا . غضوبا . ثم قاد الحملة كلها بعد ان استقال منها اسطفان .

(٨) قاد مئة الف مقاتل بين فارس وراجل.

---

(١) قاد متطوعي بولونيا .

(٢) اسم جرماني معناه المبارز . والقوى . ذكره ابن الجوزي وغيره من المؤلفين العرب (بغدوين) والعامة تقول (بردويل) .

(٣) حاكم ولاية نورماندیا . انه الابن الاكبر لغليوم القاهر .

(٤) والي مقاطعة فلاندره . وكان يلقب بحربة المسيحيين .

(٥) والي مقاطعة بلواز . وقد قاد الحملة مدة بعد وفاة ممثل البابا اديمار . ثم استقال .

(٦) كان مستشار الحملة الحربي .

(٧) كان يمثل البابا ، وقد اقامه هذا رئيساً روحياً للحملة . مات في انطاكية قبل ان يصل الى اورشليم .

(٨) سمعان بطريرك بيت المقدس .

(٩) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكسيموس موند ، ص٢٤ .

(١٠) (مجلة الراعي الصالح) لبطريركية الروم الارثوذكس بالاسكندرية ج ٣ ص٥٥ – ٥٧ .

« ولما بلغوا مدينة صوفيا امرهم الامبراطور الكسيس كومنين ان لا يمكثوا في المدينة اكثر من ثلاثة ايام ، بسبب اعمال العنف والنهب التي اقترفوها في اراضيه . فلم يسع بطرس الناسك الا ان ينصاع للانذار ، معتذرا له ولشعبه عن سلوك جنوده الشائن » . وفي رواية اخرى ان البلغاريين قاتلوهم قتالاً شديداً .

وعندما وصل الصليبيون الى القسطنطينية راحوا يسطون على المنازل والقصور القائمة في ضواحيها . بل انهم ذهبوا الى أبعد من هذا ، فهجموا على الكنائس نفسها ونهبوها .

ولما اجتازوا الاناضول **قاتلهم (قليج اوسلان)** قتالاً شديداً ، ليس هنا مجال ذكره . ولكن لا بد من القول انهم عبروا بعدئذ انطاكية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ويافا والرملة . وعندما وقفوا أمام أسوار بيت المقدس (حزيران ١٠٩٩) كان عددهم اربعين الفا . وفي قول آخر[١]: خمسين الفا .

٨ — حاصر فريق من الصليبيين المدينة من ناحيتها الشمالية : من باب الاسباط حتى باب العمود ، ومن هذا الباب حتى المكان الذي تقوم عليه الآن المسكوبية . **فكان روبرت اوف نورمندي بالقرب من كنيسة القديس اسطفان . وبالقرب منه الكونت روبرت اوف فلاندرس . واما غودفري دوبوبون وتنكريد ، فقد حاصراها من ناحيتها الغربية**[٢] . واما الكونت سان جيل فقد عسكر على تل صهيون من ناحيتها القبلية الغربية . وكذلك فعل الكونت ريموند . وضرب الآخرون خيامهم في مواقع اخرى حول المدينة . وتركوا الجانب القبلي المطل على سلوان والجانب الشرقي المحاذي لوادي جهنم .

٩ — بدأ الحصار في اليوم السابع من يونيه سنة ١٠٩٩ م . ودام نيفاً واربعين يوماً[١] عانوا خلالها انواع المحن ، لقلة الماء ونفاذ الذخيرة ، وفقدان لوازم الحصار من خشب وادوات اخرى .

كان الوقت صيفاً ، والحرارة شديدة . اشعة الشمس محرقة ، والهواء القبلي الحار يعصف مع الغبار . الحيوانات هلكت وكثير من الصليبيين ماتوا من العطش . رائحة كريهة وامراض . الخيل والبغال والبقر وباقي المواشي والحيوانات التي لم تنفق ، لم تكن قادرة ان تسير بضع خطوات من شدة العطش . ذلك لان الماء كان قليلاً للغاية . وكان يباع زق[٢] الماء الرديء الفاسد الذي كانوا يأتون به من مسافة تسعة اميال بقطعتين كبيرتين من الفضة . ولطالما اقتتل الصليبيون انفسهم من اجل الماء . ولم تكن هناك حراش واشجار كافية لصنع آلات القتال اللازمة للحصار . فهدموا البيوت في القرى والمزارع المجاورة ، ليسدوا بها هذا النقص . ولكن دون جدوى . وفي ساعة اليأس جاءت المراكب من جنيف موسوقة ذخائر . فداهمتها سفن المسلمين وحرقتها . ولكن قسما كبيرا من الذخائر كان قد نجا . وقد دلهم سوري على حرش واقع بين نابلس وسبسطية ، فقطعوا منه

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس ص ١٧٢
(٢) هذا ما جاء في كتاب The First Crusade لمؤلفه August C. Krey ص ٢٤٩ نقلا عن مؤرخ شهد الحصار بعينه . و في رواية اخرى ان غودفري عسكر مع جنده في الناحية الشمالية الشرقية بالقرب من باب الساهرة .

(١) سركيس ص ١٧٢
(٢) الزق مصنوع من جلد المعزي يسلخ ويدبغ : يتسع الصغير منه لجرة ماء والكبير ضعفها . ويسميه العامة (ضرف) او (ظرف) وهو الوعاء .

الاشجار اللازمة لآلات الحصار . فانتعشت آمالهم وشيدوا ثلاثة ابراج عالية . ولكنهم رغم ذلك فشلوا .

١٠ – كان في القدس **افتخار الدولة** يديرها باسم الخليفة الفاطمي (المستكفي بالله) . وكان هذا قد ابعد عنها المسيحيين[١] . وابقى فيها المسلمين . وحشد فيها العدد الذي اعتقد انه كاف للدفاع عنها من الجنود المصريين . وكانت قوة الدفاع مؤلفة من اربعين الف مقاتل . هذا خلا السكان المدنيين وعددهم يومئذ عشرون الفا . وقد حصنها وادخر في عنابرها جميع الذخائر . وكان قبل بدء الحصار امر بتخريب جميع الحقول[٢] التي حول المدينة لئلا يستغلها الاعداء . ولم يكتف بهذا . بل ردم الابار[٣] التي في البر فجاع الصليبيون جوعا لا يوصف . وعطشوا عطشاعظيما . ويقول المقريزي ان الذي كان على منصة الحكم يومئذ هو المستظهر بالله احمد بن ملك شاه بن عضد الدولة . (ج ١ ص ٢١)

١١ – اقام الصليبيون[٤] برجين عالين ، إطلوا منهما على السور : احدهما بباب صهيون والاخر بين باب العمود وباب الاسباط وهو برج الزاوية . ثم انشأوا برجا ثالثا . فجاء المسلمون واحرقوا البرج الذي كان بباب صهيون . وقتلوا من فيه . وطال امد الحصار ، دون ان يتمكن الصليبيون من الاستيلاء على المدينة . عندئذ عقد رؤساؤهم وقوادهم **مجلس شورى**[١] لاجل تعيين يوم للهجوم العام وكيفيته . فقرروا استبدال خطتهم السابقة . وفي اثناء الليل نقلوا البرج الخشبي المركب على الدواليب مع سائر الالات والاعمال التي كان (الدوكاده لورين) نصبها في محلاتها . نقلوها الى جهة شرقي المدينة عند (باب سيدار) . ثم نصبوا المنجانيقات والاكباش والات الحرب الاخرى ، بين باب دمشق والبرج المقرن الذي دعي فيما بعد برج تنكريد . وفي يوم الخميس الموافق ١٤ من شهر تموز سنة **١٠٩٩** عند شروق الشمس امر جميع الرؤساء والقواد جنودهم بالهجوم العام . فهاجموا المدينة من كل جهة . وكانت الاسلحة التي بايديهم هي الحراب والسيوف والرماح والخناجر والنبابيت والمقاليع التي تستخدم لرشق الحجارة ولحذف الطابات الرصاصية ، وكذلك القوس والنشاب . وكانوا لابسين الدروع الحديدية والفولاذية ، والخيالة حاملين الدوارق[٢] والاتراس المدورة والمربعة ثم الاتراس الطويلة . وكان لكل من القواد راية في اعلاها نوع من انواع التصاوير والتماثيل . وعلى الرايات صور مختلفة : صلبان ونمورة واسود ونجوم وابراج . ولم يكن امر الحرب بيد واحد من القواد حين المعركة . بل كان كل واحد من الامراء والحكام في الموضع الذي يقوم عليه ، يرتب عساكره ويدير امورهم كما يشاء .

١٢ – واستعمل المسلمون في اثناء الدفاع عن اورشليم المواد الملتهبة والكبابير المشتعلة بالزيت والنشاب القوية . وكان لديهم اربعة عشر آلة حربية كبيرة جدا مركبة على الاسوار . فابلوا في

---

(١) (الحروب الصليبية في الاثار السريانية) للقس اسحق ارملة السرياني . طبع بيروت ١٩٢٩ ص٢٦

(٢) كذلك فعل ستالين عندما اجتاح الالمان روسيا في اوائل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥ م) .

(٣) (تاريخ الحروب المقدسة لمكسيموس موند . ص١٥٤ .

(٤) النجوم الزاهرة . ج٥ ص١٤٨

(١) مكسيموس . ص١٦٦

(٢) قلانس كانوا يلبسونها . وهي جمع (دورق)

ذلك اليوم بلاءًا حسنا في الدفاع عن المدينة . ودام القتــال اثنى عشرة ساعة الى ان جن الليل .

١٣ – وهكذا قـل عن اليوم الثاني . وفيه وجــه المسلمون قواهم ضد البرج الـكائن فيه **غودفري** . فمات في ذلك اليوم عــدد كبير من رجاله . وكان ريموند من الناحية القبلية يقاتل . وتنكريد وروبرت يحاربان فوق الابراج الخشبية في شمال المدينـــة . الى ان وقعت الواقعـــة ، والتقى الجمعان وجها لوجه . فراحـــا يقتتلان بالحــراب والرمــــاح والسيوف . ورجـــحت يومئذ دفة المسلمين على الصليبيين . اذ تمكنوا من تحطيم الات الحرب الخشبيـة التي كانت مـــع الصليبيين. حطموها بالنيران التي اطلقوها عليهم من الاسوار باساليب مختلفة . وزاد في طين النصارى بلة قلة الماء للشرب . وفقدان الخل اللازم لتبريد الحِراب والرمـــاح ، ليقدروا على نقلها بايديهم . فسقط عدد كبير منهم قتلى . وجرح عـــدد آخر بالسهام . وحرق آخرون بالمواد الملتهبة التي حذفت من داخل المدينة ومن على الاسوار .

١٤ – كاد الصليبيون ان ييأسوا ، لولا ان عاد اليهم الرجاء باشاعـة القاها بينهم رجال الدين قائلين : « هوذا القديس جاورجيوس ، يطل عليكم من جبل الزيتون ! . . هوذا العون الالهي جاء ليحميكم ! . . فقاموا على اثر ذلك بهجوم عنيف . وتمكنوا من دك البرج الكبير . فاجتاز الدوك دي لورين من فوق الردم وادرك السور . وامر غودفري بمد الجسر المرتفع . فمد ، ومر عنــه غودفري ، وتبعــه الاخرون ؛ فدخلوا المدينـة وراحت النبال تنهال على المسلمين مثــل المطر . وكذلك قل عن السهام النارية . واقدم رجل يدعى (لتولدوس)[1] وهو من اشراف فلاندريا تحت وابل من السهام، فارتقى السور ، ووضع عليه راية الصليب . الامر الذي اثار حمية الصليبيين المهاجمين . فقاموا بهجماتهم الاخيرة . وكانت شديدة للغاية . ففتحت المدينة . وكان اول من دخلهـــا من باب الساهرة **غودفرى دوبويون** الافرنسي Goodfrey du Bouillon . ثم خلـــع عساكر تنكريد ، وعساكر غودفري ، باب القدس اسطفانوس بضرب الفؤوس والمعاول ، ففتحوه . ودخل المدينـة باقي جماهير الصليبيـين : الساعة الثالثة بعد ظهر الجمعة الموافق الخامس عشر من تموز سنة ١٠٩٩ م – ٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ .

١٥ – بعد ان تم لهم احتلال المدينة ، عقدوا[2] (ديوان مشورة عسكرية) . فاصدر اعضاء هـذا الديوان حكمهم بموت كل مسلم باق داخل المدينة ! وشرعوا فوراً في تنفيذ الامر . ولم تجـــد ايضاً اعتراضات اولئك الذين ارادوا ان يحولوا دون هذه القسوة . وظلت الدماء تهرق مدة اسبوع كامل ؛ قاموا خلاله باعمال فظيعة ، ومنكرات يقشعر لها البدن . ولم يختلف اثنان من المؤرخين ، لا من الفرنج ولا من المسلمين ، في ذكر هذه الفظائع وانتقادها انتقاداً مرا .

فقال ريموند داجيلس[3] Raymond D' Agiles الذي شهد الاحتلال : « ان الدمـاء وصلت في رواق المسجد حتى الركب » .

وقال مكسيموس موند[4]. « **لم يوفر الصليبيون احداً من سيوفهم ! لا من الرجال ، ولا من النساء**

(١) تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية . ص٧١
(٢) مكسيموس ص١٧٤
(٣) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ص٦٣
(٤) (تاريخ الحروب المقدسة ص١٧٢

العجز ، ولا من الاطفال . وظن المسلمون ان مسجد عمر يحميهم من الموت ، ولكن ظنهم قد خاب . اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ، ودخلوا المسجد المذكور ، وابادوا كل من وجدوه فيه بحد السيف . وذم المؤرخون قسوة هؤلاء الجنود البربرية » .

قال طوطح وبولس[١] : « كان المسيح قد علم تلاميذه ان يحبوا اعداءهم . ولكن ما قاموا به من التوحش والهمجية في المكان الذي صلب فيه السيد المسيح ، لما يندى له جبين المسيحي اليوم حياء وخجلا » .

وقال الاخوان شحادة الخوري ونقولا الخوري[٢] :

«امر الصليبيون ، الاشخاص الذين بقوا احياء من العرب ان يجمعوا جثث موتاهم اكواما ويحرقوها بالنار . وبعد ذلك قتلوا هؤلاء ايضا . وهي قسوة يتبرأ منها الدين المسيحي الذي يدعون انهم جاءوا لنصرته ؛ فضلا عن انها جعلت روح العداوة والانتقام تتاصل في قلوب المسلمين ضد مسيحيي البلاد التعساء ؛ فسببوا ضررا عظيما لهم ، لم يكن اخف وطأة من اضرار ملوك الروم . فلو سلم مسيحيو هذه البلاد من هجمات ملوك الروم المتواترة ، وغزوات الصليبيين المتعددة ، وفظائع اولئك وهؤلاء بمسلمي البلاد ؛ لعاشوا الى جانب اخوانهم المسلمين عيشة راضية ، لا يتخللها نكد ولا كدر » .

وجاء في تاريخ الكنيسة الرسولية الارشليمية ص ٧١ – ٧٢ عن الحروب الصليبية وفتح بيت المقدس مطالعات كثيرة نقتطف منها النبذ التالية :

وهكذا نرى انه كان من اهم الغايات الظاهرة للحروب للصليبية تخليص الاراضي المقدسة ! ولكن هناك غايات مكنونة في صدور الرجال : منها ما هو انتقام من العرب الذين امتد ملكهم الى اسبانيا وفرنسا وبلاد اليونان وصقلية وغيرها . ومنها ما هو استئثار بالسلطة الزمنية والدينية . . . لقد اظهروا بعد فوزهم الباهر ، ما كانوا يضمرونه ؛ وشهد العالم من المظالم والمخازي ما لا يتفق مع لقبهم . (الصليبيين) . . اظهروا باعمالهم ان غايتهم من الاستيلاء على الارض المقدسة : ان يجعلوها بقعة لاتينية ، وان يلاشوا الارثوذكسية منها بالكلية . . متوسلين بجميع انواع الحيل والخداع والاضطهادات التي يتورع البرابرة عن ارتكابها . . . لقد سكروا بخمرة الانتصار ، فاستيقظت فيهم روح الغلبة والاستعمار . واقترنت هذه بحب السفك والقتل والانتقام . . . فصالوا في المدينة قتلا ونهبا . وكانوا يتعقبون المسلمين في كل مكان . ولم يحمهم المسجد المعروف بالصخرة ، حيث فتكوا بهم ، وذبحوا آلاف اللاجئين اليه من رجال ونساء واطفال ابرياء . . . هذا ما فعله ويا للاسف اصحاب الصليب المبشرون بالانجيل ، ودعاة الدين الذي يأمر بالصفح والسلام . . . . »

وقال المؤرخ الافرنسي المسيو ميشو[١] :

« كان المسلمون يذبحون ذبح الانعام في الشوارع والمنازل . ولم يجد اهل المدينة محلا امينا يعتصمون به . فالقى بعضهم نفسه من فوق الاسوار ، وازدحم الآخرون في القصور والمساجد والحصون . ولكن ذلك لم يجدهم نفعا . اذ ان الصليبيين حاصروا جامع عمر – الذي اعتصم فيه المسلمون – وجددوا تلك المناظر

(٥) (طوطح وبولس) ص٢٨

(١) تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ص ٧٠

(١) ج١ ص٣٣٩ من كتابه . و(تاريخ العرب والتمدن الاسلامي) ص ٢٨٢ .

الوحشية التي تعد وصمة في جبين فرسان التيتون . اذ هجم الجنود على الهاربين ، واعملوا السيف في رقابهم من غير ما شفقة ولا رحمة . ولم يكن يسمع في تلك الساعة الرهيبة غير انين الجرحى وحشرجة الموتى . كذلك وطئوا بخيولهم الجثث المكدسة في اثناء مطاردة الهاربين . كما احرقوا البعض حيا . ثم جاءوا بالذين كانوا قد لاذوا بالفرار ، ووضعوهم على جثث الموتى المكدسة ، ومثلوا بهم اشنع تمثيل. ولم تكن تجدي في ذلك الموقف الدامي ، دموع النساء ، ولا صراخ الاطفال، ولا منظر البلد الذي صفح فيه السيد المسيح عن جلاديه . فان هذه المناظر كلها ما كانت لتلين قلوبهم القاسية . وقد استمرت هذه المذابح اسبوعا . والذي نجا من سكان بيت المقدس عومل بمعاملة الارقاء » .

واخذ اليهود قسطهم من هذه المجزرة، اذ جمعهم الصليبيون في كنيسهم ، وحرقوهم[١].

وقال (هري امرسن فوسديك) في كتابه (حجة الى فلسطين)[٢] :

« لا شك في ان الصليبيين قد اقترفوا في الارض المقدسة خطيئات لا تغتفر ، مخالفين بذلك الاهداف السامية التي حفزتهم لافتتاحها ؛ وانهم قد انحطوا الى درجة من التهتك المزوج بالانانية والحقد وسفك الدماء ؟ فانقلب جهادهم الى نهب ، وسلب ، وقتل وتدمير . حتى انهم في انطاكية ، وهم في طريقهم الى بيت المقدس ، اقترفوا افظع اثم دونه التاريخ في سجل السكر والدعارة والفجور ؛ اذ كانوا يضعون اجساد المسلمين في اسياخ حديدية ، ويشوونها على النار ! واما ما فعلوه في بيت المقدس ، عندما احتلوها في ١٥ تموز ١٠٩٩ ، فحدث عنه ولا حرج . فقد اعملوا في المسلمين يد الذبح والتقتيل ثلاثة ايام صحاح ، دون رحمة ولا روية . ولم يميزوا بين رجل وامراة ، او بين صغير وكبير . وراحو يتباهون انهم قتلوا سبعين الفا من المسلمين ، وانهم لم يغمدوا سيوفهم قبل ان خمدت نار الانتقام المتأججة في قلوبهم !

والغريب انهم قاموا بهذه الفعال التي تقشعر لها الابدان باسم المسيح . الامر الذي جعل الشرق يستقبل صلاح الدين بالترحاب ، ويعتبره منقذا ورحيما . وراح هذا الشرق يتنفس الصعداء، عندما طرد الصليبيون من الارض المقدسة . وساد الاعتقاد بانه ما كان ليصيبهم ما اصابهم، لولا انهم يستحقون هذا المصير .

ومع ذلك فان الناس راحوا يذكرون بالثناء والتمجيد ، المعاملة الحسنة التي لقيها الصليبيون من صلاح الدين بعد تلك الاثام التي اقترفوها ! سيما عندما أمنهم على اموالهم وأرواحهم . . . » .

١٦ — اختلف المؤرخون في تعيين عدد القتلى الذين قتلهم الصليبيون يوم الفتح . فقال قائل[١] : «انهم مئة الف نسمة» . ولكن الاكثرية[٢] قدروهم بسبعين الفا فقط .

١٧ — كان اول عمل قاموا به ، بعد هذه المجزرة

---

(١) كذا في (تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية) ص ٧٠. واما في (النجوم الزاهرة) ج٥ ص١٥٠ فقد جاء ما يلي : « . . واحرقوها عليهم ».

(٢) A Pilgrimage to Palestine by Harry Emerson Fosdick, P. 256

(١) (مرآة الزمان في معرفة الخلفاء والاعيان) لسبط بن الجوزي المتوفي سنة ٦٥٤ — ١٢٥٦م و(النجوم الزاهره) ج٥ ص١٤٨ .

(٢) (تاريخ الحروب المقدسة) لمكسيموس موند ص ١٧٤ .

البشرية الهائلة ، انهم كتبوا الى **البابا** يهنئونه بفتح بيت المقدس قائلين[١] :

« اذا اردت ان تعلم بما جرى لاعدائنا ، فثق انه في ايوان سليمان ومعبده ، كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء العرب المسلمين الى ركبتيها » .

ثم راحوا يديرون المدينة كما يشاؤون . فحولوا[٢] قبة الصخرة الى كنيسة . وسموها Templum Domini . واعطى بلدوين جانباً منها الى فرسان الهيكل . ورسموا على جدرانها الداخلية رسوماً نصرانية . ولكنهم لم يغيروا ما على ابوابها وابواب المسجد الاقصى من كتابات وآيات قرآنية .

وروي ابن العبري[٣] : « ان الفرنج اخذوا من مسجد الصخرة اربعين[٤] قنديلاً فضياً . وزن كل واحد ثلاثة آلاف وستماية درهم من الذهب المصري . واخذوا تنوراً من فضة وزنه اربعون رطلاً سوريا . والرطل السوري يوازي ستة ارطال بغدادية . واستولوا على اوان وزينات اخرى كثيرة . . . واخذوا من الاموال ما لا يحصي » .

وفي (النجوم الزاهرة)[٥] انهم اخذوا من الصخرة والاقصى معاً سبعين قنديلا : منها عشرون ذهباً ، في كل قنديل الف مثقال ؛ ومنها خمسون فضة ، في كل قنديل ثلاثه آلاف وستماية درهم بالشامى . واخذوا من الاموال ما لا يحصى .

هذا ما قاله اكثر المؤرخين . والحقيقة انهم (اي الصليبيين) لم يغيروا شيئاً من بناء مسجد الصخرة، سوى انهم قلبوه الى الكنيسة اسموها : Templum Domini اي هيكل السيد . وجعلوا به الصور والتماثيل . وانشأوا على الصخرة نفسها مذبحاً[١] . كما انشأوا حول الصخرة سياجاً من الحديد المشبك[٢] . وكسوا الصخرة نفسها بالرخام[٣] . ونصبوا فوق القبة صليباً كبيراً .

واما المسجد الاقصى ، فقد غيروا الكثير من معالمه . واستعملوه لاغراضهم الاهلية والدينية والحربية . فاتخذوا جانباً منه كنيسة ، والجانب الآخر مسكناً لفرسان الهيكل . وكانوا يسمونه Palatium او Templum Solomonis واضافوا اليه من الناحية الغربية بناءاً جديداً

---

(١) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي .ص٢٧٢

(٢) مجلة الآثار ٥ – ٦ ص٢٥١

(٣) (تاريخ مختصر الدول) لغريغوريوس ابي الفرج بن اهرون الطبيب الملطى السرياني الارثوذكسي المعروف بابن العبري. ولد سنه ١٢٢٦ م وتوفي سنة ١٢٨٦ . وكتابه هذا طبع بمدينة اكسفورد بالعربية واللاتينية ، بمراجعة العلامة بوكوك سنة ١٦٦٣م . وفي بيروت ١٨٩٠م . وقد ترجم الى الالمانية سنة ١٧٨٣م . وروايته هذه وردت في الصفحة ٢٧

(٤) وفي رواية سبط بن الجوزي انهم اخذوا من مسجد الصخرة والاقصى معاً سبعين قنديلا في كل قنديل الف مثقال .

(٥) ج٥ ص١٤٨ .

(١) قال مستر ج .فن قنصل بريطانيا بالقدس في الصفحة ٢٤٨ من مذكراته ان الحجارة التي بنى بها الصليبيون مذبحهم، اقتطعوها من الصخرة نفسها .

(٢) هذا السياج الحديدي المشبك الذي يفصل الصخرة عن التثمينية الوسطى ظل قائما حتى سنة ١٩٥٩ ، عندما رفع من مكانه بسبب العمارة الواسعة التي اجريت للمسجد .

(٣) قال الكبتن كروزيل استاذ فن المعمار الاسلامي في جامعة فؤاد الاول بالقاهرة ،في مقال له نشرته مجلة (الهلال) في عددها الصادر سنة ١٩٣٩ ص٨٨ ، وقوله هذا منقول عن ابن الاثير ، ان الافرنج كسوا الصخرة بالرخام خشية ان تزول الصخرة من الوجود ، ذلك لان قساوسة النصارى كانوا يقطعون منها اجزاء يبيعونها للحجاج الذين ياتون من وراء البحار . وكان هؤلاء الحجاج يحملون معهم – في طريق عودتهم الى بلادهم – قطع الصخرة هذه تبركا وتيمنياً بها. وكان ذلك مصدر ربح وفير لأولئك القساوسة .

استعملوه مستودعاً لاسلحتهم . واما السراديب القديمة التي كانت تحت الاقصى (ويسميها المقدسيون: الاقصى القديمة) ؛ فقد اتخذها الصليبيون اسطبلا لخيولهم . والاعتقاد سائد بأن تلك السراديب هي من بقايا هيكل سليمان .

وكان اول عمل عمله الصليبيون عندما احتلوا مدينة القدس ، ان دخلوا كنيسة القيامة . دخلوها حفاة . وقد وجهوا طبعاً اهتمامهم الى تعميرها . قال اسقف صور غوليلمس (وهو مؤرخ ايضاً) ان الصليبيين حافظوا بدرجة الامكان على ما كان في الكنيسة من بنيان . إلا انهم جمعوا المعابد المتفرقة في كنيسة واحدة هي الكنيسة الحالية . جمعوها تحت سقف واحد ومتين . وزادوا على ذلك بأن بنوا الى الشرق من القبر المقدس كنيسة لها ثلاث حنايا متجهة نحو الشرق ، وهي المعروفة في يومنا هذا (١٩٦٠) بكنيسة نصف الدنيا . ثم شادوا قبة نحيفة لكنيسة الصليب ، وبنوا في محل الشهادة ديراً هو الآن بيد الاقباط . واضافوا اليها صحناً واسعاً ، وهيكلاً للكهنة . وبهذه الزيادات المختلفة اصبحت كنيسة القيامة الاصلية في المركز ، ومن حولها الابنية الكنسية العديدة ، متصلة بكنيسة الجلجثة ، في مجموعة من الكنائس المتداخل بعضها ببعض من جميع الجهات .

ورفع الصليبيون فوق الزاوية الجنوبية الغربية برجاً للاجراس . ويقول ثاوفانوس ان هذا البرج كان ذا ثلاثة طوابق : هدم منها بفعل الزلازل طابقان هما العلويان وبقي الطابق السفلي كما كان . والبابان الكبيران اللذان تراهما في واجهة الكنيسة من الناحية الجنوبية ، هما من فعل الصليبيين . وقد سد احدهما فيما بعد .

١٨ — كانت الصدمة الاولى عنيفة . وما كان الصليبيون لينالوا هذا النصر ، لوكانت في البلاد حكومة قوية وشعب رزين متحد . ولم يكن قد انقضى على الحكم السلجوقي في سوريا وفلسطين سوى عشر سنوات . ولم يكن السلجوقيون بقادرين على ان يتحدوا . اذ قد انقسمت مملكتهم بعد مقتل الوزير (نظام الملك) ١٠٩٢ م ، وكثر التنازع بين الرقباء الطامعين في العرش ، ونشبت في سوريا وفلسطين حروب اهلية واضطرابات داخلية اهلكت الحرث والنسل . ولم تكن البلاد قادرة على صد تيار الصليبيين . فتمكن هؤلاء عند اول حملة قاموا بها من الاستيلاء على قسم كبير منها.

فذل المسلمون . وراحوا يندبون سوء حظهم . وراح الشعراء يستنهضون الهمم للاخذ بالثأر .

١٩ — بعد فتح القدس اسس الصليبيون فيها مملكة لاتينية صغيرة . واختاروا **غودفرى دو بويون** اميرا عليهم . فاخذوه الى كنيسة القيامة ، وتوجوه فيها . ولكنه مات بعد قليل ، ودفن في الكنيسة[١] . . . وانتخب بعده **بلدوين الاول** . وفي زمنه (١١٠٠ — ١١١٨ م) اصبحت القدس عاصمة مملكة تمتد من بيروت الى العقبة .

وكان لها اسطول في ميناء العقبة[٢] . وكانت وارداتها وافية ، مصدرها الرسوم المستوفاة من القوافل التي كانت تسير بين سوريا ومصر والحجاز ، والضرائب المفروضة على حاصلات البلاد ، والرسوم التي تجبى من القوارب التي كانت تسير في البحر الميت.

٢٠ — زار القدس ، عام ١١٠٦ للميلاد ،

(١) رأيت قبره في اول غرفة على يمين الداخل الى الكنيسة ، تحت الجلجثة .

(٢) بيك باشا . ص ١٢٥

راهب روسي اسمه **دانيال** فقال : انه بالرغم من فقدان الينابيع في المدينة وليس ثمة نبع قريب منها غير بركة سلوام ، فان القمح ينبت فيها وفيما حولها من بقاع بخصاب . وكذا قل عن الشعير فان الحبة التي يبذرها المرء في ارضها تنتج تسعين حبة ، وفي بعض الاحايين مئةو.هناك كروم من العنب والتين والزيتون والخروب والجميز ، وانواع لا تحصى من اشجار الفاكهة » .

وفي موضع آخر من الرسالة التي كتبها هـذا الراهب قـال : ان الامن مفقود على الطريق التي تصل اريحا بالقدس ؛ تلك الطريق التي كان يرابط فيها عدد كبير من قطاع الطريق » .

وقطـاع الطرق هؤلاء الذين ذكرهم الراهب الروسي ، ليسوا في اعتقادي سوى ابناء البـلاد الذين نجوا من المذابح الصليبية ؛ فراحوا يتكتلون ويتجمعون في المغاور والكهوف ، ويتحينون الفرص للانقضاض على الصليبيين وارجاع البيت المقدس الى حظيرة المسلمين .

٢١ – بعـد بلدوين الاول قام بلدوين الثـاني والثالث .

ولما توفي بلدوين الثالث ، خلفه اخوه **المري او المريك** (١١٦٢ م – ٥٥٦ هـ) . فكانت سياسته خرقاء . واضرت بالمسألة اللاتينيـــة . فابتدأت مملكة القدس ، منـــذ تبوأ عرشها ، بالاضمحلال والتدهور . انه ، بدلا من ان يحتفظ بصداقة الفاطميين في مصر ، سار لفتح مصر وانتزاعها من بين ايديهم . فاضاع بذلك حليفاً قويا . وقوى به عدوه نور الدين . فرفض كثير من جماعـــة فرسان الهيكل التعاون معه في هـــذه الحملة ، لاعتقادهم بانه لا نفع يرجى من ورائها . وكان نصيبه فعلا الفشل .

٢٢ – في اكتوبر عام ١١٧٦ م اتى الى فلسطين وليام دي مونتفرات ، وتزوج سيبل Sybil اخت الملك **بلدوين الرابع** . ولكنه توفي في السنة التالية ، تاركاً وراءه طفلا اصبح فيما بعد ملكا ، وسمي **بلدوين الخامس** .

٢٣ – وفي عام ١١٨٠ م – ٥٧٥ هـ تزوجت سيبل **بجوى دي لوسينان** Guy De Lusignan وبذلك اصبح له حق شرعي للوصاية على العرش ، حق وللجلوس على العرش فيما اذا توفي الطفل .

ولكن الامراء كانوا يكرهونه ، فعقـــدوا اجتماعاً في عكا، وانتخبوا **ريموند**[١] لان يكون وصياً على الملك لمدة عشر سنوات . ولما مات الطفل بعد ذلك بسنة ، زحف جوى ومعه ريجنالد[٢] صاحب الكرك وجماعة من فرسان الهيكل الى القدس ، وقبضوا على زمام الامور فيها ، وتوجوا **جوى** ملكاً عليها .

ولـكن ريموند صـاحب طرابلس ، لم يرض بتتويج جوى ملكاً على القدس ؛ فثار ثائره ، وراح يفكر في مراضاة صلاح الدين ، فتحالفا معاً . وما كان صلاح الدين ليرضى بالتحالف معه ، لولا ان **ريجنالد** امير الكرك فسخ العهـــد وكسر الهدنة باعتدائه (١١٧٨ م – ٥٨٢ هـ) على قافلة من قوافل المسلمين سائرة على طريق الحج ، وسوقهـا رجالاً ونساء الى الكرك .

٢٤ – عندما نهب ريجنالد القافلة ، واسر من

(١) صاحب طرابلس الذي خلص الكرك وفاوض المسلمين على هدنة الاربع سنوات التي ذكرناها في غير هذا المكان .
(٢) (ريجنالد) هو الذي يسميه العرب ارناط .

رجالها من أسر ، توسل اليه هؤلاء بارجاعهـــم . لكنه رفض . ويقول ابو الفداء ان السلطان صلاح الدين خابره في صددهم ، وطلب اليه ارجاعهم . ولما رفض ، خابر (صلاح الدين) السلطة المركزية (أي الملك في القدس) . ولما قيل له ان صاحب الكرك حر ان يفعل ما يشاء ، يئس واقسم يمينه المشهور : انه لا بد وان يحاربه ، ويحارب الصليبيين كلهم معه ؛ وانه لا بد وان يقطع رأس ريجنالد بيده ، اذا وقع هذا اسيراً .

عندئذ اعلن **صلاح الدين** الجهاد ، وارسل الى امرائه وعماله في جميع اطراف مملكته ، يخبرهم بما نوى . فاخذت الجيوش تزحف الى فلسطين من كل حدب وصوب . من الموصل وحلب والجزيرة واربيل ومن مصر .

ويظهر ان اللاتين فطنوا الى خطورة الموقف . فأرسلوا رؤساء دينهم الى ريموند مهددين ناقمين . فاضطر هذا اخيراً للانضمام الى صفوفهم . ووقعت على أثر ذلك واقعة (**حطين**) (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ – ١١٨٧ م) التي انتصر فيها صلاح الدين، وانهزم جيش الصليبيين بعد ان قتل منهم ثلاثون الفاً . فوقع الملك ريجنالد صاحب الكرك واكثر جنوده اسرى بيد المسلمين . ثم سقطت القدس . وبسقوطها زالت المملكة اللاتينية .

ومعنى ذلك ان مملكة اللاتين الصليبية التي قامت على انقاض الدول الاسلامية المتنافرة في الشرق ، ما لبثت ان انقرضت عندما افاق الشرق من غفلته وانتبه الى اخطائه واتحد . والفضل في ذلك يعود الى ذلك القائد المدرب والبطل العظيم صلاح الدين .

٢٥ – بعد معركة حطين سار في فتوحاته ؛ فاحتل **عكا ومجدل الصادق ويافا والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية** ثم **سبسطية ونابلس** . ثم سار الى **عسقلان** وفتحها . ثم فتح **الرملة واللد وغزة والخليل وبيتنه وبيت لحم وبيت جبرين** .

وامر صلاح الدين قائد اسطوله حسام الدين لؤلؤا ، ان يقطع طريق البحر ، ويرابط على الشواطيء ؛ فيرقب حركات العدو من ناحية البحر .

٢٦ – ثم ارسل رسله لمفاوضة اهل القدس كي يسلموا المدينة . فرفضوا . عندئذ سار اليها . وكان فيها نيف وستون الف جندي . **فافتتحها في ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ – ١١٨٧ م** . وسمح للفرنج بمغادرتها بعد دفع الفدية . فغادروها . الامر الذي فصلناه في فصل آخر من هذا الكتاب .

٢٧ – احدث سقوط القدس في يد المسلمين على



« ريكاردوس قلب الاسد »

يد صلاح الدين دويا هائلاً في العالم المسيحي . بذل

رجال الكهنوت قصارى جهودهم في الاستنجاد بالشعوب المسيحية والاستجارة بملوك اوربا وامرائها. وراح بطريرك القدس نفسه الذي كان صلاح الدين قد احسن اليه، يطوف المدن الاوربية حاملاً صورة المسيح، حاثا على الاخذ بالثأر . فثارت اوربا من جديد .وتألفت حملة صليبية جديدة. وجاءت جموع الفرنج تتدفق على **صور** وباقي الثغور التي سمح صلاح الدين للصليبيين الذين غادروا القدس بان ينزلوا فيها. واشترك في هذه الحملة ثلاثة من اعظم ملوك المسيحيين وهم :**فردريك بارباروسا** امبراطور المانيا، **وفليب اوغسطوس** ملك فرنسا ، **وريكاردوس قلب الاسد** ملك انكلترا .

٢٨ – فاحتلوا **عكا**.وذبحوا حاميتها. عندئذ امر صلاح الدين بتخريب عسقلان لعجزه عن حفظها . فخربها . ثم رحل عنها الى **الرملة** فخرب حصنها ايضاً . وهدم حصن **اللطرون** . وكان بين الفريقين عدة وقائع في البر والبحر لا، نرى مجالا لذكرها، الى ان عاد الى القدس (في آخر ذي القعدة سنة ٥٨٧ هـ – ١١٩١ م) ليحصنها ويتأهب لمقاومة الصليبيين فيها .

امر بعمارة سور بيت المقدس وتجديد ما رث منه. وكان ينقل الحجارة بنفسه مع العمال . واحكم المحل الذي ملك منه البلد[١] . واتقنه . وقواه . وامر بحفر خندق خارج السور . وسلم كل برج الى امير .وكان قد وافاه فيها[٢] (**ابو الهيجاء السمين**) بعسكر مصر .

٢٩ – وأهلت[٣] سنة ٥٨٨ هـ – ١١٩٢ م والسلطان صلاح الدين في القدس ، مجتهد في عمارته وفي تحسين سوره . ثم غادر المدينة في أوائل جمادى الاولى من تلك السنة . وخرج العسكر المصري يريدون السلطان، فكبسهم الفرنج واخذوا جميع ما معهم . وتبدد الناس في البرية . وأسر الفرنج منهم خمساية رجل.واخذوا نحو ثلاثة آلاف جمل . ثم قصدوا المسير الى القدس . ولكنهم اختلفوا . فنزلوا بالرملة . وبعثوا رسلهم في طلب الصلح .

٣٠ – وفي العاشر من رجب سنة ٥٨٨ هـ – ١١٩٢ م سار السلطان الى يافا واخذها من الفرنج عنوة . ثم رحل الى يازور وامر بتخريبها . وسار الى الرملة . ومنها الى القدس . وعزم على لقاء الفرنج . فاختلف عليه اصحابه . واسمعه بعضهم كلاما جافيا ، فانثني عن ذلك . وقبل طلب الفرنج.فعقد معهم **هدنة عامة** في البر والبحر. مدتها ثلاث سنين وثلاثة اشهر ، اولها ١١ شعبان (ايلول) ٥٨٨هـ؛ على ان يكون للفرنج من يافا الى عكاومنهاالى صور وطرابلس وانطا كيه.وعم السرور الفريقين. لانهما كانا قد ملا الحروب التي طال اجلها.

واختلط عسكر الفرنج بعسكر المسلمين . فرحل المسلمون الى يافا للتجارة . ودخل خلق عظيم من الفرنج الى القدس للزيارة . فاكرمهم السلطان ومد لهم الاطعمة وباسطهم.ثم رحل الى دمشق بعد ان غاب عنها اربع سنين .

٣١ – مات **صلاح الدين** في دمشق في السنة التي تلتها (٥٨٩ هـ – ١١٩٣ م) .

٣٢ – قبل ان نختم هذا الفصل نرى من الفائدة ان نذكر[١] ملوك الصليبيين الذين اعتلوا

(١) البرغوثي وطوطح
(٢) المقريزي
(٣) المقريزي

(١) كيث روش ولوك .

عرش (المملكة اللاتينية) بالقدس . وبودنا ايضاً ان نلقي نظرة على اساليب الحكم التي اتبعها هؤلاء، والطابع الذي تركوه في البلاد :

١ – غود فرى دو بويون ١٠٩٩ – ١١٠٠ م
٢ – بلدوين الاول ١١٠٠ – ١١١٨ م
٣ – بلدوين الثاني ١١١٨ – ١١٣١ م
٤ – مليسنده وفولك انجو ١١٣١ – ١١٤٤ م
٥ – مليسندة وبلدوين الثالث ١١٤٤ – ١١٥٢ م
٦ – بلدوين الثالث (وحده) ١١٥٢ – ١١٦٢ م
٧ – آمــوري الاول ١١٦٢ – ١١٧٣ م
٨ – بلدوين الرابــع ١١٧٣ – ١١٨٥ م
٩ – بلدوين الخامــس ١١٨٥ – ١١٨٦ م
١٠ – سيبل وغاي دولوزغنان ١١٨٦ – ١١٩٠ م
١١ – غاي دولوزغنان (وحــده) ١١٩٠ – ١١٩٢ م
١٢ – ايزابلا وهزى اوف شامبان ١١٩٢ – ١١٩٧ م
١٣ – ايزابلا وآموري الثاني ١١٩٧ – ١٢٠٥ م
١٤ – ايزابلا (وحدها) ١٢٠٥
١٥ – ماري ١٢٠٥ – ١٢١٠ م
١٦ – ماري وجون دوبرين ١٢١٠ – ١٢١٢ م
١٧ – يولانده وجون دوبرين ١٢١٢ – ١٢٢٥ م
١٨ – يولانده وفردريك ١٢٢٥ – ١٢٢٨ م
١٩ – قونراد وفرد ريك ١٢٢٨ – ١٢٤٣ م
٢٠ – قونراد (وحده) ١٢٤٣ – ١٢٥٤ م
٢١ – قونرادين ١٢٥٤ – ١٢٦٨ م
٢٢ – هوغ ١٢٦٩ – ١٢٧٧ م
٢٣ – شارل اوف انجو (يطالب بالعرش) ١٢٧٧ – ١٢٨٤ م
٢٤ – جون ١٢٨٤ – ١٢٨٥ م
٢٥ – هنري ١٢٨٥ – ١٢٩١ م

٣٣ – كانت **مملكة اللاتين** تشغل منطقة طولها اكثر من الف ميل ، وعرضها نحو الخمسين . ولهـا من الشاطيء البقعة الممتدة من انطاكية الى العريش. في شرقها الكرك ووادي الاردن،وفي غربها البحر، وفي جنوبها العقبة . وكانت هـــذه المنطقة ذات أهمية من الناحيتين السياسية والتجارية ، اذ كانت تسيطر على طرق القوافل التجارية التي تربط الشام بمصر . ولكنها في نفس الوقت كانت محاطة بمدن كبيرة . ترابط فيهـا جيوش المسلمين ، ومنها الشام

(1) Godfrey de Bouillon.
(2) Baldwin I.
(3) Baldwin II.
(4) Melisende & Fulk of Anjou
(5) Melisende & Baldwin III.
(6) Baldwin III.
(7) Amaury. I.
(8) Baldwin IV.
(9) Baldwin V.
(10) Sybil & Guy de lusignan
(11) Guy de lusignan.
(12) Isabella & Henry of Champagne.
(13) Isabella & Amaury II.
(14) Isabella.
(15) Mary.
(16) Mary & John de Brienne.
(17) Yolande & John de Brienne
(18) Yolande & Fredrick.
(19) Conrad & Fredrick.
(20) Conrad.
(21) Conradin
(22) Hugh.
(23) Charles of Anjou.
(24) John
(25) Henry.

وحلب . وما كانت لتذوق طعم الراحة من هجمات المسلمين وغزواتهم المتكررة[١] .

اجل انهـا اثارت الحماس الديني . ولكنها[٢] لم تسع لتحسين حالة البلاد ؛ لا من وجهـة الامن والنظام ، ولا من الناحية الاقتصادية او السياسية . حتى الناحية الاخلاقية فقد كانت في حالة يرثى لها. وكانت واردات الملك[٣] عبارة عن رسوم تجبى من القوافل ، وعوائـد تجبى في المرافيء وهي تشبه العوائد الجمركية ، وارباح تستوفي من مواد حصرت تجارتها في فئة من الناس ،ورسوم المحاكم ، وضرائب شخصيـة تجبى من المسلمين واليهود ، والجزية . ولكن لم يكن ثمة نظام مالي ،ولا كانت هناك طرق منظمة لجباية هذه الرسوم والعوائد .

وكان **المزارعون** المستأجرون ينقدون اصحاب الاراضي التي يأخذونها منهم ليزرعوها ، قسما من غلة الارض يتراوح بين الثلث والنصف ، خـلا الضريبة الشخصية ورسوم العمل .

وكانت الادارة في ذلك العهد (لامركزية) تقـوم على اساس (الحكم الاقطاعي) . وكانت الامراء الثلاثة في الشمال نوعا ما مستقلين . اذ كانوا يعقـدون المعاهدات ويصدرون القرارات التي تنفعهم وتؤيدمصالحهم الشخصية ،دون ان يستشيروا الملك في القـدس . ولم يكن للملك سلطة واسعة تخوله حق مطالبة هؤلاء الامراء بالاذعان لاوامره . ولقد تكونت في البلاد اربع طبقات هي :

الملك ، والاعيـان ، ورجال الكنيسة ، والارساليات .

ولقد طفحت[١] البلاد بالقلاع والحصون . وراح كل اميريتحصن فيحصنهويسعى لتوسيع حدوده ، غير عابيء بالملك ورغائبه . لا ، بل كانوا في بعض الاحايين يحارب بعضهم بعضا . وقد نسي جلهم ، ان لم نقل كلهم ، المصلحة العامـة . لا ، بل نسوا ايضاً الغاية الدينية التي حاربوا في سبيلها، وهبطوا البلاد من اجلها .

وانحط المسلمون[٢] الى اسفل دركة من دركات الرق والعبودية . وحلت المحاكم الاستبدادية محل المحاكم النظامية .وعرض الرجال والنساء فيالاسواق والحارات مصفدين بالسلاسل .

وتألفت في البلاد فرق كثيرة ، منها[٣] :

(**الداوية**) .اطلق المؤرخونالمسلمون هذا الاسم على جمعيـة فرسان الهيكل Templiers . اسسها (Rugh de Payns) سنة ١١١٩ م لحمـاية طريق الحجـاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس . انهم[٤]قوم من الافرنجيحبسون انفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون انفسهم عن النكاح وغـيره . لهم امال وسلاح .ويتعادلون القوة . ولا طاعة عليهم لاحد .

---

(١) جاء في (كتاب الاعتبار) لاسامة بن منقذ ص١١٨ طبع سنة ١٩٣٠ مـا يأتي : — « تعاقـد بغدوين البرونسي (يقصد بلدوين الثاني) صاحب البيت المقـدس مع روجار صاحب انطاكية يوم حج هذا الى بيت المقـدس على ان تكون انطاكية لبغدوين اذا مات روجار قبله ، وان يكون البيت المقدس لروجار اذا مات بغدوين قبله . وفي يوم الخميس ٥ جمادى الاولى سنة ٥١٣ هـ (١٤ آب ١١١٩ م) حدث ان نجم الدين أيلغازي بن ارتق لقي روجارفقتله، وقتل جميع عسكره .فسار بغدوين الى انطاكية وتسلمها . ولكنه لم يمكث فيها الا قليلا . »

(٢) المهتدي ص ٥

(٣) Barker , Enc. Br. VII, 533

---

(١) المهتدي ص ٧

(٢) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي .

(٣) المقريزي .

(٤) (النجوم الزاهرة)ج٦ ص٣٣(ومعجم البلدان)ج٢ ص٢٧٦

(**الاسبتارية**) او (الاسبتاليون). فقد اطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان المستشفى (Hospitaliers) . اسسها (Blessed Gerard) سنة ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس . وكانت دارها مأوى ينزل به الحجاج والمرضى من المسيحيين .

انهم[١] طائفة من رجال الدين. كان مبدأ امرهم في القرن التاسع الميلادي في ايطاليا . وكانوا يلقبون Notre Dame de la Scala ثم زاد عددهم في الحروب الصليبية لمساعدة الصليبيين من جهة ، ونشر الدين من جهة اخرى[٢] .

ثم تحولت الجمعيتان (الداوية والاسبتارية) الى هيئة حربية . واتخذتا المسجد الاقصى مقراً لاعمالها . وجعلتاه مخزناً لاسلحتها . فكان لرؤسائها وفرسانها شأن كبير في تاريخ الامارات والحروب الصليبية .

لم تؤثر الحملات الصليبية على البلاد من حيث **اللغة** . إذ ظل العرب عرباً يتكلمون العربية ويخاطبون الفرنجة عند الحاجة بواسطة التراجمة .

ولم يحاول الصليبيون ان يراعوا **عوائد البلاد** او يلبسوا الثياب التي يلبسها السكان . لا بل ظلوا متمسكين بعوائدهم .وراحوا يرتدون الثياب الفخمة التي لا تلائم الوسط الذي يعيشون فيه . واعتبر بعضهم هذا سبباً من اسباب انكسارهم . وقصارى القول ان البلاد لم تستفد من الحملات الصليبية كثيراً . وانما كانت غنائم الصليبيين منها كثيرة . منها[٣] :

(١) (النجوم الزاهرة) ج٦ ص٣٣

(٢) (دائرة المعارف الافرنسية) ج٢٠ ص٢٩١

(٣) (المختصر في تواريخ القرون المتوسطة) للقس بولس رحماني السرياني . ص٢٧٧ .

المعارف والصنائع التي تعلمها الصليبيون في بلاد المشرق واتوا بها الى اوربا . واتساع المتجر . وقعوا على فوائد شتى فيما يختص بالجغرافية والتاريخ والطب وغير ذلك . وجلبوا الى اوروبا انواعاً من النباتات كانت مجهولة لديهم . من ذلك قصب السكر . واتوا الى اوربا بالرقم الهندي الذي سموه الرقم العربي لاقتباسهم اياه من العرب .

كانت اوربا ، قبل الحروب الصليبية ، تسير في معاملاتها التجارية على اساس (التبادل العيني) . وما كانت تكترث بالنقد إلا قليلاً . وفي خلال الحملات الصليبية اضطر الصليبيون الى ابتياع حاجاتهم الضرورية بالنقد . وظل هذا النوع من التعامل سائداً بعد تلك الحروب .

٣٤ — من آثار الصليبيين في القدس :

١ — **كنيسة القديسة حنه** .

٢ — اضافوا الى البرج الكبير في قصر هيرودس الملك (**القلعة**) بعض الصحون والافنية . فصارت القلعة في شكل لا يختلف كثيرا عن شكلها الحالي .

٣ — كان يقوم على الشارع الذي يمتد من الزاوية الشرقية القبلية للكنيسة الروسية حتى باب القيامة ، في زمن الصليبيين ، ثلاث كنائس هي :

(١) **كنيسة القديسة مريم الكبرى**[١] .
St. Marie Major

(٢) **كنيسة القديسة مريم اللاتينية**[٢] .
St. Marie Latin

(١) هي التي بنيت على انقاضها كنيسة الالمان الحالية في الدباغة

(٢) يعتقد انها كانت تقوم في المكان الذي فيه الآن مدخل سوق الدباغة من الناحية الشمالية .

(٣) **كنيسة الداوية**[١] .
Church of Hospitallers

(٤) اقاموا بجانب كنيسة القديسة مريم الكبرى مستشفى لمداواة المرضى من الجند ومن سكان القدس المقيمين فيها ومن الحجاج النصارى الذين كانوا يفدون اليها . ويقول بعض المؤرخين ان هذا المستشفى كان يسع الفي مريض .

(٥) وعلى جانب المستشفى المتقدم ذكره انشأوا نزلا ، لايزال رواق من اروقته ظاهراً في يومنا هذا ، حيث تعيش اسرة الدكتور اينسلر الالماني في شارع الدباغة ويقال ان (**سوق البزار**) الذي يباع فيه الخضار الآن هو جزء من النزل الصليبي القديم وان شارع الدباغة الحالي كان يدعى (**شارع النخل**) ، وكان معداً للصاغة وتجار الحلي

٣٥ — واليك اسماء السياح الذين زاروا القدس خلال الحكم اللاتيني . وما قالوه عنها :

(أ) زار القدس بعيد مجيء الصليبيين ببضع سنوات(١١٠٢ م) الرحالة **سيولف الولشي** وقد ذكر في كتابه[٢] انه قضى في الطريق بين يافا والقدس يومين . وقد وصف وعورة الطريق واخطارها . فهي وعرة لانها جبلية ، وخطرة لان بعض السكان يرابطون في الطريق . هذا فضلا عن انه يوجد ثمة كثير من الحيوانات المفترسة . وويل للذين يقتلون على الطريق . فانهم لا يجدون من يجرؤ على دفنهم . اذ ان من يتأخر عن القافلة ليدفن رفيقه يعرض نفسه لخطر القتل والاغتيال من العرب الذين اصبحوا يكرهون المسيحيين[١] كرهاشديداً ، بسبب ما فعله الصليبيون بهم في بيت المقدس .

(ب) وزارها سنة ١١٠٦ للميلاد راهب روسي يدعى (**دانيال**) . وكتب عنها وعن كنائسها الشيء الكثير[٢] . ومما قاله ان القدس مدينة كبيرة ، تحيط بها اسوار منيعة عالية ،وان اسوارها بنيت بشكل مربع اضلاعه متساوية . ومع ذلك فان الحكم اللاتيني لم يكن موطد الاركان إلا في داخلها . واما في خارج الاسوار ، فقد كان حبل الامن مضطرباً . وان الثوار العرب كانوا منتشرين في جميع انحاء البلاد . وان التلال والوديان الكائنة بين القدس ووادي الاردن ،كانت ،مسرحاً للنمور والضباع والاسود ووحوش الفلا . وان المدينة محاطة بعدد من الوديان القاحلة والجبال الجرداء . وانه لا نهر فيها ، ولا عين جارية ، خلا بركة سلوان . وليس لدى السكان ما يشربونه او يسقون به دوابهم سوى مياه الامطار . ومما قاله دانيال : ان زراعة الحبوب ناجحة في تلك الاراضي

---

(١) يعتقد المسيحيون انها كانت في المكان الذي يقوم عليه الان المسجد العمري والمدرسة العمرية قبلي كنيسة القيامة .

(٢) Early Travels P. 33

(١) The pilgrimage of Saewulf. translated by Rev. the Lord Bishop of Clifton. P.8

(٢) Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel In the Holy Land, 1106 A. D. Annotated by Col. Sir C. w. Wilson K. C. B. ,K.C. M. G. ,F. R. S. ,R. E.

الصخرية رغم ندرة الامطار . وانه لمن فضل الله على سكان القدس ان تعطي الحبة التي يزرعونها ، قمحاً كانت ام شعيرا ، مئة وتسعين حبة ؛ مع ان الحبة الواحدة[١] لا تثمر في انحاء فلسطين الاخرى اكثر من خمسة وعشرين ضعفاً .

الى ان قال انه يوجد حول القدس مساحات واسعة من الكروم التي تزرع فيها اشجار العنب والتين والجميز والخروب والزيتون وما الى ذلك من الفواكه الاخرى .

(ج) ولقد توفي، في تلك الاثناء، **الامام الغزالي** محمد بن محمد بن محمد ابو حامد) الطرسي الفقيه الشافعي . توفي سنة ٥٠٥ هـ — ١١١١ م. وكان امام عصره. درس ، وافتى ، وصنف . ثم ترك ذلك كله ، ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم ، وحج . ثم قدم الى القدس[٢] . حيث أخذ في تصنيف كتابه المشهور في (احياء العلوم). وقد اتمه بدمشق .

(د) وقد زار القدس سنة ١١٧٢ م الرحالة الالماني **ثيودوريتش** فقال عنها: انها مدينة جبلية ، لكن صخورها جميلة ، فيها الابيض والاحمر والرخام المتعدد الالوان. وكلها صالحة لاخذ حجارة البناء . اما حيث يتجمع بعض التراب بين الصخور فتنمو جميع انواع الفواكه ، وتكون الجبال مكسوة بالكروم والتين والزيتون ·

(١) Physical History of Palestine by Kitto

(٢) (النجوم الزاهرة) ج٥ ص٢٠٣

واما الاودية فتملأها الحبوب والبساتين» . اكثر شوارعها[١] مبلطة بالواح كبيرة من الحجارة. وهي مسقوفة بعقود حجرية . فيها نوافذ يدخل منها النور. وبيوتها مبنية من الحجر الجميل النقش . واسطحتها مستوية . وليس لديهم اي ماء سوى ماء المطر الذي يجمعونه في آبار محفورة لهذه الغاية . والخشب غالي الثمن في القدس لانه يأتيها من مكان بعيد ألا وهو لبنان.

٣٦ — وكان يتردد على بيت المقدس في العهد الصليبي مؤيد الدولة ابو المظفر **اسامة**[٢] بن مرشد ابن علي بن المقلد بن نصر **بن منقذ الكناني** . الف كتاباً اسماه: (**كتاب الاعتبار**[٣]) . وقد جاء في الصفحة ٩٩ منه ما يلي :

« كل من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين . فمن جفاء اخلاقهم قبحهم الله انني كنت اذا زرت البيت المقدس دخلت الى المسجد الاقصى . وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة . فكنت اذا دخلت المسجد الاقصى وفيه الداوية، وهم اصدقائي ، يخلون لي ذلك المسجد الصغير اصلي فيه. فدخلته يوماً ، فكبرت ووقفت في الصلاة . فهجم علي واحد من الافرنج ، مسكني ورد وجهي الى الشرق. وقال: كذا صل .فبادر اليه قوم من الداوية، اخذوه واخرجوه عني . وعدت انا الى الصلاة فاغتفلهم · وعاد هجم علي ذلك نفسه . ورد وجهي الى

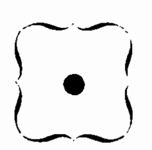
(١) رواد الشرق العربي .ص ١٣٦

(٢) كان فارساً شجاعاً واديباً كاتباً وشاعراً ولد في شيزر (٤٨٨هـ — ١٠٩٥م) ودخل القدس في عهد الصليبيين وفي زمن صلاح الدين (النجوم الزاهرة ج٦ص١٠٧)

(٣) طبع ليدن سنة ١٨٨٤

الشرق . وقال كذا : صل .فعاد الداويه.دخلوا اليه وأخرجوه. واعتذروا الي وقالوا: هذا غريب،وصل من بلاد الافرنج في هذه الايام . وما رأى من يصلي الى غـــير الشرق . فقلت حسبي من الصـــلاة . وخرجت » .

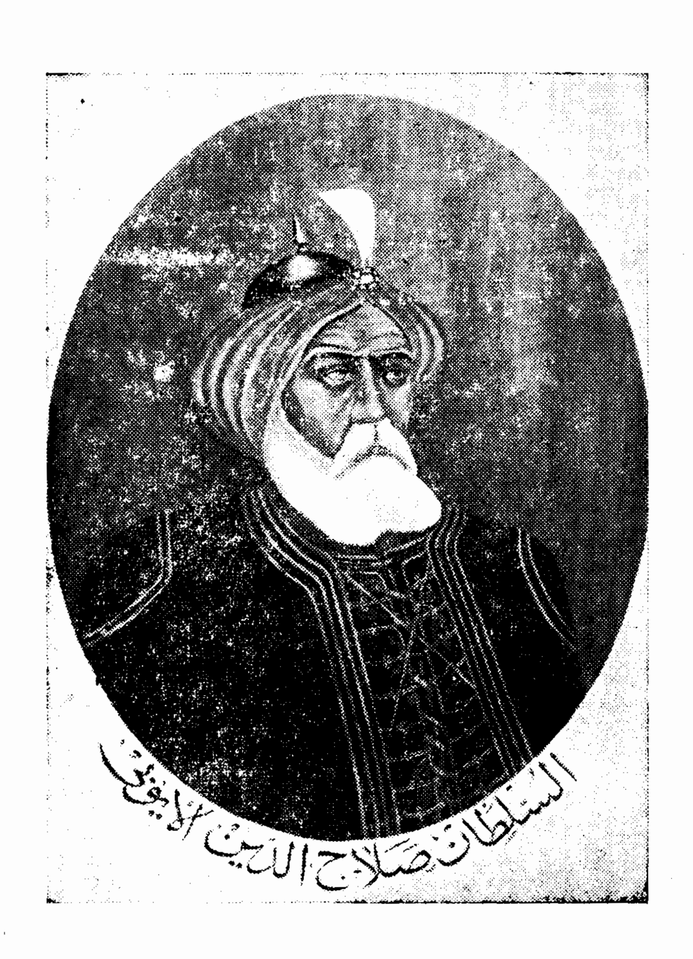
« وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة.يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته . يلقاه رجل آخر. يأخذ يد المرأة ،ويعتزل بها، ويتحدث معها؛والزوج واقف ناحية ينتظر فراغهـــا من الحديث . فاذا طولت عليه خلاهامع المتحدث مضى ! »



القدس في عهد صلاح الدين

كان العالم الاسلامي ، قبيل الفتح الصليبي ، يتخبط في دياجير الفوضى والانقسام . وكان الفاطميون من ناحية ، والسلجوقيون من ناحية اخرى ، ينازعون العباسيين السلطة . فراحت البلاد نهباً مقسماً بين هؤلاء وهؤلاء .

ولقد استغل الغرب هذا الانقسام ، فقام يرتب حملاته الصليبية ضده ، وراح ينتزع بيت المقدس من يده . وقد تم له ما اراد . الامر الذي فصلناه تفصيلا في الفصل الذي تقدم ذكره .



٢ – في **تلك الفترة من الزمن اقتطع بنو زنكي** (مماليك السلاجقة) ولاية الموصل . وامتدوا الى سورية . واشتهر منهم **نور الدين** بمناهضته للفرنج ؛ فامتلك دمشق (٥٤٩ هـ – ١١٥٤ م) ، واختار **اسد الدين شيركوه**[١] قائداً عاماً لجنده . ولقد غزا اسد الدين مصر ثلاث مرات ، وجرت بينه وبين الصليبيين وقائع كثيرة ، ابلى فيها بلاءً حسناً . فولاه (**العاضد**) الوزارة ولقبه الملك المنصور . ولما توفي اختار العاضد ، بطلب من امراء الجند ، ابن أخيه يوسف صلاح الدين[٢] للوزارة .

٣ – ناوأ **صلاح الدين** الصليبيين مناوأة شديدة واغار عليهم في الكرك وعسقلان والرملة وغزة ، فازعجهم . ثم فتح العقبة . وارسل اخاه شمس الدولة الى اليمن ، ففتحها . وتوغل هو في السودان وضمه الى مصر[٣] . وفي سنة (٥٦٧هـ – ١١٧١م) وبناء على طلب نور الدين ، امر بلبس السواد شعار العباسيين ، وخطب في الجوامع للخليفة العباسي **المستضيء** ، وقطع خطبة الفاطميين . فانقرضت بذلك الخلافة الفاطمية . وفي ١١٧٥ م ولاه الخليفة حكم مصر والنوبة والمغرب وسورية وفلسطين[٤] .

٤ – كان **الصليبيون** قد اسسوا ، بعد احتلالهم القدس ، اربع مقاطعات : الأولى في القدس ، والثانية في الرها وارفا ، والثالثة في طرابلس ، والرابعة في انطاكية . وكانت مقاطعة القدس اشدهن وقعاً واكثرهن تنكيلا بالمسلمين . وكان من ابطالها **البرنس ارناط** الذي حاول احتلال الحجاز وتخريب الكعبة وهدم قبر الرسول . حتى انه استحضر سفناً[١] ، وسار بها بحراً الى ثغر من الثغور القريبة من المدينة على شاطىء البحر[٢] .

اضف الى هذا ان **صاحب الكرك ريجنالد** اعتدى ، اثناء الهدنة ، على قافلة من القوافل الاسلامية (١١٨٦ م) ؛ فنهبها ، وأسر رجالها . فاعتزم صلاح الدين كسر شوكتهم ، وانقاذ البلاد من غطرستهم . ورأى بعين ثاقبة ان ذلك لا يتم له الا اذا احتل القدس التي كانت السبب في مجيئهم الى هذه البلاد . وفي الحقيقة ان فتح القدس واستردادها من الصليبيين كان يشغل بال المسلمين منذ زمن نور الدين .

٥ – ان من ينعم النظر في صفحات التاريخ يرى ان نور الدين لم ينقطع عن بث الارصاد وارسال الفدائيين الى بيت المقدس وما حولها من ديار ، مذ سقطت هذه بيد الفرنجة ، ليجوسوا خلال الديار ، ويعرفوا كيف ومن اين يمكن مهاجمتها واسترجاعها الى حضيرة المسلمين .

ففي سنة ٥٠٦ هـ – ١١١٢ م اغار المسلمون[٣] **على الضياع التي بين القدس وعكا . فخربوا ونهبوا وقتلوا** . ثم عادوا الى دمشق .

---

(١) عم صلاح الدين

(٢) اتفق اهل التاريخ على ان اباه واهله من (دوين) من اعمال اذربيجان. ومن قبيلة كردية. ولد سنة ٥٣٢هـ – ١١٣٧م بقلعة تكريت . (ابن خلكان) .

(٣) البرغوثي وطوطح .

(٤) ابن خلكان ص ٣٩٩ ورواد الشرق العربي ص ١٣

(١) اتى بها شقفاً مفككة ، وعبر بها الصحراء من الكرك الى العقبة ، وفي خليج العقبة ركبها ، فأخذت تجري في البحر.

(٢) المهتدي ص ٢٠

(٣) كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ . ص ٥٤

وحدثنا ابن ميسر في تاريخه[١] ما يأتي :

« بعد ان احتل الصليبيون بيت المقدس واخذوها من الافضل ، لم ينفك المسلمون عن ازعاجهم ومناوئتهم بين كل اونة واخرى . وفي التاسع من جمادى الاولى سنة ٥٥٣ هـ – ١١٥٨ م سار اليها عسكر ، فعاث وخرب وعاد بغنائم . . »

ولقد عثر الاستاذ (مكاليستر)[٢] في اسفل جبل الزيتون ، وعلى بعد ٦٠٠ متر من الزاوية الشمالية الشرقية من البرج المعروف قديماً ببرج اللقلق ، عند ملتقى وادي الجوز بوادي قدرون ، على مغارة مصهرجة بالجص ذات قاعتين مربعتين ، داخلية وخارجية ، ذرع كل منهما اربع في اربع تقريباً . تحتوي الداخلية منهما على بضع عشرات من الكتابات العربية المحفورة على جدرانها الثلاثة . فرسلها كما هي ، واودعها لدى الاستاذ الالماني (دالمن) . وهذا اطلع عليها العلامة السويسري (ماكس فان برشم) الاختصاصي في مثل هذه الامور . فعقد هذا فصلاً مطولا عن هذه النقوش في مجموعته القيمة ، ولكنه لم يوفق الى حلها .

زار الاستاذ عادل نفسه المكان ، فوجد على **الجدران كتابات عربية واسماء كتبت بخط كوفي ، يدل شكله على انه من آثار منتصف القرن السادس للهجرة . ولقد تمكن من قراءة الاسماء التالية :**

الله ولي بكر بن عمر ، حمزة بن حميد ، بشير بن عبدالله ، محمد بن سنان ، المنشيء اياس بن احمد ، عبد

(١) ص ٤٧٢

(٢) من مقال للاستاذ عادل جبر نشر في العدد ١٤ – ١٩٢٣ من مجلة (صوت الشعب) لصاحبها عيسى بندك .

الواحد بن السائب ، أيوب بن عبدالله . خرج وهو يسأل الله الشهادة .

وفي كهف قريب من المغارة نفسها ، عثر الاستاذ (دالمن) على حجر نقشت عليه بعض الكلمات رسمها الاستاذ (شيك) ونشرها في احدى المجلات سنة ١٨٩٢ م . وقد حلها (ماكس فان برشم) . فظهر انها اسم (عبدالله عثمان بن سعيد القصرى[١]) . واستنتج من خطها الكوفي انها والكتابات المتقدم ذكرها ترجع الى منتصف القرن السادس للهجرة ، اي في زمن الملك العادل نور الدين بن زنكي الملقب بالشهيد ، وهو الزمن الذي كانت القدس فيه في حوزة الافرنج .

ذهب بعض المستشرقين الى ان هؤلاء القوم طائفة من المتصوفين او الدراويش . وقال بعضهم انهم خوارج او قطاع طرق . ولكن الاستاذ عادل يؤكد انهم ابطال من رجال نور الدين كان يبعث بهم ، بين كل آونة واخرى ، ليجوسوا خلال الديار ، ويأتوا اليه بالخبر اليقين . لانه كان يسعى لاجلاء الصليبيين عن المدينة . ولكنه قضى نحبه ، قبل ان يدرك غايته . فقام بهذه المهمة ربيبه وخليفته صلاح الدين .

٦ – **عندما اجتاز نهر اليرموك قبل معركة حطين كانت قوة صلاح الدين ١٢٫٠٠٠ فارس و ١٢٠٠٠٠ متطوع . هذا على قول ابن الاثير . واما ابن الجوزى فانه يقول ان المتطوعين كانوا ٨٠٫٠٠٠ . ويقول مؤرخو الغرب ان مجموع الجنود الذين كانوا تحت امرة صلاح الدين لم يجاوزوا الـ ٧٠٫٠٠٠** (المهتدي : ص ٣٥) . ومهما كان الامر فانه مما لا

(١) القصرى نسبة الى قصر الخلفاء بمصر . وقد انتسب اليه كثيرون . منهم : فارس الدين بن ميمون القصرى ، وابوه ميمون القصري صاحب نابلس في ايام الملك العادل نور الدين الشهيد .

شك فيه ان المعركة الفاصلة التي قامت في حطين (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ – ١١٨٧ م) بينه وبين الصليبيين كان النصر فيها حليفه .

ان انتصار صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين[1] كان مقدمة لانهزامهم في بيت المقدس . وهذا الانتصار نفسه هو الذي قضى على امانيهم في استعمار فلسطين[2] . ان معظم سكان فلسطين كانوا في ذلك الحين من المسلمين . ولذلك استقبلوا اصلاح الدين بالترحاب . وفي بحر ايام قلائل اخذت الراية الصفراء ، راية صلاح الدين ، تخفق على اكثر المدن بفلسطين . وبعد ايام قلائل التحق به اخوه **العادل** الذي جاء من مصر لهذه الغاية . فسار الى بيت المقدس يريد افتتاحها

٧ – قيل انه كان في بيت المقدس شاب مأسور من اهالي دمشق ، وان هذا الشاب كتب على لسان القدس الابيات التالية وارسلها الى صلاح الدين :

يا ايها الملك الذي　　لمعالم الصلبان نكس
جاءت اليك ظلامة　　تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت　　وانا على شرفي منجس

اورد مجير الدين في كتابه الانس الجليل هذه الابيات ؛ وقال انها هي التي حمست صلاح الدين ، وجعلته يفكر في فتح بيت المقدس ؛ وانه بعد ان افتتحها التقى بالشاب؛ فآنس فيه الكفاءة ، فولاه خطابة المسجد الاقصى. واما نحن فنقول : ان القصة قد تكون واقعية من حيث كتابة الابياب وارسالها الى صلاح الدين .ولكننا نستبعد ان تكون هي وحدها التي حفزت صلاح الدين لفتح بيت المقدس. اذ كان صلاح الدين، كما قلنا في الاسطر المتقدمة ، قد اعتزم فتحها بعد معركة حطين . لا بل انا نجزم انه لولاها لما وقعت معركة حطين . حتى ان احد المنجمين حذر صلاح الدين من فتح بيت المقدس قائلا: انه قد يخسر احد عينيه، اذا هو دخلها . فأجابه قائلا :– « اني لاؤثر ان افقد بصري كله ، اذا كان من وراء ذلك فتح بيت المقدس[1] . »

٨ – اثبت صلاح الدين بمهارته الحربية التي استعملها ، انه امهر قائد[2] نزل الى ميادين الحروب خلال القرون الوسطى . فانظر ماذا فعل ؟ انه قبل ان يحاصر القدس ارسل الى قائده **لؤلؤ** رسالة ، امره فيها ان يراقب الشواطيء اثناء حصاره بيت المقدس، لئلا يأتي الصليبيين مدد من اوربا . وأمره بالاستيلاء على اي مركب او سفينة لاتينية يراها تمخر في البحر. ولم يهاجم القدس ، الا بعد ان استولى على عسقلان وبيت جبرين من الجنوب ، وبعد ان طهر وادي الاردن من الشرق .

٩ –في ٢٠ أيلول ١١٨٧ شوهدت طلائع جيش صلاح الدين تقترب من اسوار بيت المقدس الى الغرب آتية من الخليل . وقد كانوا مزيجاً من العرب والكرد والاتراك . فعسكروا في النيكوفورية بين المحطة وبركة ماملا . ولكن سرعان ما ظهر لصلاح الدين ان هذا المكان ليس بمناسب لاجل الشروع في عمليات الحصار . وان الصليبيين المحاصرين قد يستغلونه لمصلحتهم . لان السور الغربي مشيد على أكمة مرتفعة. وعلى السور في تلك الناحية

---

(١) المهتدي ص ٥٠ و (كتاب الروضتين في اخبار الدولتين) لمؤلفه ابي شامة ص٢٦٠

(٢) وصف (العماد الكاتب) في كتابه (البرق) ص٢٧٠ السنة التي انتصر فيها المسلمون على الصليبيين في حطين ب(السنة الحسنة المحسنة) .لان فيها وقعت كسرة حطين، وفيها فتح الساحل ، وفيها فتحت الارض المقدسة كلها للمسلمين .

(١) لم يذكر هذه الرواية احد من المؤرخين سوى ابن الجوزي . جزؤ ٨ ص٢٥٤ .

(٢) المهتدي ص٥٨ .

ابراج مسيطرة على المواقع التي احتلها . فلا يستطيع بناء الابراج التي كان لا بد من بنائها لضرب المدينة بالمنجنيقات . والاراضى هناك من ناحية طبوغرافية لا تسمح بمثل هذه العمليات . اضف الى هذا ايضا ان الشمس التي تشرق من الشرق ، ستكون دوماً معاكسة للجيش الذي ياتي من الغرب طيلة النهار : من ساعة اشراقها من وراء جبل الزيتون حتى غروبها وراء ظهورهم . فلا يستطيع هذا ان يحارب خلال تلك المدة . ولهذا ارسل صلاح الدين طلائعه ليستكشف الجهات الاخرى . ولما اتم كشفه في اليوم الخامس ، نقل جيشه الى الناحية الشمالية تجاه اسوار المدينة من الشمال[١] . الارض هنا واسعة ومنبسطة . انها تتسع لتخييم الجيش براحة وسهولة . وبامكانه هنا ان يقترب من السور ، وان يلغمه دون كبير عناء . اذ لا آكام ولا هضاب . اضف الى ذلك ان السور من الناحية الشمالية كان اضعف من غيره واكثر انخفاضاً . وكانت هناك طريق موازية لاستقامة السور . ومع ذلك فقد قضى صلاح الدين في هذه الناحية عشرين يوماً ، قبل ان يتمكن من احتلال المدينة . ذلك لانه كان يحتاج الى بعض الوقت لتركيب الآت الحصار . ولا تنس انه كان في القدس يومئذ[٢] ستون الف مقاتل خلا النساء والاطفال . وكانت محوطة بسور منيع . فما كان من السهل احتلالها قبل ان يعد جميع المعدات التي تنيله مأربه .

(١) يقال انه عسكر هذه المرة في البطحاء الكائنة بين المكسوبية وباب العمود وباب الساهرة .

(٢) ابن الجوزي ج٨ ص٢٥٤ . وكذلك (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) للقاضي بهاء الدين ابي المحاسن يوسف ابن تميم المعروف بابن شداد .

١٠ — عندما اتم صلاح الدين ترتيباته ، وركب الآت الحصار ، واصبح قادراً على اقتحام الاسوار ؛ بعث في طلب اشراف المدينة وخاطبهم بقوله[١] : « انني احترم مدينة القدس ، ولا ارغب في انتهاك حرمتها باراقة الدماء فيها . ولهذا انصحكم بترك المدينة . واتعهد من جهتي بان اعوضكم عن اموالكم بالاموال والاراضي » . ولما رفض هؤلاء الاذعان لنصحه ، اخذ يضربها بالمنجنيق ؛ فقام قتال عنيف بين الفريقين[٢] مات فيه خلق كثير من الجانبين . ولكن دفة المسلمين كانت هي الراجحه . اكثر الابراج قد تهدمت ، والسور قد انثلم من ناحية وادي جهنم[٣] . فيئس الصليبيون ، وارسلوا رسلهم[٤] الى صلاح الدين ، يعرضون عليه الاستسلام ؛ فرفض في باديء الأمر ، قائلاً : « انه لن يمنحهم الشروط الطيبة التي منحها لغيرهم . ولا بد من دخول القدس ، كما دخلها الصليبيون قبل ٨٨ عاما » .عندئذ استولى الخوف على سكان المدينة . فذعرت النساء ، وبكى الاطفال ، وراح الرهبان يولولون في شوارع المدينة ، ويندبون سوء المصير .

ثم عادوا ، فارسلوا **باليان** ليفاوض صلاح الدين . وقد طلب منه الصلح باسم اله البشر اجمعين . ومما قاله هذا لصلاح الدين[٥] : « انه اذا ظل مصراً في طلبه ، فانهم لن يسلموا . في البلاد عدد كبير من الناس . انهم لن يسلموها بسهولة . سوف يذبحون نساءهم ، لئلا تقع في ايدي المسلمين . ويهدمون الصخرة والاقصى . ويقتلون المسلمين من الاسرى

(١) تاريخ العرب والتمدن الاسلامي .

(٢) ابن خلكان ج٢ ص٥١٨

(٣) الانس الجليل لمجير الدين .

(٤) الرسول الذي ارسله الصليبيون لمفاوضة صلاح الدين هو (باليان بن نيرزان) صاحب الرملة (ابن العبري ص٣٨٤) .

(٥) ابن الاثير . ج ١١ ص ٢٠٧ .

الذين كانوا في المدينـة وعددهم خمسة آلاف . ثم يحاربون حرب الابطال » . استشار صلاح الدين[١] قواده ورجاله ، وبناء على مشورتهم منح الصليبيين ما يطلبون . واتاح لهم مغادرة المدينة لقاء الجزية ، على ان تدفع خلال ٤٠ يوماً . ووضع على ابواب المدينة امنـاء ليحصلوا الجزية . فابتدأ خروج المسيحيين في اليوم الثاني من اكتوبر . وفي ذلك اليوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ — ٢ اكتوبر ١١٨٧ م احتل المسلمون القدس . وكان الوقت بعد بزوغ الشمس بثلاث ساعات[٢] .

١١ — اظهر صلاح الدين شيئا كثيراً من التسامح في معاملة النصارى[٣] :

(أ) رغم انه حدد الفدية بعشرة دنانير شامية عن كل رجـل ، وخمسة دنانير عن كل امرأة ، ودينار واحد[٤] عن كل طفل ؛ وحصل عن هـذه الطريق ما يقرب من مئة الف دينار ؛ فانه عفا عن كثيرين منهم ، فلم يدفعهم الجزية . ويقول المؤرخون : انـه افتدى هو وحـده عشرة آلاف شخص . واطلق اخوه **سيف الدين ابو بكر** الملقب بالملك العـادل سراح سبعة آلاف شخص .

(ب) سمح لجميع الجنود الصليبيين بان يغادروا المدينة مع اطفالهم وعائلاتهم خـلال اربعين يوماً . وضمن لهم سلامة الرحيل الى صور وطرابلس .

(ج) امر بان توزع الصـدقات على الفقراء والمرضى والارامل واليتامى والمقعدين ، وان يزودوا بالدواب .

(د) استأذنته الملكة (**ازبيلا**) بالسفر ، فاذن لها ولرهط كبير من النساء اللواتي كن معها . ولم يكتف بذلك ، بل أمر برد الاسرى الى اقاربهن .

(هـ) سمح لرجال الصحة — رغم انهم اشهروا السلاح عليه — بان يواصلوا اسعاف الجرحى ومعالجـة المرضى والعناية بالحجاج المسيحيين .

وامـا نصارى بيت المقدس[١] فقـد سمح لهم بان يسكنوا فيها ، ولا يخرجوا ، وان يؤمنوا ، ولا يزعجوا . واقام فيها وفي اعمالها منهم الوف .

١٢ — جـاء في البرق[٢] : « وشرع الفرنج في اخـلاء البيوت ، وبيـع ما ادخروه من الاثاث والقوت . وامهلوا حتى باعوا بارخص الاثمان . وكان خروجها اشبه بالمجان . لا سيما ما تعذر نقله لثقـله وصعوبة حمله . وكانوا كما قال الله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك واورثناها قوماً آخرين » .

(١) النجوم الزاهرة ج٦ ص١١٠ .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك .

(٣) العرب والتمدن الاسلامي ص٣٠٧ .

(٤) قال القـاضي ابن شداد ان الجزية التي حصلت عن كل صغير ، ذكراً كان او انثى ، كانت دينارا واحدا . واما العماد فانه قال : انها كانت دينارين . وقيـل انها كانت في الاصل دينارين ، ثم خفضت الى دينار واحد .

(١) هذه الرواية التي وردت في (تاريخ العرب والتمدن الاسلامي) ايدتها اكثر الروايات الاسلامية . وانا لعمر الحق لا ندري كيف نوفق بينها وبين رواية الانس الجليل؟ اذ قال مجير الدين : ان الذين لم يدفعوا الفدية وعددهم زهاء خمسة عشر الف (سبعة الاف رجل وثمانية الاف امراة وطفل) بقوا في القدس ودخلوا في الرق . وفي السلوك ج١ ص٩٦ ان ستة عشر الفاً ممن لم يقدروا على شراء انفسهم اسروا

(٢) (كتاب الروضتين في اخبار الدولتين) ص ٣٣٨

وغلبوا على ما في الدور من الماعون والمدخور . اما الصناديق والاخشاب والرخام وما يجري مجراها مما توفرت منه الانواع والاقسام ، فانها بقيت بحالها متروكة » .

واشار العماد الكاتب على السلطان ان لايسمح لهم باخذ ما كان على القبر من صفائح الذهب والفضة ، وكانت تقدر بمئتي الف الدينار ، قائلاً له: اعطيناهم الامان في اموالهم لا على اموال الكنائس والديارات .

فرفض السلطان ذلك لئلا يتهم بالغدر .

١٣ – كتب **عماد الدين** بوصفه امين السر لصلاح الدين ٧٠ كتاباً يخبر المسلمين بالفتح .

ومما جاء فى الكتاب الذي ارسله الى الامام **الناصر لدين الله** ابي العباس احمد بن الامام المستضيء بامر الله قوله[1] :

« اجتمع في القدس كل شريد منهم وطريد . واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد . وظنوا انها من الله مانعتهم ، وان كنيستها الى الله شافعتهم . فلما تركها الخادم رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم التناد ، وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت . فنزلت بعرصته ، وهان عليها مورد السيف وان تموت بغصته . فنازل البلد من جانب : فاذا اودية عميقة ، ولجج وعر عميقة ، وسور قد انعطف عطف السوار ، وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار ؛ فعدل الى جهة اخرى كان للمطالع عليها معرج ، وللدخيل فيها متولج . فنزل عليها ، واحاط بها ، وقرب منها ، وضرب خيمته بحيث يناله السلاح باطرافه ، ويزاحمه السور باكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وحاجزها ثم ناجزها ، وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع جمعها ؛ فاذا هم لا يصبرون على عبودية الحد عن عتق الصفح . فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة وانتظار النجدة . فعرفهم الخادم في لحن القول ، واجابهم بلسان الطول . وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عقبها وحبالها ، واوتر لهم التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولا تفارق سهامها نصالها . وقدم النصر بشيراً من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض ، ويعلو علوه الى السماك . فحينئذ يئس الكفار من اصحاب الدور ، كما يئس الكفار من اصحاب القبور ، وجاء امر الله وغرهم بالله الغرور . . » .

١٤ – بعد احتلال القدس انتشر جنود صلاح الدين في شوارع المدينة واحيائها : يحفظون الامن والنظام . ويحولون دون الفوضى والسرقات . فلا نهب ، ولا نزاع ، ولا هم يحزنون . وقد رفعت الاعلام الاسلامية على اسوار بيت المقدس ، ونصب صلاح الدين مخيمه خارج السور ، ليتمكن من استقبال الوفود الكثيرة التي جاءت لتهنئته . ويقول ابن الجوزي[1] : ان عدد المشايخ والرؤساء الذين جاءوا لتهنئته ، زاد عن الالف .

ثم وزع العطايا والهبات[2] على قواد جيشه وامرائه . واقام الولائم . واطعم الاسرى من المسلمين الذين كانوا بيد الصليبيين . وبعد ان اكرمهم

(١) (كتاب الروضتين في اخبار الدولتين) ص ٣٢٠ ابن خلكان ص ١٩ ٤

(١) رواد الشرق العربي ص ٧٤ .

(٢) جاء في النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٠ ان صلاح الدين اضطر لان يبيع ضيعة من ضياعه ، ليتمكن من تفريق على ثمنها المجاهدين من رجاله وقادة جيشه .

وكساهم ، ارجعهم الى بلادهم . وقد احسن صلاح الدين الى عدد كبير من العلماء .

كان معه اثناء الفتح الفقيه **عيسى بن محمد** بن عيسى بن محمد بن احمد بن يوسف بن القاسم بن عيسى ابن محمود بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب . فقد اكرمه اكراما زائداً وراح يستشيره في اكثر اموره .

ومن الذين قربهم اليه الرحالة والطبيب اللغوي والعالم المعروف موفق الدين عبد اللطيف البغدادي . فقد زار هذا بيت المقدس بعد الهدنة خصيصا للقاء صلاح الدين . واجتمع عنده بقاضي العسكر بهاء الدين بن شداد ، والقاضي الفاضل ، والعماد الكاتب وغيرهم كثيرين . ووصف موفق الدين مجلس صلاح الدين بقوله :

ان **نجم الدين يوسف** الحسين بن المجاور الوزير العزيزي ارسل اليه من مصر قصيدة ، جاء فيها :

يا ايها الملك الذي لطباعه
وسيوفه خلقا رضى وتعسف
لله يوم عروبة اذا عربت
ساعاته عن نصرك المتصرف
سنت سيوفك في الرؤس ختانة
ذهبت بهجة كل علج اقلف
ما للسواحل غير بحرك حافظ
بشبا سنان او بصفحة مرهف
احييت دين محمد واعمدته
وسترته من بعد طول تكشف
وضبطت ديوان الجهاد بعامل
من عامل وبمشرف من مشرفي
وبجهد العزم الذي لا ينثني
وبناظر الرأي الذي لم يطرف
فخذ الخراج من البسيطة كلها
واستأد فرض جزية وموظف
واقبض على الدنيا بكف زهادة
وابسط لرحمتها جناح تعطف
جاءت جنود الله تطلب ثارها
وصدورها بك عن قليل تشتفي
فانهض بها وتقاضى حقك موقنا
ان الاله بما تؤمله حفي
انت اصطفيتهم لنصرة ديننا
لله در المصطفى والمصطفى

١٥ — بعد ان تقبل صلاح الدين تهاني المهنئين شرع في تنظيم المدينة . فذهب ، قبل كل شيء ، الى مسجدي الصخرة والاقصى . وازال ما بهما من آثار نصرانية[١] . انه ازال النقوش والصلبان التي رسمها الصليبيون على جدران الصخرة الداخلية ، وغطاها بالرخام . وغسل الصخرة بماء الورد ، فبخرت وفرشت . وامر بعمارة المسجد الاقصى وتخشيبه ورصفه بالفسيفساء والرخام .

ان في اقصى الجنوب بالمسجد الاقصى ، قبة مرفوعة مزينة بالفصوص الذهبية الملونة . هذه على الغالب صنعت في خلافة المهدي ورممت في زمن الفاطميين وعلى عهد صلاح الدين الايوبي . ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه . فرسم[٢] للقاضي محيي الدين محمد بن زكي الدين علي القريشي ان يخطب في المسجد الاقصى . فخطب ودعا للخليفة الناصر وللسلطان صلاح الدين . وانتصب بعد الصلاة ،

(١) كان الصليبيون قد حولوا مسجد الصخرة الى كنيسة ، واقاموا فيها مذبحاً ، واتخذوا جانباً من مسجد الاقصى كنيسة والجانب الاخر مخازن ومنازل . وقد ملؤها بالصور والتماثيل

(٢) الانس الجليل .

زين الدين بن نجا، فوعظ الناس. وكانت تلك هي اول جمعة[١] صليت بالمسجد المذكور بعد الفتح الصلاحي (**الجمعة ٤ شعبان ٥٨٣ هـ**).

ثم امر بترخيم المحراب العمري القديم. وانك لتقرأ اليوم فوق محراب المسجد الاقصى السطور التالية منقوشة بالفسيفساء المذهبة : « بسم الله الرحمن الرحيم. امر بتجديد هذا المحراب المقدس، وعمارة المسجد الاقصى الذي هو على التقوى مؤسس، عبد الله ووليه يوسف بن ايوب ابو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين، عندما فتحه الله على يديه في سنة ٥٨٣ هـ وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة، واجزال حظه من المغفرة والرحمة ».

ثم امر بان ينقل الى المسجد الاقصى المنبر[٢] الذي امر بصنعه نور الدين زنكي في حلب (٥٦٤ هـ – ١١٦٨ م). وانك لتقرأ الآن على خشب المنبر الكلمات التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم. امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لاعداء دينه **الملك العادل نور الدين** ذكر الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ناصر امير المؤمنين، اعز الله انصاره وادام اقتداره واعلا مناره ونشر في الخافقين الويته واعلامه واعز اولياء دولته وازال كفار نعمته. وفتح له وعلى يديه. وذلك في سنة ٥٦٤ هـ »[٣].

(١) قال القاضي ابن شداد : ان الجمعة صليت ببيت المقدس يوم فتحه. واما العماد فانه قال : ان يوم الفتح ضاق عن ذلك، فصليت في يوم الجمعة التالي.

(٢) (الكامل في التاريخ) لابن الاثير ج ١١ ص ٣٦٥.

(٣) هذه وما اليها من اعمال قام بها صلاح الدين في مسجد الصخرة والاقصى ذكرناها بالتفصيل في كتابنا : (تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك). طبع في (دار الايتام الاسلامية) بالقدس عام ١٩٥٨. لناشره الاستاذ فوزي يوسف صاحب (مكتبة الاندلس).

١٦ – واما كنيسة القيامة، فقد فكّر صلاح الدين، في باديء الامر، ان يأمر باغلاقها. ولما استشار اصحابه، اشار بعضهم بهدمها، خشية أن يلجأ الصليبيون اليها، ويتحصنون فيها. واما باقي الصحاب فقد نصحوه ألا يفعل ذلك، وان يعامل خصومه بالحسنى اسوة بعمر بن الخطاب. فعمل بنصحهم. ولم يهدمها. ولكنه اكتفى باغلاقها مؤقتاً، ريثما ينتهي القتال. وعندما استتب له الامر، عاد فامر بفتحها. ففتحت. وقد سمح للمسيحيين بحرية العبادة فيها، على ان يدفع كل شخص يغشاها من الفرنج قطعة يؤديها عند الدخول. واستثنى من ذلك النصارى سكان البلاد.

١٧ – رحل الصليبيون الذين غادروا بيت المقدس الى انطاكية، وطرابلس، وصور. فتجمع منهم في هذه المدن والثغور خلق كثير. وراح هؤلاء يتلقون النجدات التي اخذت بعد ذلك ترد اليهم تباعا عن طريق البحر.

ولم يكن صلاح الدين بغافل عما فعله الصليبيون. فقد اتى بعدد من القبائل العربية، واقطعها لهم. فتوطن القدس[١] قبائل من بني حارث، وكانت منازلهم عند القلعة خارج المدينة. وحارة بني مرة من جهة الغرب الشمالي الى سوق الفخر (خان الزيت). وحارة السعدية لبني سعد، وكانت لهم حراسة باب الخليل ومفتاحه بيدهم. ويلي عقبة الشيوخ من جهة الشمال حارة بني زيد. وحارة الجرامنة سوق القطانين. ثم وزعهم على البلدان. ورتب الاعياد والمراسم المعروفة في بلادنا[٢]. ومنها : (موسم

(١) البرغوثي وطوطح.

(٢) هناك اعتقاد آخر وهو ان هذه الاعياد والمواسم من وضع الملك الظاهر بيبرس. واما انا فاقول : ان الذي انشأ الفكرة هو صلاح الدين. واما الذي وسعها واضاف اليها، فهو الظاهر بيبرس.

النبي موسى) لاهل القدس واعمالها . و (موسم النبي صالح)للرملة واعمالها . و (موسم الداروم) لغزة واعمالها . وكذلك قل عن (موسم المنطار). و (موسم الحسين) لعسقلان واعمالها . و (موسم ابي عبيدة بن الجراح) لعرب المساعيد والمشالخة والصقر . و (موسم النبي روبين) ليافا واعمالها . و (موسم ابي العيون) لبنى صعب والشعراوية . وكذلك قل عن (علي بن عليم) . وغير ذلك كثير . وجعل هذه المواسم كلها تابعة لموسم (النبي موسى) الذي جمع له قرى بني مالك وبني حسن وجبل القدس والوادية . وعززهم بجبل الخليل ونابلس الذين يردون متعاقبين الى القدس مع اسلحتهم ومؤنهم وذخائرهم استعداداً للطوارىء . فتصادف هذه المواسم (عيد الفصح) الذي يأتي فيه الأوربيون لزيارة القدس . والسبب في ذلك ان الصليبيين كانوا نكثوا العهد مراراً. فخشي صلاح الدين ان هم دخلوا القدس زواراً ، ان ينقلبوا جنوداً ، فيحتلون المدينة .

١٨ – قبل ان يغادر القدس ، عهد صلاح الدين بادارتها الى اخيه الملك العادل (**ابو بكر سيف الدين**) . فاتخذ هذا دير القديسة مريم على جبل صهيون داراً للحكم . ونزلها هو وجنده . ولما رحل عنها صلاح الدين رحل معه اخوه الملك العادل . فتولى ادارة القدس احد امرائه الامير **حسام الدين** ساروج التركي[١] . واستمر هذا على ولايته الى وقوع الهدنة بين السلطان والافرنج في سنة ٥٨٨ هـ – ١١٩٢ م . فتولاها بعد الهدنة الامير **عز الدين جرديك** .

١٩ – رحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان ، يريد عكا . فاتته ، وهو في عكا ، رسل

(١) الانس الجليل ص ٦٠٥

الملوك لتهنئتة بفتح بيت المقدس : من الروم والعراق وخراسان . وارسل الى امبراطور الدولة البيزنطية (اسحاق القاني) بعثا ليخبره بما تم على يديه من الفتوح ، وليسلم اليه مائة وتسعين رجلا من رعايا الدولة البيزنطية ، كانوا قد وقعوا في يده اثناء حروبه ضد الصليبيين . ونتج عن هذا البعث ان عقد الامبراطور والسلطان حلفاً سنة ٥٨٥ هـ – ١١٨٩ م كان من اثاره عداء عواهل غرب اوربا للدولة البيزنطية[١] .

٢٠ – زار صلاح الدين القدس مرة اخرى بعد الفتح . وكان ذلك في ثامن ذي الحجة سنة ٥٨٤ هـ . ونزل هذه المرة في دار القسس المجاورة لكنيسة القيامة من الشمال والغرب ، وقد اتخذها – كما ذكرنا في غير موضع من هذا الكتاب – مسجداً ورباطاً للصلحاء الصوفية .

٢١ – انتعشت الحركة التجارية في البلاد على اثر الفتح الصلاحي ، حتى أن السياح الذين زاروا القدس في تلك الآونة قالوا : « ان من صادراتها الجبن والقطن والزبيب والتفاح وقضم قريش الذي لا نظير له والمرايا وقدور القناديل والابر والالبان » .

ان السوق المسقوف الواقع شرقي كنيسة الدباغة ، والذي نسميه الآن سوق المبيضين ، كان على عهد صلاح الدين ، سوقاً للخضار . والقسم غير المسقوف منه ، وهو الممتد من سوق المبيضين في الجنوب الى الشارع المؤدي الى كنيسة القيامة في الشمال ، كان سوقاً لبيع الدجاج والجبن وجميع انواع الالبان في ذلك الزمان .

(١) السلوك ج ١ ص ٩٨

واما السوق الذي نسميه في يومنا هـذا سوق العطارين ، وهو الكائن شرقي السوقين المتقـدم ذكرهما ؛ فانه كان في تلك الايام سوقاً للمطـاعم والحـلاقين .

٢٢ – لا يسعنا قبل ان نختم هذا الفصل الا ان نشير الى المؤسسات التي انشأها صلاح الدين في بيت المقدس . ومنها : البيمارستان ، والخانقاه ، والمدرسة الصلاحية ، والسور والخنـدق الذي حوله ، ومقبرة باب الساهرة ، وقبـة يوسف ، والجامع الذي على جبل الطور .

البيمارستان :

اما (البيمارستان)[١] فقد انشأه سنة ٥٨٣ هـ – ١١٨٧ م .أنشأه في الحي المعروف الآن بالدباغة. وكان فيما مضى يشمل المـكان المعـروف بسوق البازار والبقعة الكائنة في شماله وشطراً من الارض التي تقوم عليهـا كنيسة الدباغة[٢] وشطراً من الارض التي تقوم عليهـا سوق افتيموس للروم الارثوذكس .

جاء في (تاريخ البيمارستانات في الاسلام[٣]) : ان السلطان صلاح الدين ، عندما فتح القـدس ، امر بان تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاشبتـار بقرب حمامه مارستانا للمرضى . ووقف عليها[١] مواضع . وزودها بالادوية والعقـاقير الغزيرة . وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع ابي تميم . وقال النويري[٢] : وعزم السلطان صلاح الدين على الحج .ثم عاد الى القدس ورتب احواله . وعـين الكنيسة التي في شارع قمامة بيمارستانا ، ونقل اليه العقاقير والادوية .

ولقد ذاع صيت هذا البيمارستان في عهد صلاح الدين وفي العهود التي تلته . اذ كان يداوي الجرحى والمرضى من الجنود والاهلـين ويوزع الادوية والعقاقير على الناس بلا مقابل .

ومن الاطباء الذين عمـلوا في المارستـان الصلاحي بالقدس رشيـد الدين بن علي الصوري . المكنى بابي الفضل . وقيل[٣] ان اسمـه الحقيقي ابو المنصور بن ابي الفضل بن علي الصوري . ولد في صور ، وتعلم صناعة الطب ، واقام بالقدس يطبب المرضى (٦١٢ هـ – ١٢١٤ م) . وكان وحيد زمانه في معرفة الأدوية . فقربه الملك العادل اليه . وبعد وفاة الملك العادل صار طبيباً لابنه الملك المعظم عيسى. وله عدة مؤلفات . توفي سنة (٦٣٩هـ – ١٢٤٢م).

ومنهم : يعقوب بن صقـلان (وفي قول آخر صقـلاب) النصراني المقدسي . ولد بالقدس. وقرأ الحكمة والطب. واقام بالقدس في مباشرة البيمارستان الصـلاحي . ذكره ابن القفطي في كتـابه (تاريخ الحكماء) . فقال : انه ظل مقيماً فيه حتى عـام (٦١٥ هـ – ١٢١٨ م) . وكان من المقربين الى الملك

(١) كلمة فارسية مؤلفة من (بيمار) ومعناها المريض او العليل و (ستان) ومعناها المنزل او المكان وقد حرفت مع الزمان فصارت (مارستان) و (مرستان) . وبعد ان كانـت تطلق على المستشفى من اي نوع كان ، راح الناس يطلقونها على مستشفى الامراض العقلية فقط .

(٢) اكتشف الالمان بين الانقاض ، وهم يحفرون اساس هـذه الكنيسة ، حجارة نقش عليها اسم صلاح الدين واسماء الذين تولوا الحكم من بعده . (مجلة الراعي الصالح) السنة الثانية الجزء الثاني عشر ١٥ آذار ١٩٤٥ ص ٤٣٧

(٣) للدكتور احمد عيسى بك ص ٢٣

(١) (عقد الجمان) للعيني .

(٢) (نهاية الارب في فنون الادب) حوادث سنة ٥٨٨ هـ .

(٣) (تاريخ البيمارستانات في الاسلام) للدكتور احمـد عيسى طبـع في دمشق سنة ١٣٥٧ هـ – ١٩٣٩ م . ص ٢٣٠ – ٢٣٣ .

المعظم عيسى بن الملك العادل . فنقله الى دمشق . وصار طبيبه الخاص .واصابه نقرس ووجع مفاصل اقعده عن الحركة ، حتى قيل : ان الملك المعظم اذا احتاج اليه استدعاه في محفة تحمل بين الرجال.

قال الاستاذ رئيف الساعاتي [١] :

ان هذا البيمارستان انهار كغيره من المباني مع الايام . وان الزلزال الذي حدث عام ١٤٥٨ ماتى على البقية الباقية من انقاضه . ولعله يقصد البناء الاصلي الذي شيده صلاح الدين. اذ ان السجلات[٢] التي عثرنا عليها في المحكمة الشرعية بالقدس ، تدل على انه كانت هناك في اواسط القرن الثامن عشر ، مؤسسة تعرف بالمارستان الصلاحي؛حتى ان القاضي عين زين بن امام قلعة البرك في وظيفة خدمة المرضى والمجانين بالمارستان الصلاحي بعثمانين في كل سنة ، عوضاً عن حجازي بن العجمية لوفاته . وقد امره بتقوى الله في عمله ، وبالاستنابة عند الحاجة. وحضر المتولي على الوقف عبد الله العلمي وبقية المتولين ، واحالوا الى زين ، نظير خدمته ، اجرة الحاصلين الكائنين بالدباغة ، المعروفين بالسجن اللذين كان يتناول اجرتها حجازي المزبور الخادم السابق بما لها من الاجرة في كل سنة ، وقدرها ستة غروش عددية . وقبل ذلك ، وفي سنة (١١٦٧هـ-١٧٥٣م) كان متولى وقف البيمارستان الصلاحي محمد بن نجم الدين افندي العلمي .

الخانقاه الصلاحية

اخذ صلاح الدين جانباً من منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة من ناحيتها الشمالية ، وبعضها راكب على ظهر الكنيسة ، فحوله الى جامع ورباط اوقفه خانقاه للصوفية[١] . وتاريخ الوقف في الخامس من شهر رمضان سنة ٥٨٥ هـ - ١١٨٩ م .

وقد صارت هذه في الاسلام داراً للمجاهدين . عليها منارة انشئت زمن المماليك . انشأها الشيخ برهان الدين بن غانم شيخ الخانقاه حوالي سنة ٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م .

ونقل مجير الدين الحنبلي عن الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ عبدالله البغدادي ، انه لما قصد الشيخ برهان الدين بن غانم بناء المنارة المذكورة شق ذلك على النصارى بالقدس ، لكونها على كنيسة القمامة . فاجتمع رأيهم على دفع مال كثير للشيخ برهان ، على ان يترك بناءها ، فلم يقبل .

المدرسة الصلاحية :

جعل صلاح الدين كنيسة القديسة حنه[٢] مدرسة للشافعية . وفي ذلك يقول مجير الدين : « وفاوض السلطان جلساءه من العلماء في مدرسة للفقهاء الشافعيين ورباط للصلحاء الصوفيين،فعين للمدرسة الكنسية المعروفة بصند حنه . ويقال ان فيها قبر حنة ام مريم عليها السلام . وهي عند باب الاسباط . ووقفها في ثلاث عشر رجب سنة ٥٨٨هـ . ووظيفة مشيختها من الوظائف السنية في الاسلام »

(١) مجلة (الراعي الصالح) . السنة الثانية . الجزء الثامن عشر ١٥ آذار ١٩٤٢ ص ٣٤٦ .

(٢) السجل ١٨٨-٢٢١ الصفحة ٢٦٣ التاريخ ١١٣٩هـ-١٧٢٦م.

(١) مجير الدين ج ١ ص ٣٠٢

(٢) يعتقد المسيحيون ان هذه الكنيسة بنيت في المكان الذي كان يقوم عليه ، قبل ميلاد المسيح ، مسكن يواكيم وحنه والدي مريم البتول . حفظت هذه الكنيسة ، كما حفظ غيرها من الكنائس ، في الفتح العمري . ولكنها هجرت في اوائل القرن التاسع (٨١٢م) بسبب الاضطرابات التي قامت في المدينة ولما ملك الفرنجة القدس (٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م) اعادوها كنيسة

وكتبت الوقفية التاليـة على حجر كبير وضع على باب المـــدرسة ولم يزل الى الآن :
« بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله. هذه المدرسة المباركة ، وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شادى محي دولة امير المؤمنين ، اعز الله انصاره ، وجمع له بين خير الدنيا والآخرة ، على الفقهـــاء من اصحاب الامام ابي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه . سنة ثمان وثمنين وخمس مائة » .

وقال ابو الفداء : « رحل السلطان صلاح الدين الى القدس في ٤ رمضان . فتفقد احواله ، وامر بتشديد اسواره ، وزاد في وقف المدرسة التي عملها. وهذه المدرسة كانت تعرف قبل الاسلام بصند حنة ويذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم . ثم صارت في الاسلام دار علم ، قبل ان يملك الفرنجة القدس . ولما ملك الفرنج القدس سنة ٤٩٢ هـ — ١٠٩٩ م اعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام . فلما فتح السلطان القدس ؛ اعادها مدرسة ، وفوض تدريسها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد » .

سور المدينة

اهتم صلاح الدين بتعمير السور ، وتجديد مـــا تهدم منه ، اهتماماً كبيراً . وجدد ابراجاً حربية من باب العمود الى باب الخليل . وحفر حول السور الخنادق ، لئلا يسهل الدنو منه . وكان يعمل بيده في ذلك ، ويشارك العمال[1] في نقل الحجارة ، والصناع في اعمال البناء . وكذلك قل عن اولاده وعن اخيه العادل وامرائه . وبعض الحجارة التي كانوا يقطعونها من الخندق كانوا يبنونها في السور . ولقد وصف الرحالة الذائع الصيت موفق **الدين عبد اللطيف** البغدادي الذي ذكرناه فيما تقدم ، وقلنا انه زار القدس خصيصاً ليرى صلاح الدين . وصف هـذا اهتمام صلاح الدين ببناء السور بقوله :

« . . وكان مهتما في بناء سور القدس ، وحفر خندقـــه . يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه . ويتأسى به جميع الناس ، الفقراء والاغنياء ، الضعفاء والاقوياء ، حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضـل . ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر . ويأتي داره وعيـــد الطعام ، ثم يستريح ، ويركب العصر ، ويرجع في المشاعل . ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . . » .

مقبرة باب الساهرة

كانوا يسمونها فيما مضى (مقبرة المجاهدين) . وهي من آثار صلاح الدين . انها على بعد بضعة امتار من باب المدينة الشمالي المعروف بباب الساهرة . فيها عدد كبير من قبور الصلحاء والمجاهدين . وتستعمل حتى يومنا هذا (١٩٦٠) لدفن الموتى من المسلمين .

خلا جانب من جوانبها وهو منها الى الشرق ، حيث تقوم الان (١٩٦٠) دار الاخوان المسلمين ومنازل فريق من آل العلمي وغيرهم . فقد اندرس هـــذا الجانب — ولسنا ندرس كيف اندرس ؟ وتبعثرت القبور التي كانت فيه ! .

قبة يوسف

واقعة الى الجنوب من فناء الصخرة ، بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين . نقشت عليها الكلمات الاتيـــة :

(١) قال مجير الدين ج ١ ص ٣٣٨ ان الفين من العمال الذين اشتغلوا في عمارة الخندق والسور مع صلاح الدين ، كانوا من اسرى الفرنجة ، وبعضهم من الموصل ؛ وان صاحب الموصل ارسلهم مع بعض حجابه ، وقد حملهم مقدارا من المال لينفق في بناء السور ؛ وان العمل استمر نصف سنة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلواته على محمد النبي وآله . امر بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس ابو المظفر يوسف بن ايوب محي دولة امير االمؤمنين . ادام الله كيانه ونصر اعلامه في ايام الامير الكبير سيف الدين على بن احمد اعزه الله سنة سبع وثمانين وخمسماية للهجرة النبوية . »

جامع الجبل

المقصود هنا جبل الطور الكائن شرقي بيت المقدس. جدده صلاح الدين ووسعه. وكان ذلك بناء على رسالة كتبها القاضي الفاضل[1] باسم ابناء القدس ، وارسلها الى صلاح الدين ، وقد طلب فيها توسيع جامع الجبل ، فوسعه.

١ اقتبست هذه المعلومات من مخطوط وجدته في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بعنوان . مجموعة مراسلات للقاضي الفاضل والعماد الكاتب وابن بصاقة ويرجع تاريخ هذا المخطوط الى سنة ٦٤٤ ه – ١٢٤٦م .

٢٣ – مات صلاح الدين[1] في دمشق سنة ٥٨٩ هـ. ودفن في تربة بنيت له بجوار جامع بني امية . وكان عمره لما مات نحواً من سبع وخمسين سنة . وترك من الاولاد سبعة عشر ذكراً وبنتاً واحدة صغيرة . ولم يخلف في خزانته سوى سبعة واربعين درهما . ولم يترك دارا ولا عقارا . كان رحمه الله كثير التواضع ، قريبا من الناس ، كثير الاحتمال ، شديد المداراة ، محبا للفقهاء واهل الدين والخير ، مائلا الى الفضائل ، يستحسن الشعر الجيد ويردده في مجلسه . شديد التمسك بالشريعة . كريماً ، ورعاً ، عادلا . والاهم من هذا كله انه كان شجاعا في الحروب . ولو لم يكن له من الفضل الا فتح بيت المقدس ، وادخال هذه البلاد المقدسة في حوزة المسلمين لكفاه ذلك فخراً . فقد بقيت كلمة العرب والاسلام هي العليا في هذه البلاد من الفتح الصلاحي (١١٨٧ م) الى الاحتلال الانكليزي (١٩١٧ م) اي قرابة سبعة قرون ونصف قرن .

١ المقريزي

القدس وحفدة صلاح الدين

بعد وفاة صلاح الدين (٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م) انقسمت امبراطوريته المترامية الاطراف الى عدة ممالك ، فصارت :

الشام وفلسطين- لابنه علي الملقب **بالملك الافضل** (ابي الحسن نور الدين) .

مصر - لابنه عثمان الملقب **بالملك العزيز** (ابي الفتح عماد الدين) .

حلب - لابنه غازي الملقب **بالملك الظاهر** (غياث الدين) .

الكرك والشوبك وقسم من الجزيرة وما بين النهرين - لاخيه **الملك العادل** (ابي بكر سيف الدين) .

حمص - لابن عمه **شيركوه** .

اليمن - لاخيه الثاني **طغتكين بن ايوب** (سيف الاسلام) .

وكانت مدينة القدس[١] مضافة **للافضل** وهو اكبر اخوته. وهو الذي انشأ (المدرسة الافضلية[٢]) بحارة المغاربة وتعرف قديماً بالقبة . ومن آثاره (المسجد العمري[٣]) الكائن الى الجنوب من ساحة كنيسة القيامة . والظاهر انه بناه على اساس قديم . وبنى له منارة[٤] علو زاوية الدركاه . وكان ذلك

(١) مجير الدين

(٢) راجع ما كتبناه عنها في (مدارس القدس القديمة)

(٣) عندما ذكر مجير الدين هذا المسجد قال عنه انه «كائن عند قمامة علو سجن الشرطة» . ومن هذا نفهم انه كان هناك يومئذ شرطة وسجن .

(٤) هدم بعضها على اثر زلزلة وقعت في محرم سنة ٨٦٣ هـ - ١٤٥٨م . فاعيد بناؤها حوالي سنة ٨٧٠هـ - ١٤٦٥م .

في سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م . وهذا بين من الكتابة التالية التي وجدتها منقوشة على حجر من الرخام مثبت في جدار المسجد. وقد كتبت بالخط النسخي الايوبي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . امر بعمارة هذا المسجد الشريف والدرجة المباركة ، مولانا الملك الافضل نور الدنيا والدين خادم بيت الله المقدس وحافظه من المردة الكافرين ابو الحسن علي بن مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب، قدس الله روحه ونورضريحه ابتغاء رضوانه، في شهور سنة تسع وثمانين وخمس مائة .بتولى الفقير الى رحمة الله عز الدين جرديك متولي الحرم بالبيت المقدس » .

٢ - في تلك البرهة توفي (٥٨٨هـ[١]-١١٩٢م) علي بن احمد الامير سيف الدين[٢] بن المشطوب ملك الهكارية[٣] . وقد صلي عليه بالجامع الاقصى ، ودفن بالقدس .

٣ - ارسل الافضل الى اخيه العزيز كتاباً تنازل له فيه عن القدس ، ووافق على الحاقها بمصر . وكان ذلك بتدبير من وزيره ابن الاثير. لانها كانت تحتاج الى مال ورجال لدفع عادية الفرنج عنها . فسر العزيز بذلك. وارسل مع (عز الدين جرديك

(١) النجوم الزاهرة ج٦ ص١١٧

(٢) كان اميرا شجاعا . دخل مصر مع اسد الدين شيركوه .وعاد بعد سلطنة صلاح الدين الى البلاد الشامية .

(٣) ناحية من نواحي الموصل ، يسكنها اكراد . ويقال لهم الهكاريه .

النوري) متولي القدس[١] عشرة آلاف دينار ، لينفقها في عسكر القدس . فخطب له بها . ثم ارسل اليها جنداً آخرين ، خشية ان ينقض الفرنج الهدنة .

٤ – ثم بدا للافضل (بدمشق) ان يعود عما رغب فيه لاخيه ، ورجع عنه فعلاً[٢] . فتنافر الاخوان . وزاد في تنافرهما تدخل الامراء (٥٩٠ هـ – ١١٩٤ م) . فساءت الحال وتنافرت القلوب . وخرج العزيز من مصر يريد لقاء اخيه الافضل . وانتزاع الشام من يده ، بعسكر من الصلاحية والاسدية والاكراد وغيرهم . وكاد ينتزعها منه ، لولا ان توسط باقي الاخوة والاعمام . واصلحوا ما بينهما .

٥ – ولكن الفساد عاد فاشتد بين الاخوين باغراء من عمهما الملك العادل . فاخذ العزيز القدس والشام من يد اخيه الافضل . واصبح الحاكم المطلق في مصر والشام معاً . وبعد ان استتب له الامر ،نزل القدس (رمضان ٥٩٢ هـ – ١١٩٥ م). فاقال ابا الهيجاء السمين[٣] .واقام على القدس بدلاً منه الامير شمس الدين سنقر الكبير .

٦ – كان الامير عثمان (العزيز) بن الملك الصالح صلاح الدين شجاعاً ، وكان كريماً عادلاً ورحيماً . فقد ابطل بعض الضرائب والرسوم التي كانت تجبى من الناس على عهده . ومنع استخدام اهل الذمة في شيء من الخدم السلطانية . والزم هؤلاء لبس الغيار[٤] .

(١) هو الامير جرديك بن عبدالله النوري الذي ولاه صلاح الدين نيابة القدس .

(٢) المقريزي ج١ ص١١٥

(٣) تولى ابو الهيجاء نيابة القدس بعد اقالة الامير جرديك.

(٤) جاء في قاموس (محيط المحيط) ان الغيار هو الملبوس الذي يتميز به اهل الذمة عن المسلمين في القرون الوسطى .

ومن حسناته في بيت المقدس ، انه وقف[١] جميع اراضي خربة دير ابي ثور واراضي القمرة الشرقية والغربية واراضي خربة بيت سميرة الكائنة ظاهر القدس الشريف ، على الشيخ احمد الثوري ، ثم على اولاده وذريته . وفي حالة انقطاع النسل على بر لا ينقطع » .

٧ – ولما توفي الملك العزيز (٢٧ محرم سنة ٥٩٥ هـ – ١١٩٨ م) انتقل ملكه الى ولده محمد . ولقب بالسلطان **الملك المنصور ناصر الدين** . الا انه كان صغيراً . فاقيم الامير بهاء الدين قراقوش الاسدي ، بناء على توصية ابيه ، اتابكا[٢] .

٨ – ويظهر ان **الامير قراقوش** هذا كان مكروهاً ، وكان بين الامراء من يطمع في منصبه هذا . فقد حدثنا التاريخ ، انه قامت في القدس ، على أثر ذلك ، مؤامرة قوامها الامير فخر الدين جهاركس من امراء الدولة بمصر ، والامير زين الدين قراجا ، والامير اسد الدين سر اسنقر ، والامير شجاع الدين طغرل السلاحدار والامير عز الدين اسامة ، والامير فارس الدين ميمون القصري صاحب نابلس . وقد جاء هذا الى القدس ومعه سبعمايه فارس منتخبون . واشترك في المؤامرة نائب القدس يومئذ (**الامير صارم الدين صالح**) . فكاتب هؤلاء الملك العادل ،وكان يومئذ في دمشق، يستدعونه لاتابكية الملك المنصور . ولكن الملك الافضل احبط هذه المؤامرة ، وسار الى مصر ، فاستولى على امور الدولة . ولم يبق للمنصور غير الاسم . وقبض على فريق من المتآمرين ، وفر

(١) اقتبسنا هذه المعلومات عن حكم صدر من المحكمة الشرعية بالقدس بتاريخ ١٢٢١هـ وبتوقيع القاضي السيد احمد نجيب .

(٢) كلمة تركية مؤلفة من (اتا) بمعنى الاب و(بك) بمعنى امير. وهي هنا بمثابة الوصي على العرش وقائد الجيش .

الاخرون . فانقسمت البــلاد الى قسمين : قسم (بمصر) يؤيد الملك المنصور بوصاية الملك الافضل، وقسم (بدمشق) يؤيد الملك العادل . وراحت القدس تعاني الم الحرب والغلاء بين هــذا وذاك . ولكنها – على ما يظهر – كانت يومئذ ترجح دفة الشام . اذ جاء في السلوك[1] ان الصلاحية قدمت من القدس نصرة للعادل ، وان عضد العادل اشتد بقدومهم ، وجهز الى القدس من يمنع الميرة الواصلة من مصر الى الافضل . فوجدوا يازكج (وهناك من يقول ياركوح) قد اخرج سبعماية من عسكر مصر نجدة للأفضل. فقاتلوهم وكسروهم وغنموا مامعهم.

٩ – ظـل الافضل وعمه العادل يتحاربان ، وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، الى ان تغلب العادل . فدخـل مصر ، واقام على اتابكية الملك المنصور (٥٩٦ هـ – ١١٩٩ م) . ثم خلعه في السنة نفسها ، وتولى السلطنة بدلا منــه . فاصبح ملك مصر والشام ، وسمي (**السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب**) .

١٠ – من آثار الملك العادل في القدس سقاية الحرم والمطهرة (٥٩٩ هـ – ١٢٠٢ م) . ولقـد نقش على حجر من رخـــام بالخط النسخي الأيوبي القديم ، وباحرف صغيرة الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . امر بعمل هــذه السقاية المباركة السعيدة مولانا السيد الاجل الملك العادل المظفر الهمام ناصر الاسلام غياث الانام سيف الدنيا والدين سلطان جيوش المسلمين ابو بكر محمد بن ايوب خليل امير المؤمنين ، ادام الله قدرته واعلا ابدا كلمته ونصر في الخافقين اعلامه والويته بمحمد وآله وذريته ، في شهر شوال سنة تسع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله وصلواته على سيدنا محمــد وسلم تسليما » .

(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي ج ١ ص ١٤٩ .

١١ – توفي في تلك السنة (٥٩٩ هـ – ١٢٠٢م) الزاهد ابو عبدالله محمـــد بن احمد القرشي الهاشمي الاندلسي ، ودفن في بيت المقدس .

١٢ – اتسعت مملكة العادل ، فقسمها قبـــل موته بين اولاده : الملك الكامل ناصر الدين محمد (مصر) . والملك الاشرف مظفر الدين موسى (الشرق) . والملك الاوحد نجم الدين ايوب (خلاط وميافارقين) . والملك المعظم شرف الدين عيسى (من العريش الى حمص) . وجاء في النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٧٢ انه كان للملك العادل ابن آخر يدعى الملك الامجد حسن ، وان هذا توفي في حياة ابيه ، ودفن بالقدس في مدرسة بنيت باسمه .

١٣ – ولما مات[1] (٦١٥ هـ – ١٢١٨ م) ترك في خزائنه سبعماية الف دينار . استولى عليها ابنه الملك المعظم . وكانت القدس من اعماله . وكان يديرها بالنيابة عنه[2] الامير **عز الدين عمر بن يغمور المعظمي** (٦١٠ هـ – ١٢١٣ م). وكان يلقب بالمتولي . ثم ادارها الامير **بدر الدين الهكاري**[3].

١٤ – يحكى عن الملك المعظم **عيسى بن العادل** ابي بكر ؛ انه كان يلبس الكلوتة الصفراء بلا شاش، ويخترق الاسواق مـــن غـير ان يطرق بـين يديه كغيره من الملوك .

(١) جاء في السلوك للمقريزي (ص٦٢٧) ان الملك العادل كان حميد السيرة ، حسن العقيدة، كثير السياسة . حنكته التجارب . وكان اميل الى المكائد والخدع منه الى الحروب . صبور ، حليم ، مهاب ، عظيم ، دين ، وكان أكولا نهما . وكان يصيف بدمشق ويشتي بمصر .

(٢) القلقشندي . ج٤ ص٢٢ .

(٣) مات على جبل الطور . ونقلت رفاته الى القدس . ودفن في مقبرة ماملا .

ويظهر ان سكان البلاد كلهم تبعوه ، واقتبسوا عنه هذا اللباس . فقـد حدثنا القلقشندي[١] انهم كانوا يلبسون الكلوتات الصفر على رؤوسهم مكشوفة بغير عمائم ، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها ؛ سواء في ذلك المماليك والامراء وغيرهم .

١٥ – قيـل ان الملك المعظم عيسى كان يحب القدس كثيراً . ولطالما نزلها ، متفقدا احوالهـا . حتى انه عندما التقى بالفرنج في الساحل ، وقاتلهم وانتصر عليهم ، وقتل منهم من قتل واسر من الداوية من اسر ، رأي ان يبعث بالاسرى الى بيت المقدس . فارسلهم اليها منكسي الاعلام[٢] .

١٦ – ان للملك المعظم شرف الدين عيسى آثار جمة بمدينة القدس ، نذكر منها : **الاروقة** التي امام المسجد الاقصى من الشمال والمؤلفة من سبعة اقواس . وكذلك الابواب الخشبية التي تجـدها عند مدخل الاقصى من الشمال (٦٣٤ هـ – ١٢٣٦ م) .

و (**المدرسة المعظمية**) . ويقال لها ايضاً (الحنفية) . واقعة على طريق ستنا مريم وللشمال منهـا ، مقابل الزقاق المؤدي الى باب الحرم المسمى باب العتم .

ومن آثاره **البرج** القـائم في وسط القلعة بباب الخليل . فانك اذا ما دخلت القلعة المذكورة وجدت برجاً بالقرب من الجامع الى القبلة ، وعلى احد جدرانه حجر كلسي ، نقشت عليه بالخط النسخي الايوبي ، السطور التالية[٣] :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . لا اله الا الله محمد رسول الله . . عمل هذا البرج المبـارك بامر مولانا الملك المعظم شرف الدنيـا والدين ابي المظفر عيسى ابن الملك العـادل سيف ابي بكر محمـد بن أيوب بن شـاذية . وتولى عمارته عز الدين عمر بن يغمور المعظمي . في شهور سنة عشر وستماية . والحمد لله رب العالمين » . (٦١٠ هـ – ١٢١٣ م) .

ومنها (**سبيل شعلان**) فقد بناه الملك المعظم عيسى سنة ٦١٣ هـ – ١٢١٦ م . وهو واقـع شمالي الحرم وبالقرب من الرواق الذي بناه هو (اي الملك المعظم) .

ومن آثاره (**المدرسة البدرية**) الكائنـة في وسط المدينة القديمة ، وفي الناحية الغربية من شارع القرمي[١] . وقد اندثرت ، ولم يبق منها الا بعض آثار دمجت بالابنية الحديثة . وقد كتب على مدخلها بالنسخ الايوبي هذه الكلمات[٢] :

« بسمله . . انشأ هذه المدرسة المبـاركة على اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه ، المولى الامير الكبير الغازي المجاهد الشهيد بدر الدين محمد بن ابي القاسم الهكاري ، رحمه الله وتقبل منـه ، في شهور سنة عشرة وستمائة ؛ وجعل نظرها الى الارشد من اولاده ، كثرهم الله تعالى وجعـل سعيهم مشكورا وذنبهم مغفورا . ورحمـه الله ولمن ترحم عليه » .

ويظهر ان **البيمارستان** الذي عمره صلاح الدين في بيت المقدس والذي خصص يومئذ لمعالجة المرضى ، كان موضع عناية الملك المعظم . فقـد حدثنا ابن العبري[٣] ان **يعقوب بن صقلان الطبيب الملـكي المقدسي ، وكان مولده بالقدس الشريف وبه قرأ شيئاً من الحكمة على تاذوري الفيلسوف الانطاكي** ، كان يباشر شؤون البيمارستان ؛ الى ان ملكه الملك المعظم فاختص به . وكان هذا حسن المعالجة بالتجربة

(١) صبح الاعشى ج ٤ ص ٥ .
(٢) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٣ .
(٣) برشـام .

(١) ان هذ الشارع كائن بين شارع باب السلسة وشارع السرايا .
(٢) برشـام .
(٣) ص ٤٤٣

البيمارستانية . وقد ارتفعت حاله عند الملك، وكثر ماله الى ان مرض . وقيل ان الملك المعظم كان اذا احتاج اليه في مرضـــه ، استدعاه بمحفة تحمل بين الرجال. ولم يزل كذلك الى ان مات المعظم صاحبه، ومات هو من بعده بقليل (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) .

١٧ - ولكن هـذا الملك الذي عمر القدس ، وجدد فيها كثيرا من الآثار ؛ عاد فامر بتخريبها (سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م) ؛ خشية ان يستولي الفرنج عليها . واليك البيان :

بلغ الملك المعظم ان الفرنج اعتزموا اخذ القدس. فاستشار الامراء في تخريبها . فاشاروا بتخريبها قائلين[١] : قـد خلا الشام من العساكر . فلو اخذ الفرنج القدس حكموا على الشام جميعه . وكان بالقدس اخوه العزيز عثمان وعز الدين ايبك استادار . فكتب اليهما المعظم بخرابه . فتوقفا وقالا : نحن نحفظه . فكتب اليهما ثانية وقـــال : لو اخذوه لقتلوا كل من فيـــه ، وحكموا على الشام وبلاد الاسلام . فشرعوا في خراب السور اول يوم من محرم سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م . وخربت اسوار المدينة وابراجها كلها . خلا برج داود ، وكان غربي البلد ، فانه ابقاه . ووقع في المدينة ضجة عظيمة . وخرج النساء والمخدرات والبنات والشيوخ وغيرهم الى الصخره[٢] والاقصى ، فقطعوا شعورهم ، ومزقوا ثيابهم . ثم خرجوا هاربين . وتركوا اموالهم . وامتلأت بهم الطرقات . فتوجه بعضهم الى مصر . وبعضهم الى الكرك . وبعضهم الى دمشق .

وكانت البنات المخدرات يمزقن ثيابهن ، ويربطنها على ارجلهن من الحصا . ومات خلق كثير من الجوع

(١) النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤٤

(٢) في الاصل الصحراء . واما في مرآة الزمان والذيـــل على الروضتين وعقد الجمان الى الصخرة

والعطش . ونهبت الاموال التي كانت لهم بالقدس . وبلغ ثمن القنطار من الزيت عشرة دراهم . والرطل النحاس نصف درهم .

ونقـــل المعظم ماكان في القدس من اسلحة وآلات قتال[١] . فشق ذلك على المسلمين . وذموا عمـــله .

ذم الناس المعظم لتخريبه القـدس . فقال[٢] القاضي مجـد الدين محمد بن عبدالله الحنفي قاضي الطور في خراب القدس :

مررت على القدس الشريف مسلما
على مـا تبقى من ربوع كأنجم

ففاضت دموع العين مني صبابة
على ما مضى من عصره المتقـدم

وقد رام علج ان تعفى رسومه
وشمر عن كفي لئيم مذمم

فقلت له شلت يمينك خلهـــا
لمعتـبر او سائـــل او مسلم

فلو كان يفـدى بالنفوس فديتـه
بنفسي وهـذا الظن في كل مسلم

ومن الذين ذموه اسامة بن منقذ الكناني الذي ذكرناه في آخر فصل الصليبيين . وقيل انه (اي الملك المعظم) اتهمه بمكاتبة الملك الظاهر غازي صاحب حلب . فهرب اسامة من القاهرة . خرج منها كانه يريد ان يتصيد .

وكان به مرض النقرس . فلحق به الملك المعظم عيسى الى غزة . وفي الطريق رآه بعض الصيادين . فرموه . واخذوه الى الخليل . ومنها الى القدس .

(١) المقريزي .

(٢) النجوم الزاهرة ج٦ ص ٢٤٤

وهناك سلموه الى الملك المعظم . فانزله بصهيون . وبعث اليه بثياب وطعام . ولاطفه . وقال له : « انت شيخ كبير . وبك نقرس . سلم الينا نفسك . فتعيش بيننا مثل الوالد . فامتنع وشتم المعظم . فبعث به المعظم الى الكرك . واعتقله بها . واستولى على قلاعه وامواله ودخائره وخيله . فكان قيمة ما أخذ منه الف الف دينار .

١٨ – عندما مات الملك المعظم عيسى (٦٢٤ هـ – ١٢٢٦ م) صار ملكه بدمشق والقدس والسواحل، لولده الملك **الناصر صلاح الدين داود**[١] . ولما كان هذا صغيراً وعا جزاً عن تدبير شؤون الدولة ، فقد هاجمه عمه الملك الكامل ، واخذ منه اكثر البلاد التي كانت تابعة له ، ومنها نابلس والقدس (٦٢٥ هـ – ١٢٢٧ م) .

١٩ – وفي تلك السنة قدم **الامبراطور فردريك** ملك الفرنج الى عكا ، وكان قد استدعاه[٢] قبل موت اخيه الملك المعظم . وبعد مفاوضات عديدة تولاها من الجانب الاسلامي الامير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ والشريف شمس الدين الارموي قاضي العسكر وقع الاتفاق بين الملك الكامل وبين الامبراطور فردريك ملك الفرنج :

(١) على ان يأخذ ملك الفرنج القدس من المسلمين ، ويبقيها على ما هي من الخراب ولا يجدد سورها .

(٢) ان يكون سائر قرى القدس للمسلمين لا حكم فيها للفرنج .

(٣) وان يكون الحرم – بما حواه من الصخرة والمسجد الاقصى – بيد المسلمين لا يدخله الفرنج الا للزيارة فقط ، فيتولاه قوام من المسلمين ويقيمون فيه شعار الاسلام من الآذان والصلاة .

(٤) وان تكون القرى التي بين عكا ويافا وبين اللد والقدس ، بايدي الفرنج ، دون ما عداها من قرى القدس .

وعقدت الهدنة بينهما مدة عشر سنوات وخمسة أشهر واربعين يوماً ، اولها ثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة (٦٢٦ هـ – ١٢٢٨ م)[١] ، وحلف الملكان : ملك الفرنج والملك الكامل ، على ما تقرر . فبعث السلطان ، على اثر ذلك ، بخروج المسلمين منه (٦٢٦ هـ – ١٢٢٨ م) . وتسليمه الى الفرنج . فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل . وحضر الائمة والمؤذنون من القدس الى مخيم الكامل واذنوا على بابه في غير وقت الآذان . فعز عليه ذلك ، وامر باخذ ما كان معهم من الستور والقناديل والفضة والالات ، وزجرهم ، ثم قال لهم : امضوا الى حيث شئتم[٢] . فانكر المسلمون على الملك الكامل هذا العمل الفظيع ، وراحوا يشنفونه في جميع الاقطار .

واستأذن الامبراطور فردريك من الملك الكامل في دخول الحرم ، فاذن له . وسير القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته . فسار معه الى المسجد بالقدس . وطاف معه ما فيه من المزارات[٣] .

واعجب الامبراطور بالصخرة والاقصى .

---

(١) ابن العبري ص ٤٢٥

(٢) السلوك ص٢٢٨

(١) جاء في كتاب (العرب والتمدن الاسلامي) ان هذه الهدنة عقدت سنة ٦٢٩هـ – ١٢٣١م .

(٢) السلوك ص٢٣١ .

(٣) نقل المقريزي نبأ هذه الزيارة عن كتاب (مفرج الكروب في اخبار بني ايوب) . وهذا الاخير كتبها من حديث له مع القاضي شمس الدين الذي رافق الامبراطور .

وصعد درج المنبر ، فرأى قسيساً بيده الانجيل . فزجره ، وانكر مجيئه ، واقسم لئن عاد احد من الفرنج يدخل هنا بغير اذن ليأخذن ما فيه عيناه . (فانما نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد يقدمن علينا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام منه، فلا يتعدى احد منكم طوره) . ثم نزل الملك في دار . وامر شمس الدين قاضي نابلس المؤذنين ، الا يؤذنوا تلك الليلة . فلم يؤذنوا . فلما اصبح الصباح ،قال الملك للقاضي : (لم لم يؤذن المؤذنون على المنابر ؟) . فقال له القاضي : (منعهم المملوك اعظاماً للملك واحتراماً له) . فقال له الامبراطور : (اخطأت فيما فعلت . والله انه كان اكبر غرض في المبيت بالقدس ، ان اسمع آذان المسلمين وتسبيحهم في الليل) .

وعلى قول ان احد المؤذنين واسمه عبد الكريم اذن في تلك الليلة وقت السحر . وكان الانبروز[١] (يقصد الامبراطور) نازلا في دار القاضي . فجعل المؤذن يقرأ الآيات التي تخص النصارى مثل قوله : (ما اتخذ الله من ولد) و (ذلك عيسى بن مريم) . ولكن القاضي امره ان لا يؤذن في الليلة التي تليها . فلم يؤذن . فسأل الامبرطور عن السبب فقال له القاضي السبب . فقال الامبراطور : (اخطأتم يا قاضي . اتغيرون انتم شعاركم وشرعكم ودينكم لاجلي . فلو كنتم عندي في بلادي ، هل كنت ابطل ضرب الناقوس لاجلكم . بالله لا تفعلوا . هذا اول ما تنقصون عندنا) .

(١) (عقد الجمان) للعيني ج١٨ ص٨٣ و(مرآة الزمان) لابن الجوزي : الانبروز . وفي تاريخ ابن الوردي الانبراطور . وفي(النجوم الزاهرة) ج١ ص٢٧١ الانبروز . وكذلك في (مرآةالزمان) و(شذرات الذهب) و (الذيل على الروضتين) .

٢٠- بكى الناس في دمشق على ماجرى في بيت المقدس . وزاد سخطهم على الملك الكامل بسبب تحريض ابن اخيه الملك الناصر صاحب دمشق وبسبب الدروس التي كان يلقيها في جامع دمشق الحافظ شمس الدين سبط بن الجوزى (مؤلف كتاب مرآة الزمان) عن فضائل بيت المقدس . فاجتمع في ذلك المجلس عدد لا يحصى من الناس . وعلت اصواتهم واشتد بكاؤهم وانشد الحافظ شمس الدين قصيدة ابياتها ثلثماية بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي
تفاخر ما في الارض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات[١]

فلم ير بدمشق اكثر بكاء من ذلك اليوم .

٢١ - ظل **الكامل** يطمح في الاستيلاء على دمشق، فحاصرها . وبعد قليل تمكن من الاستيلاء عليها . وعقد حلفا مع ابن اخيه **الملك الناصر** ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م . فاعطى الناصر بدلا من دمشق الكرك واعمالها والصلت والبلقاء ونابلس واعمال القدس وبيت جبريل . وصار للكامل فضلا عن مصر ودمشق ، الشوبك والخليل وطبرية وغزة وعسقلان والرملة ولد وما بايدي المسلمين من الساحل .

٢٢ - ولما مات الملك الكامل تولى الملك من بعده ولده **الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل**. فاستولى هذا على اكثر البلاد التي كانت بيد الملك الناصر ، ومنها اعمال القدس ٦٣٦ هـ - ١٢٣٨ م ولكن الناصر داود عاد فتمكن من ابن عمه الملك الصالح ؛فسجنه،واسترد هذه البلاد منه .

(١) يقول المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) ص٢٣٣ ان السبط اخذ هذا البيت من قصيدة لدعبل الخزاعي.

٢٣ – وفيما كان ملوك بني ايوب خلفاء صلاح الدين يقتتلون ، كان الفرنج يستعدون لقتالهم . وقد عمروا (اي الفرنج) في القدس قلعة ، وجعلوا برج داود احد ابراجها . وكان قد ترك لما خرب الملك المعظم اسوار القدس . فلما بلغ الناصر داود عمارة هذه القلعة ، سار الى القدس . وظل يرميها بالمجانيق ، حتى اخذها بعد واحد وعشرين يوما (٩ جمادى الاول ٦٣٧ هـ – ١٢٣٩ م) . اخذها عنوة بمن معه من عسكر مصر . وتاخر اخذ برج داود الى خامس عشرة ، فاخذ من الفرنج صلحـــا على انفسهم دون اموالهم .

٢٤ – هدم الناصر برج داود[١] ، واستولى على القدس ، واخرج منه الفرنج . فساروا الى بلادهم . ووصل الى القدس ، يوم فتحه من قبل الملك الناصر داود ، محي الدين بن الجوزي ، ومعه الامير الصاحب جمال الدين بن مطروح [٢] . فقال جمال الدين يمدح الملك الناصر داود ، ويذكر مضاهاته لعمه الملك الناصر صلاح الدين في فتح القدس :

المسجد الاقصى له عـــادة
سارت فصارت مثلا سائرا
اذا غـدا بالكفر مستوطنا
ان يبعث الله له ناصـــرا
فنـــاصـــر طهـــره اولا
وناصر طهـره آخـــرا

٢٥ – وفي نفس السنة (٦٣٧ هـ – ١٢٣٩م) افرج الملك داود عن الملك الصـــالح نجم الدين وسارا معـــا الى القدس[١] ، وتحالفا على ان ديار مصر للصالح ، والشام والشرق للناصر . وان يعطي الصالح للناصر مائتي الف دينار .

٢٦ – ولكنهما عادا فاختلفا ، وتنكر الواحد منهما للآخر . وراح **الناصر داود** (صاحب الكرك) يتفق مع **الصالح اسماعيل** (صاحب دمشق) لمحاربة الملك الصالح نجم الدين . ولكي ينجحا في محاربتهما له ، وافقا الفرنج بتسليمهم القدس ؛ على ان يكونوا عوناً لهما على الملك الصالح نجم الدين . وسلمـــاهم بالفعـــل طبرية وعسقلان . فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما . وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس . وجلسوا فوقها بالخمر ، وعلقوا الجرس على المسجد الاقصى[٢] .

٢٧ – غادر الملك نجم الدين ايوب القاهرة واستدعى الخوارزميه[٣] الى ديار مصر لمحاربة اهل الشام . فقطع هؤلاء الفرات (٦٤٢ هـ – ١٢٤٤ م) وهم زيادة على عشرة آلاف فارس وانضموا الى

---

(١) بقي هذا البرج وبقيت القلعة خرابا ، الى ان اعاد المماليك بناءها في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد . وسنذكر لك كيف تم ذلك في فصل المماليك .

(٢) هو الامير الصاحب جمال الدين ابو الحسين يحيى بن عيسى ابن ابراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن ابراهيم بن الحسين بن مطروح . اصله من صعيد مصر . ولد باسيوط . ثم قدم القاهرة واشتغل وربح في الادب والكتابة . واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين ايوب : قال ابو المظفر : – كان فاضلا كيسا شاعراً . ومن شعره الابيات المتقدم ذكرهـــا .

(١) يقول المقريزي نقلا عن ابن واصـــل ان الغرض من زيارتهما القدس يومئذ ان يحلف كل منهما لصاحبه عـــلى الصخرة المقدسة .

(٢) جاء في السلوك للمقريزي ص٣١٥ ان جمـــال الدين بن واصل صاحب كتاب مفرج الكروب شاهـد بام عينه مـــا احدثه الفرنج ببيت المقدس .

(٣) ينتسبون الى بلاد خوارزم شرقي بحر قزوين . وهم تتر . عندما هاجمهم المغول وابادوا حكومتهم ، هامـوا في البلاد يقتلون وينهبون . وظـــل جنكيزخـان يدحرجهم ، وهم ينهزمون من امامه ، حتى وصلوا العراق . فسمع بهم الملك الصالح ايوب . واستدعاهم لمحاربة الفرنـــج وبني عمـــه . فاتفقوا معه على شريطة ان تعطى لهم الاقطاعات ويسكنهم البلدان .

العساكر المصرية . وهجموا على القدس وعلى رأسهم مقاديمهم الامير حسام الدين بركة خان ، وخان بردى ،وصاروخان ، وكشلوخان . وقاتلوا الفرنج وعساكر الشام . فاحتلوا القدس . وبذلوا السيف في من كان به من النصارى ، حتى افنوا الرجال[1] وسبوا النساءوالاولاد،وهدموا المباني التي في القيامة ، ونبشوا قبور النصارى ، واحرقوا ما احرقوا . ثم ساروا الى غزة فنزلوها . فارسل اليهم الملك الصالح نجم الدين ايوب يأمرهم بالاقامة في غزة ، ووعدهم ببلاد الشام .

وفي غزة التقى الجمعان :

عسكر دمشق ومعهم الفرنج .

وعسكر مصر ومعهم الخوارزمية . فكان النصر حليف الخوارزمية ومصر . وقتل من الفرنج ومن اهل الشام ما يربو على الثلاثين الفاً (٦٤٣ هـ – ١٢٤٥ م). وعادت القدس من املاك الملك الصالح نجم الدين. وكذلك قل عن الخليل وغزة والسواحل.

٢٨ – كتب القاضي الفاضل الى السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب الرسالة التالية يبشره فيها بفتح القدس[2] :

« اعز الله سلطان المقام ، ونصر حزبه وذويه ، وجعل الظفر والتأييد مما يليه ، ولا زالت البشاير تؤم جنابه وتنتحيه ،والبصاير تشكر فعله وترتضيه ، والاوليا تقصد حسن بشره واحسان بره ، والاعدا يكب كل منهم بين يديه ليديه وفيه . . . وينهي ان العلم الشريف محيط بانفساخ الهدنة وانقضائها . . وعند ذلك اخلى الفرنج القدس من ساكنيه ، ورحل من كان به من قاطنيه . ولم يقم به الا طاغية من طغاتهم ، وداهية من دهاتهم . كان في مدة الهدنة قد بذل في عمارة قلعتها غاية الإجتهاد . وجنى لها ثمرات الاموال من جميع البلاد . وشحنها بما قدر عليه من الذخائر والازواد . فاستقوى شرزمة من ابطالهم وفرسانهم . واستهوى طايفة من رجالتهم وفرسانهم. واستحلفهم على الموت، فحالفوه وبايعوه. واستخف قومه ،فاطاعوه وبايعوه . فاقاموا بالقلعة المذكورة يخيفون السبيل ، ويقطعون الطريق . ويرمون النار، ويصيحون الحريق .وعمدوا الى القلعة والبرج، فحفوهما بالستاير وآلات القتال .وشحنوهما بالعدد والذخاير والرجال . وسحروا اعين الناس . واسترهبوهم بما القوه من العصي والحبال . فتوجه المملوك اليها . ونزل بطايفة من العسكر عليها . وطاولها لعله يتسلمها بالامان، كما سلمت بالامس . وقصد ان لا براق بها دم مسلم هو خير مما طلعت عليه الشمس . فاصروا على المصابرة والممانعة . وابوا الا المدافعة . فجرد المملوك جماعة من الرماة فاطلقت من نبل المنايا وبلا . وارسلت اليهم من منايا الحنايا رسلا . ونصب عليهم المناجيق التي هي كما علم المولى خضم القلاع . . فارتهم بانهار من كواكبها نجوما . وجعلت احجارهم لشياطينهم رجوما . ورمى الزراقون النار في ستايرهم المنتظمة فاحرقت. ودخل النقابون من اسوارهم الملتحمة فاحترقت . فعند ذلك طلبوا الامان ليخرجوا بنفوسهم سليمة . وقنعوا بالاياب ورأوه نعم الغنيمة . فاجابهم المملوك الى ملتمسهم ، ومكنهم من الخروج بمجرد انفسهم . واستولى المملوك على ما في القلعة والبرج من عدة وذخيرة . واقتسم العسكر ما بها من غلة وميرة . وقد سير العبد رسوله ليتلو بين يدي مولانا سورة الفتح من لسانه ، ويروي خبر

(١) جاء في (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها) لمؤلفه بيك باشا ص١٥١ ان الجيش الذي زحف على القدس يومئذ (١٢٤٤م) كان بقيادة ركن الدين بيبرس . وان هذا عندما احتل القدس اعمل السيف في سبعة آلاف من سكانها

(٢) مجموعة المراسلات ص٣٩ .

الواقعـة ببيانه المعتضد بعيانه . فانه كان للفتوح مشاهداً ،وللعدو مع المجاهدين مجاهداً .طالع بذلك والله تعالى ينصر المولى وينصر بـه . ويصل سبب التوفيق بسببه . ويبلغه في الدارين غاية امله ونهاية مطلبه . بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى » .

٢٩ ـ زار الملك الصالح نجم الدين ، على اثر ذلك ، القدس (٦٤٤ هـ – ١٢٤٦ م)[١] . فتصدق علىفقرائهابالفي دينار . وامر بذرع سورها ، فجاء في ستة الاف ذراع بالهاشمي . فامر بصرف القدس في عمارته ، وان احتاج الى زيادة حملت اليـــه من مصر .

٣٠ ـ الان وقد انتهينا من ذكر المعركة التي كان قائدها مقدم الخوارزميين **الامير حسام الدين** بركة خان، نرى من العدل ان نقول الكلمة التالية :

قال الاستاذ عبدالله مخلص في رسالة بعث بها الى صديقه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة (الاثار) بزحلة – نقلا عن ابي الفـــدا في تاريخه طبعة مصر ج ٤ ص ١٧٥ – ان حسام الدين بركة خان هو مقدم الخوارزمية الذين اتفقوا مـع الصالح اسماعيـل والناصر داود على محاربة الملك الصالح ايوب . وجاء في كتاب (السلوك في معرفة دول الملوك) ص ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ ان الملـك الصالح ايوب هو الذي استدعى الخـوارزميين ، فاتفقوا معه ، وحاربوا في صفوفه ضد الصالح ايوب والناصر داود . وان الامير حسام الدين كان في مقدمتهم يوم احتـــلوا القدس . والحقيقـــة ان الخوارزميين لم يبقوا على حال . لقد حالفوا الملك الصالح ايوب اولا . واعانوه على فتح القدس . ثم

(١) جاء في (النجوم الزاهرة) ج ٦ ص ٣٥٤ ان الملك الصالح زار القدس سنة ٦٤٦ هـ

قلبوا له ظهر المجن . فراحوا يؤيدون الناصر داود صاحب الكرك ، والصالح اسماعيـــل صاحب دمشق . ذلك لان الملك الصالح ايوب لم يف لهم بوعـده ، ولم يعطهم الشام . ومهما يكن من امر الخوارزميين ،فان الامير حسام الدين اشترك معهم في جميع المعارك التي خاضوا غمارها . وظل يحارب حتى قتل في معركة حمص . فنقـل رأسه الى حلب وجسده الى القدس (١ محرم ٦٤٤ هـ ـ ١٩ مايس ١٢٤٦ م) . وقيل انه كان نائباً للملك في القدس . وكان يلقب بملك الامراء . وهناك تربة فيها قبره، وقبر ولديه بدر الدين محمـد بك وحسام الدين كره بك . وذلك في المـكان المعروف بالمكتبة الخالدية تجـاه المدرسة المعروفة بالطازية وعند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق حارة المغـاربة . واليك الكتابات المنقوشة على هذه القبور :

كتب على الاول : « كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . هذا قبر الفقير الى رحمة الله تعالى حسام الدين ملك الامراء البركةخان. توفي في ســـنة اربع واربعين وستمائة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » . (٦٤٤ هـ – ١٢٤٤ م)

وكتب على الثـاني : « بسم الله الرحمن الرحيم. كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجـــلال والاكرام . والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقب الدار . هـــذا قبر العبد الفقير الراجي رحمة الله وغفرانه حسام الدين كره بك بن بركتخان . نور الله ضريحه . توفي ثالث ذو الحجة سنة احدى وستون وستمئة للهجرة . غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين. وصلى الله على محمـــد وآله اجمعين » . (٦٦١ هـ ١٢٦٣ م) .

وكتب على الثالث : « بسم الله الرحمن الرحيم. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها

نعيم مقيم . خالدين فيها ان الله عنده اجر عظيم . هذا قبر العبد الفقير الى الله الراجي رحمته وغفرانه الامير الكبير بدرالدين محمد بك بن بركتخان. توفي مستهل ربيع الاول لثمان وسبعين وستماية ٦٧٨ هـ . »

وقد نقش على نافذة الخزانة والمقبرة ما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول .فاكتبنا مع الشاهدين. ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . انك لا تخلف الميعاد . يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، ان الله يغفر الذنوب جميعا . انه هو الغفور الرحيم .

هذه تربة العبد الفقير الى الله وغفرانه بركتخان. نور الله ضريحه .توفي يوم الجمعة مستهل محرم وكتب سنة اربع واربعين وستماية . غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة .امين يا رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . » ١٢٤٤م.

« يا ك ازعدم آمديم ونا ياك شديم آسوزه درامديم وغماك شديم بوديم زخاك تيره وزآتس آب بازدرخاك شديم . »

ونقش ايضاً على عتبة النافذة :-

« انشأ هذا الشباك والقبة به المرحوم الشهيد الملك حسام الدين بركة خان مع باب القنطرة وعلوها والبوابة المباركة والمسقاة والحوانيت وعلوهم وخمسة بيوت بدار الواقف الفقير الى الله تعالى محمد بن احمد ابن ابي العلائي لطف الله تعالى به في مستهل ذي القعدة سنة اثنين وسبعين وسبعماية » . ١٣٧٠ م .

٣١ — ان انهزام الصليبيين في موقعة غزة (٦٤٢ هـ — ١٢٤٤ م) ، واستيلاء المسلمين على القدس ؛ اثار غضب الصليبيين ، وفزع ملوك اوروبا كلهم . فرتبوا الحملة الصليبية التي يسمونها بالسابعة. فوصلت هذه الحملة الى قبرص(٦٤٦ هـ — ١٢٤٨ م) . وبعد انقضاء الشتاء نزلوا في سواحل فلسطين.وكان على رأسهم ريدا فرنس الملقب (لويس التاسع) . وكان هذا من اعظم ملوك الفرنجة واشدهم بأسا . وكانت الغاية من هذه الحملة تخليص بيت المقدس من المسلمين .

٣٢ — عندما وصلت الحملة الصليبية السابعة الى شواطيء فلسطين ، ارسل قائدها وزعيمها لويس التاسع كتابا (٦٤٧ هـ — ١٢٤٩ م) الى السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب جاء فيه :

« اما بعد . فانه لم يخف عنك اني امين الامة العيسوية ، كما اني اقول انك امين الامة المحمدية . وانه غير خاف عنك ان اهل جزائر الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلي منهم الديار . وقد ابديت لك ما فيه الكفاية ، وبذلت لك النصح الى النهاية . فلو حلفت لي بكل الايمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان ؛ ما ردني ذلك عن الوصول اليك ، وقتالك في اعز البقاع عليك . فان كانت البلاد لي ، فيا هدية حصلت في يدي ؛ وان كانت البلاد لك والغلبة علي ، فيدك العليا ممتدة اليّ . وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت في طاعتي ، تملأ السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون اليك باسياف القضا » .

فلما وصل الكتاب الى السلطان،وقريء عليه ؛ اغرورقت عيناه بالدموع ، واسترجع (اي قال :

انا لله وانا اليه راجعون) فكتب الجواب بخط القاضي والكاتب الشهير بهاء الدين زهير بن محمد . واليكه[١] :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه اجمعين . اما بعد : فانه وصل كتابك ، وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك . فنحن ارباب السيوف . وما قتل منا قرن الا جددناه ، ولا بغي علينا باغ الا دمرناه . فلو رأت عيناك — أيها المغرور — حد سيوفنا وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وخربنا منكم ديار الاواخر والاوائل ، لكان لك ان تعض على أناملك بالندم . ولا بد ان تزل بك القدم في يوم اوله لنا وآخره عليك . فهنالك تسيء بك الظنون ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . فاذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على اول سورة النحل : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » .

« وكن على آخر سورة ص . ولتعلمن نبأه بعد حين . . ونعود الى قوله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين » . والى قول الحكماء : « ان الباغي له مصرع ، وبغيك

(١) السلوك ص٣٣٥ .

مصرعك . والى البلاء يقلبك ، والسلام » .

٣٣ — دارت المعارك بين الفريقين في مصر . ولا محل لذكر هذه المعارك هنا . غير انه لا بد من القول ان الملك الصالح **نجم الدين ايوب** مات (٦٤٧ هـ — ١٢٤٩ م) والقدس لا تزال في يده . وتولى مكانه ولده الملك المعظم **غياث الدين تورانشاه** .

٣٤ — ان الملك المعظم لم يحسن الادارة . فاهمل الامراء والاكابر ، وابعد غلمان ابيه ، وقدم الاراذل . وجعل الطواشي مسروراً ، وهو خادمه ، استادار السلطان . واساء الى المماليك وتوعدهم . وانهمك في الفساد . فنفرت منه قلوب المماليك البحرية . فتآمروا عليه . وقتلوه (٦٤٨ هـ — ١٢٥٠ م) . وبمقتله انقرضت دولة بني أيوب بمصر .

٣٥ — من رجال بيت المقدس الذين اشتهروا على عهده الامام جمال الدين ابو عبد الله **محمد بن سليمان البلخي المقدسي** المعروف بابن النقيب . ولد بالقدس[١] سنة ٦٢١ هـ — ١٢٢٣ م واقام في الازهر مدة طويلة . وله مصنف حافل بلغ تسعة وتسعين مجلداً . وفيه الشيء الكثير عن اخبار بني أيوب .

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) للاستاذ احمد سامح الخالدي ص١٠

✶ ✶
●

الباب الرابع

القدس

في عهد المماليك

- القدس في عهد المماليك البرجية
- القدس في عهد المماليك البحرية
- مدارس القدس القديمة

القدس في عهد المماليك

بعد ان تسعت مملكة بني ايوب ، على عهد السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وكانت كلمتهم هي العليا في مصر والشام ؛ عادت ، فتضاءلت عندما توفي الملك الصالح (٦٤٧ هـ – ١٢٤٩ م) وتولى مكانه ولده الملك المعظم غياث الدين تورانشاه . اذ ان هذا لم يحسن ادارة الملك . فنفرت قلوب المماليك البحرية منه ، فتآمروا عليه ، وقتلوه (٦٤٨ هـ – ١٢٥٠ م) . وبمقتله انقرضت دولة بني ايوب .

٢ – اجتمع امراء المماليك على اثر ذلك الحادث . واتفقوا على اقامة (**شجرة الدر**[١]) في مملكة مصر . فاصبحت هذه سيدة البلاد . واقاموا (الامير عز الدين ايبك) التركماني على رأس جيشها .

٣ – لم ترض الشام عن هذه الحركة . لا ، ولا بغداد . وقد استنكرها الخليفة العباسي **المعتصم بالله** .

وحدث ان اقترنت شجرة الدر ، على اثر ذلك ، بالامير عز الدين ايبك . وتنازلت له عن الملك . فاصبح ملكا . وراح يدعى « **الملك المعز عز الدين** ايبك الجاشنكير التركماني » .

٤ – اسس ايبك العائلة المملوكية الاولى (٦٤٨ هـ –١٢٥٠ م). وعرف بلقب المعز . واختلف مع الملك الناصر[١] في دمشق . وكان الخلاف يحوم حول سوريا . فراح الفريقان يقتتلان : مماليك مصر من ناحية ، والامراء الايوبيون في دمشق من الناحية الاخرى . وكانت الحرب سجالا بينهما . ثم اصطلحا[٢] (٦٥١ هـ – ١٢٥٣ م) : على ان يكون المصريين الى الاردن ، وللناصر ما وراء ذلك . وان يدخل فيما للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله .

٥ – بعد مقتل الملك المعز ايبك ، تولى الملك ابنه **الملك المنصور على بن ايبك** التركماني (٦٥٥ هـ – ١٢٥٧ م) . ولكن هذا كان صغير السن ، وكان ضعيفا . فاستغل رجال الشام ضعفه ، وخرج فريق منهم الى القدس . وكان فيها يومئذ (سيف الدين كبك[٣]) . فطلبوا منه ان يكون معهم فامتنع . فاعتقلوه . وخطبوا بالقدس للملك المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن ايوب . ثم ساروا الى غزة ومصر . وفي الصالحية وقعت الحرب بين الفريقين . فكان النصر حليف المصريين .

يظهر ان مماليك مصر اعتقدوا ان خصومهم ما كانوا ليجرؤوا على التحرش بهم ، رغم الاتفاق السابق ، لولا ضعف ملكهم ، فخلعوه (٦٥٧ هـ – ١٢٥٩ م) . واقاموا مكانه الامير سيف الدين قطز

(١) انها في الاصل جارية تركية وعلى قول ارمنيه . اشتراها الملك الصالح نجم الدين ايوب . فنالت عنده الحظوة الكبرى . اسمها عصمة الدين . وتلقب بام خليل وشجرة الدر . انها وان كانت تتمتع بمكانة ممتازة في قصر الملك الصالح ، الا انها ما كانت لتحلم انها ستصبح الامرة الناهية في البلاد ، لولا مقتل تور انشاه .

(١) الملك الناصر يوسف بن العزيز محمد بن غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب .

(٢) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .

(٣) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٤٤

المعزي[١] ، ولقبوه **بالملك المظفر** . وقد عرف هذا بالشدة والصرامة والاقدام .

٦ – ولما قتل قطز[٢] اقام الامراء الذين قتلوه بدلا منه الامير **ركن الدين بيبرس**[٣] (١٩ ذي القعدة ٦٥٨ هـ – ١٢٦٠ م) ولقب بالملك **الظاهر بيبرس** . وكان يكنى (ركن الدين ابو الفتح بيبرس الصالحي النجمي البند قداري) .

٧ – كان اول عمل قام به الملك الظاهر بيبرس بعد ان تولى الملك ، الغاء جميع الضرائب التي احدثها قطز ، وتعمير البلاد التي دخلت تحت حوزته . انه حكم فلسطين حكماً عادلا . وطارد من بقي فيها من الصليبيين . وقاوم جيوش التتار ، وصدهم عن فلسطين ، واهتم بالاماكن المقدسة اهتماماً تامـاً ، فعمرها .

٨ – ولقد زار بيت المقدس يوم الجمعة ١٧ جمادى الاخرة ٦٦١ هـ – ١٢٦٢ م . فجدد قبل كل شيء ما كان قد تهدم من الصخرة[٤] . وجدد قبة السلسلة ، وزخرفها . ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة الآف درهم . وانشأ بها خاناً للسبيل نقل بابه من دهليز كان للخلفاء المصريين بالقاهرة . وعلى قول انه باب القصر المعروف بباب[١] العيد . والذي تولى بناء الخان المذكور هو الامير جمال الدين محمد بن نهار[٢] . ولما تم بناؤه (٦٦١ هـ – ١٢٦٢ م) وقف عليه قيراطاً ونصف بالمطر[٣] ، وثلث وربع قرية المشيرفة من بلد بصرى من اعمال حوران ، ونصف قرية لبنى[٤] . على ان يصرف ريع ذلك في خبز وفلوس واصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين المشاة . وبنى به مسجداً وطاحونا وفرنا وبستاناً . ونادى بالقدس الا ينزل احد في زرع .

٩ – عندما ذكر القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٠) الخان الذي بناه الملك الظاهر بالقدس ، قال انه (امر ببناء خان خارج البلد) . انا لا نظن انه يقصد خارج السور . اذ ان السور كان يومئذ لا يزال متهدماً منذ زمن الملك المعظم عيسى (١٢١٩ م) . ولم نسمع بتعميره خلال تلك السنوات التي انقضت بعد ذلك التاريخ . وانما نميل الى الظن انه يقصد ان يقول في اقصى المدينة . ومن يدري ؟ لعله يقصد البناء الذي لا يزال قائماً حتى الآن عند مفترق الطرق بباب العمود من الداخل ، وعلى بعد مئة متر من الباب المذكور الى القبلة . له اربع قبـاب مبنية على الطراز الهندسي الذي كان مألوفاً في زمن المماليك . وهو الآن وقف يستغله جماعة من آل الخالدي والعلمي

---

(١) كان من مماليك المعزايبك .

(٢) الذي قتله قائد جيشه بيبرس . وهو الذي تولى الملك من بعده . وقيل ان السبب في ذلك هو ان قطز وعده بحلب ثم استرد وعده ، فاضمر له الشر ، فقتله .

(٣) انه تركي الاصل . اشتراه الملك الصالح نجم الدين ايوب ورقي في مناصب الدولة حتى اصبح ملكاً .

(٤) النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٩٤ . وعلى رأي فوات الوفيات والذيل على مرآة الزمان ، قبةالصخرة هي التي جـدد بها وليست الصخرة نفسها .

(١) كان ذلك الباب احـد ابواب القصر الكبير الفاطمي . وقيل له باب العيد،لان الخليفة كان يخرج منه في يوم العيدين للصلاة . صبح الاعشى للقلقشندى ج ٣ ص ٣٥٠ .

(٢) هذا ما جاء في السلوك وعيون التواريخ . واما في الاصل فانه محمد بن بهادر (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢١) .

(٣) وفي عيون التواريخ قيراطاً ونصف من الطرة (النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٢١) .

(٤) فيعيون التواريخقريةلفتا (النجومالزاهرة ج ٧ص ١٢١) .

وقليبو وغيرهم . يعرف متولو الوقف انه من آثار الملك الظاهر . ويظهر انه كان على عهد الملك الظاهر مخفراً لرجال الشرطة ، او دارا للاستراحة ، او مقراً للمحتسب الذي كان مسؤولاً عن الحسبة ونظارة السوق . وقد يكون الخان الذي ذكره القلقشندي قريباً من هذا المكان .

١٠ – ولقد زار الملك الظاهر بيبرس القدس مرة اخرى في شعبان من سنة ٦٦٤ هـ – ١٢٦٥م . ويظهر ان التعميرات التالية جرت خلال زيارته الثانية هذه او بعدها بقليل :

ان (رباط البصير) الكائن شمالي الطريق الموصلة الى الحرم من جهة باب الناظر وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور للغرب ، انشيء سنة ٦٦٦ هـ – ١٢٦٧ م[١] . هناك بلاطة من رخام وضعت فوق بابه ونقش عليها ، بالنسخ المملوكي القديم وباحرف صغيرة ، الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما وقف **الامير علاء الدين آيدغدي**[٢] الركني . وقف جميع داخل هذا الباب من الاقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس السريف ، وقفاً مؤيداً في سنة ست وستين وستماية . . » . وقد استغل الاتراك هذا المكان ، على عهدهم ، سجناً . وسموه : (حبس الدم) .

وقال مجير الدين في موضع آخر من كتابه الانس الجليل ان الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة من الظاهر من آثار الملك الظاهر (٦٦٩هـ – ١٢٧٠ م[١]) . وهو الذي بنى على قبر موسى عليه السلام عند الكثيب الاحمر قبلي اريحا قبة ومسجدا ، ووقف عليه وقفاً (٦٦٨هـ – ١٢٦٩م) .

١١ – ومن صفات الملك الظاهر انه كان يشجع العلم . وكانت القدس على عهده مأوى للعلماء . ومنهم[٢] :

المحدث زين الدين احمد بن عبد الدائم بن نعيمة المقدسي . ذكره الذهبي فقال عنه : انه توفي سنة ٦٦٩ هـ – ١٢٧٠ م بالقدس ، ودفن فيها .

وشيخ الحرم القدسي موسى بن غانم بن علي بن ابراهيم بن عساكر بن حسين الانصاري . كان كبير القدر ، وكان شجاعاً . تولى مشيخة الحرم بالقدس . ومات بها بعد ان جاوز السبعين ٦٦٩هـ – ١٢٧٠م .

والامير شرف الدين ابو محمد عيسى بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كامل الكردي الهكاري . فقد كان هذا احد اعيان القدس . سمع الحديث وحدث . ولد بالقدس سنة ٥٩٣ هـ – ١١٩٦ م . وكان احد الامراء المشهورين بالشجاعة والاقدام . وله وقائع معدودة ومواقف مشهورة مع العدو ، بارض الساحل وفي الاعمال الجليلة . قدمه الملك الظاهر بيبرس على العساكر في الحروب غير مرة . مات بدمشق سنة ٦٦٩ هـ – ١٢٧٠ م . **ومن شعره ما كتبه للوزير شرف الدين بن المبارك وزير اربل :**

---

(١) (الانس الجليل) لمؤلفه مجير الدين . ص ٣٩٤ و ص ٦٠٥ .

(٢) كان ناظرا لاوقاف القدس . وله فيها عدة عمائر ورباطات وآثار . وكلمة (آيدغدي) تركية معناها : (ولد القمر) .

(١) هذا ماقاله مجير الدين في الصفحة ٤٣٣ من كتاب (الأنس الجليل) . واما المقريزي فانه يقول في الصفحة ٦٠٨ من كتابه (السلوك في معرفة دول الملوك) ان عمارة الصخرة انجزت سنة ٦٧١هـ – ١٢٧٢م .

(٢) النجوم الزاهرة ج٨ ص٢٣٠

أأحبابنا ان غبت عنكم وكان لي
الى غــير مغنـاكم مراح وايام
فما عن رضا كانت سليمى بديلة
بليلى ولكن للضرورات احكام

١٢ – مات الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ – ١٢٧٧ م بعد ان ملك مصر والشام سبع عشرة سنة . كان يحب القدس . وقد نزلها . وكانت عدة عسكره اثني عشر الفاً : ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب . وكان كثير السفر ، خفيف الحركة . حتى قال فيه سيف الدولة المهمندار من ابيات يمدحه فيها :

يوماً بمصر ويوماً بالحجـــاز وبالـ
شام ويومـــاً في قرى حلب
تدير المـــلك من مصر الى يمن
الى العراق وارض الروم والنوبي

١٣ – تولى الملك ، بعد الملك الظاهر ، ابنه **الملك السعيد ناصر الدين محمد** (٦٧٦ هـ – ١٢٧٧ م) ثم ابنه الثاني **الملك العادل بدر الدين سلامش** (٦٧٨هـ – ١٢٧٩ م) . ولم يذكر التاريخ انهما قاما بعمل في القدس . وقد ترك الملك كلاهما خلعاً . فتولاه من بعدهما **الملك المنصور سيف الدين قلاون** (٦٧٩ هـ – ١٢٨٠ م) . وكان يلقب بالصالحي الالفي .

١٤ – قامت على عهده بالقدس المنشئات الآتي ذكرها :

(رباط قـــلاون[1]) ويسمى ايضا الرباط المنصوري . انشأه سنة ٦٨١ هـ – ١٢٨٢ م . ووقفه على الفقراء من زوار القدس .

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا الرباط بالفصل الذي خصصناه لمدارس القدس في عهد المماليك .

١٥ – (المسجد القلندري) واقع في طريق دير اللاتين او حـــارة دير الافرنج ، في الناحية الجنوبية . لم يبق منه اليوم سوى الاسم .

أُسس هــذا المسجد في زمن الملك المنصور قلاون (٦٨٦ هـ – ١٢٨٧ م) . يدلـك على ذلـك الكتابة الاتية وهي مكتوبة على الحائط المطل على الطريق قياسها ٨٦ س في ٤٥ :

« بسملة . . . الصلاة . . . جددت عمارة هذا المسجد المبـــارك في ايام مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون ، خـــلد الله ملكه . ومما وقف له وحبس عليه الطبقة اعلاه والتربة قبالته وما يليه من الغرب بتاريخ سنة ستة وثمانين وستماية .

١٦ – (الكبكية) (القبقية) ويسميها الناس (القبقية) .قبة جميلةواقعةفي تربة ماملا والى الشمال الشرقي من البركة . وهناك على بلاطة من رخام فوق مدخلهانقشت بالنسخ المملوكي القديم الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . والصلاة على نبيه محمدو آله . هـذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى الامير علاء الدين ايدغدي بن عبدالله المعروف بالــكبكي . توفي في يوم الخميس الخامس من شهر رمضان المعظم سنة ثمانية وثمانين وستماية . تغمده الله برحمته واسكنه جنته» (٢٢ سبتمبر ١٢٨٩ م)

١٧ – واليك بيان الوقـــائع التي جرت على عهد الملك المنصور قلاون ، نذكرها بمقـدار ما لها من صلة تاريخية بمدينة القدس ، منقولة عن كتاب السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي . قال :

(أ) اعتقل ملك الكرج توما سوطا بن كلياري عند زيارته لبيت المقدس (٦٨١ هـ – ١٢٨٢ م) وارجعه الى بلاده .

(ب) زار القدس[١]. واقال نائبها عماد الدين ابن ابي القاسم . واقام مكانه نجم الدين السونجي[٢] (٦٨٢ هـ — ١٢٨٣ م) .

(ج) اصدر مرسوما يقضي بالا يستخدم احد من اهل الذمة — اليهود والنصارى — في خـدمات الدولة . فصرفوا عنها (٦٨٤ هـ — ١٢٨٥ م) .

(د) عين بدر الدين محمد بن جماعة خطيبا بالقدس ، عوضا عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن ابرهيم القرشي بحكم وفـاته (٦٨٧ هـ — ١٢٨٨ م) . وكان ذلك بناء على توصية الامير علم الدين سنجر الدواداري الذي كان شاداً ومديراً من غزة الى الفرات .

١٨ — وفي يوم الخميس ، الخـامس من شهر ربيـع الاول من سنة ٦٨٢ هـ — ٣ يوليو ١٢٨٣ م[٣] قامت هدنة بين السلطان الملك المنصور قـلاون وبين الفرنج بعكا[٤] ، مـدتها عشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات . على ان يكون للسلطان الملك المنصور وولده البلاد الاتي ذكرها :

مملكة الديار المصرية ، والبلاد الحجازية ، وثغر غزة المحروس وما معها من المـوانيء والبلاد ، والمملكة الكركية والشوبكية والصلت وبصرى ، ومملكة بـلاد الجليل ، ومملكة القدس الشريف ، وعسقلان واعمالها وموانيها وسواحلها ، ومملكـة يافا والرملة وقيسارية وبيت جبريل ، ومملكـة نابلس واعمالها . ومملكة الاطرون واعمـالها ، وارسوف ، وقاقون ، ولد ، والعوجا ، وما معها من الملاحـة ، وبيسان ، والطور ، واللجون واعمالها ، وجنين وعين جالوت ، والمملكة الصفدية ، والنصف لمملكة عكا ، والمملكـة الدمشقية ، ومملكة حمص ، ومملكة حماة ، والمملكة الحلبية . واما القسم الباقي من البلاد ؛ فاما ان يكون قد ترك للفرنج كله ، او تقاسمه الفرنج مع السلطان .

١٩ — بعد وفاة الملك المنصور قلاون تولى الملك ابنه السلطان **الملك الاشرف صلاح الدين** خليـل (٦٨٩ هـ — ١٢٩٠ م) . ثم ابنه الثـاني السلطان **الملك الناصر محمد بن قلاون** (٦٩٣ هـ — ١٢٩٤ م) . وفي زمنه جددت فصوص الصخرة . وفي سنة ٦٩٦ هـ ١٢٩٦ م تولاه السلطان **الملك المنصور حسام الدين** لاجين المنصوري المعروف بالصغير . وخطب له في القدس وغزة ومصر والكرك ونابلس . وبعد مقتل الملك المنصور لاجـين (٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م) تولى الملك للمرة الثانية السلطان **الملك الناصر محـمد بن قلاون** . ثم تسلطن **الملك المظفر ركن الدين** بيبرس الجاشنكير المنصوري (٧٠٨ هـ — ١٣٠٨ م) . ثم عاد **الملك الناصر محمد بن قلاون** للمرة الثالثة (٧٠٩ هـ — ١٣٠٩ م) . ودامت سلطنته في هذه المرة حتى سنة (٧٤١ هـ — ١٣٤١ م) .

٢٠ — ومن المنشئات التي قامت في القدس على عهد الملك الناصر محـمد بن قلاون نذكر المدارس[١] والاروقة التالية[٢] :

(١) معجم البلدان ج٣ ص١٩٧ و ج٤ ص٧٨١

(٢) نسبة الى سونج من اعمال سمرقند .

(٣) (تاريخ الدول والملوك) لابن الفرات ج١٤ ص١٨٨ و (دولة بني قلاوون في مصر) للدكتور محـمد جـمال الدين سرور ص ٢٣٣

(٤) كانت عكا وصيدا وعتليت من بقايا مملكة القدس . وملكها في تلك السنة Charles of Anjou

(١) ارجع الى ما كتبناه عن هذه المدارس في الفصـل الذي خصصناه للمدارس .

(٢) ارجع الى ما كتبنـاه عن هذه الاروقـة في الفصـل الذي خصصناه للحرم القدسي .

مدرسة رباط الكرد عند باب الحديد (٦٩٣ هـ – ١٢٩٣ م) . والمدرسة السلامية بباب شرف الانبياء (٧٠٠ هـ – ١٣٠٠ م) . والمدرسة الوجيهية بخط درج المولة (٧٠١ هـ – ١٣٠١ م) . والمدرسة الجاولية[1] شمالي الحرم عند درج الغوانمة (٧١٥ هـ – ١٣١٥ م) . والمدرسة الكريمية بباب حطه (٧١٨هـ – ١٣١٨ م) . والمدرسة التنكيزية عند باب السلسلة غربي الحرم (٧٢٩ هـ – ١٣٢٨ م) . والمدرسة الامينية شمالي الحرم (٧٣٠ هـ – ١٣٢٩ م) . والمدرسة الملكية ويقال لها مدرسة الجوكندار ايضاً في شمالي الحرم (٧٤١ هـ – ١٣٤٠ م) .

ومنها ايضاً الرواق الممتد من باب الغوانمة الى باب الناظر (٧٠٧ هـ – ١٣٠٧ م) . والرواق الممتد من باب الناظر الى باب القطانين ، ومن باب القطانين الى باب المغاربة .

٢١ – ومن هذه المنشئات :

(الجامع) الكائن بداخل القلعة عند زاويتها القبلية الغربية . وقد كتب على بابه بالخط النسخي المملوكي الكلمات الآتية : « بسملة . . انشأ هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون اعز الله نصره في تاريخ سنة عشرة وسبعماية حسبنا الله ونعم الوكيل» . ١٣١٠م .

(١) نسبة لمنشئها الامير الكبير علم الدين ابو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي . ولد بآمد سنة ٦٥٣ هـ – ١٢٥٥ م وظل يترقى في مناصب الدولة الى ان ولي نظارة الحرمين الشريفين نيابة القدس وقد انشا وهو في القدس هذه المدرسة التي عرفت باسمه. بناها في المكان الذي كان يقوم عليه (برج انطونيا) على عهد الرومان . وقد توفي في شهر رمضان سنة ٧٤٥ هـ – ١٣٤٤م. ودفن بالخانقاه التي بناها في القاهرة بالقرب من جامع ابن طولون .

ليس هذا فحسب . بل انه قام بترميم القلعة نفسها . وبعد ان كانت هذه طللاً ينعق فوقه بوم الخراب ، جددها وحصنها. وكان ذلك على يد كافل المملكة بكتمر الجوكندار وفي سنة ٧١٠ هـ – ١٣٢٠ م . وانك لترى[1] على بلاطة من رخام موضوعة في القوس الذي فوق المدخل الثاني الكلمات الآتية مكتوبة بالخط النسخي المملوكي القديم :

« بسمله . . . عز لمولانا السلطان الاعظم الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاون اعز الله نصره في شهور سنة عشر وسبعماية » .

٢٢ – وفي زمن الملك الناصر محمد بن قلاون تجدد تذهيب قبة الصخرة من الداخل ، وصفائح الرصاص من الخارج . وانك لواجد في اسفل رقبة القبة من الداخل ، فوق اقواس الدهليز الكلمات التالية :

« امر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في ارضه القائم بسننه وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاون ، تغمده الله برحمته . وذلك في سنة ثمان عشرة وسبع مائة » . ١٣١٨ م .

٢٣ – وفي زمنه ايضاً جددت[2] قبة المسجد الاقصى. وانك لتقرأ حول القبة من الداخل الكلمات التالية مكتوبة باحرف كبيرة من النوع المعروف بالثلث : « بسم الله الرحمن الرحيم . جددت هذه القبة المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المشاعر المؤيد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محي العدل في العالمين سلطان

(١) برشام . والقلقشندي ج ٤ ص ٦٠١

(٢) اعتقد ان الملك محمد بن قلاون لم يجدد القبة نفسها ، وانما جدد تذهيبها.

الاسلام محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون الصالحي تغمده الله برحمته في شهور سنة ٧٢٨ هـ » ١٣٢٨ م .

وامر بوضع الرخام في صدر المسجد (٧٢٩هـ — ١٣٢٨ م) . وقد تم ذلك بمعرفة الامير ناصر الدين ناظر الحرمين في القدس والخليل . وكذلك قل عن الشبابيك الجبصية الملأى بالزجاج الملون . تلك الشبابيك الكائنة في صدر المسجد .

وعمر السور القبلي عند محراب داود . وفتح الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله . وتجد مكتوباً فوق شباك المسجد الاقصى غربي المنبر : « بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشباك والرخام المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون الصالحي بالاشارة العالية تنكيز[١] الناصري كافل الممالك الشريفة الشامية . وذلك سنة ٧٣١ هـ » ١٣٣٠ م .

وكذلك فوق الشباك الكائن شرقي المحراب : « جدد هذا الشباك والرخام المبارك في ايام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون عند نصره بالاشارة العالية الشريفة تنكيز الناصري سنة ٧٣١ هـ » ١٣٣٠ م .

وفي واجهة المسجد الامامية فوق الاروقة اربعة الواح حجرية[٢] واحد منها الى الغرب. وقد نقشت عليه الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الجامع المستجد والابواب المستجدة في أيام مولانا السلطان

(١) انه الامير سيف الدين تنكيز بن عبد الله الملكي المكنى بابي سعيد . كان نائب السلطنة بالشام . وتوفي بالاسكندرية سنة ٧٤١ هـ — ١٣٤٠ م. ونقل الى تربته بدمشق. له منشئات عديدة؛ منها ماذكرناه هنا، والمدرسة التنكيزية، وسوق القطانين

(٢) اثنان منها وهما فوق الرواق الاوسط وضعا في زمن الملك المعظم عيسى والملك الاشرف قايتباي. وقد ذكرناهما في غير هذا المكان.

العادل العامل الملك الناصر سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مولانا السلطان الشهيد محمد قلاون الصالحي . تغمده الله بالرحمة . بنظر العدل الفقير الى الله تعالى ، بالبلا الصابري ، ناظر الحرمين الشريفين ، بتاريخ شهر رجب الفرد سنة اربعين وسبعماية » ١٣٣٩ م .

٢٤ — **وهو الذي انشأ القنطرتين** اللتين تراهما منصوبتين فوق الدرجتين الى اقصى الشمال من فناء الصخرة. احداهما (وهي الى الشرق) مقابل باب حطة. والثانية (وهي الى الغرب مقابل الباب المعروف بباب العتم او باب فيصل . واليك ما نعرفه عن هاتين القنطرتين وعن الفناء الذي تقومان عليها .

أما **فناء الصخرة**[١] فانه فناء مربع الشكل . فرش بالبلاط الأبيض سنة ٦٩٣[٢] هـ — ١٢٩٣ م في ايام الملك المنصور قلاون ، على يد نائب القدس في ذلك الحين ، الامير علاء الدين آيدوغدي بن عبدالله الصالحي النجمي . طوله من القبلة إلى الشمال أكثر من عرضه من الشرق الى الغرب . انه فناء واسع مساحته من القبلة الى الشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الشرق الى الغرب مائتا ذراع وثلاثة وعسرون ذراعاً ونصف ذراع . وهو مرتفع[٣] إثني عشر قدماً ، يصعد اليه بأدراج من

(١) ويسمى ايضا (صحن الصخرة). واما عامة الشعب من سكان القدس فيسمونه (سطح الصخرة) و (سطوح الصخرة) .

(٢) هذا ما جاء في (خطط الشام) ص ٢٧٠ وفي اعتقادي ان الفناء المذكور فرش بالبلاط قبل ذلك ببضع سنوات . ذلك لأن الامير علاء الدين ايدوغدي الذي قام بهذا العمل توفي سنة ٦٨٨ — ١٢٨٩ م يدلنا على ذلك البلاطة المثبتة على تربته (القبقبية) في مقبرة مأمن الله .

(٣) يعتقد بعض المؤرخين ان هذا الارتفاع غير طبيعي ، وان ارض الصخرة كانت فيما مضى منخفضة، وان هذا المنخفض من الارض الذي كان حول الصخرة املىء بالتراب. ولكن هؤلاء المؤرخين لم يستطيعوا ان يجزموا في اي تاريخ وقع هذا الاملاء، وان كان بعضهم يميل الى الاعتقاد انه جرى في زمن سليمان الملك.

الجهات الاربع ، وفي أعلى كل درج قنطرة قائمة على أعمدة من رخام ، ويسمون هذه القناطر (موازين) لاعتقادهم أن الميزان سينصب هناك يوم الحساب ! إن هذه القناطر وإن كانت كثيرة الشبه بداخل المعابد الرومانية ، الا انه لا صحة للقول القائل[1] : بأنها من صنع هيرودس الملك . إنها كلها من المنشآت الاسلامية .

اما (القنطرة الشمالية الى الشرق) وهي التي تواجه باب حطة ومئذنة باب الاسباط ، فقد أنشئت سنة ٧٢٦ هـ — ١٣٢٥ م وعليها ثلاث بلاطات نقشت على احداها هذه الكلمات :

« بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر . تكمل بلاط الحرم الشريف ، وأنشئت هذه القناطر في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون . وذلك في ثاني ربيع الاول سنة ست وعشرين وسبع ماية هـ » — ١٣٢٥م .

وعلى البلاطة الثانية : « وكان فراغ هذا البلاط المبارك والقناطر المباركة » .

وعلى الثالثة : « بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى أيدمر الشجاعي الملكي الناصري ناظر الحرمين الشريفين عفا الله عنه » .

وأما (القنطرة الشمالية الغربية) فقد كتبت عليها بالنسخ المملوكي الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشئت هذه القناطر المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون رحمه الله في جمادى الاخرة سنة إحدى وعشرين وسبعماية هـ » — ١٣٢١ م .

(١) (الرحلة الحجازية) لمحمد لبيب البتنوني ص ١٦٦ . طبعت في مصر .

٢٥ — (سوق القطانين) الكائن غربي الحرم . انه من منشآت المماليك في عهد الملك الناصر محمد ابن قلاون . ويسمونه (خان تنكيز) . قال السيوطي : « باب القطانين ويقال انه مستجد فتحه السلطان الملك الناصر بن قلاون . وكان قد تلاشى حاله . ولما عمر المرحوم تنكيز الحسامي الناصري نائب الشام رواق المسجد وسوق القطانين عمر هذا الباب بالعمارة المتقنة التي عليها الآن » .

طول هذه السوق مئة متراً وعرضها عشرة امتار . وعلى جانبيها دكاكين كانت عند انشائها (٧٣٧هـ — ١٣٣٦م) معدة لبيع جميع انواع الموصلين والاقمشة القطنية والبضائع الحريرية التي كانت تحملها القوافل التجارية من الهند الى القدس عن طريق البصرة وبغداد والموصل . ولكن اهمية هذه السوق تضاءلت . عند اكتشاف رأس الرجاء الصالح (١٤٩٧م) . فلم يستعمل الا قليلاً . ولقد اهمل بالمرة في اواخر العهد التركي .

٢٦ — (قناة الماء) الواصلة الى مدينة القدس . جاء في (الانس الجليل) : ان ابتداء عمارتها كان في شوال سنة ٧٢٧هـ — ١٣٢٧م وانها وصلت الى وسط المسجد الاقصى في اواخر ربيع الاول سنة ٧٢٨هـ — ١٣٢٨م . كانت في ما مضى تسمى : (قناة السبيل) .

(البركة) الكائنة بين الصخرة والأقصى ، والتي تعرف في يومنا هذا بـ (الكاس) . وهي مصنوعة من الرخام . قال مجير الدين انها انشئت في التاريخ الذي وصل الماء فيه الى الحرم والذي ذكرناه في الاسطر المتقدمة .

(الحمام) الكائن بباب القطانين والمعروف بالحمام

الجديد . انه ايضاً من منشآت المماليك[١] على عهد الملك الناصر محمد بن قلاون .

٢٧ – ومن المنشآت التي قامت في القدس على عهد الملك الناصر محمد بن قلاون :

(السور القبلي) الذي عند محراب داود . اساسه قديم ، ولكن عمارته جددت في زمن المماليك البحرية . نقل فان برشام في كتابه[٢] الكلمات التالية التي رآها منقوشة على جانب من جوانب السور المذكور بالنسخ المملوكي القديم وباحرف كبيرة :

« بسمله . . عمر هذا السور المبارك في ايام مولانا السلطان العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر المنصور الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ابي الفتح محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي اعز الله انصاره ، بنظر العبد الفقير الى الله تعالى الامير علاء الدين كندغدي[٣] ابي الوفاء الناصري » .

وقد ذهب فان برشام الى ان ذلك جرى حوالي سنة ٧٠٠ هـ – ١٣٠٠ م .

٢٨ – وكذلك قل عن (الخانقاه) . فانها من منشئات الملك الناصر محمد بن قلاون .

(١) يقول مجير الدين في كتابه الانس الجليل ان المنشئات المتقدم ذكرها (سوق القطانين وبابه وقناة الماء والبركة والحمام ، وكذلك الرخام الذي في قبة المسجد عند المحراب والرواق الغربي الذي في ساحة الحرم) الفضل فيها يعود الى نائب الشام الامير سيف الدين تنكيز الناصري الذي تولى النيابة سنة ٧١٢ هـ – ١٣١٢ م وتوفي سنة ٧٤١ .هوان هذا مات مسموماً بقلعة الاسكندرية ودفن بدمشق . وكان رجلا عظيما وله مآثر كثيرة في القدس . واملاك اوقفها على وجوه البر .

(٢) Materiau pur un Corpos Inscriptionum Arabicarum.

(٣) (كون دوغدى) كلمة تركية معناها ولد اليوم او بدأ النهار

وانك لواجد على قاعدة من رخام في الحائط القبلي الكلمات الاتية منقوشة بالخط النسخي المملوكي الجميل :

« بسمله . . اشار بانشاء هذا المحراب وعمارة المجمع المبارك الفقير عيسى بن احمد بن غانم ، عفى الله عنه ورحم سلفه ، في ايام مولانا السلطان محمد ابن قلاون عز نصره ، في شعبان سنة احد واربعين وسبعمئة » .

(المقصود من كلمة المجمع الزاوية والمسجد والمدرسة معا . .) .

٢٩ – وفي عهده مات الشيخ جمال الدين محمد ابن سليمان بن الحسن بن الحسين بن النقيب البلخي الاصل المقدسي الفقيه الحنفي . ولد بالقدس في نصف شعبان سنة احدى عشرة وستماية . وصار احد الاعلام . وله كتاب تفسير القرآن في سبعين مجلدا . وقد قدم القاهرة ، واقام بها . ودرس بالعاشورية ، وهي احد المدارس التي انشئت بالقاهرة في اوائل العصر الايوبي . مات بالقدس في محرم سنة ٦٩٨ هـ . ومات بالقدس ايضاً في نفس السنة ، الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب. مات في ١٤ ذي الحجة سنة ٦٩٨ هـ .

٣٠ – لم يخل عهد الملك الناصر على ما وصل اليه من عز ، من فتن داخلية . فلقد حدثنا تغرى بردى في كتابه (النجوم الزاهرة[١]) ان الامراء ومنهم سلار وبيبرس الجاشنكير ، وشوا عنده (٧١٧ هـ – ١٣٠٧ م) بمماليكه الذين يناوئونهم السلطة والنفوذ . فطلبوا منه اخراج الشبان الذين يرمون الفتنة بين السلطان والامراء . وان السلطان امتنع في باديء

(١) ج٨ ص١٧٣ و ١٧٤

الامر ، ولكنه عاد فانصاع الى كلامهم . ونفى جماعة : منهم يلبغا التركاني،وايدمر المرقبي،وخاص ترك الى القدس . وساقهم من وقتهم مع البريد . ولكن السلطان بات ليلته في قلق زائد وكرب عظيم لاخراج مماليكه الى القدس . . . » .

٣١ – وفي عهده قوية شوكة التيار ، واخذ قائدهم (غازان) يعيث في البلاد فساداً . وراح جنوده في القدس وفي الكرك ينهبون . كما راحوا في الاماكن المقدسة يشربون الخمور . ويفضون البكور ، ويهتكون الستور .

٣٢ – ويظهر ان القدس كانت ، على الرغم من قدسيتها ، تعتبر يومئذ منفى للذين يحل عليهم غضب السلطان . فقد حدثنا تغري بردي في كتابه المتقدم ذكره[١] ان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون غضب على (كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله ابن السديد) ناظر الخواصي ووكيل السلطان ، وقد كان معدوداً من عظماء الدولة ، فنفاه الى القدس (٧٢٣ هـ – ١٣٢٣ م) . ثم استدعاه الى مصر . وارسله الى اسوان . وبعد قليل وجد مشنوقا بعمامته .

٣٣ – زار الملك الناصر محمد بن قلاون القدس الشريف[٢]: «بدأ زيارته في يوم الخميس رابع جمادي الاولى سنة ٧١٧ هـ – ١٣١٧م . وسار ومعه خمسون اميراً وكريم الدين الكبير ناظر الخواصي ، وفخر الدين ناظر الجيش ،وعلاء الدين علي بن احمد بن سعيد ابن الاثير كاتب السر . بعد ما منح كل واحد فرسا مسرجا وهجينا، وبعضهم ثلاثة هجن. وكتب الى الامير تنكيز نائب الشام ان يلقاه بالاقامات[٣] لزيارة القدس . فتوجه الى القدس وزار معالمها . ثم زار الكرك . وعاد الى الديار المصرية . فكانت غيبته اربعين يوماً » .

٣٤ – بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاون تسلطن ثمانية من اولاده (٧٤١ هـ – ٧٦٢ هـ) (١٣٤١م – ١٣٦١م) هم: **الملك المنصور ابو بكر، والملك الاشرف كجك ، والملك الناصر احمد ، والملك الصالح اسماعيل ، والملك الكامل شعبان ، والملك المظفر حاجي ، والملك الناصر حسن، والملك الصالح صالح صلاح الدين .**

فلم يأت واحد من هؤلاء باي عمل يذكر ؛ لا في القدس ،ولا في غيرها من البلدان . اذ ما كان الواحد منهم ليتولى الملك ، حتى يقوم اخوه عليه او احد اقاربه ؛ فيقتله او يقيله او ينفيه ، وينتزع السلطة من يده . والعمل الوحيد الذي قام به حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون انه جدد جناحاً[١] من اجنحة الاقصى. ولكننا لا ندري اي جناح هو الذي عمره ؟ او ما الذي فعله في ذلك الجناح ؟

٣٥ – وكذلك قل عن الايام التي انقضت على عهد المماليك الذين تسلطنوا من بعدهم . وهم **الملك المنصور محمد** بن حاجي (٧٦٢ هـ – ١٣٦٠ م) . **والملك الاشرف شعبان** بن حسن (٧٦٤هـ – ١٣٦٢م) . **والملك الصالح حاجي** بن شعبان (٧٨٣هـ – ١٣٨١م) . وهو آخر من حكم من دولة المماليك الاولى المسماة بالبحرية او التركمانية .

٣٦ – فانه لم يحدث خلال تلك الفترة من الزمن تغيير له صلة بالقدس او يستحق الذكر ، سوى ان الرجل الذي كان يحكم القدس ،وقد كان قبلئذ يدعى

(١) ج٩ ص ٧٥
(٢) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٥٥
(٣) هو ما ينزل فيها المسافر من الخيام ولوازمها وما يتبعها من امتعة السفر .

(١) هناك كتابة منقوشة على لوح مثبت في واجهة المسجد من الشرق تقول انه جدد هذا النجاح ! . .

الوالي اصبح بعد سنة ٧٧٧ هـ – ١٣٧٥ م يدعى (النائب[1]) اي نائب السلطان . وكان هذا يخابر السلطان رأساً .

٣٧ – ان مؤسس دولة المماليك الثانية (ويسمونهم المماليك الابراج او الشراكسة[2]) هو **الملك الظاهر برقوق**[3] . بعد ان قضى هذا على دولة المماليك الاولى (البحرية) تولى هو الحكم ٧٨٤ هـ – ١٣٨٢ م . فاقره الخليفة المتوكل على الله . ودام في دست الحكم سبعة عشر عاما . تمكن خلالها من ايقاف قائد التتر المشهور تيمورلنك عند حده .

٣٨ – وفي زمنه رد الامير شهاب الدين احمد اليغموري ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس والخليل إلى القدس الشريف (٧٩٦ هـ – ١٣٩٣ م) . فابطل المكوس والمظالم والرسوم التي احدثها النواب من قبله ، ونقش بذلك رخامة الصقها على باب الصخرة من جهة الغرب .

٣٩ – ومن المنشئات التي قامت بالقدس على عهد الملك الظاهر برقوق :

(خان السلطان) الكائن على طريق باب السلسلة . فقد انشيء هذا الخان سنة ٧٨٨ هـ – ١٣٨٦ م . وكان يعرف بالوكالة . وقال مجير الدين[4] والمقريزي[1] ان الذي انشأه هو الملك الظاهر برقوق .

٤٠ – وكذلك قل عن (قناة العروب) التي توصل الماء الى القدس. فقد قال جرجي زيدان[2] ان الملك الظاهر برقوق هو الذي عمرها . وراحت هذه بعدئذ تعرف بـ (قناة السبيل) .

٤١ – (دار الست) وكانت تسمى الدار الكبرى. بنتها الست (طنشق بنت عبدالله) المظفرية بين سنتي ٧٩٤ هـ – ٨٠٠ هـ – ١٣٩٢ م – ١٣٩٨ م) . وقد ذكرها مجير الدين في كتابه الانس الجليل ص ٤٠٤ و ص ٤١٣ . وفي شمال هذه الدار التربة التي بنتها الست طنشق نفسها . وهي مدفونة فيها . توفيت بالقدس في شهر ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ – ١٣٩٨ م . كانت هذه التربة تسمى فيما مضى (تربة الست) . ويسميها اهل القدس الان (تربة خاصكي سلطان) . انها والدار الكبرى[3] المتقدم ذكرها كائنتان في العقبة المعروفة في يومنا هذا بعقبة التكية بين سوق خان الزيت وحارة الواد .

٤٢ – وفي زمن الملك الظاهر برقوق جددت دكة المؤذنين الكائنة بجانب باب المغارة والتي تراها أمامك اذا ما دخلت المسجد من بابه القبلي . ويظهر ان هذه الدكة قديمة العهد ، وانه تم تجديدها في زمن الملك الظاهر برقوق على يد نائبه بالقدس محمد بن السيفي بهادر الظاهري (٧٨٩ هـ – ١٣٨٧ م) .

---

(١) صبح الاعشى للقلقشندي . ج ٤ ص١٩٩ و ج٧ ص١٧٠

(٢) كانت منازلهم في سبريا حول بحيرة (بايقال) ، فهجروها . واستوطنوا بلاد القفقاس اولا وبلاد الشركس. ثم استقدمهم الملوك. واكثر من استخدامهم العباسيون وبنو أيوب والمماليك البحرية. فتقووا عليهم وقضوا على سلطانهم (البرغوثي وطوطح)

(٣) انه من موالي بني قلاون . كان يكنى بابي سعيد . وكان يعنون مراسيمه بالاوصاف التالية :«برقوق المالك الاميري الكبرى العضدي الاوحدي الذخيري النصيري المجاهدي المؤيدي العلائي مجد الاسلام بهاء الانام شرف الامراء زين المجاهدين عمدة الملوك والسلاطين » .

(٤) الانس الجليل . ص ٢٤٠ و ٤٠٣ و ٤٤٠

---

(١) السلوك . ج٢ ص ٢٤

(٢) تاريخ مصر الحديث ص ٣٤٨.

(٣) استعمل الاتراك هذه الدار مقرا للمتصرف الذي كان مسؤولا عن ادارة القدس ، وكانت فيها مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة . وكانت يومئذ تسمى (السرايا) . وبعد الاحتلال الانكليزي استرجعها المجلس الاسلامي الاعلى للوقف ، واتخذها داراً لايتام المسلمين.

فقد قرأت على واجهتها القبلية الكلمات الاتية منقوشة بالذهب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جددت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق خلد الله ملكه في نيابة المقر الأشرف العلائي الطنبغا الجوباني كافل المالك بالشام المحروسة اعز الله انصاره بنظر العبد الفقير الى الله تعالى المقر العالي المخدومي الناصري محمد ولد المقر المرحوم السيفي بهادر الفخري الظاهري نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين أعز الله انصاره بتاريخ مستهل شوال سنة تسع وثمانين وسبعماية » .

٤٣ – لم يحدث في القدس حوادث تستحق الذكر في زمن المماليك الذين تسلطنوا بعد الملك الظاهر برقوق وهم : **الملك الناصر فرج بن برقوق** (المعروف بابي السعادات زين الدين) ٨٠١ هـ – ١٣٩٨ م . **والملك المنصور عبد العزيز بن برقوق** ٨٠٨ هـ – ١٤٠٥ م . **والملك الناصرفرج بن برقوق** (للمرة الثانية[١]) ٨٠٩ هـ – ١٤٠٥ م . **والامام المستعين بالله** ٨٠٥ هـ – ١٤١٢ م الذي لقب بالملك العادل ، وجمع بين السلطتين الروحية والسياسية . **والشيخ المحمودي** ٨١٥ هـ – ١٤١٢ م . وولده **الملك المظفر احمد** ٨٢٤ هـ – ١٤٢١م . **فالملك الظاهر ططر** ٨٢٤ هـ – ١٤٢١ م . **والملك الصالح محمد** ٨٢٥ هـ – ١٤٢٢ م .

(١) زار الملك الناصر فرج بن برقوق في هذه المرة القدس (٨١٥ هـ – ١٤١٢ م). ونزل بالمدرسة التنكيزية ،وفرق مالا كثيراً على الناس.ومن جملة ما رسم به ، ان نائب القدس لا يكون ناظر الحرمين الشريفين . ولا يتكلم على النظر بالجملة الكافية. ونقش بذلك بلاطة والصقت بحائط باب السلسلة براهاالداخل الى الحرم من هذا الباب على يمينه (الانس الجليل)

٤٤ – واما الملك الاشرف برسباي[١] الذي بويع بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد (٨٢٥ هـ – ١٤٢٢ م) فقد دام على سرير الملك ستة عشر عاماً،قام خلالها بانشاءات عديدة في القدس . نذكر منها :

(سبيل شعلان[٢]) . ويظهر ان هذا السبيل والمصلى والمحراب الذين بجانبه ، قد جددا تجديداً . فانك تجد عليه هذه الكلمات منقوشة بالنسخ المملوكي : « جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب . العبد الفقير الى الله تعالى شاهين، ناظر الحرمين الشريفين، في ايام مولانا السلطان الملك الاشرف برسباي خلد الله ملكه ، بتاريخ شهر رمضان المعظم سنة اثنين وثلاثين وثمان مائة » . ٨٣٢ هـ – ١٤٢٩ م .

و (المدرسة الباسطية[٣]) الكائنة شمالي الحرم بالقرب من الباب العتم ٨٣٤ هـ – ١٤٣٠ م . و (المدرسة القادرية) شمالي الحرم ايضاً بين باب حطة ومئذنة اسرائيل ٨٣٦ هـ – ١٤٣٢ م . و (المدرسة الحسنية) بباب الناظر فوق رباط علاءالدين البصيري ٨٣٧ هـ – ١٤٣٣ م . و (المدرسة العثمانية) في الزقاق المؤدى الى باب المطهرة وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور الى الغرب ٨٤٠ هـ – ١٤٣٦ م .

و (سبيل علاء الدين البصيري) غربي الحرم ٨٣٩ هـ – ١٤٣٥ م

٤٥ – وفي زمن السلطان الملك الاشرف برسباي اشترى نائب السلطان بالقدس الامير

(١) انه من عتقاء الظاهر برقوق . وكان يلقب بابي النصر برسباي الدقماقي الظاهري .

(٢) انظر الى ما كتبناه عن هذا السبيل في الفصل الذى خصصناه لمياه القدس .

(٣) انظر الى ما كتبناه عن هذه المدرسة والمدارس التي تليها في الفصل الذي خصصناه لمدارس القدس

اركاس الجلباني للوقف ضياعـاً رصد جانباً منهـا لمصلحـة الصخرة .ونقش بذلك رخامة الصقت بحائط الصخرة تجاه قبة المحراب (٨٣٦هـ — ١٤٣٢م).

رأيت هذه الرخامة مثبتة على بعد بضعة امتار من باب الصخرة الشرقي إلى الجنوب ، وقد حكت ويا للأسف ، بعض كلماتها ؛ ويظهر ان الذي فعل ذلك أحد الذين لهم مصلحة شخصية في ضياع معالم هذا الوقف ! .

السطران الأول والثاني محيا بالمرة ، وقدظهرت من بعدهما الكلمات التالية :

« . . . الحرمين الشريفين اثابه الله الجنة . وهو مشتراه مما ثمره من مال الوقف . . . من اجور المسقفات في كل شهر الفا درهم خارجاً عن تكملة حواصل المستحقين وما جدده وانشأه من الحمام الخراب بحارة . . . وقرية العوجا والنعيمة بالغور ومرتب الخواجات الواردين من (قمامة). واوقف جميع المتحصل ذلك برسم عمارة المسجد الاقصى الشريف والصخرة الشريفة واوقافهما ومـا فيه يرصد حاصلاً بصندوق الصخرة الشريفة . أرصد ذلك جميعه برسم العمارة خالصاً ارصاداً صحيحـاً شرعياً بمقتضى المرسوم الشريف المعين تاريخه أعلاه. ورسم أن ينقش ذلك على الرخامة حسنة جارية في صحائف مولانا السلطان الملك الاشرف برسباي خلد الله ملكه على الدوام ما تعاقبت الشهور والاعوام . فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه . . اللهم من فعل هذا الخير وكان السبب فيـه جازه بالجنة والنعيم ، ومن غيره أو نقصه جازه بالعذاب الأليم » .

٤٦ — لم يجر في القدس شيء يستحق الذكر على عهد **الملك العزيز يوسف** بن برسباي (٨٤١ هـ — ١٤٣٧ م) . واما على عهد خلفه **الملك الظاهر جقمق** (٨٤٢ هـ — ١٤٣٨ م) فقد وقع الحادث الآتي ذكره:

ارسل الى القدس، بطلب من الشيخ محمد المشمر احد جمـاعة الشيخ شهاب الدين بن آرسـلان ، خاصكيا اسمه (اينـال باي) . وزوده بامر ملكي لاجـل الكشف على الديورة[١] . فهدم ما استجد بدير صهيون وغيره . وانتزع قـبر داود من ايدي النصارى. ونبشت عظام الرهبان المدفونين بالقرب من النبي داود . وكان ذلك في يوم الاثنـين الموافق ١٢ جمادي الآخرة سنة ٨٥٦ هـ — ١٤٥٠ م . وفي تلك السنة وقـع البطش في النصـارى ، واخرج المسجد من دير السريان ، وسلم للشيخ محمد المشمر ، وصار زاوية . وهدم البنـاء المستجد ببيت لحم ، وقلع الدرابزين المستجد بالقمامة ، واخذ الى المسجد الاقصى بالتهليل والتكبير . وهـدم كل ما استجد في اديرة النصارى .

تولى الملك ، بعـد الملك الظاهر جقمق ، ابنه **الملك المنصور عثمان** (٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م). **فالملك الاشرف اينال** (٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م) وعلى عهده عمر المسجد الاقصى (٨٦٥ هـ — ١٤٦٠ م) وكان ذلك على يد ناظر الحرمين الامير عبد العزيز العراقي المشهور بابن المعلاق .

٤٧ — ثم تولى الملك **الملك المؤيد احمد** بن اينال (٨٦٥ هـ — ١٤٦٠ م) . فالملك الظاهر خوشقدم (٨٦٥ هـ — ١٤٦٠ م) . وعلى عهد هذا الملك جرت الحوادث التالية :

بدأ بتعمير (قناة السبيل) التي تصل العروب

(١) هكذا وردت في الانس الجليل . وتجمع كلمة (دير) على اديرة وديارات واديار .

بالقدس (٨٦٧ هـ - ١٤٦٢ م) . ولكنه مات قبل ان يتم تعميرها .

وبنى المدرسة الكائنة بجوار باب السلسلة . وقد تم ذلك على يد الامير حسن الظاهري الذي تولى نظارة الحرمين بعد الامير ناصر الدين .

وامر بابطال المظالم من القدس ، ونقش بذلك رخامتين الصقتا على حائط المسجد الاقصى من جهة الغرب .

٤٨ - وتولى الملك من بعده **الملك الظاهر يلباي** (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) . فاراد هذا ان يتم مشروع عين العروب الذي بدأ به الملك الظاهر خوشقدم ، لكنه لم ينجح . وكذلك فعل الملك **الظاهر تمربغا** (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) .

٤٩ - واما في عهد السلطان الملك الاشرف قايتباي[1] الذي تولى الملك عام ٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م ودام فيه قرابة ثلاثين عاما ، فقد قامت في القدس منشئات ، وجرت فيها حوادث تستحق الذكر . وانا لذاكرون منها ما يلي :

انه هو الذي وضع (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) الابواب النحاسية التي في مدخل الصخرة من الغرب . وقام ببعض التعمير في الاقصى . وان كنا لا نعلم عن هذا التعمير ، سوى ما قرأناه على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الاوسط الى اليمين :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشريف . واطراف . . اللطيف في ايام مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي امده الله بنصره العبد الفقير الى الله تعالى محمد ناظر الحرم الشريف غفر الله له في الخامس عشر من محرم شهر الله المعظم سنة ٨٩٤ هـ » - ١٤٨٨ م .

وقد يكون هذا هو الرصاص الذي جدده الملك الاشرف قايتباي . اذ قال مجير الدين « جدد عمل الرصاص على ظاهر المسجد الاقصى وفك الرصاص القديم ثم ركب . ولم يكن كالاول في حسن الصناعة والاتقان . وكان الصانع له من اهل الروم » . ولكن التاريخ الذي تم فيه هذا العمل ، حسب قول مجير الدين ، كان ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م .

قال مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) ان السلطان الملك الاشرف قايت باي عندما تسلطن امر بالافراج عن الامراء المقيمين بالقدس من زمن الملك الظاهر خرشقدم ، وهم : بيبرس خال العزيز ، وبيبرس الطويل ، وجاني بك المشد وغيرهم . ثم عاد فاعتقلهم . ثم امر بالافراج عن عدد آخر من الامراء من مصر ، واحضارهم الى القدس ، ومنهم : الامير يشبك الفقيه الدوادار الكبير ، وجاني بك كوهيه الدوادار الثاني ، والمغلباني المحتسب ، وغيرهم .

وكان بالقدس يومئذ ناظر الحرمين الامير حسن ابن ططر الظاهري ، ونائب السلطنة الامير حسن ابن ايوب ، وشيخ الصلاحية وقاضي القضاة الشافعية شيخ الاسلام نجم الدين ابو البقاء محمد بن جماعة ، وقاضي القضاة الحنفية جمال الدين ابو العزم عبدالله بن الديري ، وقاضي القضاة المالكية شمس الدين ابو عبدالله محمد المعزاوي ، وقاضي القضاة

---

(١) انه من مماليك الملك الاشرف برسباي ثم انتقل الى الملك الظاهر جقمق فاعتقه . وقد بويع له بالسلطنة بحضرة امير المؤمنين المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن محمد العباسي (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) ولقب بالملك الاشرف سيف الدين ابو النصر قايتباي بن عبد الله الظاهري . وكان يلقب بخادم الحرمين الشريفين المسجد الاقصى ومسجد الخليل . كان يحب القدس . وله فيها اصدقاء . ذلك لانه قضى فيها قبل ان يتولى السلطنة ، زهاء خمسة اعوام . قضاها منفياً ، مغضوباً عليه من السلطان . وكان رفيقه في النفي الامير يشبك الفقيه . وقد حظر عليهما يومئذ ركوب الخيل . والاخذ بلاط بالمسلمين .

الحنبلية شمس الدين ابو عبدالله محمد العليمي . فاكرمهم ، واقرهم في مراكزهم .

٥٠ — وفي سنة ٨٧٣ هـ — ١٤٦٨ م بدا خلاف بين برديك التاجي ناظر الحرمين ، ودمرداش العثماني نائب السلطان بالقدس . وسرى الخلاف الى السكان . فانشطروا الى شطرين : شطر يؤيد هذا، واخر يعضد ذاك . ولم ينحصر الخلاف عند حد الكلام . بل تعداه الى الضرب . وقيل ان النائب سلط على الناظر اعوانه . فضربوه بينما كان موجودا عند بركة السلطان يناظر الاعمال القائمة لتعمير قناة السبيل . فسمع السلطان بالخبر . وارسل خاصكيا لاجل البحث والتدقيق . وتحيز الناس لهذا الفريق او ذاك . ونشأ عن اختلاف رجال الحكم ، وزعماء البلاد ان اختل الامن . وكثرت السرقات . وانتشر قطاع الطرق في جميع الانحاء .

٥١ — وقد زاد في الطين بلة ، تفشي الوباء[1] واحتباس المطر في تلك السنة (٨٧٣هـ — ١٤٦٨م) . فاصاب الناس ضرر عظيم من جراء قلة الماء وغلاء الاسعار . فبيع القمح كل مد بدينار ، والشعير كل مد بعشرين درهم . وكذلك قل عن الارز والزيت والبصل والخضار . فضج الناس .

٥٢ — وفي السنة التي تلتها (٨٧٤ هـ — ١٤٦٩ م) هبط القدس بامر من السلطان احد خازنيه الامير ناصر الدين محمد النشاشيبي ، لاصلاح ما اختل من نظام اوقاف الحرمين في عهد الامير برديك التاجي . فنظر في مصالح الأوقاف . وعمر المسجد الاقصى . ويقول مجير الدين الذي ذكر الامير ناصر الدين في كتابه[2] انه اراد ان يفك الرصاص عن قبة الصخرة ويجدده كما فعل بالمسجد الاقصى، إلا أن الشيخ جمال الدين بن غانم شيخ الحرم في ذلك الحين منعه . وان ذلك كان توفيقاً من الله . اذ أن الرصاص القديم الذي كان على الصخرة ، أحسن من المستجد الذي عمل بالأقصى .

٥٣ — وفي سنة ٨٧٥ هـ — ١٤٧٠ م حدثت فتنة اخرى ملخصها ان القاضي غرس الدين خليل الكناني شيخ الصلاحية وقاضي القضاة الشافعية ، اختصم مع الشيخ شهاب الدين العميري الواعظ من أجل مسألة . فما كاد الخبر يذيع بين الناس ، حتى انشطروا ، كالعادة ، الى شطرين . وهاجم العوام منزل القاضي في المدرسة الصلاحية . فسبّوه ، ونهبوا بعض امتعته . وكان بين الناقمين على القاضي شيخ الاسلام الكمالي بن ابي شريف ، والشيخ ابو الوفا بن أبي الوفا ، والشيخ شهاب الدين بن عتبة ، والشيخ كمال الدين ، وغيرهم كثيرون .

تشاكى القوم الى السلطان . فطلبهم اليه . ولما دخلوا عليه في مصر ، انتهر السلطان الشيخ شهاب الدين العميري قائلا له : « لقد اخربت القدس ، وجئت تخرب مصر . . . » ولكن النتيجة بالرغم من ذلك لم تكن في جانب القاضي . اذ انه كان بين الشهود الذين طلبوا الى مصر جماعة من العوام ، مثل عمر الزبال وزريق العتال وكحيلة الطبال ؛ فاغتنم خصومه هذه الفرصة ، وراحوا يهزؤن به قائلين : غرماؤه عمر الزبال وزريق العتال وكحيلة الطبال ! . » فخجل . واختفى عن الانظار . ولم يكد ينقضي على هذا الحادث بضعة أيام ، حتى أقاله السلطان .

٥٤ — وفي سنة ٨٧٧ هـ — ١٤٧٢ م هطلت أمطار غزيرة ، وهدمت على أثرها اماكن كثيرة . ويقال انه هُدِّم في القدس يومئذ ٣٦٠ مكانا . منها

---

(١) قيل ان الوباء دام اربعين يوما . وان الاموات كانوا يغسلون ليلا ويحملون الى صحن الصخرة صحا .

(٢) الانس الجليل ص ٦٢١ .

زاوية الشيخ محمد القرشي بخط مرزبان (حارة الواد الآن) .

٥٥ — ومن الحوادث التي جرت في القدس على عهد السلطان قايتباي ان المسلمين واليهود اختلفوا (٨٧٨ هـ — ١٤٧٣ م) على دار واقعة بين كنيس اليهود ومسجد المسلمين في حارة اليهود . ادعى المسلمون ان هذه الدار من حقوق المسجد . وعارضهم اليهود في هذا الادعاء . فتشاكى الفريقان امام القضاة . وعقد على اثر ذلك بالمدرسة التنكزية مجلس ترأسه ناظر الحرمين الامير ناصر الدين بن النشاشيبي . وحضره القاضي شهاب الدين بن عتبة (الشافعي) والقاضي خير الدين بن عمران (الحنفي) وشيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة (شيخ الصلاحية) والشيخ برهان الدين الانصاري والشيخ شهاب الدين العميري وجمع من الفقهاء . فاصدر هؤلاء حكمهم في صالح اليهود . وحكموا ان الدار من جملة اوقافهم . فلم يرض المسلمون بهذا الحكم . ورفعوا امرهم الى السلطان بمصر . فنقض السلطان حكم القضاة . واصدر امراً جاء فيه : ان كنيس اليهود محدث ، وان الدار المختلف عليها حق من حقوق المسجد . وانه لا حق لليهود فيها » . فرفض اليهود ، في هذه المرة ، الحكم . وابى كبيرهم يعقوب ان ينصاع اليه . فثار ثائر المسلمين . وكادوا يبطشون باليهود . وكان بامكانهم ان يفعلوا بهم ما يشاءون . لانهم كانوا كثرة ، وكان اليهود قلة . ولكن القاضي نهاهم قائلاً : « هؤلاء من اهل الذمة . ذمة الله وذمة رسوله وذمة امير المؤمنين . . » .

رفع اليهود امرهم الى السلطان . . . فنظر في شكواهم ، هذه المرة ، قاضي القضاة بالديار المصرية وجمع من النواب والفقهاء . وصدر على اثر ذلك مرسوم من السلطان (٨٧٩ هـ — ١٤٧٤ م) معنون الى ناظر الحرمين الامير ناصر الدين المتقدم ذكره ، يقضي بتمكين اليهود من كنيسهم وعدم معارضتهم في دارهم .

وذاعت في القدس يومئذ شائعات تقول ان اليهود ما كانوا ليحصلوا على ذلك المرسوم ، لولا ما بذلوه من اموال وفيرة للخزائن الشريفة . واشتد الجدل على اثر ذلك بين الناس ، وكثر القيل والقال . وكان اكثر الجدل منحصراً بين قضاة بيت المقدس وممثلي السلطان . حتى قال مجير الدين الذي نقلنا عنه نبأ هذا الحادث ان الجدل اشتد بين شيخ الاسلام كمال الدين بن ابي شريف وبين الشيخ برهان الدين الانصاري ، الى درجة انه كادت تقوم على اثرها فتنة في المدينة . فما كاد النهار ينبلج ، حتى راى اليهود كنيسهم قد انهار .

ولما وصل الخبر الى السلطان قايتباي ، غضب غضباً لا مزيد عليه . واعتبر عمل المقادسة خروجا على ارادته . وبناء على امره أرسل الى مصر كل من القاضي الشافعي شهاب الدين بن عتبة والشيخ برهان الدين الانصاري وولداه وشمس الدين ناصر وناصر الدين الدمشقي الحوراني . أرسلوا مصفدين بالاغلال . وهناك ضربوا ضربا مبرحاً بحضور السلطان . ثم سجنوا .

واما الشيخ ابو العزم فانه هرب الى مكة . وتوفي بها . انه هو الذي حث المقادسة على هدم الكنيس . وكان يقول : «هذا غبار الجنة . . تثابون على هدمه في الجنة . . »

واما الامير يشبك الدوادار الكبير فقد ، كان ، على قول مجير الدين ، من اكبر المساعدين لليهود . وان هؤلاء بذلوا له المال الوفير . فنالوا ما يبتغون . وبعد مدة وجيزه هدأت الحال . وافرج عن المسجونين .

٥٦ — زار السلطان قايتباي القدس في يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ٨٨٠ هـ — ١٤٧٥ م . فشكا اليه اهل القدس ما يلاقون من ظلم وجور من نائبه

الامير جار قطلي الظاهري . فانصفهم . وامره بان يرد اليهم كل ما اخذه منهم، سواء عن طريق الرشوة او غير ذلك . وشكوا اليه ايضا من القاضي غرس الدين خليل ، فنفاه من القدس .

٥٧ – وفي السنة نفسها سب رجل من نصارى القدس الامام علي بن ابي طالب وبنته فاطمة . فاتى به الى مجلس القضاء بدار النيابة ، وحوكم من لدن نائب السلطان الامير حارقطلي وشيخ الاسلام الكمالي ابن ابي شريف والقاضي علاء الدين بن المزوار المالكي. فثبتت التهمة ضده . فحكموا بسفك دمه . وضربوا عنقه بدار النيابة .

٥٨ – وفي سنة ٨٨١ هـ – ١٤٧٦م امر السلطان بالقبض على الافرنج المقيمين بدير صهيون وبيت لحم وفي كنيسة القيامة . فارسلوا الى مصر . وامروا بالاقامة الجبرية فيها. ذلك لان الافرنج اسروا اربعة من مسلمي الاسكندرية ، واخذوهم الى بلادهم .

٥٩ – وفي السنة نفسها اسس شمس الدين محمد ابن الزمان (الرباط الزماني[1]) الكائن شمالي الطريق المؤدية الى باب المطهرة وغربي الباب المذكور مقابل العثمانية .

٦٠ – وفي السنة نفسها انتشر الوباء في القدس. واستمر تسعة شهور . ومات من جرائه خلق كثير .

٦١ – وفي سنة ٨٨٤هـ – ١٤٧٩م توفي **امير المؤمنين المستنجد بالله** ابو المظفر يوسف بن محمد العباسي . فتربع على كرسي الخلافة من بعده **المتوكل على الله ابو العز** عبد العزيز بن يعقوب . ودعي له من على منبر المسجد الاقصى .

٦٢ – وفي السنة نفسها قامت فتنتان :

احداهما بين نائب القدس الامير ناصر الدين محمد ابن ايوب عمر بن غانم البدري ومن معه من العربان النازلين في غور اريحا . فقتل على اثرها عدد من الجانبين .

والثانية بين الامير ناصر الدين هذا وبني زيد . ذلك لان الامير قبض على جماعة من بني زيد وقتلهم. فثار ثائر اعوانهم الذين اعتزموا الانتقام . فجاء الى القدس عدد كبير منهم (في يوم الاثنين ١٢ شوال) وراحوا الى المسجد يقصدون قتله . الا انه نجا منهم باعجوبة . وقيل انه تمكن من الفرار عن طريق باب الاسباط راكباً فرسه . ولما لم يتمكنوا من الانتقام منه ، راحوا الى السجن؛ فكسروا بابه ، واخرجوا المسجونين منه . ثم راحوا يصولون في الشوارع والاسواق. فبادر التجار بتهريب ما في حوانيتهم . وقتل في ذلك اليوم ثلاثة اشخاص ، وجرح كثيرون. وراح العربان والفلاحون يقطعون الطرق ، ويؤذون الناس .

٦٣ – عاد الامن فاستتب . عندئذ امر الملك الاشرف قايتباي بتعمير المدرسة المعروفة باسمه : (الاشرفية) ٨٨٧هـ – ١٤٨٢م . انها بالقرب من باب السلسلة . وكانت لها قبة جميلة . كانت هذه القبة ثالث القباب المهمة في الحرم بعد قبة الصخرة وقبة الاقصى. وانشأ في الوقت نفسه السبيل الكائن بين باب السلسلة وباب السكينة. وجدد عمارة السبيل الكبير في داخل الحرم فوق البئر المقابلة لدرج الصخرة من الغرب. وكذلك الفسقية القريبة منه على المسطبة المجاورة له. ويقول كلير مان غانو ان الملك الاشرف قايتباي استعمل في بناء هذا السبيل حجارة مأخوذة من قبور السلاطين .

في تلك البرهة من الزمن (١٤٨٤ م) زار القدس الاب فيلكس فابري Felix Fabri فوصفها قائلا:

(١) الانس الجليل ص ٣٨٨ .

«ان المسلمين ما كانوا يسمحون لاحد ان يشرب الخمرة في حضرتهم ؛ لا ولا ان يمر بهم وهو حاملها بيده . وكان حجاج النصارى يقبلون الارض المقدسة عندما يهبطونها . وكانوا يعتقدون ان الله يغفر لهم خطاياهم فور هبوطهم الارض المقدسة .

ولقد استقبل الحجاج النصارى في مرفأ يافا استقبالا بارداً . فوضعوا في غرف قذرة وفي خان مظلم . وجاء بعض المسلمين الفقراء فباعونا مقداراً من اغصان الشجر ، فرشناها تحتنا ونمنا عليها .

«وجاء عدد من تجار بيت المقدس حاملين ماء الورد ، والبلسم والصابون ، وبعض الحجارة الكريمة ، والحرير المعروف بالموصلين ؛ فاشترينا منهم ما اشترينا . وفيما كانوا يعرضون علينا بضاعتهم كانوا يحرقون البخور ليتخلصوا من رائحة الخان الكريهة» .

٦٤ – وفي سنة ٨٩٦هـ – ١٤٨٦م حضر الى القدس الامير آقبردي الدوادار الكبير . ففرش له نائب القدس الامير جانم الشقق الحرير ، ونثر على رأسه الفضة ، واوقد له المسجد الاقصى ، وقدم له عشرين فرساً وبعض البغال ، وعمل له سماطا عظيما .

٦٥ – وفي السنة نفسها احتبس المطر . وأجدب الزرع . وقل القوت . واضطربت الافكار بسبب غلاء الاسعار . حتى قيل ان مد القمح بيع بثلاثين درهماً ، والشعير باثني عشر درهماً . وبيع رطل الخبز باربعة دراهم . وزاد في الطين بلة ظلم النائب .

٦٦ – وفي سنة ٨٩٢ هـ – ١٤٨٦ م هبط القدس الامير جان بلاط وفي رفقته ملك الامراء آقباي نائب غزة . فاستقبله نائب القدس وفريق من اعيانها بالترحاب . وبعد ان جمع اموال الوقف ، واصلح الخلاف الذي كان سائداً بين نائب القدس السيفي خضر بك وبين شيخ جبل نابلس خليل بن اسماعيل ، رجع الى مقر عمله في مصر .

٦٧ – كان نائب القدس هذا (اي خضر بك) ظالماً . وكان سفاكاً للدماء . وقدصادر اموال الناس . فساءت سيرته ، وكثر شاكوه . فامر الامير (تغري ورمش) دوادار المقر الاشرف السيفي بالتحقيق عن اعماله . وجرى التحقيق (٨٩٢ هـ – ١٤٨٦ م) عند المحراب في داخل المسجد الاقصى . ثم بالمدرسة الاشرفية ، والمدرسة العثمانية ، وعلى المسطبة الكائنة عند باب جامع المغاربة . وجاء سكان الخليل باعلامهم وطبولهم ، ليرفعوا شكاويهم . ودام التحقيق عشرة ايام . فرفع الدوادار تقريره الى السلطان . فاستحضره الى مصر وضربه . وامره ان يرد لكل انسان ما اخذه منه . ثم اقاله من عمله . وسجنه .

٦٨ – بعد ان اقيل خضر بك من نيابة السلطنة بالقدس ، تولاها الامير دقماق (٨٩٣ هـ –١٤٨٧م) . ويقول مجير الدين ان هذا الامير بذل من اجل الحصول على النيابة عشرة آلاف دينار لخزينة السلطان ! هذا عدا عما تكلفه من تعب ، وما بذله من مال لاركان الدولة ! وكان ذلك من اقبح الامور وابشعها .

ظل هذا متربعا فوق كرسي النيابة حتى سنة ٨٩٦ هـ – ١٤٩٠ م . لم يترك خلال نيابته موبقة الا واقترفها . فانه فضلا عن واجباته التى اهملها ، كان ظالما عسوفا . فكثرت السرقات في عهده . وكثرت حوادث القتل . واختل الامن[1] . وازداد

(١) قيل ان الامن اختل يومئذ الى درجة ان امير عربان جرم (ابو العويسر) قصد ان يغزو بيت المقدس (٨٩٤ – ١٤٨٨ م) والقرى المجاورة له . فقاومه اهل بيت المقدس مقاومة شديدة . وكان في طليعتهم شيخ الاسلام نجم الدين بن جماعة شيخ المدرسة الصلاحية وشيخ الاسلام الكمالي . وظلوا يرقبون حركاته من شبابيك المسجد الاقصى . حتى غادر المدينة ، دون ان يتمكن من الحصول على مآربه .

عدد قطاع الطرق . واختل نظام المسجد الاقصى . وتجاسر النصارى ، فاحدثوا على عهده قبة في المكان المعروف بالنبي داود .

فرفع النـاس شكاويهم الى السلطان . وارسل هذا الى القدس خاصكيا اسمـه (ازبك) بقصد التحقيق . وبعد التحقيق امر الخاصكي بكف يد النائب عن العمل . ورفع تقريرا بمـا جرى الى السلطان . ولكن التقرير ، على ما يحدثنا مجير الدين ، وقع في يـد الدوادار الكبير ، ولم يصل الى يد السلطـان . ويظهر ان الدوادار كان من انصار النائب . فلم يقر الخاصكي في عمله . لا ، بل لامه من اجل تـ قيفه النائب عن عمله ، قبل ان يحصل على امر بذلك من السلطان . فعـاد الامير دقماق الى عمله . وراح ينتقم من خصومه اشد الانتقام .

٦٩ - يظهر ان الحكومـة كانت تحصل الضرائب المفروضة على جبل نابلس عيناً (زيتا) . وكانت تفرض على سكان المدن الاخرى شراء الزيت المتجمع من ذلك الجبـل بثمن معلوم ، وبكميات تفرضها فرضا . وكانت الكمية التي فرض على اهل بيت المقـدس شراؤها في سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م كبيرة (١٥٠٠ قنطار) ، والسعر كان عاليـا ، بدرجـة ان الاهالي اعترضوا عليها . فارسل الدوادار الكبير آقبردى مندوبا من قبله يدعى (السيفي قانصو) . فامر هـذا ان يكون سعر القنطار من الزيت خمسة عشر دينارا ذهبا . وقيل يومئـذ انه كان للامير دقماق دخل كبير في تعيين هذه الاسعار الباهضة . وان الحمل الكبير القي على سكان بيت المقدس بايعاز منه . ذلك لانه كان يكرههم كرها شديدا . ولم تجد اعتراضاتهم نفعا . بل اصر على توزيع المقـادير المفروضة بالاسعار المتقررة . وعنـدما رأى انهم مترددون ، شدد النكير عليهم . وراح يضربهم . ومن غاب منهم عن منزله ، دخـله هو بنفسه وضرب زوجته . او سجنها حتى تدفع ما على بعلها . ومن كان منهم غير متزوج، شدد النكير على ابيه او اخيه او اقرب الناس اليه . ومن لم يكن له قريب احضر جاره او جليسه . ودام هذا الظلم شهرا كاملا . حتى قيل ان اكثر الناس باعوا ما يملكون من ثياب ومتاع بابخس الاثمان . فبيع كل مثقال من الذهب الطيب، بخمسين درهما او اقل . والزيت الذي اشتراه الناس بخمسة عشر دينـاراً من الذهب ، باعوه بمئتي وخمسين درهما . وقيـل ان ثمن الزيت الذي جمعته الحكومة عن هذه الطريق من اهل القدس ، بلغ يومئـذ نحو عشرين الف دينار . ولكن المقدسيين الذين تعرضوا لهـذه المحن ، لم ييأسوا . بل ثابروا على رفع شكاويهم ضد النائب الى المقامات العليا ، حتى نجحوا . واقيل النائب من منصبه .

٧٠ - تأخر المطر في سنة ٨٩٥ هـ - ١٤٨٩ م حتى خشي الناس ان تعود اعوام الجدب . ولكنه عاد فهطـل في نفس السنة . وفي سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٩١ م كانت الامطار غزيرة ، بدرجة ان كنيسة القيامة هدم جانب منها ، ومات تحت الردم اثنان من طائفة الحبش .

٧١ - وفي السنة نفسهـا انتشر الطاعون في القدس[1] انتشاراً فظيعاً . ومات من جرائه خلق كثير . بدأ الطاعون يفتك في المدينة في ١٠ جمادى الاخرة . واستمر حتى آخر رجب من تلك السنة (٨٩٧ هـ - ١٤٩١ م) . وكان يموت في كل يوم ثلاثون او أربعون . وفي بعض الاحيان خمسون . واستفحل هذا الوبأ في شعبان ، حتى بلغ عـدد

---

(١) الانس الجليل ص٦٩٠

الموتى في اليوم الواحد المئة . وقيل انه وصل في احد الايام الى المئة والثلاثين . وكان بين ضحاياه نائب السلطان خضر بك السيفي وزوجته وابنته . ماتوا كلهم في تسعة ايام . وعندما اختفى الوباء بعدا اربعة شهور وعشرة ايام ، كان عدد كبير من سكان القدس قد لاقوا حتفهم .

٧٢ — وفي سنة ٨٩٨ هـ — ١٤٩٢ م هطل الثلج بغزارة . وكذلك قل عن السنة التي تلتها ٨٩٩ هـ — ١٤٩٣ م فقد دام تهطال الثلج على ربى القدس عشرة أيام . وقال الكهول انهم لم يروا مثله منذ سبعين سنة .

٧٣ — في سنة ٨٩٩ هـ — ١٤٩٣ م نشب خلاف بين الأمير جان بلاط نائب القدس وملك الأمراء المقر السيفي آقباي كافل المملكة الغزية حول قرية القباب . اذ ادعى كل منهما انها من اعماله . ولما لم يصلا الى اتفاق ما في صددها ؛ باغتها الأمير جان بلاط ، واخذ ما فيها من اموال الفلاحين .

٧٤ — وفي السنة نفسها نشب خلاف مثل هذا بين الامير جان بلاط نفسه وبين الأمير قاني بك نائب غزة ، بسبب مقتل نائب القدس السابق جانم بك دوادار في قرية بيت لقيا . وقد اتهم بقتله جماعة من المنتسبين الى نائب غزة ، ولكن نار الخلاف خبت مؤقتاً ، بفضل الأوامر التي اصدرها السلطان .

٧٥ — ولكن هذه النار عادت فاشتعلت في السنة التي تلتها (٩٠٠ هـ — ١٤٩٤ م) بسبب اعتداء جماعة من العرب على كاشف الرملة الجمالي يوسف ، بينما كان هذا في ركاب الامير جان بلاط ، وكانت الرملة من اعماله . وقد حصره المعتدون في قرية خلدا ، فاخذوا خيله ، وقتلوا بعض رجاله ؛ الامر الذي أغضب الأمير جان بلاط . فراح هذا يثأر لكاشف الرملة . ورغم ان عشرة من رجاله قتلوا في هذه المعركة ، الا انه ظل يقاتلهم حتى سلم من شرهم .

رفع الامير جان بلاط شكواه الى السلطان ، متهماً نائب غزة بما جرى . فارسل السلطان السيفى قانصوه الخاصكي للتحقيق . ورغم انه ثبت للخاصكي ان الحق كان بجانب نائب القدس ، الا ان السلطان امر باقالة الاثنين[1] .

٧٦ — لم يكن الوضع الدولي افضل من الوضع الداخلي في تلك الايام . فقد حدثنا التاريخ ان صلات المماليك بالحكومات المجاورة كانت ، عند مطلع القرن العاشر للهجرة ، سيئة للغاية . ولا سيما صلتهم مع الاتراك العثمانيين . فقد بدأ الخلاف بين الدولتين في سنة ٨٨٩ هـ — ١٤٨٤ م . فراحت كل واحدة منهما تحشد جيشها على حدودها ، لقتال جارتها : هنا السلطان الملك الأشرف قايتباي ، وهناك السلطان بايزيد خان . وكان المقدم على عسكر السلطان قايتباي ، امير السلاح الامير تمراز . وقد انضم اليه الامير جانم .

لم تجر اية مناوشة بين الفريقين ؛ لا في تلك السنة ، ولا في السنين الاربع التي تلتها . حتى اذا ما حلت سنة ٨٩٣ هـ — ١٤٨٧ م ، ورأى السلطان قايتباي ان الاحوال توترت ، اعتزم الدخول في حرب مع الاتراك فبعث الرسل ، وبذل الاموال الوفيرة[2] لاقناع الناس . ولكن . اذ لم يتطوع من سكان البلاد سوى عدد ضئيل . حتى انه قرر ان يسترجع من الناس ما انفقه في هذا السبيل . واستعمل من اجل ذلك منتهى الشدة والصرامة .

---

(١) الانس الجليل ص٦٩٦

(٢) قيل ان ما انفقه في تلك السنة في سبيل الدعاية وجمع المتطوعين من جبل القدس والخليل بلغ ٥٠٠٠ دينار .

وفي سنة ٨٩٥ هـ - ١٤٨٩م. اشتدت الأزمة بين البلدين ، حتى اضطر السلطان قايتباي ان يصدر امره لقادة جيشه ان يكونوا على اهبة الهجوم .

ولكن الامور هدأت والمياه عادت الى مجاريها في سنة ٨٩٦ هـ - ١٤٩٠ م . واصطلح الفريقان .

٧٧ - عاش قايتباي بعد مصالحة الدولة العثمانية خمس سنوات. ولما توفي (٩٠١ هـ - ١٤٩٥م) سادت الفوضى. ودامت خمسة اعوام بالتمام . فلا يكاد يعتلي العرش ملك ، حتى يثور ضده مماليكه واعوانه ، فيخلعونه او يقتلونه . هذا كان مصير الملك الناصر محمد بن قايتباي الذي لقب بابي السعادة (٩٠١ هـ - ١٤٩٥م) والملك الاشرف قنسو[1] خمسئة (٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م) . والملك الظاهر قنسو الثاني الملقب بابي سعيد[2] (٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م) . والملك الاشرف قنسو الثالث الملقب بجنبلاط[3] (٩٠٥ هـ - ١٤٩٩ م) . والملك العادل سيف الدين طومان[4] باي (٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م). والملك الاشرف قنسو الغوري (قنسو الرابع) الملقب بالغوري (٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م) . ان هذا الملك وان دامت سلطنته ١٥ عاما او يزيد ، الا انه اقترف خطأ بان رحب بـ (قورقود) اخي السلطان سليم بن با يزيد الذي اختلف مع اخيه من اجل الملك ، ففر منه والتجأ الى مصر . ولم يكتف قنسو الغوري بالترحيب بـ (قورقود) ، بل جهزه بعشرين بارجة بحرية ، لافتتاح القسطنطينية . الامر الذي اغضب السلطان سليم ، وجعله يفكر في افتتاح مصر (٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م) . فسار اليها . وفي معركة برج دابق قرب حلب تغلب على المماليك . وقتل سلطانهم قنسوه الغوري .

٧٨ - عندما وصلت هذه الانباء الى مصر بايع المماليك الامير طومان باي بالملك ، ولقبوه بالملك الاشرف . وحاول هذا ان ينقذ البلاد من الاتراك العثمانيين ، الا انه فشل . فاحتلها هؤلاء بقيادة السلطان سليم الاول (٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م).

٧٩ - شنق السلطان سليم ، عند دخوله مصر ، طومان باي . وبموته ، انتهت دولة المماليك الشراكسة او البرجية . وحلت مكانها دولة الاتراك العثمانيين .

٨٠ - الآن ، وقد انتهينا من ذكر اخبار المماليك ووقائعهم ، نرى لزاما علينا ان نصف عهدهم باختصار . فنقول :

انه لعهد طافح بالمتناقضات : فيه عز ، وفيه ذل . فيه ارتفاع ، وفيه سقوط . فيه عظمة ومجد ، وفيه قلاقل وفتن ، يندى لها جبين الدهر . وكما انه ظهر بينهم ملوك عظام مثل الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاون وابنه الملك الناصر محمد والملك الظاهر برقوق والملك الاشرف برسباي وقايتباي ؛ فقد ظهر بينهم ايضاً ملوك صغار بعقولهم واعمارهم . فما كان يعتلي منصة الحكم ملك منهم ، الا ويقوم بجانبه امير من امرائه او رجل من اتباعه ؛ فيحيك المؤمرات لخلعه ، ويظل يحفر له حتى يوقعه في الشرك ، ويخلفه في الحكم . وكان اكثر هؤلاء الملوك والامراء يعيشون في قصورهم عيشة البذخ والترف . وهذا النوع من العيش يحتاج الى انفاق . والانفاق يجر من ورائه الضرائب . اضف الى ذلك الحروب الكثيرة التي ثار عجاجها سواء بين المماليك انفسهم ، او بينهم وبين خصومهم من الاغيار .

(١) سمي كذلك لانه ابتيع بالاصل بخمسمائة دينار وذبحه المماليك (تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ص٣٥٩) . وورد هذا الاسم في بعض الكتب هكذا : (قانصو) و(قانصوة) و (قنص)

(٢) اقيل من قبل المماليك .

(٣) خلع بعد سبعة شهور .

(٤) مات قتلا بيد المماليك .

٨١ – ولكن من الانصاف ايضاً ان نقول ان عهدهم ، وهو الذي يشمل العصور الثلاثة التي اعقبت عصر صلاح الدين (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) امتاز بالعمران وبحركة بناء واسعة النطاق . وان نصيب القدس من هذا العمران كان عظيما . وتدل المدارس الكثيرة التي انشئت في القدس ، خلال العصور المتقدم ذكرها ، على ان القدس كانت ، على عهدهم ، مزدهرة وانها كانت مركزا لثقافة اسلامية واسعة النطاق ، وان رواد العلم والحكمة كانوا يفدون اليها من جميع الانحاء . لا من اجل التعبد في مساجدها وزيارة اماكنها المقدسة فحسب ، بل ومن اجل انتجاع موارد العلم في مدارسها ودور التعليم فيها . فكم من اهل البر والاحسان وليس الملوك والوزراء ونواب السلطان وحدهم ، تبرعوا لمساجد القدس ومدارسها ورباطاتها ومعاهدها بالمبالغ الوفيرة من اموالهم ، وربطوا اراضيهم واملاكهم وقفا ينفق من ريعه على ادارتها . واليهم يرجع الفضل في انقاذ هذا القسم في الشرق من موجة المغول . تلك الموجة التي قضت على الخلافة العباسية في بغداد .

٨٢ – ولا يضر المماليك البحريين كون بعض الابنية التي بنوها في القدس خلال المدة الواقعة بين ١٢٥٠ و ١٣٩٠ بنيت ، على رأي بعض مؤرخي الفرنجة من حجارة هي في الاصل من بقايا الاماكن والابنية التي انشئت في العهود الصليبية . مثل القبر الكائن في مقبرة ماملا والمعروف بـ (القبقبة) والمئذنة الكائنة في الزاوية الشمالية الغربية من ساحة الحرم ، وبعض المدارس الكائنة في شمال الحرم وغربه . اذ ان اكثر الامم التي اقامت المنشئات المختلفة فوق هذه الكرة الارضية استعانت بالحجارة الباقية من طلول الامم التي سبقتها . تلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

٨٣ – كثرت ، على عهدهم ، حركة القوافل بين مصر والشام . واستعملوا الحمام الزاجل في مخابراتهم . وكانت للحمام ابراج كالمحطات تنقل الرسائل بين الواحدة والاخرى بواسطتها . من مصر الى غزه ، ومنها الى القدس والخليل ونابلس وهلم جرا . وانتعشت التجارة . وكانت المعاملة التجارية على عهدهم بالذهب والفضة[١] ، كل درهم اربعة وستون فلساً ، وكل اربعة فلوس منها يعبر عنها بجبة . واما رطلها فستمائة درهم . وأواقيه اثنتا عشرة اوقية ، كل اوقيمة خمسون درهما . واما كيلها فبالغرارة ، وهي اثنا عشر كيلا ، كل كيل ستة امداد ، وكل غرارة ومد ونصف ثلاثة ارادب بالكيل المصري . وقياس قماشها فبذراع . وهو قراطان . وقياس ارضها فبذراع العمل .

٨٤ – هذا من حيث التجارة. واما من الناحية الثقافية فان القدس قطعت ، على عهدهم اشواطاً واسعة في سبيل العلم . وانشئت مدارس كثيرة[٢]. ونال المعلمون والمتعلمون الحظوة الكبرى في قصور السلاطين . ولقد حارب المماليك اللغة اليونانية[٣] حرباً لا هوادة فيها . واضطهدوا كل من يتكلم بها ان كان من ابناء البلاد ، او غيرها .

٨٥ – اما الامن فقد كان يختل تارة ويستتب اخرى . واختلال الامن واستتبابه كانا مرتبطين بمبلغ الحزم الذي يظهره السلطان ورجاله ، وبثار الفتن الداخلية التي كانت تخبو تارة وتشتعل اخرى.

(١) صبح الاعشى ج ٤ ص ١٠٩

(٢) انظر الى الفصل الذي خصصناه لمدارس القدس في القرون الوسطى .

(٣) (تاريخ كنيسة اورشليم) تأليف خريسو ستومس ص ٤٤٦

ولقد حدثنا التاريخ : « ان البدو[١] كانوا في يوم من الايام خطراً على سلامة الحجاج ، وان المماليك قدروا على درء هذا الخطر ببنائهم القلاع والحصون على طول طريق الحج . ولما ضعفت دولة المماليك في اواخر حكمهم فلت البدو . فاغاروا على المدن ، ومنها القدس (بين عامي ١٥٠٢ و ١٥٠٥ م) .

٨٦ – ويظهر ان السائح المشهور فيلكس فابري هبط القدس بعد تلك الغارات بقليل . إذ قال عنها[٢] : « ان بيوتها مبنية بالحجارة. هذا باستثناء مساكن الفقراء التي هي من الطين . وقد رأيت فيها بيوتاً جميلة وكبيرة . لكن جزءاً كبيراً من المدينة متهدم مهجور ، بحيث ان جثث الحيوانات التي تنفق تبقى داخل المدينة بدل ان تطرح خارج اسوارها ... وفي المدينة نحو خمسماية يهودي ، ونحو الف نصراني من كل مذهب وقطر . واقلهم من اتباع الكنيسة اللاتينية . ورغم انها تهدمت ، فانه لايزال فيها اربع اسواق جميلة طويلة مما لم ار له من قبل شبيها . كلها مسقوفة بالقباب . وتحوي جميع انواع المتاجر . وهذه الاسواق الاربع هي :

(١) سوق التجار . (٢) سوق العطارين .
(٣) سوق الخضار . (٤) سوق الاطعمة المطبوخة والخبز.

وكانت موجة من القحط تجتاح البلاد يوم هبطت القدس . فكانت حصة الشخص الواحد من الخبز لا تتجاوز بضعة دراهم للوجبة الواحدة » .

الى ان قال فابري : « . . واني لاحمد الله لانه من علي بالصحة ، ولم يجعلني فريسة الامراض الكثيرة التي يصاب بها اكثر الاغراب الذين يفدون الى هذه المدينة ، بسبب تغير الطقس المستمر . اذ ان الرياح كلها على اختلاف انواعها ، تهب على هذه المدينة » .

٨٧ – واود ان اجعل كلمة الختام في هذا الفصل (ادارة القدس) على عهد المماليك . فقد كان حكمهم في البلاد بوجه عام مبنياً على اساس نظام الاقطاع .

فكانت ممتلكاتهم الاسيوية مقسمة الى ممالك صغيرة ، منها : (المملكة الشامية) وكانت فلسطين تعتبر جزءاً من هذه المملكة . وكانت القدس عبارة عن ولاية صغيرة . وكان واليها يخابر الشام .

وكان الامير الذي يدير الشام باسم السلطان يلقب بـ (كافل المملكة الشريفة الشامية) . ويطلق عليه ايضاً لقب ملك الامراء . وكانت الاوامر والمراسيم التي ترد من الشام تعنون على النمط التالي :

« من الامير السيفي مولانا ملك الامراء كافل المملكة الشريفة السامية الى المقر الكريم العالي المولوي المالكي المخدومي الزيني نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف » .

وفي سنة ٧٧٧ هـ – ١٣٧٥ م رفعها الملك الاشرف شعبان بن حسين الى (نيابة) فصار يديرها نائب عن السلطان . وكان هذا يلقب بـ(نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف) .

ونيابتها امرة طبلخاناة اي ان نائبها كان مستقلاً في شؤنه . يعين بمرسوم سلطاني . وله الحق في مخابرة السلطان رأساً .

وكان نائب السلطان بالقدس يتولى ادارة الشؤون الدينية ، ويلقب بـ (ناظر الحرمين) حرم القدس وحرم الخليل . ثم فصلت هاتان المهمتان عن بعضهما البعض على عهد الملك الناصر فرج بن برقوق

(١) (تاريخ شرق الاردن وقبائلها) لبيك باشا . ص ١٦٠
(٢) (رواد الشرق العربي) لنقولا زيادة ص ١٩٨

(٨١٥هـ - ١٤١٢م) . واصبحت السلطة الدينية منفصلة عن السلطة المدنية . اما السلطة الدينية فقد كانت كما يلي[١] :

يعين السلطان شيخاً للصلاحية . وكان هـذا يلقب تارة قاض القضاة ، وطوراً شيخ الاسلام . وكا يعمل تحت امرته اربعة قضاة . واحد للشافعية ، وثان للحنفية ، وثالث للمالكية ورابع للحنبلية . وكثيراً ما كان يعهد الى قاضي الشافعية بتولي هذا المنصب الكبير . كما كان قاض القضـاة يقوم بمهام النائب في اغلب الاحايين ، اي انه كان يقوم بادارة الشؤون المدنية بالاضافة الى الشؤون الدينية .

وكان لنائب السلطان مساعد يساعده في تمشية الامور . وكان هذا المساعد يسمى (متسلماً[٢]) .

وكان في القـدس من الوظائف غير النيابية (ولاية قلعة[٣] القدس) وواليها من الجند . وكان هذا مستقلا عن النائب وعن المتسلم . اذ انهم كانوا يفضلون ارباب السيف على ارباب القلم .

وفيها ايضاً (ولاية المدينة) . وكانت توليتها اولا من جهة نائب السلطنة بدمشق ، ثم صارت ولاية والي القلعة ووالي البلد الى نائب القدس . وكذلك ولاية بلد الخليل : وبها نائب عن محتسب دمشق . وكذلك جميـع الوظائف بها نيـابات عن ارباب الوظائف بدمشق . فلت تولية النيابة والنظر تاتي من نواب الشام حتى حوالى سنة ٨٠٠ ثم صارت التوليـة تاتي من الديار المصرية . وظـل الامر كذلك حتى مجيء الدولة العثمانية .

(١) الانس الجليل ص٦٣١

(٢) هذا ما جاء في الانس الجليل . ويظهر ان هذا اللقب ظـل يطلق على مساعـد النائب حتى الحكم التركي . ثم استبدله الاتراك بلقب (متصرف) . وعهدوا اليه المهام الادارية . وابقوا المسائل الشرعية بيد النائب .

(٣) صبح الاعشى ج٤ ص١٩٩ .

وكان في القدس ايضاً امير حاجب[١] ترفع اليه الامور المتعلقة بارباب الجرائم .

ويظهر ان المماليك كانوا يرسلون من وقت الى آخر مفتشين يبحثون عن اعمال النواب ، وينظرون في الشكاوى التي يرفعها الشعب الى السلطان . وكانوا يسمون الواحد من هؤلاء المفتشين (دوادار) كبير . وكبير المفتشين كان يسمى (الدوادار الكبير) وهو بمثابة أمين السر العام .

وكان لكل نائب في مقر عمله ايضـاً (دوادار) وهو بمثابة امين السر الخاص .

ولقد حدثنا مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) انه عندما يرد امر السلطان ، او يحدث حادث في القدس ، كان ينعقد فيها مجلس[٢] . وكان هذا المجلس في اغلب الاحيان يؤلـف من نائب السلطان وناظر الحرمين وشيخ الصلاحية وقاضي القضاة والقضـاة الاربعـة الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي . وفي بعض الاحيان كان ينضم الى هؤلاء عدد من العلماء والفقهاء .

وكانت اكثر المجالس تعقد في الحرم على المساطب الكائنة في ساحة الحرم ، وتحت الاشجار او في دار النيابة وفي المدرسة التنكيزية . وكان يسمح للشعب ولمن شاء من الجماهير بحضور هذه الاجتماعات . حتى والاشتراك في المناقشة .

٨٨ — واليك اسماء من عثرنا على اسمـائهم من النواب والحـكام الذين تولوا ادارة الشؤون في بيت المقدس على عهد المماليك . منقولة عن الانس الجليل ، والسلوك في معرفة دول الملوك ، والنجوم الزاهرة وغيرها من الكتب الاسلامية .

(١) مثل قائد الشرطة او قومندان البوليس في يومنا هذا .

(٢) كمجلس الادارة في العهد التركي.

ملوك المماليك واسماء النواب والحكام

الذين تولوا ادارة الشؤون على عهدهم في بيت المقدس

العدد المتسلسل للملوك	أسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		أسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١	شجرة الدر	١٤٨	١٢٥٠				
٢	الملك المعز ايبك	٦٤٨	١٢٥٠				
٣	الملك المنصور علي بن ايبك	٦٥٥	١٢٥٧	سيف الدين كبك	٦٥٥	١٢٥٧	
٤	الملك المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧	١٢٥٩				
٥	الملك الظاهر بيبرس	٦٥٨	١٢٦٠	الأمير جمال الدين محمد بن بهادر	٦٦١	١٢٦٢	
				ألأمير علاء الدين آيدغدي الركني	٦٦٦	١٢٦٧	
				موسى بن غانم الأنصاري	٦٦٩	١٢٧٠	
٦	الملك السعيد محمد ناصر الدين	٦٧٦	١٢٧٧				
٧	الملك العادل بكر الدين سلامش	٦٧٨	١٢٧٩				
٨	الملك المنصور سيف الدين قلاون	٦٧٨	١٢٧٩	الأمير عماد الدين ابن أبي القاسم	٦٨١	١٢٨٢	
				الأمير نجم الدين السونجي	٦٨٢	١٣٨٣	
				الأمير كراي المنصوري	٦٨٩	١٢٩٠	
٩	الملك الأشرف صلاح الدين خليل	٦٨٩	١٢٩٠				
١٠	الملك القاهر بيدرا	٦٩٣	١٢٩٣				
١١	الملك الناصر محمد بن قلاون (الأولى)	٦٩٣	١٢٩٣	الأمير علاء الدين آيدغدي ابن عبدالله الصالحي النجمي	٦٩٣	١٢٩٣	امر بتبليط فناء الصخرة . ودفن عند باب الناظر .

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١٢	الملك العادل زين الدين كتبغا	٦٩٤	١٢٩٤	الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر المعظم عيسى داود بن الملك	٦٩٤	٢٩٤	ولي نظارة الحرمين في القدس والخليل . توفي بالقدس ٦٩٨ﻫ ودفن برباطه المعروف بالمدرسة الاوحدية بباب حطة .
١٣	الملك المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦	١٢٩٦	القاضي شرف الدين عبدالرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي	٦٩٧	١٢٩٧	
١٤	الملك الناصر محمد بن قلاون (ثانية)	٦٩٨	١٢٩٩				
١٥	الملك المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨	١٣٠٨				
١٦	الملك الناصر محمد بن قلاون (ثالثة)	٧٠٩	١٣٠٩	الامير ركن الدين منكورس الجاشنكير	٧١٧	١٣١٧	فتح شباكين بالحائط القبلي في المسجد الاقصى . دفن بآملا .
				الامير ناصر الدين	٧٢٩	١٣٢٨	ولي نظر القدس والخليل وكان يلقب بـ (مشد الاوقاف) .
	اولاد الناصر :	٧٤١	١٣٤١				

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
١٧	الملك المنصور سيف الدين ابو بكر			الامير علم الدين سنجر ابن عبدالله الجاولي الملقب بابي سعيد	٧٤٥	١٣٤٤	ولي النيابة ونظارة الحرمين بالقدس والخليل . وانشأ في القدس المدرسة المعروفة بالجاولية .
١٨	الملك الاشرف علاء الدين كجك						
١٩	الملك الناصر شهاب الدين احمد						
٢٠	الملك الصالح عماد الدين اسماعيل						
٢١	الملك الكامل زين الدين شعبان						
٢٢	الملك المظفر زين الدين حاجي						
٢٣	الملك الناصر ناصر الدين حسن						
٢٤	الملك الصالح صلاح الدين صالح			الامير محمد ابو القاسم ابن عثمان بن ابي القاسم ابن محمد بن عثمان ابن محمد التميمي البطروي	٧٦٠	١٣٥٨	ولي نابلس ونظارة الحرمين بالقدس والخليل توفي بالقدس ٧٥٩هـ ودفن بماملا .

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٢٥	الملك المنصور محمد بن حاجي	٧٦٢	١٣٦٠				
٢٦	الملك الاشرف شعبان ابن حسن	٧٦٤	١٣٦٢	الامير قطلوبغا	٧٦٩	١٣٦٧	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل .وهو الذي بنى مئذنة باب الاسباط
				الامير تمراز	٧٧٧	١٣٧٥	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل
٢٧	الملك المنصور علي بن شعبان	٧٧٨	١٣٧٦	الامير بدر الدين حسن ابن عماد الدين العسكري	٧٨٢	١٣٨٠	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل
٢٨	الملك الصالح زين الدين حاجي بن شعبان	٧٨٣	١٣٨١				
٢٩	الملك الظاهر برقوق	٧٨٤	١٣٨٢	الامير ناصر الدين محمد بن بهادر الفخر ابن الظاهر	٧٨٩	١٣٨٧	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل

العدد المتسلسل للملوك	أسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		أسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				القاضي شمس الدين ابو عبدالله محمد بن الخطيب زين الدين ابو محمد بن عبد الرحمن التدمري	٧٨٩	١٣٨٧	كان نائب السلطنة بالقدس وقاضياً بالخليل.
				الامير شرف الدين موسى بن بدر الدين حسن	٧٩٣	١٣٩٠	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل.
				الامير بلوى الظاهري	٧٩٥	١٣٩٢	كذا . هو الذي أنشأ المسطبة المقابلة للباب الشمالي الغربي بباب الحرم .
				الامير جان تيمور الركني الظاهري	٧٩٦	١٣٩٣	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل .
				الامير شهاب الدين احمد اليغموري	٧٩٦	١٣٩٣	كذا .هو الذي أبطل المكوس والمظالم والرسوم التي أحدثها النواب من قبله.
٣٠	الملك الناصر فرج بن برقوق	٨٠١	١٣٩٨	الامير اصفهان بلاط	٨٠٤	١٤٠١	كان نائب السلطنة بالقدس وناظر الحرمين بالقدس والخليل.
				الامير زين الدين عمر بن علم الدين سليمان	٨٠٦	١٤٠٣	ولي النيابة والنظر بالقدس والخليل . ومات قتيلاً .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء السلاطين	تاريخ حكم السلاطين		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٣١	الملك المنصورعبدالعزيز ابن برقوق	٨٠٨	١٤٠٥				
٣٢	الملك الناصر فرج بن برقوق (ثانية)	٨٠٩	١٤٠٦	الامير علاء الدين علي ابن ناصر الدين محمد الكركي	٨٠٩	١٤٠٦	ولي نيابة القدس. توفي بدمشق ثم نقل الي القدس بعد مدة. ودفن بمدرسته بالصف الشمالي من المسجد.
٣٣	الملك العادل الامام المستعين بالله	٨١٥	١٤١٢				
٣٤	الملك المؤيد الشيخ المحمودي	٨١٥	١٤١٢	الامير شاهين المؤيدي	٨١٦	١٤١٣	ولي النيابة والنظر في القدس والخليل.
٣٥	الملك المظفرشهاب الدين احمد بن المحمودي	٨٢٤	١٤٢١				
٣٦	الملك الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤	١٤٢١				
٣٧	الملك الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	٨٢٤	١٤٢١				
٣٨	الملك الاشرف برسباي	٨٢٥	١٤٢٢	الامير ناصر الدين محمد ابن العطار	٨٢٨	١٤٢٤	ناظر الحرمين الشريفين ونائبهما. توفي بالقدس ودفن بماملا.
				الامير شاهين الذباح	٨٣٠	١٤٢٦	نائب الملك بالقدس. انه هو الذي اتخذ الجاولية داراً للنيابة. لقب بالذباح لذبحه عدداً كبيراً من العربان بدار النيابة.

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك الهجري	تاريخ حكم الملوك الميلادي	اسماء النواب	تاريخ حكم النواب الهجري	تاريخ حكم النواب الميلادي	ملاحظة
				الامير سودون المغربي	٨٣١	١٤٢٧	
				الامير شاهين الشجاعي	٨٣٢	١٤٢٨	
				الامير شرف الدين يحيى بن شلوه الغزي	٨٣٣	١٤٢٩	ناظر الحرمين ونائب السلطان بالقدس .
				الامير سيف الدين اركاس ابن عبدالله الجلباني	٨٣٦	١٤٣٢	ناظر الحرمين ونائب السلطان. كان فظاغليظ القول . لم يشتهر بعلم ولا دين (المنهل الصافي ج ١ ص ١٦٥). **عزل وتوفي** ودفن بماملا (٨٣٨ هـ - ١٤٣٤ م) .
				الامير حسن قمجا	٨٣٨	١٤٣٤	خلف اركاس. وكان ناظر الحرمين ونائب السلطان
				الامير حسام الدين(ابو محمد) الحسن بن ناصر الدين محمد بن جمال الدين عبدالله المشهور بالكشكلي	٨٣٩	١٤٣٥	هو الذي بنى المدرسة الحسنية. بالقرب من باب الناظر . واوقفها . توفي ودفن بماملا (٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م)
				الامير طوغان العثماني	٨٤٠	١٤٣٦	ناظر الحرمين ونائب السلطان بالقدس والخليل وكاشف الرملة ونابلس، ومتولي السلط وعجلون. خدم في زمن الملك الاشرف برسباي وفي من الملك الظاهر جقمق، ثم عزل وتوفي بغزة .

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٣٩	الملك العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	٨٤١	١٤٣٧				
٤٠	الملك الظاهر جقمق	٨٤٢	١٤٣٨	القاضي غرس الدين خليل بن احمد بن محمد ابن عبدالله السخاوي	٨٤٣	١٤٤٠	كان قبلا مستشارا للملك جقمق . ثم ولاه نظارة الحرمين ونيابة القدس .
				الامير خوشقدم	٨٥٠	١٤٤٦	نائب السلطنة بالقدس . ثار عليه المقدسيون لظلمه ودفن بباب الرحمة .
				الامير تمراز المصارع	٨٥٠	١٤٤٦	نائب القدس .
				الامير مبارك شاه	٨٥٠	١٤٤٦	نائب القدس .
				القاضي شمس الدين محمد ابن الصلاح محمد الحموي	٨٥٢	١٤٤٨	تولى نظر القدس والخليل . توفي بالقدس ودفن بالمدرسة الاعظمية . وعلى عهده وهب الملك جقمق اوقاف الحرم ٢٥٠٠ دينارا و ١٢٠ قنطارا من الصفائح .
				القاضي شهاب الدين احمد بن محاسن	٨٥٣	١٤٤٩	يلقب بالنابلسي . اقيل واستوطن مكة . وتوفي بها .
				الأمير فارس العثماني	٨٥٦	١٤٥٢	نائب السلطنة بالقدس.
				الأمير استبغا الكلفكي	٨٥٧	١٤٥٣	ولي نظر الحرمين ونيابة السلطنة بالقدس والخليل اقيل بعد أربعين يوماً .

العدد المتسلسل الملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
				الأمير حسن بن أيوب	٨٥٧	١٤٥٣	تولى نيابة القدس . واقيل مراراً . توفي بالقدس . ودفن فيها .
				الأمير عز الدين عبد العزيز بن العملاق العراقي	٨٥٧	١٤٥٣	
٤١	الملك المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق	٨٥٧	١٤٥٣				
٤٢	الملك الأشرف أبو النصر اينال	٨٥٧	١٤٥٣	الأمير قانصوه	٨٦٠	١٤٥٥	ولي نيابة القدس عوضاً عن الامير حسن بن ايوب . ولكنه اقيل بسرعة . واعيد ابن ايوب .
				الأمير الياس البجاسي	٨٦٣	١٤٥٩	ولي نيابة القدس عوضاً عن الامير حسن بن أيوب
				الأمير شاه بكر منصور ابن شهري	٨٦٣	١٤٥٩	ولي نيابة القدس . ثم اقيل . واعيد حسن بن ايوب
٤٣	الملك المؤيد شهاب الدين أحمد بن اينال	٨٦٥	١٤٦٠				
٤٤	الملك الظاهر سيف الدين خوشقدم	٨٦٥	١٤٦٠	الأمير ابو بكر (ميزه)	٨٦٧	١٤٦٢	ولي نيابة القدس ، استمر في النيابة سنة ثم عزل
				الأمير تغري بردى (أبو القرون)	٨٦٨	١٤٦٣	ولي نيابة القدس سنة ثم عزل . وتولى مكانه الأمير حسن بن أيوب

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
				الأمير ناصر الدين محمد ابن الهمام	٨٦٩	١٤٦٤	من أعيان بيت المقدس . تولى نظارة الحرمين . وفي سنة ٨٦٩ عزل . ثم توفي ودفن بماملا .
				الأمير حسن بن ططر الظاهري (دويدد ارتمر)	٨٦٩	١٤٦٤	خلف الامير ناصر الدين
				الامير دمرداش العثماني	٨٧٢	١٤٦٧	نائب السلطان بالقدس
٤٥	الملك الاشرف قايتباي	٨٧٢	١٤٦٧	الامير يوسف الجمالي (المشهور بابن فطيس)	٨٧٤	١٤٧٠	خلف الامير دمرداش
				الامير يشبك الظاهري	٨٧٥	١٤٧٠	عهداليه بادارة المملكة الشامية من العريش الى الفرات ودون رحلته فيمخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٢٥٩٢
				الامير دقمان الايناني	٨٧٧	١٤٧٢	خلف الامير يشبك . استمر في النيابة ١٠٤ ايام . ثم توفي ودفن بالقلندرية بماملا .
				الامير جقمق	٨٧٧	١٤٧٢	كان نائباً في دمياط ، فنقل الى القدس
				الاميرجارقطليالظاهري	٨٧٩	١٤٧٤	خلف الامير جقمق
				الامير ناصر الدين محمد ابن ايوب	٨٨٢	١٤٧٧	

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك: الهجري	تاريخ حكم الملوك: الميلادي	اسماء النواب	تاريخ حكم النواب: الهجري	تاريخ حكم النواب: الميلادي	ملاحظة
				الامير سنطباي النحاسي	٨٨٤	١٤٧٩	اقيل بعدئذ، واعيد محمد ابن ايوب .
				الامير شهاب الدين احمد ابن مبارك	٨٨٥	١٤٨٠	
				الامير جانم الاشرفي	٨٨٨	١٤٨٣	
				الامير خضر بك السيفي	٨٩١	١٤٨٦	
				الامير جمال الدين بن ربيع	٨٩٢	١٤٨٦	توفي بالقدس ، ودفن بماملا . فاعيد خضربك ثانية .
				الامير دقماق	٨٩٣	١٤٨٧	ثم عزل. فاستقر الامير خضر بك في النيابة للمرة الثالثة .
				الامير جان بلاط	٨٩٧	١٤٩١	نائب السلطنة بالقدس والرملة. وناظر الحرمين. تولى النيابة بعد اخيه الامير خضر بك الذي توفي ودفن بماملا .
٤٦	الملك الناصر محمد بن قايت باي	٩٠١	١٤٩٥				
٤٧	الملك الاشرف قنسو خمسمئة	٩٠١	١٤٩٥				
٤٨	الملك الناصر محمد بن قايت باي	٩٠٢	١٤٩٦				

العدد المتسلسل للملوك	اسماء الملوك	تاريخ حكم الملوك		اسماء النواب	تاريخ حكم النواب		ملاحظة
		الهجري	الميلادي		الهجري	الميلادي	
٤٩	الملك الظاهر قنسو ابي سعيد	٩٠٤	١٤٩٨				
٥٠	الملك الاشرف قنسو جانبلاط	٩٠٥	١٤٩٩				
٥١	الملك العادل سيف الدين طومانباي	٩٠٦	١٥٠٠				
٥٢	الملك الاشرف قنسو الغوري	٩٠٦	١٥٠٠				
٥٣	الملك الاشرف طومان باي (الثاني)	٩٢٢	١٥١٦				

٩٨ — واليك اسماء القضاة الذين تولوا القضاء في بيت المقدس على عهد المماليك[١] :

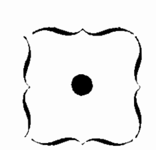
السنة		القاضي		ملاحظة
هجرية	ميلادية	اسمه	مذهبه	
٦٥٠	١٢٥٢	نجم الدين بن قاضي القضاة شمس الدين ابو الغنايم	شافعي	قاضي القضاة .
٦٦٥	١٢٦٦	احمد بن احمد جعفر النابلسي	شافعي	
٦٦٦	١٢٦٧	علي بن القاضي سديد الدين	شافعي	
٦٧٠	١٢٧١	صفي الدين بن محمد بن عبدالله القيسي	شافعي	
٦٧٨	١٢٧٩	موسى بن جبريل	شافعي	
٦٨١	١٢٨٢	تاج الدين ابو محمد بن ابي حامد الجعبري	شافعي	
٦٨٣	١٢٨٤	احمد بن عبد المحسن	شافعي	
٦٨٧	١٢٨٨	بدر الدين بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعه	شافعي	ولد بحماة ٦٣٩ هـ وكان اماماً .

(١) نقلت اسماء هؤلاء القضاة عن مخطوط لقيم المكتبة الاثرية في متحف القدس ، السيد اسطفان حنا اسطفان . ونقلهاهو عن الشذرات ، والانس الجليل ، والضوء اللامع ، ووفيات الاعيان ، وفوات الوفيات ، والشقائق النعمانية ، والرحلة القدسية والمحبى والمرادي ، وبعض المستندات والتراجم لبعض الاسر المقدسية . وقد يكون هناك قضاة آخرون لم نذكرهم . لانا لم نعثر على اسمائهم .

السنة		القاضي		ملاحظة
هجرية	ميلادية	اسمه	مذهبه	
٦٩٠	١٢٩١	عبد المنعم الخزاعي الانصاري	شافعي	
٦٩٤	١٢٩٤	محمد بن محمد النابلسي	شافعي	
٦٩٨	١٢٩٨	منيف بن سليمان بن كامل السلمي	شافعي	
٧١٤	١٣١٤	شمس الدين بن القاضي جلال الدين	شافعي	
٧٢٦	١٣٢٥	احمد الانصاري	شافعي	
٧٣٣	١٣٣٢	محمد بن ابراهيم الكناني الحموي	شافعي	
٧٣٤	١٣٣٣	عمر عماد الدين القرشي الجوهري	شافعي	
٧٤١	١٣٤٠	علاء الدين بن الوحيد	شافعي	
٧٤٣	١٣٤٢	عبدالله بن اميربس		
٧٦٩	١٣٦٧	علي بن احمد المعيد الاموي		
٧٧٨	١٣٧٦	علي بن كمال الدين الاموي		
٧٨٠	١٣٧٨	برهان الدين ابراهيم بن الحكري		
٧٨٢	١٣٨٠	عبد الرحمن بن القاضي محمد الزرعي		
٧٨٢	١٣٨٠	شمس الدين محمد الحكري		
٧٨٣	١٣٨١	أمين الدين محمد بن الشماع		تولى عن السبكي الكبير
٧٨٦	١٣٨٤	احمد شاه كام	حنفي	نيابة
٧٨٧	١٣٨٥	محمد التدمري		
٧٩٤	١٣٩١	عبد اللطيف ابريش	شافعي	
٧٩٦	١٣٩٣	أحمد السليماني		
٨٠١	١٣٩٨	أحمد بن محمد السلاوى	شافعي	
٨٠٢	١٣٩٩	عيسى بن الرصاصي	حنفي	
٨٠٣	١٤٠٠	احمد بن تقي الدين علي		
٨٠٣	١٤٠٠	علي بن الحواري الخليلي		نائب
٨٠٤	١٤٠١	علي بن العز عبد العزيزالبغدادي	حنبلي	
٨٠٥	١٤٠٢	شهاب الدين احمد الحلبي		
٨٠٥	١٤٠٢	علي التميمي	شافعي	
٨٠٦	١٤٠٣	محمد بن قرموز الزرعي		
٨١٢	١٤٠٩	عبد الله . . . بن جماعة	شافعي	ولي القضاة مرة ثانية
٨١٢	١٤٠٩	عبد الله العراقي	شافعي	
٨١٣	١٤١٠	احمد الحريري السلاوي		

السنة		القاضي		ملاحظة
هجرية	ميلادية	اسمه	مذهبه	
٨١٥	١٤١٢	فخر الدين عثمان بن سراج الدين عمر		
٨١٨	١٤١٥	سليمان ابن علم الدين		
٨٢٠	١٤١٧	احمد بن الحكم		
٨٢٤	١٤٢٠	احمد الحساني	شافعي	تناوب القضاء مع ابن مكي ولي القضاء مرة ثانية في ٨٣٤ هـ .
٨٢٨	١٤٢٤	علي بن ابراهيم الرهاوي	شافعي	
٨٣١	١٤٢٧	احمد الحسيني		
٨٣١	١٤٢٧	محمد التفوعي الصوفي	مالكي	
٨٣٨	١٤٣٤	ابن الشحادة	مالكي	قد يكون هو الذي تولي القضاء سنة ٨٥٠ هـ .
٨٣٨	١٤٣٤	احمد العمري بن عوجان		
٨٤٠	١٤٣٦	احمد بن عبدالله بن السائح		
٨٤١	١٤٣٧	محمد بن عبد الرحمن العلمي	شافعي	
٨٤٤	١٤٤٠	علاء الدين علي بن الشيخ خليل الطرابلسي		
٨٥٠	١٤٤٦	عبدالله الهلالي الانصاري بن الشحاده المالكي		
٨٥٢	١٤٤٨	القاضي شمس الدين الحموي		ناظر الحرمين الشريفين بالقدس والخليل . مات ودفن في القدس (٨٥٣ هـ – ١٤٤٩ م) قبره تجاه باب العتم على طريق ستنا مريم
٨٥٢	١٤٤٨	احمد بن محمد الصلطي		
٨٥٤	١٤٥٠	احمد بن عثمان السعدي		
٨٥٤	١٤٥٠	محمد بن سعيد المغراوي		اقيل مراراً . وآخر مرة تولي القضاء فيها سنة ٨٧٣ هـ .
٨٦٠	١٤٥٥	عمر بن خليل العميري	حنفي	
٨٦٢	١٤٥٧	احمد التميمي		
٨٦٤	١٤٥٩	يوسف بن محمد		

السنة		القاضي		ملاحظة
هجرية	ميلادية	اسمه	مذهبه	
٨٦٧	١٤٦٢	عبدالله الديري الخالدي		ولى قضاء القدس والرملة . واول من ولي قضاء الخليل .
٨٧٢	١٤٦٧	احمد بن زين الدين العمري		
٨٧٢	١٤٦٧	شمس الدين محمد العليمي	حنبلي	اضيف اليه قضاء الخليل
٨٧٤	١٤٦٩	عمر بن علي الحواري	شافعي	
٨٧٨	١٤٧٣	نور الدين علي البدرش	مالكي	
٨٧٩	١٤٧٤	محمد بن شمس الدين الديري	حنفي	قاضي القضاة
٨٧٩	١٤٧٤	شمس الدين محمد بن يونس النابلسي		
٨٨١	١٤٧٦	محمد بن داود بن الاسيل	شافعي	
٨٩٢	١٤٨٦	جمال الدين يوسف بن ربيع	شافعي	امير الحكم بالقدس
٩٠١	١٤٩٥	احمد بن شيخ الاسلام الانصاري	شافعي	المحامي المقدسي . تولي الحكم في حياة والده .
٩٠١	١٤٩٥	نجم الدين بن جماعة		
٩٠١	١٤٩٥	شهاب الدين الانصاري	شافعي	المحامي المقدسي .
٩٠٢	١٤٩٦	احمد شهاب الدين العباسي	شافعي	تولى الحكم في حياة والده
٩٠٥	١٤٩٩	شهاب الدين بن عبية	شافعي	



مدارس القدس القديمة

١ — **المدرسة الختنية** بجوار المسجد الاقصى من القبلة خلف المنبر. وقفها الملك صلاح الدين في ١٨ ربيع الاول ٥٨٧ هـ — ١١٩١ م على رجل من اهل الصلاح والتقوى يسمى (جلال الدين محمد بن احمد بن محمد جلال الدين الشاشي)المجاور في بيت المقدس، وعلى من يحذو حذوه من الصالحين من بعده . وقد وليها جماعة من الاعيان . بناؤها قديم من زمن الروم . واما بناء الدار التي بداخل الزاوية فقد قال مجير الدين[1] عنه انه مسجد .

يقيم فيها الآن بعض خدم المسجد . بعض غرفها تستعمل لحفظ القناديل وتنظيفها .

٢ — **المدرسة الصلاحية** على بعد بضعة امتار من السور الشرقي عند باب الاسباط . كانت فيما مضى كنيسة للروم بنيت في المكان الذي كان فيه بيت حنه والدة مريم البتول عليها السلام وبعلها يواكيم . ولما احتل صلاح الدين القدس استشار علماءه في بنـاء مدرسة للفقهاء الشافعية ورباط للمتصوفين الصالحين، وبناء على مشورتهم اتخذها — وكانت يومئذ تعرف بصند حنه[2] — مدرسة للشافعية . وقفها صلاح الدين لمصلحة المسلمين، واوقف عليها كثيراً من الاملاك . وكان ذلك بتاريخ ١٣ رجب سنة ٥٨٨ هـ — ١١٩٢ م . وكتبت الوقفية التالية على حجر كبير وضع على باب الكنيسة ولم يزل الى الآن :

« بسم الله الرحمن الرحيم . وما بكم من نعمة فمن الله . هذه المدرسة المباركة وقفها مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسـلام والمسلمين ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي محي دولة امـير المؤمنين اعز الله انصاره وجمع له بين خير الدنيا والآخرة على الفقهـاء من اصحاب الامام ابي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه سـنة ثمان وثمانين وخمس مئة » .

اما ابو الفداء فانه يعتقد ان هذا المكان كان في الاسلام دار علم قبـل ان يملك الفرنج القدس . وفي ذلك يقول :

« رحـل السلطان (يقصد صلاح الدين) الى القدس في ٤ رمضان، وتفقد احواله، وامر بتشديد اسواره ، وزاد في وقف المدرسة التي عملها . وهذه المدرسة كانت تعرف قبل الاسلام بصند حنـه . **يذكرون ان فيها قبر حنة ام مريم . ثم صارت في الاسلام دار علم قبل ان يملك الفرنج القدس . ولما ملك الفرنج سنة ٤٩٢ هـ اعادوها كنيسة كما كانت قبل الاسلام . فلما فتح السلطان القدس اعادها مدرسة** وفوض تدريسها ووقفها الى القاضي بهاء الدين بن شداد . »

لبثت هذه بحوزة المسلمين بعد الفتح الصلاحي وسميت بالصلاحية . مع ذلك فقد سمح للمسيحيين بزيارة المغارة التي تحتها في اوقات معلومة . على ان يدفعوا تلقاء ذلك ضريبة للقائمين عليها .

---

(١) الانس الجليل ص ٣٨٦ .

(٢) اي القديسة حنه . اقرأ ما كتبناه عنها في كتابنا : (المسيحية في القدس) ، ص ٦١ .

طارصيتها في الفتح الصلاحي وفي العهود الاسلامية التي تبعته . وقد كانت يومئذ من المدارس الاسلامية التي يشار اليها بالبنان . وكانت وظيفة مشيختها من الوظائف السنية .حتى انهم ما كانوا يعهدون بشؤون التدريس فيها الا الى العلماء الاعلام .

ومن الذين تولوا التدريس فيها على عهد المماليك :

(١) العلامة عماد الدين ابو الفدا بن اسماعيل جماعة الكناني الشافعي . وكان هذا في الوقت نفسه خطيبا بالمسجد الاقصى . توفي سنة ٧٧٦هـ — ١٣٧٤ م .

(٢) شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفدا اسماعيل القرقشندي المصري الشافعي . توفي سنة ٧٧٨ هـ —١٣٧٦ م ودفن بماملا .

(٣) قاضي القضاة برهان الدين ابو اسحق ابراهيم بن جماعة الكناني المقدسي قاضي مصر والشام .كان خطيب المسجد الاقصى. وتولى التدريس بالصلاحية . هو الذي عمر المنبر[1] الرخام بالصخرة المشرفة الذي يخطب عليه للعيد. وكان قبل ذلك من خشب يحمل على عجل. توفي سنة ٧٩٠هـ—١٣٨٨م.

(٤) نجم الدين ابو عبدالله الكناني المقدسي . توفي سنة ٧٩٥ هـ — ١٣٩٢ م .

(٥) القاضي عماد الدين ابوعيسى احمد العامري الارزقي الكركي . ولاه الطاهر برقوق قضاء مصر. ثم تولى التدريس بالصلاحية . ومات في القدس سنة ٧٩٩ هـ — ١٣٩٦م.

(٦) شيخ الاسلام شهاب الدين ابو العباسي احمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم. وقد كان ماهراً في علم الفرائض والحساب . توفي سنة ٨١٥هـ —١٤١٢ م ودفن بماملا.

(٧) شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد الرازي من ذرية الفخر الرازي . تولى تدريس الصلاحية سنة ٨١٥ هـ — ١٤١٢م وولي نظر القدس والخليل . توفي بالقدس سنة ٨٢٩ هـ — ١٤٢٥ م ودفن بالبسطامية بماملا .

(٨) شيخ الاسلام شمس الدين ابو عبدالله محمد عبد الدائم العسقلاني . توفي سنة ٨٣١ هـ — ١٤٢٧ م .

(٩) زين الدين ابو بكر القمني المصري الخزرجي . ولي تدريس الصلاحية سنة ٧٩٧ هـ — ١٣٩٢ م وتوفي سنة ٨٣٣ هـ — ١٤٢٩ م .

(١٠) قاضي القضاة وشيخ الاسلام شهاب الدين ابو العباس احمد الاموي المصري المشهور بابن المجمرة. ولي تدريس الصلاحية سنة ٨١٧ هـ — ١٤١٤ م . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ — ١٤٤٠ م ودفن بماملا .

(١١) شيخ الاسلام الرحالة المشهور عز الدين ابن عبد السلام العجلوني السعدي المقدسي. ولي تدريس الصلاحية . وتوفي بالقدس سنة ٨٥٠ هـ — ١٤٤٦ م .

(١٢) المحدث عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ابن برهان الدين القرقشندي . ولي

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) للاستاذ الخالدي. ص١٣.

التدريس بالصلاحية توفي سنة ٨٦١ هـ - ١٤٥٦ م ودفن بماملا .

(١٣) شيخ الاسلام جمال الدين ابو محمد بن جماعة الكناني . ولد بالقدس سنة ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨ م وتلقى العلم في مصر . ولي قضاء الشافعية بالقدس . ودرس بالصلاحية . توفي سنة ٨٦٥هـ - ١٤٦٠م .

(١٤) محمد الخليل الانصاري . توفي سنة ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م .

(١٥) كمال الدين محمد بن ابي شريف المقدسي . تولي التدريس بالصلاحية سنة ٨٨٠ هـ - ١٤٧٥ م .

ومن الذين تولوا التدريس فيها في العهد العثماني :

(١) شيخ الاسلام برهان الدين ابو اسحق ابن الامير ناصر الدين بن ابي شريف المقدسي . توفي سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م .

(٢) كاتب العماير الشيخ محمود بن القاضي احمد الديري[1] . وكان يتقاضى عثمانياً واحداً في كل يوم (٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م) .

(٣) السيد علي بن محمد بن علي بن جار الله . توفي سنة ١١٦٩ هـ - ١٧٥٥ م .

(٤) السيد جار الله اللطفي[2] وكان يتقاضى اربعين عثمانياً وعشر قرية سلوان عن التدريس واربع قطع مصرية مع عثماني واحد في كل يوم عن التولية (١١٧٥ هـ - ١٧٦١ م) .

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ .

(٢) السجل ٢٤٤ الصفحة ١٢٢ .

(٥) السيد محمد بن علي جار الله المقدسي[1] . تولى افتاء القدس ومنصب نقيب الاشراف سنة ١١٨١ هـ - ١٧٦٧ م .

ولكن الاتراك تنازلوا عنها في القرن التاسع عشر للافرنسيسيين اعترافا لهم بالفضل لانهم وقفوا الى جانب الاتراك وخاصموا الروس في حرب القرم فاعطاها هؤلاء للآباء البيض . فجعلوها مدرسة اكليركية . وبقيت كذلك حتى الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) فاحتلها الاتراك واتخذوها مدرسة لتعليم العلوم الدينية عرفت باسمها القديم (الصلاحية) . ولما سقطت القدس في يد الانكليز ارجعوها الى الآباء البيض فاعادوها مدرسة وفيها متحف وكنيسة .

٣ - **المدرسة الافضلية** بحارة المغاربة . وكانت قديما تعرف بالقبة . وقفها الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي بن الملك صلاح الدين ، على فقهاء المالكية بالقدس . ووقف ايضا حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف اجناسهم ذكورا واناثا . وقد تم ذلك كله على عهده يوم تسلطن على دمشق ، وكانت القدس من اعماله .

انها الآن دار يسكنها جماعة من فقراء المغاربة . وفيها مدفون رجل يسمونه (الشيخ عيد) . ويقولون انه من الصالحين . وهناك مدرسة بهذا الاسم بحارة النصارى . كانت في القرون الوسطى مسجدا على علو سجن الشرطة . بناها الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي بن صلاح الدين . (٥٨٩هـ - ١١٩٣ م) . وهي السنة التي توفي ابوه صلاح الدين فيها . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٧ من كتابه الانس الجليل . وقال عنها انها مدرسة . واما منارتها فان تاريخها يرجع الى ٨٧٠ هـ - ١٤٦٥ م .

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) للاستاذ الخالدي ص ٣٦ .

٤ ــ **المدرسة الميمونية** عند باب الساهرة. على بعد مئتي متر من السور في داخل المدينة . كانت كنيسة للروم . وقيـــل انها كانت للسريان . وكان هؤلاء يسمونها (دير المجدلية). وقد اتخذها اسقف السريان في اورشليم فورلس الثالث[١] مقرا له .

كانت كذلك عند الفتح الاسلامي (٦٣٦ م) ولا ندري كيف ومتى انتقلت الى يد المسلمين. ولكننا نعلم العلم اليقين ان الامير فارس الدين ابا سعيد ميمون ابن عبدالله القصري خازندار الملك صلاح الدين هو الذي وقفها وكان ذلك في جمادي الاولى سنة ٥٩٣هـ ١١٩٦ م .

كانت في باديء الامر زاوية. ثم اتخذت بعد ذلك مدرسة للشافعية. وانا لنستغرب كيف قيل انها كانت على عهد مجير الدين(٩٠٠ هـ – ١٤٩٤ م)من المهملات وانه لم يبق لها نظام . اذ انا نقرأ بعد ذلك بقرنين او يزيد انه كان بها ناظر ووقف[٢] وان[٣] « الحاكم الشرعي اقر كلا من حسن بك ومحمد آغا وقاسم آغا اولاد طوقان زاده في ثلث وظيفة التولية على المدرسة الميمونية بالقدس الشريف براتب قدره خمسة عثمانه[٤] في كل يوم عوضا عن السيد تاج الدين بن حسن افندي الجاعوني والسيد بدر الدين بن شمس الدين الجاعوني بحكم فراغها لهم وتعوض الفارغان نظير فراغها لهم عن ذلك ٢٦٠ زولطه مقبوضة » وكان ذلك بتاريخ ١١٧٥ هـ – ١٧٦١ م .

ومن الذين تولوا التدريس فيها خلال القرن السابع عشر للميلاد محمد بن حافظ السروري المقـدسي من بني غانم . توفي سنة ١٠٨٩ هـ – ١٦٧٨ م .

وقد حدثني السيد ابراهيم طهبوب انهـا كانت من اوقاف العسلي ، وان جانبا منها فاخورة ، والجانب الاخر مزبلة . وانها ظلت كذلك حتى اواخر القرن التاسع عشر . فاتخـــذها الاتراك مدرسة واسموها (قدس شريف مكتب اعداديسي) وقد تم تدشينها في ١٣٠٩ مالية ١٣١٠ هجرية ١٨٩٢ ميلايةد. وسميت بالمأمونية. وقد تعلم فيها كثيرون من ابناء بيت المقدس ومنهم مؤلف هذا الكتاب .

وبعد الاحتـــلال الانكليزي جعلت مدرسة للبنات تابعة لمصلحة المعارف العامة .

٥ ــ **المدرسة الجراحية** في الحي المعروف بحي الشيخ جراح ، على بعد كيلومترين من سور المدينة الى الشمال ، وعلى الطريق المؤدية الى نابلس ، سميت كذلك نسبة لواقفها الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امـــراء الملـك صلاح الدين يوسف بن ايوب . وقد توفي في ظفر سنة ثمان وتسعين وخمسماية (١٢٠١ م) ودفن في زاويته المذكورة . ذكرهـــا الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته . فقال عنها ما تقدم ذكـــره نقلا عن مجير الدين . وقـــال ايضا ان لها وقفا ووظائف مرتبة .

ولا صحة عندي للقول الشائع بين سكان بيت المقدس عن نبوة الشيخ جراح . لا ولا عن صحبته للنبي . انه لم يذكر في عداد الصحابة الذين دخلوا القدس في الفتح العمري . والحقيقة التي لا مـــراء فيها انه من رجال صلاح الدين . وقيل انه كان طبيبه الخاص . وقد ابلى في معركة القدس بلاء حسنا .

---

(١) هناك في دير السريان بالقدس وقفية رقمها ١٢٣ تاريخها ٧٥٠م يشير الى ذلك .

(٢) السجل ٢٢٨ الصفحة ٢٥ السنة ١١٤٨ هـ – ١٧٣٥ م .

(٣) راجع السجل رقم ١٢٤٤ لصفحة ١٤٣ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

(٤) جمع (عثماني)وهو نوع من العملة كان رائجا في ذلك العصر .

٦ – **المدرسة النحوية** على طـرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب . ذكرها مجير الدين[١] وذكرهـا الاستاذ محمد كرد علي في (خطط الشام) فقال ان الذي بناها هو الملـك المعظم عيسى ، وكان ذلك سنة ٦٠٤ للهجرة – ١٢٠٧ م . كان يدرس فيها الكتاب علم النحو لسيبويه . ولذلك سميت المدرسة النحوية .

٧ – (**المدرسة الناصرية**[٢]) كانـت على برج باب الرحمة من ابراج السور الشرقي . عرفت باديء ذي بدء بهذا الاسم نسبة الى منشئها الشيخ نصر المقدسي . ثم عرفت بالغزالية نسبة لحجة الاسلام الامام ابي حامد الغزالي[٣] الذي اعتكف فيها مدة اتم خلالها تأليف كتابه (احياء العلوم) . ولقد جدد انشاءها الملك المعظم عيسى ، وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو . ووقف عليها كتبا . وكان ذلك بتاريخ ٦١٠ هـ – ١٢١٣ م ذكرها مجير الدين[٤] وقـال انها كانت على عهده داثره .

٨ – **المدرسة البدرية** بالقرب من اللؤلؤية ومن زاويةولي اللهالشيخ محمد القرمي الى الغرب .وقفهابدر الدين محمد بن ابي القاسم الهكاري[٥] احد امراء الملك المعظم عيسى (٦١٠ هـ – ١٢١٣ م) على فقهاء الشافعية . استشهد في الغور بالقرب من نابلس فنقل الى القدس ودفن فيها .

انها الان دار معدة للسكن . تسكنها عائلة علي نصره التوتونجي واخوته . انها كائنة في الحارة المعروفة بالواد . وقد كتب على بابها الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هـذه المدرسة المباركة على اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه الموالي الملكة العلية المجاهدة بدرية » .

٩ – **المدرسة المعظمية** ومن اسمائها الحنفية . انها وقف الملك المعظم عيسى . مقابل باب شرف الانبياء المعروف بباب الدويدارية . وقفت على كتاب الوقف وفيه جهات كثيرة من القرى . وقد اخذ غالبها وصار بايدي الناس اقطاعا وملكا . ذكرها مجير الدين في كتابه الانس الجليل ، ومحمد كرد علي في كتابه خطط الشام . ومما قاله هـذا انها الان معمورة . وانه كان يدرس فيها الخالدية خصوصا الكافية والهداية .

دخلتهـا في اليوم العشرين من شهر شباط ١٩٤٧ م فرأيت الخراب مخيما على الجانب الاكبر منها . وقد احتكر جانبا منها رجـل من الخليل يدعى محمد دعسان . وقرأت على بلاطه كانت لا تزال مثبتة في جدارها القبلي من الداخل الكلمات الآتية كتبت بالنسخ الايوبي الجميل .

«امر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين ابو العزائم عيسى بن ابي بـكر بن ايوب الواقف لهذه المدرسة على الفقهاء والمتفقهة من اصحاب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنـه وارضاه . »

وذلك في شهور سنة اربع عشرة وستماية للهجرة

---

(١) الانس الجليل ص٣٨٦

(٢) كذا وردت في الانس الجليل .ولكن الاستاذ محمـد كرد علي نقلها في خطط الشام باسم (المدرسة النصرية) . وارى ان الحق معه . اذ ان مؤسسها على قول مجير الدين نفسه هو الشيخ نصري المقدسي .

(٣) انه محمد بن محمد بن احمد الغزالي.ولدبطوس سنة٤٥٠هـ – ١٠٥٨ م ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله . تنقل من بلده طوس الى نيسابور الى دمشق .ثم الى بيت المقدس . وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ – ١١١١ م .

(٤) الانس الجليل ص ٣٨٦ .

(٥) مجير الدين ص٣٩٨ والمقريزي ج١ ص١٨٨ .

النبوية تقبل الله منه وغفر له . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما . ٦١٤ هـ » ١٢١٧م .

وعلى الوجه القبلي من حائط المنارة بلاطة من الرخام نقش عليها بالنسخ الايوبي او المملوكي القديم وبأحرف صغيرة هذه الكلمات :

«امر بعمارة هـذه المأذنة المباركة الملك القاهر الناظر بهذه المدرسة غفر الله له وتغمد برحمته والده الواقف السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى قدس الله روحه في شهور سنة ثلاث وسبعين وستماية . » ٦٧٣هـ - ١٢٧٤م .

١٠ - (**دار الحديث**) بجوار التربة الجالقية من جهة الغرب برأس درج العين بباب السلسلة . وقفها الامير شرف الدين عيسى بن بدر الدين ابي القاسم الهكاري . وكان ذلك بتاريخ ٢٥ رجب ٦٦٦هـ - ١٢٦٧م . فيها الآن جماعة من آل الخالدي .

١١ - (**الرباط المنصوري**) انشأه [١] الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة (٦٨١هـ - ١٢٨٢م) ووقفه على الفقراء من زوار القدس. ولذلك يسمونه رباط قلاوون .

واقع قبلي الطريق الموصلة الى الحرم من باب الناظر وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور للغرب ، تجاه رباط البصير بالتمام .

هناك بلاطة من رخام فوق بابه نقش عليها بالنسخ المملوكي القديم وباحرف متوسطة هذه الكلمات :

«بسملة . . . الحمد لله عم بفضله كل شيء. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. امر بعمارة هذا الرباط ووقفه على الفقراء وزوار القدس الشريف مولانا السلطان الملك المنصور ابو الملك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي ادام الله ايامه وتقبل منه . سنة احد وثمانين وستماية . » ١٢٨٢م .

استعمل الاتراك بعدئذ هذا البناء سجناً .وكانوا يسمونه (حبس الرباط) .

١٢ - (**رباط الكرد**) امام المدرسة الارغونية بباب الحديد . انشأه [١] المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية سنة ٦٩٣ للهجرة - ١٢٩٣ م . وهو الآن عامر . يسكنه جماعة من آل الشهابي .

١٣ - (**المدرسة الاباصيرية**) تنسب للامير علاء الدين الاباصيري [٢] . انها بجوار باب الناظر . وقد كانت رباطاً تجاه الرباط المنصوري [٣] . واقفه الأمير علاء الدين آيدغدي . وقفه في سنة ست وستين وستمائة (١٢٦١ م) في زمن الملك الظاهر بيبرس . ولم يظهر له كتاب وقف . فكتب محضر بوقفه وثبت لدى حاكم الشرع . وكان ذلك بتاريخ ١٨ ربيع الآخر ٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م . وهو مدفون بالرباط المذكور .

اتخذ هذان الرباطان : الاباصيري والمنصوري في أوائل العهد التركي مسكناً للتكارنة [٤] . أنهم من عرق افريقي جاءوا من دارفور وملحقاتها . وكانت الحكومة التركية تستخدمهم في شؤون الشرطة . وعهدت اليهم بحراسة المدارس التي كانت تقوم في

(١) (المعاهد المصرية في بيت المقدس) للاستاذ احمد سامح الخالدي . ص ٨

(١) الانس الجليل ص٣٨٩ .

(٢) توفي سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م وكان ناظرا للحرمين (الحرم القدسي وحرم الخليل) من ايام الظاهر بيبرس الى ايام المنصور قلاوون .

(٣) وقف السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي (٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م)

(٤) الانس الجليل ص٣٩٤ .

الدور والمنازل والاروقة الكائنة حول الحرم من الغرب والشمال . ولقد قاموا بواجباتهم حق القيام. وكانوا دوماً من المخلصين للدولة . انهم سود اللون ، طوال القامة ، أقوياء البنية . وعهد اليهم بحراسة أبواب الحرم . إذ كان محرماً على النصارى والاجانب دخول الحرم . والويل لمن كانت تحدثه نفسه بمخالفة هذا الامر والاقتراب من أحد الابواب. حتى الامراء وملوك الدول الأجنبية ، فقد كان محظوراً عليهم دخول الحرم الا باذن من التكارنة . وما كان هؤلاء ليأذنوا لاحد خلاف المسلمين . وانا لنرى هذه القاعدة على اشدها في اواسط القرن التاسع عشر (١٨٥٥) .يوم اضطر متصرف القدس ان يسجن التكارنة ليمكن احد الملوك من زيارة الحرم .

ولقد اتخذ هذان الرباطان في اواخر العهد التركي سجناً . فكان في أحدهما وهو القبلي الموقوفون الذين ينتظرون محاكمتهم . وفي الثاني المحكومون. وكان هذا يدعى (سجن الدم) . وظل كذلك حتى الاحتلال البريطاني ، يوم نقل الانكليز السجن الى المكان المعروف في يومنا هذا بالمسكوبية.

واما الآن فليس فيهما سوى الفقراء من التكارنة يعيشون عيشة التسوءل والاستجداء .

والمعتقد ان الدار التي يقطنها جماعة من آل الخالدي غربي الحرم الى الشمال ، كانت فيما مضى جزءاً من المدرسة الاباصيرية التي نحن في صددها .

١٤ – (**المدرسة الدوادارية**) ويسمونها ايضاً الدويداريه . انها من المدارس التي أنشئت على عهد المماليك البحريين . واقعة شمالي الحرم والى الشرق من الطريق المؤدية اليه عند الباب المعروف بالباب العتم[١] . كانت تعرف فيما مضى بدار الصالحين . بناها ووقفها الامير علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدوادار الصالحي النجمي في اليوم الأول من شهر محرم سنة ٦٩٥ هـ – ١٢٩٥ م. وكان ذلك في زمن الملك الصالح نجم الدين أيوب .

يدلك على هذا الكتابة المنقوشة على بابها الخارجي من جهاته الثلاث . وهي بالنسخ المملوكي القديم :

« بسم الله الرحمن الرحيم. امر بانشاء هذه الخانقاه المباركة المساة بدار الصالحين العبد الفقير الى الله تعالى عبدالله بن عبد ربه بن عبدالباري سنجر الدواداري الصالحي ، ووقفها ابتغاء وجه الله تعالى على ثلاثين نفرا من الطائفة الصوفية والمتصوفة من العرب والعجم ، منهم عشرون نفرا عزابا وعشرة مزوجون مقيمون بها لا يظعنون عنها صيفا ولا شتاء ولا ربيعا ولا خريفا الا لحاجة ، وعلى ضيافة من يرداليها من الصوفية والمتصوفة مدة عشرة ايام. ووقف عليها قرية بير نبالا من القدس الشريف وقرية حجلا من اريحا وفرن وطاحون علوهما دار بالقدس ومصبنة وستة حوانيت ووراقة بنابلس وثلاثة بساتين وثلاثة حوانيت واربع طواحين ببيسان . وقف ذلك على هذه الخانقاه وعلى تدريس مذهب الشافعي وعلى شيخ يسمع الحديث النبوي وقاريء يقرأ عليه وعلى عشرة انفار يسمعون الحديث وعشرة انفار يتلون كتاب الله كل يوم ختمة وعلى مادح ينشد مدح النبي . كل ذلك بالجامع الاقصى . وذلك في مستهل سنة خمس وتسعين وستماية. بتولية الفقير الى الله سنجر القيمري عفا الله عنه . ومن جملة وقف هذه الخانقاه المباركة

(١) ومن اسمائه باب الدويدارية وباب شرف الانبياء وباب الملك فيصل .

ووظائفها المذكورة قرية طبرس من قاقون وحمام الملكة من نابلس المحروسة . عمل المعلم علي بن سلامة المهندس » .

ذكرها مجير الدين في الصفحتين ٣٩٠ و٤٩٥ من كتابه (الانس الجليل) . وذكرها فان برشام الهولندي.

انها في يومنا هذا (١٩٤٦) عامرة . وقد اتخذتها مصلحة الوقف مدرسة لتعليم البنات المسلمات .

١٥ – (**المدرسة السلامية**) بباب شرف الانبياء تجاه المعظمية . انها بجوار المدرسة الدويدارية من جهة الشمال . واقفها الخواجا مجد الدين ابو الفدا اسماعيل السلامي . والظاهر انها اوقفت بعد السبعماية . وهناك من يقول انها اوقفت حوالي سنة ٧٠٠ هـ – ١٣٠٠ م . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٣ من كتابه الانس الجليل . ونقلها عنه مؤلف خطط الشام ، فقال انها دار القرآن . انها الآن دار معدة للسكن . يسكنها جماعة من آل جار الله .

١٦ – (**المدرسة الوجيهية**) بخط درج المولى . بالقرب من المدرسة المحدثية عند باب الغوانمة . وقفها الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن اسعد بن النحا (النجا ؟ . .) الحنبلي المتوفي سنة ٧٠١هـ – ١٣٠١م . وهي الآن دار سكن .

١٧ – (**المدرسة الموصلية**) بباب شرف الانبياء بجوار المسجد الاقصى . نسبت للخواجا فخر الدين الموصلي . جاء في سجلات المحكمة الشرعية[1] ان مدرسها ومتولي اوقافها في سنة ١١٧٥ هـ – ١٧٦١ م كان السيد جارالله اللطفي ، وان هذا كان يتقاضى راتبا قدره عشر عثمانيات .

١٨ – (**المدرسة الجالقية**) في الزاوية الشمالية الغربية

(١) السجل ٢٤٤ ص ١٢٢ .

عند ملتقى طريق باب السلسلة بطريق الواد . تجاه المدرسة الطازية . انشأها ركن الدين بيبرس الجالق الصالحي بتاريخ ١٠ جمادي الاولى سنة ٧٠٧ هـ – ١٣٠٧ م . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٦ من كتابه الانس الجليل . انها اليوم في حوزة آل الخالدي . باعوا جانبا منها الى جماعة من اهل الخليل . واحتفظوا بالجانب الاخر .

١٩ – (**المدرسة الجاولية**) قريبة من درج الغوانمة عند زاوية الحرم الشمالية الى الغرب . وقفها الامير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزه والقدس (٦٨٣ – ٧٤٥ هـ) وجعلها مدرسة ٧١٥ هـ – ١٣١٥ م فسميت باسمه . واتخذت فيما بعد داراً للنيابة . واول من اتخذها داراً للنيابة هو شاهين الذباح . وكان ذلك حوالي سنة ٨٠٠ هـ – ١٤٠٠ م . وعلى مدخلها بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات : « رسم بتجديدها المقر الشجاعي شاهين » .

وعلى عهد مجير الدين[1] كانت سكنا لنواب القدس . وفيها دفن الشيخ درباس الهكاري وكان من الصالحين .

يعتقد علماء الآثار ان هذا البناء شيد على عهد المكابيين . شيده جون هركانوس (١٣٤ ق . م) وجعله قلعة يحمي بها الهيكل . وقد اسماها يومئذ (بارس) . ثم جاء هيرودس الملك ووسعها واضاف اليها برجاً اسماه (برج انطونيا) . وقد حصنها تحصيناً متيناً . واتخذها الرومان مقراً لولاتهم . وفيها أقام الوالي الروماني بيلاطس الذي حاكم السيد المسيح . وفي عهد المماليك صارت مدرسة . ثم صارت داراً للنيابة كما قدمنا . وقد اتخذها الاتراك قشلاقاً وداراً للحكم . وكان ذلك حوالي

(١) الانس الجليل . ص ٣٩٠ .

نهاية القرن السادس عشر . وكانت على عهدهم تدعى (السرايا القديمة) . وظلت كذلك حتى بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) .

وبعد الاحتلال البريطاني وضع المجلس الاسلامي الاعلى يده عليها (١٩٢٢) . لانها من املاك الوقف واقام فيها (كلية روضة المعارف) الوطنية . وفي اثناء الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٨) اتخذها الانكليز داراً للشرطة وهي الان مدرسة .

٢٠ - (**المدرسة الكريمية**) بباب حطة ، ملاصقة للباب من الشرق . ذكرها العمري في كتابه (مسالك الابصار) . وذكرها مجير الدين[١] فقال : ان الذي وقفها هو الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكانس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية . وكان ذلك بتاريخ ٨ ذي الحجة ٧١٨ هـ - ١٣١٩ م .

ذكرها ابن بطوطه في رحلته سنة ٧٢٥ هـ - ١٣٢٤ م . واجتمع بشيخها . وقد عدها خانقاه اي رباطاً . وقال عن واقفها كريم الدين انه كان قبطياً فاسلم[٢] .

وفي سنة ٩٩٠هـ - ١٥٨٢م كان الشيخ جارالله ابن المرحوم شيخ الاسلام ابو بكر الشهير نسبه بابن أبي اللطف ناظراً على وقفها .

وكان السيد جارالله بن وفا أفندي اللطفي سنة ١١٧٤ هـ - ١٧٦٠ م شيخ هذه المدرسة ومدرسها ومتولي اوقافها[٣] . وكان يتقاضى لقاء ذلك اجراً قدره عثمانيان عن المشيخة وستة عن

(١) الانس الجليل ص٣٩١ .

(٢) (المعاهد المصرية في بيت المقدس) للاستاذ احمد سامح بك الخالدي ، الصفحة ٩

(٣) السجل ٢٤٤ ص ٧٥ و ١٢٢ .

التدريس وأربعة عن التولية . ثم تخلى عن وظيفة المشيخه الى السادة محمد وأحمد وعبد الله اولاد السيد علي أفندي جار الله زادة ولآخرين .

انها الآن بيد فريق من آل جار الله .

٢١ - (**المدرسة التنكزية**) ويسمونها خطأ التنكيزية . أنشأها الامير تنكز الناصري[١] سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م . انها عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة . لها بابان : باب شرقي وهو مطل على الحرم ، وآخر شمالي وهو مطل على الطريق المعروفة بطريق باب السلسلة .

كتب على واجهتها الخارجية فوق الباب الشمالي الكلمات التالية بالخط المعروف بالنسخ المملوكي الجميل وباحرف كبيرة : (بسم الله الرحمن الرحيم . انشأ هذا المكان المبارك راجياً ثواب الله وعفوه المقر الكريم السيفي تنكز الملكي الناصري عفا الله عنه واثابه . وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبعماية) . وهي موقوفة باسمه[٢] .

قبل ان يكون هذا المكان مدرسة[٣] كان خانقاه للصوفيين . وكان ايضاً داراً للأيتام ، وداراً للحديث . ثم صار في عهد المماليك مدرسة . ولما ذكرها مجير الدين[٤] قال عنها : «انها مدرسة عظيمة ليس في المدارس اتقن من بنائها . ولها مجمع راكب على الأروقة الغربية في المسجد » .

وقد سكنها السلطان فرج أثناء إقامته بالقدس.

(١) انه الامير سيف الدين تنكز بن عبدالله الملكي الملقب بابي سعيد . كان نائب السلطنة المصرية بالشام . وقد توفي بالاسكندرية مسموما سنة ٧٤١ هـ - ١٣٤٠م. ونقل الى تربته بدمشق .

(٢) السجل ٩٢ الصفحة ٤٧٦ التاريخ ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م .

(٣) فان برشام .

(٤) الانس الجليل ص٣٨٧ .

وفي عهد قايتباي اتخذت مركزاً للحكام والقضاة والنواب المسؤولين عن ادارة القدس . ولطالمـــا اتخذها هؤلاء داراً لسكناهم أيضاً .

ذكرها السائح المشهور فابري فقال : « انهـا كانت ديواناً للقضاء ، وداراً لسكن القضاة » .

وكان في داخلــها مسجد ايضاً . فانك تقرأ السطور التالية منقوشة على حائط بهوهـا القبـلي الكبير :

« البيت الحرام أول مسجد وضع على وجـه الأرض واختار لعبادته مواطن لاقامــة السنن والفرض . وجعل هذا المسجد جار المسجد الأقصى ونعم الجار الطاهر ، واجرى لبانيــه جزيل الثناء والثواب الوافر ، لقوله تعالى : انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر . اختار لعمارة بيوته من رضي فعله وقوله واطال بالسعد والبذل طوله . . »

وعندما كانت مدرسة كان يدرس فيها أساتذة قديرون . منهم الشيخ احمد الشهابي بن الشيخ محمد تنكز[١] والشيخ المحدث ابو محمود احمد بن محمد بن هلال وهو من مفاخر بيت المقدس . الف كتابه المشهور (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) . وقد رحل الى مصر وتوفي فيها ٧٦٥ هـ – ١٣٦٣ م .

ومنهم الشيخ محمود بن القاضي احمد الديري . وكان يتقاضى أجراً يومياً قدره نصف عثماني[٢] .

ومنهم محمد بن حافظ السروري المقدسي بن غانم توفي سنة ١٠٨٩ هـ – ١٦٧٨ م .

وفي عهـــد الاتراك صارت محكـمة شرعية . وكذلك بقيت في اوائل الاحتلال الانكليزي . ثم اتخذت داراً لسكن رئيس المجلس الاسلامي الأعلى الحاج أمين افندي الحسيني .

ان نصف الحمام المعروف بـ (حمام العـــين) والكائن بسوق باب القطانـين ، وقف على المدرسـة التنكزية[١] ، والنصف الاخر وقف على الصخرة .

ذكر الاستاذ كليرمان غانو في كتابه (التنقيب عن الآثار في فلسطين Archeological Researches In Palestine by Clermont - Ganneau) انه عندما تولى المسؤولون تعمير دار المحكمة (التنكزية) وحفروا الاساس ، بقصد اصلاح بالوعها وكان ذلك حوالي عام ١٨٧٤ للميلاد ، عثروا على حجرين صغيرين وقديمين ، اشتراهما من العمال . أحدهما نحت بشكل يمثل رأس آدمي ، وان كان من الصعب تميز العصر الذي ينتمي اليه . والثاني نحت بشكل امرأة عارية الصدر ، مستورة العورة ، منحنية الذراعين حول الرأس .

ويكاد المرء ، على حـد قوله ، يعتقـد انه تمثال صغير لفينوس إلهة الجمال . ولما كان قـــد ورد في التاريخ ذكر لمعبد بهذا الاسم (فينوس) في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة ، فقد راح الاستاذ يتساءل عمّا إذا كان هـذا هو نموذج لفينوس ذي الصلة بالقـدس القديمــة التي كانت تعرف بـ : Aelia Capitolina.

٢٢ – (المدرسة الامينية) شمالي الحرم ، بالقرب من باب شرف الانبياء الى الغرب . انشأها الصاحب امين الدين عبد الله سنة ٧٣٠هـ – ١٣٢٩م . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٠ من كتابه الانس الجليل. وهي الآن دار عامرة ، يسكنها جماعة من آل الامام.

وفي الطابق الارضي تحتها مدفون عدد غـــير

(١) السجل ٦٠ الصفحة ٤٣ التاريخ ٩٩٠ هـ – ١٥٨٢ م.
(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ التاريخ ٩٧١ هـ – ١٥٦٣م.

(١) السجل ٦٠ الصفحة ٤٣ التاريخ ٩٩٠ هـ – ١٥٨٢ م .

قليل من آل الامام وعلمائهم الغابرين : مثل الشيخ اسعد الامام والشيخ يوسف والشيخ محمد صالح والشيخ ابراهيم وغيرهم كثيرون. وكذلك الشيخ يحيى بن شرف الدين بن قاضي الصلت. ولسنا ندري حقيقة القول القائل بان النبي يوشع ايضاً مدفون هناك . وله ضريح .

واما آل الامام المدفون فيها فهم: الجد الأكبر ضياء الدين محمد ابو عيسى الهكاري .

الشيخ عبد الرحيم الامام وزير صلاح الدين

الشيخ عبد الرحمن الامام .

الشيخ محمد شمس الدين الامام .

الشيخ محمد صالح الامام .

الشيخ اسعد الامام .

٢٣ – (**الخانقاه الفخرية**) بجاورة لجامع المغاربة على بعد مئتي متر تقريباً من المسجد الاقصى الى الغرب . بابها من داخل المسجد عند الباب الذي يخرج منه الى حارة المغاربة . وقفها القاضي فخر الدين[١] ابو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجيوش الاسلامية الذي توفي سنة ٧٣٢هـ – ١٣٣١م .

كانت في القرن العاشر الهجري مدرسة . وكان ناظرها وشيخها[٢] في سنة ٩٣٧هـ – ١٥٣٠م بهاء الدين بن حامد . وكان هذا يتقاضى اوج اقجة (ثلاث بارات) في كل يوم . وكان تعيينه بامر من السلطان وما دام في قيد الحياة .

وقد عين القاضي حسام الدين الحنفي سنة ٩٧١هـ – ١٥٦٣م الشيخ محمود الديري قارئاً في مدرسة الخانقاه هذه باجريومي قدره عثماني واحد[٣] .

انها اليوم عامرة . يسكنها فريق من آل أبي السعود . وجانب منها زاوية وجامع (هو غير جامع المغاربة) .

٢٤ – (**المدرسة الملكية**) ومن اسمائها (مدرسة الجوكندار) . واقعة شمالي الحرم ، بين المدرسة الفارسية من الشرق والمدرسة الاسعردية من الغرب . تراها على يمينك بعد المدرسة الامينية اذا ما دخلت الحرم من الباب المعروف بباب شرف الانبياء . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٠ من كتابه الانس الجليل فقال : عمرها الحاج ملك الجوكندار في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مستهل محرم سنة ٧٤١هـ–١٣٤٠م. يدلك على ذلك الكتابة التالية كتبت بالنسخ المملوكي الجميل ونقشت في حجر من رخام تم تثبيته على حائطها القبلي المطل على ساحة الحرم :

(«بسم الله الرحمن الرحيم . تقرب بعمارة هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى الحاج ملك الجوكندار الملكي الناصري، غفر الله له حيا وميتاً ولمن دعا له بالرحمة والمغفرة . وكان الفراغ منه في شهر الله المحرم غرة عام احد واربعين وسبع مائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتسليم . »

واما الوقف عليها فانه من زوجته ملك بنت السيفي قلطلقتمر الناصري سنة ٧٤٥ هـ – ١٣٤٤ م .

انها في يومنا هذا ليست مدرسة ، وان كانت عامرة . يسكنها آل الخطيب . وفي جانبها من الغرب دار الكتب الاسلامية . تلك الدار التي أسسها المجلس الاسلامي الاعلى على عهد رئيسه الحاج امين افندي الحسيني . ويصعد الى الدارين، دار الخطيب ودار الكتب ، في درج واحد .

(١) اصله قبطي ، فاسلم .(الانس الجليل ص٣٨٦) .

(٢) السجل ١ الصفحة ٢٥٢ .

(٣) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ .

٢٥ - (**المدرسة الفارسية**) بين الامينية من الشرق والملكية من الغرب . ذكرها مجير الدين[١] من المدارس الواقعة في شمال الحرم. وقال ان واقفها الامير فارس البكي بن الامير قطلو ملك بن عبد الله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزه . وهو المنسوب اليه الفارسية بداخل المسجد الاقصى[٢] عند المكان الذي تجلس فيه النساء بالقرب من بئر الورقة والحاكورة التي بلصق المسجد عند الباب الشرقي والتي تعرف بحاكورة الفارسية .

ان السجلات التي عثرت عليها في المتحف الفلسطيني بالقدس، ذكرت ان الامير فارس هذا قد انشأ في شمال الحرم بالقرب من باب العتم والى الشرق من المدرسة المالكية ،مدرسة اسماها:(المدرسة الفارسية) .

وقال مجير الدين انه (اي الامير فارس) وقف عليها جانباً من قرية طولكرم[٣] ، وان كتاب الوقف مؤرخ في ٣ شعبان ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م .

انها اليوم دار سكن . يقطنها الشيخ ابراهيم العوري .

٢٦ - (**المدرسة الارغونية**) من المدارس التي انشئت في عهد المماليك . واقعة تجاه المدرسة الجوهرية قبلي الطريق المؤدية الى (باب الحديد) من ابواب الحرم من الناحية الغربية . وهي متصلة بالمدرسة الخاتونية .

شرع في انشائها الامير ارغون الكاملي[٤] سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٧م. واكملها الامير ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩ هـ - ١٣٥٨ م . يدلك على هذا بلاطة كتب عليها بالخط النسخي المملوكي الجميل :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذه التربة والمدرسة المباركة المقر الاشرف السيفي ارغون الكاملي نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، توفي الى رحمة الله تعالى ثامن عشر شوال سنة ثمان وخمسين وسبعمئة .وتولى شدها وتكميلها ركن الدين بيبرس السيفي واكملت في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبع مائة » . ولقد كانت هذه المدرسة قائمة في العهد التركي (٩٧٥ هـ - ١٥٦٧ م) ولا ندري متى أُغلقت ؟ .

عرف هذا الباب فيما مضى بباب ارغون، بالنسبة الى مجدده الامير ارغون . و (ارغون) كلمة تركية معناها الحديد. ولذلك استبدل اسم الباب مع الايام فاصبح يعرف بـ (باب الحديد) . والمدرسة وان كانت الغيت ، الا ان بناءها ما برح قائماً ، يسكنه جماعة من آل العفيفي. وقد دفن بجانب منه المغفور له الملك حسين بن علي موقد نار الثورة العربية ضد الاتراك سنة ١٩١٥ للميلاد - ١٣٣٤ هـ .

على شباك ضريحه المطل على الحرم بلاطة كتب عليها : « بسملة . وبشرهم ربهم برحمة منه. ضريح ملك العرب العظيم وزعيم النهضة العربية الشريف الهاشمي الملك حسين بن علي رحمه الله توفي بعمان في ١٨ محرم ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م » .

---

(١) الانس الجليل ٣٩٠ .

(٢) الانس الجليل ٣٨٥ .

(٣) هي اليوم مدينة كبيرة .

(٤) كان من رجال الملك كامل شعبان. ولاه الامارة. وترقى في الجيش وفي الادارة الى ان اصبح الحاكم المطلق في الشام وحلب. ولقد اوقف في القاهرة وسجن في الاسكندرية =

= ونقل الى القدس في اواخر سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م حيث عاش بلا عمل . ومكث فيها الى ان مات ودفن في مدرسته .
وقد ذهب بعضهم خطأً الى ان الذي بناها هو ارغون بن عبدالله البشبغاوي الظاهري الذي ذكره المنهل الصافي في ج١ فقال : انه من مماليك الملك الظاهر برقوق مات بالقدس يوم الجمعة ثالث ذي القعدة سنة ٨١٣ هـ - ١٤١٠ م والحقيقة ما ذكرنا .

٢٧ – (**المدرسة التشتمرية**) بباب الناظر بالقرب من الحسنية . واقفها الامير تشتمر السيفي من امراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . تاريخ وقفها ١٢ ذي القعدة سنة ٧٥٩ هـ – ١٣٥٧ م .

انها غير المدرسة الطشتمرية التي بناها الامير طشتمر العلائي بتاريخ ٧٨٤ هـ – ١٣٨٢ م . تلك واقعة في طريق باب السلسلة وهذه بباب الناظر . وتاريخ وقف كل واحدة منها يختلف عن الاخر .

٢٨ – (**المدرسة الحنفية**) انظر ما كتبناه عن (المدرسة المعظمية) . واعتقد ان المدرستين واحدة . لا نعلم عنها سوى ان السيد جارالله اللطفي[1] كان مدرسا فيها ، وكان متوليا اوقافها لقاء اجر قدره اربع عثمانيات . وذلك في سنة ١١٧٥ هـ – ١٧٦١ م . وله شركاء اخرون في التدريس . وجاء ذكرها في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس قبل ذلك بعشر سنين (١١٦٥ هـ –١٧٥١ م)

٢٩ – (**المدرسة الحكمية**) لا نعلم عنها سوى ان القاضي حسام الدين الحنفي[2] عين في صفر ٩٧١ هـ –١٥٦٣ م الشيخ زين الدين محمود بن الديري الحنفي قارئا فيها باجر يومي قدره عثماني واحد .

٣٠ – (**المدرسة الاسعردية**) بنيت حوالي سنة ٧٦٠ هـ – ١٣٥٨ م. واقفها الخواجا مجد الدين الغني بن سيف الدين ابي بكر بن يوسف الاسعردي في ٢٠ ربيع الاول ٧٧٠ هـ – ١٣٦٨ م .

(١) راجع السجل ٢٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس الصفحه ١٢٢ .

(٢) راجع السجل ٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس. الصفحة ٥٠٠ .

ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٠ من كتابه الانس الجليل . كانت في الازمنة الاخيرة عامرة . ولقد رممها المجلس الاسلامي اخيراً ، ونقل اليها دار الكتب المساة باسم المسجد الاقصى . واقعة بالقرب من المدرسة الجاولية شمالي الحرم .

سكن في جانب منها قاضي القدس الشيخ نسيب البيطار (١٩٤٦) . ثم سكن هناك الشيخ ابراهيم العوري .

٣١ – (**دار السلام القرانية**) تجاه دار الحديث في طريق باب السلسلة . واقفها سراج الدين عمر بن ابي بكر ابي القاسم السلامي بتاريخ ٢٠ ربيع الاخر سنة ٧٦١ هـ – ١٣٥٩ م . لم تبرح معروفة .

٣٢ – (**المدرسة المنجكية**) ويسمونها غلطاً المنجيكية . انشأها الامير سيف الدين منجك سنة ٧٦٢ هـ – ١٣٦٠ م وسميت باسمه . انها في طرف الحرم من الناحية الغربية ، والى الشمال من باب الناظر . ذكرها مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) ص ٣٨٩ وقال : « ان واقفها الامير منجك نائب الشام . وكان رسم له بالاقامة بالقدس الشريف طرخان . فدخل اليها في شهر صفر سنة احدى واربعين وسبعماية . وفي بعض التواريخ انه وصل الى القدس ليبني المدرسة للسلطان الملك الناصر حسن . فلما قتل السلطان ، بناها لنفسه ونسبت اليه »

ذكرها فان برشام فقال : « كان لها بهو كبير . وللبهو قوسان مفتوحان ومطلان على الحرم . وواجهة القوسين من حجارة حمراء وبيضاء . وفوق القوسين قبة » .

كانت لها املاك موقوفة . وكان هناك ناظراً

يديرها ، وجاب يجبي أوقافها ، وقراء يقرأون القرآن فيها ويعلمونه باجر معلوم . وكثيراً ما كان قاضي القدس يتولى التدريس فيها بنفسه . ولا غرابة فانه (اي قاضي القدس) كان المرجع الذي كان يرجع اليه في جميع شؤون هذه المدرسة .

ومن الذين تولوا التدريس في المنجكية قاضي القضاة شيخ الاسلام شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جمال الدين الديري الخالدي العيسى الحنفي . ولد سنة ٧٥٠هـ – ١٣٤٩م . واستوطن القدس . وتولى التدريس في المدرستين المنجكية والمعظمية . توفي بالقدس سنة ٨٢٧ هـ – ١٤٢٣ م .

ومنهم قاضي القضاة وشيخ الاسلام سعد الدين ابو السعادات الخالدي. ولد بالقدس سنة ٧٦٨هـ - ١٣٦٦م وولي مشيخة المدرسة المنجكية والمعظمية . توفي سنة ٨٦٧ هـ – ١٤٦٢ م .

ومنهم مولانا كمال الدين . فقد كان هذا في سنة ٩٢٨ هـ – ١٥٢١ م شيخها وناظرها . وكان يتقاضى لقاء ذلك بارتين في كل يوم . ولما توفي تولى المشيخة والنظارة ولده مولانا موسى . وذلك بناء على توصية قاضي القدس شرف الدين وببراءة من السلطان تاريخها ١ صفر ٩٢٨ هـ . وقد اشترط في البراءة نفسها « ان يقرأ في كل يوم الفاتحة لروح الواقف وللسلطان بدوام دولته . . . » .

وفي سنة ٩٧١ هـ – ١٥٦٣ م عين القاضي حسام الدين الحنفي الشيخ محمود قارئاً باجر يومي قدره عثماني واحد[1] .

تلاشت احوال هذه المدرسة مع الزمن، ثم عمرت، واستعملت في اوائل الاحتلال البريطاني (١٩١٧) مدرسة ابتدائية لصغار الاولاد ثم داراً للسكن .

(١) السجل ٤٤ ص٥٠٠ .

وكان فيها بنات من آل هداية (علمية) . ولما تأسس المجلس الاسلامي الاعلى خلال الربع الاول من القرن العشرين ضبطها واتخذها مقراً له ، وقد ضم اليها الدار المجاور لها والتي كانت تعرف فيما مضى بالمدرسة الحسنية .

٣٣ – (**المدرسة المحدثية**) بالقرب من الوجيهية عند باب الغوانمة . واقفها عز الدين ابو محمد عبد العزيز العجمي الاردبيلي في ٣ محرم سنة ٧٦٢ هـ – ١٣٦٠ م . وهي اليوم قسم من كلية روضة المعارف الوطنية .

انها الآن بيد الوقف . قسم منها الحق بكلية روضة المعاوف الوطنية ، والقسم الآخر مؤجر ، يقطنه جماعة من آل الشهابي .

٣٤ – (**المدرسة الحسنية**) على باب الاسباط. وهي آخر المدارس هناك . ويقال انها وقف شاهين الحسني الطواشي. انه من دولة الملك الناصر حسن المتوفي سنة ٧٦٢ هـ – ١٣٦٠ م .لم يكن لها حكم المدارس في النظام والشعائر. وانما صارت منزلاً للسكن.

كان لها عند باب الاسباط باب قد سد . ويظهر ان هذا الوقف قد درس مع الزمن . فانتقلت الدار، ولا ندري كيف تم ذلك ، الى جماعة من النصارى.

٣٥ – (**المدرسة الطازجية**) في طريق باب السلسلة من الشمال . تجاه تربة بركة خان بالتمام، والى الغرب من المدرسة الجالقية . يسميها البعض غلطاً التعزية. والحقيقة انها الطازية نسبة الى مؤسسها الامير طاز[1].

(١) انه من مماليك السلطان محمد.عينه حاكما على حلب(٧٥٥هـ– ١٣٥٤ م) بدلا من الامير ارغون الكاملي. ثم نودي الى القاهرة (٧٥٩ هـ – ١٣٥٨ م) وفي الطريق اعتقل وسيق الى الكرك حيث سجن .ثم ذهب الى الاسكندرية ومنها الى القدس ، حيث عاش بطالا . ثم انتقل الى الشام حيث مات (٧٦٣ هـ – ١٣٦٢ م) .

وقد وقفها هذا في السنة التي توفي فيها (٧٦٣ هـ – ١٣٦٢ م) .

ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٦ من كتابه الانس الجليل . والعالم الهولندي فان برشام . فقال انها كانت مدرسة وتربة . وقد اطلعنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على وثائق يستدل منها على انه كان ينتدب للتدريس فيها فطاحل العلماء بالقدس . نذكر منهم شمس الدين ابو العباس ا.قدسي . وكان هذا في الوقت نفسه متولياً قضاء القدس . توفي سنة ٧٨٢هـ – ١٣٨٠م . والشيخ محمود بن محمد الديري . فقد عينه القاضي حسام الدين الحنفي[١] قارئاً ومدرساً باجر يومي قدره عثماني واحد (٩٧١هـ – ١٥٦٣م) .

انها في يومنا هذا (١٩٤٦) دار معدة للسكن . يسكنها جماعة من دار هداية . وقد كتب على بلاطة ثبتت فوق نافذتها الكلمات الاتية بالنسخ المملوكي الجميل وباحرف كبيرة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه تربة العبد الفقير الى الله تعالى المقر الاشرف السيفي طاز توفي رحمه الله سنة ثلث وستين وسبعمئة » .

٣٦ - (**المدرسة البارودية**) بباب الناظر بالقرب من التشتمرية . وقفتها الست الحاجة سفري خاتون بنت شرف الدين ابي بكر بن محمود المعروف بالبارودي . ركان ذلك بتاريخ الاحد ٥ رجب ٧٦٨ هـ – ١٣٦٦ م انها اليوم دار سكن .

٣٧ – (**المدرسة الحنبلية**) بباب الحديد . واقفها الامير بيد مر نائب الشام . وكان بناؤها في جمادي الاخرة سنة ٧٨١ هـ – ١٣٧٩ م . انها اليوم دار سكن . يقطنها جماعة من آل القطب .

٣٨ – (**المدرسة اللؤلؤية**) بخط مرزبان بجوار

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ .

حمام علاء الدين البصير من جهة الشمال . ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٩٨ من كتابه الانس الجليل فقال ان واقفها الامير لؤلؤ غازي عتيق الملك الاشرف شعبان بن حسن . وكانت المدرسة موجودة سنة ٧٨١ هـ – ١٣٧٩ م . وهي الان عامرة .

٣٩ – (**المدرسة الخاتونية**) بباب الحديد غربي الحرم والى الشمال من باب القطانين . انها واقعة قبلي المدرسة الارغونية . واقفتها اغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية . وكان ذلك في ٥ ربيع الثاني ٧٥٥ هـ – ٢٩ ابريل ١٣٥٤ م . ووقفت عليها مزرعة ظهر الجمل[١] . ثم اكملت عمارتها ووقفت عليها اصفهان شاه بنت الامير قازان شاه سنة ٧٨٢ هـ – ١٣٨٠م .

ومن الذين تولوا التدريس فيها الشيخ زين الدين محمود بن الشيخ شهاب الدين احمد الديري . فقد عينه[٢] القاضي حسام الدين الحنفي سنة ٩٧١ هـ – ١٥٦٣ م قارئا ومدرسا فيها . وفي المدرسة اللؤلؤية معا، لقاء اجر قدره عثماني واحد في كل يوم .

انها اليوم دار سكن . يسكنها جماعة من آل الخطيب . ودفن في جانب منها الامير محمد علي من امراء الهند المسلمين ومن رجالها العاملين .

يرى الزائر فوق الشباك المطل على الحرم من الناحية الغربية بلاطة كتبت عليها السطور التالية : « بسم الله الرحمن الرحيم . ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم . . . هذا ضريح المجاهد العظيم مولانا محمد علي الهندي تغمده الله برحمته . توفي بلندن في النصف من شعبان ودفن بالقدس يوم الجمعة في الخامس من رمضان سنة ١٣٤٩ هـ – ١٩٣٠م » .

(١) الانس الجليل ص ٣٨٨ .

(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٠ .

وفي نفس المكان ، وعلى جانب من ضريح محمد علي ، دفن الزعيم الفلسطيني المغفور له موسى كاظم باشاالحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربية الذيتوفي عام١٩٣٣ وهناك ايضاً قبر نجله عبد القادر الحسيني الذي اشتهر في معركة القسطل في ٩ نيسان١٩١٨م .

٤٠ – (**المدرسة البلدية**) الى الشمال من باب السكينة[١] . هناك باب صغير يدخل منه الى غرفة فيها محراب . وفوق هذا الباب بلاطة من الحجر الكلسي نقشت عليها الكلمات الآتية .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذه تربة المرحوم السيفي منكلي بغا الاحمدي كافل المملكة الحلبية تغمده الله تعالى برحمته ، توفي ودفن بها في جمادى الآخر سنة اثنين وثمانين وسبع مائة » .

سبتمبر ١٣٨٠ م

ذكرها مجير الدين في الصفحة ٣٨٧ من كتابه الأنس الجليل . كانت فيما مضى تدعى (مدرسة منكلي بغا) نسبة لواقفها الامير سيف الدين منكلي بغا الاحمدي . ويظهر انها اتخذت بعدئذ ايضاً مدرسة لابناء البلد ، فسميت (المدرسة البلدية) .

وقد ذكرها الاستاذ احمد سامح بك الخالدي في الصفحة ٣٥ من كتابه : (اهل العلم بين مصر وفلسطين) فقال انه مدفون فيها مفتي السادات الشافعية الشيخ محمد الخليلي الذي توفي سنة ١١٤٩ هـ – ١٧٣٦ م . وقد ترك خزانة كتب .

كانت لحسن بك الترجمان ، ثم باعها للوقف .

٤١ – (**المدرسه الطشتمريه**)واقعة قبلي الطريق المؤدية الىباب السلسلة عند ملتقى الطريق المذكورة بطريق حارة الشرف ، وعلى بعد ثلاثين متراً من

(١) انه الباب الملاصق لباب السلسلة من ابواب الحرم الغربية . ويسمونه (باب السلام) ايضا .

تربة بركة خان الى الغرب . واجهتها الشمالية مطلة على طريق باب السلسلة . وفوق هذه الواجهة حجر من المرمر مكتوب عليه بالنسخ المملوكي وبأحرف كبيرة الكلمات التالية :

« أمر بانشاء هذا المكان المبارك المقر الأشرف السيفي طشتمر[١] العلائي بتاريخ سنة أربع وثمانين وسبعماية » – (١٣٨٢) م . وبجانب هذهالمدرسةتربة دفن فيها الامير طشتمر نفسه . كما دفن فيها ولده ابراهيم . وقد كتب على قبر هذه الكلمات :

« هذا قبر العبد الفقير الى الله تعالى المرحوم ابراهيم ولد المرحوم طشتمر العلائي . توفي الى رحمة الله تعالى في يوم الجمعة ثاني شعبان سنة خمس وتسعين وسبعماية » .

لقد اندثرت المدرسة مع الزمن . واصبحت دارا للسكن . والان يسكنهاجماعةمن عائلة الامام .

٤٢ – (**المدرسه الجهاركسيه**) بجوار الزاوية اليونسية من الشمال . انها واليونسية بقايا كنيسة من بناء الروم قسمت نصفين : الاول جعل للمدرسة الجهاركسية، والثانيللزاوية اليونسية . والجهاركسية سميت كذلك نسبة لواقفها الامير جهاركس الخليلي امير آخور الملك الظاهر برقوق . توفي قتيلا بدمشق في ربيع الاخر سنة ٧٩٠ هـ – ١٣٨٨ م . ولا تزال معمورة .

٤٣ – (**المدرسة الطولونية**) بداخل المسجد فوق الروق الشمالي ، يصعد اليه في نفس الدرج الذي يصعد منه الى منارة باب الاسباط . انشأها شهاب الدين احمد بن الناصري محمد الطولوني

(١) كان الامير طشتمر ذا مكانة مرموقة في عهد المماليك البحريين . واشغل مناصب عالية في مصر والشام . نفي الى القدس في سنة ٧٨٤ هـ .وعاش بهامن غيرعمل، الى ان مات ودفن فيها(٧٨٦ هـ – ١٣٨٤ م).الانس الجليل ص٣٩٦.

الظاهري ، في زمن الملك الظاهر برقوق ، وعلى يد مملوكه آقبغا سنة ٨٠٠هـ – ١٣٩٧م .

تولى التدريس فيها الامام العلامة شهاب الدين ابو البقاء احمد الزبيري المصري . قدم القدس سنة ٨٣٠هـ – ١٤٢٦م وتوفي فيها سنة ٨٥٤هـ – ١٤٥٠م وحضر جنازته نائب السلطنة مبارك شاه .

لم اعثر لها على اثر في يومنا هذا .

٤٤ – (**المدرسة النصيبية**) في الجهة الشمالية من الحرم . واقعة غربي المدرسة الاسعردية ، بينها وبين المدرسة الجاولية . واقفها الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب قلعة نصيبين . ولي نيابة القدس وعمر بها مدرسة . وتوفي بدمشق سنة ٨٠٩ هـ – ١٤٠٦ م . ونقل الى هذه المدرسة . واما احباسها فقد اكلت . وهي اليوم عامرة . تقوم في جانب منها كلية روضة المعارف الوطنية .

هذا ما ورد عنها في (خطط الشام) لمؤلفها الاستاذ محمد كرد علي . واما مجير الدين فانه عندما اشار الى هذه المدرسة في الصفحة ٣٩٠ من كتابه (الأنس الجليل) اسماها : (المدرسة الصبيبية) وقال ان الذي وقفها هو الأمير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصبيبية . وكان ذلك في سنة ٨٠٩–١٤٠٦م .

٤٥ – (**المدرسة الصبيبية**) واقفها الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين محمد نائب القلعة الصبيبية ولي نيابة القدس ، وعمر بها المدرسة ، وتوفي بالشام في سنة ٨٠٩ ثم نقل الى القدس بعدمدة ودفن بمدرسته . ان مجير الدين[1] الذي نقل الينا خبر هذه المدرسة لم يذكر ويا للاسف اين هي واقعة . ولم نعثر لها على خبر الا في كتاب (خطط الشام) لمؤلفه الاستاذ محمد كرد علي . فقد قال ان الامير علاء الدين علي بن ناصر الدين نائب وقف نصيبين ، بني في شمال الحرم مدرسة اسماها : (النصيبية) .

(١) الانس الجليل ص ٣٩٠ .

٤٦ – (**المدرسة الفنريه**) مقابل الطولونية من جهة الشرق . يصعد اليها من السلم الموصل الى منارة باب الاسباط . وهي من انشاء شهاب الدين الطولوني . عمرها مع مدرسته المتقدم ذكرها . وجعلها للملك الظاهر برقوق . فلما توفي برقوق وآل الامر لولده الملك الناصر فرج رتب لها قرى واقام نظامها وجعل لها معاليم تصرف . ولما توفيت اخته خوند ساره ابنة الملك الظاهر برقوق وزوجة توروز نائب الشام دفنت بها (٨١٥ هـ) . ولما توفي الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف . فاشتراها بعد وفاته رجل من الروم يقال له محمد شاه بن الفنري الرومي . فوقفها ونسبت اليه وسميت الفنرية . ويقول مجير الدين ان الذي باعها ولد منشيها ابن الطولوني . وكانت هذه المدرسة قائمة في اوائل الفتح العثماني (٩٣٦ هـ – ١٥٢٩ م) . ولكنها درست مع الزمن . واصبحت مساكن .

٤٧ – (**المدرسة الكاملية**) بخط باب حطة بجوار المدرسة الكريمية من جهة الشمال . واقفها الحاج كامل من اهل طرابلس . ليس لها كتاب وقف . **ولكن هناك محضراً كتب بوقفها بتاريخ ٨١٦ للهجرة – ١٤١٣ م .**

كان متوليها في سنة ١١٧٥ هـ – ١٧٦١ م السيد جار الله اللطفي ، وكان هذا يتقاضى[1] اجراً قدره ستة عثمانياً في كل يوم .

يشغل وقفها ، في يومنا هذا ، فريق من آل جار الله .

(١) السجل ٢٤٤ الصفحة ١٢٢ .

٤٨ – (**المدرسه الباسطية**) شمالي الحرم ، قريبة من الباب العتم . مطلة على المدرسة الدويدارية . اول من اختطها وقصد عمارتها هو شيخ الاسلام شمس الدين محمد الهروي شيخ المدرسة الصلاحية وناظر الحرمين . ولكن المنية ادركته قبل اتمام عمارتها . فعمرها القاضي زين الدين عبد الباسط ابن خليل الدمشقي ناظر الجيوش المنصورة وعزيز المملكة . وقد وقف من اجلها بعض الاراضي والاملاك . وكان ذلك في سنة ٨٣٤ هـ – ١٤٣٠ م .

ومن الذين تولوا التدريس فيها العالم المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد الشهير بابن المصري . توفي سنة ٨٤١ هـ – ١٤٣٧ م .

انها ما برحت عامرة . يسكنها جماعة من آل جار الله . وهي تؤلف مع المدرسة الدويدارية جانباً من مدرسة البنات الاسلامية الحالية .

٤٩ – (**المدرسه القادريه**) ذكرها مجير الدين[1] فقال : « انها بداخل المسجد . وقفها الأمير ناصر الدين محمد بن القادر ، بعد ان عمرتها زوجته ، مصر خاتون . ولم يوجد لها كتاب وقف . فكتب محضراً من ماله بوقفها . وثبت في عصرنا في سنة ٨٩٧هـ – ١٤٩١م . وبناؤها في سلطنة الملك برسباي في شهر ربيع الاخر سنة ٨٣٦ هـ – ١٤٣٢ م » .

واقعة شمالي ساحة الحرم بين باب حطة من الغرب ومئذنة اسرائيل من الشرق . وقد كتب على واجهتها بالخط النسخي المملوكي وباحرف كبيرة كلمات لم نستطع ان نتبين منها سوى الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . . . الملك الاشرف خلد الله ملكه . وذلك بتاريخ شهر ربيع الاخر من شهور . . . . . » .

(١) الانس الجليل ص ٣٩١ .

واما الكلمات الباقية فقد محيت . وهي ليست بشكل يمكن قراءته . غير ان المنقبين الذين بحثوا الامر من قبلنا ، قالوا ان اصل هذه الكتابة كان كما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشأت هذه المدرسة المباركة الدر المصونة مصر خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن القادر في ايام مولانا السلطان الملك الاشرف خلد الله ملكه . وذلك بتاريخ شهر ربيع الاخر من شهور سنة ست وثلاثين وثمانماية » .

وهناك من يقول ان اسم الزوجة خديجة خاتون . وان زوجها هو الامير محمد بن القادر . وانها أسست هذه المدرسة اثناء ذهابها الى مصر او بعد عودتها منها . اذ ان بعلها كان ارسلها الى الملك الاشرف برسباي لتبرهن له عن خضوعه ولتطلب منه الافراج عن ولده الذي كان سجيناً في القاهرة .

كان لها في سنة ٩٧١ هـ – ١٥٦٣ م امام وبواب وفراش . وقد اجر احمد حلبي كاتب وقف القادرية في تلك السنة جميع الخان الكائن بباب القطانين مع الدكاكين الستة التابعة له الى الحاج سليمان بن بيرام شاه لمدة سنة باجار سنوي قدره ١٦ سكة . واما اليوم فانها خاربة تحفظ فيها نعوش الاموات .

٥٠ – (**المدرسه الحسنية**) بباب الناظر غربي الحرم فوق رباط علاء الدين البصير . واقفها[1] الامير حسن الكشكيلي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس الشريف . وكان بناؤها في سنة ٨٣٧ هـ – ١٤٣٣ م . ومقابلها تربة بها ضريح يقال انه قبر السيدة فاطمة بنت معاوية . وهي الان

(١) الانس الجليل ص ٣٩٤ .

دار سكن يقطنها جماعة من آل البديري .

٥١ - (**المدرسة العثمانية**) بباب المتوضأ الى الغرب من ساحة الحرم . تجاه سبيل قايتباي . وقفتها امرأة من اكابر الروم اسمها : (اصفهان[١] شاه خاتون بنت محمود العثمانية) وتلقب بـ (خانم) . وكان ذلك في سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٣٧ م . وعليها اوقاف ببلاد الروم .

هناك الكتابة التالية منقوشة[٢] فوق مدخلها كتبت بالنسخ المملوكي وباحرف متوسطة .

« بسم الله الرحمن الرحيم . امرت بعمارة[٣] هذه المدرسة المباركة الست الجليلة المحجبة اسفهان شاه خاتون ابنة المرحوم الامير محمود العثمانية الشهيرة بخانم لطف الله بها ووفق عليها الانتقال سنة اربعين وثمان مائة . وكان الفراغ من عمارتها في سلخ سنت[٤] المذكورة . وذلك بهمة جميع الخواجا ولد صاطي الرومي . . » .

ويظن ان الجملة الاخيرة كانت هكذا : « جميع الخواجات اولاد صاطي[٥] الرومي » .

من مدرسيها[٦] « شيخ الاسلام والمسلمين ورأس العلماء المحققين الشيخ سراج الدين عمر بن ابي اللطيف المفتي بالديار القدسية . وقد تفرغ هذا بحسن اختياره ورضاه عما هو بيده ومستقرا باسمه بالبراءة الشريفة السلطانية عن نصف وظيفته المشيخة بالمدرسة العثمانية بالقدس الشريف المحمية بما لها من المعلوم وقدره في كل سنة خمسة سلطانية لمولانا فخر المدرسين وزبدة الفضلاء المحققين الشيخ اسحق زيد فضله . وتنازل عن النصف الثاني لمولانا فخر المدرسين وامام المسلمين الشيخ طه بن المرحوم مولانا العلامة الشيخ شهاب الدين احمد بن جماعة » .

(١) الانس الجليل ٣٨٨ .
(٢) فان برشام .
(٣) كذا في الاصل .
(٤) كذا في الاصل .
(٥) صاطي اوساتي اسم منغولي .
(٦) السجل ٦٠ ص٧ التاريخ ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م .

ومن مدرسيها[١] جار الله بن ابي اللطف المقدسي . كان مفتي الحنفية بالقدس . وتوفي سنة ١٠٢٨ هـ - ١٦١٨ م .

ومنهم محمد بن عبد الحق ابو اللطف (جار الله) . توفي سنة ١٠٣٣ هـ - ١٦٢٣ م .

ومنهم محمد بن حافظ الدين المقدسي . ولي افتاء الحنفية بالقدس وتدريس المدرسة[٢] العثمانية ١٠٥٧ هـ - ١٦٤٧ م . ومنهم محمد افندي المفتي . وقد كان هذا متوليا لاوقافها ومنها قرية كفرقرع (١١٣٠ هـ - ١٧١٧ م) . انها الان عامرة . ولكنها ليست بمدرسة . انها دار يسكنها فريق من آل الفتياني . وقد دفنت واقفتها في التربة المجاورة لسور المسجد الاقصى .

عمرها المجلس الاسلامي برياسة الحاج امين .

٥٢ - (**المدرسة الجوهرية**) بباب الحديد تجاه المدرسة الارغونية وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور الى الغرب . وقفها على رباط كرد الصفدي جوهر زمام الادارة[٣] الشريفة في سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م .

كانت من المدارس المهمة . ومن الذين تولوا التدريس فيها كمال الدين محمد بن ابي شرف المقدسي[٤] .

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) للاستاذ احمد سامح بك الخالدي ص ٣٠ .
(٢) هذا التعبير ورد في (الانس الجليل) ص٣٨٩ . ولستاندري ما هو المقصود منه .
(٣) السجل ٢١٣ الصفحة ٤٣ السنة ١١٣٠ هـ - ١٧١٧ م .
(٤) انه استاذ مجير الدين الحنبلي مؤلف (الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل) .

وقد تولى في نفس الوقت مشيخة الصلاحية . توفي سنة ٩٠٦ هـ – ١٥٠٠ م .وله قصيدة مطلعها :

احيي بقاع القدس ما هبت الصبا
فتلك ربوع الأنس في زمن الصبا

ومن مدرسيها الشيخ محمود الديري . فقد عنه[1] القاضي حسام الدين الحنفي سنة ٩٧١ هـ – ١٥٦٣ م قارئاً ومدرساً بأجر قدره عثماني واحد في كل يوم .

يسكنها الان جماعة من آل الخطيب .

٥٣ – (**المدرسة المزهرية**) بباب الحديد تجاه المدرسة الجوهرية . واقفها[2] المقر الزيني ابو بكر ابن مزهر[3] الانصاري صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية . بعضها راكب على ظهر المدرسة الارغونية . ولها مجمع على أروقة المسجد . وكان الفراغ من بنائها في سنة ٨٨٥ هـ – ١٤٨٠ م .

جانب منها اليوم خراب . والجانب الاخر عامر ، يسكنه فريق من آل الشعباني . وهي تحت اشراف مصلحة الوقف .

٥٤ – (**المدرسة الزمينية**) من المدارس الكائنة غربي الحرم ، فوق الايوان الذي بباب القطانين . بابها من داخل الحرم ، أنشأها الخودجكي الشمسي محمد بن الزمرد خان في سنة ٨٨٦ هـ – ١٤٨١ م .

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠ .

(٢) الانس الجليل ص٣٨٩ .

(٣) ورد هذا الاسم في بعض الكتب بهذا الشكل : زين الدين ابو بكر بن مظهر الانصاري،ومدرسته المظهرية .والاصل ما ذكره مجير الدين : مزهر والمزهرية .

مكتوب على بابها : « بسم الله الرحمـن الرحيم . انشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى الخودجكي الشمسي محمد بن الزمرد خان بتاريخ ٨٨٦ هـ – ١٤٨١ م .

انها الان دار يسكنها فريق من آل العفيفي . وتشرف عليها مصلحة الوقف .

٥٥ – (**المدرسة القرقشندية**) ذكرها النابلسي في رحلته فقال: انها قبالة بركة بني اسرائيل الواقعة شمالي المسجد ، وهي لصيقة باب المسجد ، وفيها قبر الشيخ القرقشندي .

هذا كل ما نعلمه عنها ، ولم يذكرها مجير الدين في كتابه .

٥٦ –(**المدرسة الاشرفية**)ومن اسمائها السلطانية . ويسمونها ايضاً المدرسة السلطانية والمدرسة الاشرفية . ذكرها مجير الدين[1] فقال انها داخل المسجد الاقصى بالقرب من باب السلسلة . وزارها السائح الألماني F. Fabri حوالي عام ١٤٨٠ فوصفها في كتابه[2] وصفاً يطابق وصف مجير الدين .

بناها في الاصل الامير حسن الظاهري باسم الملك الظاهر خوشقدم (٨٧٥هـ – ١٤٧٠م) وكانت يومئذ تدعى السلطانية . ولما توفي الملك الظاهر ولم يكن بناؤها قد تم ، رجا (اي الامير حسن)الملك الاشرف قايتباي ان يتقبلها . فقبلها منه . ونسبت اليه فسماها : الاشرفية . ورتب لها مشايخ وفقهاء

(١) الانس الجليل ص٣٨٧ .

(٢) Palestine Pilgrims' Text Society. Vol. II. P. 125

ومدرسين يدرسون التعاليم الصوفية . ولما زار قايتباي القدس في سنة ٨٨٠ هـ – ١٤٧٥ م ورأى المدرسة لم تعجبه. فامر بهدمها . وارسل (٨٨٤هـ – ١٤٧٩ م) خاصكيا فهدمها . واعاد بناءها. مضيفا اليه بعض العمائر . فبوشر بالبناء في ١٤ شعبان ٨٨٥ هـ – ١٩ اكتوبر ١٤٨٠ م وانتهى في ٨٨٧ (سبتمبر ١٤٨٢ م). وقد استخدم في بنائها مهندسا نصرانيا من مهندسي القاهرة .وتولى عمارتها القاضي فخر الدين بن نسيبة الخزرجي . فجاءت آية في الابداع . حتى ان مجير الدين الذي وصفها ووصف قبتها قال : « انها الجوهرة الثالثة في منطقة الحرم بعد قبة الصخرة وقبة الاقصى » .

انها الى الغرب من ساحة الحرم ، والى الشمال من باب السلسلة . تمتد من باب السكينة او باب السلام من القبلة حتى المدرسة العثمانية من الشمال . كانت مؤلفة من طبقتين : واحدة علوية واخرى سفلية . ولعلها آخر المدارس الاسلامية الفخمة التي انشئت من هذا الطراز في بيت المقدس . هدم القسم الاكبر منها مع تقادم العهد[١] . ولم يبق منها الا بعض الجدران ، ومدخلها الجميل الذي يدخل منه المؤذن ليؤذن من على المئذنة الواقعة في زاويتها القبلية الشرقية .

وانك لتقرأ على الجدار الباقي من جدرانها الكلمات الاتية منقوشة بالنسخ المملوكي الجميل وباحرف كبيرة :

« امر بانشاء هذه المدرسة الشريفة مولانا السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ مستهل شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين وثمان مئة . وذلك في ايام مولانا المعز الاشرف

(١) ان الزلزلة التي حدثت سنة ٩٠٢ هـ – ١٤٩٦ م اتت على القسم الاكبر منها . وانهدم رأس المئذنة القائمة بجانبها .

الناصري سيدي محمد الخازندار ناظر الحرمين الشريفين عظم الله شأنه » .

وعلى جانب آخر من نفس الجدار نقشت الكلمات التالية :

« امر بانشاء هذه المدرسة المباركة الامام الاعظم والملك المكرم السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي عز نصره فكان الفراغ من ذلك في شهر رجب سنة ٨٨٧ هـ » – ١٤٨٢م .

اليك وصفها كما كانت في زمن مجير الدين[١] :

انها واقعة بجوار باب السلسلة. واكثر احجارها من الرخام . وهي ذات طابقين : سفلي وعلوي . فالسفلي منها هو المجمع الملاصق لرواق المسجد من جهة الشرق المقابل لثلاث قناطر من الرواق ولهذا المجمع بابان : الاول من الشمال وبجواره شباك مطل على الرواق الذي تحت المدرسة العثمانية . والباب الثاني من الشرق والى جانبه شباكان . ويصدر المجمع محراب مما يلي الغرب، وشباك مطل الى القبلة مما يلي الشرق . وبلصق هذا المجمع من القبلة دركاه محكمة البناء يصدرها من جهة الغرب الباب المؤدي الى المدرسة العلوية . ويدخل من هذا الباب الى دركاه ثانية مفروشة بالرخام، بها عن يمين الداخل خلوة صغيرة . وبصدر الدركاه مسطبة مرخمة .وعن يسرة الداخل باب يصعد منه الى سلم متسع البناء يتوصل منه الى المدرسة العلوية والى منارة باب السلام . وعند انتهاء السلم باب يدخل منه الى ساحة سماوية مفروشة بالبلاط الابيض . وفي صدر هذه الساحة من الشمال باب مربع يدخل الى دركاه لطيفة بها عن يمنة الداخل دهليز يتوصل منه الى المدرسة الراكبة على ظهر المجمع السفلي .

(١) الانس الجليل. ص ٦٦٥

وهذه المدرسة العلوية تشتمل على اربعة اواوين متقابلة القبلي منها وهو الاكبر بصدره محراب . وبجانب المحراب من الشرق شباكان مطلان على المسجد ،ومن الغرب شباكان مطلان على السلم المتوصل منه الى المدرسة . وبالايوان المذكور من الشرق ثلاثة شبابيك مطلة على المسجد الى جهة صحن الصخرة . ويقابلها ثلاثة شبابيك على صحن المدرسة . والايوان الشمالي به شباكان مطلان على المسجد من الشمال ،وشباكان من الشرق . والايوان الشرقي وهو الكائنة به ثلاث قناطر على عمودين من الرخام ، وعلوها قمريان من الزجاج الفرنجي في غاية البهجة والاتقان . ويقابله الايوان الغربي وبه شباك مطل على صحن المدرسة، مفروش ارض جميع ذلك بالرخام الملون. وحيطانه مستديرة عليها الرخام وهناك شباكان مطلان على الايوان الشمالي . وعلى ظاهر هذا البيت طبقة لطيفة ، بها شباك مطل على داخل المدرسة وشباك مطل على الساحة السماوية. وبالساحة المذكورة السماوية باب يدخل منه الى ساحة اخرى ، بها الخلاوي المعقودة والمتوضأ والمنافع مركب جميع ذلك على الايوان القبلي والشرقي وغيرهما من المدرسة البلدية .وعلى ظاهرها الرصاص المحكم كظاهر المسجد الاقصى . كان الناس قديماً يقولون : في مسجد بيت المقدس جوهرتان: قبة الجامع الاقصى وقبة الصخرة الشريفة . قلت (مجير الدين) وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة .

ويظهر ان المدرسة السلطانية كانت قائمة عندما زار بيت المقدس السائح الاسلامي المشهور عبدالغنى النابلسي (١٦٨٩)م.اذ انه وصفها في رحلته بالسطور التالية :

رأينا باباً عظيماً مصنوعاً من الاحجار المنحوتة الملونة المحفورة ، وعليه رواق المدرسة مبني بالأعمدة الرخام والاحجار العظام والعقد المقبى العالي . وصعدنا نحو خمسين درجة. على درج ملفوف مشترك مع درج المنارة . وفي الدرج شبابيك كبار من النحاس مطلات على الحرم . وصعدنا من ذلك الدرج الى عمارة (وذلك على مقدار النصف من درج المنارة) فعبرنا الى مكان واسع الفضا مزخرف الجوانب يطل عليه اربعة من شبابيك المدرسة .ثم عبرنا من باب آخر مصنوع بالاحجار المنحوتة والزخارف والكتابات . فوجدنا ممشى صغيراً مبلطاً بالرخام والدقيق الملون من الاحجار العظام . وهناك جهتان مشتملتان على بابين: احدهما الى اليمين والآخر الى الشمال. فالشمالي يتوصل منه الى المنافع . والايمن ذو مصراعين. فدخلنا منه الى ميدان مفروش جميعه بالسماقي الملون والرخام الأبيض ومسقوف بالسقوف العجمية المدهونة ، فاذا هي قاعة متقنة البنيان محكمة الاركان واسعة مشرقة تشتمل على اربعة ايوانات ، وهي بالسقوف العجمية المدهونة وجميع جدرانها من داخلها معمولة بالرخام والحجر السماقي في الرخام وانواع الفصوص والاحجار. وارضية الايوان الاربع مفروشة ايضاً بالسماقي والرخام وانواع الاحجار والفصوص الملونة. ايوانان كبيران متقابلان: القبلي منها فيه المحراب وايوانان صغيران متقابلان. وارتفاع سقوف الايوان والمدرسة يسامت تلك المنارة . وفي احد الايوانين الصغيرين شباكان مطلان على الساحة العلوية . وفي الايوان القبلي من الشرق ثلاثة شبابيك مطلات على الحرم . وفي الجهة القبلية اربعة شبابيك كبار احدها مطل على الحرم من جهة القبلة. وفي الايوان الشمالي شباكان كبيران من الجهة الشرقية مطلان على الحرم وسطح الصخرة .

وفي الايوان الشمالي شباكان من الجهة الشمالية مطلان على الحرم .

وقصارى القول انهـا مدرسة عظيمة لم يبن في الدنيا (؟)مثلها كما يشهد به الجيل بعد الجيل .

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في مدحهـا قصيدة نقتبس منها الابيات التالية :

سلطانية في القدس كنـا
نقابل فوقهـا طوراً بطور
بنيت برفرف عـال شريف
ونصبح في ذرى اعلى القصور
وتلك اجل مدرسة تسامت
بانواع المحاسن في الظهور
بهـا الحرم المقدسي قد تجلى
لساكنها بانواع الحضور
وقبـة صخرة لله منهـا
تلوح رفيعة شبه البدور
وتبدو قبة الاقصى وباقي
قباب ثم قد حفت نسور
واسفل ذاك حوض الماء يجري
وسبع الصدر ضحاك الثغور
وجانبه انابيب تحـاكي
مراشف ثغر ربات الخـدور
سكنا مـدة فيهـا كأنا
بجنـات النعيم وبالنهـور
وما رأت العيون لها نظيراً
وليس نرى على مدى الدهور

ثم قال :

وهي من بنـاء السلطان الملك الاشرف قايتباي الشركسي .

(المدرسة الاشرفية) الآن وقف . فيها منزل مدرسة الايتام الاسلامية . وعند مدخلها مدفن فيه قـبر « الشيخ محمد اليماني » . وبجانبه من الشمال غرفة كبـيرة كانت جامعاً وكانت تدعى (السلطانية). وهي الآن مخزن للشمع والزيت والحصر وادوات المسجد الاخرى .

هذه مدارس القدس . وقد اقيم معظمها — كما رأيت — من قبل الملوك والامراء. ولم تقم من لدن الشعوب والحكومات . ولذلك لم يكتب لها البقاء كما كتب للمدارس الاجنبية التي انشأتها بعثات التبشير والارساليات الاجنبية في القدس .

وهناك مدارس سمعنا بوجودها ، وقرأنا عنهـا بعض الشيء في السجلات القديمة ؛ غير أنا لم نهتد لمعرفة منشئيها . ومنها: (المدرسة المهارية[١]) و (المدرسة القادرية[٢]) و (المدرسة الحنفية[٣]) و (المدرسة الصامطية[٤])و (المدرسة الحمراء[٥]). وقد حدثني

(١) كل ما نعرفه عن هـذه المدرسة انها كانت بباب حطـة (السجل ٢١٣ السنة ١١٣٠هـ) وانها كانت بتصرف الشيخ زين بن المرحوم علاء الدين امام قلعة البرك .

(٢) كل ما نعرفه عن هذه المدرسة انها كانت بداخل المسجـد الاقصى ، وان فخر المـدرسين الكرام حسن افنـدي المرعلي (المرعشلي؟) حصـل على اذن من القاضـي بتعميرها ، فعمرها بمبلغ قـدره تسعة عشر قرشاً وستـة وعشرين قطعة مصرية السجل ٢١٣ السنة ١١٣٠هـ .

(٣) قرأت في السجل ٢٢٨ الصفحة ١٠ ان لها مـدرسا ووقفا ومتوليا (١١٤٨هـ — ١٧٣٥) .

(٤) جاء في السجل ٢٤١ الصفحة ٥٣ انها واقعة بواد الطواحين بالقدس الشريف (١١٧٠هـ — ١٧٥٦) .

(٥) جاء في السجل ٢٤١ الصفحـة ٦١ انه كان لهـا امـام (١١٧٠هـ — ١٧٥٦) .

مفتي القدس الشيخ سعد الدين العلمي (١٩٥٦ م) ان هـــذه المدرسة كانت في حارة النصارى ، في نفس الموقع الذي كانت تقوم عليه مدرسة في العهد التركي ، وقد تلقى فيهـا علومهم الاولية كثيرون من ابنـــاء القدس ، وهي واقعـــة فوق المسجد العمري المطل على ساحة كنيسة القيامة من القبلة . وقد اتخذت مع الزمن مسكناً يسكنه جماعة من آل العلمي . اعرف منهم في يومنا هذا (١٩٥٦) الحاج عبد القــادر العلمي ومصطفى زهدي العلمي وعبـــد المطلب العلمي والشيخ عبد المعطي العلمي . وقـــد رأيت آثار محراب قديم في الغرفة التي يقيم فيها الحاج عبد القادر ، وهي مطلة على الطريق العام المعروفة بطريق حارة النصارى تجاه الدرج المؤدي الى خان الاقباط .

* *
●

الباب الخامس

القدس في عهد

الاتراك العثمانيين

★ القدس .. كيف ومتى فتحها السلطان سليم ؟

★ القدس .. في الفترة الواقعة بين حكم السلطان سليم الاول والسلطان سليم الثالث

★ القدس .. ونابليون

★ القدس .. في الفترة الواقعة بين حكم السلطان مصطفى الرابع والسلطان محمود الثاني

★ القدس .. وابراهيم باشا

★ القدس .. في اواخر الحكم التركي

★ القدس .. ومعالم الحكم التركي فيها

كيف ومتى فتح السلطان سليم الاول القدس

قلنا في آخر فصل المماليك : إن السلطان قانصوه الغوري لم يكتف بالترحيب بـ (قورقود) الذي اختلف مع اخيه السلطان سليم العثماني والتجأ الى مصر ، بـل جهزه بعشرين بارجة بحرية لافتتاح القسطنطينية ؛ الامر الذي اثار غضب **السلطان سليم**، وجعله يفكر في افتتاح الشام ومصر ، والقضاء على سلطة المماليك فيهما .

فخرج السلطان قانصوه الغوري للقائه ، واناب عنه في مصر ابا النصر طومان[1] باي . وسار هو بجيشه ، حتى التقى بالسلطان سليم . فقامت بين الفريقين معركة عند (مرج دابق) كان النصر فيها حليف العثمانيين . وقتل فيها من الجانبين خلق كبير (٩٢٢ هـ - ١٥١٦ م) .

كانت قوة الاتراك في تلك المعركة مؤلفة من ثمانين الف مقاتل[2] . واما عساكر الغوري فقد كانوا خمسين الفا . ويقول المؤرخ التركي احمد راسم انه كان في الثمانين من عمره . ولما هرب من الميدان اصابته (نزلة) . فمات من جرائها . فدخل السلطان سليم حلب من غير حرب . ومنها سار الى حمص وحماه ، ثم الى دمشق . ففتحت هذه المدن كلها ابوابها له .

٢ - قال ابن اياس : « كان مع الجيش التركي يومئذ عجلة من خشب تجرها ابقار ، وفيها رماة بالبندق الرصاص . وكانوا نحو ثلاثين عجلة او فوق ذلك . وعرض جمالا فوقها مكاحل ورماة يرمون بالبنادق الرصاص من المكاحل . وعرض طوارق خشب بسبب الرماة بالنشاب » .

« وذكر الجنود المغلوبون يومئذ ان مع عسكر ابن عثمان رماحا بكلاليب ، يخطفون بها الفارس عن فرسه ويلقونه على الارض . وقيل عنهم انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم ، وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجواميس في اول العسكر . واشيع ايضاً ان عسكر ابن عثمان يقتلون الناس من غير شفقة ولا رحمة ، وانهم يتجاهرون بالمعاصي والفسوق، وانهم لا يصومون شهر رمضان ، ويشربون فيه الخمر والبوزة ، ويستعملون فيه الحشيش ، ويفعلون الفاحشة في الصبيان المرد في شهر رمضان ، وان ابن عثمان لا يصلي صلاة الجمعة الا نادراً » .

٣ - بعد ان احتل **السلطان سليم** الشام ، سار الى فلسطين ، والتقى بكتائب اخرى من جيش طومان باي قرب اللجون . فاحترب الفريقان : المماليك والاتراك . فكان النصر هنا ايضاً حليف الاتراك . وكان يقود جيشهم سنان باشا ، ومعه ضباط ماهرون نذكر منهم : يونس باشا ، واسكندر باشا ، وداود باشا . واما جيش المماليك فكان

(١) اصله من مماليك قايتباي . ثم اشتراه الملك الاشرف قانصوه الغوري . وظل يترقى في مناصب الدولة حتى ناب عن السلطان يوم خروجه لمحاربة ابن عثمان كما تقدم . وساس الناس ، فرضوا عنه ، واطاعه الجند . ولما مات السلطان الغوري ؛ وقع اختيار الامراء عليه ، فسلطنوه ٩٢٣هـ .

(٢) هذ ما اتفق عليه اكثر المؤرخين . الا المؤرخ التركي احمد راسم فقد قال في الصفحة ١٩٧ من كتابه (عثمانلى تاريخي) طبعه في استانبول ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م ان الجيش التركي كان يومئذ مؤلفا من اربعين الف مقاتل .

يقوده (خيره باي) و (جان بردى الغزالي[١]) . وقد انكسروا في موقعة اللجون ، وعادوا القهقرى. فلم يبق امام السلطان سليم ما يعيقه عن احتلال القدس . فاحتلها دون قتال . وكان ذلك بتاريخ (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م[٢]) .

انه هو التاسع من آل عثمان .ويكنى (بياووز) اي الجبار . وقد اختلف المؤرخون في وصفه . فمنهم من قال : انه كانقوي البطش ، كثير السفك، عظيم التجسس . ما جلس على سرير الملك جلوساً عاما ، ولا رآه احد ، ولا انصف ظالما من مظلوم . وانه كان شغوفا بلذته وسكره ، واقامته بين الصبيان المرد . وما كان له امان اذا اعطاه لاحد من الناس ، وخنق اخوته وكثيرين من اهل بيته . وقد اخذ الخلافة غصباً من الخليفة المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب آخر خلفاءبني العباس بمصر ، واخذه معه الى الاستانة ؛ وبعد ان اعطاه الامان ، خانه ، فنفاه الى مكان بعيد .

كان على خلاف شديدمع اخويه قورقود واحمد من اجل (ولاية العهد) . وقد اشار الى هذا الخلاف المؤرخ التركي احمد راسم في كتابه (عثمانلي تاريخي[٣]) فقال : انه (اي سليم) قبل ان يصبح سلطاناً حارب اباه . وفي قول آخر — وهو قول

(١) جاء في كتاب (عثمانلي تاريخي) لاحمد راسم ، ص١٩٨ ، ان (خيره باي) نجا من القتل بالتجائه الى الاتراك .واماجان بردوس فقدولاه السلطان سليم مصر . ثم ولاه امور الشام .

(٢) اتفق اكثر المؤرخين على ان هذا هو التاريخ الذي فتح فيه السلطان سليم القدس . وان كان بعضهم قد اشار الى غير ذلك . ومن هؤلاء مدير الاثار بحكومة فلسطين المستر ريشموند . فقد جاء في الصفحتين ٣٧ و ٣٨ من كتابه (Dome of the Rock) ان الاتراك فتحوا القدس عام ١٥١٢م .

(٣) ج١ ص١٧٣ .

ضعيف —انه سمه . وقد قاتل اخويه قورقود واحمد وقتلهما . وبفضل انتصار العساكر المعروفين بالـ : (يكيجرية) الذين احبوه لشجاعته ، تمكن من خلع ابيه[١] والاستيلاء على كرسي السلطنة . وقد تم ذلك في الثامن من شهر صفرسنة ٩١٨ هـ — ١٥١٢ م .

ومن قائل انه (اي السلطان سليم) نابغة بني عثمان . . وانه كان رجلاً نافعاً وقديراً . . وانه كان ينوي ان يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية بدلا من التركية يوم افتتح مصر والشام وخطب له في الحرمين الشريفين . ولكن الروايات التاريخية التي وصلتنا تشير بمعظمها الى القوة والبطش وما الى ذلك من الصفات التي كان يتصف بها هذا السلطان اكثر من غيرها .

٤ — عندما دخل السلطان سليم القدس زار قبور الانبياء[٢] ، ورأى الاماكن المقدسة والاثار القديمة . ولكنه لم يمكث فيها سوى بضعة ايام . فغادرها الى مصر ، قاصداً فتحها . وقبل ان يغادرها وفد عليه شيوخ البلاد الجبلية من نابلس وصفد والخليل . فقدم اليه كل واحد منهم مفتاح قلعته . وسلمه رايته .

وقد اولم له سكان القدس قبل سفره وليمة اقاموها في الفناء الواسع حول الصخرة . واتوا له ولجنده بالطعام فياوان كانوا يسمونها في ذلك الحين: (الهنايب) . وهي اوان خشبية مقعرة مثل الطناجر النحاسية . فتساءل السلطان عن السبب فقال له الاهلون : (نحن فقراء) . ثم بحثوا له عن

(١) وفي قول انه سمه . ولكن احمد راسم الذي اشار الى شائعة (السم) هذه ، قال انها رواية ضعيفة لم يستطع ان يتاكد من صحتها .

(٢) سركيس ١٩٠ .

تسلط العربان وسكان القرى المجاورة . فقرر تعمير السور .

هذا هو احد الاسباب التي ذكرت لتعمير السور . ولكنني اشك فيه . واعتقد ان الاسباب التي حدت بمن سبقه من الملوك والحكام حدت به هو ايضاً لتعمير السور ، وهي خشية اعتداء الجيوش القوية التي لم تنقطع في عصر من العصور من عبور فلسطين ، سواء من الشمال او من الجنوب .

٥ – بعد ان فتح السلطان سليم مصر ، و قام بها عشرة اسابيع دبر خلالها شؤونها ، ووضع لها نظام جعلها بموجبه ولاية من ولايات السلطنة العثمانية[١] ؛ رجع الى سورية (٩٢٣ ﻫ – ١٥١٧ م) مستصحبا معه آخر الخلفاء من بني العباس ، محمد المتوكل على الله[٢] ، الذي تخلى له عن الخلافة الدينية ، وسلمه مفاتيح الحرمين . فاصبحت القسطنطينية مقر الخلافة الاسلامية . وراح السلطان يلقب بخادم الحرمين . واصبح الآمر الناهي في تركيا ومصر والشام .

وبعد ان اقام على الشام جان بردى الغزالي نائباً للسلطنة ، واضاف اليها القدس وغزه وصفد والكرك ، ودبر شؤون الشام ؛ رجع الى عاصمة ملكه . فاتاه سفير من ملك اسبانيا يسأله ان يبيح للنصارى الحج الى اورشليم ، كما كانت الحال في ايام المماليك ؛ فاجابه السلطان الى ذلك شريطة ان يدفعوا المبلغ الذي كانوا يدفعونه قبلا الى المماليك .

(١) (تاريخ سورية) المطران يوسف الدبس ج ٤ ص ١٤ .

(٢) بعد سقوط بغداد بيد التتر (٦٥٦ﻫ – ١٢٥٧م) انتقل الخلفاء العباسيون الى مصر . وكان بها منهم خمسة عشر خليفة آخرهم هو هذا : المتوكل على الله .

٦ – ولما توفي السلطان سليم الاول تبوأ العرش ولده **السلطان سليمان الاول** الملقب بالقانوني (١٥٢٠ م) . وعلى عهده قامت بالقدس المنشئات الآتي ذكرها :



« السلطان سليمان القانوني »

انه هو الذي جدد عمارة سور القدس ، وقد دامت عمارته خمسة اعوام (٩٤٣ – ٩٤٧ ﻫ) (١٥٣٦ – ١٥٤٠ م) . ورمّ القلعة (٩٣٨ ﻫ – ١٥٣١ م) . وعمر **بركة السلطان الكائنة على طريق** المحطة الى الجنوب من باب الخليل . والسبيل الواقع قبال البركة المذكورة . والسبل الكائنة في طريق الواد ، وفي ساحة الحرم الى الشمال من باب شرف الانبياء ، وعند ملتقى الطريق المؤدية الى طلعة التكية وباب الناظر من ابواب الحرم ، وبالقرب من باب الاسباط[١] (٩٤٣ ﻫ – ١٥٣٦م) ،

(١) طمست معالم هذا السبيل في اواسط القرن العشرين ، عندما محيت الكتابة التي كانت منقوشة عليه ، بفعل احد الملاكين المجاورين !

وعند باب السلسلة امام المدرسة التنكزية[١] .

وهو الذي عمر قبة الصخرة (١٥٤٢ م) واعاد تبليطها ، وعمر جدران الحرم وابوابه ، وسد الباب المعروف بالباب الذهبي في الحرم ، وفتح الباب المعروف بباب ستنا مريم ، وعمر الباب الغربي لقبة الصخرة ، وجدد القاشاني الذي نراه في قبة السلسلة من الداخل (٩٦٩ هـ - ١٥١٦ م) .

وانشأ مسجداً فوق جبل الزيتون (الطور) ١٥١٧ م . انشأه في الموضع الذي كانت تقوم عليه كنيسة الصعود .

وعلى عهده انشئت التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي . انشأتها زوجته الروسية روكسيلانة (١٥٥٢ م) . والمدرسة الرصاصية[٢] (٩٤٨ هـ - ١٥٤٠ م). والذي انشأها هو الامير بايرام جاويش الذي كان مناظراً لعمارة السور .

وعلى عهده سكت فلوس جديدة سميت باسمه : (القطع السليمانية) او (الفضة السليمانية) . وفرض على الحجاج المسيحيين رسوماً يدفعونها لدى ولوجهم كنيسة القيامة .

وهو الذي عهد بحراسه طريق القدس - يافا الى آل أبي غوش ، وأجاز لهم ان يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة (٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م) .

وقصارى القول كان عهد السلطان سليمان من أكثر العهود التي مرت بالقدس وهي مليئة بالحوادث الجسام . وهو ، في الوقت نفسه ، من اكثر العهود التركية خصباً من حيث الحوادث والمنشئات .

٧ - ولقد تولى السلطنة بعده ابنه **السلطان سليم الثاني** (١٥٦٦ م) . **فالسلطان مراد الثالث** ابن سليم الثاني (١٥٧٤ م) . **فالسلطان محمد الثالث** ابن مراد الثالث (١٥٩٤ م) . **فالسلطان احمد الاول** بن محمد الثالث (١٦٠٣ م) . **فالسلطان مصطفى الاول** بن محمد الثالث (١٦١٧) . **فالسلطان عثمان الثاني** بن احمد الأول (١٦١٧ م) . **فالسلطان مصطفى الاول** بن محمد الثالث للمرة الثانية (١٦٢١ م) . ولم يرد ذكر كثير للقدس في أيام هؤلاء السلاطين . سوى ان (التبغ) عُرف لأول مرة في هذه البلاد على عهد السلطان احمد الأول (١٦٠٣ م) . وفي زمنه أيضاً حُرم بيع الخمور .

٧ - واما في زمن **السلطان مراد الرابع** (١٦٢٢ م) فقد حدثت بالقدس حوادث تستحق الذكر : منها انه حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ (١٦٣٣ م) .

وقد اختل الامن بدرجة ان الاشقياء وقطاع الطرق كانوا يوقفون السابلة ، وينهبون ما لديهم من امتعة ونقود . والانكى من ذلك انهم كانوا يخربون ينابيع المياه . وكان اهل القدس يقاسون الأمرين من جراء انقطاع المياه عنهم . الامر الذي حدا بالسلطان مراد الى اقامة قلعة سميت باسمه :

---

(١) يقول مجير الدين في الصفحة ٦٦١ من كتابه (الانس الجليل) ان هذا السبيل من بنا السلطان الملك الاشرف قايتباي ، وانه بناه عندما عمر المدرسة الاشرفية القريبة من باب السلسلة (٨٨٧ - ١٤٨٢م) . ولما كنت قد قرات اسم السلطان سليمان منقوشاً عليه فاني عند حد الاعتقاد ان يكون الملك قايتباي هو الذي انشاه ، والسلطان سليمان هو الذي عمره بعد خرابه .

(٢) كانت هذه المدرسة في حارة الواد داخل السور . وكانت هي الوحيدة التي اعدها الاتراك لتعليم ابناء القدس تعليمهم الابتدائي . وفيها تلقى الكثيرون ، ومنهم المؤلف ، تعليمهم الابتدائي . واما التعليم الثانوي فكان في (المدرسة المامونية) على مقربة من باب الساهرة داخل السور ايضا .

(قلعة مراد) . وذلك عند برك سليمان الكائنة على طريق الخليل . وأقام على حراستها دزداراً واربعين جندياً ، بمدافعهم واسلحتهم ومهماتهم الحربية . وقد انشأ في داخل هذه القلعة مسجداً ، وخمسين منزلاً صغيراً لسكنى الجند .

٩ — وبعد وفاته تولى **السلطنة ابراهيم بن احمد الاول** (١٦٣٩ م) . ثم تولاها ابنه **السلطان محمد الرابع** (١٦٤٨ م) . وعلى عهده بنيت المئذنة الكائنة بداخل القلعة (١٦٥٥ م). وانشيء المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان (١٦٥١ م) .

ولقد عثرنا بين سجلات[1] المحكمة الشرعية بالقدس على بلاغ اصدره رئيس وزراء هذا السلطان تاريخه رجب سنة ١٠٨٤ هـ — ١٦٧٣ م. ومنه يفهم ان الممالك العثمانية اتسعت يومئذ الى درجة انها اصبحت تضم بين دفتيها « ديار الروم وطمشوار والبوسنة وسكتوار وبلاد الاناضول وقرمان وجميع ديار العرب والكرد واقليم القرم وجزيرة كريد ورودس وقبرص وذي القدرية وشهر زود وديار بكر وحلب واورفه وقارص ووان وحلب وارض الشام ودار السلام ودار الخلافة بغداد وامد وكوفة وبصره والحسا وسواكن الحبش ومصر دار العصر ودار الجهاد والجزائر وتونس وحلق الواد وطرابلس الغرب وسائر الممالك والبلدان على الخصوص دار الامن والامان استانبول » .

١٠ — ان احسن وصف للقدس ، خلال ذلك العهد، للسائح التركي المشهور **اوليا جلبي** الذي زارها حوالي سنة ١٦٧٠ للميلاد، وكتب عنها الشيء الكثير في مخطوط اسماه: (اوليا جلبي سياحتنا مه‌سي) . وقد عثرت في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس على

(١) السجل ١٤٥ الصفحة ٤١٩ .

نسخة فوتوغرافية لهذا المخطوط ، واخرى باللغة الانكليزية ، ترجمها وضبط حواشيها امين المكتبة المذكورة الاستاذ اسطفان حنا اسطفان ؛ وها انا ذا مدون فيما يلي ، بوجه الايجاز ، ما قاله عنها :

« القدس بلد عظيمة ، كائنة على هضبة مرتفعة. هواؤها عليل، وماؤها عذب، وسكانها نضار الوجوه. انها مهوى افئدة الكثيرين من الناس ، لا من حيث قدسيتها فحسب ، بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها ايضاً » .

ثم مدح مأكولاتها ومشروباتها. فوصف خبزها، وعنبها المتنوع الاشكال والطعم والالوان، وصابونها المسك، وعطرها، وبخورها، ومباخرها النحاسية. وذكر في نفس الوقت محاجرها الكثيرة ، وجبالها المليئة باشجار الزيتون ، واراضيها المغطاة بالكروم والبساتين . الى ان قال : انه كان فيها يومئذ ثلاثة واربعون الف كرم . وانه رأى الفاً وخمسمئة منطرة قائمة في وسط هذه الكروم . وان الاراضي الكائنة بين باب الخليل والبقعة خالية من الدور والمنازل ، ومليئة بالكروم والبساتين . وانه ما من احد من سكان القدس الا ويعيش في كرم من هذه الكروم شهرين او ثلاثة شهور في السنة . ووصف (البقعة) من هذه الناحية، فاسماها لهذا السبب: (باغستان). الى ان قال : « فيها عدد كبير من الاعيان والعلماء والاشراف والفضلاء والرجال الذين ينتمون الى الطريقة المولوية ، ويتقاضى الواحد منهم خمسماية (آقجة[1]) . كما ان فيها عدداً كبيراً من التجار، وارباب الحرف ، وهؤلاء يعملون بالقول المأثور : الكاسب حبيب الله » .

(١) انظر الى الصفحات التي خصصناها لبحث النقود والمسكوكات في آخر هذا الفصل .

« عد جاويش زاده محمد باشا[١] سكان المدينة ، فوجد انهم ٤٦،٠٠٠ نسمة ، ينتسبون الى مختلف الامم والطوائف . بيد ان اكثرهم عرب مسلمون . بينهم عدد من اهل الوظائف في الحرم ، لا يقلون عن الالف ، ويتناولون راتبهم من الذهب الذي يأتي به (امين الصرة) من الآستانة في كل سنة . اغنياؤهم يلبسون السمور ، والقنباز المصنوع من الجوخ الممتاز ، والثياب المنسوجة من الصوف المعروف بالجلالي . وفقراؤهم يلبسون العباءة من النوع المعروف بـ (الاجه عبا) ، والقنباز المصنوع من الجوخ العادي ، والثياب المصنوعة من الصوف الابيض . ونساؤهم متأدبات. يلبسن على رؤوسهن طاقيات مصنوعة من الذهب او الفضة . ويلتففن بالملايات البيض . ويحتذين الاحذية المقفولة المعروفة بالجزم .

« في القدس ستة حمامات[٢] هي : حمام ستنا مريم ، وحمام السلطان ، وحمام الشفا ، وحمام العين، وحمام حمزة ، وحمام البطرك ؛ وهذا الاخير في الغالب للنصارى . . وفيها ثمانية عشر سبيلا يشرب منها المار والعطشان . . يطل الثلج على جبالها . وفيها صهاريج كثيرة . . وفيها كنيستان للارمن ، وثلاث كنائس للروم ، وكنيسان لليهود . . وفيها مئتان واربعون محراباً (مصلى) ، وسبع دور للحديث ، وعشر دور للقرآن ، واربعون مدرسة للبنين، وتكايا لسبعين طريقة منها : الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية . اكثرهم اهل ذوق ، واهل طرق ، ودراويش متصوفون .

« وفي القدس ايضا الفان وخمسة واربعون دكانا ، كلها مبنية بالحجارة والعقود المقنطرة . وفيها ستة خانات عظيمة . واسواق كثيرة منها : (سوق السلطان) وهو اشهرها . والمسؤول عن ادارة السوق هو (المحتسب) ويلقب بالآغا . ومن واجباته ان يحفظ سجلا يدون فيه اسماء التجار واصحاب الدكاكين . وللسوق خان تحفظ فيه جميع البضائع والامتعة القيمة .

ومن اسواق القدس : (السوق الطويل) تباع فيه الصحون والفناجين وآلات الطهي وادوات المنزل . و (سوق الحلاجين) يعمل فيه الحلاجون والندافون وتجار القطن . و (سوق الغلال) تعرض فيه جميع انواع الحبوب والغلة . و (سوق الحرير) . والسوق القريب من باب السلسلة . و (سوق البزازين) .ولهذا السوق باب من حديد . وفي القدس عدد غير قليل من الصياغ وتجار الحلى والمجوهرات . وليس على وجه البسيطة نوع من انواع الصياغة ، الا وفي القدس مثلها .

وجميع هذه الاسواق مسقوفة بالعقود المقنطرة ، ومرصوفة بالبلاط النقي . والطريق الكائنة بين سوق الغلال وكنيسة القيامة والمسجد العمري مرصوفة بالبلاط من الحجم الكبير » .

ويظهر من الاسلوب الذي اتبعه هذا السائح في وصف القدس ، انه كان مرتاحا كل الارتياح لكل ما رآه فيها وسمعه عنها ، خلا مسألة (الامن) . فقد قال عنه : « انه كان مفقوداً بالمرة » حتى انه عندما ابدى رغبته في زيارة الخليل امام اميراللواء ، ارفقه هذا بعشرين خيالا كانوا في حراسته منذ

---

(١) انظر الى اسماء الحكام والمتصرفين في موضع آخر من هذا الفصل .

(٢) اذا رجعت الى الفصل الذي خصصناه لبحث المياه ، اهتديت الى مواضع هذه الحمامات ، الا (حمام حمزة) فاني لم اهتد الى معرفة موضعه . وليس بين حمامات القدس في يومنا هذا ما يدعى بهذا الاسم .

غادر القدس الى ان وصل الى الخليل ورجع منها . ذلك لان « قطاع الطريق والاشقياء كانوا يوقفون السابلة ويسلبونهم كل ما يجدونه معهم من امتعة ونقود . كما انهم كانوا يخربون ينابيع المياه الواقعة على الطريق . وكثيراً ما قاسى اهل القدس الامرين من جراء انقطاع الماء عنهم . الامر الذي حدا بفاتح بغداد السلطان مراد الى اقامة حرس قوي عند برك سليمان . وقد انشأ لهم هناك قلعة اسماها على اسمه : (قلعة مراد) . يقوم على حراستها دزدار واربعون جندياً ، مزودون بالمدافع والاسلحة والذخائر الحربية الكافية . وفي داخل هذه القلعة مسجد للصلاة وخمسون دارا معدة لسكنى الجنود . ولم يأت سلطان من بعده الا وقد اولاها جانباً من اهتمامه . وبهذه الطريقة تمكن الجميع من صون الينابيع والطرق » .

١١ – بعد اوليا جلبي بربع قرن زارها (١٦٩٦ م) سائح افرنجي يدعى (**هنري موندرل**) Henry Maundrell ووصفها في كتاب اسماه : (رحلة من حلب الى القدس[١] A Journey From Aleppo to Jerusalem وصفاً لا يختلف عن الوصف المتقدم ذكره الا في بعض النقاط . نذكر منها :

ان القدس كانت تابعة الى طرابلس الشام ، وانه كان في طرابلس يومئذ وال يسمونه : (اوستان باشا[٢]) ، وانه ورفاقه السياح الاخرين انتظروا عند باب المدينة الغربي المعروف بباب بيت لحم[٣] مقدار نصف سامة من الزمن ، الى ان جاءهم الاذن من الباشا بدخول المدينة . اذ كان محرماً على الفرنج ليس دخول المدينة فحسب ، بل والدنو من اسوارها قبل صدور الاذن من الحاكم ؛ وكان على الزائرين ان يترجلوا عند ولوجهم ابواب المدينة ، وان يسلموا اسلحتهم الى الجند المرابطين على الابواب ؛ الا اذا أجاز لهم الحاكم ان يدخلوها على غير هذا المنوال . وانهم عند وصولهم الى كنيسة القيامة ، رأوا على ابوابها عدداً من الجند المعروفين بالانكشاريين ، ومعهم عدد من الضباط اقيموا هناك ليراقبوا الزائرين ويجبوا منهم الضريبة المعروفة بـ (ضريبة الغفر) . كانت هذه يومئذ عبارة عن اربعة عشر دولاراً عن كل واحد من اللاتين ، ونصف هذا المبلغ عن كل واحد من الرؤساء الروحيين . وانهم بعد الانتهاء من زيارة الاماكن المقدسة في المدينة ، غادروها ميممين نهر الاردن في قافلة بلغ عدد افرادها الالفين من جميع الاجناس والطوائف . وان حاكم المدينة – عملاً بالاصول المتبعة في تلك الايام – رافقهم في هذه الرحلة ، وكان في ركابه عدد غير قليل من الجند ، وان الحكومة تقاضت لقاء هذه المهمة رسماً قدره اثني عشر دولارا عن كل واحد من الزائرين ، ونصف هذا المبلغ من الرؤساء الروحيين . وانهم بعد رجوعهم الى القدس وقفوا فوق سطح الدار التي كانت على عهد الرومان قصراً للولاة[١] يسرحون الطرف ، عن بعد ، في جنبات الحرم ؛ اذ كان محرماً يومئذ على غير المسلمين دخوله ، ومن كانت

(١) اطلعت على نسخة هذا الكتاب المطبوع في لندن سنة ١٨٢٣ . انظر الى الصفحات ٢٤ و ٥٧ و ٦١ و ٨٩ .

(٢) لعله يريد ان يقول آرسلان باشا .

(٣) باب الخليل

(١) يقصد (برج انطونيا) الذي ذكرناه في غير هذا الموضع .

تحدثه نفسه بدخوله كان يعرض نفسه لخطر الموت.

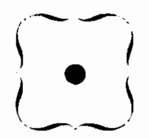
١٢ — بعد ذلك التاريخ لم نسمع عن القدس الا النزر اليسير . فقد تولى السلطنة بعد محمد الرابع **السلطان سليمان الثاني** بن ابراهيم (١٦٨٧ م) . فأخوه **السلطان احمد الثاني** (١٦٩٠ م) . **فالسلطان مصطفى الثاني** بن محمد الرابع(١٦٩٤م). **فالسلطان احمد الثالث** (١٧٠٣ م) . ثم جاء **السلطان محمود الاول** بن مصطفى الثاني (١٧٣٠م). وعلى عهده تجدد بناء حائط الخندق (١٧٣١ م) . وعمارة مسجد القلعة (١٧٣٨ م) . وبعد السلطان محمود الاول تولى السلطنة اخوه **السلطان عثمان الثالث** (١٧٥٤ م) . **فالسلطان مصطفى الثالث** ابن احمد الثالث (١٧٥٧ م) . فاخوه **السلطان عبد الحميد الاول** (١٧٧٣ م) . **فالسلطان سليم الثالث** بن مصطفى الثالث (١٧٨٨ م) . وعلى عهد هذا السلطان جرت الحوادث التالية :

عهدت الحكومة العثمانية الى احمد باشا الجزار[1] بولاية بيروت . فلما كاد يتسلم زمام الامر فيها (١٧٧٦ م) حتى اعلن العصيان ضد الدولة . الا انه لم ينجح . فخرج من بيروت مدحورا .

وقد التحق بعدئذ بالاسطول العثماني الذي كان معقود اللواء الى حسن باشا . ثم عاد فانقلب عليه . ويظهر ان الدولة رأت من مصلحتها ، رغم اخلاقه هذه ، ان تستميله الى جانبها . فجعلته وزيراً . ووسعت سلطته حتى امتدت من الشام الى غزه وعريش مصر . الامر الذي اتخذه نابليون ذريعة لفتح هذه البلاد (١٧٩٩ م) .

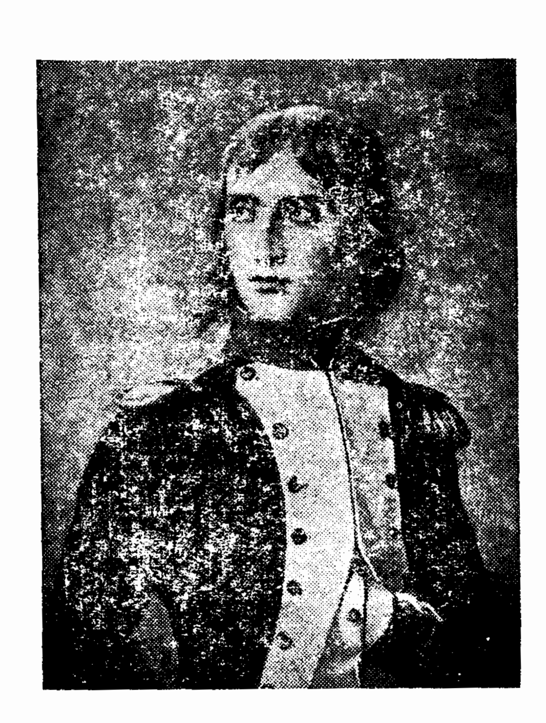
---

(١) ولد سنة ١٧٢٠ في احدى قرى البوسنة . وهرب من بلاده الى الاستانة . ثم بيع في مصر بيع العبيد . وصار مملوكا في قصر (احمد بك ابي الذهب) فتوسم هذا فيه الخير والمقدرة على الفتك . فاستخدمه لاتمام اصده والنيل من اعدائه . وكان فعلا عند ظنه . ففتك بعدد كبير منهم . ولذلك لقب بالجزار . وقد توفي سنة ١٨٠٤ م . ودفن في عكا .



القدس ونابليون

عندما وطد **نابليون** اقدامه في مصر ، اخذ يفكر في الاستيلاء على فلسطين وسورية . فغادر مصر في ربيع (١٢١٣هـ – ١٧٩٩م). واجتاز الصحراء. ثم عبر التخوم الفلسطينية .



« نابليون بونابارت »

وقبل ان يشتبك بقتال مع الجند وسكان البلاد، اذاع منشورا نقتبس منه الشذرات التالية[١] :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين .

« من طرف بونابرته امير الجيوش الفرنسية الى كافة المفتين والعلماء وكافة اهالي ونواحي غزة والرملة ويافا حفظهم الله . بعد السلام نعرفكم اننا حررنا لكم هذه السطور، لنعلمكم اننا حضرنا الى هذا الطرف، بقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم . والى اي سبب حضور عسكر الجزار ، وتعديه على بلاد يافا وغزة التي ما كانت في حكمه ؟ الى اي سبب ارسل عسكره الى قلعة العريش ؟ بذلك هجم على ارض مصر . فلا شك ان مراده اجراء الحروب معنا ، ونحن حضرنا لنحاربه » .

وبعد ان امنهم على ارواحهم وعيالهم ، قال :

« وقصدنا ان القضاة لا يتركون وظائفهم ، وان دين الاسلام لا يزال معتزاً ومعتبراً ، والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين . والذي يتظاهر لنا بالحب ، يفلح ؛ والذي يتظاهر لنا بالغدر، يهلك » .

انه وان قال في البيان الذي اذاعه على السكان، انه ما جاء الى هذه البلاد الا ليقهر الجزار ، الا ان الغاية التي كان يرمي اليها هي التحرش بالدولة البريطانية، والحيلولة دون رجوع مصر الى احضان تركيا،وعقد محالفات دفاعية مع الطوائف والاقوام المنتشرة في سوريا ضد الاتراك . وكان نابليون **يعتقد** ايضا ان من يحتل مصر ، لا يكون آمنا عليها، الا اذا احتل بر الشام . اضف الى ذلك ان الضعف كان ظاهرا في ادارة البلاد العثمانية كلها ، من اولها الى آخرها ؛ وكانت البلاد مفتحة الابواب، خالية من اسباب الدفاع .

(١) راجع كتاب (اسلام نابليون) للاستاذ يعقوب العودات الملقب بالبدوي الملثم . وكتاب (فتح مصر الحديث) لاحمد حافظ عوض. ويعتقد احمد حافظ عوض ان التركيب الركيك الذي يلاحظه المرء في هذا المنشور من انشاء (فنتور) المستشرق الذي صحب نابليون في حملة سوريا وقد مات امام عكا بالطاعون. او انه من بعض كتبة الدواوين الذين اخذهم معه .

٢ – كانت حملة نابليون مؤلفــة من ١٣٠٠٠ مقاتل . وكان هو على رأس الحملة . ومعــه كل مــن الجنرال(مرات(Murat والجنرال(منو(Menou والجنرال (كليبر) Kleber والجنرال (دوكوا) Dugua والجنرال (لان) Lannes .

٣ – عندما بلغ **احمد باشا الجزار** قدوم الجيش الفرنسي من مصر ، شرع بتدبير ما يحتاج اليه في الحصار . وحصن يافا . ثم امتـد الى مدينة غزة بعساكره وعشائره . ووصلت جيوشه العريش . ولكن الفرنسيين احتلوا العريش بعد حصار دام ثمانية ايام (١٦ فبراير ١٧٩٩) . ثم ساروا الى خانيونس . ومنها الى غزة . وعلى مقربة منها اصطدم الجيشان : جيش نابليون وجيش عبدالله الجزار (الغز) . وكان ذلك في ٢٥ من فبراير سنة ١٧٩٩ .



« قصر آل رضوان بغزة »
فيه نزل نابليون وقضى ليلته

فكان النصر في هــذه المعركة حليف نابليون .

٤ – غادر نابليون غزة في ٢٨ شباط سنة ١٧٩٩ لافتتاح فلسطين . فاحتــل الرملة . ثم يافا (٦ مارس ١٧٩٩) . وكان في يافا يومئذ قوة كبيرة من عسكر الجزار والمماليك ، تقدر بنحو اثنى عشر الفاً . ولـكنه سلط عليها مدافعه الكبيرة فاحتلها ، واستباح حماها . ويقول مشاقه انه : « قبــل ان يغادر يافا الى عكا ، امر بقتل الاسرى الذين وقعوا في قبضته ثلاثا : — في العريش وفي غزه وفي يافا ، وكان عددهم يربو على ثلاثة آلاف . حنق عليهم . وزعم انهم لا يراعون ذمة ، ولا يحترمون الشرف العسكري . فامر جنوده باطلاق النار عليهم . ولم يواروهم التراب . وبقيت اجسامهم طعاما للطيور ، وظلت رفاتهم مكشوفة مدة » .

٥ – كان الناس يظنون ان بونابارت ، بعد فتح الرملة ويافا لا بد وان يولي وجهه شطر بيت المقدس ليفتحها . حتى ان الاتراك سجنوا في كنيسة القيامة يومئذ جميع الروم الارثوذكس . ولـكنه لم يفعل . بل اجاب الذين سالوه عما اذا كان ينوى المرور منها قائلا بحدة : « لا . فان بيت المقدس غير مذكورة في الخطة التي توخيت المسير عليها . ولا اروم التحرش بسكان الجبال والتوغل في مآزق يصعب الخروج منها . وفضلا عن ذلك اخشى ان يهاجمني من الجهة الاخرى فرسان كثيرو العدد . واحاذر ان يصيبني ما اصاب كاسيوس . » والحقيقة ان نابليون ما كان يهتم الا بالمواقع الحربية . وما كانت للقدس تلك الاهمية في زمنه .

ومن قائل انه كتب الى اهل القدس رسائل ، طلب اليهم فيها ان يخضعوا لاوامره ؛ فاجابوه بانهم تابعون لايالة عكا . فالذي يحتل عكا ، ويصدر

اوامره منها ، يخضعون لاوامره . واما هم فـلا يريدون ان ينخرطوا في حرب او ضرب . لانهم يعيشون في بلد طافح بالاماكن المقدسة . وقد كتب الى حامية القدس رسالة بالمعنى المتقدم . فاجابوه الجواب نفسه . فانصرف لحصار عكا عاصمة فلسطين – اذ ذاك – وحصنها الحصين .

ويقول الاستاذ الخالدي[1] ان السيد موسى الخالدي من سكان بيت المقدس ، الذي درس في الازهر ووصل الى مرتبة قاضي عسكر في الاناضول ، وكان يومئذ في الآستانة ؛ ارسل يومئذ منشوراً لاهالي البلاد ، حثهم فيه على مقاتلة نابليون (١٢١٣ هـ – ١٧٩٨م) . وقد قاتله السكان المقيمون على سفوح الجبال وعلى الطريق التي تربط جنوب فلسطين بشمالها ، ولا سيما في جهات عزون وقاقون وتلك الانحاء من جبل نابلس وفي مرج بني عامر .

٦ – سار نابليون الى حيفا فاحتلها . وفي ١٩ مارس ١٧٩٩ وصل عكا ، فحاصرها . وكان الجزار قد تحصن فيها . وقد دام الحصار حولها ستين يوما . الا ان نابليون لم ينل منها شيئاً ، فارتد على اعقابه خاسرا . وما كان نابليون ليولي الادبار ، لولا ان ظهر الطاعون بين جنده ، وجنده هم الذين نقلوا الى بلاد الشام جراثيم الطاعون معهم . فمات منهم خلق كثير . وهلك بعض قواد الفرنسيين على اسوار عكا مع عدد كبير من جندهم . كما انه

(١) (اهل العلم بين مصر وفلسطين) ص٣٧ .

طرأ على مركزه في فرنسا امر اضطره للرجوع الى بلاده . وكانت انكلترا هيجت ملوك الفرنج على فرنسا . فاضطر الفرنسيون ان يرجعوا عن عكا ، بعد ان فقدوا على اسوارها ٣٥٠٠ جنديا . ومات في الطاعون ، وعلى الطريق . ما ينوف على الالف .

٧ – لم يذكر التاريخ انسحابا مقرونا بالفشل والخسائر والمشاق ، مثل انسحاب نابليون من عكا (١٧٩٩م) ، وانسحابه بعد ثلاثة عشر عاما من موسكو (١٨١٢م) . فقد نابه وجنده في انسحابهم من عكا العطش ، والقيظ ، وشمس الصحراء المحرقة . ولما كانت وسائل النقل قليلة لديه[1] لا تكفي لنقل جنوده كلهم[2] ، فقد اقترح على اطبائه ان يجرعوا المصابين منهم بالطاعون والامراض الاخرى السم . ولكن نابليون نفسه ينكر ذلك . ويقول في مذكراته التي كتبها في منفاه (سانت هيلانة) : « انه لم يأمر بسم المرضى ، ولكنه لو وجد نفسه مثل واحد من هؤلاء ، لفضل ان يتجرع السم » .

٨ – وقد رجع الى مصر في شهر مايس سنة ١٧٩٩ م .

٩ – كان نابليون نابغة القواد في عصره . ولكنه خسر من مقامه في الشام ، وهو شهران ، كثيرا من شهرته .

(١) يقال انه كان يمضي على قدميه في الصحراء ؛ فاقتدى به الضباط والخيالة ، تاركين للمرضى الخيول والدواب .

(٢) قيل ان الجنود الذين اشتركوا مع نابليون في حروبه هذه كانوا ثلاثة عشر الفا ، وانه لم يرجع منهم سوى سبعة آلاف .

القدس والاتراك العثمانيون

(في الفترة الواقعة بين مصطفى الرابع ومحمود الثاني)

قلنا ، في الفصل السابق ، ان نابليون ، بعد ان احتل غزة والرملة ويافا وحيفا ؛ حاصر عكا . وانه فشل امام اسوارها . فارتد عنها مدحوراً (١٧٩٩ م) . وان حملة نابليون هذه على فلسطين ، جرت في زمن **السلطان سليم الثالث** . وان الجيش العثماني الذي قاوم نابليون في عكا ، كان يقوده **احمد باشا الجزار** . وهو الذي حصن عكا . وانتصر على نابليون .

٢ — ان هذا النصر الذي ناله الجزار ، جعله يزداد ختلاً وكبرياء . فعاد يمثل مظالمه . ويحمل على الناس مغارمه ؛ لا فرق في ذلك بين مسلم او مسيحي او يهودي .

وكأنه لم يكف البلاد ما اصابها من ظلم الجزار ، وما ألم بها من خراب أثناء زحف نابليون ؛ فقد قام (**محمد باشا ابو المرق**)[1] يسومهما الخسف والعسف ، ويجور على اهل بيت المقدس والخليل **والرملة** وغزة . حتى اضطر السادة الاشراف الابرياء لكثرة مظالمه ان يبيعوا اولادهم في السوق بيع العبيد .

٣ — بعد السلطان سليم الثالث تولى الملك **السلطان مصطفى الرابع** بن السلطان عبد الحميد الاول (١٨٠٧ م) . فأخوه **السلطان محمود الثاني** (١٨٠٨ م) .

(١) (خطط الشام) لمحمد كرد علي .

٤ — وعلى عهد هذا السلطان وقعت في القدس وقائع تستحق الذكر ؛ منها انه الغى نظام (**اليكيجرية**)[1] : وطارد رجالها مطاردة لا هوادة فيها . حتى انه منع الناس من ذكرهم . وقد امر المسيحيين الارثوذكسيين ان لا يعمروا اي قسم من كنيسة القيامة او اي معبد من معابدهم . اذ كان يكرههم كرهاً شديداً .

والسبب في كرهه لهم راجع الى اعتقاده بان رهبان دير الروم حرضوا ابناء جنسهم في المورة عندما ثار هؤلاء على السلطة التركية . حتى ان السلطان ارسل الى نائب القدس في ذلك الحين السيد محمد علي الخالدي[2] فرمانا يقضي بقتل الرهابين . ولكن النائب اخر تبليغ الفرمان ، ولم ينفده ، وحذرهم . وما لبث السلطان ان الغى امره . فقدر الرهبان صنيعه هذا . وراحوا يكرمون النائب واولاده حيثما وجدوهم . وفي دير الروم بالقدس صورة زيتية للسيد محمد علي الخالدي ، لا تزال معلقة في بهوه الكبير الى يومنا هذا .

واما اللاتين فكان السلطان محمود الثاني يحبهم .

(١) هذا هو اصل الكلمة في اللغة التركية . واما سكان هذه البلاد ، فكانوا يسمونهم : (الانكشارية). وهم صنف من الجند استخدمهم الاتراك العثمانيين ، وكانوا في بادىء الامر يعتمدون عليهم في حروبهم . ولما عاثوا في البلاد فسادا ، رأى السلطان محمود ان يتخلص منهم . فراح يطاردهم . وقد نجح في مطاردتهم .

(٢) من مقال للاستاذ احمد سامح الخالدي نشر في بيروت سنة ١٩٥٠ بعنوان (فلسطين في نصف قرن) .

وقـد سمح لهم ببناء غرف جديـدة في ديرهم، كما سمح لهـم بتعمير القسم الذي يخصهم من كنيسة القيامة. وقد امر المسلمين من سكان بيت المقدس ان يخلعوا من على رؤوسهم (القاووقـة) التي كانوا يلبسونها منذ عهد الملك المعظم عيسى.

٥ — وقد لا يخلو من فائدة ان نثبت فيما يلي نص امر تلقاه اهالي القدس وكبار موظفيها في زمن السلطان محمود الثاني. ففيه مايرشدنا الى نوع المشاكل التي كانت تشغل بال الحكام في ذلك الزمان، وصنوف الموظفين الذين كانو يديرون دفة الحكم في القدس، والاسلوب الذي كان يستعمله اولئك الحكام في مخابراتهم الرسمية. فقد اطلعت في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على امر ارسله **عبدالله باشا** من (عكة[1]). وقد خاطب فيه سكان المدينة وائمتها ووجوهها وكبار موظفيها. فقال:

«صدر الموالي العظام عمدة العلماء الكرام ونخبة الفضلاء الفخام اولي ولاية الموحدين معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء والمرسلين قاضي محروسة القدس الشريف حالاً افندي زيدت فضائله وافتخار العلماء الكرام ونخبة الفضلاء الفخام المأذون بالافتـا افندي زيد علومه وفرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية قيم مقـام نقيب الاشراف افندي زيد شرفه وافتخار المشايخ المكرمين متسلمنا في سنجق القدس الشريف حالا **الشيخ سعيد المصطفى زيد** مجده وقدوة الاماجد والاعيان وكيل التكية العامرة في القدس الشريف حالاً علي افندي زاده آغا زيد مجـده وقدوة الاماجد والاعيان ميرا لاي حالا آغا زيد مجده وقدوة الاماثل والاقران توفكجي باشي حالا آغا زيد قدره ومفاخر (اقرانهم[1]) علماء وخطباء وأئمة ووجوه البلده وارباب التكلم بوجه العموم. تحيطون علماً انه الآن ابقينا وقررنا متسلمية سنجق القدس الشريف وتوابعهـا لعهدت الشيخ سعيد المصطفى الموصى اليه فيلزم كل منكم تعرفوا انه مبقى ومقرر على متسلمية السنجق من طرفنا فليكون فيما بينكم مسموع الكلام مرفوع المقام ولا احـد يخرج له من خلاف بما فيه الصالح والعمار وانفاذ اوامرنا. ونخبر متسلمنا الموصى اليه انه يلزم منك اولاً (تكون) دائماً مطابق كافة امورك الى الشرع الشريف والقانون المنيف وتسعى براحت الرعايا خصوصاً رعايانا اهالي بيت المقدس تبذل غاية جهـدك (للسعي) براحتهم ودوام رفاهتهم وكذلك تسعى بعمار القرايا ورفاه احوال البرايا واستجلاب دعواتهم الخـيرية بدوام سرير سلطنة حضرت مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ظل الله المبسوط على العالمين مولى ملوك العرب والعجم ومسبب امن وراحت بني آدم سليمان الزمان واسـكندر العصر والاوان المحمود بكل آن واوان خلدالله سرير خلافته العظمى وايد تحت مملكته الكـبرا الى انتهاء الزمان وانقضاء الدوران (وتشمر عن ساعد اهتمامك في امور) الضبط والربط والطـلوع من حق كل معتدي ومتجاوز الحدود وتسعى غاية السعي بردع السفهاء وصيانة وراحت ذوي العرض ولا تعطي ذلك ادنى غفلة ولا مساحة ودائمـاً تكون مساعي ومجتهد (لانفاذ) اوامرنا وكلما فيه رضانا بابراز الخدامة الصادقة المرضية التي تخولك دوام بياض الوجه لك. وجميعكم تكونوا مباشرين اشغالكم واعمالكم وتسعوا

(١) كانت عكا يومئذ ذات اهمية. وقد اتخذها عبدالله باشا مركزا لحكومته. وكان يوقع اوامره هكذا: والي صيدا وطرابلس ومتصرف لواء غزة والقدس ونابلس وجنين.

(١) هذه وغيرها من الكلمات الواردة في هذه الوثيقة والموضوعة بين هلالين معقوفين لم نتثبت من صحتها.

اسباب مكاسبكم وعمار محلاتكم وتكثروا متاجركم وان شاء الله تعالى هذه السنة (تكون) ابرك السنين والاعوام على كافة العباد والبلاد والجميع من رعايانا ما يشاهد من طرفنا الا الحماية والصيانة وبسط جناح الراحة والرياحة و (الرفاه) من سائر الوجوه . فبناء على ذلك اصدرنا لكم بيورلدينا[١] هذا من (ديواننا) في قلعة النصر داخل دار الجهاد محروسة عكا المحمية عن يد رافعه فبوصوله لكم واطلاعكم على مضمونه تتلوه علناً على رؤوس الاشهاد وتعملوا وتعلموا بموجبه وتتحاشوا مخالفته وتعتمدوه غاية الاعتماد ٩ م[٢] سنة ١٢٤٧ .

٦ – ومن الاوامر التي تلقاها الشيخ سعيد المصطفى متسلم القدس في ذلك الحين (١٢٤٧ هـ – ١٨٣١ م) عدم السماح لاي شخص – كائناً من كان – بدخول القدس او المرور فيها ، دون ان يكون حاملاً معه (تذكرة مرور). ويشمل هذا الامر الذي وقعه عبدالله باشا جميع الرعايا سواء اكانوا تجاراً ام جنوداً. حتى (لو اراد احد من اهل البلدة ان يتوجه للقدس او لاية مدينة اخرى ..) ويعتقل الشخص الذي لا يكون حاملاً تلك (التذكرة) ويرسل (محفوظاً) الى (دار الجهاد محروسة عكا المحمية) . ويشدد الوالي في امره الذي ارسله الى متسلم القدس بضرورة الانتباه بشكل خاص الى (عساكرنا المنصورة المحمدية) واعتقال من يدخل القدس منهم (بدون تذكرة) وارساله الى عكا مخفوراً . وينذره (اي ينذر المتسلم) انه اذا بدا منه (تقصير) فانه يعرض نفسه الى القصاص (بدون مسامحة) ! . .

٧ – في تلك السنة (اي في سنة ١٨٣١ م) ارسل محمد علي باشا الذي كان الاتراك قد اقاموه على مصر ، ليديرها باسمهم ؛ ارسل ولده ابراهيم باشا الى فلسطين قاصداً – في الظاهر – تأديب عبدالله باشا الجزار والى عكا . واما في الحقيقة فانه كان يبغي اخذ فلسطين من الاتراك ، وضمها الى مصر ، واعلان الاستقلال التام عن الدولة العثمانية . وهذا ما سنقصه عليك في الفصل القادم .

(١) كلمة يستعملها الاتراك بمعنى (الامر العالي) .

(٢) المقصود من حرف(م)هنا هو شهر محرم . والسنة الهجرية هذه توافق سنة ١٨٣١ الميلاد .

★ ★

★

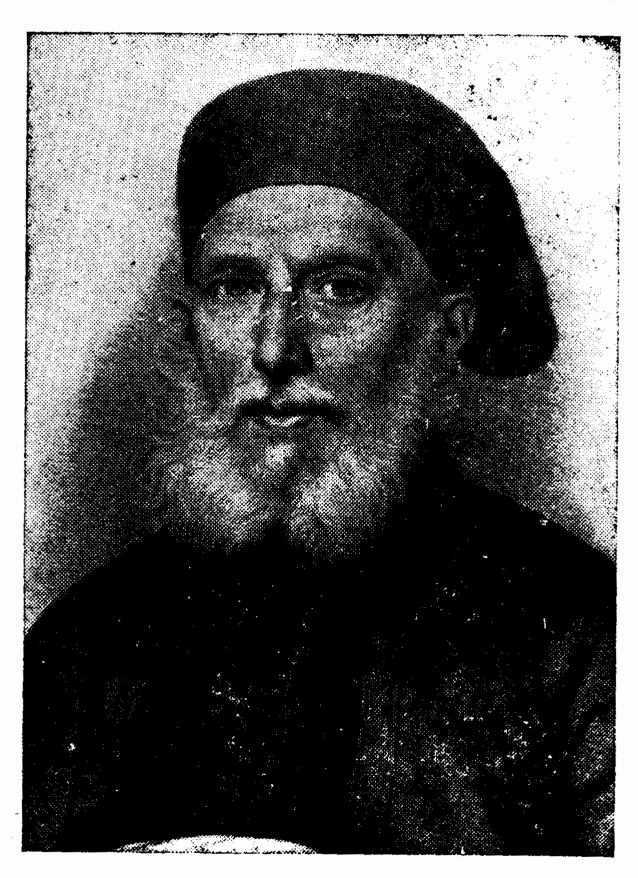
القدس وابراهيم باشا

كان مؤسس الاسرة العلوية المالكـة في مصر ، **محمد علي باشا**، والياتابعا لسلطان الاتراك في الاستانة. جاء الى مصر مع الحملة العثمانية (١٢١٣هـ - ١٧٩٩م) لاخراج الافرنسيين منها . ولكنه اراد ان يستقل، وان يجعل الحكم منحصرا في سلالته . ولما رفض طلبه هذا من قبل السلطان العثماني محمود الثاني، اخذ يترقب الفرص ليشهر الحرب عليه . فحانت هذه سنة ١٨٣١م.

٢ - في تشرين الاول ١٨٣١ ارسل الى فلسطين بقيادة ابنه **ابراهيم باشا**[١] جيشا قوامه اربعون الف رجل ؛ وفي قول آخر ثلاثون الفاً ؛ ليحارب ، في الظاهر ، عبدالله باشا الجزار بحجة انه ابى ان يرجع اليه المصريين الذين فروا من جيشه . فاحتل غزة . ثم احتل الرملة ويافا وحيفا والقدس . احتل هذه المدن في غير حرب[٢] . ونصب في كل منها متسلما يتولى ادارة الاعمال فيها بالنيابة عنه .

٣ - وفي اليوم التاسع من كانون الاول ١٨٣١ وقعت الموقعة الاولى بين الجيش المصري ، يقـوده ابراهيم باشا ؛ والجيش العثماني ، يقوده **عبدالله باشا** . فاضطر هذا الى الالتجاء لحصن عكا . فحـــاصره فيها . وكان مع ابراهيم باشا في اثناء الحصار ١٢٠٠٠ من الجند النظاميين . وظل يضيق الخناق عليه ، الى ان قام في يوم السبت الموافق ٢٦ ايار ١٨٣١ ، بحملة عنيفة كانت نتيجتها ان سقطت عكا بين يديه ، بعد حصار دام ستة شهور .

٤ - تقدمت جيوشه نحو الشمال، وكانت يومئذ قد بلغت نحو مئتي الف . فاحتلت المـدن السورية كلها . ثم عبرت الى الاناضول ، وراحت تحتل مدنه الواحدة بعد الاخرى الى ان وصلت الى كوتاهية



« ابراهيم باشا »

وبعد ان اسر قائد الجيش التركي رشيد باشا ، أم الاستانة وكاد يدخلها ، لولا تدخل الدول الاجنبية .

---

(١) ولد في (قوله) سنة ١٧٨٩ وجاء الى مصر سنة ١٨٠٥ وتولى منصب (الدفتردار) وعمره ١٨ سنة . ثم صار حاكم الصعيد وقاد الجيش المصري في الحرب الوهابية ، والحرب التركية ، وحرب اليونان . وعاون اخاه اسماعيل في فتح السودان . وبقي وليا للعهد حتى سنة ١٨٤٧ حيث تولى العرش بدلا من ابيه الذي اقعده المرض .

(٢) حروب ابراهيم باشا في سوريا والاناضول .

٥ – وقفت **انكلترا** الى جانب تركيا في نضالها مع محمد علي . لانها كانت تخشى من توسع سلطانه ، وامتداده الى العراق وسورية وبلاد العرب الاخرى. يدلك على هذا ، البلاغ الذي تلقاه الكولونيل كامبل ،قنصل انكلترا في مصر ،من اللورد بالمرستون في ٨ ديسمبر ١٨٣١ ؛ وقد جاء فيه[١] : « اني اكلفك بان تبلغ باشا مصر ، بان حكومة جلالة الملك تلقت التقارير عن حركات الجنود المصرية في سورية وبلاد العرب . وهي تدل على انه ينوي ان يبسط سلطة مصر ،الى جهة الخليج الفارسي وولاية بغداد. فابلغ الباشا بكل صراحة ، ان الحكومة الانكليزية لا تستطيع ان تنظر دون اكتراث الى تنفيذ مثل هذه المشروعات » .

واما **فرنسا** فان مصلحتها كانت تقضي بالوقوف الى جانب محمد علي . يدلك على هذا الكتاب الذي ارسله سفير فرنسا الى حكومته ،وقد جاء فيه[٢] : «ان غرض الانكليز الآن هو ان يستولوا على مصر. وهذا لا يتفق مع مصلحة فرنسا . لانهم اذا احتلوا مصر ، استحال على فرنسا ان تظل في الجزائر . فمن مصلحة فرنسا حل مسألة مصر ، باعطائها لمحمد علي وسلالته من بعده » .

ولكن يظهر ان دفة انكلترا هي التي رجحت يومئذ . فاستمالت روسيا والنمسا الى جانبها . ثم انضمت اليها فرنسا . فطلب الجميع من ابراهيم باشا اخلاء سورية ، وفنيقيا ، وفلسطين ؛ وارجاعها الى السلطان .

حاول ابراهيم باشا ، باديء ذي بدء ، ان لا يكترث لهذا التهديد . ولكنه ، بعد انعام النظر ، رأى انه لا فائدة ترجى من المقاومة ، لان القوي تالبت عليه من البر والبحر ، والحرب اعلنت عليه بالفعل ، لا بالقول . فاضطر الى الانصياع .

٦ – تم الصلح بين مصر والدولة العثمانية (٢٥ نيسان ١٨٣١) على ان يكون من اطنه الى غزة تابعاً ولاية مصر . وبهذا دخلت فلسطين في حوزة البيت العلوي بمصر .

٧ – ولكن . لم يمض على ذلك بضعة شهور ، حتى قامت ثورة في البلاد ضد ابراهيم باشا . يهمنا ان نذكر اسبابها ، وما كان منها بفلسطين بوجه عام وبالقدس بوجه خاص . فنقول :

اختلف الباحثون في وصف الشعور الذي ساد السكان يومئذ ، من جراء احتلال الجيش المصري للبلاد . فمن قائل[١] : « ان اهل سوريا وفلسطين كانوا ينظرون الى ابراهيم باشا نظرة تقدير واعجاب. وانه هو الذي انقذهم من الظلم . »

ومن قائل[٢] : « ان هناك دلائل كثيرة تدل على عكس ذلك . وان في المحفوظات الملكية ما يشهد بان سكان سوريا وفلسطين كانوا ينظرون الى الجيش المصري نظرة بغض وازدراء . حتى ان ابراهيم باشا نفسه قال في احدى رسائله الى محمد علي باشا (٩ ربيع الثاني سنة ١٢٤٨هـ – ١٨٣٢) ان اهالي سوريا وفلسطين قبلوا حكمه مكرهين . ولم يكتسب عطفه وثقته منهم سوى المسيحيين ، وبعض الدروز في جبل لبنان . »

ويعلل الفريق الثاني هذا الكره بالاوامر التي

---

(١) (البطل الفاتح ابراهيم)لداود بركات ص١٣٩ .
(٢) (البطل الفاتح ابراهيم)لداود بركات ص١٤٠ .

(١) راجع كتاب (الامبراطورية المصرية) لمؤلفه محمد صبري سنة ١٩٣٠ .
(٢) (المحفوظات الملكية) لاسد رستم « The Royal Archives » by Assad Rustum

اصدرها محمد علي باشا لابنه ، من اجل جمع السلاح من الاهلين ، وفرض بعض الرسوم والعوائـــد الجديدة ، وفرض التجنيد الاجباري في البـلاد .

٨ — انه كان في حاجة الى المال[1] . فاصـدر امره بتحصيل المال من جميع البلاد التي افتتحها . ورغم ان ابنه ابراهيم باشا كان مخالفا لرأي ابيـه في هذه التدابير ، الا انه اضطر للاذعان . فراح يفرض الضرائب والرسوم . ولجأ الولاة والحكام الى استعمال الشده من اجل جمع الضرائب والرسوم . منها :

(أ) (ضريبة الفرد) . يدفعها كل رجل يتراوح سنه بين الخامسة عشر والستـين . اقلهـا خمسة عشر قرشاً على الفقير ، واكثرهـا خمسون قرشاً على الغني . وقد جبيت على سنتين .

(ب) (ضريبة الشونة) . يقدمها الاهالي للجيش المرابط في منطقتهم . وهي مؤونتــه وجميع حاجاته .

(ج) (الدخولية) . تدفع عن البضائع التي ترسل من مدينة الى أخرى بنسبــة تتراوح بين الستة ونصف والاثني عشر في المئة .

(د) (رسم التسريح) . يفرض على الحاصـلات الزراعية المحلية عندما تنقل من مدينة الى اخرى .

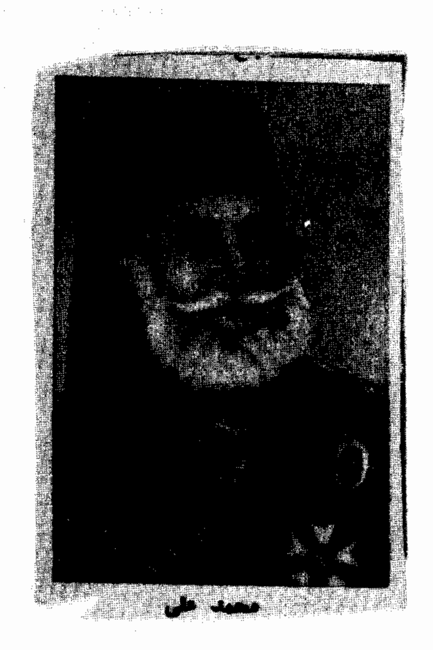
(هـ) (رسم الطاحـون) . يفرض على الحبوب عند طحنها .

(و) (ضريبة المواشي) . تفرض على الحيوانات كالضأن والماعز والجمال .

(١) (البطل الفاتح ابراهيم باشا) لداود بركات ص ١٢٤

٩ — وكان ايضا في حاجة الى الرجال . ففرض التجنيد الاجباري .

ورغم ان ولده ابراهيم باشا ما كان يقـــره في مشروعه ، فقد اضطر للنزول عند ارادة ابيه . وراح يعمل على تنفيذ قراره . فحاصر المــدن والقرى . والتقط الشبان حيث وجدهم .



« محمد علي باشا »

اصـــدر امره الى سكان الـــقدس بتاريخ ٢٥ / ٤ / ١٨٣٤ ، طالبا منهم واحداً من كل خمسة من الشبان . وعلى قول اخر ، واحداً من كل عشرة رجال . طلب مئتي رجل من مدينة القدس ، وثلاثة الاف من كل من اقضية القدس ونابلس والخليل .

١٠ — ومن العوامل التي ادت الى الثورة ، انه امر بجمع السلاح من الاهلين . وعمل على ازالة نفوذ المشايخ والزعماء والرؤساء واصحاب الاقطاعات . مثل عائلة ابي غوش في جبل القدس ، والمواضي في اجزم ، وطوقان وقاسم وآل جرار في جبــل

نابلس ، وآل عمرو في جبـــل الخليل ، وغيرهم كثيرون .

فالغى مثلا العوائد التي تجبيها آل ابي غوش من السياح الذين يسلكون طريق القدس في سفرهم . تلك العوائد التي سمح لهم بجبايتها السلطان سليمان القانوني . فعصا امره الاخوان : جبر وابراهيم ابو غوش . وثابرا على جبايتها بالقوة . فنفاهما : ابراهيم الى عكا ، وجبر الى الشام . ونفى معهما عدداً آخر **من الزعماء .**

ان هـــذه التدبير اغضبت المسلمين . ولكن النصارى واليهود ارتاحوا لها .

ويظهر ان هذا الموقف ، زاد في التنافر الواقع بين المسلمين وغـــيرهم من الطوائف ؛ فراح هؤلاء يتذمرون من معاملة المسلمين . فارسل لهم الباشا كتاب التهديد التالي[١] :

« تعلمون ان في بيت المقدس كثيرا من الاديار والكنائس والآثار الدينية التي تحج اليها في كل عام الطوائف النصرانية واليهود . وقد شكا الينا هؤلاء ما يلاقونه منكم من العنت والقسوة والغلظة عليهم ، والتحقير لدينهم ؛ فضلا عما انتم فارضوه عليهم من التكاليف والمغارم الفادحة ، غير ناظرين الا الى ارضاء انفسكم والعمل بهواكم . على ان هذه الغايات الدنيئة والافعال المزرية ،لاترضاها النفوس الابية ، ولا يصح السكوت عليها ؛ولذلك انهاكم ، واحذركم من عاقبة التعرض لاولئك القوم . واسألكم ان تفسحوا لجماعة القسيسين والرهبان والشمامسة واهل البيت المقدس من جميع المذاهب ، قبطاً كانوا او ارمنا ، في دينهم ودنياهم من اقامة شعائر دينهم ، ولا تأخذوا ممن يذهبون زائرين لبحر الشريعـة شيئاً من الكلف والمغارم ؛ ولا تضيقوا على زائري كنيسة القيامة . ولا تلزموا الصغار بدفع المـال . فان اطعتم احسنتم لانفسكم ، وان خالفتم اسأتم لها . والسلام عليكم ورحمة الله » .

١١ – ومـا زاد النار لهيباً تحريض الاتراك للثوار ، وظهور الانكليز بمظهر العداء لمصر .

قال الدكتور محمدصبري في كتابه (الامبراطورية المصرية) : ان رشيد باشا الذي ارسله الباب العالي الى سيواس لحشد الجيوش ، بحجة اخضاع القبائل الكردية ، كان يقصد في الحقيقة مهاجمـــة الجيش المصري . وفي الوقت نفسه كان يعمـل على اثارة القلاقل والاضطرابات في البلاد . ولما شبت الثورة، اخذ يساعد الثوار علنا . وقد ارسل الاتراك في الوقت نفسه اسطولهم لمهاجمة محمد علي من البحر .

١٢ – ان هـــذه العوامل كلها (**التجنيد الاجباري ، وفرض الضرائب ، وجمع السلاح ، وكسر شوكة الزعماء ، وتحريض الاتراك**) هي التي جعلت الجو يكفهر .

فاجتاحت البـــلاد ، من اقصاها الى اقصاها ، موجة من الاستياء ،انتهت بالاحتجاج الصاخب .ثم حمل الناس السلاح ، واخذوا يستعدون للثـورة . وما هي الا عشيةاوضحاها ، حتى اشتعلت نـيران الثورة في الصلت ، ويافا ، ونابلس وفي كل مكان . وقد جرت معارك دموية بين الجند والثوار في سعير من اعمال جبـــل الخليل ، وسيريس وباب الواد ، ولفتا ، وبيت جالا ، وبيت لحم ، ومرج بن عامر. واما في القدس نفسها فقد انفقـد الامن ، وسـادت الفوضى ستة ايام ؛ اختفى النصارى خـــلالها في اديرتها، واليهودفي كنائسهم،وذبح منهمخلق كثير.

(١) تاريخ الاستعمار الانكليزي في بـــلاد العرب . ص١١٢

وكذلك المدينتان الواقعتان في اقصى الشمال (صفد) وفي اقصى الجنوب (غزه) . فقد ثارتا . واستولى البدو الضاربون خيامهم في منطقة غزة على الامور كلها ، فاصبحوا الآمرين الناهين ؛ وانتشر رجالهم في جميع انحاء المنطقة يفعلون ما يشاؤون .

واما في صفد فقد اذاع الاهلون ، وفي مقدمتهم القاضي والمفتي ونقيب الاشراف ، بياناً ايدوا فيه مبادىء الثورة ، ونهبوا اليهود ، وقد قدرت خسارة هؤلاء بثلاثين الفاً من الجنيهات .

١٣ — واليك ما جرى في القدس خلال تلك الثورة ، وهو المقصود من هذا الفصل :

اغتنم المقادسة سفر ابراهيم باشا الى يافا ، ليتفقد احوالها ؛ فعقدوا اجتماعاً حضره عدد كبير من مشايخ القرى المجاورة . وقرروا اعلان الثورة (٢٨ نيسان ١٨٣٤) . وفي ٨ مايس ١٨٣٤ حاصروا القدس . وكان فيها الف جندي ، تركهم ابراهيم باشا خصيصاً لحراسة القلعة . وفي اليوم التالي ، ٩ مايس ١٨٣٤ ، اتتهم نجدة من نابلس والخليل ، عشرة آلاف ثائر ، كلهم مسلحون . واول عمل قاموا به انهم انذروا رؤساء الجند المرابطين في القلعة ، كي يغادروا المدينة . فكان جواب هؤلاء الرفض قائلين : انهم قرروا الثبات حتى الموت . فبدأ القتال . ودام تبادل النار بين الفريقين بضعة ايام . ان بعض افندية القدس الذين كانوا في داخل المدينة ، تظاهروا في بادىء الامر بانهم ضد الثوار . ووعدهم قائد الحامية بان لا يجند احداً من المقادسة اذا هم ظلوا مخلصين لابراهيم باشا . بيد ان هذه المجاملة لم تدم طويلا . فظهر ان جميع السكان ، من افندية وفلاحين ، متحدون في الرأي ، معتزمون المقاومة . فاشتد القتال ،ودام الحصار.ولكن دون جدوى . ظل الجند مرابطين في اماكنهم . وكاد الثوار ييأسون . لولا ان تذكر بعض السلاونة[١] انه كان في الناحية القبلية لسور المدينة ، عند الباب المعروف بباب المغاربة ، مجرى قديم[٢] لتصريف الاقذار اغلق على مر السنين. فراحوا يبحثون عنه . الى ان عثروا عليه . فدخله سته وثلاثون شاباً من شباب المقادسة الجريئين . وظلوا يسيرون الى ان خرجوا منه عند طاحون في حارة اليهود بداخل المدينة . ثم رجعوا الى باب المغاربة ، ففتحوه على مصراعيه. ودخل منه الثوار . والتحق بهم السكان باسلحتهم الكاملة .

عندئذ غادر الجند القلعة ، وراحوا يبحثون عن الثوار ، في شوارع المدينة . وقد كانوا مدججين بالسيوف والبنادق والخناجر والحراب . ولما التقوا بالثوار ، جرى صدام عنيف بين الفريقين . وسالت الدماء . وانجلت المعركة عن انتصار الجند . فهرب الثوار من باب العمود ، تاركين وراءهم ستة وستين قتيلاً : خمسون من الفلاحين،وستة عشر من المقادسة. ولم يفقد الجند في تلك المعركة سوى خمسة قتلى . وراحوا بعد ذلك يهدمون الدكاكين ، وينهبون كل ما وقعت عليه ايديهم من امتعة واموال .

١٤ — وفي اليوم التالي ، ١٠ مايس ١٨٣٤ ، رجع الثوار الى اعمال العنف والمقاومة. فكان اول عمل قام به البكباشي[٣] انه قبض على اعيان بيت المقدس ، ومنهم نقيب الاشراف عمر افندي والباشكاتب[٤] . وسجنهم في القلعة. ولكن ما كاد

---

(١) اهل سلوان . وهي القرية المحاذية للسور من الجنوب .تبعد عنها قيد بضعة امتار .

(٢) انه المجرى الروماني القديم الذي بحثنا عنه في موضع آخرمن هذا الكتاب .

(٣) كلمة تركية معناها راس الالف . وهي لقب القائد الذي يقود الف جندي في الجيش العثماني .

(٤) كلمة تركية معناها رئيس الكتاب .

الخبر يصل الى نابلس ، حتى اتت منها نجدة مؤلفة من الفي رجل مسلح . ولما رأى البكباشي كثرة عدد الثوار ، انزوى هو وجنده في القلعة ؛ بعد ان امر باغلاق ابواب السور. لكن المقادسة الذين كانوا في داخل المدينة ، راحوا ففتحوا الابواب للثوار . فدخل هؤلاء المدينة . وساروا نحو القلعة بقيادة زعيمهم ابراهيم ابو غوش . فوقع صدام عنيف بين الجند والاهلين . ودام القتال ثلاثة ايام . نهبت خلالها منازل الاتراك ودور اليهود ومخازن الحكومة ، وسادت الفوضى في المدينة . وازداد عدد الثوار فصاروا عشرين الفاً . وراح هؤلاء يمطرون الجند المرابطين في داخل القلعة بالنار. واقتربوا من القلعة بواسطة سراديب حفروها في داخل المنازل ، وكادوا يستولون على القلعة ، لولا نيران المدفعية . تلك النيران الحامية التي كانت تمطرها عليهم حامية القلعة . اضف الى ذلك ان قلت المؤن في داخل المدينة ، وسادت الفوضى ، وساد معها الخوف والجزع ، وانتشرت الامراض ، وكثر عدد الضحايا: ضحايا الحرب والمرض والجوع .

١٥ – في هذه الاثناء كانت اخبار ثورة القدس قد وصلت الى ابراهيم باشا وهو في يافا . فطلب في الحال النجدة من بيروت وعكا وطرابلس الشام . فاتته نجدة مؤلفة من تسعة آلاف مقاتل . سار بهم فوراً الى القدس ، يبغي الانتقام (٢٤ مايس ١٨٣٤) .

١٦ – اتصل الخبر بالثوار . فراحوا يرسمون الخطط لمقاومة هذه الحملة الجديدة . فتحصن اهل القدس في المدينة ، وكمن الفلاحون في الكهوف والجبال المطلة على الاودية التي سيمر منها ابراهيم باشا. ووضعوا في الطريق الحواجز ، ليحولوا دون مرور الخيل والفرسان. ولما مر هذا من هناك هو وجنده ، قابلوهم بالنار . والقوا عليهم الحجارة والصخور . فبهت الباشا . ولم يكن يتوقع من اهل البلاد هذا الضرب من ضروب القتال . لا ، ولا هذه الجرأة. ولم يضع ثانية من وقته . بل راح يدفع هجمات الثائرين ، بنيران مدافعه الثلاثة الضخمة . وقد اعترف ، بعدئذ ، لاحد اصدقائه انه لم يقع في مأزق حرج كهذا المأزق قبل اليوم . اذ مات من جنده الف وخمسمئة قتيل . ومن لم يمت منهم بحد السيف ، ذاق الامرين من قلة النوم والعطش والتعب . واضطر لقضاء يومين كاملين في قطع مسافة ، ما كان ليقضي في قطعها ، في الظروف الاعتيادية ، اكثر من خمس ساعات .

١٧ – تمكن ابراهيم باشا ، رغم جميع الحوائل التي وضعت امامه ، من الوصول الى القدس . غير انه لم يدخل المدينة . ولم يسمح لجنده بدخولها . ولم ينصب مخيمه في المكان الذي اعتاد الباشوات النزول فيه ، اي تحت الشجرة الكبيرة في داخل المدينة . بل ذهب رأساً الى جبل صهيون ، ونصب مخيمه امام اسوار المدينة ، عند الباب المعروف بباب النبي داود . وكان يرمي من وراء هذا التريث ، على ما يظهر ، الى امرين : الاول الاستراحة من عناء السفر . والثاني جس نبض الاهلين واختبار مدى ميلهم الى الثورة . اما المسلمون الذين كانوا يعاضدون الثورة ، فقد اخذوا عائلاتهم ، وفروا من باب الاسباط . فريق منهم سلك الطريق الشرقية التي تؤدي الى العيزرية . وآخرون سلكوا الطريق الشمالية وذهبوا الى رام الله[1] . واما اللاتين والارمن

(١) قرية مسيحية واقعة على بعد عشرة اميال من القدس الى الشمال . وكان فيها يومئذ مئة وخمسون عائلة مسيحية ، جلهم ان لم نقل كلهم ، من الفلاحين العرب الارثوذكس . وقد استقبلوا الهاربين بالبشاشة والتحية كما يستقبل العربي ضيفه .

واليهود وفريق من الارثوذكس فقد خفوا لاستقباله. ولم يقابله احد من المسلمين .

١٨ – وفي اليوم التالي (١٣ ابريل ١٨٣٤) عبر من باب النبي داود . ففرحت حامية القلعة بدخوله ، واطلقت من مدافعها ٣٣ طلقة لتحيته . وراح من فوره الى المسجد الاقصى ليصلي فيه صلاة الجمعة .

وبعد الصلاة اعلن العفو العام. وطلب الى الثوار ان يعودوا الى منازلهم . ونادى المنادي انه يترتب على الناس مسلمين كانوا ام نصارى او يهودا ان يفتحوا دكاكينهم وان يعودوا الى تعاطي اشغالهم كالمعتاد . وقبل عودته الى جبل صهيون ، زار كنيسة القيامة ، وشاهد قبر المسيح . وبعد الظهر جاء المسيحيون للسلام عليه : اللاتين اولا ثم الروم والارمن .

ولكن الثوار لم يلبوا النداء . ولم يتقدم احد من المسلمين للاجتماع بالباشا . لا ، بل راحوا يوزعون النشرات التي تدعو الى الثورة . وانتقدوا بصراحة اعمال الباشا . وتنادوا للاجتماع في نخماس ، تلك القرية الكائنة بين رام الله والقدس ، ليبحثوا الطرق الواجب اتباعها لمواصلة القتال .

١٩ – علم الباشا بامرهم . فساق عليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل . وكان هو في المقدمة . والتقى الجمعان : الثوار والجيش المصري . وحدثت بينهما معركة ، كان النصر فيها حليف الجيش . فانهزم الثوار ، تاركين وراءهم ثلاثة آلاف قتيلاً وخمسماية اسير . ولما رجع الى القدس ، ساق الاسرى امامه . فدخلوها مكبلين بالحديد . واستقبل الباشا وجيشه من قبل اليهود والنصارى استقبال الظافرين.

٢٠ – ولكن الثوار لم ييأسوا. فقد جمعوا اشتيتهم في اليوم التالي لمعركة نخماس (الخميس ٣١ مايس ١٧٣٤).

وتنادوا للقتال ؛ ثم راحوا يتحصنون في الجبال ، وبين الاشجار ، في المنطقة الواقعة بين القدس وبيت لحم وبيت جالا . وهناك اخذوا يستعدون للمقاومة . فساق عليهم ابراهيم باشا جيشه . ففر الثوار من امام الجيش ، متحاشين الاصطدام به . فاقتفى الجند اثرهم . وفي بيت جالا اقترفوا بعض الفظائع ، فقتلوا ٣٣ رجلاً من سكانها ونهبوا منازلها. ولما دخل الباشا ، اصدر امره بمنع السلب ، ووقف القتال .

٢١ – وفي يوم الاثنين الموافق ٤ يونيو ١٨٣٤ ، تجمع الثوار مرة اخرى بالقرب من دير مار الياس على طريق بيت لحم. فساق عليهم ابراهيم باشا اربعة آلاف جندي ، زودهم بمدفع . وهناك التقى بهم ، وظل يطاردهم حتى ارجعهم الى بيت لحم . وهناك في الوديان والتلال الكائنة جنوبي بيت لحم ، تحصن الثوار في المغر والجبال ، مستعملين الاشجار والصخور متاريس للمقاومة[1] . وقد قاوموا الجند مقاومة عنيفة . واما في ارطاس فقد استراح الجند ، وشربوا ، ثم اسقوا خيولهم . وفيما كانت كوكبة من الجند ، مؤلفة من الف وخمسمئة مقاتل ، تسقي خيلها من العيون التحتا ؛ داهمها الثوار . فقتلوا ثمانية من رجالها ، وانهزم الاخرون. فرجع ابراهيم باشا الى القدس مدحوراً . وكان بين المقتولين في هذه المعركة الضابط رشيد بك الذي دافع في المعارك السابقة عن القلعة دفاع الابطال .

٢٢ – امر الباشا بقطع اشجار الزيتون الكائنة حول المدينة (٤ – ٨ حزيران ١٨٣٤) بحجة انه في حاجة الى حطب الوقود من اجل جيشه . والحقيقة

(١) كان يقوم باعمال التحصين هذه رجال ونساء . وكان النساء في امان . اذ ان الجنود المصريين كانوا لا يطلقون الرصاص عليهن .

انه كان يرمي الى التخلص منها، لان الثوار اتخذوها متاريس لمقاومة جنده ومهاجمتهم. ولولاها ماتمكنوا من التغلب عليهم . فازداد سخط الشعب . وبدأ الجند انفسهم يتبرمون ، لان مؤنهم[١] كانت قد قلت بدرجة تدعو الى القلق . اضف الى ذلك ان الباشا علم من التقارير التي تلقاها ان نار الثورة ازدادت اشتعالا في نابلس وصفد وعكا وطبريا ، وفي يافا واللد ، وفي الخليل والكرك. وان القوة التي كانت تحت تصرفه يومئذ (١١ حزيران ١٨٣٤) وهي لا تزيد على ستة الاف جندي ، لا تكفي لاطفاء تلك النار . ولهذا طلب النجدة من ابيه[٢] . وقرر التحصن في القلعة الى أن تأتيه النجدة .

أدرك الثوار المقدسيون ان الباشا ما كان لينكمش في حصنه ، لولا تضاؤل قوته . فراحوا يضيقون الخناق عليه . وقد ضيقوه بدرجة انه اضطران يحتمي بمكان قريب من ضريح النبي داود، وهناك اختبأ في منزل الشيخ درويش الدجاني شيخ السجادة الخلوتية وزوجته السيدة نفيسة بنت الحاج احمد طهبوب .

٢٣ — أرسل محمد علي باشا ، عندما أتته اخبار ولده ابراهيم باشا ، نجدة مؤلفة من ثلاث كتائب من المشاة ، وكتيبتين من الفرسان ، والف من البدو . وعهد بقيادة هذه النجدة الى اثنين من انبغ قواده هما : أحمد منكلي بك ومحمد سالم باشا. وقد أبحر هو ايضاً من مرفأ الاسكندرية ، قاصداً فلسطين .

٢٤ — عندما وصل جيش محمد علي الى يافا ، ورسى اسطوله في ثغرها (١٨ حزيران ١٨٣٤) انتعش ابنه ابراهيم باشا . وسافر من فوره الى يافا لاستقباله ، مصطحباً معه الفا وخمسمئة مقاتل . واصطحب معه عدداً من وجهاء القدس . ولما التقيا تعانقا ، وتحدثا عمــّا جرى . ثم التفت الى الوجهاء وسأل ابنه عنهم قائلاً : من هؤلاء يا بني ؟ قال : هؤلاء هم وجوه القدس وزعماؤها . ثم راح يقدمهم اليه ، الواحد بعد الاخر : هذا عمر افندي نقيب سابق . . وهذا هو المفتي طاهرافندي. . وهذاهو محمد أبو السعود . . وهؤلاء هم الشيخ محمد علي أفندي الحسيني ، والشيخ عبد الله افندي البديري ، وابراهيم أفندي طهبوب[١] و . و . و . فحملق محمد علي في وجوههم ، ونظر اليهم نظرة ازدراء ، كأنه لم يأبه لوجودهم ، وراح يجيل الطرف في كل واحد منهم من رأسه الى اخمص قدميه . ثم هز رأسه ، وسكت . وبعد التفكير في أمرهم ، أمر بارسالهم الى عكا . ومن هناك اقتيدوا الى مصر . وقد امروا بالاقامة الجبرية فيها .

٢٥ — بعد ان تشاور الاثنان ، الأب والابن ، في الطرق الواجب اتباعها لاخضاع الثوار ، رجع الاب الى مصر. وارسل الابن بعض قواده، لتعقيب الثوار في جبل نابلس وجبل الخليل ، وفي يافا وعكا وفي كل مكان . وأما هو فقد دخل القدس (٢١ حزيران ١٨٣٤) . وكان معه يومئذ ثلاثون الف جندياً، ينتمون الى مختلف الاسلحة والاجناس : مصريون ، وهنادى ، وعرب ، وأتراك .

---

(١) قال الخوري في مذكراته التي ترجمت الى اللغة الانكليزية ان ابراهيم باشا استثمار من اديرة الروم والارمن واللاتين كمية من الدقيق قامت باود الحامية اكثر من ستة ايام (Annals)

(٢) قيل انه طلب من ابيه يومئذ خمسة عشر الف جندي .

(١) انتدب احدهم وهو ابراهيم افندي طهبوب يومئذ ناظر الخاصة الملكية ، وهو الذي بنى قصر الزعفران . وقد نبغ ولده عثمان من بعده ، فصار يدعى (عثمان باشا). وعين سرياوران للخديوي توفيق باشا . ثم صار محافظا لمصر على عهد الخديوي عباس حلمي باشا .

كما كان معه عشرة مدافع ، وخمسة من قاذفات القنابل . فكان دخوله الى القدس يوماً مشهوراً . اذ اطلقت مدافع القلعة اثنين وعشرين طلقة ، احتفاء بقدمه . حتى الثوار من أبناء بيت المقدس ، فقد تظاهروا بالفرح ، وأبدوا ارتياحهم لمجيئه . اما هو فقد نصب مخيمه على جبل صهيون بالقرب من مقام النبي داود . واما جنده فقد عسكروا حول السور وفي التلال الكائنة بالقرب من سلوان . ذلك ليكونوا قريبين من الماء . وقد عسكر فريق منهم عند برك سليمان على طريق بيت لحم ، من أجل الغاية نفسها .

٢٦ — خبت نار الثورة في القدس. وارسل اليه ثوار جبل الخليل وفداً يعرض عليه الطاعة. فاشترط عليهم تسليم رؤسائهم احياء . ولما لم يلبوا طلبه ، قاد عليهم جيشا (٢٤ حزيران ١٨٣٤) احتل به مدينة الخليل . وجرت بينه وبين الثوار في شوارع المدينة واسواقها معركة دامت ثلاث ساعات. قاسى السكان خلالها الامرين . فسالت الدماء . وهدمت المنازل . ونهبت المتاجر . واعتدي على اعراض النساء[١] . واسر ٦٣٠ شابا من شبان الخليل ارسلوا كلهم الى مصر ليخدموا في الجيش المصري .

٢٧ — ولما رجع الى القدس في ٢٩ حزيران ١٨٣٤ اصدر امره الى سكانها ، من غير تفريق بين جنس وجنس او مذهب ومذهب ، كي يسلموا كل ما لديهم من اسلحة. وكذلك فعل بالقرى المجاورة . والذي لايكترث لهذا الامر ولا يسلم سلاحه يعاقب بالاعدام. فتظاهروا باستعدادهم لاطاعة الامر . ولكنهم في الواقع لم يسلموه من السلاح الا ما كان عديم النفع . واما الأسلحة التي كانوا نهبوها من مخازن الحكومة ؛ فقد اخفوا قسما منها[١] ، ورموا القسم الاخر في ساحة الحرم .

٢٨ — قضى ابراهيم باشا المدة التي انقضت بعد ذلك التاريخ في الكرك جادا في اطفاء الثورة التي كانت مشتعلة هناك . وفي ١٠ سبتمبر ١٨٣٤ رجع الى القدس . واخذ يشدد النكير على الاهلين الذين لم يسلموا ما لديهم من سلاح . منذرا كل من يتخلف عن الانصياع لامره بالموت . وقد استخدم مئات العمال من المسيحيين لهدم منازل المسلمين الثائرين ، ولا سيما اولئك الذين رفضوا تسليم اسلحتهم ، والذين هربوا الى الانحاء الجنوبية من فلسطين . وقد هدم بالفعل عدد غير قليل من المنازل، وقلع عدد لايحصى من الاشجار في كروم العنب والتين والزيتون .

وقصارى القول لم يترك ابراهيم باشا وسيلة من وسائل التعذيب الا واستعملها، ليكره اهل القدس وما جاورها من قرى على الخضوع . حتى انه في اليوم الثامن عشر من شهر ديسمبر ١٨٣٤ اتى باثنين من زعماء الثوار : الشيخ حسن وابن ابي زيد ؛ فقطع رأس الاول في باب العامود، والثاني في سوق الحبوب. وارسل بعض الزعماء ومنهم الباشكاتب محمد افندي ، ارسلهم الى عكا مكبلين بالحديد . ولكن هذه التدابير ما كانت لتقلع روح التمرد والعصيان والكره من افئدة الاهلين .

٢٩ — ولقد زاد في الطين بلة الهيضة (الكوليرا) التي انتشرت في القدس انتشارا فظيعا . فقد بدت هذه (في اوائل تشرين الاول ١٨٣٨) بين اليهود. ثم سرت منهم الى المسلمين . ودامت شهرا .

---

(١) Annals ص ١٠٠

(١) عثر ابراهيم باشا على قسم من هذه الاسلحة في المقابر وقسم آخر في الدكاكين والمنازل . والكثير منها لم يعثر عليه . اذ ان الاهلين رصفوا سطح الارض من فوقها بالبلاط ليخفوها عن الانظار .

ثم عادت فظهرت في منتصف شهر يناير ١٨٣٩. فاغلقت ابواب المدينة بقصد منع اختلاط اهل القدس بسكان القرى المجاورة. ولجأ ابراهيم باشا وموظفوه الى استعمال الشدة والعنف في مكافحة هذا المرض الوبيل. ولكنه عاد فانتشر انتشاراً مريعا، عندما امر الباشا بفتح ابواب المدينة لحجاج النصارى الذين وفدوا لزيارة الاماكن المقدسة.

ومن القدس سرت الكوليرا الى السامرة والساحل وسائر انحاء فلسطين. وظلت تفتك في البلاد حتى اواخر شهر حزيران ١٨٣٩. فمات من جرائها خلق كثير. كما مات منها عدد كبير من جنود ابراهيم

٣٠ — بعد ان اعاد ابراهيم باشا الامور الى نصابها في القدس وفي سائر انحاء فلسطين، سافر الى دمشق. وهناك جرى له ما جرى مما لا يدخل في نطاق بحثنا. فاعتزم الانسحاب. وكان معه يومئذ ٦٢٤٩٩ جنديا.

٣١ — حاول الانسحاب في باديء الامر، عن طريق شرق الاردن ومعان. ولكنه عاد فغير رأيه، بسبب العدد الكبير من جنده الذين راحوا ضحية العطش والجوع. فاعتزم الرجوع عن طريق القدس والخليل، حيث تكثر المياه والمراعي والمؤن. الا ان السر عسكر[1] امر المنلا[2] ان يسلح الفلاحين، وان يحول دون رجوع الباشا عن هذه الطريق مهما كلفه الامر. فاعطاهم هذا كل ما كان لديه من اسلحة[3]. وارسل هو (اي السر عسكر)، في الوقت نفسه، جنودا نظاميين. فامر هؤلاء بان يرابطوا في القلعة، وكان عددهم يومئذ (٢٢ ديسمبر ١٨٤٠) عشرين الفا. وبعد خمسة ايام (٢٧ ديسمبر ١٨٤٠) وصل اثنا عشر الفاً آخرون. رابط قسم منهم (٤٠٠٠) في القدس. ورابط الآخرون على الطريق الكائنة بين القدس ويافا وبين القدس وغزة (٣١ ديسمبر ١٨٤٠).

٣٢ — عندما اتصلت هذه الانباء بابراهيم باشا خشي عاقبة الامر. فعدل عن رأيه الاول، وشطر جيشه الى ثلاثة اقسام[1]: الشطر الاول ارسله الى مصر عن طريق معان والعقبة ونخل، بقيادة سليمان باشا. والشطر الثاني ارسله الى غزة عن طريق المزيريب وحسبان والكرك، بقيادة اسماعيل باشا. والشطر الثالث سار بقيادته هو، وقد سار به نحو الصلت. وتظاهر انه كان ينوي الاغارة على القدس. فاضطر الاتراك ان يستدعوا حاميتهم الموجودة في غزه للدفاع عن القدس. وبهذه الوسيلة تمكن الشطر الثاني من جيشه من الاستيلاء على غزه. فاستولى عليها من غير حرب. وبهذه الوسيلة تمكن من الرجوع الى مصر.

٣٣ — رجع ابراهيم باشا الى مصر بعد ان اقام في هذه البلاد عشرة اعوام. رجع اليها تاركا وراءه عددا غير قليل من المصريين الذين رافقوه في حملته. وقد استوطن هؤلاء بعض المدن والقرى الفلسطينية فصاروا منها. وانك لترى حتى يومنا هذا كثيراً من العائلات الفلسطينية تعود في تاريخها الى اصل مصري.

وتتلخص ارباح ابراهيم باشا من حروبه بموافقة تركيا

(١) كلمة تركية معناها قائد الجيش. وهي مؤلفة من كلمتين: (سر) فارسية، ومعناها الرأس. و(عسكر) عربية، ومعناها الجند. وهذا القائد ارسل من استانبول ليخرج ابراهيم باشا وجنده من فلسطين.

(٢) (المنلا) اللقب الذي كان يطلق على القاضي او النائب المسئول عن الادارة والحكم في القدس.

(٣) قيل انه اعطاهم يومئذ خمسة آلاف بندقية.

(١) (تاريخ شرقي الاردن وقبائلها) لبيك باشا. ص ١٨٠.

وموافقة الدول الاوربية على ان تكون مصر لمحمد علي ولذريته من بعده .

٣٤ — ان الجيش العثماني الذي كان يومئـذ في القدس ، وقد قدروا عـدده بعد انسحاب ابراهيم باشا بعشرين الفا ؛ قضى فصل الشتاء في القدس . ولم يكن من السهل ايواء عدد كبير كهذا من الجند في المدينة . اضف الى ذلك انه سمح في تلك الايام لجميع الافراد الذين اشتركوا في حركة المقاومة ، ان يأتوا لزيارة القدس من جميع انحاء البلاد ؛ فزاروها وزاروا المسجد الاقصى والصخرة . كما قام فريق منهم بزيارة كنيسة القيامة ، وكنيسة المهد في بيت لحم ، والحرم الابراهيمي في الخليل . وفي اواخر شهر شباط من السنة نفسها جاء السر عسكر الى القدس . فصلى في الحرم . وبعد ان زار الاماكن المقدسة كلها عاد الى عكا ، ومنها الى بيروت .

٣٥ — الآن وقـد انتهينا من ذكر الحروب والثورات التي قامت في هذه البلاد على عهد ابراهيم باشا ، نود ان نأتي على ذكر المنشئات التي انشئت في القدس وفي مـا حولها من ضياع خلال ذلك العهد ، فنقول :

(١) على عهده أنشيء (١٨٣٤ م) جانب من القشلاق الواقع بباب الخليل . بناه الى الجنوب من القلعة القديمة التي بناها هيرودس .

(٢) جـدد عمارة السرايا القديمة الكائنة على طريق الجسمانية .

(٣) أنشئت (طاحون الهواء) الواقعة غربي المدينة . فاخذ المقادسة يطحنون فيهـا قمحهم لاول مرة (١٦ اغسطس ١٨٣٩) على نفقـة ابراهيم باشا وبامره . وكانت الغاية من ذلك تزويـد جيشه بالدقيق . وبعد شهر من ذلك التاريخ حذا حذوه الارمن . فانشأوا طاحوناً مثلها في حديقة ديرهم . ثم تبعهم آخرون .

(٤) من آثاره (الزاوية الابراهيمية) الكائنة الى الشمال من ضريح النبي داود على جبل صهيون . انها بنيت على عهده ، ومن اجله . وكان ينزل فيهـا كلما هبـط القدس . ولذلك سميت باسمه .

(٥) عمّر قلعة في وادي الجوز شمالي القدس . واخرى بين وادي الجوز والطور . ليس هـذا فحسب . فقـد أنشأ سلسلة من القلاع[1] لحراسة الطريق بين القدس ويافا . لانها كانت الطريق الرئيسية التي تربط القدس عاصمة البلاد ، بالساحل . وقد عمر أيضاً القلعة الكبيرة الكائنة بالقرب من برك سليمان بين الكيلو ١٢ و ١٣ على طريق الخليل . عمرها بعـد ان كانت مهملة . وكان يرمي من وراء تعميرها الى غرضـين : صون الامن على الطريق ، وصون المياه التي يشرب منها السكان من عبث الزمان .

ومن الحـوادث التي جرت في ذلك العهـد مشاجرة وقعت (١٨٣١) في داخل الكنيسة بين الروم واللاتين من أجل مسألة بسيطة ، وهي ان اللاتين في أثناء ذهابهم الى الجلجلة مروا من أمـام القبر المقدس بينما كان الروم محرمين الى الصلاة . فقال الروم انه كان على اللاتين ان يمروا في مثل هذه الحالة من وراء القبر ، لا مِنْ أمامه . فاختلف الفريقان ، وتشاجرا . وتراشقا بالحجـارة . ثم

(١) بعض هذه القلاع هدم مع الزمن ، وبعضها لا يزال قائمـاً حتى الان .

احتكمـــا الى السلاح . لولا ان تداخلت السلطـة وحجزت ما بينهما .

وفي عام ١٨٣٣ اراد الأرمن ان يستبدلوا حجراً بحجر في مكان له قدسيته في نظرهم . فأراد الروم ان يمنعوهم . واعتزموا قضاء ليلتهم كلها في داخل الكنيسة . فاصطدم الفريقان . واستعملا الحجارة في هـذا الصـدام . وجـــاء قاضي الشرع فأمر بارجاع الحجر الى مكانه .

٣٦ — تطورت البـلاد على عهـده تطوراً نرى من مصلحة العلم والتاريخ ان نذكر شيئاً منه . فنقول[1] :

أ — كان يعيش في القـــدس ، في ذلك العهـد ، عشرون الف نسمة من السكان . الف منهم مسيحيون. وكان كبار البلاد يتباهون بالملابس الفاخرةوالمظاهر الخلابةوكثرة الخدام والاتباع مقلدين في ذلك الولاة والحكام من بني عثمان. فاخذوا يقلدون ابراهيم باشـــا في مـلابسهم وحركاتهم . وكان الباشا ميالا بفطرته وبحكم حياته الجندية الى البساطة في المظهر والتخشن في المعيشة . وقد استبدل عدد غير قليل منهم العمائم بالطربوش المغربي. اذان محمد علي وابراهيم ورجالهما فعلواذلك ابان وجودهم في هذه البلاد.

ب — طرد جميع المتسلمين والموظفين الذين ولاهم عبدالله باشا نيابة عن السلطة في استانبول. ثم امر بنفيهم من البلاد .

جـ — ساوى بين المسلمين واليهود والنصارى . فاعفى النصارى واليهود من عادة النزول عن الدابة اذا ما صادفوا مسلما في طريقهم . تلك العادة التي كانت متبعة من قبل[1] . كما اتاح لهم لبس الحـذاء الاحمر ، وكانوا قبلا يكرهون على ارتداء الملابس السوداء والزرقاء . وامر بان لا يؤخذ من اليهود والنصارى اي مبلغ من المال باسم عوائد ومرتبات) . لا ، ولا ضريبة من النوع المعروف بـ (الاغفار[2]) التي كانت مفروضة على الزوار . والشي الوحيد الذي رضي به هو انه كلف النصارى ان يدفعوا الخراج مقابل تجنيد المسلمين بالجزية وهوما كانوا يسمونه قبلا بالجزية .

د — اتاح للتجار الاجانب البيع والشراء في داخل البلاد . وكان محظوراً عليهم ، قبـل ذلك الاتجار الا في بعض الثغور والمواني الساحلية . ولقداساء التجار الاجانب استعمال هـــذه المنحة . فاتخذوها تكأة لهم ليكونوا لانفسهم دولة ؛ ولا سيما لانه سمح للمتاجر الاجنبية ان تدفع ٣ بالمئة على البضائع التجارية اقـل مما كانت تدفعـه المتاجر الوطنية وهي ٢٠ بالمئة . وراح اكثر التجار يطلبون الدخول تحت حماية قناصل الدول الاجنبية . وكان الانكليز ، بوجه التخصيص ، يرمون الى انقاص دخل الحكومة المصرية لئلا تستطيع الانفاق على جيشها واسطولها .

(١) ننصح الى من شاء التوسع في هذا الباب ان يقرأ الكتاب القيم الذي الفه داود بركات .

(١) اقرا ما كتبناه عن هذا الموضوع في زمن الفاطميين .

(٢) «ذلك لان القدس مقر الرهبان والقسس وبها يتلون الانجيل الشريف . فينبغي حمايتهم» .هذا ما قاله ابراهيم باشا في امره الذي اصدره بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٢٤٧ هـ . وقد وقعه هكذا: الحاج ابراهيم باشا — والي جده وساري عسكر عكا حالا وامر بعد قليل ان يتناول (اصحاب المرتبات) الذين كانوا يستفيدون من هذه الضريبة عوائدهم من خزينة الـدولة . اقرا ماجاء الصفحة ٨٧ من الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا للدكتور اسد رستم .

هـ – الغى الضريبة التي كان يجبيها حراس الكنيسة، آل نسيبة وجوده، منذ عهد صلاح الدين .

و – امر بالغاء الخمس من الحاصلات الزراعية[١] . وزع البذار على الفلاحين . شجع الناس على غرس الاشجار المثمرة كالعنب والتوت والتين والزيتون . وزع على المزارعين المحاريث الزراعية . ادخل الى البلاد انواعا جديدة من الزراعة، واتى اليها بانواع من النبات والاشجار من اوربا . اتى بعدد غير قليل من عرب البادية، واسكنهم القرى والسهول الخصبة، ليزرعوها ويستغلوها . وانشأ مصرفا زراعيا لمساعدة المزارعين .

ز – لاجل حماية صناعة الصابون زاد الضرائب الجمركية على الصابون المستورد بنسبة ٣ بالمئة . فراجت هذه رواجا كبيراً . وكان في القدس يومئذ مصابن كثيرة . وعلى ذكر الصابون نقول : انه كان بالقدس في ذلك العهد وفي ما حولها من البلدان مساحات واسعة من اشجار الزيتون . وكان الزيت مبذولا فيها بدرجة ان المقادسة في سنة من السنين كبوا الزيت القديم، ليجدوا اوعية كافية للزيت الجديد . وكان سعر الرطل من الزيت ٤٨ بارة .

ح – اهتم بطرق المواصلات، فانشأ مسافات غير قليلة من الطرق .

ط – كافح الرشوة . ومنع تقديم الهدايا الى الحكام في شهر رمضان . وضرب على ايدي (شهود الزور) بيد من حديد . وعين الرواتب للموظفين، وكانوا[١] يتناولون اجورهم من اصحاب القضايا . كان الباب العالي يعين المفتي، والمفتي يعين القضاة . وهؤلاء ينظرون في جميع القضايا، ويحكمون باحكام الشرع . فغير هذا الاصول . وانزل قيمة الربا والفوائد المالية .

ي – كان كثير التجوال في المدن والقرى، شديد الرغبة في الاطلاع على ما في البلاد من عادات ومراسم . حضر مرة العيد المعروف بـ (سبت النور) في كنيسة القيامة (١٨٣٤) . ويظهر ان النور قد تأخر فلم يظهر الا في ساعة متأخرة من النهار . وكان الحر يومئذ شديداً . والكنيسة مزدحمة بالالوف من الخلائق . وقام في وسط هذا الازدحام صدام عنيف بين مختلف الطوائف اضطر ابراهيم باشا للتدخل في الامر مع العدد القليل من جنده . وقيل انه من شدة الزحام وقع على الارض مغمياً عليه . فثار ثائر الجند . ومات من الحاضرين خلق كثير . قدر بعضهم[٢] عدد المتوفين يومئذ بمئتي نفس .

٣٧ – كان في القدس يومئذ عدة اسواق، منها: سوق القطانين وهي من منشئات المماليك . وسوق الطباخين وهي المعروفة اليوم بسوق خان الزيت . وثلاث اسواق متوازية هي عبارة عن مسالك طويلة وعقود مستورة هي : سوق العطارين، وسوق التجار والخواجات، وسوق اللحامين، وفي الطرف الشمالي من السوق الاخيرة سوق الجلود والنحاسين . وكانت ساحة القيامة تستعمل كسوق لبيع الشمع والصدف والصلبان والمسابح والكتب الدينية للحجاج من المسيحيين الذين كانوا يفدون الى القدس بقصد زيارة اماكنها المقدسة .

(١) داود بركات . ص ١٤٦ .

(١) داود بركات . ص ١٤٢ .

(٢) Eothen, P. 150

وكان امام جميع الدكاكين او امام الشطر الاكبر منها ، مساطب لجلوس اصحابها من جهة ، وجلوس الزبائن الذين يفدون بقصد الشراء . وانك لترى اليوم قسما من هذه المساطب في سوق التجار . وظلت الاسواق على تلك الحال حتى سنة ١٨٦٣ . اذ منعت السلطات المحلية انشاء مساطب جديدة . وامرت بهدم القديمة . ورصفت الطريق في داخل المدينة بالبلاط .

٣٨ – وعلى ذكر التجارة نقول: ان اكثر التجار ، ان لم نقل كلهم ، كانوا يومئذ اميين . لا يحسنون القراءة والكتابة . ولا يعرفون الطرق المألوفة الان في مسك الدفاتر التجارية . فكان التاجر ، مثلا ، اذا باع شخصا عدسا ، وكان البيع بالدين اي ان المشتري لم يدفع له ثمنه ، يصور (عدسة) في دفتره ويضع تجاهها الارقام الدالة على الوزن والقيمة . واذا باع بالدين سمكة ، رسم السمكة .واذا باع فجلاً رسم الفجلة ، وهكذا دواليك .

واذا كان التاجر ارقى من ذلك ، وكان يحسن القراءة والكتابة ؛فيكتب العدس والفجل والسمك وما الى ذلك من غير رجوع الى الصور والاشكال. لكنه كان يخجل ان يسأل المدين عن اسمه—والخجل شائع عندنا نحن الشرقيين – فيكتب التاجر عندئذ في دفتره وتجاه الشيء الذي باعه بالدين علامة (البرنيطة) للدلالة على ان المدين هو الشخص الذي كان يلبس برنيطة . او علامة (العوينات) للدلالة على انه كان يضع على عينيه نظارات. او (شمسية) او (كوفية وعقال) وما الى ذلك . وقد يكتفي بالقول عن المدين : ابو العوينات ، او ابو البرنيطة، او ابو المنخار الافطس ! . وهكذا دواليك .

٣٩ – وعلى ذكر التجارة ايضاً نقول: ان نفقات المعيشة كانت يومئذ قليلة بدرجة انه كان باستطاعة رب البيت ان يعيش هو وامرأته واطفاله بواحد او اثنين في المئة مما ينفقه في هذا السبيل في يومنا هذا .

فقد قرأت في السجلات القديمة ان دارا في حارة النصارى مؤلفة من ثلاث طبقات، بيعت حوالي تلك الحقبة من الزمن ، بست واربعين زلطة . والزلطة عبارة عن ثلاثين بارة . وكذلك قل عن دار في باب حطة مؤلفة من غرفتين وايوان وصهريج ومنافع مختلفة ،فانها بيعت بخمسة وسبعين قرشاً.

وكسوة الزوجة كانت خلال القرن السابع عشر تكلف ثلاثة قروش في السنة . فما زادت بعد قرنين عن تسعة قروش فتأمل . ومدار المعاملات التجارية كلها كان (الشرف) . فلا سندات ولا عقود خطية ولا كمبيالات . وكثيراً ما سمعنا بصفقات تجارية كبيرة عقدت دون ان يخط الفريقان كلمة واحدة . ودون ان يقول الواحد منهما للآخر كلمة سوى :(الشرف) . وفي بعض الحالات رأينا ان المتعاقدين سجلا اتفاقهما في المحكمة الشرعية : الاخذ على نفسه ان يرد الشيء المأخوذ ، والا فانه يرضى بان تصبح امرأته طالقة . ومن ذا الذي يرضى بان تطلق امرأته من اجل عرض بسيط زائل. اللهم الا اذا كان يكرهها ، وكان يفتش عن حيلة للخلاص منها .

٤٠ – ولا يسعنا ، في ختام هذا الفصل ، وقد حدثناك فيه عن السنوات العشر التي قضاها ابراهيم باشا في هذا البلد : بقضها وقضيضها . بحسناتها وسيئاتها . . الا ان نأتي على ذكر حسنة من افضل حسنات ذلك العهد . ألا وهي : الحيلولة دون مطامع الصهيونية ، والوقوف في وجهها . يدلنا على ذلك ما قرأناه في مذكرات السر موسى حايم منتفيوري ، احد كبار اليهود الانكليز الذي هبط

هذه البلاد في عام ١٨٣٦ م . ويبدو منها ان السر مونتفيوري حاول ان يقنـــع ابراهيم باشا واباه محمد علي باشا ، بوصفه صاحب الامر في فلسطين ، ان يؤجراه ارضاً مساحتهـــا خمسون فداناً ومئتي قرية لخمسين عاماً ، بايجار معين يسدد على اقساط سنوية . وكان ينوي كما جاء في مذكراته التي دونها في صفد وفي ٢٤ ايار ١٨٣٧ ان يدعو اخوانه اليهود المقيمين في اوربا واميركا وجنوب افريقيا للاقامة في تلك القرى واستغلال موارد الثروة في هـــذه البلاد المليئة بالخيرات » . ومتى تم ذلك « عاد آلاف من اليهود الى ارض اسرائيل ووطدوا اقـــدامهم فيهـــا » .

ولكن محمد علي باشا، الذي استشار ولده ابراهيم في هذا المشروع رفضه رفضاً باتاً .

ولقد اطلعنا في (مجموعة الاصول العربيـــة لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا) لجامعهـــا الدكتور اسد رستم[١] على الامر الحكمداري التالي المرسل من مصر الى متسلم القدس ، ومنه يفهم ان اليهود ارادوا يومئذ ان يسمح لهم بشراء الاراضي الا ان الاهالي مانعوا في ذلك ، وايدهم في رغبتهم مجلس الادارة ، والحكومة المركزية[٢] :

« افتخار الاماجد الكرام ذوي الاحترام ولدنا العزيز مصطفى اغا السعيد متسلم القدس الشريف حالاً . انه بهـــذه الاثناء ورد لنا تحرير من جناب محبنا مير اللوى بحري بيك وفي طيه جرتال وارد من مجلس القدس الشريف . والجرنال المرقوم من على معروض متقدم للمجلس من وكيل طائفة السكناج بالقدس الشريف بقصد الاستلام بانه هل يترخص لهم بمشترى الاملاك والاراضي للزراعة وتعاطي الحرث والزرع وتعـــاطى البيع والشراء وبيع الاغنام والابقار وتعاطي مصابن ومعاصر بنـــاء يدفعوا المرتب للميري مثل الرعايا . هذا مضمون استعلامنا . وفهمنا كيفية جواب المجلس بان هذه ما سبق لها امثـــال . وبالوجه الشرعي ايضاً غير مساعد للمستأمنين المذكورين في جميع ما يستدعونه . حيث اراضي تلك الديار برية ووقفية . فالتماسهم بذلك لا يوافق حكم الشريعة ، ما عدا تعاطي البيع والشراء بالتجارة الذي يجلبوها من بلادهم من انواع التجارة . حكم امثالهم الذميين في السوق بان هذه عمال يتعاطوها الان . فلا احد يمانعهم بها . هـــذه ملخص المجاوبة المجلس المبسوط بصورة المذاكرة المرقومة . وهـــذه المجاوبة من المجلس فهي بالحق والطريقة ، والمجاوبة لهم بذلك فهي بمحلها اذ ذاك ان الذى ملتمسينه غير موافق من الوجه الشرعي . واما تعاطيهم البيع والشراء بالسوق قياس امثالهم الذميين فهذا ليس لهم معارضة به . فيلزم والحالة هذه افادة مجلس القدس بذلك ، لكي يكون معلوما عند حضرات ارباب المجلس ان جوابهم بذلك بمحله » . من مصر في ٢٤ محرم سنة ١٢٥٣ هـ الموافق ١٨٣٧م .

---

(١) استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية .

(٢) توجد نسخة من هذا الامر في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس وقد اطلعت عليها

القدس في اواخر الحكم التركي

بعد وفاة السلطان محمود الثاني ، الذي جرت في عهده حوادث جسام ، هي التي ذكرناها في الفصول المتقدمة – ومنها حوادث نابليون بونابارت وابراهيم باشا – تولى **السلطنة عبد المجيد** بن السلطان محمود الثاني (١٨٣٩ م). وقد وضع هذا السلطان اصول التجنيد الاجباري ، وجعلت مدة التجنيد من اربع الى خمس سنوات . ونظمت المحاكم . ومنع الاعدام إلا بعد ثبوت الجرم. ومنح الاهلون حرية التصرف. ومنعت مصادرة الاموال . وجرى التساوي بين رعايا الدولة ورعايا الدول الاجنبية . وحظر على الموظفين قبض الرشوة ، بعد ان عينت لهم رواتب كافية . وقد اقسم السلطان امام جمع من العلماء والوزراء انه سيبذل قصارى جهده من اجل تنفيذ (الفرمان) الذي اصدره بهذا المعنى لشعبه ، وكان مؤرخاً سنة ١٢٥٥ هـ – ١٨٣٩ م .

كان عدد السكان في بيت المقدس يومئذ عشرين الفاً . منهم الف من المسيحيين[١] .

٢ – وكان اول عمل عمله السلطان عبد المجيد ، بعد ان وضع اساس الحكم والعمل في بلاده ، ان اقال ابراهيم باشا عن سورية في (فرمان) تاريخه سنة ١٢٥٦هـ – ١٨٤٠م. وقد عهد بادارة هذا الجزء من البلاد الى احمد آغا الدزدار . فقد رأيت الامر بنصب احمد آغا متسلماً على القدس ، موقعاً من محمد سليم باشا بوصفه: (فريق العساكر المظفرة) . وقد جاء في امر التعيين ان قد (صدرت الارادة الشاهانية باتفاق آراء الدول المتحابة بازالة الاحكام المصرية عن هذه البلاد) .

٣ – ومن الحوادث التي جرت على عهده ١٨٥٣ – ١٨٥٦ (حرب القرم) .

ان السبب الذي خلقته روسيا لحرب القرم كان في الظاهر ، حماية الارثوذكس من المسيحيين ،لا في البلاد المقدسة فحسب ، بل في جميع انحاء المملكة العثمانية . واما السبب الحقيقي فهو ضعف تركيا ، وطمع روسيا في الاستيلاء عليها . وقد وجدت هذه الفرصة سانحة في (بيت المقدس) ، فاهتبلتها (١٨٥٣ م) . واليك البيان :

كان السلطان سليمان (١٥٣٥) والسلاطين الذين اتوا من بعده قد اقروا المبدأ التالي :

« ان الرهبان الافرنسيين لا يتعرض لهم احد في اقامة شعائرهم الدينية في كنيسة القبر المقدس . واذا احتاج ذلك المكان الى ترميم ،فعلى الحكومة العثمانية ان تأذن بذلك بناء على طلب سفير فرنسا » . وقد نال الروم الارثوذكس مثل هذا الحق على عهد صلاح الدين والمماليك وفي فترات مختلفة من التاريخ . فراحت روسيا تدعي انها حامية الارثوذكس في الشرق.وراحت فرنسا تدعي انها حامية اللاتين .

ففي سنة ١٨٥٢ صدر الاذن للاتين ان يتسلموا مفاتيح البابين الشمالي والجنوبي لكنيسة مغارة بيت لحم. وان يضيفوا نجمة من الفضة عليها شعار فرنسا يضعونها في مزار تلك المغارة . فعدت روسيا ذلك خرقاً لحرمتها ، فطلبت تعويضاً ، وامرت جندها

(١) هذا على قول المطران ميخائيل سولومون الكسندر الذي هبط القدس سنة ١٨٤٢ م .

بالزحف صوب الحدود. وبعثت سفيرها (منتشيكوف) الى الآستانة، طالبة تأييد الحماية الروسية لارثوذكس الشرق. ولما رفض الباب العالي هذا الطلب، اعلنت روسيا الحرب على تركيا (١٨٥٣م). قائلة: انها انما اضطرت الى ذلك بقصد الاحتفاظ بحقها في حماية المسيحيين.

انتصرت فرنسا وانكلترا للدولة العثمانية، فاعلنتا الحرب (٢٧ آذار ١٨٥٤). وامر نابليون الثالث اسطوله ان يرسو في سلاميس. ووعدت انكلترا بتقديم اسطولها في البحر المتوسط لنصرة العثمانيين.

ووقفت بروسيا والنمسا على الحياد. ولم تنته الحرب إلا عند اسوار (سواستوبول). انها انتهت بانتصار تركيا. فعقدت على اثر ذلك معاهدة باريس (٣٠ آذار ١٨٥٦). وكان من اهم شروطها[١]:

[١] حياد البحر الاسود.

[٢] قفل الدردنيل في وجه السفن الحربية.

[٣] حرية الملاحة في الطونة.

[٤] احترام املاك تركيا وسيادتها. (باستثنا افلاق والبغدان اللذان سلخا عن تركيا ومنحا استقلالا داخليا تحت سيادة السلطان).

عندما وصلت الى القدس[٢] انباء انتصار الترك على الروس في سواستوبول (١ اكتوبر ١٨٥٦) ساد الفرح جميع طبقات السكان. واقيمت المهرجانات في جميع انحاء المدينة، واقيمت الزينات فاضيئت جميع المنازل ودور القنصليات. كما اضيئت جميع المساجد والمآذن. واطلقت مدافع القلعة واحداً وعشرين طلقة علامة الفرح. وراح الناس يتجولون في الشوارع. وذامت المهرجانات ثلاثة ايام وثلاث ليال.

واصدر السلطان عبد المجيد خطاً همايونياً[١] يقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين في الحقوق والواجبات، من غير تفريق بين العناصر والمذاهب. وانتظم المسيحيون، على اثر ذلك، في الجندية، مثلهم كمثل المسلمين.

٣ – راح قناصل الدول في القدس خلال حرب القرم (١٨٥٣ – ١٨٥٦) يتنافسون. فكانت كل من انكلترا وفرنسا والنمسا واسبانيا وبروسيا تسعى لان تسبق الاخرى في اظهار نفوذها في الشرق، ولاسيا في القدس عرق الشرق النابض في ذلك الحين. اذ كانوا يشبهون تركيا بالرجل المريض. فمن الذي يسبق الآخر لاقتسام تركة هذا المريض عندما يلقى حتفه الاخير؟

ثم نزلت اميركا الى الميدان (١٨٥٧). ثم تبعتها روسيا واليونان (١٨٦٢). فاصبح ممثلو الدول الاجنبية بالقدس ثمانية.

ولما خرجت تركيا من حرب القرم ظافرة، ازداد قنصلا انكلترا وفرنسه نفوذاً في القدس. اذ ان دولتيهما وقفتا كما قدمنا بجانب تركيا في حربها ضد الروس. واليهما يرجع الفضل الاكبر في النتيجة التي وصلت اليها تلك الحرب. فرفع العلم البريطاني على دار القنصلية[٢] للمرة الثانية (١٨٥٦).

---

(١) (تاريخ القرن التاسع عشر) تأليف محمد قاسم وحسين حسني. ص ٢١٥

(٢) J. Finn, P. 362, 364

(١) اي قانونا او ارادة سلطانية.

(٢) جاء في بعض الروايات الانكليزية «ان العلم البريطاني رفع على دار القنصلية الانكليزية بالقدس لاول مرة، من قبل السير سدني. وكان ذلك عام ١٨٩٩». واما المستر J. Finn فانه يقول في الصفحة ٣٦٢ من رحلته: «ان القنصلية الانكليزية في القدس اسست عام ١٨٣٩ =

وطلب القنصل الانكليزي من متصرف القدس كامل باشا ان يحتفي بتتويج الملكة فكتوريا . فأجابه لطلبه ، وامر باطلاق واحد وعشرين طلقة من مدافع القلعة .

ان هذا العمل جرأ القنصل الافرنسي . فراح هذا يطالب بنفس الحق . ورفع العلم الافرنسي على دار القنصلية الافرنسية[١] (١٨٥٦) .

واشترك الافرنسيون في مظاهرات الفرح والسرور التي قامت في المدينة ، واقاموا حفلة دعوا اليها جميع الموظفين الرسميين . فجاء هؤلاء ببدلاتهم الرسمية . ولما ارتفع العلم الافرنسي على دار القنصلية ، حيته مدافع القلعة بواحد وعشرين طلقة[٣] .

ولما منحت النمسا[٤] متصرف القدس كامل باشا وساماً رفع علم النمسا ، واطلقت من اجله واحد وعشرون طلقة من مدافع القلعة . ثم جاء دور اسبانيا[٥] وبروسيا ، فرفعت اعلامها ، وحيتها مدافع القلعة بواحد وعشرين طلقة (١٨٥٦ م) .

= وعلى عهد السلطان عبد المجيد ، يوم إشترى القنصل الانكليزي دار الديسي الكائنة شرقي القلعة بباب الخليل وبنى فيها كنيسة هي التي تعرف الان بكنيسة المسيح (Christ Church)

(١) حاول الافرنسيون ، قبل ذلك التاريخ ، ان يرفعوا العلم الافرنسي مثلث الالوان على دار القنصلية الافرنسية (١٨٤٣) . الا ان المقدسيين لم يمكنوهم من ذلك . بل ، ثاروا عندما سمعوا بعزم الافرنسيين ثورة مضرية . وراحوا الى العلم فانتزعوه . ثم أخذوه ، ومزقوه ، وطرحوه على الارض . فلم يستطع الافرنسيون ان ينبسوا يومئذ ببنت شفة . لانهم كانوا ضعفاء . ولم يكن لهم حول ولا طول : لا في مدينة القدس ، ولا في غيرها من المدن الفلسطينية .

(٢) J. Finn, P. 364

(٣) J. Finn, p. 392

(٤) تأسست القنصلية الاسبانية سنة ١٨٥٠ .

ومن بعد ذلك جاءت اميركا[١] وراحت اعلام الدول ترفرف على قنصلياتها في أيام الآحاد ، والاعياد ، وميلاد السلطان ، والمولد النبوي . كما راح الاجانب يطلبون اطلاق المدافع في أعياد ملوكهم. فغضب المقادسة لهذا العمل غضباً لا مزيد عليه . ونقموا على المتصرف كامل باشا[٢] ، لانه سمح برفع الاعلام الاجنبية على دور القنصليات ، بعد ان كان هذا الأمر ممنوعاً ، ولان مدافع القلعة ما كانت تطلق ، قبل ذلك اليوم ، الا في رمضان والاعياد وفي ذكرى المولد النبوي . وفي الحقيقة انهم كانوا يعارضون فكرة اطلاق المدافع ، ليس في اعياد الملوك الاجانب فحسب ، بل في يوم ميلاد سلطانهم ايضاً ؛ لانهم كانوا يكرهون ان يسمعوا ان السلطان رفع الى مرتبة الانبياء . والانبياء وحدهم هم الجديرون بهاته الدرجة من التعظيم والاجلال .

٤ — ومن الحوادث التي جرت في عهده (١٨٢٣) ان المتسلم سليمان افندي ، وكان هذا يهودياً فاهتدى ، ظلم الناس كثيرا . واعانه في ظلمه قائد الحامية موسى بك الغزي . وكانوا يلقبونه يومئذ (تفنكجي باشي) . فجمعا من الناس ضرائب اكثر مما كان متقررا . والذي لم يدفع ما عليه منها ضرب ، واهين ، واقتيد الى السجن . فاستغل اليهود هذه الفرصة . وتقدموا لادانة دافعي الضرائب ما احتاجوا اليه من مبالغ بفوائد فاحشة . وراح الناس بعد ذلك بكثير يتحدثون عن ظلم هذا الطاغية ، سليمان المهتدي ؛ حتى انهم لقبوه ، لظلمه ، ببلاطس القرن التاسع عشر .

(١) تأسست القنصلية الاميركية سنة ١٨٥٧ .

(٢) شاب ضعيف الادارة ، ذو تربية افرنسية تولى الادارة في ١٥ فبراير ١٨٥٥ . استقبل باطلاق عدد من مدافع القلعه . سكن في الدار التي كانت تعرف قبلا بمدرسة الجاولي . وهي المعروفة بـ (الروضة) في يومنا هذا .

٥ – وازداد هياج الناس بعد ذلك ضد النصارى، ولاسيما الروم من اصل يوناني، عندما وصلت بعض السفن اليونانية الى بيروت. واتهم هؤلاء بالتآمر على سلامة الدولة مع الاجانب. وحاول الاتراك ان ان يسجنوا الارثمذكس في كنيسة القيامة، كما فعلوا في سنة ١٧٩٨ عندما جاء نابليون بونابارت. ولكنهم عدلوا عندما رأوا ان السفن اقلعت من مراسيها.

٦ – ومن الحوادث [١] التي جرت في القدس يومئذ ان البرد اشتد في سنة ١٨٥٣، وهطل ثلج كثيف. وكان الوقود قليلا. الامر الذي اضر بالناس ضررا بليغا. وارتفعت اسعار الطعام وجميع انواع الغذاء. فبيع رغيف الخبز في السوق بسعر لا يتحمله الفقير. هذا فضلا عن انه كان مصنوعاً من القمح الرديء الذي لا يرغب في اكله انسان. وانتشر الجدري انتشارا فظيعا. فمات كثيرون من البرد والجوع والمرض.

كانت الحكومة ضعيفة بدرجة انها لم تستطع ان تفعل شيئاً لتخفيف هذه الضائقة. والباشا كان ضعيفا بدرجة انه لم يستطع ان يضرب على ايدي التجار الاستغلاليين.

ثم اقيل الباشا لضعفه. واستبدل بباشا اقوى منه. فاخذ هذا يطارد التجار، وراح يصادر ما ادخروه في مخازنهم من غلال. وانزلت هذه الى السوق. فهبطت الأسعار وتنفس الفقراء الصعداء.

٧ – وفي سنة ١٨٥٤ ايضا كان الشتاء قاسيا، والبرد قارصا. وقد هطلت امطار غزيرة. ثم تبعتها زوابع ورياح. وزاد في الطين بلة ان الحكومة صادرت ما كان عند الناس من حبوب باسم الحرب واطعام الجيش. وان دفعت في بعض الاحيان ثمنه فبالورق لا بالذهب. وبالسعر الذي تعينه هي، لا بالسعر الذي كان رائجاً في السوق. فظهرت في القدس مجاعة لا بسبب قلة الامطار وانما بسبب طمع الاستغلاليين من التجار. وقد عضت بنابها جميع الطبقات. واضطر الفلاحون للاستدانة بالربا الفاحش. وقيل انه مات في تلك السنة بسبب هذه المجاعة وسوء التغذية ما يقرب من ٨٠٠ طفل مسلم خلال ثلاثة اسابيع.

٨ – وفي سنة ١٨٥٥ كان المطر قليلا، فاجدب الزرع، وارتفعت اسعار الحبوب، وتكررت المجاعة. لا بل صعدت اسعار القمح والارز الى ضعفي ما كانت عليه في السنة السابقة (١٨٥٤). ولم تسقط الامطار في شهري اكتوبر ونوفمبر كالمعتاد. ولذلك لم يتمكن الفلاحون من زرع اراضيهم. ووصل البؤس الى درجة عمت جميع طبقات الشعب. دعا الباشا في نوفمبر جميع القناصل لدار الحكومة واستشارهم في الامر. فاشاروا عليه ببيع القمح المخزون في مخازن الحكومة باسعار معتدلة. وقد اشتدت حاجة الناس الى الماء. فصاموا، وصلوا صلوات الاستسقاء. وفي ١٧ ديسمبر هطل المطر بشدة، ودام بضع ساعات. فتنفس الناس الصعداء. وقد عاد المطر مرة اخرى في ٦ يناير. وفي اليوم التالي هطل الثلج. وفي هذا ما فيه من نفع للزرع. فهبطت اسعار المياه المعدة للشرب.

٩ – وفي مطلع عام ١٨٥٦ هطلت امطار غزيرة. فسالت الوديان، وظهر الماء بكثرة من عين ايوب. فانتعش الفلاحون، واشتدت الامطار في نهاية آذار

---

(١) اقتبسنا بعض هذه الحوادث من مذكرات المستر ج. فن Mr. J. Finn الذي كان يومئذ قنصلا لبريطانيا في القدس. انظر الى الصفحات ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٣٦ و ٤٣٨ و ٤٤٧ من مذكراته.

وفي اواسط ابريل فامتلأت الآبار ، وترعرت الزروع . واعقب ذلك خصاب جاء من ورائه هبوط في الاسعار . فتحسنت حالة البلدالاقتصادية. وازدهرت القدس في ربيع تلك السنة ازدهارا لم يسبق له مثيل . وكان فيها من السكان عشرون الفاً وفي سنة ١٨٥٧ أسست اول قنصلية امركية في القدس . وفي ١٨٥٨ خرج المقدسيون من المدينة القديمة وراحوا يبنون العمارات خارج السور .

١٠ – بعد عبد المجيد تولى السلطنة اخوه السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني (١٨٦٠م) . وعلى عهده انشئت الطريق التي تربط يافا بالقدس (١٨٦٧ م) . والطريق التي تربط القدس بنابلس (١٨٧٠م) . وعلى عهده ايضاً (١٨٦١ م) عرف الاتراك وعرف معهم سكان بيت المقدس الطربوش، ولبسوه ، وكانوا يومئذ يسمونه (سربوش[١]) . وكان عدد سكان القدس يومئذ ثمانية وستين الفاً .

١١ – ولما خلع عبد العزيز اقيم مكانه السلطان مراد الخامس بن عبد المجيد (١٨٧٦ م) . ولكن هذا لم يمكث على العرش اكثر من بضعة ايام بسبب ضعف عقله . وسادت الفوضى في تلك الفترة من الزمن فساءت حالة الفلاح ، وراح يدفع خمس محصولاته اعشارا . وكان يطالب بضريبة عن كل شجرة يزرعها في ارضه . والبدو لم ينفكوا عن غزو المزارع .

١٢ – ولما خلع السلطان مراد اعتلى سده الملك **السلطان عبد الحميد الثاني** بن السلطان عبد المجيد خان (١٢٩٣ ه – ١٨٧٦ م) . وعلى عهد هذا السلطان حدثت في البلاد حوادث جسام .

(١) انتقل الطربوش الى تركيا عن طريق اليونان . وهـذه اخذته من مدينة (فا ن) من اعمال مراكش .

ذكرنا اكثرها في الفصول المختصة بها ، والبعض الاخر ندرجه في السطور التالية :

جلس على كرسي السلطنة في ١١ شعبان ١٢٩٣ ه – ١٨٧٦م . وبتأثير من الصدر الاعظم[١] مدحت باشا[٢] منح الشعب حرية القول والعمل والاجتماع . وقد نشر القانون الاساسي (الدستور). وامر بانتخاب (مجلس العموم[٣]) . وكان ذلك بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ ه . وكان على اعضاء (مجلس العموم) ان يقسموا يمين الطاعة والولاء للدستور وللسلطان . اما اعضاء مجلس الاعيان فيعينهم السلطان من رجال الدولة الخبيرين ، على الا يكونوا فوق الاربعين من العمر ، والا يتجاوز عددهم ثلثي عدد الاعضاء في مجلس المبعوثين . ويبقى العضو في مجلس الاعيان ما دام في قيد الحياة. ويتناول من خزانة الدولة عشرة آلاف قرش .

واما اعضاء مجلس المبعوثين[٤] فينتخبون من قبل الشعب انتخاباً على درجتين . والانتخاب سري . ولكل خمسين الفاً من أبناء البلاد مبعوث . ويشترط في المبعوث ان يكون من رعايا الدولة العثمانية وان يعرف اللغة التركية ، وان يكون فوق الثلاثين من العمر ، وان لا يكون خادماً عند الغير او مفلساً او ساقطاً من الحقوق المدنية .

والانتخاب يتكرر مرة في كل اربع سنوات .

(١) هـذا هو اللقب الذي كان الاتراك يطلقونه على رئيس وزرائهم .

(٢) انه بطل الحرية والدستور ، وكان يدعى (رئيس الاحرار العثمانيين)

(٣) (مجلس العموم) مؤلف من هيئتين : – (مجلس الاعيان) و (مجلس المبعوثين)

(٤) جمع (مبعوث) وهو النائب . وكان الاتراك يطلقون على هذا المجلس: (مجلس مبعوثان).

والمبعوث لا يعتبر ممثلا للمنطقة التي انتخبته ، وانما يعتبر ممثلا لجميع انحاء المملكة العثمانية .

وقد ناب عن القدس في هذا المجلس يوسف ضيا باشا الخالدي[١] (١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧ م) .

أكد السلطان لرعاياه في الدستور انه لن يفرق بين دين ودين ، ولا بين انسان وانسان . فالكل سواء تجاه القانون . (التركيـة) لسان الدولة . ودينها (الاسلام) . والخلافة في بني عثمان . ان السلطان مقدس وغير مسؤول . وان الانسان حر في تصرفاته ، شريطة ان لا يعتدي على حق الغير . (المساكن) حرة . و (المطبوعات) ايضاً حرة ضمن القـانون . و (التدريس) مطلق . وللامم المختلفـة الحق في وضع مناهج التعليم لديني التي يرتأونها في مـدارسهم ، على ان يكونوا خاضعـين لنظام الدولة . والضرائب توزع حسب مقـدرة المكلفين . (الانقارية[٢]) ممنوعة ، الا ما لزم منها اثناء الحرب . ولا يجوز مصادرة اموال النـاس واملاكهم من بين ايديهم ، الا ما لزم منها للمصالح العامة ، على ان تدفع اثمانهـا مقدماً . (الرشوة) غير جائزة . وكذلك قل عن جميع انواع الاذى والتعذيب .

السلطان هو الذي يعين الصدر الأعظم وشيخ الاسلام رأساً . وباقي الوزراء يعينون بارادة سنية . والوزراء يحاكمون ضمن القانون . ولاعضاء البرلمان الحق في سؤال الوزراء عن حركاتهم وتصرفاتهم .

ولقد حصر السلطان في يده حق تعيين الوكلاء وعزلهم ، وتوجيـه المناصب والاوسمة . وصك النقود ، والخطبة ، واعـلان الحرب ، والصلح ، وعقد المعاهدات مع الدول الاجنبية ، وقيـادة القوى البرية والبحرية وسن الانظمـة التي تتعلق بتنفيذ الاحكام الشرعية والقانونية ، وحق العفو عن المحكومين والمسجونين وتخفيف الجزاء .

كما حصر في يـده حق دعوة المجلس العمومي وتعطيله . واجراء أنتخابات جديدة عند الاقتضاء . ولكن البلاد العثمانية لم تنعم بهذه الحرية زمناً طويلا . اذ لم يكد ينقضي على نشر الدستور سنتان حتى استرد السلطان عبد الحميد بيده اليسرى ما اعطاه باليمنى . فالغى الدستور . واغلق (مجلس المبعوثين) واخذ يطارد المبعوثين انفسهم . وراح يدير البلاد وفق ارادته الشخصيـة ، غـير حـاسب للأمـة حساباً (١٢٩٥ هـ — ١٧٨٧ م) . وكانت الحالة في فلسطين بوجه عام وفي القدس بوجه خاص تسير من سيء الى أسوأ من جميع الجهـات الزراعيـة والاقتصـادية والادارية .

١٣ — على عهـد السلطان عبد الحميـد قامت حرب بين روسيا وتركيا (١٢٩٤هـ — ١٨٧٧م) .

---

(١) من آل الخالدي ، وهم من العائلات الشهيرة في بيت المقدس . نزلوا القـدس في اوائل الفتح الاسلامي . ورحلوا عنها في زمن الصليبيين الى جمـاعين . واستوطنوا خربة مابرحت الى الان تعرف بـ (دير بجالة) على مقربة من برده . وكان يطلق عليهم يومئـذ لقب (الديري) . وذلك لانه كان في الحارة التي نزلوا فيها دير . وقال آخرون ان لقب الديري هذا اتاهم من الحارة التي نزلوا فيها ببيت المقدس . ويوسف باشا هذا هو ابن قاضي ارضروم محمد علي الخالدي . طلب العلم في جوار المسجد الاقصى . ومكث مـدة في كلية مالطة . ثم انتقل الى الاستانة فأتم دراسته في جامعتها . وتولى رئاسة بلدية القدس (انه الرئيس الرابع) . وناب عن القدس في مجلس المبعوثين . وعين استاذاً للغات السامية في جامعة فينا انه مولع بالشعر والادب . فقد كان مغرماً بلبيد الشاعر . وقد طبع ديوانه في فينا وشرحه . وله كتاب موضوعه (انا) وفيه آراؤه في الاصلاح . ومن كتبـه (التحفة الحميدية في اللغة الكردية) جمع فيه مفردات هذه اللغة وقواعدها (طبع في الاستانة سنة ١٣١٠ هـ)

(٢) الشغل بالجبر والاكراه .

وصــدر قانون (١٨٨٢) يحرم هجرة اليهود الى فلسطين وشرائهم الاراضي فيها . ثم عـدل القانون فسمح لليهود بدخول فلسطين والبقاء فيها لمدة ثلاثة شهور بقصد العبادة . وصدر قانون يقضي بمنع تجارة الرقيق (١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م) . وانشئت السكة الحديدية بين القدس ويافا (١٨٩٢م) وانشيء المستشفى البلدي الكائن غربي مدينة القدس (١٨٩١). وانشيء السبيل الذي كان قائما تجاه باب الخليل الى الغرب (١٩٠٧) .وجددت عمــارة السبيل الكائن في الحرم بين باب القطانين والصخرة والمعروف بسبيل قايتباي. وم ع (١٩٠٥)ادخال آلات التلفون الى القدس وسائر انحــاء المملكة العثمانية ،واستعمل اللاسلكي .

وزار امبراطور الالمان غليوم القدس (١٨٩٧) واستقبل فيها استقبالا فخما . ان الحكومة فتحت له ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل ، ليتمكن من دخول المدينة ممتطيا ظهر جواده . وقـد طم قسم من الخندق يومئـذ ، وهو القسم الكائن بين البرج في الشمال الغربي وباب الخليل . وبهذه المناسبة هدم السور الذي كان يصل الابراج بعضها ببعض .

١٤ - وازداد تنافس الدول الاجنبية بالقدس في عهد السلطان عبد الحميد . وتأسست قنصليات جديدة غير تلك التي تأسست في زمن السلطان عبد المجيد .

ففي عام ١٨٨٥ نرى قنصل المانيا يقوم باعمال القنصلية بصفته مندوبا من لدن امبراطور المانيا وملك بروسيا .

وفي عام ١٨٨٦ نرى الحكومة التركية تعترف بوجود ملحق تجاري (شهبندر) في القدس لدولة العجم .

وفي عام ١٨٨٨ نراها تعترف بوجود قنصــل روسي يحمي المصالح الروسية في القدس .

وكان القنصل عنــدما يصل الى بيت المقدس يواجه المتصرف والنائب ،ويقــدم اليهما اوراق اعتماده ، ورسالة التوصية التي يحملها من ولاة الامور في الاستانة ، معنونة الى المتصرف والنائب معا . والرسالة تشتمل على اشياء كثيرة منها اسم القنصل الجديد واسم سلفه ، والمدة التي سيمكثها بالقدس ، وصلاحياته تجاهرعايا الدولةالتي ينتمي اليها والدولة التي يعيش في كنفها ، والامتيازات التي يجوز له ان يتمتع بها ، مع الطلب بان تتخذ جميع التدابير اللازمه لاجل حمايته ودرء الشر عنه .

١٥ - كانت الكلمة العليا ، خلال العهد التركي، للعرب سكان البـلاد الاصليين ، وبالاحرى للمسلمين منهم ، رغم وجود هذا العدد من القناصل. حتى ان الاجنبي الذي ينتمي الى احدى هــذه الدول الاجنبية ويعتبر نفسه من رعاياها ، ماكان يستطيع ان يتملك في مدينة اي نوع من انواع الملك الا باذن من المتسلم او المتصرف . وكان يشترط ان يصادق على هذا الاذن (مجلس الادارة) المؤلف من عدد من الموظفين وآخرين من مشايخ البلاد .

حاول اليهود مراراً ان يقنعوا مشايخ البلاد ورؤساءها ، كي يعدلوا عن خطتهم ، ويوافقوا على ادخال ولو عدد محدود منهم الى فلسطين ، والسماح لهم بشراء الاراضي وتملكها . إلا انهم لم يفلحوا .
ورأى اليهود بعــدئذ ان يولوا وجوهم شطر الآستانة ومقاماتها العليا . وفي مقدمتها الوزراء . وما كان في مقدور الوزراء ان يفعلوا شيئاً دون ارادة السلطان ورضاه . ولهذا راح هرتسل . . . واضع فكرة الدولة اليهودية . . يترددعلى استانبول محاولاً اقناع السلطان عبد الحميد . وازداد تردده

على العاصمة بين عامي ١٨٩٧ و ١٩٠٢ . ولكن عبد الحميد ابى ان يصغي لتوسلاته. ورفض المشروع الذي عرضه عليه (١٩٠٢ م) من حيث السماح لليهود بشراء الاراضي بفلسطين ، لقاء مؤازرتهم له في السياسة الدولية وامدادهم اياه بالمال الوفير .

واليك ما قاله الدكتور هرتسل نفسه عن الجواب الذي تلقاه من السلطان يومئذ في يومياته[1]. قال :

« بعث السلطان اليّ وساماً عالي الدرجة . ومع الوسام جواب مفرغ في هذه العبارات : « بلغوا الدكتور هرتسل ألا يبذل بعد اليوم شيئاً من المحاولة في هذا الامر . فاني لست مستعداً أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكي . بل هي ملك شعبي . وشعبي روّى تربتها بدمائه . فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ! . »

١٦ – ولكن الوضع تبدل بعد الانقلاب العثماني (١٩٠٨ م) . ذلك الانقلاب الذي اطاح بعبدالحميد وعرشه . وجاء بجمعية (الاتحاد والترقي) الى دست الحكم . وراح رجال هذه الجمعية يسيرون على سياسة قومية تركية . . ترمي الى تتريك العناصر الاخرى غير التركية . . . واندس بينهم عدد من الاتراك المعروفين بـ (الدونمة)[2] . وتغلغل هؤلاء في اداة الحكم ، حتى اصبحت كلمتهم هي العليا . فقد رأينا أربعة منهم[3] يحتلون في عام ١٩١٣ م ارفع المناصب . وعن طريقهم وغيرهم من رجال (الاتحاد والترقي) سنت الحكومة قانوناً يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضي في فلسطين . وسنت أيضاً قانوناً آخر أجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية[1] بالمزاد العلني . وعن طريق هذين القانونين تمكنت الجمعيات الصهيونية من شراء ما شرته من اراضي فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية (١٩١٤ م) .

١٧ – ومع هذا كله عرف عهد السلطان عبد الحميد بعهد الظلم والاستبداد . اذ ما كان رجل ينطق بكلمة يشتم منها رائحة (الحرية) إلا ويصيبه ما يصيب الاحرار من نفي واضطهاد . و (المنفيان) المشهوران في ذلك الزمن هما : (سينوب) و (اليمن) . ولقد كثر عدد الجواسيس في البلاد ، وساءت الاحوال الى درجة ان اصبح المرء لا يثق باخيه ، والابن بابيه .

ظل الامر كذلك حتى سنة ١٩٠٨ للميلاد . وفي تلك السنة اعيد اعلان الحرية والدستور على يد رجال (جمعية الاتحاد والترقي) . اراد السلطان عبد الحميد ، في باديء الامر ، ان يخاتل كما فعل في المرة الاولى . فاعلن الدستور . ولكنه بعد بضعة شهور راح يعمل على اثارة الفتن بين الناس ، فأخذ قسم من هؤلاء ينادون بوجوب الغاء الدستور ، والعمل باحكام الشريعة الاسلامية . وكادت تقوم الفتن في البلاد . لولا ان تدارك العقلاء الامر . فاسقطوا السلطان عبد الحميد عن عرشه ، واقاموا مقامه اخاه السلطان محمد رشاد الخامس ١٤ نيسان ١٣٢٥ هـ – ١٩٠٨ م .

١٨ – على عهد السلطان محمد رشاد الخامس اعلنت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٧)

---

(١) طبعت يوميات هرتسل هذه باللغة الالمانية وفي تل ابيب سنة ١٩٣٤ .

(٢) يهود ارتدوا عن دينهم اليهودي ، واعتنقوا الدين الاسلامي

(٣) جاويدبك وزير المالية وهو من سلانيك بساريا افندي وزير النافعة وهو من رومانيا . نسيم مازلياح وزير التجارة والزراعة وكان هذا ممثلا للجمعية الصهيونية . حسين جاهد (بالتشين) رئيس تحرير جريدة (طنين) التركية .

(١) عرفت هذه المزارع بـ (الجفتلك) . وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحميد . وهي كثيرة .

وخاض الاتراك العثمانيون غمارها في جانب حلفائهم الالمان . والغيت الامتيازات الاجنبية وكانت جيوش الاتراك تقاتل الانكليز وحلفاءهم الروس والافرنسيين في خمس جبهات : في القفقاس، والدردنيل، والعراق، ورومانيا، وفلسطين . ولكنهم خسروها. واحتل الانكليز القدس(١٩١٧)وفلسطين كما احتلوا عاصمة البلاد : القسطنطينية . واملوا على الاتراك ارادتهم.

١٩ ـ في تلك الاثناء كان السلطان محمد رشاد قد توفي . وتولى السلطنة من بعده **السلطان محمد وحيد الدين** . ولما انتصر الاتراك على اليونان في حربهم معهم (ايلول ١٩٢٢) ونادى (**المجلس الوطني الكبير**) الذي انعقد في انقرة بوجوب فصل السلطنة عن الخلافة ، هرب السلطان محمد وحيد الدين من الآستانة ،خوفاً من نقمة الكماليين الذين كانوا يعتقدون انه ميال للانكليز .

٢٠ ـ عندها بايع الاتراك الامير عبد المجيد بالخلافة (الجمعه ٢٤/١١/١٩٢٢) . اي ان **عبد المجيد الثاني** ابن السلطان عبد الحميد الثاني اعتبر خليفة فقط ،ولم يعتبر سلطاناً .

٢١ ـ ولكن الاتراك عادوا ،فالغوا الخلافة ايضاً. وارسل المجلس الوطني الكبير في انقرة الذي اقر هذا الالغاء الى الآستانة وفداً مؤلفاً من والي الآستانة ومدير الامن العام فيها . فوصل هذا الوفد الى الآستانة حاملاً قرار المجلس . فبلغه الى الخليفة . وسافر هذا من فوره الى سويسرا . ومكث هناك مدة لم ينقطع عن المطالبة بحقه في كرسي الملك الذي ورثه عن اجداده آل عثمان . الى ان مات . وعلى قول انه مات في ايطاليا ، ونقلت رفاته الى الشام، ودفن فيها. وهو يعتبر آخر سلاطين بني عثمان .

٢٢ - ثار الاتراك على معاهدة الصلح التي عقدها الخليفة مع الانكليز وحلفائهم. وتمكنوا من تمزيقها .ثم اعلنوا الجمهورية . وانتخبوا رئيساً لها القائد الذي قاد جيش النصر في حربه مع اليونان ، الا وهو (**مصطفى كمال**) . واطلقوا عليه لقب (اتاتورك) اي ابو الترك. وجرى في تركيا ماجرى من الامور التي لا تدخل في نطاق بحثنا هذا . وكل ما يهمنا تدوينه هنا ، من الناحية التاريخية ، ان القدس وفلسطين لم تعد تابعة لتركيا . وقد دخلت تحت الانتداب البريطاني كما سنبين ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

٢٣ – وقبل ان نختتم عهد الاتراك في بيت المقدس نرى من الفائدة ان نذكر ان اول سيارة رأتها القدس كانت في ١٩٠٨ . وكانت هذه المانية الصنع . وقد استغرب المقدسيون امرها ، فراحوا يتحدثون عن (المركبة من غير خيل) . وكانت هذه واسطة النقل المعروفه في القدس . **ومع ذلك فلم تستعمل القدس السيارات واسطة للنقل الا في اوائل الاحتلال البريطاني ١٩١٩ .**

وفي عام ١٩١٢ هبطت في القدس اول طائرة . وكانت هذه فرنسية . هبطت في البقعة الفوقا غربي جبل المكبر . ولم يكن في القدس يومئذ مطار ، ولا محطة للاذاعة ، ولا هم يحزنون ! . .

* *
•

القدس

ومعالم الحكم التركي فيها

- منشئات الاتراك في القدس
- كيف كانت القدس تدار في العهد التركي؟
- القضاة ونواب الشرع
- مجلس الشورى . مجلس العموم. المبعوثان
- السلاطين والولاة والمتسلمون
- النظام المالي والحياة الاقتصادية
- النقود والمسكوكات
- مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة
- الامن : الثورات والفتن الداخلية
- الثورة العربية الكبرى وزوال الحكم التركي

منشئات الاتراك في القدس

١ - **السور** بشكله الحالي بناه الاتراك ، وبالاحرى جددوا عمارته ،وبنوا الجزء العلوي منه، وكان ذلك في زمن السلطان سليمان القانوني . ولا يزال اسمه منقوشاً عليه . نقول انهم جددوا عمارته . ذلك لان اساساته وقسما كبيرا من جدرانه كانت قائمة ، والقسم الآخر كان متهدما[١] . وبعد ان تمت عمارته على عهد السلطان سليمان قيس فجاء طوله في نحو اربعة كيلو مترات . ودامت العمارة على ما يظهر ، قرابة خمسة أعوام . اذا انا نستدل من الكتابات المنقوشة على جدرانه ، انهم بدأوا في تعميره سنة (٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م) . هناك بلاطة فوق باب العمود ، نقش عليها التاريخ التالي : سنة ٩٤٤ هـ - ١٥٣٧ م . والبلاطة الكائنة فوق باب الاسباط ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م . وكذلك قل عن البلاطة الكائنة فوق باب الخليل . واما البلاطة الكائنة فوق باب النبي داود فقد نقش عليها ٩٤٧ هـ - ١٥٤٠ م .

ظلت مدينة القدس منحصرة ضمن الاسوار قرابة ثلاثة قرون . حتى اننا لم نعثر ، بين حوادث عام ١٨٥٩ للميلاد ، على ما يدل على انه كانت هناك يومئذ أية دار خارج السور معدة للسكن .

كانت ابواب السور كلها تغلق عند الغروب . فاذا كان انسان خارج السور ، ورجع الى المدينة بعد الغروب ، لا يفتح له الباب . فيضطر لقضاء ليلته خارج السور . وبهذا يعرض نفسه الى خطر الوقوع فريسة بين أنياب الوحوش . . . وكان يربض وراء الابواب حراس من الجنود النظاميين لاجل الحراسة . وكان هؤلاء الخفراء يتناوبون العمل في كل ساعة . فالذي تنتهي (ساعته) يسلم العمل الى زميله الذي يأتي بعده . ولكي يتمكن هؤلاء من ضبط الوقت كان هناك قزازتان : احداهما مملوءة بالرمل والاخرى فارغة . وهما مرتبطتان بانبوب رفيع ينقل الرمل من الواحدة الى الاخرى . على ان تكون الاولى اعلى من الثانية . وعندما يفرغ الرمل من الواحدة ، يكون دور الخفير قد انتهى . فيوقظ زميله ، ويسلمه الخفارة . وهكذا دواليك .

وعندما تأسست (المسكوبية ١٨٥٨ م) في موقعها الحالي المعروف يومئذ (برأس الميدان) وكثر الاتصال بين السكان ، فتحوا في كل باب كبير ثغرة سموها : (الخوخة) . وكانوا يفتحونها للمضطرين . عندئذ (١٨٥٨ م) اخذنا نسمع بوجود الدور والمنازل خارج السور عند المسكوبية . وفي سنة ١٨٦٨ م رأينا عدداً آخر من المنازل المعدة للسكن تبنى على الطريق المعروفة الآن بطريق ماملا ؛ وحوالي سنة ١٨٧٠ م نقرأ ان الارض الواقعة بين باب الخليل والقطمون كانت مسرحاً

(١) تذكر ما قلناه في غير هذا الموضع عن الامر الذي اصدره الملك المعظم عيسى في سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م بتخريب السور خوفا من استيلاء الفرنج . فخربت يومئذ اسوار المدينة وابراجها . وعند ما عقد الملك الكامل بن الملك العادل (اخو صلاح الدين) الهدنة مع الامبراطور فريدريك (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) وكان من جملة شروطها تسليم القدس الى الفرنج ، اشترط عليهم الا يعمروا السور الذي خربه الملك المعظم . ولم يعمر بعد ذلك التاريخ الا قليلا .

للغزلان . ليس فيها ابنيـة ولا عمران . وفي سنة ١٨٨١ م كان عدد العمارات المنشأة خارج السور قليلة بدرجة تكاد تعـد على الاصابع . وعندما انتشرت المنازل خارج السور ، اخـذت السلطة تتساهل في مسألةاغلاقالابوابعد الغروب .غير ان هذه الابواب ظلت تغلق كالمعتاد في منتصف النهار من يوم الجمعة ، لمدة ساعتين ، ليتمـكن الجنود المرابطون في القلعة من الذهاب الى المسجد الاقصى وتأدية فريضة الجمعة[1]. ولم نسمع بزوالهذهالعادة القديمة التي بلغت اشدها خلال عام ١٨٥٥ للميلاد ، الا في اواخر القرن التاسع عشر .

وكان سكانالمدينة ، اذاماخرجوا خارجالسور، يسيرونفيحمايةشيوخالقرىالمجاورة كلفتا،وابوديس، والمالحة ، وما الى ذلك.وكان هؤلاء المشايخ يقومون بمهمتهم التي تتلخص في حماية التجار وطرق التجارة لقاء جعل معلوم . وكان الأمر على عكس ذلك، اذا ما دخل القرويون الى المدينة . فقد كانوا يفـدون الى الافندية والزعماء من شيوخ المدينة . وكانهؤلاء يقومون بدور الوساطة بين القرويين وطبقة الحـكام من الموظفين . ولطالمـا اثرى هؤلاء على حساب الآخرين ! .

٢ ـ **السكة الحديدية** من المنشئات التي تمت على عهد الاتراك بالقدس السكة الحديدية التي تربطهـا بيافا . انشأتها (شركة الخطوط الحديدية العثمانية ليافا – القدس) وهي شركة افرنسية اسست في باريز سنة ١٨٨٩ . بوشر بانشاء هذا الخط في نيسان ١٨٨٩ . وانتهى العمل في ايـلول ١٨٩٢ . طول السكة ٨٧ كيلو مترا . وهي سكة ضيقة بحثناعنها بالتفصيل في غير هذا المـكان .

ومحطة القدس واقعة في حي البقعة . وقد كان هذا الحي ، قبل انشاء السكة ، مهجوراً . وكان الامن مفقوداً ، حتى ان ادارة السكة اضطرت ،في باديء الامر ، ان تـدفع (الخاوه) لمشايخ قرية المالحة . فحموا الخط ، وصانوا الامن ، طوال المدة التي سارت فيها اعمال الانشاء .

٣ – **الطرق والشوارع** اما الشوارع في داخل المدينة ، فقد كانت ضيقة للغاية . وكانت قذرة . ومرصوفة رصفاً رديئاً . وامام اكـثر الدكاكين مساطب لجلوس المشترين . وقد ظلت الحال علىهذا المنوال حتى سنة ١٨٦٣ م يوم منعت السلطة انشاء مساطب جديدة ، وأمرت بهدم المساطب القديمة . ورصفت الشوارع التي تمر من الاسواق بالبـلاط .

وفي سنة ١٨٨٥ رفع البلاط القديم من شوارع القدس القديمة وازقتها ، ووضع بدلا منه البلاط الذي نراه في يومنا هذا ، في معظم شوارع المدينة . ولقد رفع وسط الشوارع ارتفاعاً قليلا ، وانشئت على جوانبها اقنية تجري مياه الامطار فيها .

هذا في داخل المدينة . واما في خارجها ، فلم يكن ثمة طرق تربط القدس بالقرى والمدن المجاورة لها . ولا كانت هناك وسائل للنقل ، سوى الخيل والجمال والحمير والبغال . وكان الاتراك يعتقـدون ان الطرق المعبدة ووسائل النقل المنظمة تستهوي الاجانب ، فيأتون الى البلاد ويستولون على مرافقها بسهولة ! . .

فلاول مرة في تاريخ القدس انشئت الطريق التي تربط يافـا بالقدس . وكان ذلك حـوالي سنة ١٢٨٤ هـ – ١٨٦٧ م وعلىعهد السلطان عبدالعزيز. ويقال انها انشئت من لدن اول مدير انتدب لادارة القدس باسم (متصرف) . وكان الموظف الاكـبر

(١) اذ لا يجوز للجنـد ان يحملوا السلاح في اثناء الصلاة . وكانوا يخشون مهاجمة الاعداء اثناء الصلاة .

المسئول عن ادارتها يدعى متسلما . والمعتقد انــه نظيف باشا . وكذلك قيل عن الطريق بين القدس ونابلس . فقد انشئت عام ١٨٧٠ م .

٤ — **المستشفى البلدي** بني على عهد السلطان عبد الحميد الثاني . وكان ذلك في ٢٤ نيسان ١٣٠٧ رومي (١٨٩١ م) . بنوه في حي الشيخ بدر الكائن غربي المدينة . وهــذا الحي معروف في يومنا هــذا بـ (روميما) .

٥ — **برج الساعة** بناء مربع الشكل مرتفع ، اقامه الاتراك على السور فوق باب الخليل . اقاموه (سنة ١٩٠٩ م) احتفاء بمرور ثلاث وثلاثين سنة على جلوس السلطان عبد الحميد الثاني . كان يعرف بـ (الساعة) . اذ كان في كل ضلع من اضلاعــه الاربعة — عند القمة — ساعة كبيرة يراها السكان الساكنون في اي حي كان . والذي عمل على اقامته هو متصرف القدس على اكرم بك[١] .

٦ — **القلعــة** واقعة قبلي باب الخليل وبالقرب منه . انها قديمة العهد . لم يكن الاتراك أول من انشأها . ولكنهم رمموها ، واضافوا اليها منشئات كثيرة .

يقرأ الداخل الى القلعة من مدخلها الامامي في الناحية الشرقية الكلمات الاتية ، وهي منقوشة على بلاطة وضعت فوق القوس :

« امر بترميم الحصنة[٢] الشريفة السلطان الاعظم والخاقــان المعظم مالك رقاب الامم

(١) هدم الانكليز ، عند احتلالهم القدس ، هذا البناء ، وبنوا بدلا منه (برجا للساعة) في الميدان الكائن امــام مبنى دار البلدية ، عند مفرق الطرق الموصـلة الى باب الخليل وطريق باب العامود وطريق المسكوبية . ثم عادوا ، فهدموا هذا البرج ايضا . ولم يستبدلوه بغيره .

(٢) المقصود هو (الحصن) .

مستخدم ارباب السيف والقلم خادم الحرمين والبقعة الاقدسية قدس الله ارواح آبائه المقدسة منح الامن والايمان والاماني السلطان ابن عثمان سليمان الثاني[١] مد الله بقاءه مادامت القبة على الصخرة في سنة حصل خير (٩٣٨ هـ — ١٥٣١ م) .

وعلى البرج القائم على يمين الداخل الى المدينة ، بين باب الخليل والسور[٢] بلاطة نقشت عليهــا هذه الكلمات :

« رسم بانشاء هذا الربض من حمى دبرة الاسلام بشوكته وطوله ومحى جائرة الاصنام بقوته وحوله من خصه الله بارقاب الملوك في الافاق وتملك سرير الخلافــة بالاستحقاق السلطان ابن السلطان ابن السلطان ابن السلطان سليمان » .

وفي داخل القلعة مئذنة بنيت على عهد السلطان محمد الرابع (١٠٦٥ هـ — ١٦٥٥ م) . وعلى هذه المئذنة بلاطة نقشت عليها هــذه الكلمات بالخط المعــلق :

صاحب خير وحسنات وسخا
مظهر انعام ورضاي خــدا
خوب حاصلات وعمــل يسند
يعني سـلحدار محمــد باشا
حضرت داود مقامنده . . .
ايلدي برمأذنة خوش بنــا
تاريخي منارة زيارت . . .
بايدي سلحدار محمــد باشا

(١) قد يكون المقصود ثاني سليمان من حيث الشهرة ، باعتبار ان الاول هـو سـليمان بن داود . لان السلطان الذي تمت على عهده هذه العمارة هو سليمان الاول الملقب بالقانوني .

(٢) فتح الاتراك ، في هذه الناحيـة من السور ، ثغرة واسعـة ليتمكن امبراطور الالمان ويلهلم من دخول المدينة راكبا (١٨٩٨م) .وقدتم ذلك بامر من السلطان عبد الحميد الثاني .

وفي زمن السلطان محمود الاول تجدد (١٧٣١م) بناء حائط الخندق . وكان هذا قد تهدم .

وتجددت عمارة المسجد الكائن في القلعة (١٧٣٨ م) . وانك لتقرأ على جدار البرج القائم على يسار الداخل الى القلعة من بابها الشرقي الكلمات الآتية ، وقد نقشت بالنسخ العثماني :

« جدد بناء حائط هذا الخندق بعد انهدامه في خلافة سلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والمشركين السلطان محمود بن المرحوم السلطان مصطفى خان من آل عثمان ايد الله ملكه ، بعرض واعلام من حضرة الدستور المكرم عبد الله باشا محافظ الشام وامير الحاج الشريف ، حين زار القدس،وجاء الفرمان خطاباً لمتسلمه الحاج مصطفى آغا بروانه زاده ؛ فباشرها بنفسه ، واتم عمارتها . جزاه الله خيراً في شهور سنة اربعة واربعين ومائة والف (١٧٣١ م) .

ولقد استعمل المسجد الكائن في داخل القلعة مستودعاً للذخائر والمهات الحربية خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٧ م) .

٧ – **المياه** : السلطان سليمان القانوني هو الذي عمّر (بركة السلطان) الكائنة على طريق المحطة الى الجنوب من باب الخليل . وهو الذي انشأ السبل التي ذكرناها في فصل الحرم وفي الفصل الذي خصصناه لبحث مياه القدس في التاريخ ، ومنها :

السبيل الواقع قبلي بركة السلطان ، والسبل الكائنة بباب السلسلة امام المدرسة التنكزية ، وفي طريق الواد ، وفي ساحة الحرم الى الشمال من باب شرف الانبياء ، وفي طريق باب الناظر ، وبالقرب من باب الاسباط (٩٤٣ هـ – ١٥٣٦ م) . ولقد كتب على كل منها هذه الكلمات: « امر بانشاء هذا السبيل المبارك مولانا السلطان الملك الاعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الامم سلطان الروم والعرب والعجم السلطان سليمان بن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه بتاريخ عاشر شهر محرم الحرام في سنة ثلاثة واربعين وتسعماية » .

وما دمنا في بحث المياه على عهد الاتراك ، فلنذكر ان من اعمالهم في القدس (سبيل شعلان[١]) . ذلك السبيل الذي جدد في زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) بعد ان ظل خراباً قرابة قرنين . وكذلك (القلعة) التي بناها هذا السلطان (١٦٧٠م) عند برك سليمان لاجل حماية البرك المذكورة وتأمين وصول الماء الى القدس .

وحوالي عام ١٩٠١ م وصلت مياه ارطاس الى القدس والحرم.واحتفل بوصولها عند بركة السلطان، في حفل كبير حضره كبار رجال الحكومة وجمع غفير من وجوه المدينة ورجالاتها .

ومن منشئاتهم (السبيل) الذي انشأه السلطان عبد الحميد الثاني في اواخر حكمه (١٩٠٧) والذي كان بباب الخليل ملاصقاً للسور ، وعلى بعد بضعة امتار من برج الساعة . ولقد اقيم هذا السبيل في زمن المتصرف اكرم بك . وهدمه الانكليز عند احتلالهم المدينة، بقرار من الجمعية التي تأسست باسم (جمعية محبي القدس) . ومن المبادىء التي اختطتها هذه الجمعية ازالة جميع الابنية الملاصقة للسور .

ولقد جدد السلطان عبد الحميد عمارة السبيل الكبير الكائن في الحرم ، بين باب القطانين ودرج الصخرة من الغرب . ذلك السبيل المعروف حتى الآن باسم : (قايتباي) .

(١) بناه الملك المعظم عيسى ٦١٣ هـ – ١٢١٦ م . وجدده الملك الاشرف برسباي ٨٣٢ هـ – ١٤٢٨م .

٨ — **الحرم** عمرت قبة الصخرة مرة اخرى على عهد السلطان سليمان الاول (١٥٤٢م) . ولقد اعيد يومئذتبليطها. وعمرت جدران الحرم، وابوابه. انه هو الذي سد الباب المعروف بالباب الذهبي شرقي الحرم، وفتح الباب المعروف بباب ستنا مريم . وهو الباب الشمالي لقبة الصخرة . وجدد القاشاني الذي نراه في قبة السلسلة من الداخل (٩٦٩هـ — ١٥٦١م).

وفي سنة ١٠٢٠ هـ — ١٦١١ م بني جامع الحنابلة تحت المدرسة السلطانية غربي الحرم . وفي عهده أنشيء المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان . فقد نقش على محرابه بالنسخ العثماني هذه الكلمات :

« باسمه تعالى لله محراب فضل عن كل نقص محاسن ارخت شاد بناء بامر يوسف باشا » . والمظنون ان ذلك جرى سنة ١٠٦١ هـ — ١٦٥١م، وعلى عهد السلطان محمد الرابع .

ولقد انفق على تعمير الحرم وزخرفته في زمن السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦٠ م) عشرون الف ليرة عثمانية . وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ — ١٩٠٨ م) ثلاثون الفاً، خلا الطنافس المختلفة الالوان التي اتخذت فرشا، وبلغت قيمتها عشرة آلاف ليرة تركية .

٩ — **مسجد الطور** أنشيء في زمن الاتراك على جبل الزيتون سنة ١٥١٧ للميلاد . والمعتقد انه انشيء في نفس المكان الذي كانت تقوم عليه (كنيسة الصعود) . تلك الكنيسة التي بنتها الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين . وهناك من يدعي ان الكنيسة كانت قائمة، وان السلطان سليمان

(١) قيل ان رعاياه اعتبروا عمله هذا اسرافاً، اذ انه استعمل الذهب الخالص الذي كان في خزانة الدولة من عيار ٢٢ قيراطا . وكان هذا من جملة الاسباب التي ادت الى خلعه .

هدمها واقام في مكانها جامعا لا يزال الى يومنا هذا، وان ذلك حدث سنة ١٥١٧[١] للميلاد .

١٠ — **تكية خاصكي سلطان** واقعة في عقبة التكية شرقي دار الايتام الاسلامية . انشأها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان (١٥٥٢م). تعتبر من خيرة الاماكن الخيرية التي انشأها الاتراك العثمانيون بالقدس . اذ منذ تأسيسها الى الان يقدم المشرفون عليها الغذاء لعدد كبير من الفقراء مجانا وفي كل يوم . نفقاتها تدفع من ريع الاملاك التي وقفتها السيدة المشار اليها . ويقال انها من اصل روسي، وان اسمها الاصلي (روكسيلانة) . ولها منشئات خيرية كثيرة (مساجد وتكايا وحمامات) في استانبول ومكة وادرنة وغيرها من الجهات .

١١ — **المدرسة الرصاصية** بنيت في زمن السلطان سليمان الاول . والذي بناها هو (بايرام جاويش بن مصطفى) . وكان ذلك بتاريخ ٢٠ ربيع الاول ٩٤٧ هـ — ٢٥ تموز ١٥٤٠ م . بناها بعد ان اتم عمارة السور . اذ كان السلطان سليمان قد اقامه ناظراً على اعمال البناء. فقام باعمال عمرانية جمة . مات في القدس ودفن فيها . وهي كائنة عند ملتقى طريق الواد بطريق باب الناظر وعقبة التكية .

كانت في بادىء الامر رباطا . وكانوا يسمونه (رباط بايرام) . ثم صارت مدرسة . وقد اتخذها الاتراك، طيلة وجودهم في القدس، مدرسة

(١) اذا صحت هذه الرواية التي اقتبسناها عن مجلة بيت لحم، الجزء ٩ التاريخ ايار سنة ١٩٢١ وصح التاريخ الذي ذكرته، فلا مناص من القول ان ذلك جرى على عهد السلطان سليم الاول والد السلطان سليمان القانوني . لان السلطان سليما ن لم يتبوأ كرسي السلطنة قبل سنة ١٥٢٠م.

لتعليم ابناء القدس . ولقد تعلم فيها مؤلف هـذا الكتاب علومه الاولية .

هناك فوق مدخلها بلاطة نقشت عليها الكلمات الآتية بالنسخ العثماني وباحرف كبيرة :

« هـذا المكان المبارك رباط وقفه لسكن الفقير الامير بايرام جاويش بن مصطفى دام عزه بتاريخ عشرين ربيع الاول سنـة سبع واربعين وتسع ماية » . وفيها ضريحه .

وفي مكان آخر من نفس العمارة بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات :

« جدد عمارة هذا المكان المبارك بايرام جاويش وجعـله مكتبا لقراءة الاولاد لله تعـالى في سنة ٩٤٧ هـ » . ويظهر ان بايرام جاويش ترك اوقافا . اذ انا نقرأ في سجلات[1] المحكمة الشرعية ان القاضي عين ناظراً على تلك الاوقاف .

١٢ – **المدرسة الرشيدية** واقعـة تجاه السور بباب الساهرة . قيـل انها سميت كذلك نسبة الى احمد رشيد بك متصرف القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني (١٩٠٦ م) . وهذا هو الاقرب الى الصواب . وقيـل انها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد (١٩٠٨ م) . وبدلا من تسميتهـا بالرشادية ، سميت الرشيدية . وهو قول ضعيف .

(١) السجـل ٤٤ الصفحة ٥٣٨ السنة ٩٧١هـ – ١٥٦٣م .

وهناك فوق مدخلها القبلي بلاطة من الرخام نقشت عليها كلمات تدل على بانيها وتاريخ بنائها . الا انني لم استطع قراءتها .

١٣ – **المسجد العمري** من المساجد التي بناها وان شئت فقل رممها الاتراك في بيت المقدس[1] . انه واقع قبلي كنيسة القيامة وعلى بعد بضعة امتار من ساحتها الكبرى . والابيات الاربعة التاليـة المنقوشة على بلاطة موضوعة فوق الباب الخارجي تدل على ان ذلك جرى خلال سلطنة عبـد المجيد بين سنتي ١٢٥٥ – ١٢٧٧ للهجرة (١٨٣٩ – ١٨٦٠ م) :

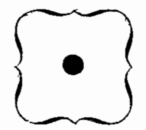
احيا زمان الفتح مسجدقدسنا
هـذا امير المؤمنين بها عمر

واعاده بعـد اندراس بنائه
حيا بتأسيس وشيد ما اندثر

سلطاننا عبد المجيد امـده
بالنصر والتأييد مع نيل الظفر

وادام طالع نجمه متعاليـا
في كل تاريخ له سعد يشهر

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا المسجد في الفصل الذي خصصناه للبحث عن (القدس في يومنا هذا) . وفيه بعض التفصيل عن مساجد القدس وجوامعها بوجه عام وعن المسجـد العمري هذا بوجه خاص .



كيف كانت القدس تدار من قبل الاتراك؟

عندما احتل السلطان سليم هذه البلاد (٩٢٣ هـ – ١٥١٧ م) ودخل القدس في كانون الاول من تلك السنة ، كانت القدس تخابر مصر رأساً . ولما رجع السلطان الى عاصمة ملكه (استانبول) قسّم بلاد الشام الى ثماني ولايات هي : حلب ودمشق وحمص وحماة وطرابلس وصفد والقدس وغزة . واقام على الشام كله (جان بردي الغزالي[1]) . فاخذ هذا يديره من ادناه الى اقصاه .

٢ – ولما حدثت هذا الوالي نفسه بأن يرفع لواء العصيان في وجه مولاه ، وعصاه بالفعل ؛ اقاله السلطان سليمان من منصبه ، وولي على الشام بدلاً منه كبير الانكشارية يومئذ (اياس باشا) ٩٢٦ هـ – ١٥٢٠ م . وقسمت بلاد الشام يومئذ الى ثلاث ولايات هي : حلب ودمشق والساحل . وجعلت القدس تابعة لدمشق .

وقبل وفاة السلطان سليمان نرى ان الاوامر كانت تصدر الى ولاة الامور بالقدس[2] من مصطفى باشا والي الشام. ولقبه كان يومئذ ٩٧٣ هـ – ١٥٦٥ م بكلر بك .

٣ – ولكن يظهر ان الاتراك عادوا بعدئذ فالحقوها بمصر . إذ أنا نقرأ على جدار (سبيل شعلان[3]) ان الذي امر بعمارته هو الوزير المكرم والمشير المعظم حضرة بيرام باشا المحافظ بمصر المحروسة. فعمر بمباشرة ملك الامراء الكرام حضرة محمد باشا المحافظ بالقدس الشريف من ذي الحجة سنة ١٠٣٧ هـ – ١٦٢٨ م . وكان ذلك على عهد السلطان مراد الرابع .

٤ – لسنا نعلم حتى متى دام ارتباط القدس بمصر . ولكننا نقرأ انه في زمن السلطان احمد الثالث الذي تولى السلطنة سنة ١٧٠٣ م كانت القدس تابعة لولاية صيدا وعكا . وهناك وثائق خطية تدل على ان الوالي كان يومئذ رجب باشا وهو تركي الاصل. وكان هذا يمضي اوامره الرسمية بالشكل التالي :

« رضيت بما قسم لي ربي . فوضت امري الى خالقي . عبده رجب » .

ويقال ان اول تحرير للاوقاف واول تطويب للاراضي في هذه البلاد ، قام على عهد هذا الباشا ١١٣٤ هـ – ١٧٢١ م .

وفي زمن السلطان محمود الاول (١٧٣٠ م) كانت القدس تابعة للشام. وكان محافظ الشام يومئذ (١٧٣١ م) عبدالله باشا . وكان هذا في الوقت نفسه اميراً للحج . وكذلك قل عن خلفه الحاج سليمان باشا (١٧٣٦م) . وكان الوالي يثبت بامر من الآستانة في كل سنة . وهو بدوره يثبت المتسلم في منصبه .

وفي عام ١٨٠٨ للميلاد كانت القدس ايضاً تابعة للشام . وكان على رأس الادارة في الشام امير يدعى كنج حاجي يوسف باشا. وكان هذا يأتي الى القدس في كل سنة ، ويخيم خارج المدينة. ويمكث فيها الى

(١) (عثمانلي تاريخي) لاحمد راسم . ص٣٠٣ .

(٢) السجل ذو الرقم ٤٩ ص٥٠ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس .

(٣) انظر الى ما كتبناه عن هذا السبيل في غير هذا المكان .

ان يجمع الواردات والمرتبات الاميرية كالمعتاد ١٢٢٣ هـ – ١٨٠٨ م .

وفي عام ١٨٢١ نرى البلاد مقسمة الى ولايات ، على رأس كل ولاية وال . والولاية مقسمة الى الوية[١] وسناجق[٢] . وعلى رأس كل لواء او سنجق متصرف . والقدس كانت لواء مستقلا على رأسه متصرف من الدرجة الاولى . وكل لواء ينقسم الى عدة اقضية[٣] . وعلى رأس كل قضاء قائمقام . والقضاء ينقسم الى نواحي[٤] عديدة. وعلى رأس كل ناحية مدير . والناحية مؤلفة من عدة قرى .

٥ – ولما رأى الباب العالي[٥] تقدم الجيش الروسي عام ١٨٣١ م [٦] وخشي ان يزحف هذا نحو سورية ، قرر توحيد منطقتي القدس والشام . ووضع عليها عبد الله باشا والي عكا . فصار ولاة الامور بالقدس يخابرون عكا ، وهذه تعمل بوحي الشام . ثم تولى أمر الشام امير الامراء محمد شريف باشا . وكان هذا يأتمر بأوامر محمد علي ويلقب (كتخداي خديوي) . وكانت الاوامر يومئذ توجه الى « (منلا افندي محروسة القدس الشريف) والى (مفتي أفندي) والى (فرع الشجرة الزكية والعقائد الهاشمية نقيب السادات الاشراف) ثم الى (المتسلم) و (التجار) وباقي أهالي القدس وسنجقها . . . . . »

كان الحكم يومئذ[٧] بيد امراء الاقطاع. وكان على كرسي السلطنة السلطان محمود الثاني . وكان الاتراك يكتفون بتجنيد الجنود وجباية الضرائب من السكان بواسطة باشا يطوف عليهم . ويسمونه (باشا الدورة) . فيجبي هذا من الامراء المتقدم ذكرهم ما تعهدوا بدفعه للدولة .

٦ – بعد ان استرجعت الدولة العلية سورية من الحكومة المصرية[١] (١٨٤٠) كانت تارة تجعل القدس تابعة لايالة صيدا ، وطوراً تجعلها مرتبطة رأساً بالباب العالي . وكانت القضايا تستأنف الى بيروت التي صارت مركزاً لايالة صيدا.

أجل . كانت القدس تابعة لصيدا ، وهذا مفهوم من الوثائق التي عثر عليها الاستاذ أسد رستم بين سجلات المحكمة الشرعية . منها وثيقة تاريخها ١١ رمضان سنة ١٢٥٦ هـ – ١٨٤٠ م ، ارسلت الى نائب القدس منلا افندي ، والى وكيل المفتي ، والى قائمقام نقيب الاشراف ، والى الوجوه والعلماء والأئمة والخطباء والمشايخ والاغوات . وقد جاء فيها ان الدول وافقت على زوال الاحكام المصرية عن هذه البلاد ، وان احمد آغا الدزدار قد عين متسلماً للقدس بالوكالة . والوثيقة ممضية من والي صيدا وفريق العساكر المظفرة (محمد سليم باشا). وهناك وثيقة اخرى وقع عليها قاضي القدس (محمد حمدي) بصفته قائمقام والي صيدا .

٧ – وبعد سنة ١٨٦٠ م[٢] أقام الباب العالي والياً في دمشق . وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سورية التي مركزها الشام . وفي قول آخر[٢] انها الحقت بولاية سورية عندما وضع نظام الولايات الجديد سنة ١٨٦٤ م .

(١) جمع لواء .
(٢) جمع سنجق .
(٣) جمع قضاء .
(٤) جمع ناحية .
(٥) الصدر الاعظم او رئيس الوزراء .
(٦) احتل الروس عامئذ ادرنة وقارص وارضروم .
(٧) البرغوثي وطوطح .

(١) (تاريخ القدس الشريف) لسركيس ص١٩٢ .
(٢) مجلة المقتطف . المجلد ٥٢ صفحة ٣٢ عدد يناير سنة ١٩١٨ .

٨ — وفي سنة ١٨٧١ جعلت القدس متصرفية مستقلة تخابر الباب العالي رأساً . وكان يتبع سنجق القدس في اواخر العهد التركي اربعة اقضية هي : يافا وغزة وبير السبع وخليل الرحمن . وفيما يلي اسماء القرى والعشائر التابعة لها :

قبائل	قرى ومزارع	نواحي	قضاء	
٩	١٢١	٥ [١]	•	سنجق القدس
•	٩٢	٢ [٢]	١	قضاء يافا
• [٦]	٦٧	٣ [٣]	١	قضاء غزة
٥	١	٢ [٤]	١	قضاء بئر السبع
•	٦٢	٢ [٥]	١	قضاء خليل الرحمن .
١٤	٣٤٣	١٤	٤	

٩ — كانت دار الحكومة ، في اوائل العهد التركي ، في السرايا القديمة[٧] . وفي اواخره جعلت الدار الكبيرة[٨] التي بنتها (طشنق) خاصكي سلطان داراً للحكم ، وظلت هناك حتى شبت نيران

(١) هي بيت لحم ورام‌الله واريحا وعبوين وصفا .
(٢) هما إلرملة ونعلين .
(٣) هي المجدل والفالوجة وخان يونس .
(٤) هما الحفير والمليحـــة .
(٥) هما بيت اعطاب وبيت جبرين .
(٦) هي التياها والترابين والعزازمـــة والحناجرة والجبارات .
(٧) هي التي كان يقيم فيها الولاة الرومانيون وحـــاكم فيهـــا (بيلاطس البنطي) السيد المسيح . وقد اتخذت على عهـــد المماليك مدرسة هي (المدرسة الجاولية) . وفي زمن الاتراك اتخذ جانب منها قشلاقا والجانب الاخر (سرايا) للحكم . وقد اتخذها المجلس الاسلامي مدرسة واعطاها لكلية (روضة المعارف) الوطنية. وذلك في اوائل الاحتلال الانكليزي. وفي عام ١٩٤٥م صارت مخفرا ترابط فيه سرية من رجال البوليس الفلسطيني . ثم صارت مدرسة .
(٨) اتخذ المجلس الاسلامي الاعلى هذه الدار بعـــد الاحتلال الانكليزي دارا للايتام المسلمين .

الحرب العامة (١٩١٤) . وفي اثناء تلك الحرب احتل الاتراك بناية الدومينكان الواقعة على طريق نابلس وعلى بعد نصف ميـــل من باب العمود الى الشمال . وجعلوها داراً للحكم . واتخذوا الدار التي بناها الالمان فوق جبـــل الطور والمعروفة بـ (المطلع) مقراً للقائد العام جمال باشا . وظلوا فيها حتى الاحتلال الانكليزي .

١٠ — واما الحكام الاتراك (المتصرفون) فقد كانوا في بادىء الامر يقطنون في جانب من الدار الكبيرة التي بنتها طشنق (خاصكي سلطان) . ثم تركوا هذه الدار ، وراحوا يسكنون في دور مبنية على الطراز الحديث خارج السور. فسكن المتصرف رشيد باشا في دار لدير الروم واقعة على طريق يافا (دار نابون) . وكذلك قل عن المتصرفين الذين جاءوا من بعـــده كابراهيم باشا ، وتوفيق بك ، وجواد بك . واما كاظم بك فقد سكن في دار الحبش[١] ، ورشيد بك في عمارة الارمن امام المنشية. وكذلك فعل خلفه اكرم بك . وقد سكن صبحي بك في دار واقعة امام مستشفى روتشيلد . والذين اتوا من بعده مثل عزمي بك وجودت بك وماجد بك سكنوا في دار عويضة على طريق ماملا. الا مدحت بك فقد سكن في دار القنصلية الايطالية. وعزة بك الذي جرى الاحتلال الانكليزي في زمنه فانه سكن في دار مطران الانكليز .

وقصارى القول كان المتصرفون على عهد الاتراك يعيشون في القدس عيشة الترف والبذخ[٢] اذ كان

(١) شرقي المسكوبية الى الشمال . اتخذها الانكليز محطـــة للاذاعة الفلسطينية .
(٢) كان الراتب الشهري الذي يتقاضـــاه المتصرف في بادىء الامر خمسين ليرة تركية. ثم ارتفع في اواخر العهد التركي الى مئتـــين من الادارة ومئة من صنـــدوق الاراضي السنية بصفته مديرا لتلك المصلحة .

دير الروم قد خصص! بنايته الكائنة في (القطمون) مصيفا لهم ، ودير الارمن خصص بنايته الكائنة امام المسكوبية دارا لسكناهم في الشتاء . كما كان رئيس بلدية القدس يقوم بوظيفة (مأمور الانبار). فيشتري لهم ما يحتاجون اليه من طعام وشراب . كانت بطريركية الروم تدفع الى المتسلم ١٧ غرشا ونصف الغرش ، والى المتصرف ٧٥ غرشا ، والى اتباع المتسلم ثلاثة غروش ، والى مساعد المتصرف (كتخدا) ستة غروش ونصف ، وعيدية المتصرف ثوب من الحرير الاطلس . ولكن هذه العادة ابطلت بامر صدر من السلطان وارسل الى الموظفين بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١١١٧ هـ – ١٧٠٥ م .

قضاة القدس في العهد التركي :

كان قاضي القدس على عهد الاتراك العثمانيين ، الكل في الكل من حيث السيطرة والحكم . وكانوا يسمونه (النائب) او (الحاكم الشرعي) . انه المسؤول عن تمشية الامور ، وعن حل المشاكل التي تتكون بين الناس على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . سواء اكانت هذه شرعية ، ام حقوقية ، ام جزائية . فلا بدع إذاً اذا رأيناه يلقب بـ (مولانا ، وسيدنا ، اعلم العلماء المتبحرين ، افضل الفضلاء المتأخرين ، معدن العلم واليقين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، حجة الحق على الخلق اجمعين ، صدر الموالي المكرمين ، الحاكم العادل ، الفاضل ، الكامل ، الفاصل بين الحق والباطل الحاكم الشرعي فلان . .) .

نقول ذلك مستندين الى القرارات[٢] التي لاحد لها ولا حصر . والتي اصدرها القضاة خلال ذلك العهد . وإنا لمجتزؤن فيما يلي صلاحياتهم ، فنقول :

(١) قضايا الاحوال الشخصية (الزواج والطلاق والنفقات والمهور) سواء في ذلك قضايا المسلمين والمسيحيين واليهود . وكذلك قل عن القضايا المبحوث عنها في البنود التالية .

(٢) قضايا الارث والوصايا وتسجيلها وحجز القاصرين والقاصرات .

(٣) ادارة اموال الايتام ، وتعيين الاوصياء ، واقالتهم ، ومحاسبتهم .

(٤) ادارة اموال الوقف ، وتسجيل املاكه ، والنظر في قضاياه . حتى القضايا ، من هذا النوع ، التي تتكون بين مختلف الاحزاب اليهودية[١] .

(٥) ادارة المساجد والتكايا . بما في ذلك تعيين

---

(١) السجل ٢٠٣ ص ٣٩ .

(٢) ان هذه القرارات مدفونة في سجلات كانت محفوظة في المحكمة الشرعية بالقدس . وكانت هذه المحكمة طيلة الحكم التركي لهذه البلاد في الدار المعروفة بالمدرسة = التنكزية التي انشاها الامير تنكز الناصري (٧٢٩هـ – ١٣٢٨م) عند باب السلسلة . وذكر العالم الافرنسي كلرمان غانو في كتاب (البحث عن الآثار في فلسطين) المجلد الاول الصفحة ٢٣٦ ان الشيخ ابا السعود (?) حدثه . فقال ان فيها السجلات المتصلة بحوادث القرون الثلاثة الاخرة . واما السجلات التي يرجع تاريخها الى ما قبل ذلك ، فقد نقلت الى القلعة ، وهي لا تزال هناك في يومنا هذا (١٨٧٣) . واما انا (عارف العارف) فلست ادري ماذا فعل الزمان بسجلات القلعة . ولا متى نقلت ? وانما رايت في دار المحكمة الجديدة (الزاوية النقشندية سابقا ودار الشيخ يعقوب البخاري حاليا) على مقربة من باب الغوانمة سجلات يرجع عهدها الى اوائل الفتح التركي في القرن السادس عشر . ويظهر ان السجلات التي قال ابو السعود انها نقلت الى القلعة تمت بالاصل الى عهد المماليك .

(١) قرات في السجل ٢١٣ بتاريخ ١١٣٠هـ ان القاضي نظر في شكوي قدمها برناس الطائفة اليهودية ابرور ولد ابرام على وكيل الوقف ميوجاس والد شمويل .

الخطباء والمدرسين والوعاظ[١] والبوابين[٢].

(٦) انشاء المدارس وتعميرها وادارتها . بما في ذلك تعيين المعلمين واقالتهم وتنقلاتهم .

(٧) مراقبة المقابر والمدافن .

(٨) دعاوى القسمة والافراز .

(٩) تسجيل بيوع الاراضي والاموال غير المنقولة . وحل المنازعات التي تنشأ حولها .

(١٠) تسجيل بيوع الاموال المنقولة على اختلاف انواعها . وحل المنازعات التي تنشأ حولها .

(١١) قضايا الرهن ، وفك الرهن . سواء في ذلك رهن الاموال المنقوله وغير المنقولة .

(١٢) قضايا وضع اليد ونزعها . سواء في ذلك الاموال المنقولة وغير المنقولة .

(١٣) دعاوى الطرق ، وحق المرور .

(١٤) الاعتداء على الزرع .

(١٥) سرقة المواشي وبقر الحيوانات .

(١٦) قضايا الخيل ومثانيها .

(١٧) تسجيل الوكالات .

(١٨) تسجيل الشركات على اختلاف انواعها .

(١٩) تسجيل الكفالات .

(١) كان هذا التعيين في اواخر العهد التركي تابعاً لقانون سنتة الحكومة باسم (قانون انتخاب المامورين) . وملخصه ان ينتخب للوظيفة الشاغرة احد الطالبين بالامتحان . وتتولى الامتحان لجنة مؤلفة من النائب الشرعي (رئيساً) ومن المفتي وبعض علماء المدينة (اعضاء) . واذا تساوى اثنان من حيث الكفاءة يقترع بينهما .

(٢) في السجلات المحفوظة في المحكمة الشرعية بالقدس مايدل على ان بواب الصخرة المشرفة ما كان ليستطيع ان ينيب عنه من يقوم بمهمته (وهي حراسة المسجد ليلا) الا اذا اذن القاضي بذلك .

(٢٠) تسجيل القروض والأمانات[١] ، وتسجيل الشراء بطريق (السلم) .

(٢١) قضايا الديون : تثبيتها وتأجيلها وتقسيطها والغاؤها .

(٢٢) تعيين المحلات التي يجوز فيها البيع والشراء . وكذلك تعيين الاشخاص الذين يجوز لهم تعاطي التجارة .

(٢٣) تعيين أسعار المؤن والحاجيات[٢] . وتغريم الاستغلاليين الذين يبيعون سلعهم باسعار فوق الاسعار المقررة[٣] .

(٢٤) مراقبة الموازين والمكاييل والمقاييس .

(٢٥) محاكمة الاشخاص الذين يغشون الزيت والسمن وما الى ذلك من المواد القابلة للتلف .

(٢٦) تعيين أجور النقل بين القدس والمدن المجاورة[٤] .

(١) لا فرق في ذلك بين قرض يشتمل على الاف من القطع الذهب او بضعة قروش ، وبين إمانة بسيطة مؤلفة من (مخدة بيضاء وجهها وفوطتين) السجل رقم ١ لسنة ٩٣٦هـ

(٢) عثرت في السجل رقم ١٢ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على امر اصدره نائب الشرع سنة ٩٤٧ هـ — ١٥٤٠ م عين بموجبه الاسعار التي يجب ان تباع بها الحنطة والطحين والخبز وباقي انواع المؤن . ليس هذا فحسب ، بل انه عين المكان الذي يجوز عرض هذه الاشياء فيه بقصد البيع ، والاشخاص الذين يحق لهم ان يبيعوها .

(٣) ادان قاضي القدس الشيخ علاء الدين رائف النجار سنة ٩٤٧ هـ — ١٥٤٠ م ابن نائب القلعة لانه باع رطل الكماج بنصف درهم زيادة على السعر المقرر ، وحكم بتأديبه . والسعر الذي كان مقرراً للكماج يومئذ ستة دراهم ونصف لكل رطل (السجل ذات الرقم ١٢ ص ٤)

(٤) عين القاضي اجرة الجمل المستعمل لتحميل الزاد والاسباب من القدس الى الخليل فنزه قصر المحروسة خمسة عشر غرشاً وكان ذلك سنة ١٠٢٨ للهجرة — ١٦١٨ م السجل ١٠٢ ص ١٣ .

ملحوظة : (ان البنود الخمسة المتقدم ذكرها **يعينها القاضي بعد** استشارة المحتسب الذي كان يقوم بارادة الشؤون البلدية

(٢٧) احصاء النفوس[1] وتسجيلها ، ومراقبة المواليد والوفيات ، وتحديد السن ، وبلوغ الرشد .

(٢٨) قضايا الرق ، وعتق الرقبة ،وتبادلها ، وما ينشأ عن ذلك من قضايا .

(٢٩) قضايا العرض ، ورجم المحصنين والمحصنات وجلدهم (او جلدهن) في حالة اقتراف الاثم . (يدخل في ذلك قبول توبة التائبين والتائبات[2]) .

(٣٠) مراقبة المشروبات الكحولية ، ومعاقبة السكارى[3] .

(٣١) الاذن بالبناء ، وتوقيف البناء ، وحل المشاكل المكونة بين الشركاء والجيران من جراء ذلك .

(١) احصى القاضي الشرعي عدد اليهود الذين يعيشون في القدس بتاريخ ١٩ جمادى الاولى ٩٨٠هـ – ١٥٧٢ م وحرر اسماءهم . فوجد انهم ١١٥ شخصا . يعيش ٥٥ منهم حول الحرم والاخرون في الاحياء الاخرى (السجل ٥٥ الصفحة ٢٠٧) .

(٢) اتت امراة الى القاضي الحاج صفي الدين واعترفت امامه بخطئها واشهدت على نفسها انها تابت الى الله تعالى عما ارتكبته . ووعدت بحفظ فرجها من الرجال الاجانب ، والمواظبة على الصلوات الخمس في اوقاتها . فاذا رجعت الى سيرتها الاولى فيكون دمها هدرا وتعامل اشد معاملة . توبة صحيحة شرعية سطرت في الثالث عشر من شهر ربيع الاخر سنة سبع واربعين وتسعمائة (١٥٤٠م) السجل ١٢ الصفحة ١٥ .

(٣) اشتكى (صوباشي المدينة) للقاضي انه راى موسى بن حسن السقا بالمسجد الاقصى وهو سكران . فادانه القاضي بعد ان ثبت ذلك بشهادة الشاكي والمؤذن (السجل ٤٣ السنة ٩٧٥هـ – ١٥٦٧م) .

(٣٢) قضايا انتهاك حرمة المحاكم[1] .

(٣٣) الدعاوي الجزائية على اختلاف درجاتها : من الضرب ، والاعتداء البسيط ، الى السب والشتم ، الى القتل[2] ، والسرقات بجميع انواعها[3] .

(٣٤) حتى صبغ البيض وبيعه في الاسواق . فقد كان قاضي القدس يتدخل في هذا الامر التافه . ذ اعتبره بدعة سيئة ، فمنعه . والمنع موجه للمسلمين . لان تلك العادة (اي صبغ البيض وبيعه في الاسواق) مأخوذة عن النصارى . ولايجوز تقليد النصارى في امورهم عملا بالحديث القائل : من تشبه بقوم صار منهم[4] . وكذلك قل عن دق الطبول في اعيادهم .

(٣٥) اقالة رؤساء الطوائف المختلفة واستبدالهم بغيرهم[5] . ومراقبة ترميم اديرتهم وكنائسهم وكنسهم وتعميرها .

(١) قام سنة ٩٧٣هـ – ١٥٦٥م تحقيق شديد اشترك فيه امير لواء القدس الياس بك ضد الرجل المدعو محمد بن حسونة ، لانه اساء الادب بداخل المحكمة ، واستخف بمجلس الشرع الشريف ، واطال لسانه على قاضي القدس عبد الكريم افندي ، فقال له : (إفتح عينيك . واقعد في حالك) . فنال جزاءه . السجل ٤٩ الصفحة ٥٠ .

(٢) اتهم اهل الطور بقتل رجل من سكان القدس . ولما عجز اهل المقتول عن البرهان حكم القاضي على المتهمين باليمين . فحلف كل منهم بالله العظيم ونبيه الكريم انه ما قتل المغدور ولا يعلم له قاتلا . فتبرؤوا من التهمة . السجل ٤٤ الصفحة ٥٤٠ التاريخ ٩٧١هـ – ١٥٦٣م .

(٣) نظر القاضي بنفسه في سرقة النبي داود يوم سرق مجهولون بعض الفضة الملبسة على الباب وسجادة وبعض القناديل (السجل ٢٢٧ السنة ١١٦٤هـ – ١٧٥٠م) . وظل يبحث الى ان اهتدى الى السارق .

(٤) السجل ٢٣٧ الصفحة ٨٩ التاريخ ١١٦٥هـ – ١٧٥١م

(٥) في السجل ٢١٣ الصفحة ٢٥ التاريخ ١١٣٠هـ نرى افراد الطائفة اليهودية براجعون القاضي فينصب عليهم برناسا (اي رئيسا) هو ابرور ولد ابرام ورفع ميوحاس من (البرنسة)

(٣٦) تعيين المفاتي (المفتيين) واقالتهم . وتعيين الشخص الذي يجوز ان ينوب عن المفتي في الحكم .

(٣٧) قبول اهتداء كل من اراد ان يهتدي بدين الاسلام من اهل الكتاب . وتسجيل اهتدائهم .

(٣٨) جمع (الجزية) التي تفرضها الدولة على اهل الذمة . وتحصيل الضرائب المفروضة على اهل البلاد .

(٣٩) تعيين رؤساء الحرف والصناعات واقالتهم (كمقدم العتالين ، وشيخ طائفة السلاخين).

ظل قاضي المسلمين بالقدس يتمتع بصلاحيته الواسعة التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة الى ان تأسست في القدس مصالح حكومية مختلفة الالوان . فانحصرت صلاحية القاضي بعدئذ بالمسائل الشرعية (الاحوال الشخصية وما الى ذلك) والقضايا الحقوقية . وصار يطلق عليه لقب (نائب ورئيس محكمة الحقوق الابتدائية) . واما الشؤون الجزائية فقد نزعت منه ، وعهد بها الى (رئيس محكمة الجزاء الابتدائية) ١٨٧٦ م . وكان يعمل مع الرئيس (المدعي العام) وهو ما نسميه في يومنا هذا (النائب العام) . ومساعده (معاون مدعي عام محكمة الجزاء الابتدائية) . وبعد اعلان الدستور تأسست في القدس (محكمة الاستئناف) ومعها (مدعي الاستئناف العام) . ومساعده (معاون مدعي الاستئناف العام) . ولم يكن عدد موظفي هذه المصلحة المعروفة بـ (الدولة) يتجاوز العشرين بين قضاة وكتاب وخدم ومباشرين . وظل الحال على هذا المنوال حتى الاحتلال البريطاني (١٩١٧م).

مجلس الشورى:

رغم وجود الحكام والمتصرفين على رأس الادارة فان الامر كله كان في اغلب الاوقات بيد الزعماء والافندية والرؤساء ومشايخ البلاد الذين كان نفوذهم واسعاً بالدرجة التي كان عليها نفوذ امراء الاقطاع في العصور الوسطى . حتى ان الاتراك عندما قبضوا على زمام الامور في اواسط القرن التاسع عشر ، لم يكن لهم بد من الرجوع الى هؤلاء الزعماء والرؤساء وطلب العون والمشورة منهم . ولقد عثرنا بين اوراق ذلك العهد على امر ممضي من محمد حمدي بصفته قاضي القدس وقائمام والى صيدا (السر عسكر) محمد عزة باشا . والامر موجه الى (مجلس شورى القدس). وهو مؤلف (١٥ رمضان ١٢٥٦ هـ – ١٨٤٠ م) من السادة الاتية اسماؤهم :

[١] السيد محمد ابو السعود – رئيس المجلس (نقيب الاشراف وعمدة المدرسين) .

[٢] السيد محمد علي الحسيني .

[٣] السيد خليل الخالدي

[٤] السيد عثمان ابو السعود

[٥] السيد محمد درويش علي زاده

[٦] السيد شاكر الموقت

[٧] السيد نجم الدين الجماعي

[٨] السيد ابراهيم المهتدي

[٩] السيد محمد الرملي

[١٠] السيد جار الله (كاتب المجلس)

[١١] السيد وفا (مساعد الكاتب)

[١٢] الخواجه رونه (وكيل طائفة اليهود)

[١٣] يوسف (وكيل طائفة الارمن)

[١٤] ياقوب جاسر (احد طائفة الارمن)

واشترط ان ترفع قرارات هذا المجلس الى قاضي القدس بصفته قائمقام والي صيدا لاجل التصديق .

مجلس عمومي :

وقد اتسع هذا المجلس مع الزمن فاصبح (مجلساً عمومياً) يمثل لواء القدس كله بما فيه اقضية يافا والخليل وغزة وبئر السبع وكانوا يدعونه[1] (مجلس القدس الكبير) و (مجلس القدس الشريف) • (مجلس لواء القدس الشريف). وكان هذا المجلس سنة (١٣٣٢ هـ – ١٩١١ م) مؤلفاً من السادة الآتية اسماؤهم :

عن القدس :

[١] محمد يوسف افندي العلمي
[٢] جورجي افندي ابو زخريا
[٣] عنتابي افندي (او داود يلين افندي)

عن يافـا :

[٤] عبدالله افندي شفيق الدجاني
[٥] عمر افندي البيطار
[٦] توفيق بك الغصين

عن غزه وبئر السبع :

[٧] احمد افندي عارف الحسيني
[٨] خليل افندي بسيسو
[٩] حاج طه افندي زقوت
[١٠] فرح افندي ترزي

عن الخليل :

[١١] سليم افندي طهبوب
[١٢] امين افندي عمرو

مجلس مبعوثان (البرلمان العثماني) :

قلنا في غير هذا المكان ان الذي ناب عن سنجق القدس في (مجلس المبعوثين) الاول (١٢٩٣ هـ – ١٨٧٦ م) هو يوسف ضيا باشا الخالدي . وكان هذا يلقب بـ (مبعوث القدس الشريف) .

وعندما اجتمع (مجلس المبعوثين) في عاصمة البلاد للمرة الثانية (١٩٠٨ م) كان يمثل سنجق القدس فيه ثلاثة اعضاء : اثنان منهم من القدس وهما : روحي بك الخالدي وسعيد بك الحسيني . والثالث من يافا وهو حافظ بك السعيد . واما لواء نابلس فقد كان يمثله الشيخ احمد افندي الخماش ، ولواء عكا الشيخ اسعد افندي الشقيري .

واما في المرة الثالثة (١٩١٤) فقد كانت فلسطين ممثلة في المجلس المذكور على النمط التالي :

(آ) عن سنجق القدس : روحي بك الخالدي (القدس) ، عثمان افندي النشاشيبي (القدس) ، احمد عارف افندي الحسيني (غزة) .

(ب) عن سنجق نابلس : حيدر بك طوقان (نابلس) .

(ج) عن سنجق عكا : الشيخ اسعد افندي الشقيري (عكا) .

ثم اعيد الانتخاب فحاز الاكثرية :

(آ) عن القدس : راغب بك النشاشيبي، سعيد افندي الحسيني ، فيضي افندي العلمي .

(ب) عن نابلس : توفيق افندي حماد ، امين بك عبد الهادي .

(ج) عن عكا : عبد الفتاح افندي السعدي

وظل هذا المجلس يعمل حتى نهاية الحرب الكبرى(١٩١٧) .وكانت للعرب فيه كلمة مسموعة.

(١) السجل ٣٤٦ الصفحة ٣٨: السنة ١٢٧٦هـ – ١٨٥٩م.

سلاطين الاتراك العثمانيين واسماء الولاة والمتسلمين الذين تولوا ادارة القــدس على عهدهم

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسمـــاء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	مـــلاحظات
١	السلطان سليم الاول ابن بايزيد الثاني	٩١٨	١٥١٧	جان بردى الغزالى	٩٢٣	١٥١٧	عينه السلطان سليم والياً على بر الشام كله .
				اياس باشا	٩٢٤	١٥١٨	كان كبير الانكشارية .
٢	السلطان سليمان القانوني ابن سليم الاول	٩٢٦	١٥٢٠	حسين باشا	٩٥٧	١٥٥٠	
				النبيل سنان	٩٦٣	١٥٥٥	
				حسن	٩٧٠	١٥٦٢	صوباش القدس ومتسلمها .
				ابراهيم	٩٧٣	١٥٦٥	صوباش القدس ومتسلمها .
				الياس بك	٩٧٣	١٥٦٥	ميرلواء القدس ومتسلمها .
٣	السلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني	٩٧٤	١٥٦٦				
٤	السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني	٩٨٢	١٥٧٤				
٥	السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث	١٠٠٣	١٥٩٤				
٦	السلطان احمد الاول ابن محمد الثالث	١٠١٢	١٦٠٣				
٧	السلطان مصطفى الاول ابن محمد الثالث	١٠٢٦	١٦١٧				

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	ملاحظات
٨	السلطان عثمان الثاني ابن احمد الأول	١٠٢٧	١٦١٧				
٩	السلطان مصطفى الأول ابن محمد الثالث	١٠٣١	١٦٢١				
١٠	السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول	١٠٣٢	١٦٢٢	محمد باشا	١٠٣٧	١٦٢٧	محافظ مدينة القدس . كان يخابر محافظ مصر (السجل ١١٣ ص ٢٣٨)
١١	السلطان ابراهيم بن احمد الاول	١٠٤٩	١٦٣٩				
١٢	السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم	١٠٥٨	١٦٤٨	حسين باشا	١٠٦٩	١٦٥٨	أقاله الصدر الأعظم لانه أيد الأرمن ضد الروم .
				طياراوغلي	١٠٧١	١٦٦٠	
				جاويش زاده محمد باشا	١٠٨١	١٦٧٠	هو الذي أحصى سكان مدينة القدس
١٣	السلطان سليمان الثاني ابن ابراهيم	١٠٩٩	١٦٨٧				
١٤	السلطان احمد الثاني ابن ابراهيم	١١٠٢	١٦٩٠				
١٥	السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع	١١٠٦	١٦٩٤				
١٦	السلطان احمد الثالث ابن محمد الرابع	١١١٥	١٧٠٣	اشجن مصطفى	١١١٦	١٧٠٤	كان متصرف القدس ونابلوس معاً . وكانوا يسمونه (قره قولاق حاجي مصطفى باشا)
				الحاج عمر آغا	١١١٧	١٧٠٥	نقل الى نابلوس بسبب الثورة
				عزت باشا	١١٢١	١٧٠٩	والي القدس (تاريخ الكرسي الاورشليمي للاقباط الارثوذكس)

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	ملاحظات
							تأليف الشماس كامل نخلة الاسكندري . مخطوط ص ٢٤ .
				محمد آغا النمر	١١٢٤	١٧١٢	من آل النمر بنابلوس
١٧	السلطان محمود الاول ابن مصطفى الثاني	١١٤٣	١٧٣٠	الحاج مصطفى آغابراونه	١١٤٤	١٧٣١	اخذ تعهد على سكان قرى البيره وبيت حنينا وبيت اكسا كي لا يعتدوا على المسافرين للقدس .
				الحاج حسين بك	١١٦٥	١٧٥١	متسلم القدس . تابع لوالي الشام الوزير الحاج اسعد باشا .
١٨	السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني	١١٦٨	١٧٥٤				
١٩	السلطان مصطفى الثالث بن احمد الثالث			علي بك بن مصطفى بك			كان ميرالاي القدس . ويلقب بصو باشى .
				الحاج اسماعيل آغا	١١٧٤	١٧٦٠	متسلم القدس تابع لوالي الشام الحاج عثمان باشا .
				الحاج ابراهيم آغا الشورباجي	١١٨٥	١٧٧١	المعتقد انه من آل النمر من نابلوس .
٢٠	السلطان عبدالحميد الاول ابن احمد الثالث	١١٨٧	١٧٧٣				

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٢١	السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث	١٢٠٣	١٧٨٨	محمد باشا	١٢١٦	١٨٠١	كان يحمل رتبة (وزير) . وكان يوقع اوامره هكذا: السيد الحاج محمد باشا .
٢٢	السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الاول	١٢٢٢	١٨٠٧	يحيى بك	١٢٢٢	١٨٠٧	
٢٣	السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الاول	١٢٢٣	١٨٠٨	اسماعيل آغا	١٢٢٣	١٨٠٨	جد آل المغربي . وكان يلقب بـ : (آغا القدس).
				الحاج كنج احمد آغا	١٢٢٦	١٨١١	
				عبد الكريم آغا	١٢٢٩	١٨١٣	
				مصطفى آغا تيزيني	١٢٣٥	١٨١٩	ورد اسمه في (النسخة المقطوفة من التواريخ الموصوفة) هكذا : الطظيتي . وفي زمنه قامت في القدس ثورة اثارها عسكر الانكشارية.
				سليمان افندي	١٢٣٨	١٨٢٣	يهودي اعتنق الاسلام . كان في بر والي الشام درويش باشا عندما ظهرت خيانته .
				عبدالله باشا	١٢٤٧	١٨٣١	كان يوقع اوامره بوصفه (والي صيدا ومصر والعريش وغزة والقدس ونابلس وجنين) .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسمـــاء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	مـــلاحظات
				الشيخ سعيد مصطفى	١٢٤٧	١٨٣١	ارســـله عبدالله باشا بوصفه والى صيـــدا ومتصرف القـــدس . وكانت عـــكا مركز حكومته . وبعد مدة قصيرة من السنة نفسها عاد ، فاقاله : بسبب طمعه وتعديـــه على الاشراف واستماعـــه للمفسدين واختـــلاسه اموال الدولة . وامر الوالي ايضـــاً بمصادرة املاكه واملاك اقاربه .
				الحاج محمد شاهين آغا	١٢٤٧	١٨٣١	عينه عبدالله باشا خلفاً للشيخ سعيد المصطفى . وكان هـــذا (اي محمد شاهين) قبل ذلك متسلماً في لواء غزة . وفي هـــذه الاثناء جاء ابراهيم باشا وقـــامت الثورة في القدس وفي سائر انحاء فلسطين . .
				يحيى بك	١٢٤٧	١٨٣١	يبدو ان انتداب هذا المتسلم لادارة القدس قد تم بنـــاء على طلب اهالي القدس .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	ملاحظات
				الحاج محمد سعيد آغا	١٢٤٧	١٨٣١	الامر بتعيين هذا المتسلم وقعه ابراهيم باشا . وقد ارسله من ديوانه بعكا . وقد انتدبه لادارة القدس بعد ان اقال يحيى بك من منصبه نظراً لتباطؤه في خدمة المصلحة ! . .
				الشيخ قاسم الاحمد	١٢٤٨	١٨٣٢	عينه ابراهيم باشا بعد ان اقال سلفه الحاج محمد سعيد آغا لتباطؤه في خدمة الدولة ! . . وكان قبل ذلك قد انذره ! . .
				الشيخ محمد القاسم الاحمد	١٢٤٩	١٨٣٣	ابن الشيخ قاسم الاحمد
				الشيخ يوسف القاسم الاحمد	١٢٤٩	١٨٣٣	انه ابن الشيخ قاسم الاحمد واخو الشيخ محمد . والسبب ان اخاه الشيخ محمد سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج .
				جبر أبو غوش	١٢٥٠	١٨٣٤	تسلم المتسلمية من الحاج محمد آغا بامر من ابراهيم باشا . كان من حزب (اليمن). استغل منصبه فشنق اثنين من اصدقاء خصومه آل سمحان.

العدد المتسلسل للسلاطين	اسماء السلاطين	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	ملاحظات
							وهم من (قيس) . احدهما من آل النشاشيبي . كان مقر حكمه في (الباشورة) تجاه سوق العطارين . وعندما اقيل عينت له ماهية قدرها الف قرش.
				على محسن افندي	١٢١٥	١٨٣٥	تستلم المتسلمية بالوكالة على أثر عزل جبر أبي غوش
				حسن آغا	١٢٥١	١٨٣٥	كانت القدس على عهده تابعة الى عكا . وفي عكا وال اسمه امير الامراء محمد شريف باشا. وكان هذا يلقب : (كتخداي خديوي)
				حسين بك موسى باشا زاده	١٢٥١	١٨٣٥	مدفون بالقرب من دار الجالية الاميركية .الامر بتعيينه ممضى من محمد شريف باشا
				حسن بك	١٢٥٢	١٨٣٦	قد يكون هذا هو (حسن آغا المأمور) الذي تقدم ذكره .
				مصطفى آغا السعيد	١٢٥٢	١٨٣٦	الأمر بتعيينه ممضى من محمد شريف باشا حكمدار ايالات بر الشام .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
٢٤	السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني	١٢٥٥	١٨٣٩	احمد آغا الدزدار	١٢٥٥	١٨٣٩	رأيت الامر بنصبه متسلماً . وهو موقع من محمد شريف باشا بوصفه (حكمدار ايالات بر الشام) . وكان هذا تابعاً للخديوي في مصر .
				حسين راشد آغا	١٢٥٦	١٨٤٠	متسلم بالوكالة
				احمد آغا الدزدار	١٢٥٦	١٨٤٠	رأيت الامر بنصبه متسلماً للقدس ، هذه المرة ، ممضيا من محمد سليم باشا بوصفه (فريق العساكر المظفرة) . وقد جاء في أمر التعيين ان قد (صدرت الارادة الشاهانيه باتفاق آراء الدول المتحابة بازالة الاحكام المصرية عن هذه البلاد) .
				حسن آغا المجري	١٢٥٦	١٨٤٠	كان يلقب (تفنكجي باشى) . شهريته ثلاثمئة قرش . وكان في معيته ثلاثةانفار من التفنكجية لاجل ادارة المصالح . ولكل نفر قرشان يتناولهما من خزينة السلطان

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	مـــلاحظات
				محمد رشيد باشا	١٢٥٩	١٨٤٣	
				علي باشا	١٢٦١	١٨٤٥	كان هذا متصرف القدس وغزه ونابلس
				محمد قبرصلي باشا	١٢٦٢	١٨٤٥	كان سر عسكر (قائد) لاردو (الجيش) الشام ثم نقل الى القدس متسلماً . وكان ماهراً في القاء الفساد بين السكان والزعماء ورؤساء الطوائف .
				يعقوب باشا	١٢٧٠	١٨٥٣	طاعن في السن ، قليل النفوذ .
				رشيد باشا	١٢٧١	١٨٥٤	كان قبل ذلك متسلماً لعكا . رتبته فريق . وكان الذين من قبله برتبة مشير .
				كامل باشا	١٢٧٢	١٨٥٥	تولى الادارة في ١٥ فبراير ١٨٥٥ . استقبل باطلاق عدد من مدافع القلعة . سكن في الدار التي كانت قبلاً تعرف بمدرسة الجاولي . شاب ضعيف . ذو تربية افرنسية .

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				مصطفى ثريا باشا	١٢٧٥	١٨٥٨	وعلى وول اسماعيل ثريا باشا
٢٥	السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني	١٢٧٧	١٨٦٠	خورشيد باشا	١٢٧٩	١٨٦٢	عين خلفاً لثريا باشا. وقد اضيف اليه سنجقا غزة ونابلس . وامر بأن يتبع والى صيدا الوزير قبولي باشا .
				نظيف باشا	١٢٨٤	١٨٦٧	في هذا التاريخ استبدل لقب (متسلم) بلقب (متصرف) . وفي هذا التاريخ انشئت الطريق التي تربط القدس بيافا . والطريق التي تربطها بنابلس
				كامل باشا	١٢٨٩	١٨٧٢	
٢٦	السلطان مراد الخامس ابن عبد المجيد	١٢٩٣	١٨٧٦				
٢٧	السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد	١٢٩٣	١٨٧٦	احمد رشيد بك	١٢٩٣	١٨٧٦	
				رؤوف باشا	١٣٠٣	١٨٨٥	كان عفيفاً ، وكان مستقيماً، وكان صارماً في تعقب آثار اليهود الذين دخلوا البلاد خلسة وخلافاً للقانون الذي يحرم هجرة اليهود الى فلسطين

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين هجري	تاريخ حكم السلاطين ميلادي	اسمـاء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة هجري	تاريخ حكم الولاة ميلادي	مـلاحظات
				نشأت باشا	١٣٠٤	١٨٨٦	جاء بعد رؤوف باشا
				رشاد باشا	١٣٠٧	١٨٨٩	قبل ابراهيم حقي باشا
				ابراهيم حقي باشا	١٣٠٨	١٨٩٠	جاء من طرابلس الشام سجل ص٣٦
				قاسم بك	١٣١٦	١٨٩٨	
				توفيق بك	١٣١٧	١٨٩٩	نقل الى ولاية سلانيك ترفيعاً انه واكثر المتصرفين الذين جاؤوا من بعده ينتمون الى (المـابين) أي سراي السلطان
				جواد بك	١٣١٩	١٩٠١	نقل الى ولاية انقرة ترفيعا
				عثمان كاظم بك	١٣٢٢	١٩٠٤	
				احمد رشيد بك	١٣٢٤	١٩٠٦	نقل الى ولاية مناستر ترفيعا
				علي اكرم بك	١٣٢٦	١٩٠٨	انه ابن (نامق كمال بك) الشاعر التركي المشهـور. وعلى عهده نشر الدستور بالقدس
٢٨	السلطان محمـد رشاد الخامس بن عبد المجيد	١٣٢٧	١٩٠٨	صبحي بك	١٣٢٧	١٩٠٩	نقل من متصرفية القدس الى ولاية استـانبول ترفيعاً . وقد تولى امانة العاصمة في نفس الوقت.

العدد المتسلسل للسلاطين	اسم السلطان	تاريخ حكم السلاطين		اسماء الولاة والمتسلمين	تاريخ حكم الولاة		ملاحظات
		هجري	ميلادي		هجري	ميلادي	
				عزمي بك	١٣٢٨	١٩١٠	صار بعدئذ والياً على سورية. ثم وزيراً للحقانية
				جودت بك	١٣٢٩	١٩١١	
				مهدي بك	١٣٣٠	١٩١٢	الباني الاصل. تولى اخيراً نيابة الملك في البانيا وذلك على اثر مغادرة الملك زوغو لها
				احمد ماجد بك بن شوكت	١٣٣١	١٩١٣	على عهده اعلنت الحرب الاولى ١٩١٤ – ١٩١٧ وفي زمانه ازداد نفوذ المتصرفين وطغى على القضاة. وصارت الاوامر تصدر من وزارة الداخلية بدلاً من المشيخة الاسلامية
				مدحت بك	١٣٣٤	١٩١٥	
				فخر الدين بك	١٣٣٥	١٩١٦	
				عزت بك	١٣٣٦	١٩١٧	انه آخر المتصرفين. وعلى عهده احتل الانكليز مدينة القدس.

تلك هي اسمـــاء السلاطين ، واسمـــاء الولاة والحكام[١] الذين انتدبوا لادارة القدس وقطاعها ، في عهد الاتراك العثمانيـين . وبودنا الان ان نضيف الى هذه الاسماء قولنا : ان متصرف القدس كان ، في السنوات الأخيرة ، ياتمر بأوامر وزير الداخلية في العاصمة : استانبول . وكان يتبعه اربعة أقضية هي : يافا والخليل وغزة وبئر السبـع .

وكان على رأس كل قضاء من هــذه الاقضية قائمقام مسؤول عن ادارته وتمشية اموره . وكان هذا القائمقام مسؤولا عن اعماله تجاه المتصرف الذي كان على رأس السنجق . وكان كل قضاء مقسوماً الى نواحي . وكان على رأس كل ناحية مدير مسؤول عن اعماله تجاه القائمقام . والناحية مؤلفة من عدة قرى . وفي كل قرية مختار يساعده عدد من وجوه القرية باسم (اختيارية) .

وكان سنجق القدس (١٣٢١ هـ — ١٩٠٥ م) مؤلفاً من القرى والنواحي والقبائل التالية :

	قرية	ناحية	قضاء	قبيلة
مركز اللواء (القدس)	١٢٦	٤ [٢]	•	•
قضـــاء يافا	١٢٦	٢ [٣]	١	•
قضـــاء بئر السبـع	•	•	١	٥ [٦]
قضـــاء غزة	٧٥	٣ [٤]	١	•
قضـــاء خليل الرحمن	٥٢	٢ [٥]	١	•
	٣٧٩	١١	٤	٥

وظل هذا التقسيم الاداري نافذ المفعول في العهد التركي ، حتى الاحتلال البريطاني (١٩١٧) .

---

(١) لا نجزم ابدا ان المتصرفين الذين دونا اسماءهم في الاسطر المتقدمة ، هم وحدهم الذين تولوا الحكم في بيت المقدس . وانما نقول انهم هم الذين عثرنا على اسمائهم خلال تتبعنا تاريخ ذلك العهد . وقد يكون ثمة اشخاص اخرون ، لكننا لم نطلع على اسمائهم .

(٢) هي بيت لحم ، رام الله ، صفا ، عبوين .

(٣) هما الرملة ، نعلين .

(٤) هي خان يونس ، المجدل ، الفالوجة .

(٥) هما بيت عطاب ، بيت جبرين .

(٦) هي العزازمة ، الترابين ، التياها ، الجبارات ، الحناجرة .

النظام المالي في العهد التركي

كان النظام المالي الحكومي السائد في فلسطين في العهد العثماني[1] هو نفسه الذي كان متبعاً في السلطنة العثمانية كلها قبل الحرب .

كانت مالية سنجق القدس المستقل (وهو يتألف من اقضية القدس ويافا والخليل وغزة وبئر السبع) تدار مباشرة من قبل وزارة المالية في الآستانة . بينما كانت مالية سنجق عكا (وهو يتألف من اقضية عكا وحيفا وصفد والناصرة وطبريا) وسنجق نابلس (وهو يتألف من اقضية نابلس وجنين وطولكرم) تدار من بيروت .

واليك بيان الضرائب التي كان يجبيها الاتراك من الاهلين في ذلك الحين :

(آ) الويركو والمسقفات .
(ب) الاعشار .
(ج) الاغنام .
(د) التمتع .
(ه) الكروسة (او العملة المكلفة) .
(و) المعارف .

اما (**الويركو**) فقد فرض بموجب القانون العثماني المؤرخ في ٥ آب ١٨٨٦ م . وكان يجبى من اصحاب الاملاك بنسبة اربعة في الالف عن الدور المعدة للسكن اذا كانت قيمتها دون العشرين الف، وثمانية في الالف اذا كانت هذه فوق العشرين الف، وعشرة في الالف عن الدكاكين والدور المعدة للايجار . ثم اضيف الى ذلك ٦ ٪ باسم (**تجهيزات عسكرية**)

(١) النظام الاقتصادي في فلسطين . ص ٦٧٥ .

وكان ذلك قبيل اعلان الدستور (١٩٠٨ م) .

وبعد حرب البلقان (١٩١٢ م) اضيف ٥ ٪ عن الاراضي لاجل تغطية العجز الذي طرأ على موازنة الدولة . ثم اضيف اليه ٢٥ ٪ عن المسقفات باسم الاسطول .

وعلى ذكر (**المسقفات**) نقول انها ضريبة فرضها الاتراك بموجب القانون المؤرخ ١٤ حزيران ١٣٢٦ ه ١٩١٠ م وهي بدلا من الويركو على المباني . وكانت تبنى على مجمل الدخل من الاملاك المبنية .

وكانت قيمة الانشاءات تقدر من قبل لجنة قوامها مدير المال او مساعده الذي كان يطلق عليه (كاتب الويركو)، ومأمور التحصيلات ، وعضو من قومسيون التحصيلات، وآخر من اعضاء المجلس البلدي، وآخر من السكان . وتطرح الضريبة على اساس هذه القيمة المقدرة للابنية المتقدم ذكرها . فيجبيها الجابي . وكانوا يسمونه يومئذ (تحصيلدار الويركو[1]) . واما المساكن الكائنة داخل السور ، فانها معافاة من الويركو .

واما (**ضريبة العشر**) فقد كان الاتراك يجبونها من اصحاب الاراضي بنسبة ١٠ بالمائة من حبوبهم وسائر حاصلاتهم الزراعية . حتى (الحنضل) و (القلي[2]) فان الحكومة التركية كانت تفرض

(١) هذه كلمة تركية مؤلفة من كلمتين : احداهما (تحصيل) عربية ، والاخرى (دار) فارسية . ومعناهما الماسك او القابض . واما كلمة (الويركو) فهي مشتقة من (ويرمك) التركية . ومعناها العطاء .

(٢) اشتكى تجار الصابون في القدس ، سنه ٩٧٣ه - ١٥٦٥ م ، لان امير لواء القدس الياس بك ظلمهم . اذ تناول منهم حملا عن كل عشرة احمال من القلي (السجل ٤٩ الصفحة ٢٢)

عليها ضريبة العشر، ثم زيدت هذه النسبة، فجعلت ١٢ ونصف بالمائة . وكانت الحكومة التركية تجبيها بواسطة (الملتزمين) . وكان اكثر هؤلاء من طبقة الافندية الذين اثروا عن هذه الطريق . فقد كان الواحد منهم يتعهد بدفع مبلغ من المال لصندوق الحكومة عن مدينة القدس، اوعن قرية من قراها. ثم يجبي من اهل المدينة ، او القرية اضعاف ذلك المبلغ . وكانت الحكومة في بعض الاحايين تضيف الى بدل الالتزام٦ ٪ باسم (التجهيزات العسكرية) وكانت الحكومة التركية تخصص ١٢ بالمائة من هذا المبلغ للبنك الزراعي الذي عهدت اليه اقراض المزارعين ،ومدهم بالمال اللازم لتقويتهم وتحسين زراعتهم؛ و ٤ بالمائة للطرق والاشغال العامة، و ٥ بالمائة للمعارف، والباقي وقدره ٧٩ بالمائة كان يدخل الخزينة لينفق في سبيل مصالح الدولة ومرافقها العامة .

واما (**ضريبة الاغنام**)فانها ضريبة قديمة العهد. فقد كانت الحكومة التركية تجبيها عن الاغنام والجمال المعدة للنقل بنسبة اربعة قروش[1] عن كل رأس من الغنم . ثم اضيف الى ذلك ٢٥ بارة باسم التجهيزات العسكرية (١٩٠٨ م) ، وعشر بارات باسم الاسطول (١٩١٢ م) الى ان اصبحت خمسة قروش و ٢٥ بارة عن كل رأس من الغنم .

واما عن الجمل المعد للنقل فقد كانت الحكومة تحصل عشرة قروش تركية . ثم اضيف الى هذا المبلغ قرشان باسم التجهيزات العسكرية ، وقرشان ونصف باسم الاسطول ؛ الى ان اصبح ثلاثة عشر قرشاً و ٢٠ بارة عن كل جمل .

واما الجمال المعدة للحراث ،فقد كانت معفاة من الضرائب . وكذلك قل عن الاغنام المولودة في بحر

(١) كانت هذه في بداية الامر قرشا ونصف ، فاصبحت قرشين ونصف ، ثم صعدت الى ثلاثة قروش ، فاربعة .

السنة . ولا يحصل هذا الرسم عن الخيل او الحمير او الثيران . وانما هو يحصل عن الخنازير .

واما (**ضريبة التمتع**) فانها كضريبة الدخل التي تجبى في يومنا هذا . وقد كانت هذه على عهد الاتراك ضئيلة للغاية فقد كانوا يحصلونها من التجار وارباب الصناعات واصحاب المهن بنسبة ارباح كل واحد منهم . فالتاجر والنجار والحداد والبقال حتى والفواخيري ،كان يدفع ضريبة بنسبة ربحه وتمتعه. وكان معدل هذه الضريبة يتراوح بين اثنين وعشرة بالمائة من الدخل السنوي .

والذي كان يقدر قيمة الدخل اللجنة نفسها التي قلنا في الاسطر المتقدمة انها كانت تقدر قيم الاملاك من اجل ضريبة (الويركو) .

واما (**ضريبة العمال المكلفين**[1]) فقد كان الاتراك يفرضونها على كل شخص يتروح بين العشرين والستين من العمر . وكان على المكلف ان يدفع ستة عشر قرشاً في السنة ،اويشتغل في تعبيد الطرق ثلاثة ايام؛ على ان لا تقل مدةالعمل في اليوم الواحد عن ثماني ساعات .

واما (**ضريبة المعارف**) فقد كانت تجبى بنسبة ٥ بالمائة من قيم المسقفات. وكانت تضاف الى ضريبة الويركو وتجبى معها . وكانت الحكومة تسلمها الى النافعة (مصلحة الاشغال العامة) لتنفقها في سبيل المدارس .

واما (**العسكرية**) فانها ضريبة كان الاتراك يحصلونها من الذميين الذين لم يعتنقوا الدين الاسلامي، تلقاء اعفائهم من الجندية . وكانت تحصل بنسبة ٢٨ قرشاً عن كل شخص في السنة .

(١) كان الناس يسمون هذه الضريبة : (الكروسية).لان القصد منها كان تعبيد الطرق وتمهيدها لسير العربات ذوات العجلات، او ما يسمونه : (الكروسة) .

(**الجزية**) في اوائل العهد التركي كانت تحصل من اهل الذمـة . وهي سنوية . تجبى من الصنوف الثلاثة (الاغنيـاء والمتوسطين والفقراء) بنسب مختلفة .فكانت السلطة (وهي الحاكم الشرعي) تجبى من كل واحد من الاغنياء احد عشر قرشاً ومن متوسطى الحال خمسة قروش ونصف القرش ومن الفقراء قرشين ونصف القرش. ومجموع الذين فرضت عليهم الجزية في سنة ١١٧١ هـ — ١٧٥٧ م الفان ومئة واربعون : مئتان منهم اغنيـاء ؛ و ٤٤٠ متوسطو الحال ؛ و ١٥٠٠ فقراء . وكان عددهم قبل ذلك بربع قرن الفين فقط .

والموظف المسؤول عن ترتيب هذه الجزية كان يسمى (جزية دار) .وكان هذا يعمل بارشاد الحاكم الشرعي . ويظهر ان الجزية كانت تنفق في سبيل الحج .

ويظهر ان السلطـة المرزية في القسطنطينية كانت تفرض على الزعماء وارباب التيمارات بالقدس مبلغاً من المـال يؤدونه الى الجيش . فقد قرأنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس[1] امراً موجهاً الى «المتسلم والقاضي والمفتي ونقيب الاشراف والميرآلاي وآغا اليكجري كي يحصلوا من زعمـاء القدس وارباب التيمارات فيها مبلغاً قدره ١٣,٠٠ غرشاً ويرسلوه الى الآستانة » .وهذا الامر من والي الشام وقـد تلقاه من الآستانة .وفي الامر « عفو عن توجه الزعماء وارباب التيمارات عن السفر للآسـتانة » . ومنـه يفهم ان الزعمـاء كانوا في السنين السابقـة يؤمرون بالسفر اليها ودفع المبالغ فيها. ولكنهم في هذه المرة اعفوا من السفر على ان يدفعوه الى (تاتارآغـاسى) المرسل من قبـل الصدر الاعظم « . ومن يتأخر عن الدفع يندم غاية الندم » .

(١) السجـل ٢٩٨ الصفحة ١٠ السنة ١٢٢٩هـ - ١٨١٣م .

(**ضريبة الغفر**) كانت تجبى في اسـكلة يافا . والذي كان يجبيها هو امين الكرك من الحجاج اليهود والنصارى الذين يفدون الى القـدس بقصد الزيارة والحج . وكانت هذه سبعة قروش اسديه ونصف القرش . نصفهـا للدولة والنصف الاخر للعرب العوجية[1] الذين يرافقون الحجاج في الطريق من يافا الى القدس بقصد الحراسة .

واما (**رسم الوراثة**) فيدفعـه الوارث لخزانة الدولة بنسبة اربعة في الالف من قيمة الاملاك التي يرثها .

وكانت هنالك ضرائب غير مباشرة ، منها :

١ — (**الرسوم الجمركية**) وهـذه تجبى عن البضائع المستوردة بمعدل ٨ ٪ مع رسم اضافي قدره ٣ ٪ كان مخصصاً لمصلحة الديون العمومية العثمانية .

وكانت الحكومـة تحتكر انتاج الملح وبيعـه وتخصصه للديون العمومية ايضاً .

وكان يخصص ايضاً لمصلحة الديون رسم المكس على الخمور .وهذا تديره الوكالة المحلية لمجلس الديون . والوكالة المحلية هي التي تصـدر الرخص وتراقب الانتاج وتجبي الرسم .

وكان مجلس الديون يكل الى الوكالة المحلية بيع التمغة (اي الطوابع) واصدار رخص صيد الاسماك والطيور وحمل السلاح . فيدفع التجار والاشخاص الذين يتعاطون تجارة هـذه المواد ثلاثة في المئة من مرابحهم . الا المقيمين في القدس، فانهم معافون.

وكان التبغ في الاصل محتكراً من قبل الحكومة،

(١) قرات شيئا عن هذه الضريبة في السجل ٢٤٢ الصفحة ١٦٠ السنة ١١٢٢هـ — ١٧٥٨م وهم اما ان يكونوا قصدوا من كلمة (عوجية) العربان المقيمين حول نهر العوجا اوا لخبيرين بالصيد وضرب النار . وعندي ان هذا هو الاصوب .

وايراداته ايضاً مخصصة لمجلس الديون. ثم نقل هذا الاحتكار الى شركة فرنسية لثلاثين سنة، على ان يعطى مجلس الديون نسبة مئوية معينة من ارباح الشركة. وهكذا مع ان الضرائب كانت ثقيلة على البلاد، الا انه لم يصل من ايراداتها الى الحكومة الا القليل (١٨٩٨ م).

وهناك **رسوم المحاكم ورسوم جوازات السفر والرسوم التي تجبى عن مستندات الصرف وعن اللوائح والعرائض** التي ترفع الى الحكام ورؤساء الدوائر. فان هذه الرسوم فرضت في اواخر عهد الدولة العثمانية. ولقد زيدت بعد اعلان الدستور (١٩١٠ م) كما زيدت الضرائب الاخرى. وكانت الزيادة بالنسبة التالية[1]:

٢٥ ٪ على ضريبتي الويركو والتمتع.
٢٥ ٪ على رسوم الحيوانات.
١٠٠٪ على رسوم المحاكم كلها.
١٠٠٪ على رسوم جوازات السفر.

غرشان عن كل مستند صرف. بعد ان كان غرشاً واحداً.

(١) السجل ١٠ الصفحة ٩ السنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).

غرشان عن كل عريضة او استدعاء. بعد ان كان غرشاً واحداً.

واما (**واردات المحكمة الشرعية**) فقد كانت تدفع كلها الى صندوق الحكومة (بيت المال). وظلت كذلك حتى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م فصار يرد منها الى بيت المال ٧٥٠ غرشاً. واما اذا زاد عن ذلك؛ فيدفع ثلثاه الى بيت المال، والثلث الاخر يوزع على كتبة المحكمة الشرعية وخادميها. ذلك كان بامر من شيخ الاسلام محمد جمال الدين افندي. ولكن هذا الترتيب الغي بعد عام واحد. فقد اصدر شيخ الاسلام عامئذ محمد صاحب افندي امراً يقضي بتوريد جميع واردات المحكمة الشرعية الى الخزينة[1].

ومع ان المدينة القديمة مستثناة من الضرائب فانه مما لا شك فيه ان هذا اللواء (اي سنجق القدس واقضية يافا وغزة وبئر السبع والخليل التابعة له) فقد تنفس الصعداء بعد اعلان الدستور (١٩٠٨ م) من ناحية الضرائب. فبعد ان بلغت وارداته سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٥ م ١٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية انخفضت هذه سنة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م الى ٣٠,٦٥١ ليرة عثمانية، كما ترى ذلك في الارقام التالية التي تمثل لك ميزانية اللواء في تلك السنة:

(١) السجل ٤ الصفحة ٣٣ السنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).

ميزانية سنجق القدس الشريف (سنة ١٣٣٠ رومي)

١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م

(آ) الواردات :

غروش		
١,٠١٣,٢٨٣	الاعشار الاصلية	القسم الاول
٥٢٠,٧١٤	الاعشار المنضمة من جديد	
١,٥٣٣,٩٩٧		
٩٩٠,٥٤٧	بدلات الطرق	القسم الثاني
١٢٦,٥٦٠	رسوم وعوائد	
٣٣٤,٠٠٠	حاصلات املاك الدولة ومؤسساتها	
٨٠,٠٠٠	حصة التمتع	
١,٥٣١,١٠٧		
٠	اعانات وتبرعات	القسم الثالث
٠	ما دفعته الخزينة لسد العجز	
٣,٠٦٥,١٠٤	مجموع الاقسام الثلاثة	

(ب) المصروفات

٩٨,٠٠٠	مخصصات المجلس العمومي	القسم الاول
١٢٠,٨٤٠	رواتب المأمورين	
٢٤,٧١٠	نفقات متنوعة	
٢٤٣,٥٥٠		
٩٦,٦٠٠	رواتب المأمورين والمستخدمين الفنيين	القسم الثاني (الطرق والمعابر)
١,٠٠٠,٠٠٠	نفقات الكشف والتعمير والانشاء	
٢٧,٥٠٠	نفقات متنوعة	
١,١٢٤,١٠٠		

القسم	البند	المبلغ
القسم الثالث (المعارف)	رواتب مفتش المعارف	١٨,٠٠٠
	تدريسات ابتدائية (قسم عالي)	٠
	تدريسات تالية (« »)	٢٠,٥٢٠
	تدريسات ابتدائية (قسم ابتدائي)	٥٨٧,٢٠٠
	دار المعلمين	١٠٩,٧٠٠
	مدارس وقفية وخصوصية (مسلم وغير مسلم)	٥,٠٠٠
	مدارس عمومية (انشاءات وتعميرات)	٢٧٠,٠٠٠
		١,٠١٠,٤٢٠
القسم الرابع (الأمور الزراعية والبيطرية والصناعية)	المدرسة الزراعية (جفتلك)	١٥,٠٠٠
	مخزن الآلات الزراعية	٩٣,١٥٠
	المطبعة	٥٩,٦٠٠
		١٦٧,٧٥٠
القسم الخامس (الامور الصحية والخيرية)	المستشفى	٠
	دار الايتام	٠
	الامور الصحية	٠
القسم السادس (مصاريف مختلفة)	الحصة العشرية العائدة للمصرف الزراعي	٣٣٧,٧٦٠
	نفقات التحصيل	٢٧,٢٧٤
	نفقات العقارات والاماكن العائدة للادارة الخصوصية	١٢٩,٢٥٠
	مصاريف المحاكمة	٥,٠٠٠
	مصاريف غير مرئية	٢٠,٠٠٠
		٥١٩,٢٨٤
	مجموع الاقسام الستة معاً	٣,٠٦٥,١٠٤

* *

النقود والمسكوكات في العهد التركي :

يظهر ان النقود التي كانت ، في بداية الحكم التركي ، رائجة بين سكان بيت المقدس هي التي سكت على عهد المماليك . وان قيمة هذه المسكوكات قد هبطت الى الحضيض مع زوال حكم المماليك . الامر الذي حدا بالسلطان سليمان القانوني الى سك فلوس[1] جديدة سميت باسمه . ويظهر ايضاً ان الناس في باديء الامر اقبلوا على التعامل بالفلوس الجديدة واهملوا القديمة لهبوط قيمتها . الامر الذي احدث ارتباكا في الاسواق فراحت جماعة من المسلمين الى نائب القدس تشكو امرها قائلة[2] . انها « تضررت من قلة الفلوس الجدد والتعنث على الفلوس العتق لكثرتها . فتقرر ان تكون الفلوس العتق المسكوكة كل اربعة بربع . وذلك برضى جماعة السوقة واحمد بن ابي بكر محتسب القدس الشريف » .

واليك بيان بعض النقود المسكوكات التي سمعنا بها في ذلك العهد : ان اول عملة ضربت في العهد التركي كانت تسمى :(اقجه) . انها كلمة مغولية الاصل . ومعناها : القطعة البيضاء . ضربها علاء الدين باشا اخو السلطان اورخان . وقد اتخذت يومئذ راتباً يومياً للواحد من الجنود . كانت في البدء تساوي ثلث درهم من الفضة . وفي قول انها عبارة عن اربعين بارة . وساحدثك عن (البارة) وقيمتها في السطور التالية .

(**الدرهم**[1]) كانت المعاملة ، في اوائل العهد التركي ، بالدرهم وهو من الفضة وكانوا يسمونه (٩٥٤ هـ - ١٥٤٧ م) الدرهم التركي . وجمعه دراهم . وكثيرا ما وردت هذه في الصكوك باسم (الدراهم الفضية العثمانية) وهي من القطع السليمانية .

وسترى فيما يلي من السطور[2] ان كل اربعة دراهم من الفضة كانت تساوي قرشاً واحدا .

(**الدينار**[3]) هو نوع من النقد يعادل السكة السلطانية المصنوعة من الذهب . والدينار عبارة عن اربعين قطعة من الفضة السليمانية .

والدينار الذهب كانوا يسمونه (البندقي[4]) وقيمته ٤٨ قطعة مصرية . والقرش الصحيح كان في الاصل عبارة عن ٣٢ قطعة مصرية .

ولقد عثرنا على ذكر (للدنانير الناصرية) ويظهر انها سكت قبل عهد الاتراك .

(**بارة**) قطعة من النقد التركي ، صغيرة القيمة . لا ، بل انها اصغر من اي نقد آخر . اصل الكلمة

---

(١) (الفلس) بالفتح قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها وهي من المسكوكات القديمة . جمعها فلوس . والفلس ايضا ورقة الجزية كانت تختم ويعلقها الذمي في عنقه شهادة لاداء جزيته واما (الفلس) بالكسر فانه ضم لبني طسي . (البستان) .

(٢) السجل ٤٩ الصفحة ٣٧ التاريخ ٧ شوال سنة ٩٧٣هـ (١٥٦٥م) .

(١) الدرهم في اللغة جمع عدد من (الدوانق) . والدانق معرب دانك اليونانية وهو سدس الدرهم ولما كان الدرهم الاسلامي ست عشرة حبة خرنوب ، فان الدانق الاسلامي حبتا خرنوب وثلثا حبة . (البستان) .

(٢) السجل ٢٣٤ الصفحة ٤ السنة ١٢٠٤ هـ(١٧٨٩).

(٣) الدينار في اللغة قطعة من الذهب تعامل بها العرب قديما بالوزن لى ان اخرجها الحجاج في خلافة عبد الملك بن مروان . صله دنار ، وجمعه دنانير . (البستان) . ظن بعض المؤرخين ان (دينار) كلمة فارسية . ولكن المحققين اثبتوا انها يونانية او لاتينية عرفها الفرس في زمن السلوقيون خلفاء الاسكندر المكدوني . فنقلوها الى لغتهم .

(٤) انه اول عملة ذهبية ضربها العثمانيون كان ذلك في زمن السلطان محمد الفاتح . السجل ٦٨ الصفحة ٥٥ السنة ١٠١٣هـ (١٦٠٤م) .

(بارة) وهي فارسية . ومعناها شقفة او قطعة او جزء . وجمعها : بارات . والبارة عبارة عن واحد من اربعين من القرش ، او ان القرش عبارة عن اربعين بارة .

والبارة كانت متداولة في البلاد العثمانية ولا سيما مصر . ولذلك يقال لها ايضاً مصرية . ومن هنا جاء قولهم : (معك مصاري) اي دراهم للانفاق .

(**القطعة المصرية**) تعدل قطعتين شاميتين او قطعتين عثمانيتين ايضا . والقرش الاسدي عبارة عن ثلاثين قطعة مصرية[1] . ويظهر انه كان هناك قرش غير القرش الاسدي. وهذا القرش كانوا يسمونه بالقرش الصحيح . وقيمته[2] ٣٢ قطعة مصرية .

ولقد جاء في البستان انه لما كانت البارة متداولة في البلاد العثمانية ولا سيا في مصر ، فقد سميت ايضا مصرية . اذاً يجوز القول: ان المقصود من القطعة المصرية هو البارة .

(**القطعة الشامية**[3]) نصف القطعة المصرية . اي ان كل قطعة مصرية تعادل قطعتين شاميتين . ولما كان القرش الاسدي يعادل ثلاثين قطعة مصرية وبالتالي ستين قطعة شامية، فتكون القطعة الشامية عبارة عن جزء من ستين من القرش الاسدي .

ويظهر ان القطعة الشامية والعثمانية واحدة . اذ انا عثرنا على نص في سجلات المحكمة جاء فيه ان كل عثمانيتين تعادلان قطعة مصرية .

(**السلطاني**) من النقود السليمانية . الواحد منه يعادل ٤٠ قطعة مصرية . ولقد قدر القاضي قيمة شيء من الاشياء بثلاثين سلطانيا قال عنها في قراره

(١) السجل ١٢٩ الصفحة ١٤٧ السنة ١٠٥٣ ه (١٦٤٣) .
(٢) السجل ٦٧ الصفحة ٥٥ السنة ١٠١٣ه (١٦٠٤م) .
(٣) السجل ٧٩ الصفحة ٣٥ السنة ١٠٠٦ ه (١٥٩٧م) .

انها تعادل ١٢٠٠ قطعة مصرية . ولما كان القرش الاسدي يعادل ثلاثين قطعة مصرية فيكون السلطاني معادلا لقرش وثلث القرش من القروش الاسدية .

(**السكة**) او (**السكة السلطانية**) نوع من العملة ورد ذكرها في المعاملات المدونة في سجلات المحكمة الشرعية خلال القرن العاشر للهجرة (٩٧٣ ه - ١٥٦٥ م) . ويعتقد انها من النقود التي سكت في زمن السلطان سليمان القانوني .

منها ماسك من الذهب ويسمونه (الذهب السلطاني) او (الدينار[1]) . ومنها ماسك من الفضة ويسمونها (الفضة السليمانية) او (القطع السليمانية) .

ويظهر ان الدينار او السكة السلطانية المصنوعة من الذهب كانت تعادل اربعين قطعة من الفضة السليمانية[2] او مئة بارة .

وقرأت في مكان آخر ان السكة كانت عبارة عن خمس بارات . وقد تكون هذه هي المصنوعة من معادن اخرى .

(**القرش الاسدي**) انه من النقود التي سكها السلاجقة في بر الاناضول ، وانتقلت معهم الى هذه البلاد عندما اكتسحوها .قيمته اربعون بارة . وقد سمي كذلك لان صورة الاسد كانت في البدء مطبوعة عليه . وعلى قول انه كانت عليه صورة الاسد والشمس معا . واستعمله الفرس على هذا الشكل كشعار خاص لمملكتهم . وظل يسمي القرش الاسدي، رغم ان صورة الاسد رفعت عنه مع الزمن.

استعمل فيما مضى اساسا للمعاملات التجارية

(١) كانوا يقولون كل ما ذكروا الدينار انه من الذهب السلطاني الجديد السليماني الرائج في ذلك التاريخ .
(٢) كانوا يقولون : « اربعة سلطانية وعشر قطع سليمانية »

ولصرف النقود ، ثم انحصر استعماله في بيع الاشياء بالمزاد العلني فقط . وظل رائجا في هذه البلاد حتى اواخر القرن التاسع عشر . وهناك من يقول ان اول من استعمله هم الاتراك العثمانيون ، وان هؤلاء اخذوه عن العملة الاسدية الهولاندية التي كانت آنئذ رائجة لديهم في الممالك العثمانية . وكانت تضرب بقيمته ثمانية دراهم ونصف . وبعد ان استعمله الاتراك العثمانيون صار يسمى (**القرش التركي**) ويقال له ايضاً (**القرش العثماني**) و (**القرش السلطاني**) .

والقرش الاسدي كان ، خلال القرن السابع عشر للميلاد ، يعدل[1] ثلاثين قطعة مصرية[2] وقد رأيناه في مواضع اخرى ، خلال ذلك العصر ، يساوي ثلاثة فرنكات . وفي قول ان القرش السلطاني يساوي ٤٠ قطعة فضيه . والقرش الاسدي (وهو نصفه) يساوي ٢٠ قطعة فضية .

ومن هذا يفهم ان كلمة (**القرش**) سواء كانت من اختراع الاتراك السلجوقيين او الاتراك العثمانيين فانها كلمة تركية اصلها (**غوش**) . ومن اسمائها باللغة التركية ايضا : (**آقجة**)[3] .

وعلى قول انها لاتينية الاصل[4] او المانية : (**جروش**) . ومهما كان اصلها فان العرب اخذوها عن الاتراك فعربوها وقالوا (**قرشا**) . والاتراك ضربوا هذا النوع من النقد في بلادهم لاول مرة على عهد السلطان سليمان الثاني ١٠٩٩ — ١١٠٢ هـ (١٦٨٧—١٦٩١م) وهو جزء من المئة من الليرة التركية .

(١) السجل ١٠٢ الصفحة ٣ السنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨م) .

(٢) انظر الى تفسير القطعة المصرية في غير هذا المكان .

(٣) يقول المؤرخ التركي ابراهيم حلمي: برغروش = براقجة.

(٤) جاء في (البستان) ان الغرش ضرب من المسكوكات معرب . وجمعه غروش . والقرش كالغرش زنة ومعنى وجمعه قروش.

كانت زنة القطعة الواحدة ستة دراهم فضية . وقد استعمل القرش منذ قرن ونصف تقريبا كوحدة للمعاملات المالية والنقدية بقيمة اربعين بارة .

ظلت النقود السليمانية المتقدم ذكرها رائجة في اسواق بيت المقدس حتى زمن السلطان سليم الثالث بن مصطفى الثالث الذي تولى العرش سنة ١٢٠٣ للهجرة — ١٧٨٨ م . فقد « صدرت الارادة[1] السنية ، على عهده ، بطلب الاواني الذهبية والفضية وجمعها ممن عندهم وارسالها الى الضربخانة[2] على ان يعوض صاحبها عن كل مثقال[3] من الذهب بستة قروش ونصف ، وعن كل اربعة من الفضة بقرش واحد . »

ومن النقود التي اشتهرت في ذلك العهد ولا سيما خلال القرن الثامن عشر للميلاد (**الزلطة**) وهي بولونية الأصل . فالصداق كان ٥٠٠ زلطة والدار الكائنة بباب حطة بيعت بسبع عشرة زلطة . ولقد حاولنا ان نفهم كم كانت قيمة الزلطة في ذلك العهد فلم نفلح غير ان فريقا من الشيوخ الطاعنين في السن في عصرنا هذا قالوا لنا انها عبارة عن ثلاثين بارة فضية . اي انها ثلاثة ارباع القرش الاسدي ، او خمس ذهبة فندقية .

(١) السجل ٢٣٤ الصفحة ٤ التاريخ ٥ جمادي الاولى سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩م) .

(٢) (الضربخانة) هي الدار التي اعدتها الحكومة العثمانية لضرب المسكوكات في القسطنطينية .

(٣) (المثقال) في اللغة ما يوزن به . ومنه الاية (وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين) . والمثقال ايضا احد مثاقيل الذهب وهو عبارة عن اثنين وسبعين شعيرة . وفي الاختيار هو عشرون قيراطا . وكذا في الهداية او البستان .

ولقد سكت ، بعد ذلـــك التاريخ ، نقود ومسكوكات كثيرة اخرى . سميت كل واحدة منها باسم السلطان الذي سكت على عهده . ومنها (**المحمودية**) التي ضربت على عهد السلطان محمود (١٨٠٨ م) . (**المجيدية**) التي ضربت على عهد السلطان عبـــد لجيد (١٨٣٩ م) . و (**العزيزية**) التي ضربت على ـهـد السلطان عبد العزيز (١٨٦٠م) . و(الحميدية) تي ضربت على عهد السلطان عبد الحميد (١٨٧٦) . (**الرشادية**) التي ضربت على عهـد السلطان محمـد شاد الخامس (١٩٠٨) .

اما (**العملة المحمودية**) فانها نوعان : (**عملة مغشوشة**)[١] وهي عبارة عن البشلك (قرشان ونصف) والوزري (خمسة قروش) والعشروية (**متاليك**) . والنوع الثاني (عملة ذهبية) وهي عبارة عن خيرية ، ومحمودية .

والحقيقـة ان العمـلة المغشوشة فقـط هي التي كانت رائجة في اسواق التجارة . وهي التي كانت الايدي تتداولها في كل مكان . واما العملة الذهبية فقد كانت تباع وتشترى بقصد الزينة فقط .

والارقام التالية تبين لنا قيم العملة التي كانت رائجة في اواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٨ م) :

	خالصـــة بارة قرش	مغشوشة بارة قرش	صـــاغ بارة قرش	شرك بارة قرش
الليرة العثمانية (ذهب)	١٠٠	١٠٢	١٠٧	١٢٤
المجيدي العثماني (فضـة)	١٩	—	٢٠	٢٣
الوزيري العثماني (نحاس)	—	٥	٥	٦
البشلك العثماني (نحاس)	—	٢,٢٠	٢,٢٠	٣
الليرة الانجليزية الاسترليني (ذهب)	١٠٩	١١١	١١٨	١٣٦
الشلن الانجليزي (فضة)	—	—	٥,٢٠	٦,٢٠
الليرة الافرنسية (ذهب)	٨٦,٢٧	—	٩٤	١٠٨,٢٠
الفرنك الافرنسي (فضة)	—	—	٤,٢٠	٥,١٠

ومن هذا نفهم انه ليست النقود والمسكوكات التركية او العثمانية فقط ، وانما النقود والمسكوكات الانكليزية والافرنسية ايضـــاً (حتى والروسيـة والايطالية والنمساوية والبلجيكية) — الفضة منها والذهب — كانت رائجة في بيت المقدس (١٨٩٨) . وكذلك قـــل عن الذهب المصري . كان لكل نوع من هذه النقود ، التركية منها والاجنبية ، اربع قيم مختلفة . وكان يطلق على هذه القيم : خالصة ، ومغشوشة ، وصاغ ، وشرك .

اما القيمة (**الخالصة**) فانها قيمة الشيء عندما تدفعها نقداً (ذهباً كان او فضة) .

واما القيمة (**المغشوشة**) فهي القيمـــة التي تدفعها بالعملة النحاسية .

واما القيمة (**الصاغ**) فهي القيمة التي تحددها الحكومة . وما كان يعمل بها الا نادرا . وكلمـة

(١) هذه العملة سكت بعـــد ان غلب الاتراك على امرهم في احدى معاركهم مع روسيا . وسميت (مغشوشة) لانهم اضافوا الى نحاسها ١٠ بالمئة فضة .

(صاغ) تركية معناها : سليم وصحيح او غير فاسد.
واما القيمة (**الشرك**) فهي القيمة التي تدفعها بالعملة الدارجة . اصلها (**جوروك**) وهي تركية . ومعناها فاسد .

ان القيم الثلاثة الاولى لا تتغير ولا تتبدل . واما القيمة الرابعة فانها تتغير وتتبدل تبعاً للزمان والمكان .

وكان على عهد السلطان محمود (١٨٠٨ م) نوع من العملة يسمى : (**القبق**) وهو خمس نحاسات و (**النحاسة**) وهي بارة واحدة ، و (**المتاليك**) وهو عشر نحاسات، و(**القروش**) وهو اربعة متاليك و (**المجيدي**) وهو تسعة عشر قرشاً .

اما (**المتاليك**) فقد كان يصنع من النحاس الاحمر ، ويطلى بنسبة ١٠ ٪ من الفضة . وهو اصغر من النحاسة . انه عبارة عن عشر بارات . واما (**القبق**) فانه عبارة عن نصف متاليك (اي خمس بارات) وكان يصنع من النحاس الاحمر ، ولكنه لا يطلى بالفضة ، وهو اكبر من النحاسة . واما (النحاسة) فانها كانت تصنع من النحاس الاحمر ، وهي اصغر من القبق . وللقبق اجزاء هي : النصف، والربع ، والثمن . ومن اجزائه المعروفة : (**السحتوت**) .واما (**البشلك**) و(**الوزري**)فانهما كانا يصنعان من النحاس ويطليان بماء الفضة . وهذا - على ما اعتقد - هو السبب في تسمية هذا النوع من العملة بـ (**العملة المغشوشة**) .

كان (**البشلك**)في البدء عبارة عن خمسة قروش. اي عشرين متليكا . ثم انخفضت قيمته الى النصف . اي قرشان ونصف القرش. وبعبارة اخرى: عشرة متاليك . والمتليك عبارة عن عشر بارات .

وهناك نصف البشلك . وهو عبارة عن خمسة متاليك .

انه (اي البشلك) هو العملة المغشوشة . وقد سميت كذلك لانها صنعت من النحاس المخلوط بالفضة . ونسبة الفضة فيها ١٠ ٪ .

وفي زمن السلطان عبد المجيد ظلت المحمودية المغشوشة سائدة وهي: النحاسة والقبق والمتاليك والبشلك والوزري. غير انه اضيف اليها (**المجيدي**) وهو مصنوع من الفضة الرباص الصافي . والمجيدى كان عبارة عن تسعة عشر قرشاً ، ثم صار عشرين قرشاً . ونصف المجيدي تسعة قروش ونصف . وربعه خمسة قروش إلا ربع. والليرة العثمانية الذهب وهي عبارة عن مئة قرش .

وفي زمن السلطان عبد العزيز بقيت العملة المحمودية (اي البشلك والوزري والمتاليك والنحاسة والقبق) ، وكذلك العملة المجيدية (اي المجيدي والنصف مجيدي والربع مجيدي والليرة الذهب) من النقود الرائجة .

وكذلك في زمن السلطان عبد الحميد . فان العملة المتقدم ذكرها كلها ظلت سائدة. ولم يزد عليها سوى ان (**المجيدي**) طبع من جديد . وكذلك قل عن (**الليرة ذهب**) . وقد طبع عليها اسم السلطان عبد الحميد ، والتاريخ الذي ضربت فيه .

وفي زمن السلطان رشاد ظلت جميع انواع العملة المتقدم ذكرها سائدة .إلا انه اضيف اليها عملة من نوع (النكل) وهي عبارة عن :

قرش واحد = ٤٠ بارة
نصف قرش = ٢٠ بارة
ربع قرش = ١٠ بارات

احتفظ القرش بقيمته الاصلية وقدرته على الشراء مدة من الزمن . ولكنه أخذ يميل الى التدهور في اواخر العهد العثماني . فبعد ان كان القرش الواحد

في ٥ جمادي الاولى سنة ١٢٠٤ هـ – ١٧٨٩م يعادل ثلاثة فرنكات او اربعة دراهم من الفضة ، والستة قروش ونصف القرش تعادل مثقالاً من الذهب ؛ اصبح القرش لا يعادل اكثر من ٢٥ سانتيماً من الفرنك (١٨٣٧م) . وصارت الليرة العثمانية تساوي ٢٥٥ قرشاً والفرنسوية ٢٢٢ قرشاً والانكليزية ٢٩٧ قرشاً . واما المجيدي فقد كانت قيمته ٤٧ قرشاً ونصف القرش .

الناحية الاقتصادية في العهد التركي

اذا اردنا ان نلقي نظرة على الناحية الاقتصادية في العهد التركي (١٥١٧ – ١٩١٧ م) فان علينا ان نرجع الى السجلات القديمة المحفوظة في المحكمة الشرعية والتي تحدثنا ، بما فيها من قضايا وعقود واوامر ، عن اخبار ذلك العهد اصدق حديث . ومتى رجعنا الى تلك السجلات وجدنا ان نفقات المعيشة كانت رخيصة في ذلك العهد . ويتبين مبلغ رخصها اذا ما قيست بنفقات العيش في الاعوام التي تلتها . واليك البيان :

كان قاضي المسلمين بالقدس هو الذي يعين **اسعار الحاجيات**. وانا لنقرأ في احد السجلات[١] «ان القاضي حسام الدين بحضور المحتسبين[٢] محمد بن داود وعلي بن محمد بن ابي جاموس قرر ان تكون اسعار الحاجيات التالية كما يلي : الزيت الطيب ٤٨ بارة، السمن العناني ٦٥ الدبس البلدي ١٥ الجبن ٢٤ اللبن ٣ الصابون العادي ٤٠ الصابون المشمع ٣٠ الصابون الاصفر ٢٤ اللحم الضاني ١٥ لحم الماعز ١٣ اللحم البقري ٨ . وفي نفس الامر حديث عن اسعار الزيت، والسكر النبات، والسكر الحموي، والعرق سوس، والفولاذ، والحديد، والشمع، والسيرج ، والطحين، والخل ، والمشمش ، والنشا ، واللوز ، والقطين ، والبرقوق ، والفقوس ، والخيار ، والباذنجان ، والليمون ، والخبز ، والكماج ، حتى وملح الطعام .

ونقرأ ايضاً في السجل نفسه[١] وفي السنة التي تلتها « ان مولانا الافندي نور الله ، بعد استشارة المحتسب موسى بن داود ، قرر ان يكون سعر الكنافة المخروطة ٤ بارات والقطايف ٤ والكنافة الصينية ٥ والسميد ٦ والدقاق ٦ والطحين ٥ وجرة الطحينة من المعصرة ٣٤ بارة ومن السوق ٣٩ وقنطار العنب بوزن القدس الشريف ماية قطعة فضة سليمانية[٢]

وعندما توفي المدعو جريس بن موسى الراهب الشامي البيطار من سكان القدس في ١٦ صفر سنة ٩٧١هـ – ١٥٦٣م حصرت تركته بمعرفة القاضي ؛ واذا هي[٣] :

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٣٥٠ السنة ٩٧٠هـ (١٥٦٢م).
(٢) اثنان من رجال (الحسبة) وهي التي نسميها في يومنا هذا (البلدية) .

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٥٥٣ السنة ٩٧١هـ (١٥٦٣م) .
(٢) انظر الى ما كتبناه عن النقود والمسكوكات التركية في موضع اخر من هذا الفصل .
(٣) السجل ٤٤ الصفحة ٥١١ .

قيمة الشيء فضة سليمانية	نوعــه
٥ بارة	فوطة[1] زرقاء
٨٠ »	جوخة صيني
٧ »	كفن
٥٠ »	كبر احمر عتيق
٨٠ »	كبر رازي جديد
١٠ »	عراقيتان جوخ
٥ »	منشفة
٤ »	منديل مطرز
١٥ »	صندوق خشب
٢٠ »	ملف ازرق قطن
٨٠ »	ملف ازرق حرير
٢٠ »	طاسة نحاس
١٥ »	دست نحاس
١٥ »	مقلى نحاس
٤ »	سكاكين صغار
٨٠ »	سلسلة من الفضة
٨٠ »	خواتم فضة عدد ٦
٥ »	عصا رمح خشب

وقــد قدرت دار الميت الكائنة في حارة النصارى بـ ٢٠ سكة . ويظهر ان (السكة) كانت عبارة عن ١٠٠ بارة . وفي ٦ شوال ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) عين ثمن المد من الشعير بـ ٦ بارات .

وانا اذا ما انتقلنا الى الجيــل الذي تلا ذلك الجيل وجدنا ان قنطار العنب الجندلي[2] حــددت قيمته بثلاثة غروش (١٥ رجب ١٠٢٠ هـ — ١٢١١ م) . ومد الدره[3] بغرش واحــد (١٢

(١) استعملت هنا التعابير نفسها كما وجدتها في سجلات المحكمة.
(٢) السجل ٩٢ الصفحة ١٠٠ .
(٣) السجل ١٣٠ الصفحة ٢٩٧ .

شعبان ١٠٤٢ هـ — ١٦٣٢م) . ومد الحنطة[1] بست قطع مصرية (شوال ١٠٦٦ هـ — ١٦٥٥ م) . وقنطار الزيت باربعين غرشا (ذي الحجـة ١٠٦٦ هـ — ١٦٥٥ م) .

* * *

واما **اثمان الغنم** فقد كانت كما يأتي :

ثمن الرأس الواحد من الماعز او الضأن كان قرشا اسديا ونصف القرش . فقد ابتاع[2] رجل من رجل آخر ١٩٠ رأساً من الماعز والضأن بـ ٢٨٥ قرشاً اسدياً . وابتاع آخر ١٣٣٠ رأساً منها بالفي قرش اسدي .

* * *

وبيعت فرس حمراء عالية كبيشة بثمن جملته من (الذهب السلطاني) ثمانون سلطانيا ذهبا وقطعتان من الفضة السليمانية .

* * *

واما **اثمان الاراضي والعقارات** في ذلك العهد . فقد حدثتناءبها السجلات المتقدم ذكرها، فقالت :

« ان الخواجا شرف الدين بن المرحوم الخواجا محمد شرف الدين قد اشترى[3] من فخر المحصنات صفية خاتون حصتها . وهي السدس (اي ستة قراريط من اربعة وعشرين قيراطا) في جميع غراس الزيتون والتين والسفرجل الاسلامي وعدة اصوله تسعة عشر اصلا الكائن في ارض السمار بظاهر القدس بثمن قدره خمسون غرشاً من الغروش الفضية الرائجة في يومنا هذا » .

ولقد بيعت[4] نصف الدار الكائنة بالنبي داود

(١) السجل ١٢٨ الصفحة ٣٥٨ .
(٢) السجل ١٢٩ الصفحة ١٤٧ السنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣) .
(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ٢٤ التاريخ ربيع الثاني ١٠٢٨ هـ (١٦١٨م) .
(٤) السجل ٤٩ الصفحة ٢٠ السنة ٩٧٣هـ (١٥٦٥) .

والمؤلفة من طبقتين مع منافعها بثمن جملته تسع وعشرون سلطانيا .

وبيعت دار كائنة[١] بحارة بني زيد بالقرب من رأس القصيلة وهي مشتملة على بيتين سفليين وايوان ومطبخ ومرتفق وساحة سماوية بثمن جملته خمسة عشر سلطانيا ذهبا ؛ قبض البائع منها خمسة سلطانية ، والباقي مؤجلة الى سلخ سنة من تاريخه » .

وبيع[٢] نصف الدار الكائنة في حارة الواد المشتملة على بيتين سفليين وايوان ودهليز وصهريج وبيت منهدم وشجرتي رمان ولوز بجميع حقوق ذلك وطرقه وجدره ومرافقه ومنافعه بثمن قدره عشرون غرشا مقبوضة بيد البائع . وحكم القاضي بصحة البيع .

وبيع[٣] ربع الدار الكائنة بمحلة النصارى المشتملة على اربعة بيوت سفلية وساحة سماوية وصهريج بثمن قدره عشرون غرشا اسديا .

وبيعت في نفس التاريخ دار بباب العمود مؤلفة من طبقتين بثمن قدره ثلاثون غرشاً فضياً اسدياً .

وبيعت دار بباب حطه وهي تشتمل على غرفتين وايوان وصهريج ومنافع مختلفة بخمسة وسبعين غرشاً . وكان ذلك بتاريخ جمادى الاولى سنة ١١٤٠ ﻫ (١٧٢٧ م) .

« واشترى[٤] غطاس وحنه ولدا بشاره بن عظيم الرأي الرومي الحاضر معهما بالمجلس الشرعي جميع الحصة الشائعة وقدرها نصف قيراط من اصل كامل في جميع الدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة النصارى المشتملة على علو وعلو علو[١] وسفل . فالعلو (٠) منها يشتمل على ثلاثة بيوت وصهريجين معدين لجميع ماء الشتاء ، وعلى معصرة عنب وشجرة رمان ومنافع ومرافق بثمن قدره ثلاثة وعشرون زلطة » .

« واشترى الحاج محمد الحوراني من السيد عمر ابن صفي الحلبي جميع البيت الكبير الواقع بالدار القائمة البناء بالقدس الشريف بمحلة باب حطة بثمن قدره سبعة عشر زلطة مقبوضة » .

ولم تكن **اجور العقارات** مرتفعة في تلك الايام . فقد استأجر[٢] رجل الحانوت الكائن بسوق الصاغة الواقع باسفل سوق التجار والتابع لوقف المسجد الاقصى بـ ٣٦ باره لمدة سنة كاملة .

« واستأجر[٣] كل من مصطفى بن خضر وعلي ابن الحاج خالد الحلبي من ناظر الوقف حمزة جلبي حمام الشفا وهو وقف الصخرة بمبلغ قدره عشرون قطعة فضية سليمانية » .

« واجر[٤] مولانا سيد السادات منبع العلم والسعادات قدوة المدققين شيخ الاسلام والمسلمين السيد عبد القادر الوفائي ، لليهودية المدعوة عزيزة بنت اسحق ، جميع الدار العلوية والقاعة السفلية القائمة البناء بمحلة الشرف بالقدس الشريف سكناً واسكاناً لمدة خمس سنوات بأجرة قدرها ستون غرشاً اجرة كل سنة اثني عشر غرشاً » .

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٤١ السنة ٩٧٣ﻫ (١٥٦٥م) .
(٢) السجل ١٠٢ الصفحة ٤ التاريخ ٢٠ جمادي الاولى ١٠٢٨ﻫ (١٦١٧م) .
(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ٦٤ التاريخ ٢٠ جمادي الثانية ١٠٢٨ﻫ
(٤) السجل ٢٥٥ الصفحة ١٣٥ التاريخ غرة جمادي الثانية ١١٨٨ﻫ (١٧٧٤م) .

(١) لاحظ انني ما زلت انقل الكلام كما وجدته في السجلات .
(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٠٦ السنة ٩٧١ﻫ (١٥٦٣) .
(٣) السجل ٤٩ الصفحة ١٦ السنة ٩٧٣ﻫ (١٥٦٥) .
(٤) السجل ١٠٢ الصفحة ٧٣ السنة ١٠٢٨ ﻫ (١٦١٨) .

وكان **مهر المرأة** ايضاً رخيصاً بهذه النسبة . وكانوا يسمونه صداقا . وانا لنقرأ في السجلات المتقدم ذكرها[١] « ان الصداق الشرعي سنة ٩٧٣ للهجرة (١٥٦٥م)ما زاد عن(ثلاث سكات)[٢] . منها سكة ونصف مقبوضة معجلاً ، وسكة ونصف مؤجلة لاقرب الأجلين » .

وفي السجل نفسه ان رجلا باع نصف قنطار من الطحين بثلاث سكك . اذاً صداق المرأة كان في ذلك اليوم يعادل نصف قنطار من الطحين .

ولقد « تزوج[٣] حسن بن ميرو الملكاني مخطوبته خديجه بنت يوسف واصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه وسنة نبيه صداقاً جملته تسعة غروش : الحالي من ذلك خمسة غروش . والباقي وقدره اربعة غروش مؤجلة لها عليه الى الفراق بموت او طلاق » .

وتزوج رجل بامرأة في نفس السنة « بعد ان حمّلته[٤] خمسة وعشرين غرشاً : الحالي من ذلك خمسة عشر غرشاً مقبوضة بيد أخيها . والباقي عشرة غروش مؤجلة الى الفراق بموت او طلاق » .

وهناك امثلة كثيرة اخرى[٥] تدل على ان المهر كان يتراوح في ذلك العهد بين الثلاثة غروش والستين غرشاً كما ترى في الارقام التالية :

٣غروش: منها غرشان مقبوضان وغرش مؤجل
٨ غروش : منها خمسة مقبوضة وثلاثة مؤجلة
١٠ غروش: منها خمسة مقبوضة وخمسة مؤجلة

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٤١ .
(٢) جمع (سكة) . وقد بحثنا عنها مع النقود والمسكوكات في العهد التركي .
(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ١٠ السنة ١٠٢٨ه (١٦١٨م) .
(٤) السجل ١٠٢ الصفحه ١١ السنة ١٠٠٨ه (١٦١٨م) .
(٥) السجل ١٠٢ الصفحة ٧٢ السنة ١٠٢٨ ه (١٦١٨ م) .

٢٠ غرشاً : منها عشرة مقبوضة وعشرة مؤجلة
٣٠غرشاً: منها١٥غرشاًمقبوضاًو١٥غرشاًمؤجلاً
٣٥ « « « ٢٠ « « و١٥ « «
٦٠ « « « ٤٠ « مقبوضة و ٢٠ « «

وبقيت المهور في ذلك المستوى طيلة قرن او يزيد . الى ان اخذ بالصعود . وإنا لنقرأ في سجلات القرن الثاني عشر للهجرة « ان[١] فخر الفضلاء والسادات الكرام السيد موسى افندي امام المسجد الاقصي تزوّج فخر المخدرات الست خديجة خاتون ابنة الشيخ عبد الله افندي خادم صخرة الله البكر البالغ ، وانه اصدقها صداقاً جملته خمسماية زلطة : ثلاثماية منها مقبوضة ، والباقي مؤجلة الى اقرب الأجلين » .

واما كسوة الزوجة فقد كانت[٣] ثلاثة غروش في السنة .

وقد « ادعى[٣] منصور بن حنفي الرومي علي بكر مصطفى انه كان باعه جارية بيضاء بتسعين غرشاً ، وانه تأخر له من ثمنها في ذمته خمسة وثلاثين غرشاً ونصف غرش » . فحكم القاضي له بذلك

وقد « حكم القاضي[٤] لفاطمة بنت اسكندر بنفقة يومية قدرها قطعة واحدة مصرية[٥] يدفعها لها زوجها موسى بن الحاج علي البرادعي تلقاء طعامها وشرابها ودخولها الحمام وغسلها اثوابها » . والقطعة المصرية عبارة عن واحد من ثلاثين من القرش الاسدي.

ومن الغرائب ان نرى للمرأة صلة بالديون التي

(١) السجل ٢٥٥ الصفحة ١٣٠ السنة ١١٨٨ ه (١٧٧٤) .
(٢) السجل ١٠٢ الصفحة ٤٨٢ السنة ١٠٢٩ه (١٦١٩م) .
(٣) السجل ١٠٢ الصفحة ٤٨٢ السنة ١٠٢٩ه (١٦١٩م) .
(٤) السجل ١٠٢ الصفحة ٥ السنة ١٠٢٨ه (١٦١٨م) .
(٥) وفي قضية اخرى مشابهة لهذه القضية حكم القاضي بنفقة يومية قدرها قطعة فضية سليمانية .

تتكون بين التجار وبالطرق المتبعة في تسديد تلك الديون . فمن ذلك ما قرأناه عن « رجل تعهد ان يدفع لمدينه المبلغ الذي في ذمته ثمن قماش في مدة معينة . حتى اذا ما حان ميعاد الدفع ولم يف المدين بتعهده كانت امرأته طالقة ! . . » .

وقد « اشترى[1] ابراهيم بن احمد خرج الليل من موسى بن ناصر الدين بن شقرق فرسه . فدفع له قسماً من ثمنها . وابقى الباقي مشترطاً على نفسه انه اذا غادر مدينة القدس الشريف قبل ان يوفي صاحب الفرس ثمن فرسه التي ابتاعها منه ، تكون زوجته التي في عصمته طالقة طلاقاً ثلاثاً » . وكان هذا التعهد بحضور القاضي خير الدين ! .

ومن الامثلة على **مبلغ الرواتب والاجور** في ذلك العهد . « ان القاضي[2] عين زين ابن امام قلعة البرك في وظيفة خدمة المرضى والمجانين بالمارستان الصلاحي عوضاً عن حجازي بن العجمية .

وقد امره بتقوى الله في عمله وبالاستنابة عند الحاجة . وحضر المتولي على الوقف عبدالله العلمي وبقية المتولين ، واحالوا الى زين نظير خدمته اجرة الحاصلين الكائنين بالدباغة المعروفين بالسجن الذي كان يتناول اجرتها حجازي المزبور الخادم السابق بما لهما من الاجرة في كل سنة وقدرها ستة غروش عددية . وقبل بذلك » .

واجرة المدرس في المدرسة الصلاحية كانت خمسة دنانير ناصرية عن كل شهر .

وحسن آغا المجري الذي كان يلقب (تفكجي باشي) اي قائد سرية المشاة بالقدس عام ١٨٤٠ كان يتقاضى راتباً شهريا قدره ٣٠٠ غرشا . وكان في معيته ثلاثة انفار من التفكجية : راتب كل واحد منهم غرشان ، يتناولهما من خزينة السلطان .

* * *

ويبدو انه ، رغم رخص الاسعار وانخفاض نفقات المعيشة التي وصفناها في الاسطر المتقدمة ، كان يعيش في القدس ، في ذلك العهد ، عدد غير قليل من الفقراء الذين لا يستطيعون كسب عيشهم بعرق جبينهم : اما بحكم اعمالهم الدينية او لقلة المكاسب والاشغال . ذلك لان القدس ، كما قدمنا ، كانت وما برحت بلد الاديان ؛ ولم تكن في زمن من الازمان بلداً زراعية ، ولا صناعية . وما كانت التجارة لتزدهر فيها الا بمقدار ما لها من صلة بالحج وبالشعائر الدينية المعروفة عند الطوائف المختلفة .

ولهذا كثيراً ما سمعنا وقرأنا عن الهبات والتبرعات المالية ، ترسل الى القدس من القسطنطينية عاصمة البلاد العثمانية . ومن ذلك مـا قرأناه في الصفحة ٦١ من صفحات السجل ٢١٣ من سجلات المحكمة الشرعية يوم ارسل السلطان احمد خان اثنين من كبار رجال الدولة هما : امير لواء غزة هاشم محمد باشا وامين الصرة حسين آغا (سلحدارشهرياري) . فجاءا يحملان (الصرة) عن سنة ١١٣٠ هجرية — ١٧١٧ م . وفيها الفان واربعمئة وثمانون ذهباً شريفياً (؟) عنها بحساب الذهب الطرلي (؟) الفاً ومائة واربعة وعشرون ذهباً شريفياً (؟) ومائة وثمانون قطعة مصرية . وقـام الاثنان بتوزيع هذا المبلغ على المستحقين ؛ فقبض كل واحد منهم ما هو معين له (بمقتضى الدفتر السلطاني) . ولقد تم ذلك بحضور العلماء الاعلام ومشايخ الحرم الكرام والخطباء والائمة والمصدرين وخدم المسجد الاقصى الشريف . . . فتزايد الدعاء من العلماء

---

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٢٤ السنة ٩٧٣ ﻫ (١٥٦٥م) .

(٢) السجل ٢٢١ الصفحة ٢٦٣ التاريخ جمادي الاولى سنة ١١٣٩ﻫ (١٧٢٦م) .

والسادات والمشايخ والصلحاء والضعفاء والفقراء وجميع سكان هذه الديار القدسية . . . لسلطان الاسلام والمسلمين قامع الكفرة والملحدين السلطان احمد خان . . .) .

ويظهر ان هذا العمل تكرر طيلة الحكم العثماني في هذه البلاد . وكانت (الصرة) توزع على المستحقين بمعرفة الحاكم الشرعي للمدينة .

وكانت هذه في سنة ١١٧٠ هـ – ١٧٥٦ م خمسة آلاف وخمسمئة وثمانين غرشاً اسدياً .

وكانت الطوائف المسيحية تتلقى مثل هذه الهبات من الغرب : الارثوذكسيون من شرقي اوربا ، واللاتين من الممالك الكاثوليكية .

الصناعة في العهد التركي :

لا نعرف الا النذر اليسير عن تجارة القدس وصناعتها في اوائل العهد التركي . وانما نعرف الشيء الكثير عنها في اواخر العهد المذكور . فقد قيل لنا انها كانت القدس تصنع الصابون وتصدره الى مصر . وكانت تصنع كميات كبيرة من الادوات المدرسية والبضائع الدينية ، والعلب المصنوعة من خشب الزيتون ، والصدف ، وعلب الزعوط ، والشموع المختلفة . وتبيعها الى الحجاج الذين كانوا يفدون اليها من كل حدب وصوب بقصد زيارة الاماكن المقدسة . وكانت تصدر القمح الى انكلتره وبعض البلاد الاوروبية . وكذلك قل عن السمسم وزيت الزيتون .

كان في القدس وفيما حولها من بقاع مساحات واسعة من اشجار الزيتون . وكان الزيت فيها مبذولا بدرجة ان المقادسة في سنة من السنين كبوا الزيت القديم ليجدوا اوعية كافية للزيت الجديد . وصناعة الصابون كانت من الصناعات التي تباهي بها . كان فيها عدد كبير من المصابن . وكان في تلك المصابن عدد كبير من العمال يعيشون منها . غير ان هذه الصناعة اخذت تتضعضع بعد سنة ١٨٧٦ يوم اكتسحت البلاد اسراب كثيرة من الجراد ، واتت على قسم كبير من اشجار الزيتون[١] . فلم يبق في القدس ، بعد تلك السنة ، سوى سبع مصابن : خمسة منها للمسلمين . ومصبنتان للمسيحيين . كانت كل مصبنة تنتج عشرين طبخه في السنة[٢] . وكل طبخة الفا رطل . اي ان القدس كانت تنتج في كل عام ٢٨٠,٠٠٠ رطل من الصابون .

* * *

التجارة في العهد التركي :

وكانت هذه الكمية كلها ، الا القليل منها ، تصدر الى الخارج . واكثرها الى مصر وآسيا الصغرى . وما كانت صناعة الصابون لتدفع اي نوع من انواع الضرائب ، الا عند التصدير .

هذا ما تمكنا من العثور عليه من المعلومات حول البضائع المصدرة . واما المستوردة ، فاليك ما عرفناه عنها :

كانت القدس تستورد اكثر بضائعها من اوربا[٣] عن طريق مارسيليا وتريست . اما عن طريق مارسيليا فكانت تاتيها البضائع الصوفية ، والحريرية ، والخمور بما تقدر قيمته بـ ١٥,٠٠٠ ليره تركية في السنة (١٨٧٦ م) . واما عن تريستا فالقزاز ، والخشب ، والاثاث وما الى ذلك بما قيمته ٢٥,٠٠٠ ليره .

---

(١) warren, P. 500

(٢) سنة المصبنة ثمانية شهور فقط .

ومن انكلتره : البضائع القطنية والصوفية بما قيمته ٢٠,٠٠٠ ليره . وكذلك قل عن البلاد الاخرى . وكانوا يقدرون قيمة البضائع التي تستوردها القدس من الخارج بما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ ليره تركية في السنة .

والغريب ان هذه المعاملات كلها ، سواء فيها الوارد أم الصادر ، كانت تجري بطريق الاتفاق الشفوي : الشرف سداها والامانة لحمتها . فلا عقود ، ولا كمبيالات ، ولا سمسرة ، ولا تسجيل.

كان في القدس عدة اسواق . منها **سوق القطانين** وهو من منشئات المماليك . **وسوق الطباخين** وهو المعروف بسوق خان الزيت في يومنا هذا وهو وقف احمد باشا بالشام . وثلاثة اسواق متوازية هي عبارة عن مسالك طويلة وعقود مستورة . وبعبارة افصح انفاق بنيت على الطراز القديم . اكثرها قديم العهد متداعي الاركان . وعلى جوانبها غرف صغيرة لا نوافذ فيها . وهذه الغرف هي الدكاكين . وكانت هناك ثلاثة أسواق : الغربي منها كان ينقسم الى قسمين : القبلي منها يدعى (**سوق اللحامين**) وفيه تباع اللحوم . والشمالي (**سوق الجلود والنحاسين**) وفيه تنظف الجلود وتبيض الاواني النحاسية . والاوسط يسمونه (**سوق العطارين**) وتباع فيه جميع أدوات العطارة والنجارة وأواني الخيل والخرجة والخيطان والحبال وما الى ذلك . والثالث **(سوق التجار)** ويسمى ايضاً (سوق الخواجات) . وفيه تباع الاقمشة كما ان فيه ايضاً دكاكين الصاغة .

وكان امام جميع الدكاكين ، او امام الشطر الاكبر منها ، مساطب لجلوس اصحابها من جهة ، وجلوس الزائرين الذين يفدون بقصد الشراء . وانك لترى اثر هذه المساطب في يومنا هذا في سوق التجار الكائن الى الشرق من سوق العطارين . وقد ظلت الاسواق على تلك الحال حتى سنة ١٨٦٣ اذ منعت السلطات المحلية انشاء مساطب جديدة ، وامرت بهدم المساطب القديمة . ورصفت الطرق التي تمر من هذه الاسواق بالبلاط .

وفي سنة ١٨٨٥ رفع البلاط القديم من شوارع القدس وازقتها ، ووضع بدلا منه البلاط الذي تراه في يومنا هذا . ولقد رفع وسط الشارع ارتفاعا قليلا وانشئت على جوانبها اقنية تجري مياه الامطار فيها . وقد حدثنا الكهول ان الحكومة استخدمت يومئذ عددا كبيراً من المساجين من اجل رصف الشوارع وتنظيفها .

ويظهر ان هذه الاسواق القديمة التي سمعنا بوجودها ايضاً في الفتح الصليبي وعلى عهد صلاح الدين، لم تكن وافية بالغرض . فقد قرأنا في السجلات التركيه[1] « ان وفداً مختلطاً من تجار المدينة مؤلفاً من الشيخ عماد الدين بن مسلم والخواجات[2] علاء الدين بن شرف الدين الرومي وشهاب الدين احمد بن العلامة الشيخ زين العابدين ، وميخائيل بن الصباان ، وعبد المسيح بن جبارة ، ويوسف بن عبد الكريم اليهودي ، واخوه ابراهيم ، وموسى بن كتيلة ، وسلمون بن شداد، واخوه ايليا، ويهودا الارمني ، وحليف بن شحادة ، وشوعه بن منصور ، ورحمين بن يوسف ، وسلمون بن صوفان ، وسعيد بن النجار المغربي ، وعيسى بن حسان ؛ جاء الى المحكمة الشرعية . وبحضور مولانا القاضي جار الله أفندي ، تم الاتفاق بينهم وبين علي بن الشيخ

---

(١) السجل ٤٤ الصفحة ٣٨٢ السنة ٩٧٠ - ١٥٦١م .

(٢) جمع (خواجا) وهي لقب الرجل الذي كان يتعاطى التجارة في ذلك العهد .

شمس الدين المصري الوكيل الشرعي عن ناظر الحرمين الشريفين مولانا حمزة جلبي ، على ان يعمر لهم في سوق الخضر اربعين دكاناً ، وان يدفعوا له في نظير تلك العمارة اربعين سلطانياً[1] ذهبا ، وذلك نظير اجرة سنة من السنين الآتية في اجرة الأربعين دكان بالسوق المزبور الجاري في وقف المسجد الاقصى الشريف . وبعد تمام ذلك دفعوا للشيخ علي المذكور عشرة سلطانية ذهب لاجل ازالة القمامات التي بالسوق ولاجل عمارته . وانها اذا نفذت يعطوه بقية الاربعين لاجل بقية العمارة . واشترطوا على انفسهم ان السوق المزبور ، اذا تم ولم يستأجروا فيه الدكاكين المعينة ، يكون المبلغ الذي دفعوه للمسجد الشريف على سبيل التبرع لا حق لهم فيه » .

وكانت الساحة الواقعة امام كنيسة القيامة تستعمل كسوق لبيع الشمع والصدف والكتب الدينية للحجاج من النصارى الذين يفدون الى القدس بقصد زيارة الاماكن المقدسة . كما كان يجتمع في تلك الساحة عدد كبير من التجار والصيارفة .

كان في القدس يومئذ (١٨٧٦ م) الف وثلاثمئة وعشرون دكاناً . يشتغل فيها ١٩٢٠ رجلا يجوز ادخالهم في مصاف ارباب الحرف والصنائع والمهن . واليك تصنيفهم[1] حسب حرفهم واجناسهم واديانهم :

	المهنة	يهود	مسلمون	روم	لاتين	بروتستانت	ارمن	يكون
١	فرانة	١٠	٥٢	١٥	—	—	—	٧٧
٢	اصحاب بنوك	٤	—	—	—	٢	—	٦
٣	حلاقون	٩	١٢	٥	٢٢	—	٨	٥٦
٤	حمامجية	—	٣٧	—	—	—	—	٣٧
٥	مجلدو كتب	٦	١	—	—	—	—	٧
٦	بائعو كتب	—	١	—	—	—	١	٢
٧	بائعو خبز	—	٢	١٠	١٢	—	—	٢٤
٨	قصابون	٧	٢٩	—	—	—	—	٣٦
٩	نجارون	١١	٢	١٢	٢٠	١	—	٤٦
١٠	بائعو فحم	٩	١	١	—	—	—	١١
١١	بائعو الدجاج	٦	٢	١	—	١	—	١٠
١٢	طاحنو قهوة	٥	٢٤	١	—	—	—	٣٠
١٣	صانعو النعوش	—	٦٦	٨	٩	—	٣	٨٦

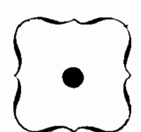
(١) انظر الى الفصل الذي خصصناه لبحث النقود في العهد التركي .

(١) Warren, P. 490

١٤	طهاة	--	١	٤	—	—	—	٥
١٥	تجار حبوب	—	١٢	—	—	—	—	١٢
١٦	تجار قطن	—	٢	١	—	—	—	٣
١٧	صيادلة	٥	—	—	٣	—	—	٨
١٨	صباغون	١	٢٧	—	—	—	—	٢٨
١٩	طحانون	٣	١٨	—	—	—	—	٢١
٢٠	دكانجية	٦٩	٥٣	٨	٥	٧	١	١٤٣
٢١	بائعو قزاز	٢	١٦	١	—	—	—	١٩
٢٢	خضرجية	١٧	٦٧	٣	—	١	—	٨٨
٢٣	سمانة (بقالة)	٥١	٨٦	٢٨	١٣	٧	٤	١٨٩
٢٤	خانجية	—	٥	—	—	—	—	٥
٢٥	بائعو الكلس	—	—	١	—	—	—	١
٢٦	كبابجية	—	٩	—	—	—	—	٩
٢٧	طراقون	١٧	—	—	٣	—	٢	٢٢
٢٨	تجار اواعي عتق	٥	٢	—	—	—	—	٧
٢٩	باعة متجولون	٢	٥	٣	—	—	—	١٠
٣٠	مصورون	—	—	٣	—	١	—	٤
٣١	صانعو الغلايين	—	٣	—	—	—	—	٣
٣٢	بائعو فخار	—	١١	—	—	—	—	١١
٣٣		—	٨	—	—	—	—	٨
٣٤	كندرجية	٨٣	٥١	٤١	٢٢	٦	٢٧	٢٣٠
٣٥	تجار حرير	١٩	—	—	—	—	١	٢٠
٣٦	معاصر للسيرج	—	٢٩	٣	—	—	—	٣٢
٣٧	تجار جلود	—	٢	—	—	—	—	٢
٣٨	حدادون	٧	—	٣	١٨	—	—	٢٨
٣٩	صاغة	١٥	—	٢٩	٩	—	٤	٥٧
٤٠	تنكجيه	٣٤	—	٢	—	—	—	٣٦
٤١	تجار زعوط	٣	٣	١	—	—	—	٧
٤٢	اصحاب مصابن	—	٥٠	٢٤	—	٢	—	٧٦
٤٣	تجار صابون	—	١	٧	-	—	-	٨

٤٤	اصحاب اسطبلات	—	١٣	٦	—	—	١	٢٠
٤٥	بائعو سكر	٩	—	١	—	—	—	١٠
٤٦	صانعو حلويات	—	٢٩	٣	—	—	—	٣٢
٤٧	خياطون	٣٤	—	١٠	١٠	٢	٦	٦٢
٤٨	بائعو الدخان والتبغ	٥	١٤	١٦	—	١	١	٣٧
٤٩	ساعاتية	١٩	—	—	—	٢	٢	٢٣
٥٠	تجار خمور	١١	—	٤٣	٢	—	٢	٥٨
٥١	تجار خشب	٣	—	٣	—	—	—	٦
٥٢	تجار صوف	—	٨	—	—	—	—	٨
٥٣	كتاب عرضحالات	—	٧	—	—	—	—	٧
٥٤	ارباب مهن متنوعة	٢٠	٤٧	٥٧	٨	٧	٦	١٤٥
٥٥	صانعوا اسلحة	—	—	٣	—	—	—	٣
		٥٠١	٨٠٧	٣٥٧	١٤٦	٤٠	٦٩	١٩٢٠

ملاحظة : تشير كلمة الروم الى العرب الارثوذكس واليونان والروس .
تشير كلمة اللاتين الى العرب والطليان والافرنسيين .
تشير كلمة البروتستانت الى اليهود المتنصرين والعرب المنتمين الى الطائفة الانجيلية العربية .



مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة

كانت هناك مصلحة للبرق والبريد . وكانوا يسمونها : (**بوسته وتلغراف**) . وكان يديرها موظف واحد يسمونه : (تلغراف وبوستة مديري) . كذا رأيناها في ١٨٧٦ و ١٨٩٨ و ١٩٠٨ . ثم فصلت الى دائرتين . وجعل لكل منهما مدير : **مدير التلغراف** (البرق) ، **ومدير البوستة** (البريد) . لا ندري متى تم ذلك ؟ ولكنا رأيناهما على هذا الشكل في عام ١٩١١ . وظلتا كذلك حتى الحرب الكبرى (١٩١٤) . وما كان عدد الموظفين في كل واحدة منهما ليزيد على عدد اصابع اليد[١] . ولم يكن ثمة خطوط للمخابرات التلفونية .

والى جانب مصلحة البرق والبريد التركية التي كانت تعمل في عمارة صغيرة بسويقة علون[٢] كانت تقوم ، خلال القرن التاسع عشر ، مصلحة للبرق والبريد نمساوية[٣] . ان هذه المصلحة التي كانت تعمل في حارة الارمن ، كانت تسير وفقاً لانظمة البرق والبريد التي تسنها حكومة النمسا من وقت لآخر .

كان البريد يسير بين القدس ويافا في عربة تجرها الخيل ، وكانت هذه تغادر القدس في المساء وتعود من يافا في الصباح . ولما أُنشيء الخط الحديدي بين المدينتين (١٨٩٢) استعمل القطار لنقل البريد التركي فقط . واما البريد الاجنبي فقد ظل يستخدم العربات التي تجرها الخيل .

(١) قال وارن في الصفحة ٢٩٤ من كتابه انه كان في القدس عام ١٨٧٦م مأمور واحد للبريد ، وثلاثة مأمورين للبرق ، وانا اقول ان عدد موظفي البريد والتلفون في القدس في يومنا هذا (١٩٤٦) الف .

(٢) سوق الخضار القريب من القلعة .

(٣) السير السليم في تاريخ اورشليم . ص ٢١٤

ومن الوظائف التي سمعنا بوجودها في القدس ، في أوائل العهد التركي : (كتخدا[١]) و (كهيا[٢]) والمفتي[٣] ، وكاتب بيت المال[٤] ، وناظر الأوقاف العامة[٥] ، ومأمور مياه الاوقاف[٦] ، ومأمور الايتام[٧] ، ومتولي اوقاف الحرمين ، والمعمار المسؤول عن تعمير السور[٨] ، ورئيس المعمارين[٩] وكانوا يسمونه (معمار باشى) ، والمحتسب[١٠] ، وشيخ السوق ، مقدم العتالين[١١] .

ومن الوظائف التي كانت فيها ، في اواخر الحكم التركي ، المحاسب ومدير التحريرات والمفتي ومدير المعارف ومدير الاوقاف ومدير النفوس ومدير الامور الاجنبية ومدير التحرير والويركو ومدير الديون العمومية ومدير الاراضي السنية ومدير

(١) نائب المتصرف او وكيله .

(٢) كاتم اسرار المتصرف .

(٣) وكان يطلق عليه (شيخ الافتاء والتدريس بمحروسة القدس الشريف) السجل ٤٣ ص ١١ السنة ٩٧٥هـ ١٥٦٧م .

(٤) السجل ٤٤ الصفحة ٥٥١ السنة ٩٧١هـ — ١٩١٠م .

(٥) جاء ذكر (ناظر اوقاف القدس الشريف) في السجل ٢٣٧ السنة ١١٦٦هـ — ١٧٥٢م . وبعد ذلك بقرن راحوا يبحثون عن (ناظر النظار) وهو المسؤول عن اوقاف القدس وغزة والرملة ونابلس والمجدل وجنين (١١٧٤هـ) .

(٦) السجل ٧ الصفحة ١٣ السنة ١٣٢٨هـ — ١٩١٠م .

(٧) كان هناك صندوق للايتام ، وكانت حساباته تدقق من لدن قاضي الشرع .

(٨) السجل ١٢ الصفحة ١٦ السنة ٩٤٧هـ — ١٥٤٠م .

(٩) السجل ١٠٢ الصفحة ٤٠٨ السنة ١٢٧٩هـ — ١٨٦٢م. والسجل ٣٤٦ الصفحة ٢٠٦ السنة ١٢٨٩هـ — ١٨٦٢م .

(١٠) رئيس البلدية انظر الى الفصل الذي خصصناه لبلدية القدس.

(١١) السجل ٤٩ الصفحة ٥٦ السنة ٩٧٣هـ — ١٥٦٥م .

الأوراق ومأمور البنك الزراعي ومأمور الزراعة الفني ومأمور الدفتر خاقاني والمفتش البيطري وسر مهندس النافعة ومفوض سكة يافا ـ القدس الحديدية ومأمورو المعية .

ولقد اتى على الاتراك حين من الزمن كانوا فيه يعتبرون (رئيس البلدية) موظفاً ، ويدخلونه في عداد مأموري الحكومة ، ويذكرونه في السجل الذي كانوا يصدرونه في كل سنة والذي يشتمل على اسماء موظفي الدولة كلهم : من السلطان الى الوزراء الى الولاة الى المتصرفين الى اصغر الكتاب في مختلف المصالح والدواوين . وباستطاعتنا ان نؤكد ، بعد ان طالعنا عدداً من هذه السجلات ، ان موظفي القدس ما كانوا ليزيدوا على المئة ، وان كلهم عرب مسلمون ؛ خلا بضعة اتراك لا يجاوزون عدد اصابع اليد .

الامن

كان الامن ، في بداية الامر ، موكولا لقائد كبير لقبه : (**باير اقدار**) . ويقال له ايضاً (امير اللواء) مثل كيوان بك امير لواء القدس في ٩٧٥هـ — ١٥٦٧م وسليمان بك ٩٧٦ هـ — ١٥٦٨ م (امير اللواء) . وكان الجند الذين يأتمرون بامره فريقان : فريق الخيالة ويلقبون : (**باشي بوزوق**) وضابطهم برتبة آغا . وفريق المشاة ويدعون : (**تفكجي**[1]) . وقائدهم (**تفكجي باشي**[2]) . هؤلاء مسؤولون عن

(١) اصلها (تفنك جي) اي حامل البندقية .

(٢) كان حسن اغا المجري تفكجي باشي القدس عام ١٨٤٠ وكان راتبه الشهري ٣٠٠ غرشا . وكان في معيته ثلاثة انفار من التفكجية راتب كل منهم في اليوم غرشان يتناولها من خزينة السلطان .

حفظ الامن والحيلولة دون اي اعتداء يقع على المدينة من الخارج . واما الامن في داخل المدينة فالمسؤول عنه (صوباشي مدينة القدس[1]) ١٥٦٥م .

وفي القلعة حامية من المشاة قائدها يلقب بـ (دزدار قلعة القدس) . ومساعده كتخدا قلعة القدس . ومعها ضابط برتبة (بلوك باشي) . وحامية من المدفعية قائدها (**طوبجي باشي**[2] **القلعة المنصورة السلطانية**) ١٥ رمضان ١٢٥٦هـ — ١٨٤٠ م . هناك امر ممضي[3] من قاضي القدس محمد حمدي افندي بصفته قائمقام والي صيدا محمد عزة باشا موجه الى احمد اغا مراد ينتدبه ليتولى هذا المنصب (اي قيادة المدفعية) بماهية[4] قدرها الف غرش ، وخمسة اقق[5] خبز في كل يوم ، وعليقتين شعير . ومعه ٥٤ نفر طوبجيه وستة انفار اسطاوات[6] . لكل نفر ثمانين غرشاً في الشهر ، ونصف اوقة خبز في اليوم . ولكل اسطه مايتا غرش شهرياً ، واوقة ونصف خبز يومياً . ولدزدار القلعة بدل علف قدره (عشرون فضة) . وفي البلد فريق من الخيالة يطلق عليهم : (سباهي) و (سباهية) .

وهناك (**ناظر الاخباز للعساكر السلطانية**[7])

(١) السجل ٤٩ الصفحه ٤٧ السنة ٩٧٣ هـ ١٥٦٥ م . وكثيراً ما يذكر اسمه غلطا هكذا : سوباشي .

(٢) « طوب » كلمة تركية معناها : المدفع . و« طوبجي » المدفعي

(٣) الاصول الدربية لتاريخ سورية .

(٤) « ماه » كلمة فارسيه معناها الشهر و« ماهية » الراتب الشهري

(٥) جمع « اقة » وهي ٩٠٠ درهم .

(٦) جمع اسطة . وهي كلمة تركية معناها الرجل الخبير .

(٧) عين ابراهيم اغا هاشم ناظر الاخباز السلطانية بالقدس في ٢١ رمضان ١٢٥٦هـ — ١٨٤٠ م

بالقدس . يعينه الوالي بصفته سر عسكرا[١] . وماهية هذا الناظر ٣٠٠ غرش اسدي في الشهر ، و ٣اقق خبز في كل يوم. وكثيراً ما جاء في السجلات التركية ذكر (يكيجري باشا[٢] المحتشم في القدس الشريف). وهذا كان طبعاً قبل الغاء المنظمة المعروفة بـ (الانكشارية) في البلاد .

ولقد نظم الاتراك مصلحة الامن في زمن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨) وبعـــد . فقسموها الى قسمين : شرطة ودرك . او كما كانوا يقولون : (بوليس وجاندرمة) . وما كانت قوتهم في كلا هذين القسمين لتزيد عن ستين جنـدياً . برأس الجاندرمة قائـــد يسمونه (جاندرمة قومنداني) . ومن قادة الدرك الذين اشتهروا بالقدس في اواخر العهد التركي : علي بك بن بدرخان باشا (١٨٩٨ م) . ويوسف آغـا الدزدار (١٩٠١ م) .

واسسوا دائرة للعـــدل . وكانت احكام محاكم فلسطين تستأنف الى الشام. ثم الى بيروت . ثم امتازت القدس ، فصارت متصرفية مستقلة تخابر الاستانة مباشرة في الامور الادارية . ولقد تأسست فيها ، في أوائل القرن العشرين ، محكمـة استئناف فانضم اليها لواء نابلس ، وظل لواء عكا ملحقاً ببيروت .

ورغم ان الاتراك قبضوا على زمام الادارة احسن من قبل، الا ان نفوذ امراء الاقطـاع ومشايخ البلاد لم ينقطع . وان كان قـد تضاءل بالنسبة الى الماضي .

كان الامن في داخل المدينة وخارجها ، على عهد الاتراك، تارة يستتب وطوراً يضطرب . وفي اغلب الاحايين يكون مفقوداً بالمرة . ففي عهد السلطان سليمان (٩٢٦ هـ — ١٥٢٠ م) نسمع ان السلطان عهد بحراسة طريق القدس — يافا الى آل أبي غوش. واجاز لهم ان يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة .

وفي العهد الاخير ايضاً سمعنا ان الحكومة كانت تهتم بخفارة الطريق الـكائنة بين القدس — ويافا ، وانها في سنة ١٨٩٠ م اقامت على تلك الطريق خمسة عشر مخفراً لحراستها ، يرابط في كل مخفر منها عدد من الجند بقصد حماية المسافرين .

وفي القلعة المسماة (قلعة مراد[١]) بالقرب من برك سليمان وضعت حامية قوامهـا اربعون جنـدياً مزودين بالمدافع والبنادق والاسلحة المختلفة الالوان بقصد حراسة منابع الماء والقناة التي تسيل فيهـــا مياه العروب الى القدس .

وكان الامن يفقـــد بالمرة عنـــدما تشغر (الباشوية[٢]) فلا ينتدت اليها احد . كما جرى في سنة من السنين (١٨٥٣ م) خلال حرب القرم . فان هذا المنصب ظل شاغراً بعدموت يعقوب باشا . واخذ يدير القدس عدد من الافندية غير المتجانسين !

---

(١) (سر) كلمة فارسية معناها: الرأس. و(سر عسكر) رأس العساكر او قائد الجيش .

عثرنا في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس (السجل ٢٤٤ الصفحه ٣ التاريخ ١١٧٤هـ — ١٧٦٠م على محضر دونه القاضي وفيه فرض على مدينة القدس ان تزود (دائرة جناب حضرة افندينا ولي النعم) عندما تحط رحالها في منطقة القدس في اثناء الدورة التفتيشية بالمقادير الاتي ذكرها من (الذخيرة) في كل يوم ؛ وهي (بالاوقـــة) : خبز ٣٠٠٠ لحم ١٥٠٠ ارز ١٥٠٠ سمن ٣٧٥ عسل ٣٠ دقيق ٤٠ حمص ٢٠٠ ملح ٣٠ لبن ٣٠ حليب ٣٠ سكر ٨ (وبالعدد) غنم ١٥ بيض ٣٠٠ دجاج ٣٠ ومقادير كافية من الخضار والحطب والتبن . ولم نهتد الى معرفة ما اذا كانت الحكومة تدفـع اثمان هذه الحاجيات ام لا ؟ .

(٢) السجل ٢٣٧ السنة ١١٦٥هـ — ١٧٥١م .

---

(١) قلنا في فصل المياه ان هذه القلعة بنيت على عهد السلطان مراد سنة ١٦٢٢ للميلاد .

(٢) منصب الباشا وهو لقب (المتصرف) المسؤول عن الاداره .

فاستغل القرويون هذه الفرصة وراح كل واحد منهم يسترد حقه ، والحق الذي يدعي به ، بيده . وكان نفوذ الحكومة يومئذ ضئيلاً لدرجة ان الانسان اذا ذهب الى قائد الشرطة يشتكي امره يقول له هذا : (الي بالفاعل ، وانا اكسر رأسه[١]) .

كانت الحامية التركية ترابط في القلعة المعروفة ببرج داود والقائمة على مقربة من باب الخليل من الجهة الشرقية الجنوبية . وفيها كانت مدافع الاتراك وسائر معداتهم الحربية . واما الثكنة الكائنة الى الجنوب الشرقي من هذه القلعة ، فقد كانت معدة لسكن العساكر الشاهانية[٢] . وكانوا يسمونها : (القشلة الفوقانية) . وكانت في القدس قشلة اخرى يسمونها : (القشلة التحتانية) او السرايا القديمة ، وهي على طريق باب حطه والى الشمال من الحرم . وعلى كل باب من ابواب المدينة نفر من الجند بقصد الخفارة ، وكان هؤلاء يتناوبون الخفارة ليلاً ونهاراً .

ولقد كان في مدينة القدس ، عام ١٨٧٦ م اثنان وعشرون[٣] شرطيا ، كلهم مسلمون .

حاول الاتراك في اوائل القرن التاسع عشر فرض التجنيد الاجباري في البلاد . ولكنهم عادوا فعدلوا عن قصدهم ، لاعتقادهم ان العرب يكرهون ذلك . او لم يثوروا ضد محمد علي باشا وولده ابراهيم من اجل ذلك ؟ اذا فليلجأوا للتطوع . راحوا ينادون الناس للتطوع ، ويحثونهم عليه . ولكن دون جدوى . اذ لم يتقدم من سكان القدس سوى عربي مسلم واحد (هو فلاح من العيزرية) وعربي مسيحي واحد (بروتستاني المذهب) وارمني جاء الى القدس حديثاً من ايران وماروني وراهب يوناني ويهودي ! معنى ذلك ان حركة التطوع فشلت ، وان الناس لم ينظروا الى التطوع نظرة الرضا ، الامر الذي جعل الحكومة تعدل عنه بالمرة . فراحت تفرض التجنيد الاجباري . وكان ذلك على عهد السلطان عبد المجيد . ولقد عثرنا على فرمان[١] اذاعه السلطان المشار اليه بتاريخ محرم الحرام سنة ١٢٥٦ هـ — ١٨٤٠ م اعترف فيه « بان المملكة العثمانية لا تزال منذ مئة وخمسين سنة في ثورات متعاقبة وقلاقل مختلفة الاسباب . منها ضعف الحكومة وفقرها وعدم انتباه الناس للشرع والقانون » . ولقد وضع قوانين جديدة تضمن للناس الامان ، وتحفظ لهم اموالهم واعراضهم . ووضع نظاما جديداً للضرائب . ومن التدابير الجديدة التي اتخذها فرض التجنيد الاجباري . وبموجب هذا النظام الجديد كان يدعى للانخراط في الجندية كل ذكر مسلم دخل في العشرين من عمره . وكانت مدة الخدمة في الجيش خمس سنوات . ثم خفضت الى اربع . والذي يدفع لخزينة الدولة خمسين جنيها يعفى من الخدمة . ثم رفع (البدل) الى ستين . يستثنى من الخدمة ومن دفع البدل ايضاً كل من كان وحيد ابويه ، او تزوج امرأة غريبة او عبدة . واما المسيحيون فكانوا يستثنون من العسكرية لقاء مجيديين يدفعها الواحد منهم في السنة .

ونود ان نعترف هنا ان عرب فلسطين المسلمين وان كانوا هم الذين حملوا وحدهم عبء الجندية في ذلك العهد ، الا ان هذا العبء الثقيل في ظاهره نفعهم كل النفع . فعودهم على الشدة والنظام والاغتراب وشظف العيش والمشي والاعتماد على

(١) J. Finn, P. 144

(٢) جنود السلطان .

(٣) Warren, P. 492

(١) ارادة السلطان . قال الاستاذ اسد رستم انه عثر على نسخة من هذا الفرمان في سجلات المحكمة الشرعية بيافا .

النفس واختبار احوال هذا الكون وحمل السلاح وما الى ذلك من الفضائل والمنافع التي يقتبسها المرء في الجيش والغربة . وبهذه المناسبة نقول ان السلاح الذي كان الناس يعولون عليه في الدفاع عن انفسهم عبارة عن (بندقية) طويلة من النحاس تعبأ تعبئة ، و (خنجر) يضعونه على جنبهم . ومن آلات الضرب والقتال (النشاب) . وكان هـذا كثير الاستعمال في اوائل الحكم التركي . وكثيرا ما تقرأ في سجلات المحكمة الشرعية « ان فلانا من النـاس ضرب[1] فلانا بنشاب اصابه في سلسلة ظهره » او في اي مكان آخر من جسمه ، فتتأكد ان النشاب آلة من آلات الضرب والقتل في ذلك الحين .

وعلى ذكر السلاح نقول ان اقتنائه كان مباحا في القدس وفي جميع انحاء المملكة العثمانية . وان هذه الاباحة ظلت سائدة حتى اواخر القرن التاسع عشر ؛ فمنعت تجارته ، ومنع اقتناؤه[2] ونقله باية وسيلة كانت ولاي قصد كان .

ثورة نقيب الاشراف :

في سنة ١١١٧ ﻫ ١٧٠٥ م ثار نقيب اشراف القدس السيد محمد على الحكومة . فالتف حوله عدد كبير من المقادسة ورجال القرى المجاورة . وحاصروا القلعة وحصروا القاضي وموظفيه فيهـا . فساق عليهم والي الشام محمد باشا عدداً كبيراً من الجنـد لتأديبهم . إذ لم تكن قوة الاتراك المرابطة في قلعة القدس كافية للقيام بهذه المهمة . وجاء الوالي نفسه على رأس تلك القوة . وتمكن من التغلب على الثائرين.

(١) السجل ٤٩ الصفحة ٢١ التاريخ ١١ شـوال ٩٧٣ ﻫ (١٥٦٥م) .

(٢) السجل ٢ الصفحه ٣٦ التاريخ ١٥ ربيع الاول ١٣٠٨ ﻫ (١٨٩٠م) .

لسنا ندري ماذا كان مصير قائد الثورة السيد محمد النقيب . ولكنا نعلم ان قصره قد هدم ، وعمرت بحجارته قبة الشيخ المنسي . تلك القبة القريبة من مقام النبي داود . ومنع الاتراك انجاله من مغادرة المدينة[1] .

لقد حدثتنا سجلات المحكمة الشرعية بالقـدس عن الحادث المذكور اصدق حديث . فاستمع اليها[2] ماذا تقـول : « في ٢٥ جمـادي الآخرة ١١١٧ ﻫ (١٧٠٥ م) جاء (بيوردي[3]) من حضرة محمد باشا والي الشام ؛ وفيه ما يلي :

« صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى كل ناظر ومستمع لما فيه من المشايخ والسادات والاعيان والرعايا وسائر الـبرايا من اهالي القدس الشريف . هو انه صدرت الينا الاخبار الاكيدة من ذلك الطرف وهو ان نقيب الاشراف السيد محمـد قـد اتم الاصرار والعنـاد على العصيـان والشقاوة . حتى انه الآن حاصر افتخار العلمـاء والافاضل حضرة المنلا[4] في داخل القلعة وآلاي بيك .

« والحاصـل كلمن[5] التقى في طرف الشرع الشريف حاصره . واظهر الطغيان ومخالفة الشرع . . . ولم يدر ونسى ما يظهر من وراء ذلك . . . ومع النهى عن القتال والمحاربة في تلك الاماكن المقدسة اذ هـو عرش الله الادنى . فحيث اننـا مأمورين بانتظام الاحوال في هذه الاماكن الشامية

(١) عرف الاتراك شعور العرب، فراحوا يعملون على استغلاله. فكانوا ، اذا ما ثارت ثورة في البلاد ، يمنعون الرؤساء من مغادرة المدينـة . ويحتفظون بهم كـ (وساقة) الى ان يلقي الثوار السلاح الذي في ايديهم

(٢) السجل ٢٠٣ الصفحة ٤٤ .

(٣) امر من مقام سام .

(٤) لقب حاكم الشرع او القاضي .

(٥) يقصد ان يقول «كل من» .

والديار المقدسة وغيرها من العربان والقرايا والبلاد والرعايا. حين بلغتنا هذه الاخبار مع اننا متوجهين الى تلك الديار. واوجب تحرير هذه الحروف الى سائر الواقفين عليه ممن هم من امة محمد ﷺ من اهالي القدس الشريف. وهو انكم تكونوا مقيمين عند افتخار العلماء والمحققين حاكم الشرع الشريف، مؤتمرين بامرنا، تاركين لمن اظهر العناد النقيب المذكور. فانا ان شاء الله تعالى في غرة الشهور نكون في تلك الديار نازلين بعساكرنا. وعليكم ان تقبضوا على النقيب وتقيدوه الى حين حضورنا. يكون سبباً لخلاصكم من الملام».

وفي ٦ رجب جاء بيوردي ثان (من محمد باشا الى دزدار القلعة). وقد جاء فيه: «ان احوال محاصرتكم بقلعتنا والى الان عملتم صيانة ومتانة لقلعة السلطان. فهذا المامول. ومثلكم من يكون قول السلطان. فيجب لكم علينا رأي الله وامانة وحسن النظر بما يلزم لكم فانكم اصدق الخدام. والمراد تطيبوا خواطركم وتعملوا متانة الى حين قدومنا. فاننا بعد اربع ايام نكون عندكم، ومعنا الات حرب كثيرة مثل مدافع وقنبرات. فلا يكون خاطركم الا طيب من سائر الوجوه.»

وفي نفس التاريخ (اي ٦ رجب ١١١٧ هـ) تلقى (مصطفى آغا مير آلاي القدس وسائر الزعماء وارباب التيمار) من محمد باشا والي الشام (بيوردى) ثالث يخبرهم فيه «انني آت مع عساكري عن طريق اربد[1] واني ساكون فيها في ٨ رجب. وبعد اربع ايام نكون عندكم. ومعنا عساكر كثيرة وآلات حرب مثل مدافع وقنبرات[2] وغيرها. اعلموا ذلك واياكم تسليم القلعة».

(١) اختار طريق اربد لاجل تسكين ثورة كليب التي كانت مشتعلة في جبل عجلون.

(٢) قنابل

تغلبت الحكومة على الثورة كما قدمنا. ولاندري اذا كانت تمكنت من القاء القبض على النقيب ام تمكن من الهرب. ولكننا نعلم ان امير الامراء مصطفى باشا امر معمار باشي القدس الشريف[1] ان ينقل الحجارة من قصر النقيب (ومن هذا نفهم انهم هدموه) وان يعمر بها قبة الشيخ المنسي بجانب مقام النبي داود. وسنحدثك عن هذا الشيخ ومقامه في موضع آخر من هذا الكتاب.

* * *

ثورة حمور:

يظهر ان الاتراك ما كادوا يطفئون ثورة نقيب اشراف القدس في رجب ١١١٧هـ — ١٧٠٥ م؛ حتى رأوا انفسهم، بعد شهر واحد لا اكثر ولا اقل، تجاه ثورة ثانية. إذ أنا عثرنا[2] بين سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على تقرير دزدار القلعة جاء فيه: «ان حمور ابن كتخدا القلعة شقاوته متزايدة وفساده تأكيد».

هذا كل ما نعلمه عن هذه الثورة. ولم نتمكن من العثور على تفصيلات في هذا الموضوع.

* * *

ثورة الانكشارية:

قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب انه عندما احترقت كنيسة القيامة بالقدس في ٣٠ أيلول ١٨٠٨ اتهم الارمن بحرقها. وان الروم حصلوا على امر من السلطات التركية بتعميرها. فثار الانكشارية لهذا الخبر. وعلى قول ان الارمن هم الذين حرضوهم على

(١) السجل ٢٠٣ الصفحة ٤٨.

(٢) السجل ٢٠٣ الصفحة ٥٠ التاريخ ٢٣ شعبان ١١١٧هـ «١٧٠٥م».

الثورة . وراحوا يحاصرون المتسلم مصطفى آغا تيزيني (١٢٣٥ هـ - ١٨١٩ م) في دار الحكومة . وطلبوا منه ان يتولوا حماية القلعة بدلا من الجنود الذين ارسلهم الوزير كنج يوسف باشا من الشام . وهددوه بالقتل ، اذا هو لم يذعن لمطالبهم . ومن مطالبهم ايقاف الروم ومنعهم من الاستمرار في عمارة الكنيسة .

اجتمع المتسلم الى رؤساء الثائرين. وابدى رغبته في تنفيذ ارادتهم . لكنه استمهلهم بضعة ايام ريثما يستشير جناب الوزير بالشام . فقبلوا نصيحته فيما يتعلق بامر الحامية . ولكنهم لم يقبلوها من حيث التعمير . بل خرجوا من عنده ، وذهبوا تواً الى الكنيسة ،قاصدين قتل العمال والبنائين . فلم يجدوا سوى واحد منهم . اذ كان الآخرون قد هربوا . فهدموا جميع البناء الجديد . ومن هناك ذهبوا الى دير الروم ، فنهبوه . وسجنوا الرهبان في مخادعهم. وراحوا يبحثون عن الترجمان (افركيوس) ليقتلوه ، إذ كانوا يعدونه رأس البلاء فيما جرى . ولكن هذا كان قد اختفى[1] .

بينما كان **الانكشارية منهمكين** في ثورتهم ، كان رسل المتسلم قد وصلوا الى الشام بعد يومين من مغادرتهم القدس واخبروا يوسف باشا بما جرى . فهيأ هذا على الفور قوة من الجند مؤلفة من عدد من الخيالة المغاربة بقيادة ضابط يدعى (ابو ذريعة) . وساقهم الى القدس عن طريق غير الطريق التي كان اهل القدس يتوقعون مجيء الجند منها . فوصلت القوة بعد خمسة ايام من مغادرتها الشام .

ويظهر ان خبر هذه الامدادات كان قد وصل الى القدس . فراح السكان يستعدون لمقابلتها .

(١) هرب من الدير خفية وذهب الى رام الله القريبة من القدس. وهي منها الى الشمال . ولاهلها صيت بالمرجلة .

واقاموا المتاريس في الحارات والخفراء على الابواب. وتسلحوا كلهم لا فرق بين كبير او صغير ، غني او فقير . ولكن قائد الجند، وكانت رتبته بكباشي[1] وجنده كلهم من المغاربة كما قدمنا ، احكم التدبير بشكل جعل وصوله الى القدس ليلاً . ودخل من الباب المعروف بباب ستنا مريم خفية . ولما كان الباب المذكور قريباً من الثكنة العسكرية، فقد تمكن من الوصول الى الثكنة هو وجنده سالمين. ومكثوا فيها حتى مطلع الفجر دون ان يعلم بوصولهم احد . وعندما طلع الفجر شعر الناس بوجود الجند بين ظهرانيهم . وما عتموا ان وجدوا المتاريس قد احتلت ، والابواب قد ضبطت ، والثوار قد وقعوا في الشرك الذي نصب لهم . القى الجند القبض على من عثروا عليه من الثوار . فالتجأ فريق منهم (يقدر عددهم بستة عشر) الى دير الارمن ، وفريق آخر الى دير حبس المسيح . فانذرهم المتسلم ،وطلب اليهم الاستسلام ، وهددهم بهدم الدير بالمدافع اذا لم يستسلموا . وبالفعل جاء المتسلم بمدفع من مدافع القلعة وصوبه نحو الدير ، قاصداً هدمه .

ان هذا النوع من التهديد من ناحية ، ونفاذ المؤن والذخيرة من الدير من الناحية الاخرى جعل الثوار يستسلمون . فسلموا انفسهم . فاخذهم المتسلم الى القلعة ، ونكل بهم تنكيلاً .

نقلت الرواية المتقدم ذكرها عن مخطوط باسم (تاريخ الخوري ميخائيل بريك الدمشقي) . ولقد عثرت على نسخة فوتوغرافية منه في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بزحلة . راجع الصفحات ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ منه .ولقد ختم الخوري ميخائيل حديثه بالعبارة التالية :

(١) رئيس الالف .

« اخذ المتسلم رؤوس الفتنة الى القلعة . ومن آذان العشاء بدأ يخنق واحد وراء واحد ، الى ان خنق ٣٨ في ليلة واحدة . فهدأت الامور » .

وقد استنتج الراوي الذي كتب تاريخه باللغة الدارجة انه وقع شك في ذلك الحين بان الذين حركوا الفتنة هم الارمن لكي يعطلوا العمارة . وان ذلك ظاهر من التجاء الثوار الى دير الارمن » .

فتنة عام ١٨٢١ و الثورة ضد الروم

عندما اعلن اليونان ثورتهم ضد الاتراك في ٦/٤/١٨٢١ كان على كرسي السلطنة العثمانية السلطان محمود الثاني ، وكانت القدس يومئذ تابعة لوالي الشام درويش باشا .

أخذ اليونان في بلادهم ينادون بالاستقلال عن تركيا ، وراح الروم في بيت المقدس يعضدونهم . فارسل السلطان محمود الى الاهالي فرماناً قرأه عليهم المتسلم بتاريخ ٢٥/٤/١٨١٢ وقد جاء فيه[١] : « ان اليونان في حالة عصيان ، وان مصلحة الاهلين تقضي بان يكونوا يقظين وان يكونوا متسلحين ، وان يعرفوا كيف يحمون اماكنهم المقدسة . وفيه تحذير بألا يصدقوا الاخبار والاشاعات التي يذيعها النصارى ولا سيما الروم » .

وفي الوقت نفسه ارسل درويش باشا من الشام سرية من الجند ، وامرها ان ترابط في القلعة استعداداً للطوارىء . فصودرت اسلحة النصارى بوجه عام ، وامروا بلبس السواد وبنقل المدافع من مكان الى مكان .

تسلح المسلمون شيباً وشباناً . وهاجموا البطريركية وعلى رأسهم المتسلم سليمان أفندي[١] وعساكر الانكشارية يقودهم تفنكجي باشي[٢] موسى بك الغزاوي .

سادت الفوضى في القدس . وحل بالنصارى ، ولا سيما بالروم منهم ، عذاب شديد . وكان المتسلم ضعيفاً ، وان شئت فقل سيء النية . فلم يأت باي عمل مجد في سبيل تسكين الفوضى . لا بل راح يعمل على ايقاد النار . ورفع الضريبة المطلوبة من المسيحيين من ستين الف قرش الى مئة الف . فزادت الطين بلة . وذاع بين الناس نبأ بان لهم الحق في ان يشنقوا اي مسيحي يجدونه مسلحاً . لولا ان درويش باشا تلافى الامر ، فاصدر من فوره امراً قائلا: بانه لا يجوز شنق اي انسان قبل محاكمته والحصول على امر خطي يتضمن موافقة الوالي . وقرأ القاضي ايضاً بعد صلاة الجمعة في الحرم (يوم الجمعة ٨ يوليو ١٨٢١) امر السلطان وقد جاء فيه ما يأتي : « لم يعرف قبلا عن مسيحي القدس انهم خونة . ولم يسيئوا للمسلمين في حياتهم : لا قولا ولا فعلا . وانهم فقراء ، ولا ضرر منهم . ومع ذلك فقد صادرنا منهم كل ما في ايديهم من اسلحة . ولئن تبقى في حوزتهم شيء ، فهو قليل بدرجة لا يؤبه لها . ولا تخيفنا . وهم في القدس قلائل ليسوا باكثر من واحد في المئة من المسلمين . فمن العار ان نخشاهم . ومن العار ان نتخذ هذا حجة لقتلهم . فارجعوا الى منازلكم ، واستأنفوا اعمالكم ، واتركوا لنا حفظ السلام وتدبير الامور ، ومن لا يطيع الامر ويعتدي عليهم ينال عقابنا . هذا فضلاً عن

---

(١) Annals by Neophytos

(١) يقول Neophytos الذي نقلنا عنه هذه الحكاية ان سليمان افندي هذا كان يهوديا ، ثم اعتنق الدين الاسلامي (Annals, P. 19)

(٢) رئيس البنادق ، وبعبارة اخرى قائد الحامية .

انه يكون قد عصا الله ولم يعمل باوامر نبيه » .

وكذلك فعل افندية القدس واعيانها المسلمون[١] فقد ظلوا يخطبون الشعب الهائج ثلاث ساعات حاضين على السلم والسكينة وعدم الاعتداء على المسيحيين وعدم تصديق الاشاعات التي يذيعها المغرضون . وقد اذاعوا ايضاً بياناً امضوه كلهم فيه الامان والاطمئنان . فاطمأن المسيحيون ، وهدأت الاحوال ، وعادت المياه الى مجاريها .

فتنة عام ١٨٢٣

انها لفتنة جامحة اشتعلت نارها في القدس عام ١٨٢٣ . والذي اشعلها هو المتسلم سليمان افندي نفسه بطل فتنة ١٨٢١ . وقد كان هذا – كما قدمنا – يهوديا فاسلم . ولما رأى ان الفتنة السابقة لم تنجح ، وان الامور قد هدأت ، اغتاظ ؛ فاخذ يقدح زناد قريحته وراح يفكر في طريقة ليثأر لنفسه من المسيحيين ، ومن المسلمين الذين حموا المسيحيين وحالوا دون القيام بمذبحة عامة . فظلم الفريقين ظلماً شديدا . وجمع منها ضرائب اكثر مما كان مقررا . والذي توانى في الدفع ضربه وأهانه ، او قيده بالسلاسل والقاه في غياهب السجن . وراح الناس يقترضون المال بفوائد فاحشة . واصبح سليمان افندي ، اليهودي الذي اسلم ، حديث المقادسة في مجالسهم وقد لقبوه : (بيلاطس القرن التاسع عشر) .

وفيما كان سكان بيت المقدس يفكرون في طريقة للخلاص من هذا المأزق ، حدث حادث فجائي زاد في الطين بله ، وزاد الامور ارتباكا . اذ جاء من بيروت نبأ يقول انه وصل الى شواطئها احدى عشرة سفينة من سفن الحرب اليونانية . فاتهم النصارى بالاتفاق مع الاجانب والتآمر على سلامة الدولة . وساد الاعتقاد بان القصد من هذه الحركة احتلال القدس . فاشتعلت النار من جديد . وحاول الاتراك ان يسجنوا النصارى في كنيسة القيامة ، لولا ان جاءهم خبر آخر بان السفن قد اقلعت قبل ان تأتي باي عمل يدل على العدوان .

الثورة ضد مصطفى باشا

كانت القدس ، سنة ١٨٢٤ تابعة الى عكا . وفي عكا حاكم يدعى عبدالله باشا . وكانت صلات هذا الباشا بالحكومة المركزية في استانبول سيئة لدرجة انها حرضت عليه ثلاثة من الباشاوات المجاورين : درويش باشا والي دمشق ، وراغب باشا والي طرابلس الشام ، ومصطفى باشا والي حلب . فحاصره هؤلاء في عكا . ودام حصارهم لها تسعة شهور . ولكن السلطان محمود عاد ، بناء على توسط والي مصر محمد علي باشا ، فعفا عنه . واعاده الى منصبه .

بعد ان هدأت هذه الفتنة ، استبدلت الحكومة والي الشام درويش باشا بوالي حلب مصطفى باشا . وكان هذا (اي مصطفى باشا) ظالما . ففرض على الناس ضرائب ما كان لهم عهد بمثلها من قبل[١] . ولقد انتج هذا الضغط انفجارا . فقامت في القدس اضطرابات اشترك فيها قسم كبير من الفلاحين .

اعتزم مصطفى باشا تسكين الفتنة وقمعها بالقوة . فارسل الى القدس مئة جندي ليرابطوا في القلعة . ولم يكن فيها يومئذ سوى ستين جنديا . وبعث الى المتسلم كتاباً يأمره فيه بان يحصل العشر ضعفين

(١) Annals by Neophytos

(١) يقال ان الاعشار التي حصلها وكلاء الباشا في تلك السنة عشرة اضعاف الاعشار التي فرضت في السنة التي سبقتها .

فقط . معتقدا ان هذه التدابير قد تؤول الى تهدئة الاعصاب المتوترة .

ولكن الفلاحين ابوا اطاعة الامر ، ورفضوا ان يدفعوا للجباة الاموال المطلوبة منهم . لا ، بل طردوهم من قراهم .ولما وصل الخبر الى مصطفى باشا عن طريق المتسلم ، ارسل منفوره جيشاً قوامه خمسة آلاف رجل . وجاء هو من ورائهم . فهبط نابلس اولا . وقضى فيها عشرين يوماً . حصل خلالهـا جميع الاموال المتأخرة . ولما سمع اهالي جبل القدس بما جرى في نابلس ، هجروا قراهم . واتخذوا المغر والكهوف في الجبال والوديان مأوى لهم .

وصل الباشا في اواخر شهر ١٨٢٥ فلم يخرج احد من الاهلين لاستقباله . ولم يتقدم احد لدفع ما عليه من المال . فاصدر امره للجند بتخريب منازل السكان ومصادرة اموالهم. ولكنهم لم يجدوا انساناً يكلمونه ، ولا وجدا شيئاً يصادرونه . اذ كانت المنازل كلهاخاوية علىعروشها. ولما كان بعض الاهالي قد احتموا بالاديرة فقد تعقبهم في الاديرة التي احتموا بها. وشدد النكير على الرهبان،واذاقهم مر العذاب . وقصارى القول لم ينج من شر الباشا وبطشه احد : لا من المسلمين ولا من النصارى ، لا من الافندية ولا من الفلاحين . كل من امتنع عن دفع الضريبة المفروضة ناله شيء من العذاب . فكان من جراء ذلك ان خيم البؤس والشقاء والذعر على مدينة القدس وعلى ما جاورها من القرى . ولم تقف المصائب عند حد ، الا عندما توسط (الكهيا) وبعض الوجوه . ودفع الاهلون الغرامة المفروضة وقدرها مئة الف غرش . هنا استغل اليهود الموقف كعادتهم ، واقرضوا الناس قروضا مختلفة ، بفوائد فاحشة ! وعندما غادر الباشا المدينة كانت هذه تنعى من بناها ! . .

اقام الباشا في القلعة ، قبل ان يغادر المدينة ، مئة جندي ليحرسوها . ولكنه ما كاد يغادرها حتى اعلنت الثورة مرة اخرى . وقد اشترك الافندية مع الفلاحين في هذه الثورة .

وجه المتسلم الشطر الاكبر من قوته الى بيت لحم ، لانها كانت في حالة من الاضطراب عظيمة ، وقد اشترك في ذلك الاضطراب جميع السكان من مسلمين ونصارى ومن مدنيين وقرويين حتى وعرب التعامرة . ولم يبق في قلعة القدس اكثر من احد عشر نفرا . فهاجمهم سكان المدينة (٥ يونيو ١٨٢٥) واسروهم . ثم جردوهم من السلاح . واحتلوا القلعة . وصعدوا الى اعلى البرج ينادون اخوانهم ليلتحقوا بالثائرين .فجاء هؤلاء ، وانضموا الى اخوانهم . وتسلح الجميع . واقاموا حراسا من بينهم لحراسة القلعة . ولصون الامن في داخل المدينة . ولقد رابط قسم من الثائرين على ابواب المدينة ، وراح آخرون يتجولون في الازقة والشوارع محرضين الناس على الثورة . واخذت اعلام الثائرين تخفق فوق البروج والاسوار علامة الظفر والانتصار .

تحير المتسلم ، ولم يدر ماذا يفعل ؟ طلب من الثوار ان يسمحوا له بالدخول الى دار الحكومة ليأخذ ثيابه وامواله الشخصية . ولكنهم رفضوا . ثم عادوا فسمحوا له ،على ان يخرج من القدس بنفسه . فخرج . ومن هناك سار الى قرية ابي غوش مشيا على الاقدام . ومن تلك القرية سافر الى الرملة ، حيث التحق بعبدالله باشا وجنده الذين كانوا فيها مرابطين .

ولم يسمح الثوار لقائد الجيش موسى بك بدخول المدينة ،عندمارجع هذا من حملته التأديبية في بيت لحم وقراها . فحاول الدخول من باب النبي داود .

ولكن الثوار اسمعوه من قوارص الكلم[1] ما جعله ييأس . وقد قفل راجعاً .

لم يكتف المقادسة بما فعلوا . بل جردوا من السلاح جميع الاتراك والالبانيين ، وبكلمة اخرى كل من لم يكن عربياً . وطردوهم من المدينة . فاصبحوا مستقلين بكل ما في كلمة الاستقلال من معنى .

ولقد اجتمع على اثر ذلك كبارهم ، وقرروا ان ينتدبوا من بينهم اثنين من زعمائهم ليديروا المدينة ، ويحولوا دون وقوعها في شرك الفوضى ، وهما :

١ — يوسف غرب الجبجاب (من البكتاشيين)

٢ — احمد آغا الدزدار .

وكان اول عمل قام به هذان المندوبان ان سعيا لتسكين اواصر المودة بين المسلمين والمسيحيين . وقد الغيا الاعشار والضرائب الاخرى التي كانت مفروضة على بيت لحم والمسيحيين وعلى سكان القرى المجاورة .

نجح المقادسة في ثورتهم . فتنفسوا الصعداء . ولكن اجل حريتهم هذه لم يطل . اذ ما كاد خبرها يتصل بالسلطان محمود ، حتى ارسل اليهم (اي الى سكان القدس) امراً يطلب فيه التسليم ، والخضوع الى والي الشام . ولما لم يخضعوا لامره ، راح يصب عليهم جام غضبه . فامر عبد الله باشا (اكتوبر ١٨٢٦) ان يذهب من فوره الى القدس ، وان يصطحب معه كل قواده ، وان يسترد ما فقدته الحكومة من هيبة ونفوذ . لم يتمكن عبد الله باشا من تجنيد اكثر من الف جندي لهذه الغاية . ولم يصطحبهم ، بل ساقهم الى القدس مع مساعده

[1] كان الاهاون يخاطبون الجند بقولهم : (ارجعوا الى حيث كنتم . لاردكم الله) .

(الكهيا) ؛ وقد زودهم بسبعة مدافع ، احدهم من النوع الثقيل (الهاون) .

هبط الكهيا مدينة الرملة اولا . وبعد ان خابر مشايخ ابي غوش وامن صداقتهم[1] سار قدماً في طريقه الى القدس . وحط رحاله تجاه القلعة بالقرب من كنيسة القديس جورج .

عندما سمع المقادسة المسلمون باقتراب الجند من مدينتهم ، راحوا يتأهبون لصدهم . وقد أمنوا صداقة الطوائف الاخرى من مسيحيين ويهود . وعهدوا اليهم بسد ابواب المدينة بالحجارة .

حاول الكهيا في بادىء الامر ، ان يقنع المسلمين كي يستسلموا . فارسل الى كل واحد من زعمائهم كتاباً ودياً يطلب اليه ليه ان ينصح قومه وعشيرته بالتسليم . ولكنهم رفضوا قائلين : انهم اقسموا الايعدلوا عن ثورتهم ،والا يستسلموا للسلطان ما دام في مدينتهم اجنبي واحد . وقد اضافوا الى ذلك قولهم : انه لا فرق في نظرهم ، اذا ما بحث عن الاجنبي ، بين شرقي او غربي ، بين تركي او الباني ؛ وانهم لعلى استعداد للموت في سبيل وطنهم . انهم يريدون الاستقلال ويؤثرونه على الخنوع والخضوع الى الاجنبي : مسلماً كان هذا ام غير مسلم .

نصحهم موسى بك ، فلم يقبلوا نصحه . ثم هددهم بالبطش والتنكيل . فلم يعبأوا بتهديده ووعيده . أمر جنده باطلاق النار عليهم . فاجابوا عليها بالمثل : نار بنار وشر بشر . والبادىء أظلم . ولقد اطلقوا على الجند ، من اعلى القلعة ، نيران المدافع ؛ وكان بينهم رجال مدربون على استعمال الاسلحة بجميع انواعها . فلم يبالوا بخصمهم .

[1] فصلهم عن المقادسة ، وقد كانوا قبلا متفقين في السراء والضراء .

دام القتال ، ودامت الحال على هذا المنوال سبعة ايام وسبع ليال . وفي اليوم الثامن كان الجند الذين ارسلهم عبد الله باشا مدداً لحامية القدس ، قد وصلوا . واتوا معهم بمدافع اخرى بينها مدفع كبير زنة كل (قمبرة)[١] من قنابره اربعون اوقية ، ووزع الكهيا جنده ومدافعه على اطراف المدينة الاربعة. ووضع مدفعاً منها على جبل الزيتون . ومن هناك اخـــذ يضرب المدينة ضرباً متواصلا . فاخذت القنابل تتساقط في وسط الاحياء والمنازل الآهلة بالسكان . وعلى قول ان المدافع كانت تصب نيرانها على منازل الوجوه والزعماء اكثر من اي منزل آخر.

هناك اختلف الناس : فمن راغب في الثبات ، ومن قائل انه لا بد من التسليم . ولقـــد تغلبت فكرة التسليم . لان المؤن كانت قليلة . والجوع كاد يقضي على الفقراء . والخوف كان قد استولى على النساء والاطفال .

ارسل سكان المدينة الى الكهيا وفـــداً يعرض عليه التسليم . فقبل هذا شروط الوفد . ومنهـــا الغـاء الضرائب الجديدة ، والرجوع الى الضرائب القديمة . واعلان العفو العـــام . ومنع الجند عن التدخل في شؤون المدينة: سياسية كانت ام اجتماعية . وعلى هذه الشروط تم الاستسلام . وسلموه مفاتيح القلعة بعد ثلاثة ايام . فاحتلهـــا . واقام فيها ثلاثمئة جندي .

بعد ان تمكن عبدالله باشا من اخضاع القـــدس سلمها الى والي الشام . وانسحب[٢] هو عملاً باوامر السلطان . فارسل الوالي قوة كبيرة من الجند مـــع متسلم جديد (١٨٢٧) . فطالبهم هـذا بالضرائب المتأخرة عن سنتين : الحالية والمنصرمة .

بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن حوادث القدس في عهد محمد علي باشا والد ابراهيم باشا في موضع اخر من هذا الكتاب .

ثورة الخليل ونابلس :

ما كادت قلاقـــل القدس تنتهي حتى ظهرت قلاقل مثلهـــا في الخليل (حزيران ١٨٥٥). وكان بطل هذه القلاقل ، في هـــذه المرة ، عبد الرحمن عمرو[١] من رجال الخليل النافذين. وكان هذا يعتمد على صديقه سر عسكر الشام محمد قبرصلي باشا الذي استولى على الخليل عنوة (١٨٤٦) يوم كان متصرفاً في القدس .

ولمـا كان متصرف القـدس ضعيفاً لا يستطيع تسكين الثورة ، فقد دعا قناصل الدول ليستشيرهم في الامر. فاقترح بعضهم الايعاز الى مصر كي ترسل جيشها لصيانة الامن. واقترح آخرون ان يعترف بسلطة عبد الرحمن عمرو في جبل الخليل تلقاء أتاوة يدفعها للسلطان في كل عام . وكانت المـــانيا اكثر الدول تخوفاً من نتيجة تلك الثورة ، خشية ان تتخذها فرنسا ذريعة لاحتـــلال فلسطين ، بحجة ان الامن مطلوب فيها ريثما تنتهي حرب القرم .

وفيما كانت الثورة مشتعلة في جبل الخليل ، قامت ثورة مثلها في جبل نابلس ؛ سببها ان الاتراك ارسلوا الى نابلس متسلماً تركياً ليتسلم الادارة من متسلمهـــا ابن طوقان. ولكن هذا عصاه وابى ان يمتثل لامره. فاشتعلت الثورة . واحرقت الاخضر واليـابس . وفي قول: ان الثورة التي نشبت في نابلس كانت من اجـل

---

(١) قنبلة او قذيفة .

(٢) رايناه بعد مدة يمضي اوامره بصفته والي صيدا ومصر والعريش وغزه والقـــدس ونابلس وجنين (١٢ مايس ١٢٤٧هـ - ١٨٣١م) .

(١) J. Finn

الانتقـام من آل عبد الهادي الذين ناصروا الحكم المصري ايام ابراهيم باشا . وقد قتل عـدد كبير من سـكان جبل نابلس في ذلك العهد . ويقول المستر جين فين القنصل للبريطاني في القدس في ذلك الحين ان افندية القدس هم الذين كانوا يديرون ثورة نابلس. وكانت نابلس يومئذ قائمقامية تابعة لمتصرفية القدس.

الاختلافـات الدينية :

وما دمنا عند ذكر القلاقل والفتن التي حدثت على عهد الاتراك ،فلنذكر الاختـلافات التي حدثت بين الطوائف المختلفة حول الاماكن المقدسة . تلك الاختلافات التي لانرى مناصاًمن استعراض بعضها هنا بوجه الايجاز. ولا سيما تلك التي كان لها تأثير مباشر على الامن . ليأخذ القارىء فكرة كامـلة عن حالة الامن في ذلك العهد :

ففي اواسط القرن السادسعشر للميلاد (اوائل الحكمالتركي) ذرقرن الخلاف فيالقدس بين المسيحيين الوطنيين وبين العنصر اليوناني الدخيـــل ، وذلك عندما وضع الاكليروس اليوناني يده على الوظائف الدينية كلهـــا بعد استيلاء جرمانوس اليوناني على كرسي البطريركية الاورشـليمية (١٥٤١ م) . فاستغل اللاتين فرصة هذا النزاع ، وقاموا يطالبون بحقوق قالوا انها لهم في الاماكن المقدســة . وهناك بدأ الخلاف الذيامتد حتى يومنا هذا بين المسيحيين الارثوذكس والاكليروس اليوناني من ناحية ، وبين الروم واللاتين من الناحية الاخرى .ثمجاء الارمن ، ثالثة الاثافي ، فزادوا في الطين بلة . فأخذ كل فريق يهاجم الآخر لاتفه الاسباب .وراحتالدول تتدخل من اجل مصلحة هـذا الفريق تارة وذاك اخرى . الامر الذيجعل الامنيتضعضع بينجدرانالكنائس والامــاكن المقدســـة . وفي كل مرة كان الفريق المغلوب على امره يلجأ الى السلطة . فتتدخل هذه وتحسم الخلاف بالقوة : تارة لصالحهـــذا، وطوراً لصالح ذاك ! .

ولئن نسينا فلن ننسى حوادث سنة ١٦٦٩ يوم اعتدى اللاتين على الروم في اثنــــاء الصلاة ، وفي داخل كنيسة القيامة ، فضربوا الكاهن والشماس وجروهما الى خارج الكنيسة . وفتكوا ببعض الرهبان .

وحوادث عام ١٦٧٤ يوم اتفق الارمن واللاتين وهجموا على الروم في حجرة القبر المقدس؛ فجرحوا اثنين منهم ، وقتلوا راهباً .

وحوادث عام ١٧٣١ يوم اصطدم الفريقان : الارمن والروم من اجل فرمان صدر من السلطان قيل ان الارمن استبدلوا كلمـــة (الروم) التي وردت فيه بـ (الارمن) واسم (عبـــد الله) بـ (سيركيس) .

وحوادث عام ١٧٥٦ يوم دخل اللاتـــين الى الكنيسة مسلحين في احد الشعانين ، وهجموا على الروم في اثناء الصلاة ، فضربوهم وكسروا كل ما وقعت عليـــه ايديهم من ايقونات وشمعـــدانات وادوات للصلاة .

وحوادث عـــام ١٨٠٨ يوم احرق الارمن كنيسة القيامة ، ومنعوا الروم واللاتين من دخول الكنيسة لاطفاء الحريق . ولمـا دخلوها متأخرين كان الوقت قد انقضى وكانت النيران قد التهمت جميع الاماكن ، وكان كل شيء قد تحول الى رماد .

وحوادث عام ١٨١٠ يوم ثار الارمن ، فهاجموا الروم ، ودخلوا الكنيسة مسلحين ، فقتلوا احـد العمال وجرحوا اثنـين ، وحطموا كل ما وقعت عليه ايديهم من اواني الصلاة والعبادة .

وحوادث عام ١٨٣١ يوم حدثت في داخل الكنيسة مشاجرة عنيفة بين الروم واللاتين من اجل نقطة بسيطة هي : هل كان على اللاتين ، في اثناء ذهابهم الى الجلجلة ، أن يمروا من أمام القبر المقدس والروم محرمين الى الصلاة ، ام من ورائه ؟ وقد استعمل الفريقان السلاح في هذا الشجار ، وتراشقا بالحجارة والاخشاب .

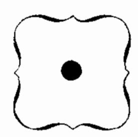
وحوادث عام ١٨٣٣ يوم اراد الارمن ان يستبدلوا حجراً بحجر في مكان له قدسيته في نظرهم . فاراد الروم ان يحولوا دون امنيتهم . واعتزموا قضاء ليلتهم في داخل الكنيسة .فاصطدم الفريقان ، واستعملا الحجارة في هذا الصدام.وجاء القاضي فامر بارجاع الحجر الاصلي الى مكانه .

وحوادث عام ١٨٩٣ يوم قتل راهب وجرح ثلاثة من الرهبان اللاتين برصاص بندقية اطلقها القواس الذي كان يرافق الحجاج الروس بحجة انه يريد افساح الطريق الى الحجاج .

وحوادث عام ١٩٠١ يوم اقتتل الروم واللاتين في داخل الكنيسة . وجرح من الآباء الفرنسيسيين ١٧ راهباً ، وقلعت عين قائد الدرك يوسف آغا الدزدار الذي لولا تدخله وجنده لما عرف الا الله ماذا تكون النتيجة . والسبب في ذلك على قول الروم ان اللاتين كنسوا بعض الدرجات الكائنة في ساحة الكنيسة وما كان عليهم ان يكنسوها ! . .

* * *

انا اذا ما اردنا ان نلخص هذا الفصل الذي خصصناه لبحث حوادث الامن، قلنا ان الايام التي ذاقت القدس فيها طعم الراحة قليلة ، وان وجود الاماكن المقدسة فيها ، وبعبارة افصح أن قدسيتها كانت السبب في ما الم بها من المصائب والآلام . وقد تدوم هذه المصائب والآلام ، ما دام في هذا الكون اديان مختلفة ! . وما دامت القدس محتفظة بقدسيتها التي رافقتها على مر الزمان ! . الا اذا حكم الناس عقولهم . وساروا على المبدأ القائل: الدين لله، والوطن للجميع ! . .



الثورة العربية الكبرى

كان العرب بوجه عام ، والفلسطينيون بوجه خاص ، مخلصين في شعورهم نحو الدولة والسلطان . وكانوا على اتم الاستعداد للحرب والكفاح دون (دين الاسلام وسلطان المسلمين) . وكانوا مطيعين لحكامهم ورؤسائهم : يحاربون متى شاء هؤلاء الحكام والرؤساء ؛ دون ان يسألوا : لماذا ؟ وفي سبيل اية غاية ؟ ومن اجل من ؟

هكذا كان وضعهم في اوائل الاحتلال التركي . وما كانوا يلقبونه بالتركي . وانما كانوا يسمونه : العثماني .

ولكن هؤلاء الرؤساء والحكام لم يقدروا هذا الشعور ، ولم يعرفوا كيف يستغلون هذا الاخلاص. وزاد في الطين بلة (الفساد) الذي كان منتشراً في (استانبول) عاصمة البلاد .

ولهذا ، فان البلاد العثمانية لم تتقدم كثيرا في مدارج الحضارة والرقي على عهد هؤلاء . اذ كان بعضهم منهمكا في فتوحاته ، والبعض الآخر في تدبير المؤمرات لاغتيال خصمه ، او في رد عاديات المتآمرين على ملكه . والذي يصفو له الجو منهم يقضي وقته بين الكؤوس والغواني . وكم حدثنا تاريخهم عمن مات منهم ضحية المدام ، وعمن راح شهيد الجمال الفتان . حتى قيل انه جاء زمن على الدولة العثمانية كانت الواردات التي تجبى من قضاء من الاقضية او ايالة من الآيالات تخصص لاحدى نساء السلطان او لحظية من المحظيات اللواتي يعشن في قصره ! وان هاته النسوة كن ينتدبن من يقوم بجباية هـــذه الواردات من القضاء المخصص لهن بالنيابة عنهن !

قال المؤرخ التركي جودت في تاريخه : « ان الدولة العلية لما انتقلت من دور البداوة الى دور الحضارة لم يتخذ رجالها الاسباب اللازمة لهذا الانتقال . فحصروا اوقاتهم في حظوظ انفسهم وشهواتهم . يقيمون في العاصمة القصور الفخمة ، ويفرشونها بانواع الاثاث والرياش مما لا يتناسب مـــع رواتبهم . فاضطروا الى الارتشاء ، وبيع المناصب بالمال ، وتلزيم البلاد واقطاعها بالاثمان الفاحشة .

« والفساد الذي كان منتشراً في البلاد العثمانية ، كان ينبعث من العاصمة . اذ كان يقبض فيها على زمام الاحكام غالباً جهـــلاء ظلام . وقد تولى الصدارة ندماء سخفاء ، بل طبالون وطباخون وغيرهم من المقربين لا الى الملوك فحسب بل الى نساء القصر الملكي ؛ او الزنوج والخصيان الذين كانوا يولون ويعزلون كما يشاؤون وتشاء اهواؤهم .

« وعندما تبدو علائم الاستياء من جراء هذه الحالة في ناحية من انحاء البـــلاد ، كان السلاطين يعملون على القـــاء الفساد والشغب بين الرؤساء والزعماء . وذلك برتب يخترعونها لهم ، وجرايات يدرونها عليهم . وكانت المناصب والرتب تباع في الآستانة بيع السلع بسوق المزاد . وعندما لا تجدى هـــذه التدابير كانوا يفتكون بالابرياء . وكان من السهل عليهم ان يستصدروا من المنافقين فتاوى تبرر اعمالهم ! » .

هذا ما قاله جودت . وقد حدثناك في السطور السابقة عن بعض تلك الثورات . ولا سيما تلك التي لها صلة بالقدس . ولو اردنا ان نحدثك عن الثورات التي نشبت في انحاء اخرى من البلاد ، لما وسعها هذا الكتاب .

ومع ذلك فلم يفكر احد من سكان البلاد الانفصال في بادىء الامر عن الدولة . كل ما كانوا يطلبونه ولا سيما في اواخر الحكم العثماني – هو الاصلاح . وامل العرب خيراً من الانقلاب العثماني . ذلك الانقلاب الذي اطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني (١٩٠٨ م) . وراح ينادي بالحرية والمساواة والاخوة ، وينشر راية العدل والاصلاح في جميع انحاء البلاد . وظن العرب ان هذا الانقلاب سيصلح من شأنهم ، وينقذ بلادهم من الخراب الذي الم بها في السنين الفائتة .

ولكن سرعان ما انقلبت الاية ، وخاب الرجاء ؛ وشعر العرب بان رجال تركيا الفتاة ، وان كانوا يتظاهرون بالعمل لاتحاد العناصر وتأييد الوحدة العثمانية ، الا انهم في الواقع وحقيقة الامر كانوا يتآمرون على هذه العناصر ويسعون لاذلالها . وقد اخذ هؤلاء اي رجال تركيا الفتاة ، يبذلون قصارى جهدهم في تقوية العنصر التركي عملا بوحي الفكرة القومية الطورانية ؛ ظنا منهم بان ذلك انفي للخطر وادعى الى تماسك اجزاء السلطنة واتحادها !

عندئذ بدرت بوادر الخلاف العنصري بين العرب والترك . ونما حب الاستقلال عند العرب . وقام هؤلاء يسعون الى ذلك ، ولكن بالسر ! اذ كانوا يخشون بطش الاتراك . وقد تألفت خلال تلك الفترة من الزمن جمعيات عربية عديدة في الآستانة وباريس والقاهرة وبيروت ودمشق وبغداد .

ففي الآستانة تأسست (جمعية الاخاء العربي) و (جمعية العهد) و (المنتدى الادبي)[١] و (العلم الاخضر) . وفي باريس (الجمعية العربية) او (الفتاه) . وفي مصر والاستانة معاً (الجمعية القحطانية) . وفي القاهرة جمعية (الجامعة العربية) و (حزب اللامركزية العثماني) . وفي بيروت (الجمعية الاصلاحية) . وفي البصرة (الجمعية الاصلاحية) . وفي بغداد (النادي الوطني العلمي) وغيرها . وقد كان لبعض هذه الجمعيات فروع في القدس ، وكان في عداد اعضائها عدد من المقدسيين . وكانت هذه النوادي والجمعيات راضية بادىء الامر بان يكون العرب والاتراك الذين يعيشون تحت ظلال الراية العثمانية متساوين في الحقوق والواجبات . حتى ان المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس بتاريخ ١٧ حزيران ١٩١٣ والذي كان ممثلا لجميع النوادي والجمعيات العربية المتقدم ذكرها اكتفى بان حصر مطالبه بالبنود التالية :

(آ) الاصلاح ضروري للمملكة العثمانية .

(ب) يجب ان يتمتع العرب بحقوقهم السياسية وذلك باشتراكهم في الادارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً .

(ج) يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة مركزية .

(د) يجب توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين أجانب .

(ه) يجب ان تعتبر اللغة العربية في مجلس

---

(١) انشيء هذا المنتدى في الاستانة عام ١٩٠٩ . وكان يقيم بين جدرانه الف عضو كلهم من الشبان المثقفين الذين امموا الاستانة من جميع انحاء البلاد العربية بقصد التحصيل . وكان مؤلف هذا الكتاب وعدد كبير من شبان بيت المقدس من اعضائه العاملين .

النواب العثماني ، وان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغـة رسمية في الولايات العربية .

(و) تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية ، الا في ظروف استثنائية . وقد كان لهذا المؤتمر بعض التأثير على الحكومة التركيـة . فقـد صدر يوم ٣ اغسطس ١٩١٣ مرسوم سلطاني جاء فيه ما يلي :

(آ) يعهد بادارة الأوقاف الى مجالس الجماعات في الولايات .

(ب) يؤدي الجنود خدمتهم العسكرية زمن السلم في بلادهم . وللدولة متى رأت لزوماً لذلك ان ترسلهم الى حيث تشاء من غير قيد ولا شرط .

(ج) يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتـكلم اكثرية سكانها هذه اللغة ، مع جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً .

(د) يعرف الموظفون في البلاد العربية اللغة العربية عدا اللغة التركية .

(هـ) تعـين الحكومات المحليـة الموظفين من الدرجة الثانيـة . وامـا الذين يعينون بارادة سنية ، فيناط تعيينهم بالحكومة المركزية في الاستانة .

الا ان الحكومة المركزية اخذت تخاتل في تنفيذ هـذه البنود ، كما اخذت فكرة الاستقلال تنمو وتنتشر بين العرب. فاخذت هذه النوادي والجمعيات تغير وجهتها . وتصيح بملء شدقيهـا : «انها تبغي استقلال العرب ولا ترضى به بديلا» .

ولقد اقلقت هذه الجمعيات بال الاتراك . فعقدوا في ٢٤ يناير سنة ١٩١٤[1] اجتماعاً في وزارة الحربية بالاستانة حضره الصدر الاعظم سعيـد حليم باشا ، ومحافظ الاستانة العسكري احمد جمال باشا ، ومدير الامن العام عزمي بك . فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية . وقاموا بعـد ذلك باقصاء الضباط العرب المقيمين في الاستانة وعددهم يومئذ ٤٩٠ ضابطاً الى المناطق التركية . وعهدوا بقيادة الجيوش المرابطة في البلاد العربية الى ضباط من الاتراك . وقرروا الغاء الاحزاب العربية كلها ، وتعزيز النفوذ التركي في البلاد العربية . وتنفيذاً لهذه السياسة ارسلوا الى سوريا احمد جمال باشا . وكان هذا يومئذ وزيراً للبحر وقطباً من اقطاب الاتحاديين. فعهدوا اليه بقيادة الجيش الرابـع الذي كان مقره دمشق. بعد ان انتزعوا قيادة هذا الجيش من الفريق زكي باشا الحلبي العربي الذي انتدبوه مرافقا لامبراطور الالمان غليوم . . . قام جمال باشا بتنفيذ الخطـة التركية الجديدة بحذافيرها ، فمزق الكتائب العربية كل ممزق ، وشتت رجالها؛ فبعث بهم الى البـلاد التركية النائية . والف في (عاليه) من اعمال جبل لبنان ديواناً عسكرياً عرف فيما بعد: (بديوان عاليه). فساق اليـه جميع شباب العرب ورجالاتهم الذين اشتغلوا قليلاً او كثـيراً للقضية العربية . فحوكم هؤلاء محاكمات مختلفة : بعضهـا حقيقي، والبعض الآخر صوري. وكان اعضاء هذا الديوان (او المحكمة) يتلقون الوحي من الطاغية جمـال الذي لقب عن جدارة واستحقاق بالسفاح . ولقد ادانوا عـدداً كبـيراً من رجال العرب الاحرار ، فقضوا عليهم بالاعدام . ونفذ فيهم الحكم شنقاً ، لا لذنب اقترفوه سوى حبهم لوطنهم . وقـد شنق بعض هؤلاء في

(١) (الثورة العربية الكبرى) لامين سعيد .

في بيروت ،وبعضهم في دمشق ، والبعض الآخر في القدس .

وكان بين الذين اعدموا فلسطينيون ،نذكر منهم :

١ – علي النشاشيبي (من القدس) اعدم في القدس في تشرين اول ١٩١٨ .

٢ – احمد عارف الحسيني (من غزة) اعدم في القدس في تشرين اول ١٩١٨ .

٣ – مصطفى احمد عارف الحسيني (من غزة) اعدم في القدس في تشرين اول ١٩١٨ .

٤ – سليم عبد الهادي (من نابلس) اعدم في بيروت في ١٩١٥/٨/٢٠ .

ولم يكتف جمال باشا بعدد الذين شنقهم او سجنهم من احرار السوريين واللبنانيين والفلسطينيين والعراقيين ؛ فقد امر بنفي عدد آخر منهم . ونفاهم بالفعل (١٩١٦ م) رجالا ونساء واطفالا الى انحاء مختلفة من بر الأناضول

وعلى الرغم من هذا كله ،فان التدابير التي اتخذها جمال باشا ما كانت لتلين من قناتهم ؛ بل زادتهم كرهاً للحكم التركي ، وميلاً لاستقلال بلادهم . اذ ما كاد الشريف حسين شريف مكة يضرم (١٩١٥ م) نار الثورة العربية في الحجاز ، ويعلن استقلال البلاد العربية، حتى لبى دعوته عدد كبير من رجالهم ؛ ولا سيما اولئك الذين كانوا يعملون في الجيش التركي . فقد اخذ هؤلاء يفرون من قطعاتهم زرافات ووحدانا ، ويلتحقون بالجيش العربي الذي كان يقوده الحسين واولاده الامراء : علي ، وفيصل ، وعبد الله ، وزيد .

الامر الذي كان له تأثير كبير على موقف الدولة التركية ؛ تلك الدولة التي تقلص ظلها في هذه البلاد، الى ان زال عنها بالمرة (١٩١٧ م) . وقام مقامه الإحتلال الانكليزي . وسنأتي على ذكر ذلك في الفصول التالية .



الباب السادس

الاحتلال البريطاني

* الحرب العالمية الاولى
* حملة الاتراك الاولى على قناة السويس
* الحملة الثانية
* الانكليز ينقلبون من طور الدفاع الى طور الهجوم
* انسحاب الاتراك من غزة
* الجنرال اللنبي يتولى القيادة بعد الجنرال موري
* موقف الجيش التركي
* الانكليز يزحفون صوب القدس
* احتلال القدس
* انسحاب الاتراك من القدس
* محاولات تركية فاشلة لاسترداد القدس
* بيان اللورد اللنبي لأهل القدس
* لماذا غُلب الاتراك على امرهم ؟
* الادارة العسكرية
* وعد بلفور
* وعود بريطانيا للملك حسين
* معاهدة سايكس — بيكو
* الادارة المدنية
* المندوب السامي الاول: السر هربرت صموئيل
* المجلس الاستشاري

- المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع
- المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس
- صك الانتداب
- المؤتمر العربي الفلسطيني السادس
- المندوب السامي الثاني : الفيلد مارشال بلومر
- حوادث البراق
- المندوب السامي الثالث : السر جون تشانسلور
- المؤتمر العربي الفلسطيني السابع
- تكرار النزاع حول البراق
- المؤتمر الاسلامي الاول
- شركة البوتاس
- ثورة عام ١٩٢٩
- الكتاب الابيض الاول
- ركود الهجرة
- نكوص البريطانيين والغاء الكتاب الابيض
- العرب يوجهون كفاحهم ضد البريطانيين
- اللجنة الملكية
- كيف تلقى العرب واليهود تواصي اللجنة الملكية
- المندوب السامي الرابع : السر آرثور غرنفيل واكهوب
- المؤتمر الاسلامي الثاني
- المؤتمر العربي الارثوذكسي

- اللجنة الانكلو ـــ اميركيه
- مؤتمر ملوك العرب في زهراء انشاص
- مؤتمر بلودان
- توحيد الاحزاب الفلسطينية
- ثورة اليهود
- مؤتمر لندن الثاني
- مؤتمر لندن الثالث
- فشل مشروع بيفن
- الحكومة المنتدبة تتخلى عن الانتداب
- رحيل البريطانيين عن البلاد

القدس والاحتلال البريطاني

الحرب العالميه الاولى: قبل ان اذكر لك، ايها القارىء الكريم، كيف ومتى احتل الانكليز القدس، وكيف اداروها؛ عليّ ان اسرد بوجه الايجاز الحوادث التي سبقت ذلك الاحتلال. واني توصلاً لهذه الغاية درست، بشيء كثير من انعام النظر، الكتب التي الفها الفريقان المتحاربان: الاتراك والانكليز؛ والتقارير الرسمية التي وضعاها، بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) اوزارها. تلك الحرب التي وقعت بين الانكليز وحلفائهم من ناحية، والالمان وحلفائهم من الناحية الاخرى. وقد اختار الاتراك يومئذ جانب الالمان، فحالفوهم ضد اعدائهم الانكليز.

٢ – حملة الاتراك الاولى على قناة السويس: كانت الغاية من حملة الاتراك على مصر[١] هي اشغال الانكليز وابعادهم عن الدردنيل. وكان الامل قوياً ان تثور مصر ومن ورائها السودان، بمجرد اقتراب الجيش التركي من الحدود وعبوره قناة السويس. فاذا سيطر الاتراك على هذه القناة، عرقلوا وسائط النقل بين انكلترا والهند. فيضطر الانكليز الى ان يجتازوا طريقا للهند غير قناة السويس، وهو رأس الرجاء الصالح. وفي هـــذا ما فيه من كلفة وعناء ووقت طويل.

هذا ما كان يرمي اليه الاتراك، يعضدهم فيه حلفاؤهم الالمـان. ولا سيما الميرالاي قرس فون قرسنشتاين الذي عين رئيساً لاركان الحرب في الفيلق الثامن. وكان هذا الفيلق الذي وجهـــه الاتراك لمهاجمة قناة السويس، مؤلفاً من فرق المشاة ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ وعدد من المتطوعين. وقد بلغ مجموع افراد هذا الفيلق ١٢٦٤٢[١] جندياً. وكان مجهزاً بسرية من الهجانـة، وعـدد من المدافـع الثقيـــلة والمتراليوزات والبنادق السريعة الطلقات. وكان معه ٩٦٨ حصاناً و ٣٢٨ ثوراً لسحب المدافع عبر الصحراء، وسبعة آلاف جمل لنقل الاعتدة والمؤن. واما قائد هذه الحملة فهو جمال باشا الكبير قائـــد الجيش الرابع.

غير ان الطريق الى قناة السويس كانت محفوفة بالمخاطر. ذلك لانها تمر من بادية لا زرع فيها ولا ماء. حتى ان قيادة الجيش امرت الضباط والجنود ان يقتصدوا في استعمال الماء، وان لا يشرب الواحد منهم اكثر من ابريق في اليوم الواحد.

٣ – اخذت كتائب الاتراك تتجمع في شهر كانون الاول لعام ١٩١٤. وفي اليوم الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩١٥ شرعت هذه الكتائب في الزحف ميممة قناة السويس. فعبرت الحدود التركية المصرية، واجتازت صحراء سينا، دون ان تلقي اية مقاومة من الانكليز. اذ كان هؤلاء قد اختاروا البقاء وراء الضفة الغربية لقناة السويس. وحاول الاتراك عبور قناة السويس. وقد عبرتها بالفعل قوة صغيرة مؤلفة من ستمائة جندي في مكان

---

(١) راجع كتاب (فلسطـــين جبهه سي). ذلك الكتاب الذى اصدرته وزارة الحرب التركية بعد الحرب.

(١) كان الاتراك يمنون انفسهم بانضمام عدد كبير من المتطوعين الى هذا الجيش، وبوصول الكتائب المرابطة في الحجاز، حتى يبلغ عددهم (٢٥,٠٠٠). ولكن امنيتهم هذه لم تتحقق.

جمال باشا



والضباط الاتراك الذين حاربوا معه في جبهة فلسطين

يدعى (طرسوم – سرابيوم) بالقرب من البحيرة المرة امام الاسماعيلية . واستعمل هؤلاء المعديات[١] التي أعدت لهذه الغاية . الا ان هذه المعديات لم تكن كافية . فما كاد هذا العدد الضئيل من الجند يعبرون القناة ، حتى تلقتهم المدفعية البريطانية بنيرانهـا الحامية . وكانت هـذه تقذف حممها من بعض قطع الاسطول الذي كان راسيـا في البحيرة المرة ؛ فصدتهم على اعقابهم ، بعد ان استشهد عـدد كبير منهم ، وأسر آخرون . ولم ينجح الاتراك في حملتهم هذه الا نجاحاً ضئيلاً ، هو ارغام الانكليز على ان يبقوا في الضفة الغربية ، وتخريب مدرعة انكليزية كانت راسية في القناة . فقرر الاتراك الانسحاب رغم انف (قرس بك) الذي كان (يفضل الموت على الانسحاب) . وقـد انسحبوا بالفعل تاركين وراءهم ١٣٠٠ شهيداً ، وعدداً كبيراً من الابـل التي نفقت بسبب الحر والتعب .

٤ – **تأهب الاتراك للحملة الثانية** : عنـدما فشل الاتراك في حملتهم الاولى ، اخذوا يستكملون نقائص جيشهم ، ويتأهبون للقيام بحملة ثانيـة . فاصلحوا منازلهم على طول الطريق ، ومـدوا السكك الحديدية ، واستخدموا عدداً كبيراً من الجنود كعمال لهـذه الغاية . وعهـدوا بهذه الاعمال كلها الى قيـادة الصحراء التي وضعت تحت امرة القائـد الالماني (المـيرالاي فون قرس بك) .

وفيما كان الاتراك يتأهبون للقيام بحملتهم الثانية على قناة السويس ، حـدث في ساحات القتال الاخرى[١] حوادث اضطرتهم للتريث في الامر . فقـد اضطروا لارسال الفرق الثامنة والعاشرة والخامسة والعشرين من فرق الجيش الرابع الى الدردنيل . كما ارسلوا فرقة من فرق الفيلق الثاني عشر الى العراق ، واخرى الى القفقاس . ثم اخذوا من الجيش الرابع جميع المدافع السريعة الطلقـات والمتراليوزات التي كانت لديه . فانخفضت قوة هذا الجيش انخفاضاً هائلاً . واصبح مجموع افراده اثني عشر طابوراً فقط .

اضف الى ذلك : الانباء التي وصلت عن نشوب ثورة في بلاد الارمن ، والاستياء الذي كان واضحاً للعيان في البـلاد العربية من جراء انتشار فكرة الاستقلال بين العرب ، والمفاوضات التي كانت تدور حول هذا الموضوع بين الانكليز وبين الملك حسين ابن علي ملك العرب الذي ثار ضد الترك واعلن استقلال العرب (١٩١٥) .

فلم يتمكن الاتراك ، بسبب الحوادث المتقـدم ذكرها ، من القيام بحملتهم الثانية على القتال ؛ قبل ان ياتيهم المدد من جهة ، وقبل ان يمهدوا السبيل الى هذه الحملة ، وذلك بتعبيد الطرق وانشاء السكك الحديدية من جهة اخرى .

ولم يكن الانكليز بغافلين عما يفعله الاتراك في هذه الجبهة . فقد زار مصر في أواخر عام ١٩١٥ م وزير الحربية البريطانية اللورد كيتشنر ، واستحضر عدداً كبيراً من الفرق الانكليزية التي كانت في فرنسا وسلانيك والدردنيل والهند . فاصبح لديهم في مصر ٣٠٠,٠٠٠ جندياً . وعهدوا بقيادة هـذا الجيش والدفاع عن مصر الى الجنرال السر ارشيبالد موري

(١) حمل الاتراك هذه المعديات معهم عندما اجتازوا الصحراء . وقد كانت قطعا متناثرة ، فركبوهـا عنـد وصولهم للقنال واستعملوها .

(١) كان الاتراك يحاربون خلال الحرب الكبرى (١٩١٤ – ١٩١٨) في خمس جبهات : فلسطين ، العراق ، القفقاس ، رومانيا ، والدردنيل .

واما قوة الاتراك التي كانت يومئذ ترابط في هـذه البـلاد – من مصر الى اطنه – فانهـا لم تجاوز الاربعين الفاً .

٥ – حملة الاتراك الثانية على قناة السويس : على الرغم من ان المدد الذي كان يتوقعه الاتراك لم يصلهم ، وان الوسائل التي كانت لديهم قليلة ؛ فانهم تحت ضغط الالمان الملح ، قرروا القيام بحملة جديدة على القناة (نيسان ١٩١٦) .

ثم زحفوا باتجاه القنال . وكانت قوتهم في هذا الزحف مؤلفة من ٢٠٠٠٠ جندي ، نصفهم فقـط محاربون . ولكنهم في هـذه الحملـة أيضاً فشلوا . وكانت خسائرهم في هذه المرة : الف قتيل ، وثلاثة آلاف اسير . واماخسائر الانكليز ، فانها – على قول الاتراك انفسهم – لم تجاوز ١١٣٠ قتيلاً .

٦ – الانـكليز ينقلبون من طور الدفاع الى طور الهجوم : تبدل الموقف في هذه الجبهة ، بعد فشل الحملة الثانية ، تبدلا محسوسا . فبعد ان كان الاتراك مهاجـين ، والانـكليز مدافعـين ؛ انقلبت الآية : فاصبح الانـكليز مهاجمين ، والاتراك مدافعين . وراح الانكليز يفكرون في الاستيلاء على فلسطين ، بعد ان كانوا قانعين بالدفاع عن مصر فقط[١] . وكان ذلك بناء على قرار اصدرته وزارة الحرب البريطانية في بداية عام ١٩١٧ م[٢] . ولقد صدر هذا القرار في نفس الوقت الذي قرر فيه حلفاؤهم الروس ان يقوموا بقيادة الغراندوق نقولا بحملتهم على القفقاس على امل ان يسحقوا الجيش التركي .

٧ – عندما تلقى قائد القوات البريطانية السر ارشيبالد موري قرار حكومته ، كان الجيش الذي تحت امرته مؤلفاً من (٣٣٠،٠٠٠) جنديا . هـذا هو تقدير الاتراك . واما الانكليز انفسهم فيقولون ان قوتهم لم تتجاوز السبعين الفاً . . .

وضع السر ارشيبالد موري Sir Archibald Murray جميع الكتائب[١] الانكليزية الموجودة شرقي قناة السويس تحت امرة اللفتنانت جنرال السر تشارلس دوبل Sir Charles Dobell . واما المياه فانها وان كانت متيسرة في المناطق الساحلية ، الا انها لا تكفي للعدد الكبير من الجيوش التي كان عليها ان تعبر الصحراء . ولهذا كان لا بد من جر مياه النيل . وقـد جرت بالفعل بواسطة أنابيب حديدية . وعهـد الى الاسطول البريطاني المعقود لواؤه للاميرال (وه ميس) بحماية هذه المناطق . وقد شرع الانكليز في نفس الوقت يمدون السكة الحديدية شمالا ، ليتمكنوا من نقل جنودهم وعتادهم .

---

(١) The Palestine Campaigns by Colonel A. P. Wavell .

(٢) ذلك لان المستر لويد جورج Mr. Lloyd George الذي تولى رئاسة الوزارة البريطانية بعد اسكويث (Mr. Asquith) في ٧ ديسمبر سنة ١٩١٦ كان يرى انه لا بد من اشغال الالمان في جبهة اخرى غير الجبهة الغربيـة في اوروبا ، وقـد ابرق الى الجنرال ارشيبالد موري يقول : (لا بد من الحصول على نصر في الشرق) .

(١) كانت هذه الكتائب مؤلفة من (آ) فيلق الصحراء ، وهو مؤلف من (١) فرقة المشاة الثالثة والخمسين و (٢) فرقـة الانزاك الفرسان و (٣) فرقة الفرسان الامبراطورية . (ب) والفرقة الثانيه والخمسين . (ج) والفرقة الرابعـة والخمسين . (د) ولواء من الفيلق الامبراطوري للهجانة . واما فرقة الفرسان الامبراطورية فقد كانت مؤلفة من اللواء الثالث للخيالة، واللوائين الخامس والسادس للفرسان اليومانيين والبريطانيين ، واللواء الرابع للخيالة الاسترالين ، وكان مع كل من اللواء الثالث والرابع كتائب من المستشفيـات والمؤسسات الصحية التي تعمل متنقلة بين الكتائب المختلفة . واما فرقة الانزاك الفرسان فقد كانت مؤلفـة من اللواء الثاني للخيالة النيوزيلانديين والالاي الثـاني والعشرين للفرسان البريطانيين .

٨ — **انسحاب الاتراك من غزة** : عندما اتصل نبأ هذه الاستعدادات بالاتراك شعروا بالخطر .

وقد جاء القائد العام انور باشا من استانبول ، وعقد مجلساً حربياً ، حضره كل من جمـــال باشا وفون قرس بك للتشاور في الامر . فقرروا الدفاع حتى النفس الاخير .

٩ — **معارك غزة** : انسحب الاتراك من العريش في ٢٠ كانون اول عام ١٩١٦ ؛ ثم رجعوا الى غزة ، واخذوا يتأهبون للدفاع عنها دفاعا لا هوادة فيه . ولقـد حصنوها تحصينا تامـــا . قامت في غزة معركتان : واحدة في ٢٧ آذار ١٩١٧ والثانية في ١٩ نيسان ١٩١٧ . وقد انتهت كلتاهما بفشل الانكليز ، وانتصار الاتراك . وخسر الانكليز في الاولى ٢٧٠٠ قتيلا و٢٩٣٢ جريحا . وفي الثانية ٢٠٨٥ قتيلا و ٤٣٥٩ جريحاً . واما خسائر الاتراك فقد كانت اقـل من ذلك بكثير : ١٧٥٠ بين قتيل وجريح .

١٠ — **الجنرال اللنبي يتولى القيادة بعد الجنرال موري** : اقال الانكليز على اثر فشلهم هذا الجنرال دوبـــل من قيادة القوى الشرقية . واستبدلوه بالجنرال (شت وود) . وجعلوا الماجور جنرال (شوفـل Chauvel) قائـداً لقوة الصحراء ، وتولى الماجور جنرال (شيتور E. W. C. Chaytor) قيادة فرقة الانزاك الفرسان . واما القيادة العامة لجميع هذه القوى فقد انتزعت من يد السر ارشيبالد موري وسلمت ، في حزيران سنة ١٩١٧ ، ليـد السر ادموند اللنبي بصفته القائد العام للحملا المصرية : Sir Edmund Allenby, Commander in Chief of the Egyptian Expeditionary Force .



« الجنرال اللورد اللنبي »

منح اللورد اللنبي صلاحيات واسعة ، واعطى كل ما طلبه من جند ومدافع وآلات ميكانيكية وذخائر واعتدة ؛ واخذ يرسم الخطط ، لا للاستيلاء على غزة فحسب ، بـل وعلى فلسطين باسرها . وشرع في تنسيق القيادة ، وقـــام بتمرينات عسكرية لاختبار حالة جيشه ، وضاعف الجهود التي سبقت لمد الانابيب وجر مياه النيل في الصحراء . وقد مدت هذه بالفعل على مسافة ١٣٥ ميلا ، كما مدت السكة الحديدية حتى وصلت الى دير البلح ، وانشأ لها بعض الفروع ، وقد اتخذ القنطرة مركزا لتموين جيشه بدلا من الاسكندرية . واعاد تنظيم القوى التي وضعت تحت امرته .

(١) من اراد الاطلاع على تفاصيل المعارك التي حـــدثت بين الانكليز والاتراك في غزة ، فليرجع الى كتابنا : (تاريخ غزة) . طبع في مطبعة دار الايتام الاسلامية بالقـــدس . سنة ١٩٤٣ .

و كان مجموع القوى المحـــاربة التي وضعـــت تحت امرة .اللورد اللنبي ١٩٩،١٠٠ رجلاً .

ان شخصية الجنرال اللنبي ومقـــدرته ونفوذ بصيرته ، بدت للجنـد بزياراته الكثيرة المتواليـة للقطعات ، ولا سيما في المناطق الامامية . وهـذه الصفات احدثت تطوراً عجيبـاً في معنوية الجيش الانكليزي . وبعد ان كان الاعتقاد سائداً بأن هذا الجيش الذي كان يحارب في الجبهة الفلسطينية كان منسياً ، تبدل هذا الاعتقاد ، وانقلب اليـأس الى رجاء . ولا سيما عندما وصلت النجدات الجديدة ومعها طائرات حديثة الصنع .

١١ — **موقف الجيش التركي** : رأى الاتراك استعدادالانكليز هذا ؛ فحسبوا له حسابه ،وراحوا يعدون العدة من جديد . وعقدوا في حلب مجلساً حربيـــاً (٢٧ من حزيران سنة ١٩١٧) حضره كل من :

القائد العام	أنور باشا
قائد جيش القفقاس	أحمد عزت باشا
قائد الجيش الثاني	مصطفى كمال باشا
قائد الجيش الرابع	جمال باشا
قائد الجيش السادس	خليل باشا
مستشاروزارةالحربالتركية	محمود كامل باشا

وغيرهم من الرؤساء والقواد .

ان هذا المجلس وان لم ينته يومئذ الى قرار حاسم في صدد الخطة الواجب اتباعها[1] ، الا ان القيادة العامة عادت فقررت[1] ارسال الجيشين : السابـــع والثامن من (جيوش يلديرم[2])اي جيوش الصاعقة الى الجبهة الفلسطينية . ولما كان غازي باشا قائد الجيش السابع مخالفاً لهذا الرأي ، فقد استقال من القيادة بأيعاز من انور باشا ، وعهد بقيادة هـــذا الجيش الى امير اللواء فوزي باشا .

وفيما كانت هذه التبدلات في القيادة تجري ، كانت احوال الجيش التركي تسير من سيء الى أسوأ. اذ كانت ارزاقه قليلة للغاية . ولم يحسن ضبـــاط الجيش استعمال هذا القليل من الارزاق ، بدرجة ان الجوع كان يلازم الكثيرين من الجند في كثير من الاحيان . وقـــد جاء في التقارير الرسمية انهم لم يستطيعوا توزيع كمية من الخبز اكثر من ٧٥ طناً في أي يوم من أيام شهر أيلول ١٩١٧ ، مع ان احتياج الجيش اليومي للخبز كان ١٥٠ طناً على أقل تقدير . وقد فتكت الامراض بالجند فتكاً ذريعاً ، فاخذ عددهم يتناقص ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ في كل شهر ، دون ان يأتي من يقوم مقامهم ويشغل مراكزهم . وقـــد هلك عدد كبير من حيوانات الجيش ، بسبب الجوع وقـلة العلف . وامـــا حاجة الاهلـين الى الارزاق والمؤن فقـد كانت اعظم من ذلك بكثير .

(١) كان بعض اعضاء هذا المجلس يرى وجوب الاهتمام بجبهـــة العراق ، واسترداد بغداد التي سقطت بيد الانكليز في ١١ اذار سنة ١٩١٧ ، والبعض الاخر كان يؤثر الجبهة الفلسطينية على غيرها . لاعتقادهم بان خسارة هذه الجبهة تعني خسارة فلسطين ،وخسارة فلسطين تعني خسارة القدس واماكنها المقدسة . وهذا ما لايريدونــــه . لان للقـدس اهميتها الدينية في نظر الاديان والشعوب كلها .

(١) ولكن بعد خراب البصرة . وبعد تلكؤ دام اربعة شهور.

(٢) كانت جيوش يلديرم هـــذه بادىء ذي بدء مؤلفـــة من القطعات التالية : الفيلق الثالث (الفرق ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٩) والفيلق الخامس عشر (الفرق ١٩ ، ٢٠) ثم اضيف اليها كل من الجيش السادس ، والجيش السابع ، والجيش الثامن .

وكانت الغاية من تاليفها القيام بحمـلة جديدة في العراق واسترداد بغداد . وقد عهـد بقيادتها الى القائد الالمـــاني الجنرال فالكنهايم . وقدر مجموع عدد الجنود الذين وضعوا تحت امرته بخمسين الفاً .

كان الاتراك يصادرون الحيوانات ، دون ان يتركوا منها ما يصلح للتوليد والتناسل ، حتى يضمنوا مواصلة انتاج تلك الثروة الحيوانية في البلاد .

وكانوا يصادرون الحبوب ، حتى انه لم يبق منها ما يكفي للزراعة .

وكنت تجد عربات السكة الحديديه — على ضآلة السكك الحديدية في تركيا — مشحونة بالجند والعتاد ، والحيوانات ، وهي تسير من جهة الى اخرى على غير وعي . . . ودون علم الى اين ومن أين؟

وهذه الفوضى زادت في أسباب المجاعة ، لا سيما في المدن حيث لا غنى للسكان عن محصولات الارياف . ولكن من اين لمحصولات الارياف ان تصل الى المدن وسط تلك الفوضى والاضطرابات ؟

١٢ — الجيش الانكليزي يزحف صوب القدس :

في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ كان اللورد اللنبي قد اتم تعبئة جيشه . فامر بزحفه . وقد استولى اولا على بير السبع (٣١/١٠/١٩١٧) . ثم على غزة (٧/١١/١٩١٧) . بعدئذ راح يزحف صوب القدس . واليك تفصيل ما جرى :

بعد سقوط غزة سار الانكليز في فتوحاتهم قدماً حتى احتلوا الرملة ويافا (١٦/١١/١٩١٧) . عندئذ اخذ اللورد اللنبي يفكر ماذا يصنع؟ أيتعقب الجيش التركي الثامن المتراجع نحو الشمال عبر السهل ، ام يهاجم جيشهم السابع المرابط في الجبال باتجاه القدس . وبعد انعام النظر في الخطتين ، قرر الاتجاه نحو القدس ، في نفس الطريق التي سلكها من قبله الآشوريون والرومان والصليبيون . وانها لطريق وعرة المسالك . اضف الى ذلك ان ذخائر الانكليز كانت قد قلت . وكذلك قل عن وسائطهم النقلية . وفصل الشتاء كان على الابواب . والجيش الانكليزي كان قد تعب من الحروب المتواصلة . وليس ثمة خرائط دقيقة تبين دخائل المنطقة التي سيجتازها .

ولكن اللورد اللنبى ، رغم هذه الحقائق كلها ورغم انذار وزارة الحرب له ، اراد ان لا يضيع الفرصة ، ويهاجم الاتراك قبل ان يستعدوا ويستعيدوا نشاطهم ، وقبل ان ينشئوا خطوطهم الدفاعية في الجبال . فلم يضيع من وقته سوى يوم واحد ، هو اليوم السابع عشر من نوفمبر . قضاه في راحة وتهيئة . راحة لجنده وتهيئة لوسائط النقل .

وفي اليوم الثامن عشر اتم تعبئة جيشه بالشكل التالي :

(آ) أمر فرقة الفرسان الانزاك والفرقة الرابعة والخمسين اللتين جاءتا من غزة ، بأن ترابطا في السهل لتقوما بمهمة الدفاع .

(ب) وامر القسم الباقي من الفيلق الواحد والعشرين ان يتقدم باتجاه الجبال : على ان تسير الفرقة ٧٥ باتجاه الطريق التي تربط يافا بالقدس ، والفرقة ٥٢ على يسارها . وعلى يسار الفرقة ٥٢ تسير فرقة الفرسان اليومانيين ، فتتبع طريق بيت عور باتجاه البيره . ويسير آلاى من فرقة الفرسان الاوستراليين على يمين الفرقة ٧٥ باستقامة الوادي الذي يمر منه الخط الحديدي .

وفي اليوم التاسع عشر لنوفمبر ، شرع الجيش الانكليزي بالزحف نحو الجبال ، ميمما من ناحية شطر سريس وقرية العنب . ومن الاخرى بيت لقيا وبيت عور . وكان الجو يومئذ ماطراً ، والضباب كثيفاً ، والطقس بارداً للغاية . وكان الاتراك قد خربوا الطريق التي تربط يافا بالقدس . خربوها في اكثر من موضع واحد من مواضعها .

واما طريق بيت‌عور فلم تكن معبدة، وما كان من السهل استعمالها: لا لسير السيارات ولا للجمال.

فسار الجيش الانكليزي في الطريق اليمنى. وهي طريق صخرية ووعرة للغاية. سار فيها الى ان وصل الى سريس، فاحتلها (٢٠ نوفمبر ١٩١٧).

وفي ٢١ نوفمبر احتلت الفرقة ٧٥ قرية العنب، وسارت شمالا الى الشرق باتجاه البيره. ولكنها لاقت المشقات من جراء دفاع الاتراك المرابطين في النبي صمويل. والجبل الذي تقع عليه قرية النبي صمويل مرتفع ومسيطر على جميع الاراضي المجاورة. ولكن الآلاي ٢٣٤ احتلها قبيل منتصف الليل. وباحتلاله هذا قبض على (مفتاح القدس).

بينما كانت الفرقة ٧٥ تتقدم نحو النبى صمويل، كانت فرقة الفرسان اليومانيين تتراجع امام الاتراك المرابطين في جبال بيتونيا. وقد رجعت فعلاً الى بيت عور الفوقا. ذلك لان بيتونيا كانت محصنة. وكان فيها ثلاثة آلاف جندي تركي مزودين بالمدافع وما كان مع الانكليز الذين هاجموها سوى اربعة مدافع جبلية عرفت ببطاريات هونغ قونغ وسنغافور.

بين ٢٢ و ٢٤ نوفمبر قامت الفرقتان ٧٥ و ٥٢ بهجوم على قرية الجيب الواقعة على مرتفع كائن بين النبي صمويل وبيتونيا، الا انها فشلتا. ولم تستطيعا اخذها. غير ان الفرقة ٥٢ تمكنت من شق طريق لها من بيت لقيا، فنقلت مدافعها الى (بدو).

في هذه الاثناء قام الاتراك بثلاث هجمات معاكسة لاسترداد النبي صمويل[١]، كي يتمكنوا من درء الخطر عن خطوطهم الدفاعية، لا بل وعن القدس نفسها.

(١) يقال ان ريكادرس قلب الاسد، اخفى وجهه في هذا المكان، ورفض ان ينظر الى المدينة التي لم يتمكن من اخذها.

وفي ٢٤ نوفمبر اصدر اللورد اللنبي اوامره بعدم القيام باي هجوم، وبالثبات في الخط الذى ضبط؛ الى ان تأتيه الكتائب الجديدة والمدافع الجديدة التي طلبها. لان الاتراك كانوا من القوة في مواقعهم، بحيث لا يمكن زحزحتهم عنها بالقوة التي لديه.

ان المحاولة الاولى للاستيلاء على القدس، وان كانت قد فشلت، الا انها كانت ذات فائدة للجيش المهاجم. لانه اختبر الطرق، واختبر حالة البلاد، واختبر قوة الدفاع التي يملكها الاتراك. وحال دون تمكين الاتراك من تحصين الجبال وتهيئة وسائل الدفاع. وفيما كان الانكليز يستعدون لتقوية الجيش المهاجم في الجبال، كانت فرقة الفرسان الاتراك المرابطة في السهل، تناوش الجيش الثامن الذي كان مرابطاً امامها لتمنعه عن ارسال المدد الى الجيش السابع المرابط في الجبال.

انقضت فترة بين الحملة الاولى على القدس والثانية، قام الجيش الانكليزي خلالها باستكمال نقائصه، وتهيئة معداته، وبانشاء الطرق وترتيب وسائل النقل. وقد جيء بالفيلق العشرين ليتولى الهجوم، بدلا من الفيلق الواحد والعشرين الذي كان منهوك القوى. وارسل هذا ليتولى مهمة الدفاع في السهل امام يافا والرملة. تلك المهمة التي انيطت قبلا بفيلق خيالة الصحراء.

واستبدلت الفرقة الخامسة والسبعون والثانية والخمسون بالفرقة الستين التي جاءت من غزة. وانضمت اليها الفرقة العاشرة والفرقة ٧٤ لمهاجمة القدس. واحتفظ بالفرقة ٥٣ وبكتيبة من الخيالة وبطارية من المدافع الثقيلة على طريق الخليل شمالي بئر السبع لمجابهة الطوارىء في تلك الجهة.

بدأت الحملة الثانية لاحتلال القدس في ٢٧ الشهر.

إذ جرى يومئذ اصطدام شديد بين اليومانيين وبين الجيش التركي في الناحية الغربية من بيتونيا . فقد تغلب الاتراك هنا لكثرة عددهم. وانسحب الانكليز لا من بيتونيا فحسب ، بل ومن بيت عور الفوقا . وفتح الاتراك ثغرة بين اليومانيين والفرقة ٥٤ . فارسل الانكليز من احتياطهم مدداً، هو من آلاي الخيالة السابع وفرقة الفرسان الاوستراليين وآلاي من الفرقة ٥٢ . فتمكنوا من سد الثغرة التي فتحها الاتراك وابعدوهم الى الوراء .

وفي نوفمبر ٣٠ اسر الانكليز ٣٠٠ جندياً تركياً عند بيت عور الفوقا .

وفي ١ ديسمبر قام طابور تركي من فرقة الصاعقة التاسعة عشرة بهجوم سريع وموفق على فريق من الاستراليين كانوا مرابطين في البرج قبلي شلتا . فركض طابور من الفرقة ٥٢ لنجدتهم وانقذهم . وقتل من الاتراك مئة رجل، واسرمنهم ١٧٢ اكثرهم جرحى .

ان معركة شلتاهذه قد اثرت في معنوية الاتراك . ويقول الانكليز ان خسائرهم في هذه المعركة لم تتعد الستين .

وفي نفس اليوم رد الانكليز هجمات قام بها الاتراك من جديد على النبي صمويل وبيت عور التحتا .

وفي الثاني من ديسمبر استبدلت الفرقة ٥٢ بالفرقة العاشرة .

وفي ٣ دسمبر استولى طابور من الفرقة ٧٤ على بيت عور الفوقا مرة اخرى . ولكنه عاد فاخلاها في نفس النهار ، لأنها محاطة بتلال مرتفعة . وخسر الانكليز في هذه المعركة ٣٠٠ قتيلا .

وهكذا تكون الحملة الثانية للاستيلاء على القدس ايضاً قد فشلت .

وعندما تقرر القيام بحملة جديدة للاستيلاء على القدس ، قرر الجنرال السر فيليب شتوود

General Sir PhiliP Chetwode

قائد الفيلق العشرين احداث تبديل اساسي في خطة الهجوم . فامربان تحتل القطعات العسكرية الموجودة تحت قيادته المواضع المقررة لها :

(آ) فمدت الفرقة العاشرة جناحها الايمن بشكل يمكن الفرقة ٧٤ من الصمود في النبي صمويل وقد تقرر ان تكون هذه النقطة مداراً تدور حوله رحى الحرب .

(ب) واحتشدت الفرقة ٦٠ قبلي طريق العنب — القدس . فتولى جناحها الايسر ضرب هذه الطريق ، واتصل جناحها الايمن بالفرقة ٥٣ على طريق الخليل . وكان على هذه الفرقة ان تقترب من خطوط الدفاع في بيت لحم في السابع من دسمبر .

(ج) وقامت بعض القطعات الاخرى بصلة الوصل بين الفرقتين ٦٠ و ٥٣

(د) ودعمت ثلاث بطاريات من المدافع الجبلية وثلاث بطاريات من مدافع الهوتزار ذات الست بوصات وبطارية ونصف من المدافع الخفيفة الهجوم بوجه عام .

ولكن الامطار الغزيرة التي هطلت في ٧ دسمبر حالت دون تقدم الفرقة ٥٣ . لا ، بل انها سببت انزعاجاً عظيما لجميع الفرق .

ومع ذلك فقد تمكن الالاي ١٧٩ من الفرقة ٦٠ من القيام بهجوم على وادي الصرار . وحوالي الساعة ٣و٣٠ من صباح ٨ دسمبر استولى على التلال المرتفعة الكائنة جنوبي عين كارم . عندئذ

بدأ الهجوم الاساسي على القدس ، وكان الوقت قريباً من الفجر ، وكان الضباب كثيفاً .

ان الجيش التركي السابع ، ويقدر عدد رجاله يومئذ بـ ١٥,٠٠٠ الى ١٦,٠٠٠ مقاتل ؛ كان مشغولا بتحصين التلال الواقعة غربي القدس ، وتهيئة وسائل الدفاع عنها . وفي الحقيقة انه كان يعمل من اجل ذلك منذ عام او يزيد . ولكن قوته المعنوية كانت قد انكسرت . ولم يكن دفاع الاتراك شديداً . ذلك لانهم انهكوا قواهم من غير لزوم ، وذلك بقيامهم بهجمات تعرضية خلال الايام العشرة الاخيرة .

ولهذا تمكنت الفرقة ٧٤ المؤلفة من اليومانيين من الاستيلاء على التلال الواقعة غربي القدس عند بيت اكسا ، والفرقة ٦٠ اللندنية على دير يس وعلى مواضع اخرى واقعة شرقي وادي الصرار . وكانت الفرقة ٥٣ (المؤلفة من رجال البوليس) مرابطة في الجنوب .

١٣ – **الجيش الانكليزي يحتل القدس** : عندما خسر الاتراك مواقعهم الحصينة في جنوب فلسطين، ايقنوا ان القدس ستسقط في يد الانكليز لا محالة . وكان الجوع قد اشتد ، والغلاء قد عم ، والامراض قد انتشرت . عندئذ اخذوا يتراجعون في ليلة ٨/٩ من ديسمبر : قسم منهم بهدوء والقسم الآخر بانهزام .

ولما ايقن المتصرف التركي ، عزت بك ، ان القدس لا محالة واقعة بيد الانكليز ، وانه لاخير يرجى من المقاومة اكثر مما جرى ، نادى اليه مفتي القدس كامل افندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم افندي الحسيني . فاجتمعا اليه في داره الكائنة بالقرب من مدرسة المطران بالشيخ جراح . فقال لهما : « ها قد احاط الجنود الانكليز بالقدس ، ولا بد ان تسقط عما قليل بأيديهم . ولقد اعتزمت مغادرة المدينة بعد نصف ساعة . واود ان القي بين ايديكم هذا الحمل الادبي العظيم ، الا وهو تسليم المدينة للفاتحين . »

ثم ناول رئيس البلدية وثيقة التسليم التالية ليسلمها للانكليز :

« انكليز قوماندانلغنه :

هر ملتجه مقدس اولان قدس شريفده ايكي كوندن بري بعض اماكنه اوبوسلر دوشمكده در . حكومة عثمانيه جه صرف اماكن دينيه يي تخريبدن وقاية عسكر جكلمش . وقمامة ومسجد اقصى كبي اماكن دينيه نك محافظه سنه مأمورلر اقامه ايدلمشدر .

طرفكزدن ده بويولده معاملة ايديله جكي اميديله اشبوورقة يي بلديه رئيس وكيلي حسيني زاده حسين بك ايله كوند ريورم افندم » .

قدس مستقل متصرفي

٨/١٢/١٣٣٣ عزت

واليك ترجمتها بالحرف الواحد :

الى القيادة الانكليزية

«منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة لدى كل ملة . فالحكومة العثمانية رغبة منها في المحافظة علي الاماكن الدينية من الخراب ، قد سحبت القوة العسكرية من المدينة ، واقامت موظفين للمحافظة على الاماكن الدينية كالقيامة والمسجد الاقصى . وعلى امل ان تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه ، فاني ابعث بهذه الورقة مع وكيل رئيس بلدية القدس حسين بك الحسيني ».

متصرف القدس المستقل

٨/١٢/١٣٣٣ عزت

١٤ — الحكومة التركية تنسحب من القدس :

بعد ان سلّم متصرف القدس وثيقة التسليم لرئيس البلدية غادر المدينة ، ميمما اريحا؛ وكان الجيش قبل ذلك بقليل ، قد بدأ باخلائها . وراح يتحصن في جبل الزيتون .

وفي صباح اليوم التالي (الاحد٩/١٢/١٩١٧) انسحب الاتراك من القدس بالمرة . وقد كانت السماء ماطرة. وكان يخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون . وفي نحو الساعة التاسعة ذهب رئيس البلدية يصحبه ابن اخيه توفيق صالح الحسيني ومفتشا الشرطة عبد القادر العلمي واحمد شريف والشرطيان حسين العسلي وابراهيم الزعنون وفريق من الشبان نذكر منهم رشدي محمد المهتدي وجواد اسماعيل الحسيني وحنا اسكندر اللحام . وكان هذا الاخير حاملا العلم الابيض علامة التسليم .

والتقى هؤلاء بقائد الفرقة الستين الجنرال شي Gen. Shea عند مستشفى ولخ على طريق الشيخ بدر للغرب من المدينة . فسلموه وثيقة الاستسلام المتقدم ذكرها. فدخل الجيش الانكليزي في الساعة العاشرة والنصف المدينة .

١٥ — محاولات تركية فاشلة لاسترداد المدينة :

وفي اليوم نفسه تقدم افراد الفرق ٥٣ و٦٠ و٧٤ الى المواضع المعينة لهم . فاحاطوا بالمدينة من جميع جوانبها : الفرقة ٥٣ سارت في اتجاه الشرق نحو وادي الاردن . فقوبلت من الاتراك بنيران حامية . وكذلك قل عن الفرقة ٦٠ التي كانت تسير على طريق نابلس . فانها قوبلت بنيران شديدة من قبل مؤخرة الجيش التركي التي كانت مرابطة على جبل الزيتون . ولكن هذه المؤخرة صدت بعد معركة قامت بينها وبين الانكليز بالسلاح الابيض .

وكانت خسارة الاتراك في هذه المعركة سبعين قتيلا.

وقصارى القول: ان المحاولات التي قام بها الاتراك بين ٢٦ و ٣٠ ديسمبر لاجل استرداد القدس فشلت . وقد اضطروا لمغادرتها . فغادروها ، بعد ان قضوا فيها اربعمئة سنة على التمام (١٥١٧ — ١٩١٧) .

١٦ — اول بيان اذاعه اللورد اللنبي على الاهلين :

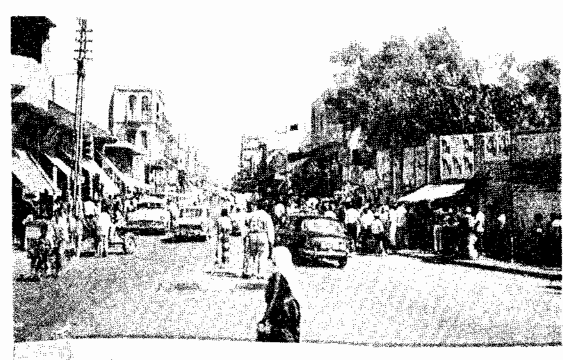
عندما دخل اللورد اللنبي القدس بعد يومين (اي في ١١ / ١٢ / ١٩١٨) دخلها ماشياً من باب الخليل . واذاع على سكان بيت المقدس ، من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي :

« الى سكان بيت المقدس واهالي القرى المجاورة :

« ان انهزام الاتراك امام الجيوش التي تحت قيادتي ، ادى الى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي . وفي الوقت الذي اذيع عليكم فيه هذا النبأ ، اعلن الأحكام العرفية . وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية . ولئلا ينالكم الجزع ، كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا ، اريد ان اخبركم انني ارغب ان أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون ، دون ان يخشى اي تدخل من قبل اي كان .

« وفضلا عن ذلك بما ان مدينتكم محترمة في نظر اتباع الديانات الثلاثة الكبرى ، وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من ابناء الطوائف الثلاثة المذكورة منذا قرون واجيال ؛ اود ان احيطكم علماً بان كل بناء مقدس ، ونصب ، ومكان مقدس ، او معبد ، او مقام ، او مزار ، او اي مكان مخصص للعبادة من اي شكل والى اية طائفة من من الطوائف الثلاثة ؛ سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات والعنعنات المرعية وبالنسبة الى تقاليد الطائفة التي تملكها » .





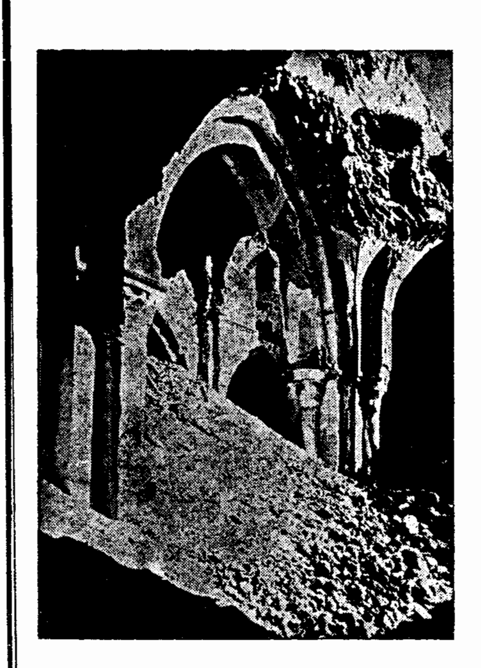




غزة

الجامع الكبير في غزة (من الخارج)

ألم به الخراب وهدمت مئذنته اثناء القتال(١٩ نيسان ١٩١٧)



الجامع الكبير في غزة (من الداخل)

هذا هو مظهر واحد من مظاهر الخراب الذى ألم بالبلاد في اثناء الحرب العالمية الاولى

(١٩١٤ - ١٩١٧)



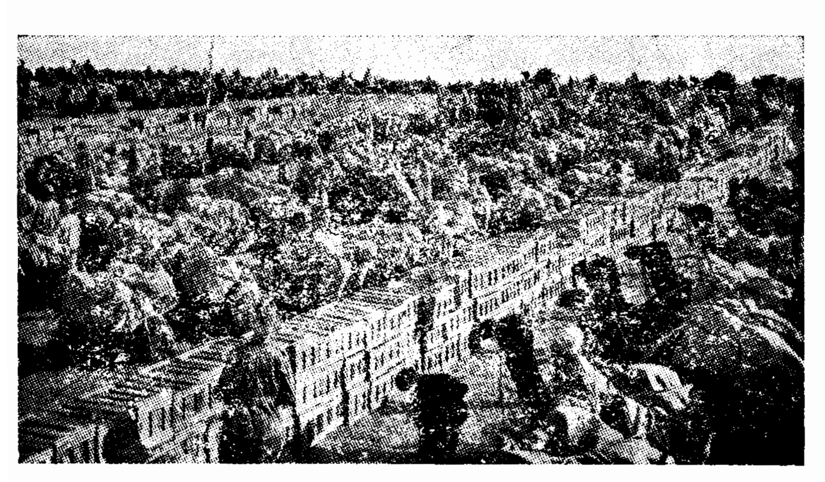
اللفتننانت جنرال تشارلس دوبل

القائد البريطاني في معارك غزة



الجنود الاتراك

يستعملون الرشاشات سريعة الطلقات

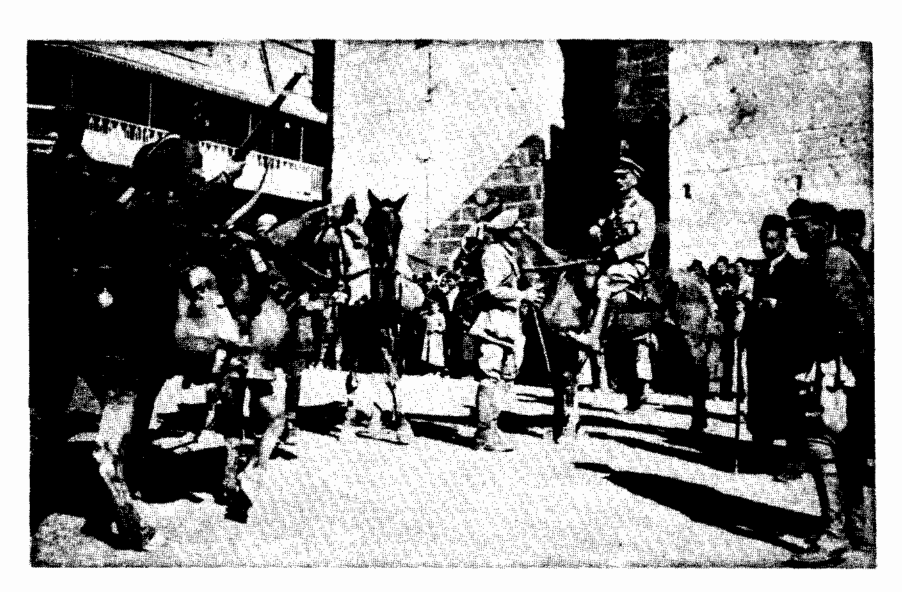


معدات القتال لفتح القدس ينقلها فيلق الجمالة التابع للجيش البريطاني



جنديان بريطانيان

كانا اول من دخل القدس . ويرى الى جانبهما رئيس البلدية حين سليم الحسيني وعد من ابناء المدينة



الميجور جنرال واطسون

اول من دخل القدس من الضباط البريطانيين وهو مساعد القائد العام ويرى الى جانبه واقفاً رئيس البلدية حسين سليم الحسيني

١٧ — **لماذا غلب الاتراك على امرهم** : ان السبب في هذا الانحدار هو قلة استعداد الاتراك في هذه الجبهة ، وعدم انتباههم اليها في باديء الحرب[١] ، وعدم تعاون رجال القيادة من اتراك والمان ، وقلة وسائط النقل وقلة الذخائر والمؤن . اضف الى ذلك ان الدولة العثمانية كانت مفككة الاجزاء ، لا تعرف النظام والتنظيم . وكانت عوامل الجهل والفوضى والاضطراب سائدة في كل مكان . واما الانكليز فقد كانوا اعلم من الاتراك ، وكانت وسائطهم اكثر وامتن . وكانت لهم سكة حديدية . وقد مدوا قساطل الماء على طول هذه السكة . وكان لديهم ٧٤٠٠٠ عاملاً مصريا[٢] يشتغلون بالطرق والاستحكامات الحربية ، وكان لديهم ٢٨٠٠٠ جملا . وكان لدى القيادة العامة فضلا عن ذلك ٣٥٠٠٠ جملا . اضف الى ذلك وسائط النقل البحرية . وقصارى القول كانت قوة الانكليز اربعة اضعاف القوة التركية . وكانت هذه القوة مجهزة تجهيزاً تاما ، وكانوا بسيطرون على البر والبحر والجو .

ومع ذلك فقد قاوم الاتراك مقاومة شديدة ، وابدوا بسالة ممتازة استحقوا الاعجاب من اجلها . فكانت خسارة الانكليز في معارك القدس من ١٥ نوفمبر الى ٩ ديسمبر ١٩١٧ (١٦٦٧) قتيلا . واما مجموع خسائرهم بين بئر السبع والقدس ، فكانت ١٨٫٠٠٠ بين ضابط وجندي . وقد خسر الانكليز خلال الشهرين الاخيرين عشرة آلاف حيوان من خيل وجمال وحمير وبغال . واما الاتراك فكانت خسائرهم ٢٥٫٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح . وقد اسر منهم ١٢٫٠٠٠ رجلا ؛ منهم ١٫٨٠٠ تركي اسروا في جبهة القدس .

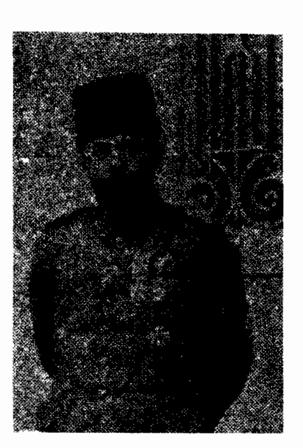
ويقول الذين تتبعوا مجرى الحرب في ذلك العهد ، ان الاتراك ما كانوا لينحدروا في هذه الجبهة ، لو كانت قلوب العرب سكان البلاد معهم . اذ كان هؤلاء تواقين الى الاستقلال . وكانوا في اواخر الاحتلال التركي ، ينظرون الى الاتراك نظرة بغض وازدراء . وقد هرب قسم كبير من الضباط والجنود العرب الذين كانوا في الجيش التركي ، والتحقوا اما بجيش اللنبي رأساً او بالجيش العربي الذي كان يقوده الامير فيصل بن الحسين ، بعد ان اعلن ابوه الملك حسين بن علي الثورة ضد الاتراك في ٥ حزيران سنة ١٩١٦ . وكان الجيش العربي يؤلف الجناح الايمن لجيش اللنبي . حتى ان اللورد اللنبي نفسه قد اعترف بعد انتهاء معارك فلسطين بفضل العرب الاكبر في سقوط العقبة وبئر السبع وغزة والقدس ؛ كما اعترف بفضلهم على الحلفاء بوجه عام ، والانكليز بوجه خاص من حيث كسب الحرب .

هذا ولا بدلنا ، قبل ان نختم هذا الفصل ، من القول ان جمال باشا ، عندما ايقن ان العرب لا يؤيدون الاتراك في حملتهم ، قبض على عدد كبير من احرار بلاد الشام (سورية وفلسطين ولبنان) . فساقهم الى عاليه . وهناك حوكموا محاكمة صورية ، وحكم عليهم بالاعدام من قبل محكمة عسكرية ؛ لا لسبب ، سوى انهم تمسكوا بقوميتهم وانضموا الى الثورة العربية التي كانت تستهدف استقلال بلادهم . وكان بين الذين علقوا على اعواد المشانق في بيروت ودمشق والقدس (١٩١٥) عدد غير قليل من الفلسطينيين . واما عدد الشهداء من سورية ولبنان فاثنان وثلاثون . وكان هذا من

(١) هذا مايقوله الاتراك انفسهم . راجع كتاب (فلسطين جبهه سي) .

(٢) وقيل ان هذا العدد كان حوالي ٥٥٫٠٠٠ . ارجع الى كتاب (جيشنا في فلسطين) لليوزباشي السيد فرج . الصفحة ٢٣ .

جملة الاسباب التي جعلت نار الثورة تزداد اضطراماً،



« السفاح جمال باشا »

وادت في النهاية الى اندحار الاتراك وخروجهم من هذه البلاد .

١٨ — **الادارة العسكرية** : عندما احتل اللورد اللنبي فلسطين كلها ، ادارها ادارة عسكرية. وقد اطلق عليها يومئذ . Occupied Enemy Territory Administration (اي ادارة بلاد العدو المحتلة) . وراح يدير البلاد مدراء عسكريون ، باسم (المدير العام لبلاد العدو المحتلة). واليك اسماء المديرين الذين عهد اليهم بادارة فلسطين في ذلك الحين :

البريجادير جنرال كلايتون
١٩١٧/١٢/٩ - ١٩١٨/٢/٢٨
الميجور جنرال السرموني
١٩١٨/٣/١ - ١٩١٩/٧/٣٠
الميجور جنرال السرواطسن
١٩١٩/٨/١ - ١٩١٩/١٢/٣١
الميجور جنرال السربولز
١٩٢٠/١/١ - ١٩٢٠/٦/٣٠

وقسمت المناطق التي تم احتلالها في باديء الامر (١٩١٧) الى خمسة الوية هي : القدس ، ويافا ، وغزه ،وبئر السبع ، والخليل . ثم زيد عدد الالوية فجعل ثمانية (١٩١٨) . وعهد بادارة البلاد الى حكام عسكريين. ووضع في كل من نابلس، وجنين، وطول كرم ، وحيفا ، والناصرة ،وعكا، وطبرية، وصفد ؛ حاكم عسكري .

وفي ١ يوليو ١٩٢٠ خفض عدد الالوية من ثمانية الى سبعة : Districts وذلك بجعل جنين تابعة لنابلس ،وطول كرم الى حيفا ، ويافا والخليل الى القدس .

واليك اسماء الالوية السبعة :

القدس ، يافا ، بئر السبع ، غزه ، فينيقيا (حيفا) ، الجليل (الناصره) والسامرة (نابلس) .

اتخذ اللورد اللنبي ، في بادىء الامر ، مدينة (اللد) مقراً له . وما كاد الامر يستتب في (القدس (حتي جعلها هي المقر . واقام عليها حاكماً عسكرياً هو الجنرال بل بورتون General Bill Borton . وكان هذا يحمل لقب (باشا) .وكان قبل مجيئه الى فلسطين ، مديراً عاماً لمصلحة البرق والبريد في مصر . ولكنه لم يبق في منصة الادارة اكثر من اسبوعين . اذ استقال من منصبه بسبب سوء صحته . فخلفه في الادارة السرالكسندربيرد Sir Alexander Baird . ثم جاء السر رونالدستورس Sir Ronald Stores. وكان هذا قبل مجيئه لفلسطين ، السكرتير الشرقي لدار المندوب السامي في القاهرة .ومكث طويلاً في القدس.

انه هو الذي اسس الجمعية التي عرفت فيما بعد باسم : (**جمعية محبي القدس**) . ومن اهدافها تحسين مدينة القدس من الناحية العمرانية والاثرية ، والاحتفاظ بقدسيتها . وقد استحضر من بلاد

الانكليز مهندسا اخصائيا في شؤون التنظيم، ليقوم بهذه المهمة. انه المستر آشبي، وقد ولاه امانة السر.

قلنا ان من اهداف هذه الجمعية تحسين المدينة وتنظيمها. ولكن امانة التاريخ تقتضينا ان نقول ان من اهدافها ايضا – وان شئت فقل: هدفها الاصلي – هو افهام العالم الخارجي ان سكان البلاد – على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم – راضون (؟) عن الحكم البريطاني! . يدلك على هذا اعضاء الجمعية. وهم خليط من الانكليز والعرب واليهود ومن رؤساء الطوائف المختلفة. واليك اسماءهم:

رئيس البلدية موسى كاظم باشا (وقد خلفه في الرئاسة راغب بك النشاشيبي). مدير الاثار. المفتي الاكبر كامل افندي الحسيني. حارس الاراضي المقدسة ورئيس الاباء الفرنسيسين. بطريرك الروم. بطريرك الارمن. رئيس الطائفة اليهودية. رئيس المجلس الصهيوني. الاب ابل الكبتن بارلوزي. بن يهودا. الكبتن كرزويل مفتش الاثار. الدكتور رايدر. البروفسور باتريك جدس. هاراري لوك. ماكي مفتش الأثار. ميوحاس. لازاروس بول. ريشموند. سلامه. ناحوم سلوش. يعقوب سبافورد. الاب فنسان. جون وايتنغ (امين الصندوق) داود يلين آشبي (سكرتير).

كان حاكم القدس في بدء عهد الاحتلال يقيم في فندق قائم تجاه السور والى الغرب من باب الخليل. ثم انتقل الى البناء الالماني الواقع بباب العمود والمعروف بمنزل القديس بولس (مدرسة شميد الآن ١٩٦٠)، ثم انتقل الى البناء الذي تملكه بطريركية الروم في داخل المدينة، عند باب الخليل وعلى بعد مئتي متر من السور الى الشمال (دار البلدية الآن ١٩٦٠). واما مقر الحاكم العام، فقد نقل من اللد الى القدس. وكان في باديء الامر على جبل الطور في البناء الالماني المعروف بالمطلع (اوغوستا فكتوريا) ثم انتقل الى الدار الجديدة التي بنتها حكومة فلسطين فوق جبل المكبر.



اللورد اللنبي

يزور الحرم برفقة المفتي كامل الحسيني

١٩ – **وعد بلفور**: وفيما كان سكان البلاد يتوقعون ان يُعهد اليهم بادارة بلادهم عملاً بوعود الحلفاء وتصريحاتهم المتكررة؛ رأوا، ويا لهول ما رأوا، ان البلاد راحت تدار بأيد انكليزية. وراح الانكليز يديرونها كما يشاؤون. لا، كما يشاء الشعب نفسه وما تقضي به مصلحته. ليس هذا فحسب، بل ان الادمغة التي تدير اداة الحكم ادمغة يهودية بحته: انها دماغ السر هربرت صموئيل المندوب السامي الأول، والاضون نورمان بنتويش النائب العام والمستشار القضائي للمندوب؛ ومن ورائها (الوكالة اليهودية) التي ورد ذكرها بعدئذ في صك الانتداب.

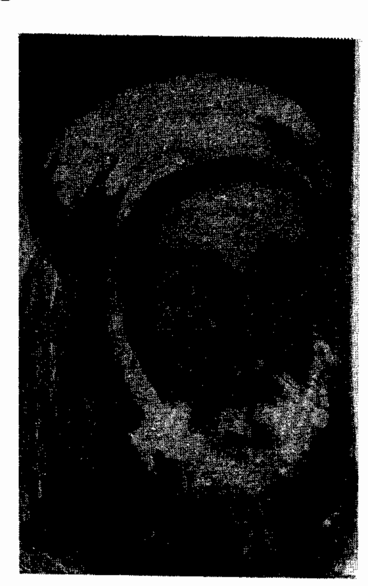
وما لبث الشعب العربي ان سمع بوعد بلفور . ذلك الوعد الذي منحه الانكليز على لسان وزير خارجيتهم اللورد آرثر بلفور الى اليهود عن طريق زعيمهم روتشيلد . اذ ارسل اليه في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ كتاباً قال فيه :

عزيزي اللورد روتشيلد

« يسرني جداً ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بان حكومة جلالته تنظر بعين الرضا الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وتبذل الجهود في سبيل ذلك ؛ على انه لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين ، او يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الاخرى » .

والغريب في الامر ان هذا الوعد بقي في طي الخفاء . فلم يذع الا بعد ان وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ، ولم يعد الانكليز في حاجة لرضا (?) العرب الذين كانوا – قبل الحرب – يحرضونهم على ترك الاتراك والانضمام اليهم ! . . .

٢٠ – **وعد بريطانيا للملك حسين :** فراح العرب



« الحسين بن علي »

يتساءلون : اين هذا الوعد . . . وعد بلفور . . . من الوعد الذي سبقه بسنتين ، وقد قطعته بريطانيا للملك حسين ، يوم طلب منها مكافأة لقيامه ضد الاتراك « ان تعترف باستقلال البلاد العربيه من مرسين واضنة شمالا حتى البحر الهندي جنوبا ، ومن فارس وخليج البصرة شرقاً حتى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط غرباً [١] » . بل اين هو من الثورة نفسها التي اعلنها الحسين بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩١٦ والتي انضم اليها زهرة شباب العرب من فلسطين والعراق ومن كل مكان ، والتي قال عنها اللورد اللنبي في تقريره الذي رفعه الى وزارة الحرب فور انتهاء القتال : « ان ثورة العرب ضد الترك قد ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب » .

٢١ – **معاهدة سايكس – بيكو :** وسمع العرب ، في الوقت نفسه ، بالمعاهدة التي عقدتها[٢] بريطانيا مع فرنسا ، والتي اقتسمت هاتان الدولتان المستعمرتان بموجبها هذا الجزء من الشرق . وقد تعهدتا ببسط حمايتهما على سورية (فرنسا) والعراق (بريطانيا) . على ان تنشىء كل منها في المنطقة المخصصة لها اي نوع من انواع الحكم (المباشر او المراقب) بعد الاتفاق مع الحكومة المحلية «?» .

---

(١) رضي الملك حسين في المخابرات التي جرت بينه وبين السير هنري مكماهون المندوب البريطاني في مصر بين ٢٤ تموز ١٩١٥ و ١٠ اذار ١٩١٦ ان يستثني من الوعد عدن. ووافق على ارجاء البحث في مستقبل العراق على ان يبقى هذا تحت الادارة الانكليزية لمدة قصيرة . واصر الانكليز على استثناء لبنان والاعتراف بما لحليفتهم فرنسا من مصالح في ذلك الجزء من البلاد . ولم يرد في تلك المخابرات ما يشير الى ان الانكليز استثنوا فلسطين من وعدهم للحسين، او انهم ينوون انشاء وطن قومي لليهود فيها.

(٢) عقدت في ١٩١٥ ، اي قبل صدور وعد بلفور .

واما « فلسطين » فقد نصت المادة الثالثة من تلك المعاهدة التي اسميت يومئذ : (معاهدة سايكس - بيكو) على انشاء ادارة دولية فيها ، على ان يعين شكل تلك الادارة بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة .

واعطت المادة الرابعة من هذه المعاهدة مينائي حيفا وعكا لبريطانيا . وفي المادة الخامسة نص على ان تكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها . ويجوز لفرنسا ان تستعمل السكك الحديدية في فلسطين .

وفي المادة الثانية عشرة والاخيرة نص، تعهد فيه الفريقان ان يراقبا جلب السلاح «؟» الى اي بلد من البلاد العربية .

هذا موجز لمعاهدة سايكس[١] - بيكو[٢]. اقتبسنا منها هنا النقاط التي لها صلة بفلسطين .

٢٢ - الادارة المدنية والمندوب السامي الاول السر هربرت صموئيل : في اليوم الاول من شهر تموز (يوليو) ١٩٢٠ قلبت ادارة فلسطين من عسكرية الى مدنية ، وجعلت تحت رقابة وزارة الخارجية . غير انه لم يطل الوقت ، حتى انتقلت من وزارة الخارجية الى وزارة المستعمرات .

وكان اول عمل عملته الحكومة البريطانية ان عهدت بادارة هذه البلاد الى مندوب سام هو : السر هربرت صموئيل Sir Herbert Samuel P. C. ، G. B. E. انه يهودي، وصهيوني صميم . مكث في البلاد خمس سنين (١٩٢٠ - ١٩٢٥) .

(١) انه السر مارك سايكس Sir Mark Sykes وهو من رجال وزارة الخارجية البريطانية .

(٢) انه المسيو جورج بيكو M. Georges Picot

وسن لها من الانظمة والقوانين مـا جعلها - في



« السر هربرت صموئيل »
« المندوب السامي الاول »

النهاية - صالحة : لا ، الى انشاء وطن قومي يهودي فحسب ؛ بل والى تأسيس (دولة اسرائيل[١]) .

دخل السر هربرت صموئيل مدينة القدس بحراسة الجند، تدعمهم المدافع والمصفحات والطائرات؛ خشية ان يغتاله العرب. بدأ العرب يومئذ يشعرون ان الانكليز لا يريدون بهم خيراً ولكي يخفف من حدة الغضب الذي استولى على الشعب العربي في فلسطين؛ كان اول عمل عمله هذا المندوب ان اعلن العفو العام عن جميع المحكومين في الثورة التي قامت قبل مجيئه ، في القدس وفي جميع انحاء البلاد احتجاجاً على (وعد بلفور) . الا اثنين من المحكومين ، ألا وهما مؤلف هذا الكتاب ورفيقه

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا المندوب وعن صديقه الاضون نورمان بنتويش المستشار القضائي لحكومه فلسطين ، وعن الخدمات التي اداها لبني قومها اليهود ، في كتابنا :(النكبة).

الحاج امين الحسيني ؛ فقد استثناهما من العفو ، الا اذا استسلما للسلطة الحاكمة . وكانت المحكمة العسكرية قد حكمت عليهما بالاعدام ، بسبب اشتراكهما في القتال الذي جرى في القدس بين العرب واليهود في ٤ نيسان ١٩٢٠ .

وكان الجنرال بولز قد خفض حكم الاعدام الى السجن عشر سنين . وقد ظلا طليقين الى ان صدر العفو عنهما . فرجعا الى البلاد . وفي الوقت الذي كان هذا المندوب يبدى عطفه (؟) على العرب ويتقرب من زعمائهم ، كان يحث بني قومه اليهود كي يغذوا السير ، فيسيروا الى الامام ، وينشئوا اكبر جزء ممكن من وطنهم القومي على عهده .

وفي عهده منح اليهود (امتيازات) للقيام بعدد من المشاريع العمرانية الضخمة . منها واهمها : مشروع توليد الكهرباء من نهر الاردن وروافده ، واضاءة قسم كبير من فلسطين . ذلك المشروع الذي منحته الحكومة للمهندس المعروف روتنبرغ وهو يهودي من اصل روسي .

واتخذ اليهود هذه المشاريع حجة لجلب اكبر عدد ممكن من ابناء قومهم من خارج البلاد . وآزرتهم الحكومة البريطانية . فراحوا يفدون اليها من كل حدب وصوب . وبعد ان كان عدد اليهود في فلسطين يوم دخل البلاد ٥٣,٠٠٠ اصبحوا يوم خروجه منها ١٠٣,٠٠٠

وفي زمنه تضاعفت مساحات الاراضي التي تملكها اليهود . فاصبحت بنسبة ٦ الى ٧ في المئة من مجموع الاراضي الفلسطينية .

ولئن نسينا ؛ فلا ، ولن ننسى ان مئتي الف دونم من اراضي مرج بن عامر العربية بيعت الى اليهود على عهده بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٥ . فأخليت واحد وعشرون قرية عربية من مجموع القرى التي كانت هناك وقدرها ٢٢ من سكانها العرب . وقد بلغ عددهم يومئذ ثمانية آلآف . باعها آل سرسق من مسيحي بيروت . والحكومة الفلسطينية التي كان يرأسها هربرت صموئيل هي التي سهلت معاملة البيع والشراء ؛ هذا بالاضافة الى انها لم تهتم بمصير المزارعين الذين كانوا يعيشون من نواتجها .

ونشرت الصحف العربية التي كانت يومئذ تصدر في فلسطين[1] هذه الارقام المخيفة عن الهجرة وبيع الاراضي ؛ فصعق ابناء البلاد ، وراحوا يمطرون الحكام برسائل الاحتجاج . وقامت مظاهرات صاخبة في طول البلاد وعرضها . وكانت قد اتتهم اخبار تقول ان الحلفاء ينوون فرض الانتداب على فلسطين ، وان الحكومة البريطانية هي التي ستنتدب لادارة البلاد . فقامت في طول البلاد وعرضها ، ولا سيما في مدينة القدس . . مركز الحكم . . مظاهرات صاخبة . اشترك فيها المسلمون والمسيحيون

---

(١) جريدة (الكرمل) في حيفا لصاحبها نجيب نصار . وجريدة (فلسطين) في يافا لصاحبها عيسى العيسى . وجريدة (سورية الجنوبية) لصاحبيها حسن البديري ومؤلف هذا الكتاب . وكانت هذه اول جريدة صدرت في القدس بعد الاحتلال .

وقد اسمياها: (سورية الجنوبية) لاعتقادهما بان وحدة فلسطين وسورية امر لا بد منه ، اذا ما اريد انقاذهما من شر الاستعمار والصهيونيه . وهما من القائلين بوحدة عربية تشمل الجزيرة العربية كلها : من ادناها الى اقصاها . ولهذا تعرضا لغضب الحكومة ، وكثيرا ما اغلقت جريدتهما ، وعطلتها عن الصدور . وكذلك قل عن الجرائد الاخرى التي صدرت بعدها . ومنها : جريدة (مرآة الشرق) لصاحبها بولس شحاده . و (بيت المقدس) لصاحبها بندلي الياس مشحور . و (القدس الشريف) لصاحبها حسن صدقي الدجاني . و (الاقصى) لصاحبها صالح عبد اللطيف الحسيني . و (لسان العرب) لصاحبها ابراهيم سليم النجار .

على حد سواء . واشترك فيها النساء الى جانب الرجال. ونادى المتظاهرون برفض الانتداب ورفض الوطن القومي اليهودي . وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية وبيع الارض لليهودي . ووقف الجيش في اوجه المتظاهرين . فوقع عدد غير قليل من القتلى والجرحى . وسجن كثيرون . واعلن الحكم العرفي في البلاد .

٢٣ – **المجلس الاستشاري** : يبدو ان الانكليز اعتقدوا ان اشراك عدد من ابناء البلاد في الادارة يخفف من غضبهم. فاعلنوا انهم يعتزمون استشارة السكان في ادارة البلاد . وقد اسسوا بالفعل (اكتوبر ١٩٢٠) مجلساً استشاريا من عشرة اعضاء رسميين ، هم من اعضاء حكومة فلسطين ؛ ومن عشرة غير رسميين يعينهم المندوب السامي : ٤ من المسلمين و ٣ من المسيحيين و ٣ من اليهود . ولكنهم ، عادوا فعدلوا عن هذه الفكرة ، عندما ايقنوا ان العرب لم يتحمسوا لها .

وحدثت ، بعد ذلك ، اضطرابات في يافا ؛ ادت الى اقتتال العرب واليهود . فأقفلت المدينة وسادت الفوضى . وامتد لهيب الاضطرابات الى المستعمرات اليهودية . فقتل من جراء ذلك ٩٥ قتيلا (٤٨ من العرب و٤٧ من اليهود) وجرح ٢١٩ شخصا (٧٣ من العرب و ١٤٦ من اليهود). وتألفت ، اثر ذلك ، لجنة للتحقيق في أسباب هذه الاضطرابات ؛ تراسها قاضي القضاة السرتوماس هيكرافت . فقال هذا في تقريره ما ملخصه: « ان ماحدث في يافاهو نتيجة حتمية لشعور القلق والكره السائد ضد اليهود. وهذا ناشيء عن الخطة التي تسير عليها الحكومة في تاييد فكرة «الوطن القومي اليهودي» ».

ومع ذلك فقد مضت السلطة في تدابيرها القاسية للحد من الشعور الوطنى ولتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي، لا في يافا او القدس وحدهما ، وانما في فلسطين كلها . من ذلك انها في الوقت الذي راحت تزود المستعمرات اليهودية بالسلاح وتدربهم على القتال ؛ حظرت على الاهلين حمل السلاح واستعماله ، وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والاعدام .

ولكي تحول دون اتحاد الشعب العربي في فلسطين فقد بذلت كل ما في استطاعتها لتضرب الاسر المعروفة بعضها بالبعض الاخر . ولاسيما في القدس ، عاصمة البلاد ، ومستقر الزعماء . فأقالت موسى كاظم باشا الحسيني من رئاسة البلدية ، ووضعت مكانه راغب بك النشاشيبي . ووضعت الحاج امين الحسيني على رأس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى . وراحت الاسرتان وهما من الاسر المعروفة بفلسطين، تتنافسان من اجل الزعامة والنفوذ . وسرى الانقسام الى سائر الاسر والاحزاب ، فانقسم الفلسطينيون بوجه عام والمقدسيون بوجه خاص الى شطرين : شطر يؤيد هذا و آخر يعضد ذاك . واهتبل الانكليز هذه الفرصة – التي كانوا هم من اهم الاسباب التي ادت الى خلقها – فراحوا يقوون وسائل استعمارهم . كما اهتبلها اليهود ، فراحوا يوطدون دعائم وطنهم القومي . وكانوا يهدفون الى امتلاك البلاد كلها ، وليس القدس وحدها . الامر الذي جعل المخلصين من ابناء فلسطين يتنادون لعقد مؤتمر يضم شملهم .

٢٤ – **المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع** : وقد انعقد المؤتمر في القدس . وكان ذلك بتاريخ ٢٥

حزيران ١٩٢١[1] . وقرر المؤتمر انتداب وفد يسافر الى اوربا ، ليبسط القضية الفسلطينية امام الرأي العام الاوربي ، ولا سيما في بلاد الانجليز . وسافر الوفد وهو الاول من نوعه الى لندن عن طريق القاهرة وروما وباريز . وكان مؤلفاً من موسى كاظم باشا الحسيني (رئيساً) والحاج توفيق حماد ، وامين التميمي ، ومعين الماضي ، وابراهيم الشماس ، وشبلي الجمل (اعضاء) . ولم يترك الوفد

« الوفد العربي الفلسطيني الاول »

في اوربا وفي بلاد الانكليز باباً الا طرقه : في الصحف والبرلمان وفي كل مكان وطلب الوفد استقلال فلسطين والاعتراف بحقها الطبيعي في اقامة حكم نيابي ، واتحادها مع باقي البلاد العربية . كما طلب الغاء وعد بلفور ، وجلاء الجنود الاجانب عن البلاد . وبذل جهده للحيلولة دون فكرة الانتداب . ولكن الوفد فشل في مهمته . اذ كان يقوم على رأس وزارة المستعمرات البريطانية يومئذ رجل من اشد رجال الانكليز انتصاراً للفكرة الصهيونية ؛ الا وهو : المستر ونستون تشرشل . وهو ، وان كان انكليزياً ، إلّا انه صهيوني صميم ! . وزار هذا القدس .

وقال في الخطاب الذي وجهه للوفد الفلسطيني بتاريخ ١ آذار (مارس) ١٩٢٢ : « ان ما ذهب اليه الوفد العربي من اعتقاد بان حكومة صاحب الجلالة تعهدت في اثناء الحرب باقامة حكومة قومية مستقلة في فلسطين ، اعتقاد لا يطابق الواقع . وان الكتاب الذي استشهد به الوفد في حديثه — وهو الذي وجهه السر هنري مكماهون المندوب السامي في مصر الى شريف مكة وهو اليوم الملك حسين ملك الحجاز وكان ذلك بتاريخ ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٥ — وان اعترف باستقلال العرب وبتعضيد ذلك الاستقلال ، الا أنه قيد ذلك الاعتراف بتحفظ القصد منه استثناء تلك الاقسام من سوريا الواقعة غربي قضاء دمشق . ومازالت حكومة جلالته ترى في هذا التحفظ تحفظاً يشمل ولاية بيروت وسنجق القدس المستقل . ففلسطين كلها غربي الاردن أخرجت عن فحوى عهد السر هنري مكماهون » .

وختم تشرشل خطابه بقوله : « ان حكومة صاحب الجلالة مقيدة بعهد سابق لعهد جامعة الامم . فما يسعها بعد ان اضطلعت بالمسؤولية عن هذه البلاد لدى دول الحلفاء الرئيسية ، ان تسمح بانتشار حالة دستورية فيها ، قد تجعل القيام بتنفيذ تعهد جليل (?) صدر عنها وعن اولئك الحلفاء في حيز عدم الامكان .

ففهم الوفد ان الحكومة البريطانية مصممة على المضي قدماً في تنفيذ (وعد بلفور) وتأييد اليهود الى ابعد الحدود .

وعبثاً حاول الوفد اقناع الحكومة بخطل سياستها . وفي الجواب الذي ارسله الى الوزير بتاريخ ١٧ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ فنّد اقواله . ومما قاله الوفد : « ان تأييد وعد بلفور مناف لما وعدت به الملك حسين . . . وان وعد بريطانيا للملك حسين صدر قبل وعدها لليهود . . . وان هذا الوعد (اي وعد بلفور) مناف للتصريح البريطاني – الافرنسي الذي أعلن في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ . كما انه مناقض للمادة ٢٢ من عهد عصبة الامم . وبصدور هذه المادة من عهد العصبة اصبح وعد بلفور لغواً . فان هذه المادة تمنح فلسطين انتدابا من نوع (آ) لا من نوع (ب) . اي انها تعترف باستقلال الامة الفلسطينية بشرط ان تقدم لها المعونة والارشاد الاداري دولة منتدبة » .

٢٥ – **المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس** : في ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٢٢ تنادى عرب فلسطين، فعقدوا مؤتمراً في نابلس ؛ هو المؤتمر الخامس . وفيه استعرضوا من ناحية اقوال تشرشل وزير المستعمرات، ومن الناحية الاخرى اقوال الوفد الذي عاد من لندن . وقد ايقنوا ان الحكومة البريطانية تماطلهم . وهي تنوي المضي قدماً في تمهيد السبيل وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود .

وقد عرضت عليهم الاشتراك في (**مجلس تشريعي**) قررت تأسيسه عملاً بالدستور الذي نشر في تلك السنة (١٩٢٢) ؛ على ان يكون هذا المجلس مؤلفاً من احد عشر عضواً رسميين واثنى عشر عضواً غير رسميين ، ينتخبهم الشعب : ثمانية من المسلمين واثنان من المسيحيين واثنان من اليهود . ولكن العرب رفضوه، لاعتقادهم انه لا يحقق امانيهم . ويحصر السلطة كلها بيد البريطانيين، وبيد المندوب البريطاني الذي أعطى : القول الفصل في جميع الامور .

ولهذا اعتزموا المضي في كفاحهم . وقرروا ارسال وفد – هو الثاني من نوعه – الى لوزان ولندن . وألف الوفد – المرة هذه – من موسى كاظم باشا . وامين بك التميمي . والحاج توفيق افندي حمادة . والسيد شبلي جميل .

٢٦ – **صك الانتداب** : وفيما كان عرب فلسطين يعملون جاهدين ، من اجل الوصول الى اهدافهم القومية ، كان اليهود يعملون بجد اعظم لتنفيذ صك الانتداب . ذلك الصك الذي اقرته (**عصبة الامم**) في ٢٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ . وقد وضع موضع التنفيذ في فلسطين بتاريخ ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ . واليكه كما اقرته عصبة الامم[1] في جنيف :

« لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد اتفقت تنفيذاً لنصوص المادة ٢٢ من ميثاق جامعة الامم – على ان تعهد الى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة في ادارة فلسطين التي كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التي تعينها الدول المذكورة .

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت ايضاً على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وصادقت عليه الدول المذكورة بان ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع البيان الجلي بان لا يفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ، ولا

(١) قال الدكتور حايم وايزمان في مذكراته ان الذي وضع صك الانتداب في صيغته الحالية هو اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية واثنان من مساعديه هما : E. F. Adam ، Ben Cohen وهذا يهودي . وانه هو ايضا (اي وايزمان) قد استشير فى صوغه .

الحقوق والمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى .

ولما كان ذلك اعترافاً بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين والبواعث التي تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد .

ولما كانت دول الحلفاء قد اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين .

ولما كان الانتداب لفلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس جامعة الامم لموافقتها عليه .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب لفلسطين وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جامعة الامم طبقاً للنصوص والشروط التالية .

ولما كانت المادة ٢٢ المتقدمة الذكر في (الفقرة ٨) تنص على ان درجة السلطة والسيطرة او الادارة التي تكون للدولة المنتدبة اذا لم يتم الاتفاق عليها بين اعضاء جامعة الامم ، فان مجلس جامعة الامم ينص على ذلك نصاً صريحاً . فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتي :

١ – يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة ، الا حيث اقيمت لها حدود في نصوص صك الانتداب هذا .

٢ – **تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي** . كما جاء في ديباجة هذا الصك وترقية انظمة الحكم الذاتي وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الاجناس والاديان .

٣ – يجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الاحوال .

٤ – **يعترف بهيئة يهودية لائقة كهيئة عمومية لتشير وتعاون في ادارة فلسطين** في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائماً .

ويعترف بان الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عليها في ما تقدم ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

٥ – تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن شي من اراضي فلسطين او تأجيره او وضعه تحت حكومة دولة اجنبية .

٦ – على حكومة فلسطين مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق جميع الطوائف ، ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها في المادة ٤ استقرار اليهود في الاراضي الزراعية وفي جملتها الاراضي المدورة والاراضي البور (الموات) غير المطلوبة **للاعمال العمومية** .

٧ – يتعين على حكومة فلسطين ان تسن قانوناً للجنسية يتضمن نصوصاً بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم على الرعوية الفلسطينية .

٨ – ان امتيازات الاجانب وفي جملتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهي التي كان الاجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات اوالعرف في السلطنة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين . ولكن متى انتهى اجل الانتداب فان هذه الامتيازات تعاد برمتها او مع التعديل الذي يكون قد تم عليه الاتفاق بين الدول صاحبة الشأن ؛ الا اذا كانت الدول التي ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة في اول آب سنة ١٩١٤ قد سبقت فتنازلت عن حق تلك الامتيازات او وافقت على عدم تطبيقها لاجل مسمى .

٩ – الدول المنتدبة مسؤولة عن ان يكفل النظام القضائي الذي ينشأ في فلسطين الحقوق القضائية للاجانب والوطنيين ، ويتضمن تمام الضمان احترام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما ادارة الاوقاف طبقاً للشريعة الدينية وشروط الواقفين .

١٠ – تكون المعاهدة المبرمة بين الدول المنتدبة وسائر الدول الاجنبية عن تسليم الرعايا الاجانب المطلوبين من فلسطين مرعية الى ان تعقد اتفاقات خاصة بذلك على فلسطين .

١١ – تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور في ما له علاقة بترقية البلاد ، ويكون لها السلطة التامة لتدبير ما يلزم لوضع يد الحكومة او سيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية او الاعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة او التي ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة العهود الدولية التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها . وعليها ايضاً ان توجد نظاماً للاراضي يلائم حاجات البلاد مع مراعاة امور اخرى منها المنافع التي تنجم عن تشجيع اكثار المهاجرة واستغلال اعظم ما يستطاع من الارض .

ويجوز لادارة البلاد ان تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على ان تجري او تستثمر بشروط الانصاف والعدل الاعمال والمصالح والمنافع العمومية وترقي مرافق البلاد الطبيعية حيث لا تتولى الحكومة هذه الامور مباشرة بنفسها . وانما يشترط في هذه الاتفاقات ان الارباح التي توزعها الهيئة القائمة بالعمل لاتتجاوز مباشرة او غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال . وكل مايزيد على هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه حكومتها .

١٢ – يعهد للدولة المنتدبة في السيطرة على علاقات فلسطين الخارجية ، وحق اصدار البراءات الى القناصل الذين تعينهم الدول الاجنبية . وللدولة المنتدبة الحق ايضاً

في ان تشمل رعايا فلسطين وهم في خارج بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها .

١٣ – تتقلد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة بالأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين . وهذا يشمل المحافظة على الحقوق الموجودة وضمان الوصول الى الاماكن المقدسة والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات الامن العام والآداب . وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة امام جمعية الأمم دون سواها عن كل ما يتعلق بذلك ، بشرط ان لا تحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على ما تراه الدولة المنتدبة لازماً لتنفيذ نصوص هذه المادة ، بشرط ان لا يفسر شيء في هذا الانتداب تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض للاملاك الاسلامية او التدخل في ادارة المعاهد الاسلامية المقدسة المحفوظة الامتيازات .

١٤ – تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعيين الحقوق والدعاوى المتعلقة بالاماكن المقدسة والحقوق والدعاوى التي تختص بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين . ويعرض المشروع الذي يتبع في تعيين هذه اللجنة وتأليفها ووظائفها على مجلس جامعة الامم ليوافق عليها . ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس .

١٥ – يجب على الدولة المنتدبة ان تتحقق ان الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتان للجميع ، بشرط المحافظة على النظام العام والآداب فقط . ويجب ان لا يكون هناك تميز من اي نوع كان بين سكان فلسطين بسبب الجنس والدين واللغة ، وان لا يحرم شخص ما من دخول فلسطين بسبب اعتقاده الديني فقط .

يجب ان لا تحرم اية طائفة كانت من حق المحافظة على مدارسها لتعليم ابنائها بلغتهم ، اذ كان ذلك مطابقاً لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الحكومة .

١٦ – تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن القيام بما تقتضية المحافظة على النظام العام والحكم المنتظم على الهيئات الدينية والخيرية التي لجميع المذاهب في فلسطين. فاذا روعي هذا الشرط لا يجوز ان تتخذ تدابير في فلسطين لاعاقة اعمال مثل هذه الهيئات او التعرض لها او الاجحاف باي ممثل لها او عضو فيها بسبب دينه وجنسيته .

١٧ – يجوز لحكومة فلسطين ان تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام والدفاع عن البلاد ايضاً بشرط ان تكون تحت اشراف الدولة المنتدبة . ولكن لا يجوز لادارة فلسطين استخدام هذه القوات لاغراض اخرى غير الاغراض المعينة فيما تقدم الا بموافقة الدولة المنتدبة . وفيما عدا هذه الاغراض لا يجوز لادارة فلسطين ان تجمع قوات عسكرية اوبحرية او جوية ، ولا ان تبقيها عندها . وليس في هذه المادة

ما يمنع ادارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين . ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت ان تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانيها لحركات القوات ونقل الوقود والمهمات .

١٨ – يجب على الدولة المنتدبة ان تكفل عدم التحيز في فلسطين على رعايا اية دولة تكون عضوا في جامعة الامم (وفي جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدول) اذا قيسوا برعايا الدولة المنتدبة او اية دولة اجنبية كانت في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او تعاطي البضائع او المهن او في معاملة السفن التجارية او الطيارات الاهلية . وكذلك يجب ان لا يكون هناك تحيز في فلسطين ضد عروض يكون منشأها في بلاد من بلدان الدول المذكورة او تكون مرسلة اليها . وتطلق حرية مرور المتاجر (الترانسيت) عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة .

ومع مراعاة ما تقدم وسائر شروط صك هذا الانتداب، يجوز لادارة فلسطين ان تفرض باشارة الدولة المنتدبة من الضرائب والرسوم الجمركية ما تراه ضرورياً . وتتخذ من التدابير ما تظنه صالحاً لزيادة ترقية الموارد الطبيعية في البلاد وصون مصالح السكان . ويجوز لها ان تعقد باشارة الدوله المنتدبة اتفاقاً جمركياً خاصاً مع اية دولة كانت املاكها كلها داخلة في تركيا الاسيوية او شبه جزيرة العرب في سنة ١٩١٤ .

١٩ – تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن حكومة فلسطين على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن والتي قد تعقد بموافقة جامعة الامم في ما بعد، من جهة الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة والاتجار بالمخدرات او يتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور (الترانسيت) والملاحة والطيران وبالمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية بالمتلكات الأدبية والفنية والصناعية .

٢٠ – تعاون الحكومة المنتدبة بالنيابة عن ادارة فلسطين في تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جامعة الامم لمنع انتشار الامراض وفي جملتها امراض النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ما تسمح به الأحوال الدينية والاجتماعية وسواها من الأحوال .

٢١ – تضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالاثار والعاديات ينطبق على الاحكام الاتية ، ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا كل الدول الداخلة في جامعة الامم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية .

٢٢ – تكون الانكليزية والعربية والعبرانية اللغات الرسمية في فلسطين . فكل عبارة او كتابة بالعربية على طوابع او عملة فلسطين تكرر بالعبرانية . وكل كتابة

او عبارة بالعبرانية تكرر بالعربية .

٢٣ – تعترف حكومة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين ايام راحة مشروعة لافراد تلك الطائفة .

٢٤ – تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جامعة الامم تقريراً سنوياً يرتاح اليه المجلس عن التدابير التي اتخذت في اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ، وترسل نسخ من جميع الانظمة والقوانين التي تسن اوتصدر في اثناء السنة مع التقارير .

٢٥ – يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جامعة الامم ان تؤجل او توقف تطبيق ما تراه من هذه الشروط غير مطابق للاحوال المحلية الحاضرة في الاملاك الواقعة بين نهر الأردن والحد الشرقي لفلسطين كا سيعين في آخر الأمر وان تضع من التدابير لادارة هذه الاملاك ما تراه ملائماً لتلك الاحوال بشرط ان لا يعمل عمل يكون مخالفاً لشروط المواد ١٥ و ١٦ و ١٨ .

٢٦ – توافق الدولة المنتدبة على انه اذا وقع ما بينها (الدولة المنتدبة) وبين عضو آخر في جامعة الامم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب وتطبيقها بعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعدل الدولي المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جامعة الامم اذا لم يمكن حله بالمفاوضات .

٢٧ – يلزم موافقة مجلس جامعة الامم على كل تعديل في شروط صك الانتداب هذا .

٢٨ – يتخذ مجلس جامعة الامم من التدابير ، في حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هذا الصك للدولة المنتدبة ،مايراه ضروريا لصون استمرار الحقوق المكتسبة في المادتين ١٣ و ١٤ على الدوام بضمان الجامعة ويستخدم نفوذه لان يكفل بضمان الجامعة احترام حكومة فلسطين الاحترام التام للعهود المالية التي اخذتها ادارة فلسطين على عاتقها في عهد الانتداب . وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في المعاش والمكافأة .

تودع الصورة الاصلية من هذا الصك في محفوظات جامعة الامم . وترسل صور مصدق عليها بواسطة السكرتير العام لجامعة الامم الى جميع اعضاء الجامعة . »

انتهى صك الانتداب .

٢٧ – **المؤتمر العربي الفلسطيني السادس**: عندما عاد الوفد الثاني من رحلته الى لندن وجنيف ، عقد عرب فلسطين مؤتمرهم السادس . عقدوه في يافا . وكان ذلك في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٢٣ . وقد بحثوا قضية فلسطين على ضوء البيانات التي القاها اعضاء الوفد ، بنتيجة مساعيهم . وقد فشلت جميع تلك المساعي بصدور صك الانتداب لصالح اليهود، وباصرار الحكومة البريطانية على تأييد اليهود . وايقن الوفد ان الهدف الذي ترمي اليه بريطانيا من توطيد القومي اليهودي في هذا الجزء من الشرق، هو اتخاذه فيما بعد حجر عثرة في سبيل اتحاد العرب ، وتكئه يقفز الغرب منها الى الاجزاء

الاخرى من الشرق بقصد استعماره واستغلال خيراته .

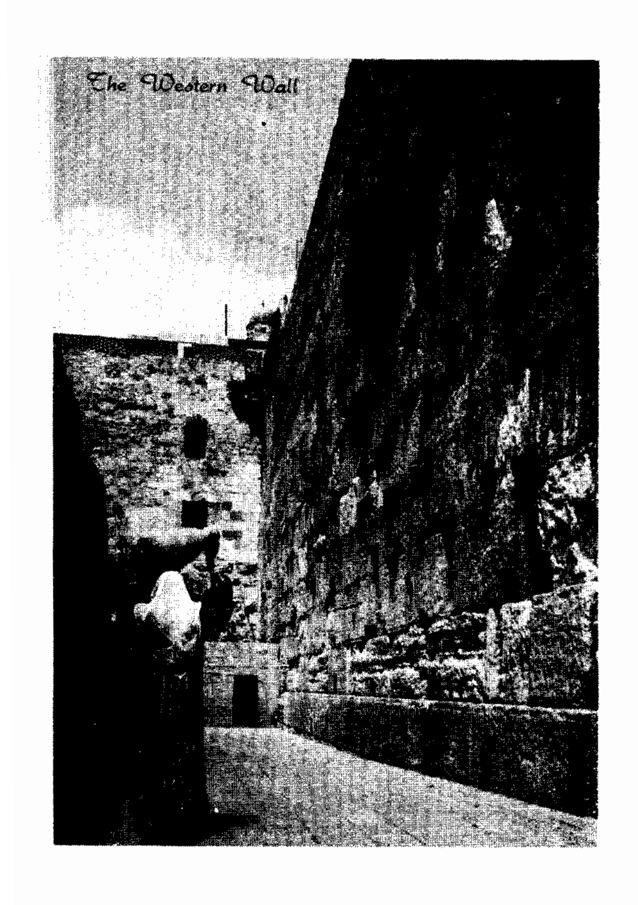
وهذا ما حملهم (اي عرب فلسطين) على متابعة الجهد لاحباط تلك المؤامرة . فقرروا انتداب وفد ثالث ليزور عواصم الغرب ، ويشرح للعالم كله ظلامة عرب فلسطين . وقد تألف الوفد يومئذ من موسى كاظم باشا وامين التميمي ووديع البستاني .

٢٨ – **المندوب السامي الثاني : الفيلد مارشال بلومر** : بعد السر هربرت صموئيل صار مندوباً سامياً الفيلد مارشال بارون بلومر Field – Marshal Baron Plumer, G. C. B., G. E. M. G., G. C. V. O., G. B. E. وكان ذلك في عام ١٩٢٥ .

لم يختلط هذا بالشعب : لا في المدن ولا في القرى . وكان همه الوحيد توطيد الامن والنظام في البلاد . فأدارها ادرة عسكرية اكثر مما هي مدنية . ولقد اكثر من توظيف الانكليز في مختلف مصالح الحكومة ودواوينها . ولا سيما في دوائر البوليس . وطغى سيل الهجرة اليهودية على عهده ؛ لدخل البلاد من اليهود عدد كبير وصودق على مشروع استغلال البحر الميت .

ولقد اعيد النظر ، على عهده ، في تقسيم فلسطين من الناحية لادارية . فقسمت في ٢٢ يوليو ١٩٢٧ الى لوائين فقط .

٢٩ – **حوادث البراق** : من الحوادث التي حدثت على عهد هذا المندوب : ان اشتد الخلاف بين المسلمين واليهود في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٢٥ حول (البراق) . اذ ادعى اليهود ان هذا الحائط الذي يسمونه (حائط المبكى) هو من بقايا هيكلهم القديم ، وانه من مقدساتهم ؛ وان لهم الحق في الوصول اليه والوقوف عنده ليذكروا مجدهم القديم وادعوا ان لهم الحق ايضاً في جلب الكراسي والمقاعد والستائر معهم ، واستعمال هذه الادوات اثناء تعبدهم وبكائهم هناك .



« البراق الشريف »

وعارضهم المسلمون في هذا الادعاء ، قائلين : انه لا يحق لليهود ان يجلبوا معهم الكراسي والمقاعد والستائر او اية اداة اخرى من الادوات التي تجعل المرء يعتقد ان هذا المكان هو ملك لهم . وان كانوا (اي المسلمين) لا يمانعون في وصول اليهود الى ذلك المكان ، والبكاء عنده . وعليهم بعد ذلك ان يعودوا الى حيث كانوا . هكذا جرت العادة منذ القديم . ولا بد من العمل بموجبها . ذلك ان هذا الحائط الذي يسميه اليهود (المبكى) ليس الا جزءاً من (الحرم

القدسي) الذي يملكه المسلمون منذ مئات السنين . انه ثالث الحرمين اللذين جاء ذكرهما في الحديث النبوي الشريف : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هـذا » .

وهو ، هو (المسجد الاقصى) الذي ورد ذكره في القرآن : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » .

ويعتقد المسلمون انه لما اسري بالنبي (عليه الصلاة والسلام) الى هذا المكان ربط عنده (اي عند هذا الحائط) براقه . ومن هنا جاء اسمه : (البراق) . وظل هذا الاسم معروفاً عند المسلمين منذ الفتح . وهو وقف اسلامي .

وكاد الخلاف يؤدى الى قتال ، لولا ان تدخلت الحكومة . فبحثت الخلاف من جميع وجوهه . واصدرت قرارها القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن ، محظرة على اليهود ان يجلبوا معهم اي شيء مما يدعون .

٣٠ – **المندوب السامي الثالث : السر جون تشانسلور** : بعد الفيلد مارشال بلومر صار مندوباً سامياً اللفتنانت كولونيل السر جون تشانسلور Lieut-Colonel Sir John Chancellor, G.C.M.G. , G.C.V.O. , D.S.O. وكان ذلك عام ١٩٢٨ .

٣١ – **المؤتمر العربي الفلسطيني السابع** : وفي زمن هـذا المندوب عقـد الفلسطينيون مؤتمرهم السابع . عقـدوه في القـدس . وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢٨ . ترأس المؤتمر موسى كاظم باشا الحسيني . وشهده زهـاء مئتين وخمسين مندوباً من القدس ومن سائر المناطق

وقرر المؤتمرون – فيما قرروا – المطالبة بحكومة برلمانية . وبضرورة وقف سن القوانين الى ان تؤلف حكومة تمثل البلاد . واحتجوا –في الوقت نفسه– على أعمال الحكومة ؛ ومنها : الاكثار من الموظفين البريطانيين ، وترجيح العمال اليهـود على العرب في اشغال الحكومة ، واستغلال امـلاح البحر الميت ومنح هذا الامتياز الى شركة اجنبية .

وارسل المؤتمرون الى عصبـة الامم في جنيف قراراتهم : رافضـين (الحكم الاستعماري المطلق). ومطالبين بالحكم الذاتي اسوة بالبلدان العربية المجاورة.

واختار المؤتمر لجنة تنفيذية لمواصلة العمل من اجل تنفيذ قراراته برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني.

٣٢ – **تكرار النزاع حول البـراق** : وعلى عهده تجدد النزاع بين العرب واليهود حول (البراق). هذا الحائط الذي يعتبره المسلمون جزءاً من المسجد الاقصى وهو وقف اسلامي . ويعتبره اليهود من بقايا هيكلهم القديم . وقـد ذكرناه وذكرنا الخـلاف بين الفريقين من اجله في موضع آخر من هذا الكتاب .

ويبدو ان اليهود عندما رأوا ان عددهم في البلاد قدازداد بسبب التسهيلات التي منحتهم اياها الحكومة للهجرة ، ازدادوا جرأة ايضـاً . فراحوا يطالبون بالغاء القرار السابق الذي اصدرته الحكومة في شهر ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٥ والذي ايدت فيـه الوضع الراهن (الستاتيكو) . فحملوا معهم عندما زاروا حائط المبكى في (عيـد الغفران) بعض الادوات التي منعوا في السابق من جلبهـا ، ومنهـا (ستار) وضعوه على الرصيف . وكان ذلك في ٩ آب سنة ١٩٢٨ . فاعتبر الموظف المسؤول عن الامن في تلك المنطقة عمـل اليهود هـذا تحدياً لأوامر الحكومة . ورفع الستار بالقوة . لأن وضعه هناك من المحدثات التي تثير ثائرة المسلمين .

٣٣ – **المؤتمر الاسلامي الاول** : وتنادى المسلمون . فعقدوا في القدس مؤتمراً اسلامياً . عقدوه في اليوم الاول من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨ . وقد استنكروا فيه اي عمل او محاولة ترمي الى احداث اي حق لليهود في مكان البراق . وهو مكان اسلامي . وحذروا الحكومة من اي تساهل او تفاوض تقوم به ازاء مطامع اليهود . وقد انذروها بصراحة انها اذا توانت ولم تعمل على وقف تحدي اليهود ، فسيتولون هم بانفسهم وقفه مها كلفهم الامر .

واغتنم المؤتمرون هذه الفرصة ، فكرروا مطالبهم السابقة من حيث الحصول على الحق الذي طالما طالبوا به منذ بدء الانتداب ؛ ألا وهو : (حق تقرير المصير) . والى ان ينالوا هذا الحق ، ويحصلوا على الاستقلال المنشود ، طالبوا الحكومة باصرار ان تعمل على صد تيار الهجرة اليهودية ، ومنع بيع الاراضي العربية لليهود .

وقد استمعت الحكومة لشكاوى العرب . ولكنها لم تفعل شيئاً لوقف الهجرة وبيع الاراضي . واما الخلاف على البراق ، فقد ارسل وزير المستعمرات البريطانية الى القدس لجنة اسماها : (لجنة البراق) . وبعد تحقيق قامت به هذه اللجنة وقد استمر شهراً كاملاً ، رفعت تقريرها[١] القائل بضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن .

٣٤ – **شركة البوتاس** : وفي عهد هذا المندوب ازداد عدد اليهود الذين جاؤا لفلسطين كمهاجرين : فريق منهم جاء واسراً تحت طي الخفاء ، وآخرون جاءوا باذن من الحكومة البريطانية . ولكي يجدوا مبرراً لاصدار وثائق هجرة جديدة ، راحوا يرسمون الخطط لانشاء مشاريع جديدة . فبعد الامتياز الذي منحته الحكومة لبنحاس روتنبرغ لانشاء (شركة الكهرباء) التي ذكرناها في عهد المندوب الاول هربرت صمويل (١٩٢١) ، منحت في عهد المندوب الثالث هذا وهو تشانسلور ، امتيازاً آخر لاستثمار البحر الميت واستغلال البوتاس وسائر الاملاح المعدنية فيه . منحته لاثنين من رجال الاعمال اليهود هما : نوفومسكي وتولوخ ، كممثلين لشركة اسمياها : (شركة البوتاس الفلسطينية) . وعقد الاتفاق بين الشركة والحكومة في شهر حزيران (يونيو) ١٩٢٩ . وقد وقعه وكلاء التاج في لندن بالنيابة (؟) عن حكومة فلسطين وشرقي الاردن . وراح اليهود يطالبون بزيادة وثائق الهجرة بحجة وجود اعمال تستلزم استخدام العمال . ونشطوا في شراء الاراضي . ولم تتخذ الحكومة من التدابير ما يضمن حق العرب ، او يدل على انها جادة في الدفاع عن مصالحهم والاستجابة لرغباتهم . فراحت دماؤهم تغلي في عروقهم . وتوقعوا سوء المصير . فثاروا .

٣٥ – **ثورة عام ١٩٢٩** : وقد اشتدت ثورة العرب في فلسطين في شهر آب ١٩٢٩ فشملت البلاد كلها : من ادناها الى اقصاها . ولا سيما في القدس ونابلس وفي حيفا وصفد وفي يافا والخليل . واشتبك الفريقان في قتال حيثما التقيا . وقتل من اليهود ١٣٣ ومن العرب ٩١ (٨٧ مسلمون و ٤ مسيحيون) . وجرح من اليهود ٣٣٩ ومن العرب ١٨١ . وكانت اكثر اصابات العرب من الجنود البريطانيين . ولولا هؤلاء الجنود ، لقضى العرب على اليهود . وقد دمرت في تلك الثورة ست مستعمرات يهودية تدميراً تاماً .

واتى البريطانيون من معسكراتهم في مصر

(١) الكتاب الابيض رقم ٢٢٩ تاريخ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨ .

بندات من الجند . فسكنوا الثورة : والقوا القبض على عدد كبير من الثائرين . فالقوهم في غياهب السجون . وساقوا بعضهم الى المحاكم ، مصفدين بالاغلال . وادانت المحاكم ٧٩٢ عربياً . فحكمت على ٢٠ منهم بالاعدام . وخفض مجلس الملك الخاص حكم الاعدام فيما يتعلق بسبعة عشر عربياً . خفضه الى السجن المؤبد . واعدم ثلاثة هم : عطا بن احمد الزير ، ومحمد بن خليل جمجوم ، وفؤاد بن حسن حجازي . ولكي يثبت (؟) البريطانيون انهم عادلون حكموا على يهودي بالاعدام، انه اليهودي الوحيد الذي أدين يومئذ . والتهمة التي وجهت اليه هي : قتل اسرة عربية بكامل افرادها ! . وقداتخذ مركزه الرسمي كموظف في مصلحة البوليس وسيلة لقتلها ! . فقضت المحكمة باعدامه . ولكن الحكم خفض (؟) بعد قليل الى السجن خمس عشرة سنة . ثم عفي عنه .

٣٥ — **لجنة شو** : وارسلت الحكومة البريطانية ، اثر هذه الاحداث ، لجنة للتحقيق برئاسة السر والترشو Sir Walter Shaw وثلاثة من الاعضاء يمثلون الاحزاب البريطانية الثلاثة : المحافظين والعمال والاحرار . وهبطت اللجنة مدينة القدس . وبعد ان درست المشكلة الفلسطينية والاسباب التي ادت الى الثورة ، اصدرت قرارها[1] في شهر آذار ١٩٣٠ . واليك ملخصه :

١ — الفتنة نتيجة حتمية لمخاوف العرب . ومخاوفهم ناجمة عن اعتقادهم بان السياسة التي تتبعها الحكومة البريطانية المنتدبة بشأن الهجرة والاراضي ستؤدي حتماً الى اخضاع العرب التام ، واخراجهم من بلادهم . كما انها ستحرمهم يوماً ما من وسائل العيش الشريف .

٢ — ان هذه المخاوف نفسها ستكون — بلا ريب — مصدراً لثورات وقلاقل اخرى لا بد ان تقع في المستقبل ان عاجلاً او آجلاً .

٣ — ان الازمة التي وقعت في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ نشأت في الواقع بسبب قدوم عدد من المهاجرين اكثر مما تستطيع ان تستوعبه البلاد . وهذا ما قاله السر جون كمبل احد الخبراء في مسائل الاستعمار الذين انتدبتهم لجنة الابحاث العامة المشتركة . تلك اللجنة التي الفتها الجمعية الصهيونية بالاشتراك مع الزعماء اليهود غير الصهيونيين في الولايات المتحدة سنة ١٩٢٧ .

٤ — اذا أجيب اليهود الى طلبهم وسمح لهم بادخال ٢٥٫٠٠٠ مهاجر في السنة ، فانهم يصبحون اكثرية في سنة ١٩٤٨ .

٥ — يتوق اليهود الى ايجاد (دولة يهودية) في فلسطين . سواء في ذلك المتطرفون منهم والمعتدلون ؛ وان اختلفوا من حيث الوسائل التي يجب ان يلجأوا اليها من اجل الوصول الى اهدافهم .

٦ — يجب ان تكون الهجرة الى فلسطين متناسبة مع قدرة البلاد الاقتصادية ، بحيث لا يصبح المهاجرون عبئاً ثقيلاً على اهالي فلسطين . ويجب — في اي حال — ان يؤخذ رأي الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة .

(١) الكتاب الابيض رقم ٣٥٣٠ تاريخ اذار ١٩٣٠ .

٧ – ان التدابير التي اتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ، ومنها قوانين انتقال الاراضي في ١٩٢٠و١٩٢١ و ١٩٢٩ لم تأت بالغاية المتوخاه . فقد بقي عدد كبير من المزارعين ، بسبب انتقال مساحات واسعة من الاراضي العربية الى ايد يهودية ، بلا ارض يعيشون منها . وفي هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .

٨ – منحت بريطانيا العراق والاردن الحكم الذاتي . وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بلفور . وهذا ما جعل العرب يعتقدون ان وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة في سبيل تحقيق امانيهم القومية . وهم يعتقدون ايضاً اعتقاداً جازماً ان الوعد الذي قطعه مكماهون بالاستقلال يشمل فلسطين ، وان بريطانيا خدعتهم حين وعدتهم بالاستقلال اذا ما ثاروا في وجه الاتراك . ولما ثاروا جازتهم جزاء سنمار .

وقد ختمت لجنة شو تقريرها بقولها : ان الشعب العربي في فلسطين يطالب بحكومة نيابية مستقلة . وهو في طلبه هذا متحد اتحاد تاماً . وان شعور الاستياء الذي يسوده ناشيء عن حرمانه من هذا الحق .. حق الحكم الذاتي وتقرير المصير .. وان هذا الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الاخيرة . وعلى الحكومة المنتدبة ان تتخذ التدابير اللازمة لتجنب مثل هذه الاضطرابات في المستقبل .

وبناء على توصية هذه اللجنة (اي لجنة شو) هبط القدس بعد قليل (ايار ١٩٣٠) السر جون هوب سمبسون بوصفه خبيراً في مشاكل الاراضي .

وبعد ان درس الوضع درساً دقيقاً رفع الى حكومته تقريره ، وقد جاء فيه :

١ – ان الاراضي التي بيد العرب لا تكفي لسد حاجتهم .

٢ – ان الاسرة العربية الواحدة في فلسطين تحتاج الى ١٣٠ دونماً من الارض لتتمكن من القيام بأودها . وهي لا تملك الآن سوى ٩٠ دونماً .

٣ – ان الاراضي التي بيد اليهود تزيد عن حاجتهم .

٤ – ان الارض التي يشتريها اليهود من العرب تبقى بايديهم الى الابد . فقد حرمت الجمعيات اليهودية على أصحابها اليهود بيعها ولا تسمح لهم بتأجيرها الا الى يهود . وعندما تؤجر الى يهودي ، يشترط عليه ان لا يستخدم اي عربي فيها .

٥ – يدخل البلاد سنوياً ، بالاضافة الى المهاجرين الشرعيين ، عدد كبير من المهاجرين غير الشرعيين . يدخلونها بطريق التهريب . وهذا يزيد مشكلة الاراضي سوءاً .

٣٦ – **الكتاب الابيض:** وما كادهذان التقريران يصلان الى لندن ، ويُدرسان من لدن المسؤولين من رجالها ؛ حتى اصدرت الحكومة البريطانية (٢١ تشرين الأول ١٩٣٠) بيانا أوضحت فيه واجباتها كدولة منتدبة ، والخطة التي تنوي ان تنتجها في ادارة فلسطين وفقاً لصك الانتداب . وقد اسمته : (الكتاب الأبيض) . ونشرته في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٠ . وقد جاء فيه :

١ – المقصود من (الوطن القومي اليهودي) في فلسطين زيادة رقي الطائفة اليهودية . وليس معناه فرض (الجنسية اليهودية) على فلسطين اجمالاً .

٢ – من العبث ان يلح زعماء اليهود على حكومة جلالته كي تسير في سياستها فيما يتعلق بمسائل الهجرة والاراضي حسب اماني المتطرفين من الصهيونيين . فانها اذا ما فعلت ذلك ، تكون قد اخلت بواجبها ازاء غير اليهود من اهالي فلسطين .

٣ – لا يمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

٤ – ان للوكالة اليهودية ، بموجب المادة ٤ من صك الانتداب ، حق النصح والمعونة . وليس لها حق الاشتراك في حكم البلاد .

٥ – يجب ، في الوقت نفسه ، ايجاد الوسائل التي تصون مصالح غير اليهود من السكان صوناً تاماً . وان تتاح لهؤلاء السكان الفرصة لتقديم المشورة لحكومة فلسطين فيما يتعلق بتلك المصالح .

٦ – ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن الفريقين متساوية .

٧ – ان حكومة جلالته ترى ان الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين نوعاً من الحكم الذاتي . وبناء على ذلك فهي تنوي ان تشكل مجلساً تشريعياً يتمكن العرب فيه من وضع آرائهم الاجتماعية والاقتصادية امام الحكومة بوسائل دستورية .

٨ – ليس في فلسطين في الوقت الحاضر اية ارض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد . ومساحة الاراضي المحلولة التي تلكها الحكومة ليست مما يعتد بها .

٩ – ان السياسة التي تتبعها الوكالة اليهودية فيما يتعلق بشراء الأراضي واستغلالها وتاجيرها لا يتفق مع التصريح الذي أدلى به المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٢١ بان الشعب اليهودي يرغب في ان يعيش مع الشعب العربي بسلام وصداقة متبادلين .

١٠ – دخل البلاد كثير من الاشخاص دون ان يحصلوا على التأشيرة (الفيزا) اللازمة لدخولهم . كما دخلها وبقي فيها كثيرون ممن سمح لهم بالاقامة المؤقتة فقط . ذلك لأن الحكومة لا تراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .

١١ – يتحتم على الدولة المنتدبة إما ان تخفض المهاجرة ، او ان تقفها في الحالات الضرورية . ذلك لأن المهاجرة غير المحدودة تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الاشغال الضرورية لمعيشتهم .

١٢ – ليس ثمة أمل في تحسن العلاقات المتبادلة بين الشعبين ؛ لا ، ولا في تحقيق الوطن القومي اليهودي ، إلا اذا توطدت الطمأنينة والرفاهية ؛ وبذلك يسود السلام في فلسطين .

٣٧ – **ركود الهجرة** : ركدت الهجرة اليهودية ، اثر صدور الكتاب الابيض ، فهبط عدد اليهود الذين كانوا في كل شهر يفدون الى فلسطين ، الى الحضيض . لا بل راح بعضهم ينزحون عن البلاد الى حيث كانوا . واضطربت المؤسسات الصهيونية .

واصاب زعماءها يأس شديد . الا واحداً من هؤلاء الزعماء، وهو زعيمهم. انه الدكتور حاييم وايزمان. انه وان كان قد استقال من منصبه كرئيس للوكالة اليهودية ، احتجاجاً على الحكومة البريطانية ؛ الا أنه لم ييأس . وكذلك قل عن اثنين من الزعماء الآخرين ، وهما : اللورد ميلشت والاضون فليكس واربورغ . فقد استقال الأول من رئاسة مجلس الوكالة ، والثاني من عضوية اللجنة الادارية . وراح الجميع يعملون معاً من اجل اقناع الحكومة البريطانية للعدول عن سياستها الجديدة ، واتمام المهمة التي اخذتها على عاتقها من اجل تأييد سياسة الوطن القومي اليهودي ، والعودة الى سبيلها القديم من حيث فتح الباب . . باب فلسطين . . لليهود الوافدين ، والسماح لهم بامتلاك الارض كما كانوا يفعلون منذ بدء الانتداب . ولم يكتفوا بالاقناع . بل ، راحوا يهاجمونها ويهاجمون وزارة المستعمرات بشكل خاص ، لأنها — على حد قول وايزمان في الصفحة ٤١٣ من مذكراته — رضخت لتهديدات المفتي الحاج امين ورفاقه اعضاء اللجنة العربية العليا ، ونزلت عند رغبات العرب ومطالبهم .

٣٨ — **نكوص البريطانيين والغاء الكتاب الابيض** : حاول الدكتور وايزمان ، اثر صدور الكتاب الابيض ، ان يقابل رئيس الوزارة البريطانية المستر رمسي مكدونالد Mr. Ramsay Mac Donald وكان هذا رئيساً لحزب العمال. وبعد ان رفض مكدونالد مقابلة وايزمان ، عاد فقبله. والفضل في ذلك عائد — كما يقول وايزمان في مذكراته[1] للسيدة استر Lady Astor وهي انكليزية تعطف على القضية الصهيونية . انها هي التي مهدت السبيل الى الاجتماع الذي جرى بينهما (وايزمان ومكدونالد) في جنيف . وتم ، بعد قليل ، اجتماع آخر بين الفريقين . حضره من الجانب اليهودي الدكتور وايزمان واللورد ريدينغ العضو في مجلس الاعيان واللورد ميلشت والاضون بنحاس روتنبرغ . ومن الجانب البريطاني رئيس الوزراء مكدونالد واللورد باسفيلد وعدد اخر من كبار رجال الحكومة . ورغم مقاومة اللورد باسفيلد لمطامع اليهود ، فقد نجح هؤلاء في اقناع اعضاء الوفد البريطاني الاخرين . اذ استرد مكدونالد وعده ، ولما ينقض على صدوره سوى مئة يوم ! . . انه لم ينشر بيانا رسمياً باسم الحكومة — كما فعلت الحكومة في بيانها السابق الذي اصدرته بتاريخ ٢١ تشرين الاول ١٩٣٠ — ولكنه اكتفى بخطاب القاه في جلسة عقدها مجلس العموم بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٣١ . وقد وجهه الى الدكتور حاييم وايزمان بوصفه رئيساً للوكالة اليهودية . وقد محا فيه بجرة قلم ما جاء في الكتاب الابيض . . .

٣٩ — **العرب يقررون توجيه كفاحهم ضد البريطانيين** : ان نكوص الحكومة البريطانيه على عقبيها ، وعدولها عن السياسة التي عبرت عنها في كتابها الأبيض ؛ جعل العرب يعتقدون انه لا خير يرجى من البريطانيين . وان النضال يجب ان يوجه بعد اليوم ضدهم ، قبل اليهود . فراحوا يضاعفون جهدهم للمطالبة بحق تقرير المصير ، والغاء الانتداب ، ومقاومة الهجرة وبيوع الارض ، وانشاء حكومة دستورية في البلاد .

واستقال المندوب السامي السرجون تشانسلور من منصبه اثر هذه الاحداث . وكان ذلك في ٣١ آب ١٩٣١ .

---

(١) اقرأ مذكرات وايزمان في كتابه Trail and Error. P. 411

٤٠ – **اللجنة الملكية** : انتدبت الحكومة البريطانية ، بعد وقف الاضراب ، لجنة ملكية مهمتها التثبت (؟) من اسباب الاضطرابات التي حدثت في فلسطين . مع انها كانت ولا شك ،تعرف الاسباب كلها حق المعرفة ، عن طريق ممثليها في فلسطين منذ سنين . وقد عهدت الى تلك اللجنة ان تحقق في الطريقة التي نفذ بها صك الانتداب ، وان ترفع اليها التواصي التي تراهامناسبة لازالة الخلافات ومنع تكرار الاضطرابات . واستغرب العرب انتداب مثل هذه اللجنة للتحقيق . ولو شاءت لوفرت على نفسها كل هذا العناء ، وهذا التحقيق . . وارسال اللجان . . وعملت من فورها على ازالة الظلم الذي لحق بالعرب ، وهي تعرف اسبابه . وكثيراً ماذكرت تلك الاسباب في المذكرات التي رفعت اليها عن طريق الهيئات العربية العاملة بفلسطين ، وفي مقدمتها (اللجنة العربية العليا) . وهي الممثلة لجميع الاحزاب القائمة في البلاد .

جاءت اللجنة الملكية الى فلسطين في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٦ . وكانت مؤلفة من اللورد بيل (رئيساً) والمستر هوراس رامبولد (نائباً للرئيس) والمستر لورى هاموند ، وموريس كارتر ، وهارولد موريس ، وريجنالد كوبلاند (اعضاء) .

ولما كان وزير المستعمرات الذي ارسلها ، وهو المستر اورمسبي غور ، قد القى في مجلس العموم – وقبيل مجيء اللجنة ببضعة ايام (٥ تشرين الثاني **١٩٣٦**) – بياناً جاء فيه : « انه ليس ثمة اسباب اقتصادية او اسباب اخرى تبرر توقيف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ولو توقيفاً مؤقتاً ! . . وأن حكومة جلالته وافقت على توصية المندوب السامي بالسماح لألف وثمانمئة يهودي في ستة شهور ! . . » فقد قررت (اللجنة العربية العليا) مقاطعة هذه اللجنة . واذاعت في ٦ تشرين الثاني **١٩٣٦** بياناً استنكرت فيه بيان وزير المستعمرات ، واعتبرته تحدياً لشعور العرب ، ودليلا على فقدان النية الحسنة . ولكنها (اي اللجنة العربية عادت فالغت قرارها نزولا عند رأي الامير عبدالله بن الحسين امير شرق الاردن ، ونصيحة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة السعودية والملك غازي ملك العراق ؛ الذين نصحوها بوجوب الاتصال باللجنة . فقررت الاتصال بها . وتقدمت اليها ببياناتها المدعومة بالوثائق والتواريخ والارقام ، وبشهودها وبيناتها . ولكن النتيجة كانت منافية لرغبات عرب فلسطين . فان تلك اللجنة – وهي التي عرفت فيما بعد بـ : (اللجنة الملكية) و (لجنة بيل) – قررت تقسيم فلسطين الى دولتين : عربية ويهودية . وجعلت جميع الجليل ومرج بن عامر والسهل الساحلي من عكا وحيفا في الشمال حتى يافا واسدود في الجنوب في الدولة اليهودية . والقسم الواقع الى الجنوب والشرق من هذا الخط منطقة عربية تتحد مع شرق الاردن .

واما القدس وما حولها فقد اقترحت بقاءها تحت الانتداب ، على ألا يسري عليها تصريح بلفور . وكذلك قالت عن الناصرة وشواطىء بحيرة طبرية . فقد اقترحت ضمها الى منطقة القدس ؛ على ان ييسر لها الاتصال بالبحر بواسطة ممر يمتد من القدس الى يافا شاملا مدينتي اللد والرملة . هذا وقد اعترفت اللجنة الملكية في تقريرها ان رغبة العرب في الاستقلال وكرههم للوطن القومي اليهودي من اهم الاسباب التي ادت الى ثورتهم . . . وان تلك الرغبة ،وهذا الكره؛ قد تجاوزا حدود فلسطين الى البلاد العربية الاخرى . . . وهما اللذان سببا

الاضطرابات التي حدثت في البـــلاد في ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ و ١٩٣٣

ونصحت اللجنة في تقريرهـــا بالاستغناء عن خدمات الموظفين الذين يُرتاب في اخلاصهم[١] ، والاستمرار على الاستعانة بموظفي المستعمرات من الانكليز . وانتقدت في تقريرها سياسة الحكومة من حيث انتقال الاراضي العربية الى اليهود ، بعد ان اعترفت ان الأراضي التي يمتلكها اليهود قد ارتفعت مســاحتهــا في عشر سـنين من ٨٤٤،٠٠٠ دونم (١٩٢٥) الى ١،٣٣٢،٠٠٠ دونم (١٩٣٦) .

واما من حيث الهجرة ، فقـد اقترحت اللجنة ان تحدد هذه باثني عشرالفمهاجر في السنة. وذلك للسنوات الخمس المقبلة . وكان عـدد اليهود ، يوم جاءت الى فلسطين ، أربعمئة الف .

هذا هو ملخص التقرير الذي وضعته (اللجنـة الملكية) . وهو اول تقرير تضمن فكرة التقسيم . وعندما نشرته الحكومة البريطانية في٧ تموز١٩٣٧ قالت انهاتوافق اللجنة فيما ذهبت اليه؛لأن التجارب التي مرت بها خلال الاعوام المنصرمة ، برهنت على انه لا يمكن التوفيق بين اماني العرب واماني اليهود في فلسطين . وان تلك الاماني لا يمكن تحقيقها عن طريق الانتداب .

٤١ – كيف تلقىاليهود تواصي اللجنة الملكية:

انشطر اليهود ، اثر صدور هـذا التقرير ، الى شطرين . شطر حنّده ، وراح ينـادي بتنفيذه . وآخر استنكره ! لا ، لأنه لا يريـد التقسيم ؛ بل لانه طامع في المزيد ! . .

٤٢ – ثورة العرب :

واما عرب فلسطين فقـد رفضوا تواصي اللجنة الملكيةرفضاً باتاً. ولميكتفوابالابراق والاحتجاج[١] وتنظيم المظاهرات . بل اعلنوا الثـورة . واضربوا عن العمل. وعادت اعمال العنف والنسف والتدمير الى ما كانت عليه قبل صدور قرار التقسيم.فدمرت مباني الحكومة ومخافرها.وفجرت انابيب البترول. ونسفت الجسور . وتدهورت قطـارات البضائـع والركاب.وقطعت اسلاك البرق والهاتف.واصطدم الثوار والجند حيثما التقوا . ولم يبال العرب بالقوات الكثيرة من الجند التي استحضرتها السلطة من مصر وقبرص ومن انكلـترا نفسها ، حتى نافت هذه على خمسين الف جندي . فراحوا يتحدون الحكومـة وجيشها . وقتـلوا حاكم الجليـل المستر اندروس Lewis Andrewsوالبوليس البريطاني حارسه.

---

(١) تذكرت وانا اقرأ هذه الفقرة من تقرير (اللجنة الملكية) حديثا جرى بيني وبين رئيسها اللورد بيل في بئر السبع ، يوم زار هو وصحبه اعضاء اللجنة ذلك القطاع من فلسطين بقصد البحث والتحقيق، وقد كنت انا يومئذ قائمقاماً مسؤولا عن ادارة ذلك القطاع ؛ فسألني اللورد بيل عن رأيي في الموضوع وعمـــا اذا كان عرب فلسطين يقبلون فــكرة (التقسيم) . فاجبته من فوري:« كلا . لا ولن يقبلوا هذه الفكرة . فان تقسيم بلادهم ، يعني اغتصاب جزء منه ، واعطاءه لليهود .واذا صدر قرار كهذا ، فانه سيؤدي حتما الى الثورة والعودة الى سفك الدماء . » ولما طلب الافصاح عن ضميري ، قلت له : « انني لاشك قط في ان اي قرار ينص على التقسيم ، سوف يؤدي الى الثورة وسفك الدماء . وفي تلك الحالة لن اتردد انا ايضا في ترك عمـــلي الرسمي والانضمام الى الثائرين من بني قومـــي وبلادي . . . » هذا ما قلته للورد بيل . وعلمت ، بعد قليل ، ان مثل هذا القول قاله له كثيرون من الموظفين العرب في حكومة فلسطين.

(١) ارسلت (اللجنة العربية العليا) اثر صدوره مذكرات شديدة اللهجة الى الحكومة البريطانيـــة في لنـــدن ، والى لجنة الانتدابات الدائمة في جنيف ، فندت فيها قرار التقسيم ، وطالبت باالاعتراف بحـــق العرب في الاستقلال التام . وعقدمعاهدة على غرار المعاهدات المعقودة مع العراق ومصر وســـورية .

وقتلوا حاكم جنين المستر موفات Walter Moffatt واشتدت السلطة في تدابيرها لقمع الثورة . فحلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية كلها. واقالت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى من منصبه. واعتقلت عدداً كبيراً من رجالات فلسطين[1] . ونفت من نفت منهم الى جزيرة (سيشل) . فاضطربت البلاد مرة اخرى. واتسعت المعارك بشكل مخيف. ووضع (قانون الطوارىء) موضع التنفيذ من جديد . ففرضت احكام الموت على كل من حمل السلاح ، دع عنك اطلاقه ! . حتى ولو كان هذا عبارة عن رصاصة فارغة ! . . وحتى اذا كانت الرصاصة التي أُطلقت ، لم تصب احداً ! . وبلغ عدد الذين أُعدموا شنقاً في سجن عكا ١٤٨ شهيداً . واما الذين حكم عليهم بالسجن المؤبد،فانهم اكثر من الفين : بينهم شيوخ ونساء ، ولم يكونوا كلهم من الشباب المسلحين . وتعمدت السلطات العسكرية هدم الدور والمنازل. فهدمت اكثر من خمسة آلاف بيت.. وجاوز عدد الشهداء من ابناء فلسطين ثلاثة آلاف . كما جاوز عدد الجرحى سبعة آلاف . وانطلقت صيحات الاحتجاج من سوريا ومصر والعراق والاردن ولبنان. وراح ابناء هذه الاقطار العربية يتنادون للأخذ بيد اخوانهم عرب فلسطين. ولئلا يتمكن هؤلاء من التسرب لفلسطين ، اقام البريطانيون سوراً من الاسلاك الشائكة وسلسلة من القلاع المحصنة[2] على طول الحدود . ووراء هذه الاسلاك والقلاع كتائب من الجند ومصائد من الالغام . ولكن. لا هذه الاسلاك ، ولا تلك القلاع، كانت لتلين من قناة عرب فلسطين ، الذين راحوا يهاجمون الانكليز واليهود في آن واحد .

٤٣ – المندوب السامي الرابع السر ارثور غرنفيل واكهوب : بعد السر تشانسلور صار مندوباً سامياً اللفتنانت جنرال السر آرثور غرنفيل واكهوب Lieut – General Sir Arthur Grenfell Wauchope, k. C. B., C. M. G., C. I. E., D. S. O. وكان ذلك في ١ اكتوبر ١٩٣١ .

جاء هذا (المندوب) على اثر ثورات وقلاقل . فرأى امامه شعباً مثقلا بالضرائب . فزار الفلاحين. واظهر اهتماماً زائداً بشؤونهم . فاقرضهم القروض الزراعية ، وخفض عنهم بعض الضرائب ، والغى البعض الاخر . وقصارى القول انه عمل على ترقية وسائل الزراعة ،وانهاض المزارعين؛حتى لقب بـ(صديق الفلاح) . ولكنه في الوقت نفسه سمح لعدد كبير من اليهود بدخول البلاد . حتى دخلها منهم ، خلال السنوات الخمسة التي قضاها في فلسطين ، خمسون الفاً في كل سنة[1] . ففي السنوات الثلاثة التي انقضت بين ١٩٣٣ – ١٩٣٥ دخل فلسطين ١٣٥٫٠٠٠ يهودياً . قالت الحكومة انها اضطرت (?) الى منحهم وثائق هجرة بسبب اضطهاد هتلر والحكم النازي في المانيا . وما كادت سنة ١٩٣٧ تهل حتى كان عددهم قد وصل الى ٤٠٠٫٠٠٠ نسمة.

---

(١) يؤكد الاستاذ اكرم زعيتر في كتابه (القضية الفلسطينية) ص ١٢١ ان عدد المعتقلين من ابناء فلسطين في مدد مختلفة بلغ نحواً من خمسين الفاً ! . وكتابه هذا طبع في القاهرة سنة ١٩٥٥ . وقد تولت طبعه (دار المعارف) بمصر . انه في نظري من احسن ما كتب في هذا الموضوع .

(٢) سميت هذه القلاع باسم الشخص الذي ابتدعها ، وهو السر تشارلس تيغارت . كان فيما مضى من كبار الموظفين في حكومة الهند . وهو خبير في مكافحة الثورات .

(١) قال الدكتور حايم وايزمن في مذكراته Trial & Error ان السر واكهوب كان يعطف على الوطن القومي اليهودي ، وكان يعتقد ان نجاح الصهيونية في فلسطين متوقف على الهجرة ؛ ولهذا سمح لستين الفا من اليهود بالهجرة الى فلسطين في عام واحد ، هو عام ١٩٣٥ .

اضف الى ذلك انهم راحوا يستوردون مختلف انواع الاسلحة من اوربا .

ونشط اليهود على عهده لشراء الاراضي .

٤٤ – **المؤتمر الاسلامي الثاني** : ولم يغتر العرب بابتسامته ، وبالوصف الذي اضفاه عليه الآخرون بقولهم : انه صديق الفــلاح ! . . وكان قد اتاهم خبر الحفل الذي اقامه الصهيونيون في لندن تكريماً له ، وقد شرب فيــه نخب الصهيونية ونجاحها ! عندئذ ايقن العرب لانه منافق ذو وجهين . اخذ بيده اليسرى ، ما اعطاه بيد اليمنى . فعقدوا بالقدس وفي جوار الحرم الشريف (كانون الاول ١٩٣١) مؤتمراً اسلامياً حضره عدد كبير من المسلمين (انظر الى الصورة التحتا) من فلسطين ، والاردن ، وسورية ، ولبنان ، واليمن ، والعراق ، ومصر ،والحجاز ؛ ومن تونس ، وبرقة ، والجزائر ، والمغرب الاقصى ؛ ومن تركيا ، وتركستان الصينية ؛ ومن الهند ، والقفقاس ؛ حتى ومن يوغوسلافيا ، ونيجيريا ،وجاوا ، وسيلان .وترأس المؤتمر المفتي الحاج امين الحسيني . وحضره عدد كبير من علماء فلسطين وشيوخها وزعمائها واهل الرأي فيها .



المؤتمر الاسلامي

الذي انعقد في القدس في شهر كانون الاول ١٩٣١

وقرر المؤتمرون ، فيما قرروا ، ايجاد كتلة عربية اسلامية تقف سداً منيعاً حيال مطامع اليهود في الارض المقدسة ، ومقاطعة جميع المصنوعات الصهيونية في جميع الأقطار الإسلاميه ، وتنبيه العالم الإسلامي الى الخطر الكامن وراء الصهيونية ، وصد تيار الهجرة اليهودية ، ومقاومة بيع الأراضي لليهود ، ودعوة العالم الإسلامي لشرائها ، واستنكار الاستعمار بجميع الوانه في أي قطر من الأقطار الإسلامية ، واعتبار قضية العرب الأرثوذكس جزءاً من القضية العربية .

٤٥ – **المؤتمر العربي الارثوذكسي**: وكان هؤلاء (أي العرب الأرثوذكس) قد عقدوا في يافا وقبل ذلك ببضعة أيام (تشرين الثاني ١٩٣١) مؤتمراً أيدوا فيه المطالب العربية القومية في فلسطين ؛ كما طالبوا بحقوقهم في الشؤون الدينية ، تلك الشؤون التي حصرها اليونان من رجال الأكليروس الديني بايديهم ، وقرر العرب الأرثوذكسيون في مؤتمرهم ان يكون البطريرك عربياً ، لا يونانياً اجنبياً كما هي الحال . وان لا يعترفوا بأي بطريرك لا يشترك الشعب في انتخابه .

٤٦ – **اللجنة التنفيذية العربية تقدم المظاهرات**:

وعقدت اللجنة التنفيذية العربية اجتماعاً (١٩٣٣) درست فيه الموقف . وقررت ان تقام في القدس وفي سائر انحاء فلسطين مظاهرات يعبر فيها الشعب عن سخطه واستنكاره للسياسة القائمة . وما كادت الحكومة تتلقى الخبر حتى أصدرت بلاغاً رسمياً حظرت فيه التظاهر . الا ان اللجنة التنفيذية ثبتت في قرارها . لا ، بل انها تقدمت المتظاهرين في صفوفهم . واشترك النساء مع الرجال في تلك المظاهرة . وجاء الانكليز بحرابهم ودباباتهم؛ ففرقوا المتظاهرين ، بعد ان جرحوا منهم خمسة وثلاثين . وجرح خمسة من رجال البوليس . وكذلك قل عن المظاهرة التي قامت في يافا وفي سائر مدن فلسطين . وكانت أشدها في يافا . حيث قتل الانكليز ثلاثين عربياً . وجرحوا زهاء مئتين .

٤٧ – **الاضراب العام** : وعاد الجو فتكهرب ، في اواخر عام ١٩٣٥ ؛ بسبب سياسة الحكومة ، وتغلغل النفوذ اليهودي في اداة الحكم ؛ وبسبب تلكؤ الحكومة في اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون انتقال الارض الى اليهود ، وتدفق سيل الهجرة الى البلاد . وقد دخلها في ذلك العام وحده خمسون الف يهودي . فقام عرب فلسطين قومة رجل واحد . وراحوا يطالبون الحكومة المنتدبة بوقف تيار الهجرة الذي طغى . كما راحوا يطالبون بالحكم الذاتي وتقرير المصير . ولما لم تلب الحكومة طلبهم اعلنوا (الاضراب العام) . وشمل الاضراب الذي بدأ في ٢٥ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٦ البلاد كلها : من ادناها الى اقصاها . فوقفت الاعمال في المتاجر ، والمصانع ، والمواني ، والمكاتب ، والمدارس ، وفي كل مكان . وشمل الاضراب وسائل النقل على اختلاف انواعها : في المدن والقرى . فلم يذهب العمال الى اعمالهم ، والتجار الى متاجرهم ، والمعلمون والطلاب الى مدارسهم . وامتنع المحامون عن ارتياد دور المحاكم ؛ الا اذا دعاهم الواجب لانقاذ عربي من مخالب السلطة . وسلم المخاتير اختامهم الى السلطة ، وامتنعوا عن تلبية دعوتها او الاجابة عن اسئلتها . كما امتنع الفلاحون والمزارعون عن ارتياد الاسواق ليبيعوا منتجاتهم وخضارهم . واضربت (البلديات) عن كل عمل ، خلا اعمال التنظيف والتنوير وتزويد البيوت والمنازل بالماء . حتى السجناء فقد اضربوا عن العمل في سجونهم . كما اضرب رجال البوليس العرب ، فراحوا يطالبون بفصلهم عن زملائهم

البريطانيين من حيث الامر والنهي، لانهم يكرهون ان يكونوا اداة للضرب على يد اخوانهم. وراح رجال الدين من المسلمين ومسحيين يعظون الناس في مساجدهم وكنائسهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم ونجاة بلادهم.

وقصارى القول: شمل الاضراب جميع مرافق البلاد. فلم يستثن منه سوى المطاحن والافران والمستشفيات والعيادات الطبية والصيدليات. واما الصحف الفلسطينية فقد اكتفت بالاضراب ثلاثة أيام، علامة الانسجام مع الرأي العام. ثم عادت الى الظهور، كي ترشد الامة الى خيرها، وتطلعها على ما يعترض سبيلها من عثرات. وكذلك قل عن الموظفين العرب ذوي الرتب العليا، فقد كتبوا الى الحكومة مذكرة مشتركة قالوا فيها: انهم يشاطرون امتهم في شعورها، ويؤيدونها في مطالبها، ويطالبون باعطائها حقها. واشتركت المرأة العربية الفلسطينية ايضاً في النضال الى جانب الرجل. وعبثاً حاولت الحكومة ان تقنع زعماء الاحزاب كي يعدلوا عن الاضراب، وينصحوا الناس كي يعودوا الى أعمالهم.

٤٧ — **اتحـاد الاحزاب الفلسطينية**: ومـا كانت البلاد في يوم من الايام متفقة من حيث القصد والهدف والمسعى والوسيلة، مثل ما كانت في ذلك اليوم الذي اتحـدت فيـه جميع الأحزاب العربيـة الفلسطينية:

حزب الاستقلال العربي الذي تأسس في ٤ آب ١٩٣٢ وزعيمه المحامي عوني عبد الهادي. وحزب الدفـاع الوطـني الذي تأسس في ٢ كانون الأول

اللجنة العربية العليا (١٩٣٦)

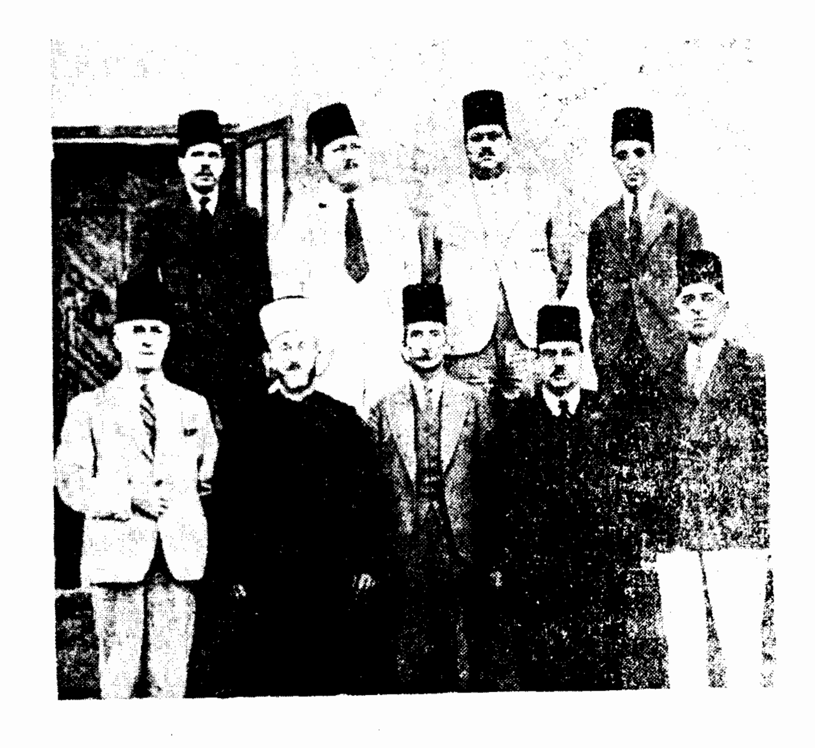
من اليمين الى اليسار.

في الصف الامامي:

(١) الفرد روك
(٢) عبد اللطيف صلاح
(٣) احمد حلمي عبد الباقي
(٤) الحاج امين الحسيني
(٥) راغب النشاشيبي

في الصف الخلفي:

(١) فؤاد سابا
(٢) يعقوب الغصين
(٣) الدكتـور حسين فخري الخالدي
(٤) جمال الحسيني



١٩٣٤ وزعيمه راغب النشاشيبي . والحزب العربي الفلسطيني الذي تأسس في ٢٤ نيسان ١٩٣٥ وزعيمه جمال الحسيني . وحزب الاصلاح الذي تأسس في ١٨ حزيران ١٩٣٥ وزعيمه الدكتور حسين فخري الخالدي . وحزب الكتلة الوطنية الذي تأسس في ٤ تشرين الأول ١٩٣٥ وزعيمه المحامي عبداللطيف صلاح . الاحزاب الأربعة الأولى تأسست في القدس وجعلت مقرها الرئيسي فيها . واما حزب الكتلة فقد تأسس في نابلس ، واتخذها مقراً لأعماله . وقد جاء في برامج الاحزاب كلها انها تستهدف خير البلاد ، وتناوىء فكرة الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي . وتطالب بوضع حد للهجرة وبيع الارض ، وتنشد استقلال فلسطين ضمن وحدة عربية كبرى . ولكن كل واحد منها (أي من الأحزاب) كان قبل ذلك التاريخ يعمل لحدته ، وبوسائله التي يراها . وكثيراً ما تمنينا وتمنى معنا المخلصون لواجبهم وقضية بلادهم ان لو تتحد هذه الأحزاب ، ويتحد الزعماء ، فيعملون يداً واحدة لدرء الخطر . ما دام هدفهم واحداً . بيد ان أيادي الشر كانت تلعب من وراء ستار وفي طي الخفاء . فتعددت الأحزاب واختلف الزعماء . ولما جدّ الجد ، وأيقن الجميع ان الحكومة الانكليزية لا تريد بهم خيراً ، وان فلسطين ضائعة لا محالة اذا لم يتحدوا ؛ اتحدوا . وأعلنوا الاضراب . والفوا لجنة أسموها : (اللجنة العربية العليا) . الفوها من : الحاج أمين الحسيني ، راغب النشاشيبي ، احمد حلمي عبد الباقي ، الدكتور حسين فخري الخالدي ، يعقوب فراج ، الفرد روك ، عوني عبد الهادي ، عبداللطيف صلاح ، الحاج يعقوب الغصين ، جمال الحسيني . وانتخبت اللجنة لرياستها الحاج امين ، واميناً لمالها احمد حلمي ، واميناً لسرها عوني عبد الهادي .

وفي الجلسة الاولى التى عقدت بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٣٦ قرروا المضي في الاضراب حتى يجاب الشعب العربي في فلسطين الى مطالبه . ولخصت هذه المطالب بمنع الهجرة اليهودية منعاً تاماً ، ومنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود ، وانشاء حكومة وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي منتخب .

٤٨ — استمرار الاضراب وبوادر العصيان المدني : دعت اللجنة العليا الشعب بمختلف طبقاته الى مؤتمر عام . وعقد المؤتمر في القدس بتاريخ ٧ ايار ١٩٣٦ . فايد المؤتمرون قرار الاضراب . وقد اضافوا اليه قراراً آخر هو : الامتناع عن دفع الضرائب . وقد امتنع الناس عن الدفع بالفعل اعتباراً من ١٥ ايار . واستمر الاضراب ستة شهور . وبعد ان كانت مقاومة العرب ، في غضون الشهر الاول من الاضراب ، منحصرة في الامتناع السلبي عن العمل ، وفي الكلام والخطب والاقوال التي تنشر في الصحف وتقال من على المنابر ؛ انقلبت في شهرها الثاني الى (ثورة علنية) شملت البلاد كلها : من ادناها الى اقصاها . وراح العرب والجنود البريطانيون يقتتلون حيثما يلتقون : في القدس وقراها ، وفي جبل نابلس وجبل الخليل ، وفي يافا وحيفا ، وفي اللد والرملة ، وعند باب الواد ، وفي صفد وعكا والناصرة ، وفي غزة وبئر السبع ، وفي السهل والوعر ، وفي الجبال والحراج والمغاور والكهوف والوديان ، وفي كل مكان .

وقطع الثوار العرب اسلاك البرق والهاتف . وهاجموا القطارات الحديدية ، فمنعوها عن السير . ونسفوا الجسور ، ودمروا انابيب البترول . كما دمروا المباني الحكومية . وقتلوا عدداً غير قليل من الجنود البريطانيين ومن اليهود . وسدوا الشوارع بالحجارة . ورشوا الطرق بالمسامير عرقلة لوسائل النقل

وهاجموا المستعمرات اليهودية حيثما استطاعوا . هاجموها في الليل والنهار . وقد أخلي بعضها من سكانها . وما كان اليهود ليستطيعوا السير والتنقل من مكان الى مكان، الا في سيارات مصفحة بالفولاذ، وتحت حراسة الجند.

٤٩ ـ الانكليز يبطشون بالعرب دون هوادة :

ولم يقف الانكليز حيال ثورة العرب وقفة المتفرج. بل راحوا يقاومونها باقصى ما لديهم من قوة .

انهم لم يتركوا وسيلة الا واستعملوها لمقاومة العرب ، واسكاتهم . فكان اول شيء عملوه انهم اعلنوا قانون الطوارىء . واعتقلوا عدداً من خيرة الشبان ورجالات البلاد . فزجوا بعضهم في السجون . واسلوا البعض الاخر الى المعتقلات . عدد من الزعماء حكم عليهم بالاقامة الجبرية في عوجا الحفير من اعمال بئر السبع في اقصى الجنوب من فلسطين والبعض الاخر في صرفند على مقربة من الرملة . وحشد الانكليز قواتهم في المناطق العربية التي اعتبروها خطراً على الامن . وارتفع عدد جنودهم بفلسطين من عشرة الاف جندي الى عشرين الف جندي . تعززهم الطائرات والدبابات ومختلف انواع الاسلحة والمعدات . ومنعت السلطة الناس من مغادرة منازلهم ، الا في ساعات معدودة لقضاء حاجاتهم. ونسفت منازل العرب في عدد من المدن. ولا سيما في يافا . فقد نسفت منطقة واسعة مؤلفة من ٢٢٠ منزلا بحجة تجميل المدينة ! . واعترف وزير المستعمرات بعدئذ انها نسفت لكونها مركزاً للمتربصين. وفرضت السلطة عقوبة الاعدام والسجن المؤبد على من يحمل السلاح .

ولم يكتف الجنود البريطانيون بتفتيش منازل العرب ومصادرة اسلحتهم ، بل راحوا ينسفون دورهم ومنازلهم . وحطموا كل ما وقعت عليه ايديهم في تلك المنازل من الات وادوات ومن مواد غذائية . وقتلوا وجرحوا عددا كبيرا من الاهلين : لا فرق في نظرهم بين مسلم ومسيحي . . بين مدني وقروي . . بين رجل وامرأة . . بين شيخ مسالم او شاب ثائر . . الامر الذي حدا بالقرويين لهجر قراهم ، والمدنيين لهجر منازلهم .

وهؤلاء الذين هجروا قراهم ومنازلهم ، قد اعتصموا بالجبال. فزادوا النار لهيبا. وما كاد يمر على الاضراب مئة يوم ، حتى كانت هذه قد ازدادت ضراماً. وكان عدد من الاخوان السوريين والعراقيين قد دخلوا البلاد ، وانضموا الى اخوانهم المجاهدين من ابناء فلسطين. نذكر منهم فوز الدين القاوقجي، وسعيد العاص ، وهما من كبار المجاهدين . وقد ابلوا جميعاً بلاءًا يستحق التقدير[1] .

واستحضر الانكليز نجدات جديدة من معسكراتهم القائمة في مصر وقبرص . حتى ، ومن الوطن الأم . فبلغ عدد الجيش البريطاني المرابط في فلسطين خمسة وعشرين الفاً . واستبدلوا قادتهم ، فعهدوا بقيادة قطعاتهم المعسكرة في فلسطين الى رجل من اقدر رجالهم العسكريين ، ألا وهو : اللفتنانت جنرال السر جون دل[2] Sir John Dill ولم يترك هذا القائد وسيلة من وسائل البطش والتنكيل ، الا استعملها ؛ لارغام الفلسطينيين على الرضوخ للاستعمار والعدول عن الاضراب .

---

(١) ذكرت اسماء قادة الثورة وشهدائها وما قاموا به من اعمال جليلة في سبيل الذود عن وطنهم في كتابي : (النكبة) ذكرتهم بالتفصيل . وقد جاء الكتاب في سبعة اجزاء . فليرجع اليه من شاء .

(٢) ترقى هذا ، بعد قليل ، فراح يحمل اعلى الرتب : Field - Marshal

٥٠ — **وقف الاضراب :** من الوسائل التي استخدمتها الحكومة البريطانية لوقف الاضراب والثورة ، بالاضافة الى التدابير العسكرية القاسية ، انها لجأت الى الأمير عبد الله أمير الاردن ، ونوري باشا السعيد وزير خارجية العراق ، والى غيرهما من الرجال ذوي النفوذ في هذا الجزء من الشرق ؛ لعلهم يقنعون الفلسطينيين في العدول عن الثورة . وعبثاً حاول هؤلاء في بادىء الامر اقناع الفلسطينيين. ولكنهم ، بعد قليل ، نجحوا في مسعاهم . ولا سيا عندما انضم اليهم ملوك العرب ورؤساؤهم الآخرون ومنهم : الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة السعودية ، والملك غازي ملك العراق ، والامام يحيى حميد الدين امام اليمن . واكد الملوك لزعماء فلسطين انهم حصلوا على تعهدات (؟) من الحليفة (؟) بريطانيا ان تنصف عرب فلسطين؛ ووعدوهم ايضاً (اي الملوك والامراء) أن يأخذوا بيدهم، فيدفعوا عنهم خطر الصهيونيين. وقبلت اللجنة العربية العليا وساطتهم . فاعلنت انهاء الاضراب والثورة اعتباراً من يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ . وهكذا يكون الاضراب قد دام مئة وستة وسبعين يوماً .

٥١ — **ميزان الربح والخسارة :** كان ربح العرب ، رغم الخسائر التي ألمت بهم في الأرواح وفي ميادين الاقتصاد ، عظيما . ذلك لانهم كانوا ، قبل ذلك ، مختلفين . ولما جد الجد اتحدوا . وايقنت الحكومة واليهود أيضاً ، أنه ليس من السهل اخضاعهم . ومن الارباح ان العرب وجهوا عداءهم المرة هذه نحو الحكومة المنتدبة نفسها ، بعد ان كانوا يستهدفون اليهود وحدهم . وقد اشترك مع أبناء فلسطين عدد من اخوانهم ابناء الاقطار العربية المجاورة . واشترك الملوك والامراء بالعمل ، فاصبحت (قضية فلسطين) قضية عربية عامة .

واما الخسائر في الاموال والارواح ، فكثيرة . نذكر منها ماتلقيناه عن طريق الحكومة واحصاآتها الرسمية . فنقول :

	عرب	يهود	انكليز	المجموع
القتلى :	٢٠٠ +	٨٠ +	٤٥ =	٣٢٥
الجرحى:	٨١٠ +	٣٠٠ +	٢٦٠ =	١٣٧٠

واما المصادر العربية ، فتقول :

	عرب	يهود	انكليز	المجموع
القتلى :	٢٠٠ +	٣٠٠ +	٤٥ =	٥٤٥
الجرحى:	٨٠٣ +	٢٥٢ +	٢٦٠ =	١٣١٥

ان معظم القتلى والجرحى من العرب أصيبوا برصاص الجند . وبلغ عدد الذين زجوا في المعتقلات والسجون منهم (اي من العرب) ثلاثة آلاف بين معتقل وسجين .

٥٢ — **سوء الخاتمة لعهد السر واكهوب :**

هذا ما جرى في فلسطين خلال السنوات (ايلول ١٩٣٠ —شباط ١٩٣٨) التي قضاها السر واكهوب فيها . وقد غادرها غير مأسوف عليه . وفي عهده قسمت فلسطين (١٩٣١) الى ثلاثة الوية . هي :

(آ) **اللواء الشمالي :** وهو مؤلف من الاقضية التالية :

حيفا ، عكا ، الناصرة ، طبريا ، صفد ، نابلس ، جنين ، طولكرم ، بيسان .

(ب) **اللواء الجنوبي:** وهو مؤلف من الاقضية التالية :

يافا ، الرمـلة ، غزة ، بئر السبع ، عوجا ــ الحفير .

(ج) **لواء القدس** : وهو مؤلف من الاقضية التالية :

القدس، رام الله، بيت لحم، أريحا.

٥٣ ــ **المندوب السامي الخامس : السر هارولد الفرد ماك مايكل** : دخلت سنة ١٩٣٨ والثورة ما زالت مشتعلة . فرأت الحكومة ان تستبدل قادة الجيش وحكام البلاد بغيرهم ، لعلهم يستطيعون ان يخمدوا الثورة ، اويجدوا حــلا للمشاكل القائمة . فاستبدلت الجنرال هايننغ بالجنرال ويفل قائداعاما. وجاء السر هارولد الفرد ماك مايكل Sir Harold Alfred MacMichael، K. C. M. G.، D. S. O. ليحل محل السر آرثر غرينفل واكهوب .

وتسلم المندوب الجديد عمله في اليوم الاول من شهر آذار ١٩٣٨ .

٥٤ ــ **الثائرون من عرب فلسطين يستولون على معظم انحاء البلاد** : وجد هذا المندوب امامه شعبا يغلي ، وبلدا تمزقه الثورات . واستمر الثوار العرب في حركاتهم بعد مجيئه . فاحتــلوا مدينة القدس (نيسان ١٩٣٨) كما احتلوا الخليل (اغسطس ١٩٣٨) . واحتــلوا ايضا مــدينة بير السبع (ايلول ١٩٣٨) . وفي بئر السبع شهدت اعمـــال الثوار بعيني ، وكان يقودهم يومئذ القائد الموهوب عبد الحليم الجيلاني . فقد قطعــوا قبل كل شيء ، اسلاك البرق والهاتف . واقاموا في مداخل المدينة قوات كافية لمنع الدخول اليها والخروج منها . ثم راحوا ويتعقبون الجنود البريطانيين الذين كانوا في المدينة . وقد قتلوا واحداً منهم برتبة نقيب . ثم راحوا يستولون على دور الحكومة . وحرقوا بعضها . وقــد اطلقوا السجناء من سجونهم . واستولوا على مقادير كبيرة من الاسلحة والاعتدة العسكرية . وظل الثوار في تلك البقعة من جنوب فلسطين مسيطرين ، يغشونها متى يشاءون ، زهاء سبعين يوما

واحتل الثوار ايضا مدينة اريحــا في الشرق، ومدينة طبريا في الشمال ؛ فــدمروا معظم المباني اليهودية والمنشئات الحكومية . وقتلوا من سكانها اليهود عدداً كبيراً .

٥٥ ــ **لجنة وودهيد تفشل في مهمتها لتنفيذ التقسيم** : جاءت الى فلسطين لجنة يرأسها السر جون وودهيد . نزلت هــذه في مدينة القدس في ٢٧ نيسان «ابريل» سنة ١٩٣٨ . وقالت اللجنة عن نفسها انها (لجنة فنية) انتدبت لتدرس مشروع التقسيم المقترح من قبل اللجنة الملكية . وقد خولت الحرية في اقتراح التعديلات التي تراها مناسبة ، على ان تضع حدودا فاصلة بين المنطقتين العربية واليهودية والمناطق التي يجب الاحتفاظ بها، ان دائما او مؤقتا، تحت الانتداب البريطاني .

فاستقبلها العرب في فلسطين بالاضراب العــام والمظاهرات . وقاطعوها . فلم يتقــدم اليها خلال المدة التي قضتهــا في البــلاد (من ٢٧ نيسان الى ٩ تشرين الثاني ١٩٣٨) عربي واحــد ليؤدي شـــهادته . وقالت اللجنة في تقريرها « ان العرب لا يزالون يقفون من التقسيم موقفاعدائيا» **واعترفت** اللجنة ايضاً انه من المتعذر تقسيم بلاد صغيرة كفلسطين بشكل يكون للحدود التي تفــرض لتفرق بين مناطقها . اية قيمة عسكرية .

وبعد ان استعرضت لجنة وودهيد جميع المشاريع

التي اقترحت لتقسيم فلسطين ، ومن بينها مشروع اللجنة الملكية ، قالت انها لا توصي بقبوله . لان عدد العرب في الدولة اليهودية – فيما اذا نفذ مشروع اللجنة الملكية – سيكون مساوياً لعدد من فيها من اليهود ! .. واماالاراضيفما يملكه اليهود في الدولة العربية ضئيل لا يجاوز التسعين الفاً من الدونمات ، على حين ما يملكه العرب في الدولة اليهوديةنحو ٣،٨٥٥،٠٠٠ دونماً . واليهود لايملكون في دولتهم المقترحة اكثر من ١،١٤٠،٠٠٠ دونماً ! .

ومما جاء في تقرير لجنة وودهيد قولها : ان اي مشروع لتقسيم فلسطين يقضي بوضع عدد كبير من العرب تحت سيطرة اليهود في منطقة ليس لليهود فيها اكثرية . وليس ثمة ما يسوغ استعمال القوة لارغام هذا العدد الكبير الذي يقطن في منطقة عربية بحتة على قبول سيطرة اليهود . ولو فرضنا جدلا انه كان بالامكان سحقالمقاومة العربية بالقوة، فان هذا (السحق) لن يستمر طويلا . وستبقى البلاد عرضة للقلاقل والثورات .

وقد اختتم التقرير بجملة جاء فيها : « ان تقسيم فلسطين امر لا يجوز انيجريه الاوصياء دونموافقة شعب فلسطين . وهذا الشعب ليس بالشعب الساذج المفتقر الى وصي ، ولا هو بالعاجز عن اتخاذ قرار يحدد مصيره » .

٥٦ – الحكومة البريطانية تتراجع عن التقسيم: عندما تلقت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الفنية (وودهيد) أصدرت بيانا رسمياً تاريخه ٩ نوفمبر ١٩٢٨ . وقد اعترفت فيه ان تقسيم فلسطين، كما اقترحته لجنة بيل ، غير عملي . ولهذا فان « حكومة جلالته ستواصل الاضطلاع بمسؤوليتها في حكم فلسطين باجمعها كدولة منتدبة » .

ولكن ! كيف السبيل لايجاد تفاهم بين العرب واليهود ، وتوطيد السلام والأمن في البلاد ؟

فالثورة ما برحت قائمة . والجو لا يزال مكهرباً بالارهاب والخوف . وخزانة الحكومة تكاد تفرغ من كثرة الانفاق على الجيش والشرطة ، وتعمير المباني الحكومية والمحطات والجسور التي هدمها الثوار . والأهم من هذا وذاك حماية اليهود الذين اقضت ثورة العرب مضاجعهم . وقد احدثت المقاطعة التي فرضها العرب اثرها في جميع اوساطهم التجارية والصناعية . فكسدت بضائعهم . وتوقفت مصانعهم . وكثر عدد العاطلين من عمالهم . وبلغت الخسائر في الارواح والممتلكات نتيجة للثورة العربية،حداً مخيفاً[1] .

٥٧ – نار الثورة تزداد ضراماً : وقف وزير المستعمرات في مجلس العموم ، بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٣٨ ، فاخبر الاعضاء : « ان حملة الاغتيالات والعنف التي شهرها العرب ، قد نمت ، واصبحت ثورة عربية منظمة واسعة النطاق ضد السلطة البريطانية » . وبعد ان أوضح للمجلس ما قامت به القوات العسكرية من تدابير لتوطيد الأمن . . . تلك التدابير التي أدت الى : « اخراج الثوار من القدس واسترداد سيطرة الحكومة على اريحا وغزة واحتلال بئر السبع من جديد » ؛ قال :

« ان باستطاعة جيشنا أن يعيد النظام الىنصابه في فلسطين ، ولكننا لا نستطيع ان نوطد أركان

(١) جاء في تقرير (اللجنة الخاصة للامم المتحدة بشأن فلسطين) بتاريخ ٣١ آب ١٩٤٧ ان اللجنة الملكية التي يرأسها اللورد بيل والتي انتدبت لتحليل اسباب الاضطرابات في فلسطين ، قدرت الخسائر بالارواح نتيجة للثورة العربية ١٩٣٦-١٩٣٩ كانت حوالي ٤٠٠٠ شخص ، وان الاضرار التي لحقت بالاموال قدرت بحوالي مليون جنيه .

السلام فيها . فالقضية سياسية وليست عسكرية » .
الى أن قال :

« ونحن حين وعدنا اليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، لم نقطع على أنفسنا عهداً بان نجعل فلسطين كلها موطناً ليهود العالم . وفلسطين لا تستطيع ان تحل مشكلة اللاجئين اليهود ، حتى ولو كانت خالية من اي شعب آخر . فكيف بها ، وهي مأهولة بالعرب . دخلوها منذ قرون ، وهم يعيشون فيها سادة . ولم يؤخذ رأيهم عندما أعطي وعد بلفور ، وعندما وضع صك الانتداب . وقد احتجوا ، وما برحوا يحتجون . وها هم يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟ أما لهذا الغزو من نهاية ؟ » .

وقال :

« إنا اذا لم نستطع ان نزيل مخاوف العرب في فلسطين من أن يصبحوا تحت سيطرة اليهود ، فسنجابه عداء العرب كلهم في الشرق الادنى . وعلينا — في هذه الحالة — أن نضع قسما كبيراً من الجيوش البريطانية بصورة دائمة في فلسطين . وفي هذا ما فيه من مصاعب واعباء ثقيلة » .

٥٨ — **مؤتمر لندن** : لبّى العرب دعوة تلقوها من الحكومة البريطانية . فحضروا مؤتمراً عقدته في لندن . وكان ذلك في ٧ شباط ١٩٣٩ . وقد لبّاها اليهود ايضاً . فحضروا المؤتمر نفسه . ولكن الفريقين (العرب واليهود) لم يجلسوا معاً . بل جلس العرب مع الانكليز في الصباح . وجلس اليهود معهم في المساء . وكان الاجتماع في قصر سان جيمس وقد استمر بضعة أسابيع . بسط العرب خلالها قضيتهم . وكذلك فعل اليهود . ولكن المؤتمر فشل في الوصول الى حل يرضي أيّاً منهم . ونشرت الحكومة بعد انفراط عقد المؤتمر بيانها في شكل (كتاب أبيض) تاريخه ١٧ أيار ١٩٣٩ . وقد ذكرت فيه مطالب الفريقين والحجج التي يستند اليها كل منهما . وختمت بيانها قائلة : « انه ليس من سياستها ان تصبح فلسطين دولة يهودية ، ولا دولة عربية . وانما هي ترغب في ان ترى قيام دولة فلسطينية مستقلة يشترك فيها العرب واليهود . . . والى ان يتم ذلك ، لا بد من مرور فترة انتقال تساعد على نشوء علاقات طيبة بين العرب واليهود . وفي خلال تلك الفترة تحتفظ الحكومة البريطانية بالمسؤولية النهائية بوصفها الدولة المنتدبة » .

وعلى ضوء هذا البيان أعلنت الحكومة البريطانية انها :

أولاً : ستمنح الفلسطينيين ، في خلال عشر سنين ، نصيباً متزايداً في حكومة بلادهم . وستوليهم زمام الحكم بمساعدة مستشارين بريطانيين .

ثانياً : تكون الهجرة اليهودية ، خلال السنوات الخمس التالية ، بمقدار من شأنه ان يزيد عدد اليهود في فلسطين الى ما يقرب من ثلث مجموع البلاد . وعلى هذا الاساس ستسمح بادخال نحو ٧٥,٠٠٠ يهودي مهاجر خلال السنوات الخمس التالية ، اعتباراً من اول نيسان ١٩٤٠ . ولدى انقضاء السنوات الخمس لا يسمح بهجرة يهودية اخرى ، الا اذا كان عرب فلسطين على استعداد لقبولها .

ثالثاً : سيمنح المندوب السامي سلطات عامة تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي العربية الى اليهود .

٥٩ — **كيف تلقى العرب واليهود الكتاب الابيض** : هذا هو الكتاب الابيض . اوجزناه في السطور المتقدمة . ومع انه حوى كثيراً من التعهدات من شأنها ان تزيل الكثير من مخاوف العرب ، وقد

اعتبره الكثيرون نصراً لهم،لأنه دل على ان بريطانيا عدلت عن التقسيم ، وانها اعترفت بمبدأ الاستقلال، وحددت الهجرة وقيدت بيوع الارض تحديداً لا بأس به ؛ الا ان العرب رفضوه . لأنه جعل تحقيق الاستقلال منوطاً باسهام اليهود ، واليهود لا ولن يقبلوا دولة ليست يهودية . اضف الى ذلك ان بريطانيا احتفظت لنفسها بالقرار النهائي: من حيث الموافقة على اعلان الاستقلال أو تأجيله بعد فترة الانتقال ! .

وكذلك قل عن اليهود . فانهم رفضوا الكتاب الابيض ، لأنه لم يحقق رغباتهم . وقد ابعدهم عن الهدف الذي طالما نشدوه ؛ ألا وهو : انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين . ولهذا قرروا بذل كل جهد يملكونه من اجل الغائه . وقد اعلنوا الثورة. معتقدين ان العرب ما كانوا ليستطيعوا حمل الحكومة المنتدبة على انتهاج خطتها الجديدة الرامية الى استرضائهم لولا ثورتهم ، وان ما احدثته الثورة العربية يجب ان يزول بثورة يهودية .

٦٠ - **ثورة اليهود** : بدأ اليهود ثورتهم بمهاجمة محطة الاذاعة. فقطعوا خطوطها قاصدين ان لايذاع نبأ السياسة الجديدة التي اعتزمت الحكومة المنتدبة تنفيذها . وكان ذلك في ١٧ ايار ١٩٣٩. ثم احرقوا الدوائر الرئيسية للمهاجرة . ونهبوا دار الحكومة في تل ابيب .واستطاعوا ان يدربوا عدداً اوفراً من شبانهم على ايدي ضباط من اليهود تدربوا على الاعمال العسكرية في الجيش البريطاني ، وعلى يد ضباط من الانكليز انفسهم كانوا من المؤيدين لفكرة الصهيونية.ومن هنا نشأت القوة العسكرية المعروفة بـ (الهاغانا) . واقاموا دائرة لتجنيد المتطوعين من ابنائهم . ووضعوا تلك الدائرة تحت اشراف الوكالة اليهودية . وجعلوا مدة الخدمة سنة للفتيات والفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ و ١٨ سنة . فعلوا هذا تحت سمع الحكومة وبصرها ، دون أن تفعل بهم ما فعلته قبلاً بالعرب ؛ عندما كانت تحكم على العربي بالاعدام شنقاً اذا ما وجدته يحمل ولو رصاصة واحدة ! . .

ليس هذا فحسب .بل رضي رئيس وزراء بريطانيا في تلك الفترة من الزمن،وهو المستر ونستون تشرشل، ان ينشيء اليهود جيشاً يهودياً - بقواده وضباطه وجنوده حتى ورايته- بحجة ان هذا الجيش سيحارب الى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٤) . وزود هذا الجيش بالاسلحة : بعضها شروه من مخازن الجيش البريطاني علناً ، وبعضها زودتهم به الحكومة دون ثمن،والبعض الآخر سرقوه من معسكرات الجيش في الداخل او هربوه خفية من الخارج .

ونشطت عصابات الأرغون وشترن في اعمالها الارهابية في مطلع عام ١٩٤٤ . تؤيدها المنظمة العسكرية اليهودية المعروفة بـ (هاغانا[١]). وان قالت هذه انها لا تقر (?) اعمال الارهاب. وكذلك قل عن الوكالة اليهودية التي اعترفت بها بريطانيا كهيئة استشارية ورد ذكرها في المادة ٤ من صك الانتداب. فانها كانت تمول العصابات المتقدم ذكرها وتدفعها الى الامام .

حتى البريطانيين الذين مهدوا لهم السبيل وآزروهم في الوصول الى اهدافهم ، فانهم لم يسلموا من اذاهم . وفي اثناء ثورتهم، قتلوا الكثيرين منهم. ومن الذين قتلوهم ثمانية من رجال البوليس

(١) اقرأ ما كتبته عن هذه المنظمات اليهودية وعن اهدافها وتاريخ نشؤ كل واحدة منها ومؤسسيها واعمالها ، وعن الاحزاب اليهودية كلها ، في كتابي : (النكبة) . ولا سيما في الصفحات ٨٦٦ - ٨٧٦ من الجزء الرابع .

البريطـــاني (٢٣ آذار ١٩٤٤) ووزير الدولة في الشرق الادنى اللورد موين (٦ تشرين الثاني ١٩٤٤) . ونصبوا كمينا للمندوب السامي السر هارولد ماكمايكل (٨ آب ١٩٤٤) قاصدين اغتياله . نصبوه عند مدخل القدس من الغرب . فجرح سائقه . واما هو فقد نجا .

وقد دمر اليهود دوائر المهاجرة بالقدس وحيفا وتل ابيب في يوم واحد (١٢ شباط سنة ١٩٤٤) . كما دمروا (٢٦ شباط)دوائر ضريبة الدخل في المدن الثلاث المتقدم ذكرها . هذا بالاضافـــة الى تفجير انابيب البترول ونسف الجسور ومراكز الامن .

ولم يتخذ البريطانيون ازاء الحـــوادث المتقدم ذكرها، رغم خطورتها ، ربع ربع ما اتخذوه فيما مضى ضـــد العرب الذين اعتقلوهم بالمئات ، وزجوهم بالسجون، ونفوهم الى خارج البلاد . وحكموا على كثيرين منهم بالاعدام لحملهم السلاح [1] . واما اليهود الدين ارتكبوا الجرائم المتقدم ذكرها ، فلم يصابوا باذى . اما الكمين الذي نصبوه للمندوب السامي وكانوا يعتزمون اغتياله ، فكانت عقوبته غرامة قدرها ٥٠٠ جنيه « ? » . وقد فرضت هذه على مستعمرة (جبعات شاؤول) الواقعة في مدخل المدينه . ومـــع ذلك فانهم لم يحصلوها ، بسبب (الضجة) التي اثارها عدد من انصـــار اليهود في مجلسي العموم واللوردات في لندن ! .

وكل ما فعلته الحكومة في هذ الصدد ، هو انها اصدرت بياناً رسمياً ناشدت فيه الارهابيين ان يمتنعوا عن هذه الاعمال التي تعرقل المجهود الحربي البريطاني وتساعد العدو » .

(١) رايت بام عيني شخصاً عربياً يسوقه الجند الى السجن ، ولم يكن معه ساعتئذ سوى رصاصة فارغة ! . .

٦١ ـ المندوب السامي السادس : الفيكونت غورت : Fild Marshal Viscount Gort V. C., G. C. B., C. B. E., D. S. O., M. V. O., M. C.

تسلم هذا الادارة في ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٤ . وما كادت قدمـــاه تطأ ارض فلسطين ، حتى وجدها مخضبة بالدماء واعمال العنف والتدمير . وقد حاول اليهود اقناعه، بانهم على حق في ثورتهم، وانهم لن يعدلوا عنهـــا الا اذا اجابتهم حكومته لمطالبهم . ولما شعروا منه تلكؤاً ، راحوا يرسمون الخطط لارغامه . ومن الوسائل التي لجأوا اليهـــا توصلاً الى اهدافهم انهم ، في العرض الذي اقامتـه الحكومة بمناسبة عيد ميلاد ملك انكلترا ، وضعوا بطارية من مدافعهم القوسـية المعروفة (بالمورتر) في مكان ما من احيائهم ، وصوبوها نحو المنصة التي أُعدت ليتلقى فيها المندوب تحيـة الجنود ، وليتلو عليهم خطابه . ولكن حيلتهم هذه ما برحت ان اكتشفت . وقد احبطها رجال الامن . ومع ذلك فان احداً ما ، لم يسألهم : لماذا اقدموا على عملهم ذاك ? .

بعد هذا الحادث زادت الحكومة عدد الرجال المنتسبين الى سلك البوليس. وبلغوا في عام ١٩٤٥ خمسة عشر الفاً. هذا ـ طبعاً ـ غير الجنود المنظمين المنخرطين في الجيش البريطاني . وقد انفقت الحكومة من اجل صون الامن في تلك السنة ٤,٦٠٠,٠٠٠ جنيهاً . ورغم هذا كله فان الامن كان في كل يوم يزداد سوءاً .

٦٢ ـ القضية الفلسطينية تنتقل الى الصعيد العربي العام : انتقلت قضية فلسطين من صعيدها المحلي بفلسطين الى صعيدها القومي في دنيا العرب . وقد تبنتها (الجامعة العربية) ، يوم اجتمع ممثـــلو حكومات مصر وسورية ولبنان والعراق والاردن

والسعودية في الاسكندرية (٧ تشرين الاول ١٩٤٤) فاقروا ميثاقا،تضمن ،فيما تضمن من بنود، بندا يتعلق بفلسطين . وقد اعتبروهـا ركنا من اركان البلاد العربية . وتعهدوا بالدفاع عن حق العرب فيها .

ولما اجتمع ممثلو هذه الدول في القاهرة (١٢ آذار ١٩٤٥) ،ووضعوا دستور الجامعة ،وظهرت الجامعة الى الوجود ؛ نص دستورها على بند يختار (مجلس الجامعة) بموجبه مندوبا عربيا من فلسطين ليشترك في اعماله ، الى ان تتمتع(فلسطين)بممارسة استقلالها فعلا . والاستقلال حق من حقوقها. وعلى هذا اصبحت قضية فلسطين شغل الجامعة الشاغل . وكان اول عمل عملته من اجل انجاح هذه القضية انها (اي الجامعة) قررت في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥ مقاطعة المنتجات والمصنوعـات اليهودية ،ومنعها من دخول بلادها ،اعتبارامن اليوم الاول من شهر يناير (كانون الثاني)١٩٤٦ .

وراحت دول الجامعة بعد ذلك تتبنى قضية فلسطين في المحالين ، العربي والدولي ، كلما سنحت الفرصة .

٦٣ – تدخل الولايات المتحدة : وتدخلت الولايات الأميركية المتحـدة ايضاً في القضيـة الفلسطينية . وكان ذلك بتأثير من اليهود المسيطرين هناك ، بما لهم من نفوذ واموال وصحف واصوات في الانتخابات ، على معظم معالم الحياة الاميركية ؛ ولا سيما في دوائر المال والاقتصـاد . وراح اليهود يحرضون الرئيس الاميركي ترومان على التدخل ، وبذل الجهـد من أجل نصرة قضيتهم ، والأخذ بيدهم . ولم يتردد هـذا في النزول عند رغبتهم . فكتب ، اول ما كتب ، للمستر أتلي ؛ وكان هذا يومئـذ (٣١ آب ١٩٤٥) رئيسـاً للوزارة البريطانية . وقد طلب اليـه ان يفتح ابواب فلسطين لليهود ، وان يسمح لمئـة الف منهم كي يدخلوها بأمان . هذا بالاضافة الى العدد الرسمي الذي كان قد تقرر في الكتاب الابيض .

فعل ترومان هذا دون ان يستشير العرب . مع ان سلفه الرئيس روزفلت ، كان قبل ذلك بخمسة شهور قد وعد الملك عبد العزيز آل السعود في كتاب أرسله اليه في ٥ نيسان ١٩٤٥ « ان لا يتخذ اي قرار فيما يتعلق بالوضع الاساسي في فلسطين من غير استشارة تامة مع كل من العرب واليهود » .

٦٤ – المندوب السامي السابع والاخير : السر الن غوردن كاننغهـام General Sir Alan Gordon Cunningham انه من رجـالات بريطانيا العسكريين . جاء الى القدس في ٣١تشرين الثـاني (نوفمبر) ١٩٤٥ يحمل اوسمة عديدة نذكر منها: وسام الخدمة الممتازةمن رتبة رفيق(.D.S.O) ووسام الصليب العسكري(.C. M. G) . ومنها ايضاً :وسام الصليب الاكبرووسام الحمام الرفيع من رتبة فارس .

وقـد انتدبته حكومته على أمل ان يستطيع تهدئة الثورة . ولكنه فشل.ولم يستطع تهدئتهـا . لا ، بل انها في زمنه زادت اشتعالا . ذلك لان حكومته كانت من الجبن بحيث لم تستطع ان تضع حداً لمطامع اليهود . وكان هؤلاء قد ازدادوا غلواً في مطالبهم . وبعد ان كانوا راضين بدخول اعـداد معينة من مهاجريهم الى فلسطين وبالتغلغل في جهاز الحكم الى حد محدود ، راحوا يطالبون بفتح ابواب فلسطين كلهـا لهجرة يهـودية لاتتناهى ، وبتأسيس دولة يهودية كاملة فيها .

وقد استمرت الهجرة في الواقع ؛ فارتفع عدد

اليهود في فلسطين ، على عهده ، من ٤٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٣٧ الى ٦٢٥,٠٠٠ في سنة ١٩٤٦. كما ازداد عدد المستعمرات التي اسسها اليهود في البلاد من ٣٠٢ مستعمرات زراعية تضم ٩٧,٠٠٠ نسمة من السكان الى ٣٠٠ مستعمرة تضم ١٤٠,٠٠٠ نسمة . هـذا غير المستعمرات التي اسموها : (يشوف) . ومدينة (تل ابيب) التي بلغ عدد سكانها في سنة ١٩٤٦ مئة وثمانين الفاً . واما مدينـة القدس فقد جاء في (الوقائع الفلسطينية) وهي الجريدة الرسمية لحكومة فلسطين ، انه كان يعيش فيها يومئذ (١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦) مئة وواحد وخمسون الفاً من السكان ؛ اليك تفصيلهم حسب اديانهم :

العدد	الدين
٩٢,٠٠٠	يهود
٣٢,٠٠٠	مسلمون (كلهم عرب)
٢٧,٠٠٠	مسيحيون (اغلبهم عرب)
١٥١,٠٠٠	

وقد ارتفع هذا العدد في سنة واحدة (١٩٤٧) الى ١٦٤،٥٠٠ واليـك تفصيلهم حسب اجناسهم وتوزيعهم في المدينة :

عرب	يهود	
٣٣,٦٠٠	٢,٤٠٠	في المدينـة القديمـة (داخل السور) .
٣٠,٠٠٠	٩,٠٠٠	في الجزء العربي من المدينة الجديدة (خارج السور)
١,٥٠٠	٨٨,٠٠٠	في الجزء اليهـودي من المدينـة الجديدة (خارج السور) .

٦٥,١٠٠ + ٩٩,٤٠٠ = ١٦٤,٥٠٠

هـذا ما قاله المستر جون مارتن ، المستشار البريطاني في هيئـة الأمم ، الى احدى اللجان في تلك الهيئة .

٦٥ - **اللجنة الانكلو - أميركية** : ان الحادثين اللذين ذكرناهما في الاسطر السابقة (الفقرتان ٦٢،٦٣) ؛ ألا وهما : تدخل الولايات المتحدة في قضية فلسطين لصالح اليهود من جهة ، ومجلس الجامعة العربية لصالح العرب من جهة اخرى ؛ قد حفزا بريطانيا الى سلوك مسلك جديد . فقررت دعوة حكومة الولايات الى التعاون معها في حل المشكلة . وبعد التشاور قررت الحكومتان تأليف لجنة مشتركة من اعضاء متساوين : انكليز واميركيين . مهمتها فحص الوضع في فلسطين وتقديم التواصي الى الحكومتين ، البريطانيـة والاميركية ، حول احسن الحلول لمعالجة المشكلة . وتألفت اللجنة بالفعل من اثني عشر عضواً : نصفهم انكليز ، والنصف الآخر اميركيون . وقد عرف معظمهم بكونهم من انصار الصهيونية .

والغريب في الامر ان مجلسي الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة ، اتخـذا قبل ان تبدأ اللجنـة عملها ؛ لا ، بل قبل أن يبرح اعضاؤها منازلهم (! . .) قراراً طالبـا فيه الحـكومة ان تتوسط لدى الدولة المنتدبة كي تفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية مطلقـة ، وتقيم في فلسطين دولة يهودية ديمقراطية .

والأنكى من هذا وأمر ، ان المنـدوب السامي البريطاني ايضاً اصدر - قبل وصول اللجنة الى فلسطين - بيانا قال فيه : « انه ليس من العدل ان تقف الهجرة اليهودية انتظاراً لتوصيات لجنة التحقيق ، ولهذا قررت الحكومة البريطانية الان وجوب السماح باستمرارها بصفة مؤقتة وبالمعدل المقترح ؛ ألا وهو : الف وخمسمئة مهاجر في كل شهر » .

ومعنى هذا ان (الكتاب الابيض) الذي وضعته الحكومة المنتدبة قبل بضعة شهور ، وقد شام المعتدلون من ابناء فلسطين من ورائه خيراً ! . . . حتى انهم نصحوا الفئات المتطرفة من بني قومهم ، ألا يرفضوه ! . . قد نسف من أساسه ولما يجف المداد الذي كتب به ! . . . ولهذا لم يتوقع عرب فلسطين اي خير من مجيئها . وفيما كانوا يرسمون الخطط لدرء الخطر عن بلادهم ، أتتهم أخبار تقول : ان لجنة التحقيق الانكلو -- الأميركية بدأت تحقيقها في واشنطن (٤ يناير ١٩٤٦) . وبعد ان زارت لندن والمانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وايطاليا واليونان، جاءت الى القاهرة (٢٨ فبراير) حيث استمعت الى بيانات عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية . وجاءت اللجنة بعدئذ الى فلسطين (٦ آذار) . وبعد ان استمعت في القدس الى شهادات العرب واليهود ، سافرت (٢٨ آذار) الى العواصم العربية . فريق من اعضائها زار عمان ، وآخر زار دمشق وبيروت ، وثالث زار بغداد والرياض . ثم عادت الى لوزان حيث وضعت تقريرها . وكان ذلك في ٢٠ نيسان ١٩٤٦ .

وقد أوصت في تقريرها اصدار مئة الف شهادة هجرة لليهود ، قالت عنهم انهم من ضحايا الاضطهاد النازي ! . . ومما جاء في تقريرها ان اي نوع من **الحكم في فلسطين يجب ان لا يستهدف السيطرة : لا سيطرة العرب على اليهود ، ولا سيطرة اليهود على العرب . فان فلسطين لن تكون دولة يهودية ،** ولا دولة عربية . وريثما تتلاشى الشحناء القائمة بين العرب واليهود . أوصت اللجنة ان تبقى فلسطين تحت الانتداب كما هي الان ، الى ان يتسنى عقد اتفاق توضع بموجبه تحت وصاية الامم المتحدة .

وأوصت اللجنة ايضاً الغاء نظام الأراضي لسنة ١٩٤٠ . واستبداله بنظام يقوم على سياسة (حرية بيع الاراضي) واستغلالها . وعلى ادارة فلسطين مع ضمان عدم الحاق الضرر (!) بحقوق ووضع جميع فئات الأهالي الأخرى ، ان تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة ! . . .

٦٦ – مؤتمر ملوك العرب في زهراء انشاص :
تأزم الموقف بعد صدور التقرير الذي وضعته لجنة التحقيق الانكلو – اميركية . فاضرب عرب فلسطين مرة اخرى . وتصاعدت اصوات الاحتجاج والاستنكار من كل مكان : من فلسطين نفسها ومن البلاد العربية المجاورة لها . وعقد في زهراء انشاص بمصر مؤتمر (٢٨ أيار ١٩٤٦) . حضره ملوك العرب ورؤساؤهم ، فتذاكروا في قضية فلسطين . ومن الذين حضروا هذا المؤتمر فاروق ملك مصر ، وعبد الله ملك الأردن ، وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، وبشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ، والأمير عبدالاله الوصي على عرش العراق ، والأمير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ، وسيف الاسلام ولي عهد اليمن .

وقرر المؤتمرون، فيما قرروا، تأييد عرب فلسطين في نضالهم ، وشد ازرهم بالمال وبجميع الوسائل الممكنة . ذلك لان فلسطين قطر عربي لا **يمكن فصله عن الاقطار العربية الاخرى ، وان مصيره منوط بمصير دول الجامعة كافة ، وان الصهيونية خطر دائم ليس على فلسطين وحدها ، بل على البلاد العربية كلها ، حتى الشعوب الاسلامية » . كما** قرروا بذل كل جهد مستطاع لوقف الهجرة الصهيونية ، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين .

هذه هي القرارات التي اصدرها ملوك العرب ورؤساؤهم . وقد احالوها الى مجلس الجامعة العربية

كي يتخذ الوسائل التي يراها مناسبة لتنفيذ تلك القرارات .

٦٧ – **مؤتمر بلودان** : واجتمع مجلس الجامعة بعدئذ في بلودان من ٨ الى ١٢ حزيران ١٩٤٦ . فدرس القضية درساً شاملاً . ودرس معها الكتاب الابيض وتقرير لجنة التحقيق الانكلو – أميركية . وأصدر قرارات علنية والاخرى سرية .

اما المقرارات العلنية فتتلخص في : استنكار ما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانكلو – اميركية . . ورفض أي شكل من اشكال التقسيم . . وانشاء لجان للدفاع عن فلسطين في كل دولة عربية . . . واصدار طابع باسم فلسطين يرصد ريعه للقضية الفلسطينية . . ومقاطعة اليهود مقاطعة تامة في كل دولة . . وطلب المفاوضة مع بريطانيا للوصول الى حل مرض . .

واما المقررات السرية التي عرفت فيما بعد فهي:

(١) حث الشعوب العربية على التطوع لنصرة عرب فلسطين بجميع الوسائل : بالمال والسلاح والمجاهدين .

(٢) ان تنفيذ تواصي اللجنة الانكلو–اميركية **يسيء للعلاقات بين انكلترا واميركا من جهة والبلاد العربية من جهة اخرى** . ولهذا يجب رفضها . واذا قبلت بها الدولتان : البريطانية والاميركية ، فعلى الدول العربية ان تعيد النظر في علاقاتها مع تينك الدولتين . وعليها في هذه الحالة :

(٣) ان لا تسمح لهما او لأي كان من رعاياهما بأي امتياز اقتصادي جديد .

(٤) وان تنظر في الغاء ما لهما من امتيازات في البلاد العربية .

(٥) وان تقاطعهما مقاطعة ادبية .

(٦) وان لا تؤيد مصالحهما الخاصة في اية هيئة دولية .

ومن المقررات السرية التي اتخذت في مؤتمر بلودان رفع الشكوى ضد هاتين الدولتين الى مجلس الامن والى هيئة الامم المتحدة .

تلقى الشعب العربي في جميع انحاء العالم العربي ولا سيما في فلسطين ،هذه المقررات بالرضا والارتياح. وراحوا يتوقعون تنفيذها . ولكن شيئاً منها لم ينفذ. ولاسيما البند القائل بالغاء الامتيازات السابقة؛ وهذا يعني، اكثر ما يعني ،امتيازات النفط. ولو نفذ هذا البند وحده لما وقع التقسيم،ولما وقعت (النكبة) التي حلت بفلسطين . ولكن الدول العربية المنتجة للنفط –ولاسيما المملكة العربية السعودية– امتنعت عن تنفيذه . فظل النفط العربي يتدفق على الولايات المتحدة وبريطانيا وعلى جميع انحاء الغرب الذي كان يعمل جاهداً من اجل توطيد دعائم الاستعمار في هذا الجزء من الشرق .

٦٨ – **توحيد الاحزاب** : ومن الاعمال التى عملها المؤتمرون في بلودان انهم عملوا على توحيد الاحزاب الفلسطينية . وقد لبى رؤساء هذه الاحزاب رغبتهم ، فامّوا (بلودان) . اموها كلهم وفي مقدمتهم: احمد حلمي باشا وعوني عبد الهادي وراغب النشاشيبي ويعقوب الغصين وعبد اللطيف صلاح والدكتور حسين فخري الخالدي وجمال الحسيني . وقد اتفقوا جميعاً على ان المصلحة القومية تقضي بتوحيد الجهد . وقد تعهدوا بأن يقبلوا اي قرار يصدره المؤتمرون . واقترح المؤتمرون الغاء (اللجنة العربية العليا) و (الجبهة العربية العليا). وتوحيدهما في لجنة واحدة اسموها: (الهيئة العربية

العليا) . فقبل رؤساء الاحزاب الفلسطينية هذا الاقتراح . وتألفت الهيئة فوراً : من الحاج امين الحسيني رئيساً ، وجمال الحسيني نائباً للرئيس ، والدكتور حسين الخالدي سكرتيراً ، واحمد حلمي باشا واميل الغوري اعضاء .

٦٩ – **ثورة اليهود** : ان التواصي التي وردت في تقرير اللجنة الانكلو – اميركية ، وان كانت في معظمها – ولا سيما في مواضيع الهجرة والاراضي – لما يرضي اليهود ؛ الا انهم لم يكتفوا بها . لأنهم كانوا قد بلغوا من القوة بحيث اصبحوا لا يرضون بديلاً عن قيام دولة لهم في فلسطين . ولهذا قرروا المضي في اعمال العنف والارهاب . ومن الاعمال التي عملوها ، انهم راحوا يقتلون الانكليز حيثما وجدوهم. وخطفوا ستة من الضباط البريطانيين واعتقلوهم . ونسفوا جانباً من فندق الملك داود . ذلك الجانب الذى اتخذته الحكومة مقراً لأعمالها . كما نسفوا الجسور العشرة التي تربط فلسطين بسوريا ولبنان والاردن ومصر . وهاجموا القطارات والمخافر والمستودعات الحكومية .

٧٠ – **مؤتمر لندن الثاني** : ورأت الحكومة ان تعمل على وضع حل للمشكلة قبل ان يتفاقم الخطب . فدعت الفريقين لمؤتمر عقدته في لندن . وامتد المؤتمر من ١٠ ايلول الى ٢ تشرين الاول ١٩٤٦ . ولكنه لم يسفر عن اي حل . إذ رفض المندوبون العرب ان يجلسوا مع اليهود على مائدة واحدة . كما رفضوا جميع المشاريع التي عرضت عليهم من اجل تقسيم فلسطين . وكان بين تلك المشاريع ، مشروع وضعه المستر موريسون نائب رئيس الوزراء وهو من حزب العمال . ويقضي مشروعه هذا بتكوين دولتين : عربية ويهودية . وحكومة مركزية مختلطة تسيطر على المنطقتين . ولها السلطة في شؤون الدفاع والخارجية والجمارك . رفضوه ، لانه أقر فكرة التقسيم . اضف الى ذلك ان القول الفصل في الحكومة المركزية حصر في يد المندوب السامي ، تعاونه هيئة تنفيذية معينة . .

٧١ – **مؤتمر لندن الثالث** : واستأنف مؤتمر لندن انعقاده مرة اخرى في ٢٨ يناير ١٩٤٧ . واشتركت الهيئة العربية العليا فيه . كما اشتركت فيه وفود الدول العربية الاخرى . واما اليهود فقد رفضوا الاشتراك فيه وفي اي مؤتمر غيره لا يحقق لهم مطلبهم الوحيد ؛ ألا وهو : قيام دولة يهودية .

٧٢ – **مشروع بيفن** : وكان آخر اقتراح عرضته الدولة المنتدبة ، هو الاقتراح الذي قدمه وزير خارجيتها المستر بيفن . انه وان كان لا يفرض التقسيم ، الا انه يقوم على اساس استمرار الانتداب خمس سنين اخرى . تنشأ خلالها حكومات ومجالس محلية عربية ويهودية تتمتع بالاستقلال الذاتي ، على الا يؤدي ذلك الى التقسيم ، وان تكون الهجرة مختصرة في المنطقة اليهودية حسب قاعدة (الاستيعاب الاقتصادي) . ثم يعاد درس الموقف بعد خمس سنين .

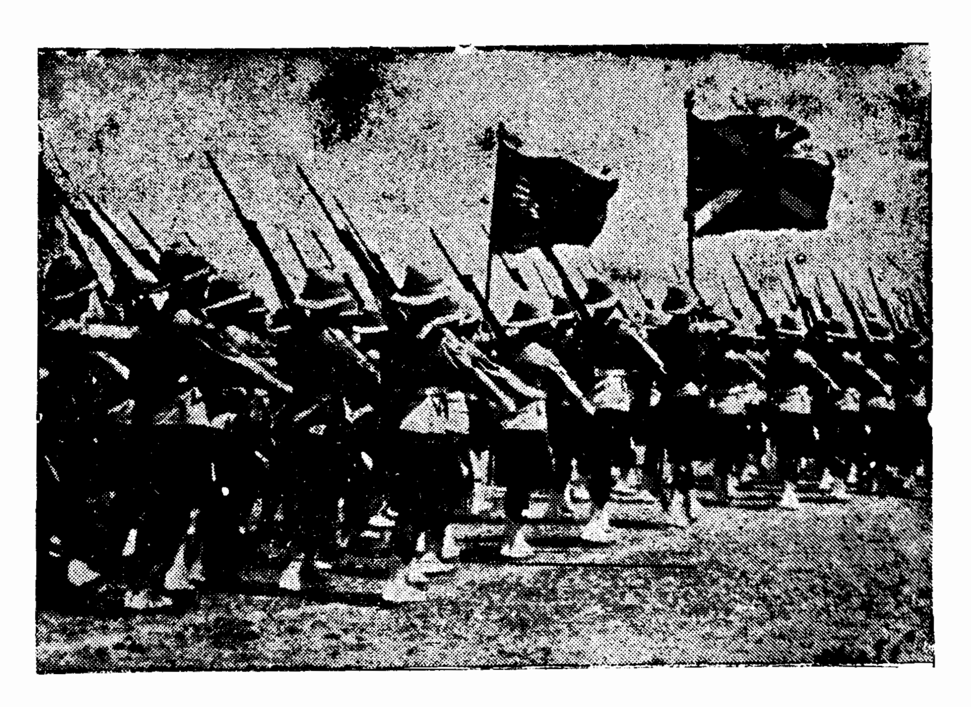
فرفض العرب هذا الاقتراح . كما رفضه اليهود . وتمسك الفريقان بمطالبهما السابقة : العرب يرفضون الهجرة مهما كان عددها ونوعها ، ويطلبون الاستقلال عملا بمبدأ تقرير المصير . واليهود يصرون على فتح ابواب فلسطين لهجرة غير مقيدة ، ويطلبون قيام دولة يهودية .

٧٣ – **الحكومة البريطانية تتخلى عن الانتداب** : عندئذ اعلنت الحكومة البريطانية عزمها : **التخلي عن الانتداب** ، ورفع الامر الى الامم المتحدة ؛ لتقرر ما تراه مناسبا حول مستقبل

البلاد .وقد رفعته بالفعل في ٢ نيسان ١٩٤٧ .وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اصدرت هيئة الامم قرارها القائل بتقسيم فلسطين الى دولتين : دولة يهودية ، واخرى عربية . واما القدس ، فقد تقرر تدويلها [١]

٧٣ ـ رحيل المندوب السامي وخروج الجيش

البريطاني : رحل المندوب السامي عن القدس في ١٤ ايار ١٩٤٨ . وما كادت شمس الخامس عشر من الشهر تغيب ، حتى كان آخر جندي من جنود الجيش البريطاني قد رحل . وبرحيلهم ، انتهى العهد البريطاني . ذلك العهد الذي استمر في هذه البلاد ثلاثين عاما .



الجيش البريطاني
يوم رحيله عن القدس (١٤ أيار ١٩٤٨)

(١) بعد هذا اقرأ ما كتبته عن الاحـــداث التي حدثت في القدس بوجه خاص ،وفي فلسطين بوجه عام ، في كتابي : (النكبة) . ذلك الكتاب الذي سجلت فيه جميع الاحداث التي حدثت في فلسطين بعد قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧) .

الباب السابع

القدس

كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧

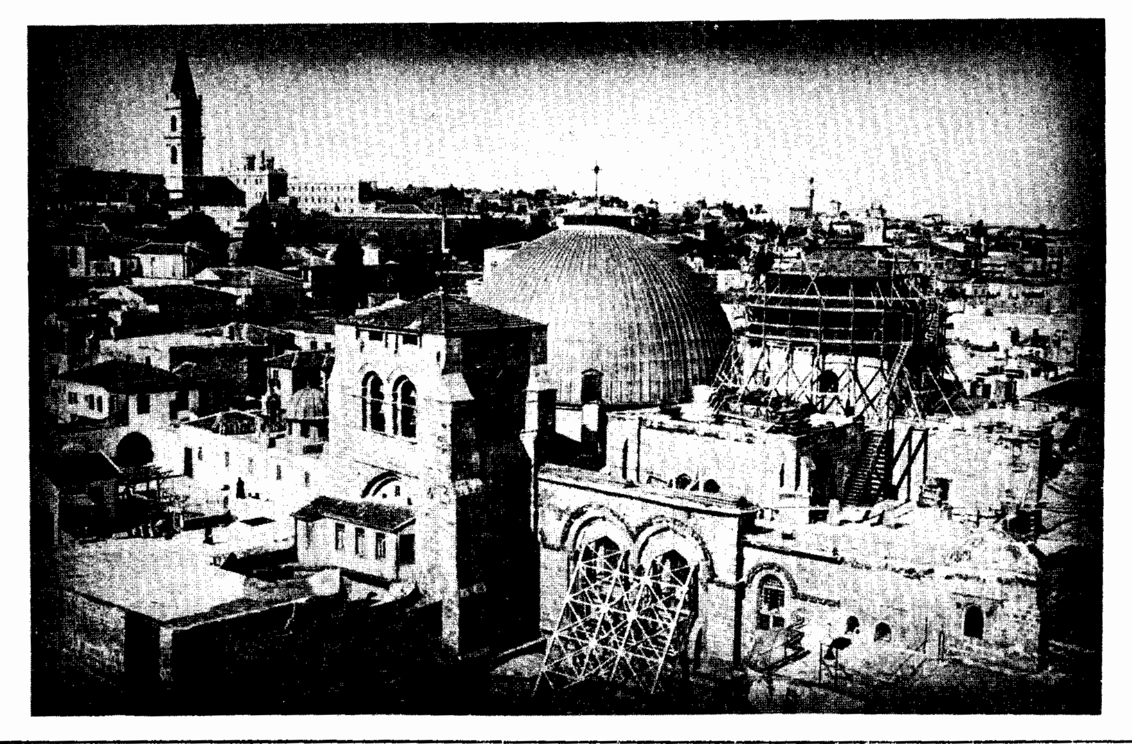
(١) مكانتها بين المدن
(٢) موقعها الجغرافي
(٣) مساحتها
(٤) سكانها
(٥) احياؤها
(٦) سورها
(٧) طقسها
(٨) امطارها ومياهها
(٩) جبالها واوديتها
(١٠) ابنيتها
(١١) طرقها
(١٢) حدائقها
(١٣) ملاهيها
(١٤) محطات الاذاعة
(١٥) مدارسها
(١٦) مكتباتها
(١٧) متاحفها
(١٨) جمعياتها ونواديها
(١٩) امراضها ومستشفياتها
(٢٠) مجاريها
(٢١) صناعاتها
(٢٢) تجارتها
(٢٣) اوزانها ومكاييلها
(٢٤) اسواقها ومخازنها
(٢٥) شركاتها التجارية
(٢٦) بنوكها ومصارفها
(٢٧) خدمات البرق والبريد
(٢٨) البلدية
(٢٩) الناحية الادارية
(٣٠) مستوى المعيشة فيها

القدس كما رأيتها في مطلع عام ١٩٤٧[١]

مكانتها بين المدن : لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه البسيطة ، الدور الذي لعبته القدس في التاريخ ؛ على الرغم من انها مدينة لا زرع فيها ولا ضرع . وعرها اكثر من سهلها . ماؤها قليل . ليس فيها نهر ولا نبع غزير .

انها ليست من المدن التجارية الهامة ؛ رغم وقوعها بين البادية من الشرق ، والبحر من الغرب . ولا هي من المدن الصناعية او الزراعية التي تستطيع ان تكفي نفسها .

ومع ذلك فقد لاقت ، ما لم تلاقه غيرها من المدن ، في الشرق او الغرب ، من جراء ظلم الطبيعة وظلم البشر . فقد كانت ، على مر الدهور ، **مطمح** انظار الغزاة والفاتحين. فحوصرت مراراً ، وهدمت تكراراً ، وهجرت واعيد بناؤها عشرات المرار في التاريخ . ولكنها ، بالرغم من هذا كله ، ظلت قائمة في هذا الوجود . وظل اسمها مذكورا في طليعة المدن والبلدان . انها ، في الحقيقة ، لا شيء وكل شيء. انها مدينة المتناقضات..مدينة الاديان.. مدينة الآثار .. مدينة التصنع .. مدينة التعصب .. مدينة السحر والخيال ! .



(١) قد تجد ، ايها القارىء الكريم ، في هذا الفصل مايرضيك ؛ وقد تجد فيه ما لا يرضيك . وقد ينتابك احيانا شيء من السامة والملل ، ولاسيما عندما ترى انني اسهبت في وصف ناحية من نواحي الحياة القدسية ؛ فتصوب الي سهام لومك وتقريعك . فرجائي اليك ألا تتسرع في الحكم ، قبل ان تاتي الى نهاية الفصل . خذ منه حينئذ ماصفا لك ، واترك لغيرك ما لا يستسيغه ذوقك . تذكر : ان ما لايروق في نظرك ، قد يروق لغيرك . وكما ان ما نعتبره اليوم من المسائل الاجتماعية الهامة ، قد تسخر به الاجيال القادمة ؛ فان ما لا نعبأ به اليوم ، قد يعبأ به ابناء الغد ؛ عندما يقلبون صفحات التاريخ ، ليفاضلوا بين يومهم وامسهم . . .

انها مقدسة في نظر جميع الاديان. وقد لا نعتدي على الحق اذا قلنا، ان قدسيتها هذه كانت في اكثر الاوقات السبب في شقائها، وفيما انتابها من رزايا ومحن.

انك اذا اضفت الى صفاتها المتقدم ذكرها (وهي اليبوسة والجدب وقلة المياه والاختلافات الدينية)؛ اجل، اذا اضفت الى هذا كله المصائب التي تحملها الجيوش المحتلة من هدم وتخريب، وسفك دماء وتدمير، ومن طرق في الحكم تفرض فرضاً، ادركت السبب، لا بل الاسباب التي تجعل ابن القدس اميل الى العبوس والتشاؤم في حياته منه الى الفرح وتوقع الخير!

ومن هنا جاء المثل العامي الذي اشتهر عن القدس.

« ميتها[١] لم، وعيشتها غم، وصحبتها اكثر من سنة ما بتم[٢]. »

٢ – **موقعها الجغرافي**: انها مدينة جبلية واقعة بين البحر الميت من الشرق والبحر الابيض المتوسط من الغرب. تبعد عن الاول ١٨ ميلا وعن الثاني ٣٢ ميلا. وهي مرتفعة ٣٨٠٠ قدما عن سطح البحر الميت و ٢٥٠٠ قدما عن سطح البحر الابيض المتوسط. وهي واقعة عند تقاطع خط الطول ١٥ ر ٣٥ وخط العرض ٤٧ ر ٣١.

وهي قسمان: القدس القديمة والقدس الجديدة. يفصل بينهما سور[٣] محيطه ميلان ونصف ميل.

(١) ماؤها

(٢) لا تستمر

(٣) انه هو الذي جدد عمارته الاتراك على عهد السلطان سليمان القانوني (٩٤٣ هـ – ١٥٣٦ م) وقد ذكرنا بناته الاولين وما الم به على مر السنين في موضع آخر من هذا الكتاب.

وارتفاعه يتراوح بين ٣٨ قدماً و ٤٠. واما طوله فمن الشمال ٣٩٣٠ قدماً، ومن الشرق ٢٧٥٤ قدماً، ومن الجنوب ٣٢٤٥ قدما. ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً.

٣ – **مساحتها**: ١٩٫٣٣١ دونما[١]. منها ٨٦٨ دونماً داخل السور و ١٨٤٦٣ دونما خارجه. يملك العرب منها ١٩١ر١١ واليهود ٤٨٣٥. واما الباقي وهو ٣٣٠٥ دونما، فانه عبارة عن طرق وميادين عامة.

يدخل في هذه الارقام اراض كانت في الاصل من ممتلكات لفتا والمالحة وبيت صفافا وصورباهر وعين كارم وما الى ذلك من القرى المجاورة. وقد ضمت الى القدس في السنين الاخيرة، فاصبحت جزءاً منها.

٤ – **سكانها**: كان عددهم في نهاية (عام ١٩٤٤) ١٥٥٫٣١٤ شخصاً: منهم ٣٢٫١٢٨ عرب مسلمون و ٢٨٫١٤٩ عرب مسيحيون و ٩٤٫٩٤٢ يهود و ٩٥ ينتمون الى اجناس وديانات اخرى.

وفي ٨ نوفمبر ١٩٤٧ كان عدد نفوس مدينة القدس ١٦٤٫٥٠٠[٢] موزعون كما يلي:

	يهود	عرب
في البلدة القديمة.	٢٫٤٠٠	٣٣٫٦٠٠
في الجزء العربي من البلدة الجديدة.	٩٫٠٠٠	٣٠٫٠٠٠
في الجزء اليهودي من البلدة الجديدة.	٨٨٫٠٠٠	١٫٥٠٠
١٦٤٫٥٠٠ =	٩٩٫٤٠٠ +	٦٥٫١٠٠

(١) الدونم الفلسطيني عبارة عن الف متر مربع. والارقام المذكورة في هذا الفصل، اقتبسناها من سجلات مصلحة الاراضي والتسوية التابعة لحكومة فلسطين (١٩٤٧).

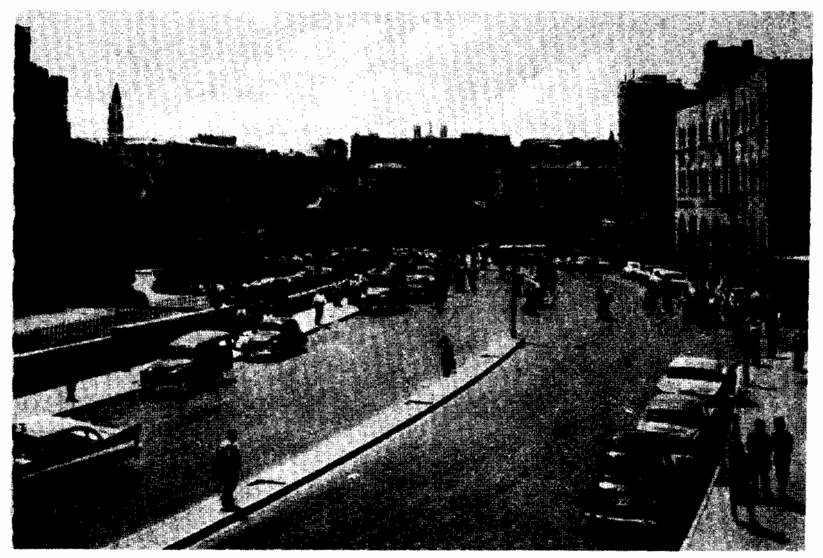
(٢) اقتبسنا هذه الارقام من تقرير رفعه المستر جون مارتن، المستشار البريطاني لمندوبي بريطانيا في هيئة الامم المتحدة بليك سكس (١٩٤٧).

واما عدد السكان في فلسطين كلها ، فقد كان في عام ١٩٤٦ كما يلي :

	العــدد
مسلمون	١,٠٧٦,٧٨٣
يهـود	٦٠٨,٢٢٥
مسيحيون	١٤٥,٠٦٣
آخرون	١٥,٤٨١
	١,٨٤٥,٥٥٢

٥ — القدس مؤلفة من أحياء[١] عديدة . يسمى المقدسيون كل حي منها : (حارة) . ويجمعونها على (حارات) . ومن الحارات المعروفة في المدينة القديمة : باب حطه ، باب السلسلة ، باب العمود ، حارة الشرف ، حارة الواد ، حارة السعدية ، حارة النصارى ، هذه الاحياء كلها بين الاسوار . وهي ، باستثناء حارة النصارى ، أحياء اسلامية بحتة .

واما التي خارج السور فمنهـــا : باب الساهرة ، الشيخ جراح ، كولونية اليونان ، وادي الجوز ، المصرارة ، النبي داود ، مـــاملا ، دير أبي ثور ، وادي النباح ، البقعـة الفوقا ، البقعة التحتا ، الطالبيـــة ، النمرية ، القطمون ، الشيخ بـدر ، الراتزبون هذه الاحياء كلها عربية . واما الأحياء اليهودية فهي في داخل السور : حارة اليهود[١] . وفي خارجه : روميما ، رحافيا (١٩٢٢) ، نحلات صادق ، تزكرت موشه ، تل بيوت (١٩٢٢) ، سنهاداريا ، بي شعنان ، رحاما ، آرفونا ، يمـين موشه (١٨٦٢) ويسمونها منتفيوري ، جبعات شاؤل ، زكرون يوسف (١٩٢٥) ، بيت اسرائيل (١٨٨٥) ، كرم ابراهام ، نحلات صهيون ، ميكور حايم ، شخونات هابوعاليم ، بيت هاكيرم (١٩٢٢) ، بيت فيغان ، قريات شموئيل ، شعارى حيسد ، ميشورم (١٨٧٥) ، البخاراليه (١٨٩٢).



« حي باب الساهرة »

(١) مفردها : (حي) . والحي - كما جاء في (البستان) - البطن من بطون العرب يقع على بني اب واحد ، قلوا ام كثروا .

(١) يقول الهر كارل رترالالماني في الصفحة ١٩١ من كتابه The Comparative Geographie of Palestine المطبوع في نيويورك سنة ١٨٦٦ « ان قسما كبيرا من مساكن اليهود الكائنة في هذا الحي هو =

٦ – **سورها** : اعتـــاد الناس ان يقولوا ان سور القدس الحالي بناه السلطان العثماني . . السلطان سليمان الثاني . . المعروف بالقانوني . والحقيقة انـه (أي السور) من آثار الاقـــدمين : كاليبوسـيين والعبرانيين والرومـان والبيزنطيـين والصليبيـين والايوبيين والمماليك . فما منامـــة دخلت القــدس واستقرت فيها ولو حينـاً من الدهر ، الا وفكرت في تحصينها ، واقامـة سور من حولهـا . وكان سورها حيناً يبقى على ما كان عليـه من اتجـاه ، ويعمر بشكل يجعله امتن من قبل . واحيانا كان يتسع ، بحيث يشمل الاحياء الجديدة التي ظهرت مع الايام[1] ، واتساع العمران ؛ وهكذا دواليك .

وفي الفصول التي اوردناها في صفحات سبقت من هذا الكتاب ، ذكرنا كل ما اتى على اسوار هذه المدينة من احـــداث : من اليوم الذي بناها فيه اليبوسيون الى يومنا هذا .

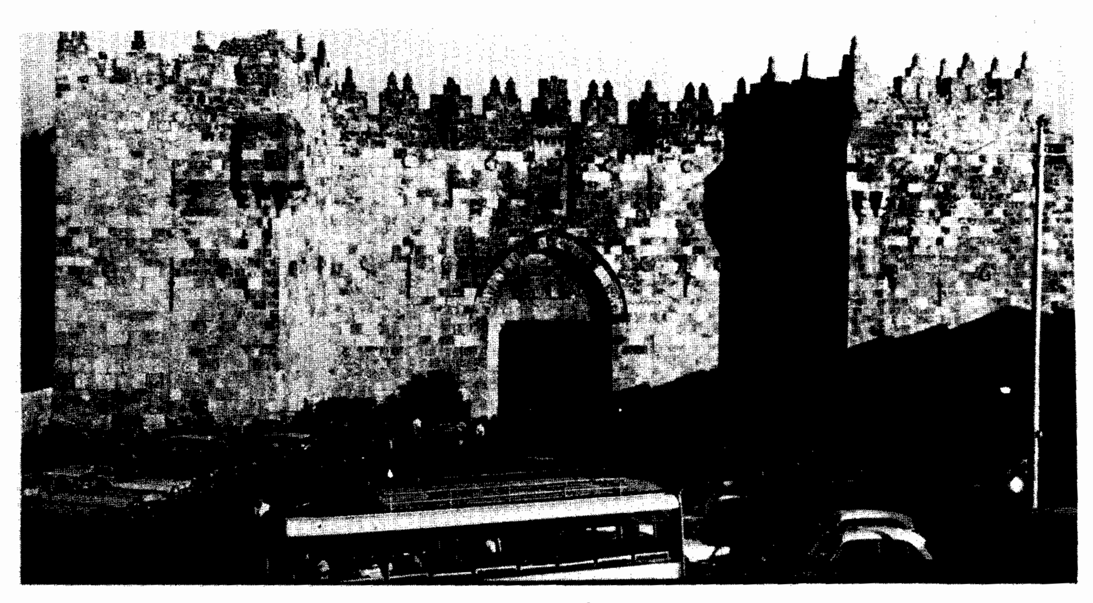
ونريد هنا ان نكتفي بالقول ان القسم العـلوي من السور ، كما نراه في يومنا هـذا ، هو من صنع الاتراك العثمانيين . وكان سورها في معظم اجزائه ، عندمـا دخلها هؤلاء ، متهدمـاً . فعمره السلطان سليمان . ودامت عمارته خمسة اعوام (١٥٣٦ – ١٥٤٠) . وبقي السور عـلى حـــاله اثنـــاء الاحتــلال البريطـاني (١٩١٧ – ١٩٤٧) . محيط السور ميلان ونصف الميل ، وارتفاعه يتراوح بين ٣٨ و ٤٠ قدماً . طوله من الشمال ٣٩٣٠ قدماً ومن الشرق ٢٧٥٤ ومن الجنوب ٣٢٤٥ ومن الغرب ٢٠٨٦ قدماً . وله اربعة وثلاثون برجاً . واحد عشر باباً : سبعة منها مفتوحة ، يرتادها السكان متى يشاءون . واربعـــة ابواب مسددة . اما الابواب المفتوحة ، فهي : باب الساهرة وباب العمود من الشمال ، وباب الاسباط من الشرق ، وباب المغاربة وباب الخليل من الغرب ، والباب الجديد من الشمال الغربي . وهذا هو احدث الابواب .

واما الابواب المسدودة ، فهي : باب الرحمـة وباب التوبة . وهما بابان كبيران متلاصقان سدا اثناء الحرب الصليبية لاسباب تتعلق بالامن . انهما في الحقيقة باب واحـــد ، في وسطه عمود ضخم يرتكز عليـــه قوسان من صنع بيزنطي . ويسميه الفرنجة : The Golden Gate اي الباب الذهبي . والمعتقد ان السيد المسيح دخل من هذا الباب الى منطقة الهيكل في (احد الشعانين) . وان هرقل الملك ايضاً دخل المدينة من هذا الباب ، عندما استرد القدس من الفرس . ويسميه المقدسيون في يومنا هذا : باب توما توما .

= وقف للحرم الاسلامي في القدس » . هذا ما قاله الهر رتر عن الحي اليهودي . والذي اعرفه اثنان تسعين في المئة من منازله من الاوقاف الذرية التي يتصرف بريعها مسلمون من آل النمري ، والجاعوني ، والخالدي ، والحـــسيني ، والنشاشيبي ، والعلمي ، والقطب ، والعسلي . والبديري ، والامام ، والدقـــاق ، وقطينة ، والشهابي ، والانصاري ونسيبة ، والداودي ، والموسوس ، والديسي ، وابو السعود والطبجي ، والرصاصي ، والموقت ، والزحيكان ، وغنيم ، وابو مدين ، والبشاشة ، والحريري ، وغيرهم من الاسر المقدسية المعروفة من قديم الزمان . وكان المقدسيون فيما مضى يطلقون على هذا الحي : (حارة الشرف) .

(١) خذ لك ، مثلا ، حارة النصارى . ان الموضع الذي تقوم عليه الان ، كان فيما مضى ، وبعبارة افصح قبـــل صلب المسيح ، عبارة عن مقبرة واقعـــة خارج السور . وكان السور يومئذ في تلك الناحية الغربية من المدينة ، لا يتخطى البقعة المعروفة في يومنا هذا : (بسوق خان الزيت) . وانك لترى الان أثراً من آثار ذلك السور هناك ، ولا سيما في (دكان زلطيمو) وفي دير المسكوبية المعروف بـ : (دير القديس الكسندر نيفسكي) الى الجنوب من باب خان الزيت . ويعتقد المسيحيون ان هـــذا هو السور القديم ، وهنا كان الباب الذي خرج منه المسيح ليصلب في الجلجلة

ولما اتسعت المدينة وكثر المسيحيون فيها ونشأ الحي الذي نسميه الان : (حارة النصارى) ؛ اتســـع السور ايضاً ، بحيث راح يشمل هذا الحي .



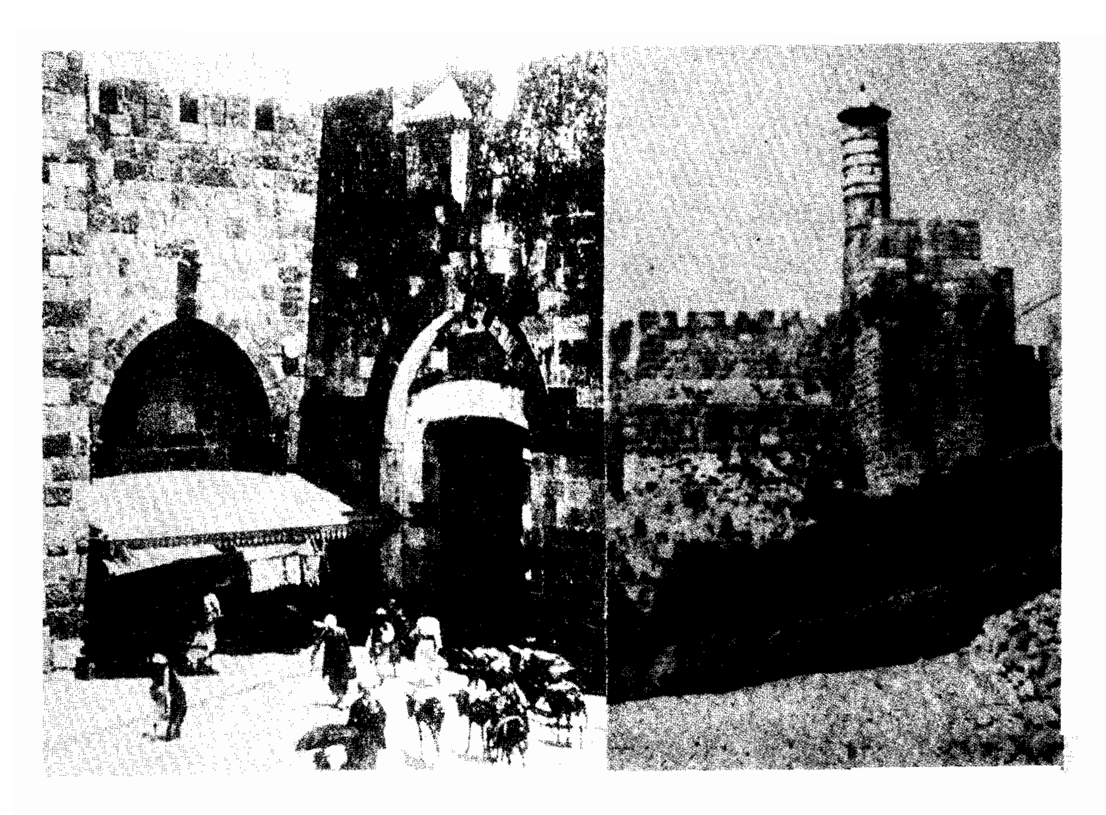
باب العمود

ويسمى ايضاً باب دمشق ، وهو المنفذ الرئيسي للمدينة ، يقع في الجهة الشمالية منها

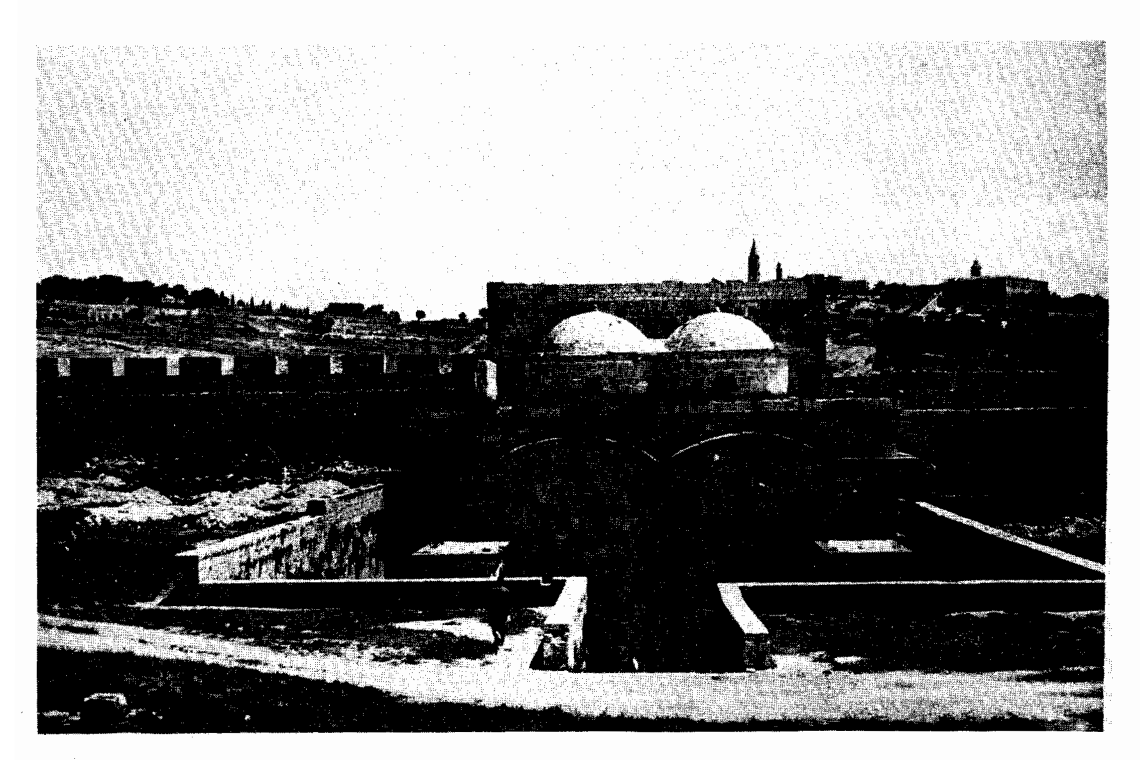


باب الاسباط

الباب الوحيد المفتوح من الشرق



باب الخليل والقلعة



الباب الذهبي من الداخل

ومن الابواب التي سدت للسبب نفسه : باب الجنائز . انه في القسم الشرقي من السور . وقدسمي كذلك ، لان الناس كانوا في العهود الغابرة يخرجون منه بموتاهم بعد ان يصلوا عليهم في المسجد الاقصى ، وهناك في المقبرة الملاصقة للسور يدفنونهم .

وهناك في القسم السفلي من جدار السور ومن الناحية القبلية بابان مسدودان . وكانا ،قبل بناء المسجد الاقصى ، مفتوحين .

هناك كلمات منقوشة بالنسخ العثماني على بلاطات تم تثبيتها فوق الابواب. وهي تشير الى السور الذي انشأه السلطان سليمان ، والابواب التي فتحها . فالبلاطة التي رأيتها على باب العمود تحمل تاريخ ٩٤٤ ه – ١٥٣٧ م وباب الاسباط ٩٤٥ ه – ١٥٣٨ م وباب الخليل ٩٤٥ ه – ١٥٣٨ م وباب النبي داود ٩٤٧ ه – ١٥٤٠ م وباب المغاربة ٩٤٧ ه – ١٥٤٠ م .

اما الخندق الذي تراه حول الناحية الشمالية الغربية من السور ، فالذي حفره صلاح الدين (٥٨٣ ه – ١١٨٧ م) . واما الحائط الذي يسند الخندق فانه من صنع السلطان محمود (١١٤٤ ه – ١٧٣١م) .

وهناك ، تحت السور ، وعلى مقربة من باب العمود – ومنه الى الشرق – مغارة كبيرة ؛ هي التي ذكرها مجير الدين ،فاسماها : (مغارة الكتان). واما الفرنجة فيسمونها : Cotton Grotto وقد اسماها قبلاً يوسيفوس : المقابر الملكية . وفي الاساطير انها تمتد (?) حتى الصخرة التي بني عليها عبد الملك بن مروان قبته . والحقيقة انها مغارة طبيعية تحت الارض ، وكانت فيما مضى عبارة عن محجر يقتطع منه السكان ما يحتاجون اليه من حجارة لمنازلهم .

كانت هناك ، حول السور ، ولا سيما عند (باب العمود) مبان ملاصقة للسور ؛ فهدمتها الحكومة (١٩١٩ – ١٩٢١) بايعاز من (جمعية محبي القدس) . وهي التي منعت البناء هناك وفي الاطراف الاخرى الملاصقة للسور .

٧ – **طقسها** : طقسها لطيف . وجوها صاف . وهواؤها عليل . انه من الهؤاء المعروف بـ : (هواء بحر الروم) . يهب عليها من البحر نسيم بليل ، فيلطف حرها في اشهر الصيف ، ويبرد هواءها في الليل . ويكثر فيها الندى ،فيتبلل به وجه الارض.

الربيع فيها والخريف معتدلان . تتراوح حرارة الصيف بين ٧٧ و ٨٦ بميزان فارنهايت . وقد ترتفع الى ١٠٠ ومتى ارتفعت صحبها هبوب ريح جافة من الشرق والجنوب . واما في فصل الشتاء فتتراوح درجة الحرارة بين ٤٥و٥٠ .

هواؤها ناشف ، الا عندما تهب الرياح القبلية ، وهي حارة ، فانه يكون خانقا .

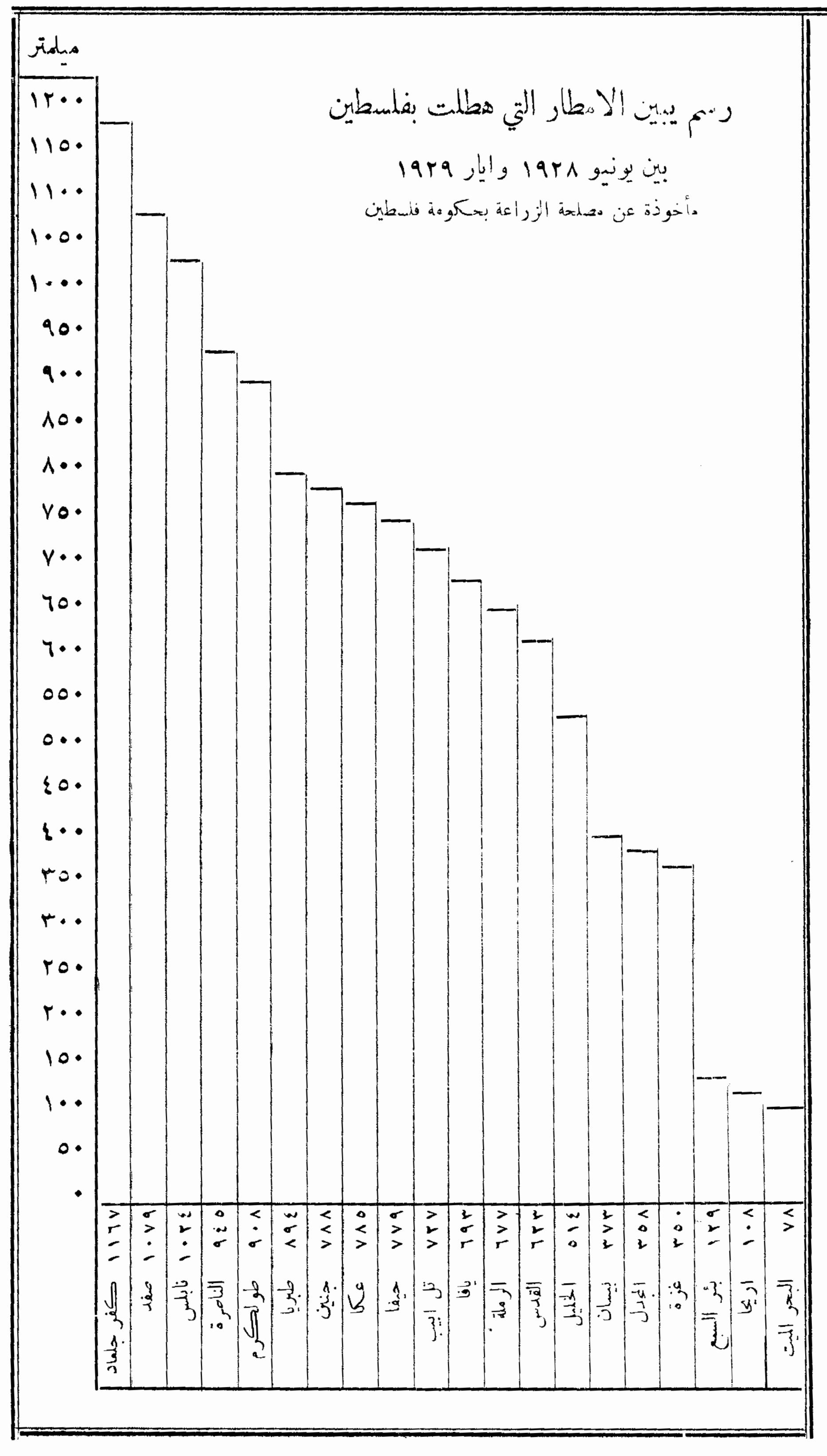
لا تهب الرياح الشمالية فيها الا نادرا . والطف الرياح هي التي تهب من الشمال الغربي . واما الرياح الشرقية فانها ، وان لم تكن كثيرة الهبوب ، الا انها بارده . واما الرياح الغربية فانها كثيرة الهبوب في فصل الشتاء . ويعقبها مطر في اكثر الاحيان . امطارها معتدلة ، ومتقطعة ؛ تظهر خلالها اشعة الشمس ، وتتبدد السحب . وعلى هذه الامطار يعتمد المقدسيون في شربهم وزراعتهم .

فصل الشتاء يستمر – في اغلب السنين – من شهر ديسمبر (كانون الاول) الى شهر مارس (آذار) . ويهطل الثلج في بعض السنين . الا انه لا يدوم طويلا .

٨ – **أمطارها ومياهها** : في الفصل الذي

اعددناه لـ (مياه القدس في التاريخ) احصينا كمية الامطـار التي هطلت في القدس في غضون المئة سنة الاخيرة (١٨٤٥ ـ ١٩٤٥) ومنه يفهم ان اقل كمية من المطر (٣١١ ميلمتر) هطلت عـام ١٩٢٥ . واكثرها (١٠٩١ ميلمتر) هطل عام ١٨٧٨ . وان المعدل الوسطى كان خلال الجيل المذكور ٦٢٠ ميلمترا.

ولنعطيك فكرة عن الامطـــار التي تهطل في القدس ونسبتها الى كمية الامطار التي تهطـــل في البلاد الفلسطينية الاخرى، نثبت فيما يلي رسما بيانيا اقتبسناه من تقوير رسمي مأخوذ عن ارقام جمعتهـا مصلحة الزراعة بفلسطين:



بعد هذا دعني احدثك: من اين تشرب القـدس ماءها في يومنا هـــذا (١٩٤٧):

تشربه من **عيــون سلوان** ، واني لذاكر منها:

عين ام الدرج تبعـد ثلاثمئة مـتراً عن الزاوية الجنوبيـة الشرقية لسور الحرم . وكانت هذه هي

المورد الوحيد الذي ورده قبلنا آباؤنا الاولون .

بركة سلوان قبلي عين ام الدرج وعلى بعد بضعة امتار منها . يعتقد انها هي البركة التي امر السيد المسيح الرجل الاعمى ان يغتسل فيها بعد ان طلى عينيه بالطين المصنوع من التفله ؛ فاغتسل ، وابصر .

البركة التحتانية الى الجنوب الشرقي من بركة سلوان وعلى بعد بضعة امتار منها . ويسمونها ايضاً : **البركة الحمراء** .

بئر ايوب وهي بئر كبيرة يتفجر الماء فيها في فصل المطر . تبعد عن البركة الحمراء زهاء الف قدم . ماؤها[1] اعذب من ماء عين ام الدرج .

عين اللوزة عند اتصال وادي ياصول بوادي النار ، وعلى بعد ٥٣٤ متراً من بئر ايوب الى الجنوب . يجري فيها الماء الفائض من بئر ايوب . وهو ماء عذب .

وتشرب القدس الماء من برك تتجمع فيها مياه الامطار . واني لذاكر منها :

بركة ماملا وهي اكبر البرك حجماً واقدمها عهداً . ولقد ساير تاريخها تاريخ المدينة كلها . ففي هذا المكان عسكر الاشوريون عندما هاجموا القدس (٧١٠ ق.م) . وفيه القى الفرس بجثث المسيحيين الذين قتلوهم (٦١٤ م) . وفيه دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين المسلمين اثناء الفتح الاسلامي (٦٣٦ م) . وفيه عسكر صلاح الدين يوم جاء ليسترد بيت المقدس من الصليبيين (١١٨٧) .

بركة حزقيا واقعة بين سويقة علون وحارة النصارى . ويسمونها ايضاً (بركة حارة النصارى) .

بركة السلطان غربي سور المدينة وعلى بعد مئة متر من السور . تراها الى يمينك اذا ما توجهت صوب البقعة ومحطة السكة الحديدية .

وتشرب القدس الماء ، بالاضافة الى العيون والبرك المتقدم ذكرها ، من آبار الجمع المحفورة في المنازل والبيوت داخل السور . وفي هذه الابار تتجمع مياه الامطار . واكاد اقول : انه ليس ثمة بيت من البيوت القديمة داخل السور ، الا وفيه بئر . ويسمونه احياناً : صهريج . وجمعه صهاريج .

وتشرب القدس ايضاً من عيون وينابيع واقعة في (وادي العروب) و (وادي البيار) و (البالوع) و (ارطاس) . هذه الينابيع واقعة على مقربة من الطريق التي تربط القدس بمدينة الخليل .

اما **وادي العروب** فانه يبعد عن القدس زهاء ٢٢ كيلومتراً وعن الخليل ١٤ كيلومتراً . فيه ثلاث عيون هي : **فريديس** و **عد المزرعة** و **الفوار**. وماء هذه العيون تنصب في بركة يسمونها : **الشط** .

وهناك في وادي العروب اربع عيون اخرى ؛ هي : **عين البص** و **عين البرادة** و **عين قوزيبا** و **عين الدلبة** . ان الماء الذي ينبع من هذه العيون وان كان لا ينصب في بركة الشط – بسبب انخفاضها – الا انه يلتقي بالماء الذي يسيل من تلك البركة ، وينساب كله في اتجاه واحد .

واما **وادي البيار** فانه من اراضي الخضر وعلى بعد ٨ كيلومترات من برك سليمان الى الجنوب .

---

(١) قال الاب ماسترمان Masterman في كتابه Bible World انه رأي عندها ، في عام ١٩٠٢ للميلاد ، مئة وعشرين دابة تنشل الماء منها في قرب مصنوعة من الجلد ، وتنقله الى القدس. وان هذا العمل تكرر طوال ذلك النهار وفي الليل ايضاً . وقال الدكتور بونار Bonar انه اسم اسلامي ، وانه يرجع بالاصل الى زمن صلاح الدين الايوبي في اوخر القرن السادس عشر للميلاد ، وانه هو الذي عمرها واطلق هذا الاسم عليها .

هناك خمسة ينابيع غزيرة ، ينبع الماء فيها في الصيف والشتاء . ويسيل في قناة اسمها : قناة وادي البيار .

اما الينابيع الخمسة الكائنة في وادي البيار ، فهي : **رجم السبيط وراس العد وعين فاغـــور وخربة القط وعين العصافير** .

واما **البالوعج** ويسمونه ايضا : عين الخضر . فهو واقع شرقي الخضر عند الكيلومتر ١٣ على طريق القدس –الخليل .

هذه الينابيع الكائنة في وادي العروب ووادي البيار والبالوع ، تصب ماءها في **برك سليمان** . ومن هذه البرك يخرج الماء ، ويلتقي بمياه عيون ارطاس ، وتسيل كلها في قناة واحدة ، الى ان تصل بيت لحم ، فالقدس .

اما عيون ارطاس فاربعة : **عين عطاف وعين الفروجة وعين صالح وعين البرك** .

واما **برك سليمان** فانها ثلاثة ، ويسمونها : **برك المرجيع** :

البركة الفوقا اعلى من سطح البحر ٧٩٧ متراً ونصف متر .

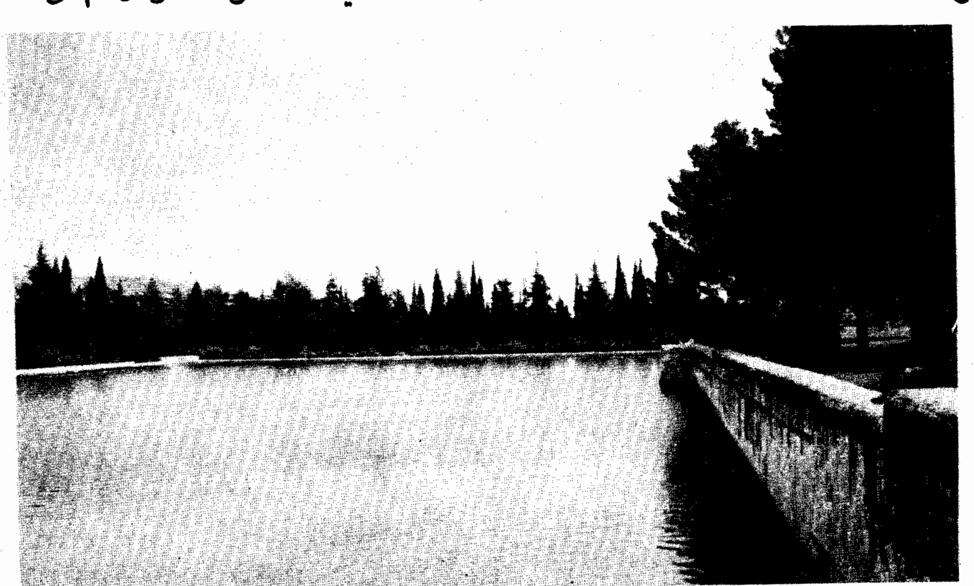
البركة الوسطى اعلى منه ٧٨٣ متراً وعشرين سانتيمترا .

والبركةالتحتا اعلى منه ٧٦٨ متراً .

واما **القناة** التي تسيل فيها الماء ، قبل وصوله الى القدس ، فانها قناة رومانية . وقد عمرت في العهود الاسلامية الفائتة مرارا . وكانوا يسمونها : **قناة السبيل** . وكان الماء الذي يصل الى القدس عن طريق هذه القناة ، ينصب في آبار حفرت في ارض الحرم ، وفي سبل أنشئت فيه وفيما حوله من احياء .

حتى هذهالبرك والعيون والآبار ، لم تكن كافية لتزويد القدس بحاجتها الى الماء . الامر الذي جعل المجلس البلدي يفكر في موارد اخرى . فسحب الماء من (عين فارة) .

كان ذلك في سنة ١٩٢٦ . وهي تبعد زهاء ١٤ كيلو مترا عن القدس،ومنهاالى الشمال الشرقي،



« برك سليمان »

ليست القدس وحدها هي التي تتزود بالماء من هذه العين . فان مدن وقرى ومؤسسات اخرى ايضاً تعيش من مائها . وانا لذاكرون منها : قرى الطور وعناتا وحزما والعيسوية وشعفاط والرام ومخماس وكفر عقب وقلندية وبيت حنينا ومدينتي رام الله والبيرة وبعض القرى التابعة لهما .

وفي عام ١٩٣١ راحت القدس تتزود بالماء من **عين الفوار** ايضا . وهي واقعة على بعد ٦ كيلو مترات من عين فارة الى الشرق . وكذلك قل عن **عين القلط** الواقعة في الوادي نفسه . فقد تزودت القدس بالماء من هذه العين في سنة ١٩٣٤ .

ولما تم مشروع **راس العين** في السنة التي تلتها (١٩٣٥) وراحت القدس تتزود بالماء منها . اهملت مياه عين الفوار وعين القلط . وراحت تعتمد على مياه راس العين . واحتفظت بعين فارة لحين الحاجة .

انها في السهل الواقع بين القدس واللد باتجاه البحر . **تبعد عن القدس ٣٧ ميلا وهي منها الى الشمال الغربي . وقد سحب ماءها الى القدس في مطلع عام ١٩٣٥ .**

ماؤها عذب وغزير ، ينبع منها في الساعة الواحدة ما يزيد على مئة الف غالون . ويجري منها الماء في انابيب قطرها ١٨ بوصة . وطولها ٦٠ كيلو مترا . وهي مصنوعة من الحديد والفولاذ . وهناك اربع محطات للضخ بين راس العين والقدس : راس العين واللطرون وباب الواد وسريس وفي كل محطة ثلاثة مضخات كبيرة ، قوة كل واحدة منها ٣٦٠ حصانا . وعند راس النبع مصفاة لتصفية الماء . فيصل القدس ماءاً قراحا .

٩ – **جبالها واوديتها :** كانوا فيما مضى يقولون انها قائمة على خمسة تلال هي موريا[1] . اوفل[2] صهيون[3] . عكرة[4] . بيزيتا[5] . واما اليوم ، وقد اتسعت القدس من جميع النواحي ، فجبالها وتلالها اكثر مما كانت عليه في الماضي . ولئن ضربنا صفحاً عن ذكرها كلها ، فانه لا بد لنا من الاشارة بوجه خاص الى : الطور ، وسقوبس ، والمكبر ، وجبل صهيون ، والقطمون ، ووعر الضبع .

واليك بعض المعلومات عن هذه الجبال والتلال :

جبل الطور : ومن اسمائه (طور زيتا) و (جبل الزيتون) . واقع شرقي القدس . وهو أعلى منها بـ ١٩٧ قدماً . تاريخه متصل كل الاتصال بتاريخ المدينة . انه ، من الناحية الاستراتيجية ، بمثابة الروح من الجسد .

فيه حطت جيوش الرومان رحلها يوم جاءت لفتح القدس بقيادة تيطس . وفيه عسكر المسلمون يوم جاءوا لفتحها . وكذلك فعلت جيوش الامم التي هبطت هذه المدينة من قبل ومن بعد .

عندما غادر داود اورشليم بسبب الثورة التي اشعل نارها ولده ابشالوم حوالي ١٠٤٩ قبل الميلاد أمّ جبل الزيتون . وفيما كان يصعد نحو القمة من سفحه الغربي التفت الى اورشلم والقى عليها نظرته الاخيرة . فراح يبكي .

وكذلك فعل عيسى من بعده (٣٠ ب . م) فانه كان يتردد الى هذا الجبل مع تلاميذه . وعندما

(١) الاكمة التي يقوم عليها الحرم القدسي .
(٢) السفح المطل على قرية سلوان من ناحية الحرم .
(٣) التل المطل على بركة السلطان من الغرب وقرية سلوان من الشرق . والذي يقوم عليه حي النبي داود في الوقت الحاضر .
(٤) حارة النصارى والسوق الجديد .
(٥) باب حطه وباب العمود وما حولها .

شعر بان اليهود ينوون ان يغدروا به غادر المدينة متجهاً نحوه . وفيما كان ينقل خطاه في سفحه الغربي التفت الى اورشليم التي اقصته عنها . وخاطبها قائلاً : « يا اورشليم ! يا اورشليم ! يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين ! كم مرة اردت ان اجمع اولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها . ولم تريدوا . . . » .

والاعتقاد سائد بين المسيحيين بان السيد المسيح صعد من هناك الى السماء . وقد بنت الملكة هيلانة فوقه الكنيسة المعروفة بـ : (كنيسة الصعود) . وللنصارى على هذا الجبل في يومنا هذا عدة كنائس وأديار . اعني بذلك الارمن والروم واللاتين والروس والالمان .

انه مقدس في نظر المسلمين . وهو احد الجبال التي ورد ذكرها في القرآن . اذ قال الله سبحانه وتعالى : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين[١] » .

ومن الاسباب التي رفعته الى درجة التقديس ؛ ان الجيش الاسلامي كان معسكراً فيه عندما جاء لاحتلال بيت المقدس . وفيه اقام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وفيه دفن جماعة من شهداء المسلمين في الفتحين ، العمري والصلاحي ، منهم الصحابي المشهور سلمان الفارسي . ولما قدمت صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس صعدت عليه وصلت به . وفيه دفنت (رابعة العدوية) المشهورة بام الخير .

وكانت اشجار الزيتون تغطيه في سالف الازمان . الا أن الجراد وبني آدم قد أتوا على هذه الاشجار .

(١) روي عن ابي هريرة انه قال : (التين مسجد دمشق ، والزيتون طورزيتا عند بيت المقدس ، وطورسينين حيث كلم الله موسى ، وهذا البلد الامين مكة) .

وهناك ، بين القدس وجبل الزيتون ، واد عميق يسميه الفرنجة : (وادي قدرون) واليهود (وادي يهوشافاط) والعرب المسيحيون (وادي ستنا مريم) والعرب المسلمون (وادي جهنم) و (وادي النار) و (وادي سلوان) و (الواد الاسود) .

انه واد طويل . طوله زهاء ثلاثة كيلو مترات. يبدأ بالقرب من حي الشيخ جراح . وينتهي عند (وادي الربابة[١]) قبلي بركة سلوان . والسبب في نسبته الى جهنم ان الناس كانوا يعتقدون ان الصراط في يوم القيامة سينصب فوقه : من جبل الطور في الشرق الى سور الحرم في الغرب . ويعتقدون ايضاً انه تكون عندما « زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض اثقالها ، وقال الانسان مالها ، بان ربك اوحى لها . . » الى آخر ما جاء في الآية . وفي هذا الوادي نفسه وعلى سفح جبل الزيتون من ناحية الجنوب مقابر اليهود . والارض التي تقوم عليها هذه المقابر هي وقف للمسلمين . وفيه ايضاً قبور المسلمين.

جبل سقوبس : جبل واقع في شمال المدينة ومتصل بجبل الزيتون . لا ، بل انه معتبر كجزء منه . يسميه المقدسيون : (المشهد). وله اسماء اخرى منها : الصوانة ، وراس المشارف. عسكرت فيه اكثر الجيوش التي جاءت لفتح المدينة . وفيه مقبرة الجنود الانكليز الذين لاقوا حتفهم عند احتلالها في الحرب الكونية الاولى (١٩١٧) . وعليه تقوم الجامعة العبرية ومستشفى (هداسا) اليهودي.

(١) يمتد هذا الوادي من مكان بالقرب من ماملا الى بركة السلطان ، ومنها ينحدر باتجاه قبلي المدينة حيث يفصل بين تل صهيون وجبل المكبر ، وفي نقطة وراء بركة سلوان يلتقي بوادي سلوان. ومن اسمائه (وادي حنوم). وكان اليهود فيما مضى يذبحون اطفالهم فيه ، ويقدمونهم قرابين للآلهة . واصبح مع الزمان مزبلة المدينة . وفيه قبور منحوتة في الصخر .

بينه وبين المدينة من الناحية الشمالية الشرقية واد غير عميق يسمونه : (وادي الجوز) . وفي هذا الوادي ، وعلى سفوح هذا الجبل يقوم عدد كبير من منازل المسلمين .

جبل المكبر : جبل مرتفع كائن قبلي المدينة والى الشرق من محطة السكة الحديدية . يفصل بينه وبين جبل الطور وادي سلوان ، وبينه وبين جبل صهيون وادي الربابة .

كانوا فيما مضى يسمونه : (جبل المؤامرة) و (جبل المشورة الفاسدة) . ويعتقد البعض انه كانت تقوم عليه دار المجمع المعروف بـ (السنهدريم) . تلك الدار التي قابل فيها يهوذا الاسخريوطي رؤساء الكهنة وقواد الجند ، واتفق معهم على تسليم السيد المسيح . وقيل ايضاً ان قصر قيافا رئيس الكهنة كان فوق هذا الجبل . وفيه اجتمع الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي لأجل التآمر على صلب المسيح .

وبجانبه هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد الاسلامي المعروف بـ :(ابي ثور) . ومن هنا جاء اسم الحي الذي يقوم على هذه الهضبة : حي ابي ثور . والاسم الآخر لهذا الجبل : جبل الثوري .

واما (ابو ثور) الذي ينسب اليه هذا الجبل والحي الذي يقوم عليه ، فانه من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح بيت المقدس مع صلاح الدين .

ذكره مجير الدين[1] والسيد على المرتضي[2] والرحالة الاسلامي مصطفى اللقمي[3] وعدد آخر من المؤرخين المسلمين . قالوا عنه ما خلاصته : « ان الشيخ الامام الزاهد العابد المجاهد شهاب الدين ابو العباس احمد

(١) الانس الجليل ص ٤١٠ .

(٢) بحر الانساب في الديار القدسية ص ٧٠ و ٧١ .

(٣) سوانح الانس في رحلتي لوادي القدس . مخطوط ص ١٧٦ .

ابن جمال الدين ابو عبد الله بن عبد الجبار المعروف بالقرشي والمشهور بابي ثور . حضر فتح بيت المقدس مع الملك الناصر صلاح الدين . وكان يركب ثوراً . ويقاتل عليه . فسمي بابي ثور » .

وقد وقف عليه الملك العزيز ، ابو الفتح عثمان ابن الملك صلاح الدين القرية التي بالقرب من باب الخليل . وهي قرية صغيرة من بناء الروم . كانت تعرف فيما مضى بدير مار بغوص . وتعرف الآن بدير ابي ثور . ووقف العزيز عليه ايضاً[1] اراضي القمرة الشرقية والغربية واراضي خربة بيت سمره المجاورة للقرية المذكورة .

بنى الروم على جبل المكبر كنيسة (١٨٧٤) باسم القديس برفريوس .

وبنى الانكليز عليه ، في عهد الاحتلال ، دارا اتخذوها مقراً للمندوب السامي . كما بنوا عليه الكلية العربية .

جبل صهيون : كان الناس كلهم ، حتى اواسط القرن التاسع عشر ، يعتقدون ان صهيون اليبوسية التي بنى داود بعدئذ مدينته على انقاضها ، كانت تقوم على التل الواقع قبلي القدس الحالية الى الغرب . ولكن كثيراً من العلماء راحوا ، بعد ذلك التاريخ ، يشكون فيما اذا كان هذا القول يطابق الواقع . وتأسست في الاعوام الاخيرة (١٨٩٢) نظرية تقول ان صهيون واقعة على جبل اوفل قبلي منطقة الحرم . وهو الذي نسميه الآن بالظهورة ونعتبره جزءاً من سلوان .

وعندي انه ليس في أي من هذين القولين ما يناقض الآخر . وان هذا الاسم يشمل المرتفع الذي

(١) اقتبسنا هذه المعلومات من حكم صدر من المحكمة الشرعية بالقدس بتاريخ ١٢٢١ هـ - ١٨٠٦ م وبتوقيع القاضي السيد احمد نجيب .

يمتد من الظهورة في الشرق حتى الاكمة المطلة على بركة السلطان في الغرب .

وعلى هـذا المرتفع يقوم الآن الحي الاسلامي المعروف بحي النبي داود . ومدرسة صهيون الانكليزية التي اسسها المطران (غوبات) . وكنيسة نياحة العذراء (دورميثيون) للالمان - الكاثوليك . وكثير من المقابر المسيحية .

القطمون : من التلال التي تقوم عليها منازل الحي الجديد . وهو واقع غربي المدينة الى الجنوب . وهناك بينه وبين محطة السكة الحديدية سهل فسيح يسمى (البقعة) . كان هذا السهل فيما مضى خالياً من البنيان في جانب من جوانبه الكروم والبساتين ، وفي الجانب الآخر مسارح الغزلان .

ذكره اللقمي[1] ، فقال : « ان الشيخ الخليلي كان يسكنه يومئذ . وله فيه رياض . وكان بهذا الوادي قصور وبساتين محتها الايام ، فلم يبق منها سوى الاخبار :

قفا بي على الوادي المقدس برهة
لاندب اطلالا وهت وقصورا
ولا تعذلاني ان بكيت تأسفاً
فقد اورثتني قبل ذاك سرورا
سقى الله منها معهداً قد نزلته
فرأت به للعازفين سطورا

ظلت (البقعة) خالية من العمران والسكان الى ان انشىء الخط الحديدي بين القدس ويافا (١٨٩٢) . حتى ان الشركة التي تولت انشاء هذا الخط كانت تدفع الى مشايخ المالحة وباقي قرى بني حسن المجاورة لها مبلغاً من المال يسمونه : (الخاوة) . وبعد ان تم انشاء الخط بدأ العمران ، وكثرت المنازل وانتشر السكان في ذلك المكان . وها هي تلك البقعة الممتدة من المحطة في الشرق الى القطمون في الغرب معتبرة من اجمل بقاع المدينة واعمرها .

وعر الضبع : هو احد المرتفعات التي تقوم عليها مدينة القدس في يومنا هذا . وهو كائن الى الشمال الغربي من المدينة . ويسميه البعض : (وعر اللفاتوه) . لانه مطل على قرية لفتا ؛ لا ، بل انه جزء من اراضيها . عليه تقوم مدرسة شنلر وكثير من الاحياء الجديدة . بينه وبين قرية شعفاط وادعميق يسمونه : (وادي لفتا) . وهو الذي يحد المدينة من ناحيتها الشمالية الغربية .

١٠ - **ابنيتها** : جميلة للغاية . كلها من الحجر الصلب . سقوفها في المدينة القديمة مقصورة بالحجارة واما في المدينة الحديثة فبالاسمنت المسلح . وهناك ، حول القدس ، الحجر الكلسي الاعتيادي . واستعماله شائع في صناعة البناء . وهو ذات اهمية اقتصادية[1] لا يستهان بها . والحجر الكلسي المتبلور الذي يمكن صقله واستعماله في هذه الصناعة . وهو مختلف الالوان . فمنه الاصفر والأخضر والاحمر . وهذا الاخير شائع وكثير الاستعمال في صناعة البناء . وليس في مدن سوريا وفلسطين مدينة كالقدس تستطيع ان تتباهي بمبانيها الجميلة المتقنة التي تجمع بين الذوق الجميل والفن الهندسي العربي القديم وبين مطالب العصر الحديث .

١١ - **طرقها** : في المدينة نفسها طرق عديدة ، طولها ١٤٦ كيلومتراً . منها ٩٦ كيلومتراً معبدا ومرصوفاً بالاسفلت . والباقي وقدره ٥٠ كيلومترا غير معبد ولا مرصوف .

وهناك طرق كثيرة تربط مدينة القدس بالمدن

(١) (سوانح الانس) ص ١٧٦ .

(١) (النظام الاقتصادي في فلسطين) لنجيب حمادة ص ٨١ .

المجاورة : منها طريق القدس – يافا[١] وطريق القدس – نابلس[٢] وطريق القدس – اريحا .

وفيها محطة للسكة الحديدية[٣] ، تربطها بمدينة يافا .

وبلغت نفقات الحكومة في صيانة الطرق والمباني والاشغال الحكومية في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنوات الانتداب (١٩٤٧/٤٨) ٩١٦ر٨٠٠ جنيهاً فلسطينياً . واما موظفو دائرة الاشغال هذه ، فقد بلغت رواتبهم في تلك السنة ٣٥٣ر٥٦٦ جنيهاً .

١٢ – **حدائقها** : في القدس اربع عشرة حديقة وميدان من الحدائق والميادين العامة . مجموع مساحتها معا سبعة وسبعون دونماً . وكلها خارج السور .

ومن هذه الحدائق : (حديقة المنشية) على طريق القدس – يافا وعلى بعد بضعة امتار من عمارة المسكوبية والى الجنوب منها . انها هي الحديقة الوحيدة التي كانت في القدس في العهد التركي . و (حديقة البلدية) على بعد كيلومتر واحد من مقام الشيخ جراح والى الغرب منه . و (حديقة الحيوانات) وهي ملاصقة لحديقة البلدية . وهناك (حديقة عامة) اسسها اليهود في حي الراتيزبون (١٩٤٥) .

١٣ – **ملاهيها** : ان القدس التي قامت وقعدت في زمن من الازمان من اجل (القهوة) والتي قضى علماؤها اياماً طوالا يتناقشون[١] فيما اذا كان هذا المشروب الجديد حلالا ام حراما ، تعج في يومنا هذا لا بالمقاهي فحسب ، بل والحانات التي تباع فيها جميع انواع الكحول والمسكرات ، والتي يجري في جنباتها جميع ضروب اللهو والمنكرات ، من جميع الاجناس والشعوب والاديان .

وفي القدس ثماني دور للصور المتحركة (**السينما**) هي : اديسون ، والشرق ، وصهيون ، وعدن ، وركس ، وريجنت ، وستوديو ، وتل اور ؛ هذا عدا الصالة الكبيرة التي تعرض فيها الصور المتحركة احيانا في بناية جمعية الشبان المسيحية .

١٤ – **محطات الاذاعة** : فيها محطتان للاذاعة : واحدة باسم محطة القدس للاذاعة الفلسطينية ، والثانية باسم (محطة الشرق الادنى) . اما المحطة الاولى فقد انشأتها الحكومة في آذار ١٩٣٦ وكانت تابعة لمصلحة البرق والبريد العامة . الا انها فصلت عنها في عام ١٩٤٥ .

كانت في باديء الامر محطة صغيرة يديرها عدد قليل من الموظفين ، في غرفتين من غرف (فندق بالاس) من املاك الوقف في شارع ماملا . ثم اتسعت في اوائل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) . وانتقلت الى دار استأجرتها من الاحباش في الشارع

---

(١) انشئت لاول مرة سنة ١٢٨٤ للهجرة – ١٨٦٧ م .

(٢) بدأ الاتراك في انشائها سنة ١٩٠٣ وانتهوا منها سنة ١٩٠٧ ولم يكن ثمة طريق معبدة قبل ذلك التاريخ .

(٣) كان اول تخطيط لهذه السكة في سنة ١٨٦٤ قدمه الدكتور زاميل الامير كي الالماني . ومنح امتياز هذا الخط الى يوسف نافون افندي في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٨ لمدة ٧١ سنة . وقد باع صاحب هذا الامتياز امتيازه من شركة الخطوط الحديدية العثمانية ليافا – القدس وتمديداتها الافرنسية المؤسسة في باريز في شهر كانون الاول سنة ١٨٨٩ بمبلغ مليون فرنك . بوشر بانشاء الخط في نيسان ١٨٨٩ واستغرق العمل ست سنوات . وانتهى في ايلول سنة ١٨٩٢ . طوله ٨٧ كيلو متراً . وهو خط ضيق منفرد . وعرضه متر . يجتاز ١٧٦ جسرا ، سبعة منها حديدية .

(١) عثر المرحوم الشيخ خليل افندي الخالدي ، بين اوراق المحكمة الشرعية ، على ورقة جاء فيها ذكر هذا النقاش الذي انتهى بانتصار رأي المفتي الذي افتى بعدم حرمانية القهوة رغم التخدير البسيط الذي تحدثه لانها زرعت في اليمن وشربت فيها وفي الحجاز .

المعروف بشارع (الملكة مليسنده) . وفيها الآن تسع غرف للاذاعة وخمس للاعمال الهندسية . وتذاع الاخبار والاحاديث عشر ساعات ونصف ساعة من كل يوم : اربع ساعات ونصف باللغة العربية ، وثلاث ساعات ونصف باللغة العبرية ، وساعتان ونصف باللغة الانكليزية . .

تنقل الاصوات من هذه المحطة الى رام الله . ومنها توزع في الفضاء بواسطة محطة اقيمت لهذه الغاية على بعد بضعة امتار من دار الحكومة الى الشمال ، وعلى الطريق المؤدية الى بئر زيت . واما مدير الاذاعة فهو انكليزي[١] . وكذلك قل عن كبار موظفيها . الا المذيعين وبعض صغار الموظفين ، فانهم عرب ويهود .

وفي فلسطين كلها اليوم ٥٨٫٠٠٠ آلة راديو . وكان هذا العدد في سنة ١٩٣٦ عشرين الفا وخمسماية تقاضت الحكومة عنها رسوماً بلغت مئة الف جنيه في السنة . ولقد كلفت محطة الاذاعة هذه الحكومة في آخر سنة من سنوات الانتداب (١٩٤٧/٤٨) ١٩٣٫٤٣٣ جنيهاً . منها ٥٤٫٠٣٨ جنيهاً رواتب للموظفين ، والباقي لشراء الآلات والادوات .

١٥ — مدارسها : في القدس ٢٠٥ مدارس لمختلف الاجناس والعناصر والاديان . وفيما يلي أسماؤها وأسماء الطوائف التي تمتلكها ؛ وقد اقتبست ذلك من سجلات مصلحة التربية والتعليم الحكومية بتاريخ ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥م .

فيها سبع **مدارس اسلامية خصوصية** ؛ هي :

(١) انه المستر ادوين صموئيل Edvin Samuel ابن المندوب السامي الاول ؛ وهو ايضاً ، كابيه ، يهودي وصهيوني صميم .

دار الايتام الاسلامية[١] . مدرسة البنات الاسلامية . كلية روضة المعارف الوطنية[٢] . الكلية الابراهيمية[٣] . المدرسة المحمدية . مدرسة الفلاح . مدرسة الحكمة .

وفيها احدى عشرة **مدرسة حكومية عربية (اسلامية ومسيحية)** ؛ هي :

(١) أسس هذه الدار المجلس الاسلامي الاعلى برئاسة المفتي الحاج امين الحسيني . وكان ذلك حوالي سنة ١٩٢١ . ويتعلم ايتام المسلمين فيها النجارة والطباعة والحدادة وتجليد الكتب وصنع الاحذية والخياطة والحفر والزخرفة والاعمال الكهربائية والميكانيكية وصناعة القش والكراسي وصنع المكانس والحصر . هذا لاضافة الى مبادىء القراءة والكتابة والحساب . وينفق عليها المجلس الاسلامي من مال الوقف .

(٢) تأسست سنة ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٦ م . ومؤسسوها الشيخ محمد الصالح والشيخ حسن ابو السعود واسحق درويش وعبد اللطيف الحسيني. فيها قسم ابتدائي ، وآخر استعدادي وثالث علمي . ولها مكتبة ومجلة وجمعية للطلاب . وفيها فرق متعددة للكشافة . وخريجوها يقبلون في المعاهد العلمية بسوريا ولبنان ومصر وتركيا . يؤازرها المجلس الاسلامي الاعلى . فيها قسم داخلي . وبعد ان كان عدد طلابها في القسم الخارجي ، عام ١٩١٨ ، ٧٢ وفي الداخلي ١٧ . اصبح هذا العدد ، عام ١٩٣٨ ، في الخارجي ٢٣٧ وفي الداخلي ٧٠ وانخفض هذان العددان الى ١٤٥ و ٥٠ خلال الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) . شعارها (العلم العربي) . ولغة التعليم فيها لغة الضاد . وتعنى العناية كلها بانماء الروح الوطنية من ناحية قومية بحته .

(٣) اسست هذه الكلية عام ١٩٣١ . كانت في حي المصرارة وهي الان في حي باب الساهرة . ومؤسسوها الشيخ راشد القاسمي والشيخ عز الدين الشريف وابراهيم عبد المعطي بدر . ثم انسحب الشيخ عز الدين وحل مكانه نهاد ابو غربية . وهو اليوم صاحبها ومديرها المسؤول . وقد اضيف اليها ، عام ١٩٣٧ ، قسم داخلي . كانت ابتدائية ، واصبحت عام ١٩٤١ ، ثانوية . وطلابها يقبلون في الفحوص المعروفة بالمترك . وبين اساتذتها عدد غير قليل من خريجي الجامعات ومن دار العلوم . وبعد ان كان فيها ، عام ١٩٣١ خمسون طالبا اصبح فيها عام ١٩٤٤ خمسمئة طالب ، منهم خمسة وستون داخليا .

الكلية العربية . دار المعلمات . المدرسة البكرية . مدرسة المصراره . المدرسة العمرية . الكلية الرشيدية[١] . مدرسة الشيخ جراح . المدرسة العلوية . مدرسة البقعة . المأمونية[٢] القديمة . المأمونية الجديدة .

وفيها اربعون **مدرسة مسيحية خصوصية** ؛ هي : المدرسة الاستعدادية للروم الارثوذكس . المدرسة الارثوذكسية للبنات . مدرسة السريان الارثوذكس . مدرسة الأرمن الابتدائية . كلية اللاهوت الارمنية . مدرسة تراسانطة للبنين . مدرسة تراسانطة للبنات . ميتم تراسانطة للبنين . ميتم تراسانطة للبنات . كلية تراسانطة[٣] . مدرسة الفرير للبنين . كلية الفرير[٤] . مدرسة ماريوسف . ميتم نوتردام دوسيون . مدرسة نوتردام دوسيون . مدرسة الارسالية الفرنسية . المدرسة الساليزية . كلية شميت الالمانية للبنات . مدرسة سان جورج الانكليزية . كلية البنات الانكليزية[١] . مدرسة صهيون[٢] . مدرسة كنيسة يسوع للبنات . المدرسة السويدية . مدرسة الأرمن البروتستنت . بستان الروم للاطفال . المدرسة الارثوذكسية الوطنية . مدرسة الارمن الكاثوليك . مدرسة سيدة صهيون الانكليزية . مدرسة الجالية الانكليزية . مدرسة الأمة . كلية النهضة . مدرسة الشفقة . المدرسة الاسقفية . دار الايتام السورية (شنللر) . الكلية الاكليركية (الصلاحية) . كلية التجارة والمحاسبة . المعهد الوطني لفن التجارة واللغات[٣] . المعهد العالي للادارة والسياسة والاقتصاد[٤] .

---

(١) في هذه التسمية قولان : قول بانها سميت (الرشيدية) لانها بنيت على يد متصرف القدس رشيد بك (١٩٠٦ م) في زمن السلطان عبد الحميد ، وهذا هو الارجح . وآخر يقول انها بنيت في زمن السلطان محمد رشاد (١٩٠٨م) . ولكنهم حرفوها ، ونسبوها الى (هارون الرشيد) خطأ .

(٢) هكذا يسميها المقدسيون ، وينسبونها الى الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد . وفي اعتقادي ان هذه التسمية مغلوطة . وان الاصل فيها (الميمونية) نسبة الى الامير فارس الدين ابي سعيد ميمون بن عبد الله القصري خازن الملك صلاح الدين . وهو الذي وقفها في جمادي الاولى سنة ٥٩٣ هـ — ١١٩٦ م . اقرأ ما كتبته عن هذه المدرسة في الفصل الذي خصصته لـ (مدارس القدس القديمة) .

(٣) بناؤها شيد من قبل (جمعية القديس بولس) الميلانية عام ١٩٢٦ . وهو واقع بين الطالبية ورحافيا غربي المدينة . والمدرسة افتتحت في عام ١٩٢٩ . فاحيلت البناية عامئذ للفرنسيسيين . ووضعت المدرسة تحت رعاية جمعية (حراسة الارض المقدسة) الفرنسيسية .

(٤) College des Freres اسست سنة ١٨٩٢ على عهد بطريرك اللاتين (يوسف فاليرغا) . فيها ٧٥٠ طالبا كلهم مسيحيون ، خلا اربعين تلميذا فانهم مسلمون . تدرس فيها اللغات الثلاثة : الافرنسية ، والعربية ، والانكليزية . وفيها مكتبة قيمة .

(١) اسست هذه عام ١٩٢٠ وفي زمن المطران ماكنز Bishop Rennie Mac Innes وقد عمل على تأسيسها كل من جمعية التبشير المسيحية C. M. S. وجمعية يهود لندن L. J. S. والمجمع الكنائسي الوطني بفلسطين P. N. C. C. .

(٢) واقعة وراء الزاوية الغربية القبلية من السور ، وعلى بعد بضعة امتار منه الى الجنوب . وهي مبنية على اساسات من كانت تقوم عليها فيما مضى الابراج ... التي بنيت على عهد اليبوسيين . اسس هذه المدرسة المطران صموئيل غوبات الذي كان مطرانا للانكليز بالقدس من عام ١٨٤٦ الى ١٨٧٩ ولذلك تدعى : مدرسة المطران غوبات Bishop Gobat's School .

(٣) أسسه يوسف نعواس (١٩٤٠) . وله ثلاثة فروع في القدس ويافا وحيفا . يرتاده التجار والموظفون .

(٤) اسسه موسى ناصر من بئر زيت (١٩٤٦) . وغايته اعداد اشخاص يصلحون لقيادة الشعب من النواحي الفكرية والسياسية والتجارية والصناعية . ويحتوي منهاجه على قسم كبير من دروس القانون . ويشتمل على ما يحتاج اليه الانسان من صفات في الاعمال الحرة والوظائف الحكومية . مدة الدراسة فيه اربع سنوات . وهو يرمي الى ايصال طلابه الى درجة يحصلون معها على شهادات علمية من درجة (بكالوريوس علوم في الادارة العامة) .

وفي القدس ٢٧ **مدرسة يهودية عمومية** تشرف عليها الوكالة اليهودية ؛ وهي :

مدرسة عيروني الابتدائية . مدرسة . تحكموني الابتدائية . المدرسة العبرية للبنات (وهي ذات ثلاث شعب). مدرسة بيت هاكيرم الابتدائية. مدرسة تل بيوت الابتدائية . مدرسة رحافيا الابتدائية . مدرسة شقولي الابتدائية . مدرسة صوقولوف الابتدائية . كتاب الاولاد المزراحيين . كتاب الاولاد السفرادين . كتاب البنات المزراحيات (وهو ذو شعبتين) . مدرسة رحافيا للبنات . كتاب بيت مناحيم . كتاب ابناء اليمن . مدرسة دورش صهيون . مدرسة العمال . المدرسة البلدية الابتدائية . مدرسة بيت هاكرم الثانوية . مدرسة (بغروت) الإستعدادية . مدرسة (معلى) الثانوية . دار التربية . دار التعليم العبرية . دار المعلمين المزراحيين . دار المعلمات المزراحيات . مدرسة (اليس سالزبرغ) . مدرسة رفقة صوماخ .مدرسة بصاليل الصناعية . وفيها تسعة **بساتين اطفال** لليهود في كل من : زكرون موشه . يمين موشه . مذكرت موشه . محنة يهودا . شمعون صادق .جبعات شاؤل. بيت هايلد . كرن ابراهام .

وفيها عشر **مدارس يهودية خصوصية** ؛ هي : مدرسة افلينادي روتشيلد . مدرسة آلوما الثانوية. مدرسة هوريف . مدرسة الاتحاد الاسرائيلي . مدرسة الحقل الزراعي .المدرسة اليهودية . المدرسة التجارية . دار المعلمات . دار الفنون . المدرسة الزراعية للبنات .

هذا بالاضافة الى ١٩ مدرسة ابتدائية خصوصية تملكها مؤسسات يهودية مختلفة . وكذلك قل عن ٥ مدارس ثانوية . ودارين لتمرين المعلمات . وست دور للايتام . و ٣٣ داراً لتعليم التلمود . و ٣٥ بستاناً للاطفال . جميعها خصوصية .

واليك فيما يلي مجموع عدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات في المدارس المتقدم ذكرها :

العدد		طالب	طالبة	معلم	معلمة
٧	المدارس الاسلامية الخصوصية	١١٠١	٢٨٠	٤٦	١٤
١١	المدارس العربية الحكومية	١٩٠٠	١٨٦١	٦٨	٥٧
٣٨	المدارس المسيحية الخصوصية	٤٣١١	٣٥٥٣	١٩٣	٢٦٩
٣٠	المدارس اليهودية العمومية	٤٠٤٣	٥١٨٨	٢٧٧	٢٠٣
٦٩	المدارس اليهودية الخصوصية	٦٦٣٠	٥٣٩٥	٣٦٢	٣٠٧
١٥٥		١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠

وبعبارة اخرى :

	الطلاب	الطالبات	المعلمون	المعلمات
المسلمون	٣٥٠٢	٢٣٠٧	١٠٧	٥٣
المسيحيون	٣٤١٦	٣٠٩٨	٢٠٠	٢٨٧
اليهود	١١٠٦٧	١٠٨٧٢	٦٣٩	٥١٠
	١٧٩٨٥	١٦٢٧٧	٩٤٦	٨٥٠

وفي القدس جامعة لليهود هي : **الجامعة العبرية**) . انها واقعة على جبل الزيتون . وتعد من اعظم المؤسسات الثقافية اليهودية في الشرق .

إن أول من فكّر في تأسيسها هو الدكتور (هرمان شابيرا) Dr. Hermann Schapira استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرغ بالمانيا . يوم نشر في الصحف ، بين عامي ١٨٨٢ و ١٨٨٤ ، سلسلة مقالات دعا اليهود فيها الى اقامة جامعة تحفظ تراثهم العلمي والادبي القديم ، وتسهم في نهضتهم العلمية الحديثة .

وأبدى الدكتور شابيرا رأيه هذا للمؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ ، ولكن آراءه بقيت عند حد القول .

وفي عام ١٩٠١ حاول الدكتور وايزمان ان يقنع المؤتمر الصهيوني الخامس ، كي يقوم بدراسة دقيقة ليقرر فيما اذا كان بالامكان تأسيس جامعة يهودية . ولكن الدكتور هرتسل لم يضع هذا الاقتراح للتصويت . بل اكتفى بان وعد ان يدرس المسألة في اجتماع المجلس الصهيوني العام .

وفي عام ١٩٠٢ استأنف الدكتور وايزمن مساعيه ، واسس في جنيف مكتبا غايته السعي لايجاد مؤسسة للدراسات العالية . ونشر بيانا بالاشتراك مع الدكتور مارتين بوبر والدكتور برثولد فايول . وفي شهر مايو من نفس السنة رفع الدكتور هرتسل عريضة للسلطان يطلب فيها السماح لليهود بتأسيس جامعة بالقدس .

ولكن السلطان رفض طلب الدكتور هرتسل بتأسيس جامعة في القدس . وفي عام ١٩١٣ اقر المؤتمر الصهيوني الحادي عشر الخطة المرسومة لاجل تأسيس جامعة يهودية . وكان ذلك بناء على طلب قدمه الى المؤتمر الدكتور اوسيشكن ، وعاضده في ذلك الدكتور حاييم وايزمان .

فابتاع اليهود ، في تلك السنة (١٩١٣) ، الارض التي يقوم عليها بناء الجامعة . وفي ٢٤ تموز سنة ١٩١٨ وضع الدكتور وايزمان الحجر الاساسي للبناء . وفي اول نيسان ١٩٢٥ تم تدشين الجامعة .

هذا ولا بد لنا من القول : ان الحكومة لا تسيطر على شؤون التعليم ، لا في هذه الجامعة ، ولا في المدارس اليهودية الاخرى ، سيطرتها على شؤون التعليم في المدارس العربية . ذلك لان المدارس اليهودية تسيطر عليها المنظمات اليهودية ، وفي مقدمتها الوكالة اليهودية . وقد نجحت هذه الوكالة في الحصول على (حصة اليهود) من المبالغ التي تخصصها الحكومة للتعليم في موازنتها السنوية . فراحت تدير مدارسها وترسم مناهج التعليم فيها كما تشاء . وهي (اي الوكالة اليهودية) حرة في تعيين المعلمين ونقلهم واقالتهم . على النقيض من المدارس العربية التي تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة . فهي التي تعين المعلمين والمعلمات ، وتنقلهم او تقيلهم متى شاءت . وهي التي تسيطر على سير التعليم وليس للعرب (حصة) خاصة ، كما هي الحال مع اليهود .

والاهم من هذا كله : مناهج الدراسة . فقد كانت هذه ترسم للمدارس العربية وفق هدف معين تسيطر عليه الحكومة المنتدبة . واما المدارس اليهودية ، فلا تتدخل الحكومة في براجها .

ومصلحة التعليم الحكومية في القدس يقوم على رأسها (١٩٤٧) مدير انكليزي ، يساعده خمسة من رجال الانكليز . ويعمل تحت امرته في الادارة العامة اثنان وعشرون موظفاً فلسطينيا : اثنى عشر منهم عرب مسلمون ، وستة عرب مسيحيون ، واربعة

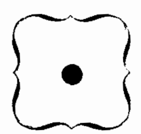
يهود . وهناك مفتشة انكليزية تدير شؤون مدارس البنات .وفي الادارةالعامة سبعة وعشرون كاتباً وكاتبة : ثلاثة منهم انكليز ،وخمسة عرب مسلمون، وسبعة عشر عرب مسيحيون ، ويهوديان .

هذه الآلة الحكومية الموجودة بالقدس مسؤولة لا عن ادارة مدارس القدس فحسب ، بل مدارس فلسطين كلها . ولقد انفقت الحكومة على مدارس فلسطين وشؤون التعليم في آخر سنة من سنوات الانتداب (١٩٤٧/٤٨) ١٫٥٦١٫٥٢١ جنيهاً من مجموع نفقاتها التي بلغت في تلك السنة ٢٤٫٦٣٥٫٠٦٦ جنيه . ونفقات المعارف هذه تؤلف البند الثالث من بنود النفقات في الميزانية .

ولكن هذه الالة الحكومية لا تسيطر – كما سبق وقلت - على المدارس اليهودية ، سيطرتها على المدارس العربية .وقدشعر العرب بهذاالغبن ، وكثيراً ما حاولوا رفعه ، ولكنهم عبثاً كانوا يحاولون .ذلك لان صك الانتداب[١] يفرض على الدولة المنتدبة «ان تضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي . . » .

واني لاذكر الان ، وانا اخط هذه السطور ؛ انني قضيت ثلاث سنوات صحاح (١٩٤٤ – ١٩٤٦) قبل ان اتمكن من اقناع (؟) المدير العام لمصلحة المعارف ، وكان يتولاها يومئذ المستر فرل Wilfrid Jerome Farrell ، كي يقر الاقتراح الذي تقدمت به اليه من اجل فتح (صف اول ثانوي) في مدرسة البيرة الابتدائية . هذا مع العلم ان سكان البيرة والقرى المجاورة لها تبرعوا بالاموال اللازمة لبناء الغرف وتأثيثها ولدفع رواتب المعلمين . وما كانوا في حاجة إلا الى كلمة واحدة تخرج من فيه ، وهي : نعم ! . . ولكنه ما قالها ، إلا بعد اخذ ورد استمرا ثلاث سنين !.. وبعد ان قالها ، راح يرسم منهاج الدراسة في الصف الجديد . وقد رسمه كما يريد ! . .

(١) اقرأ المادة الثانية من هذا الصك .



١٦ – **دور الكتب** : نذكر لك فيما يلي دور الكتب الكائنة في مدينة القدس .

ذكرناها حسب قدمها ولم ندمج في عدادها المكاتب الخصوصية التي يملكها الافراد من اجل استعمالهم الخاص ،

اخذت معظم هذه المعلومات عن كراس نشره مدير الاثار بحكومة فلسطين لمصلحة الصفوف التوجيهية في القدس عام ١٩٤٥ . وقد اضفت اليها شيئاً كثيراً من معلوماتي الخاصة .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تاسيسها	عدد الكتب فيها	اللغات
١	مكتبة القديس المخلص	١٥٥٨	٢٥٠٠٠	اللاتينية ،الافرنسية ،الايطالية ، العربية
٢	مكتبة الخليلي	١٧٢٥	٧٠٠٠	العربية .
٣	مكتبة البطريركية الارثوذكسية	١٨٦٥	٥٠٠٠	اليونانية ،العربية ،الانكليزية ،الفرنسية .
٤	المكتبة الانجيلية الأثرية الافرنسية	١٨٩٠	٢٥٠٠٠	الفرنسية ، الانكليزية ، الالمانية .
٥	مكتبة كنيسة القديس جورج	١٨٩٠	٥٠٠٠	الانكليزية ، وفيها كتب يونانية ، ولاتينية ، وعبرية ، وعربية .
٦	مكتبة الجامعة العبرية	١٨٩٢	٤٦٠٠٠٠	الانكليزية ، العبرية ، الافرنسية ، الالمانية ، العربية .
٧	مكتبة الجمعية الروسية الارثوذكسية			الروسية ، العربية .
٨	المكتبة الخالدية[١]	١٩٠٠	١٢٠٠٠	العربية ،الانكليزية ،الفرنسية ،الفارسية التركية .
٩	مكتبة المدرسة الاميركية للبحث عن الآثار الشرقية	١٩٠١	٧٠٠٠	الانكليزية . الالمانية ، العبرية .
١٠	مكتبة المعهد الألماني الانجيلي لدراسة البلاد المقدسة في العصور الوسطى	١٩٠٢	٤٠٠٠	الالمانية . الافرنسية . الانكليزية .
١١	مكتبة بصاليل الصناعية	١٩٠٦	١٤٠٠٠	الانكليزية ، العبرية ، الالمانية ، الافرنسية ، الروسية .
١٢	مكتبة الكلية العربية[٢]	١٩٢٠	٧٠٠٠	العربية ، الانكليزية .
١٣	مدرسة الاثار البريطانية	١٩٢٠	٢٥٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ، الالمانية .

(١) انشأها الشيخ راغب الخالدي بمال تبرعت به امه السيدة خديجة بنت موسى الخالدي .وعمل على ترتيبها المرحوم الشيخ طاهر الجزائري وكان يومئذ يعيش في القدس منفياً .

(٢) بعثرت هذه المكتبة عندما اشتد القتال بين العرب واليهود (١٩٤٧) ونهب اليهود بعض الكتب القيمة التي كانت فيها . اما معظم الكتب فقد نقلت الى الرشيدية في الجزء العربي من المدينة بعد وقف القتال .

عدد متسلسل	اسم المكتبة	تاريخ تاسيسها	عدد الكتب فيها	اللغـــات
١٤	مكتبة مصلحة الزراعة	١٩٢٠	٣٦٠٠	الانكليزية ، العربية .
١٥	مكتبة مصلحة المعـــارف	١٩٢٠	٢٥٠٠	الانكليزية ، العربية .
١٦	مكتبة القوانين الحكومية المركزية لمحكمة العدل العليا	١٩٢٥	٣٠٠٠	الانكليزية ،العربية ،العبرية ،الافرنسية .
١٧	مكتبة المسجد الاقصى	١٩٢٧	١٨٠٠	العربية .
١٨	مكتبة المتحف الفلسطيني	١٩٢٨	١٧٠٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ،العربية ،الالمانية
١٩	مكتبة الاباء اليسوعين	١٩٢٨	٣٥٠٠	الانكليزية ، الافرنسية ، الالمانيـــة ، الايطالية ، الاسبانية .
٢٠	مكتبة مدرسة نيومن للارساليات	١٩٢٨	٣٠٠٠	الانكليزية ،العربية ، وفيها بعض الكتب الافرنسية والالمانية والايطالية .
٢١	مكتبة غولبنجيـان طوريان . اسم البطريرك طوريان مادينـاثاران	١٩٢٩	٢٧٠٠٠	الارمنية ، الانكليزية ، الافرنسية .
٢٢	مكتبة الدراسات الانجيلية الفرنسيسية	١٩٢٩	٥٠٠٠	اللاتينية ، الانكليزية ، الالمانيـــة الافرنسية ، الايطالية .
٢٣	مكتبة اورشليم (بني بريث)	١٩٣٠	١٥٠٠٠	العبرية ، الانكليزية ، الالمانية .
٢٤	مكتبة جمعية الشبان المسيحية	١٩٣٣	٢٢٠٠٠	الانكليزية ، العربية .
٢٥	مكتبة دار التمرين على الخدمـــات الاجتماعيـــة	١٩٣٤	٦٠٠٠	الانكليزية ، الالمانية وفيها بعض الكتب الافرنسية والعبرية والتشكية والبولونية
٢٦	مكتبه شوقن	١٩٣٥	٤٠٠٠٠	العبرية ، الالمانية ، الانكليزية .
٢٧	مكتبة مصلحة الاحصاءآت	١٩٣٦	٨٢٠٠	الانكليزية .
٢٨	مكتبة معهـــد الأبحاث الاقتصادية التابع للوكالة اليهودية	١٩٣٦	٤٠٠٠	الانكليزية ،الافرنسية ،العبرية ،الالمانية .
٢٩	مكتبة مصلحة الاذاعة الفلسطينية	١٩٣٦	١٨٠٠	الانكليزية ، العربية . العبرية .
٣٠	مكتبة المركز الثقافي الافرنسي	١٩٣٧	٤٠٠٠	الافرنسية .
٣١	مكتبة يشورون	١٩٣٩	٤٠٠٠	العبرية ، الالمانية ، الانكليزية .
٣٢	مكتبة العمال	١٩٤٠	٥٥٠٠	العبرية ، الانكليزية .
٣٣	مكتبة المجلس البريطاني	١٩٤٤	٦٠٠٠	الانكليزية .
٣٤	مكتبة دائرة المطبوعات	١٩٤٤	٩٠٠	الانكليزية .

وهناك مكتبات اخرى ، لا اعرف متى تأسست؟ واكثرها يخص بعض الاسر القديمة ، وقد اصابها البلاء . واني لذاكر منها :

٣٥ – **المكتبة الفخرية** : كانت قسما من الزاوية الفخرية تملك آل ابي السعود . وهي عائلة معروفة النسب تقطن القدس منذ نيف وسبعة قرون . كانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية . وكان عدد الكتب فيها يقدر بنحو عشرة آلاف مصنف . غير ان افراد العائلة اقتسموا هـذه المصنفات فيما بينهم . فبعثرت .

٣٦ – **مكتبة الشيخ خليل الخالدي** : اسسها المرحوم الشيخ خليل الخـالدي وهو رئيس سابق لمحكمة الاستئناف الشرعية . انه من الائمة الاعلام . اصطفاه الله الى جواره سنة ١٩٤١ . وقد جمع فيها ما يقرب من خمسة آلاف مخطوط كلها من المخطوطات العربية القيمة . ولكنها – ويا للاسف – محفوظة في يومنا هذا في صناديق مقفلة .

٣٧ – **مكتبة آل البديري** : مكتبة نفيسة فيها مخطوطات كثيرة قسمها الاكبر في عهدة احد ابناء هذه العائلة الشيخ محمـــد افندي البديري . والقسم الاخر في حوزة غيره من افراد عائلته التي قطنت القدس منذ اكثر من ستماية سنة . ومكتبة آل البديري في الحرم الشريف . وقـــد بعثرت كتبهـــا .

٣٨ – **مكتبة آل قطينه** : فيهـــا بعض المخطوطات التاريخية . وفيها مصنفات عديدة في الرياضيات . واقعة بباب العمود . اصحابها آل قطينه من العائلات القديمة . ذكروا في مستندات القرن التاسع للهجرة . وقد بعثرت كتبها .

٣٩ – **مكتبة آل الموقت** : اسسها الشيخ احمد ابن محمد يحيى الشهير بالمحدث . وهو مغربي الاصل من مراكش . كان فيما مضى مفتي القـــدس . وفي وقفيته المؤرخة ١١٨١هـ – ١٧٦٧م قدرت اثمان الكتب التي تركها بتسع وخمسين الف زلطـــة . تبعثرت كتبها ، فنقل بعضها الى المكتبة الخالدية ، واخذ بعضها الاخر الشيخ طاهر الجزائري فنقله الى دار الكتب بدمشق .

٤٠ – **مكتبة عبدالله مخلص** : انهـــا مكتبة قيمة . فيها كتب علمية واخرى تاريخية . وفيها بعض المخطوطـــات . كانت في منزله بحي الشيخ جراح . وعندما اكفهرجو السياسة بسبب التقسيم نقلت الى دير القربان على مقربة من الباب الجديد . ولما نسف ذلك الدير اثناء القتال ، بقيت الكتب تحت الانقاض . حاولت اقناع الجنرال رايلي كبير المراقبين الدوليين كي يسمح لاصحابها ، برفع الكتب من تحت الانقاض ولكنه رفض . بحجة ان اليهود لا يسمحون لعربي ان يدنو من ذلك المكان ! . .

٤١ – وفي القدس عدد من المكتبات التجارية ، عربية وافرنجية . بعضها داخل السور ، والبعض الآخر خارجه . منها ما تعني ببيع الكتب فقط ؛ ومنها ما تعني ببيع الصحف والمجلات والقلم والقرطاس ، بالاضافة الى بيع جميع انواع الكتب ؛ وانا لذاكرون منها : مكتبة الاندلس التي تولت طبع هذا الكتاب ، ومكتبة بيت المقـدس ، ودار الكتب ، ومكتبة فلسطين ، ومكتبة صندوقة ، ومكتبة المعارف ، ومكتبة النهضة ، ومكتبة لورنس ، ومـــكتبة الشناوي ، ومكتبة اليرموك ، ومكتبة المنار ، والمكتبة العالمية .

ولست اغالي ان قلت : انه قل ان يطبع في الشرق او في الغرب كتاب ، ويذيع صيتـه ، إلا وتجده في احدى هذه المكتبات ؛ ولاسيا اذا كتب او ترجم باحدى اللغات الحية .

١٧ — **متاحفها** : في القدس **متحف حكومي** للبحث عن الاثار وحفظها . انشيء بمال وهبـه (١٩٢٧) الثري الامـيركي الشهير روكفلر J. D. Rockefeller ورصد لهـذا المشروع مليونين من الدولارات . صرف منها نصف مليون للبنـاء ونصف مليون للتأثيث وشراء الكتب . واحتفظ في بنوك انكلـترا بمليون ليصرف ريعهـا على ادارة المتحف . والذي تولى عمارته هو



« المتحف الفلسطيني »

المهنـدسـين الحكوميـين المستر هـاريسون A. St. B. Harrison, F. R. I. B. A. وافتتح المتحف للجمهور سنة ١٩٣٨ . وهو كائن تجاه الزاوية الشرقية الشماليـة للسور ، وعلى بعـد بضعة أمتار منه . بين الحي المعروف بوادي الجوزو باب الساهرة . فيه مجمـوعة قيّمة من النقوش والحجارة والاثار الفلسطينية وفيه ايضا مكتبة قيمة ذكرناها في موضع اخر وتقوم في احـد اجنحته مصلحة الاثار الحكومية بمديرها وموظفيها واكثرهم ان لم نقل كلهم من الخبيرين في عـلم التاريخ والاثار .

وفي ٢٢ نيسان ١٩٤٨ (أي قبـل ان يرحل الانـكليز عن فلسطين) عين المندوب السامي مجلس امناء على هذا المتحف من اثني عشر عضوا ، اثنان انتدبهما هو (احدهمـا بريطاني والثاني أميركي) ترك امر تعيينهما للجامعة العربية ، وواحد تنتخبه الجامعة العبرية ، والسبعة الاخرون من الطوائف المختلفة .

وهناك (**المتحف الاسلامي**) أسسه المجلس الاسلامي سنة ١٣٤١ ﻫ (١٩٢٣) في مكان لائق من الابنية التابعـة للمسجد الاقصى . يحتوي على مجموعة قيمة من الخزف القاشاني النفيس ، ومجموعة من النقوش العربية بالقلم الكوفي ومنها مـا يرجع الى أوائل القرن الرابع الهجري ، ونموذجـان من النوافذ القديمة المصنوعـة من الجاص والمرصعـة بالزجاج الملون مما صنع برسم قبة الصخرة ، ومجموعة من المصاحف الشريفة بعضها يرجع الى اواخر القرن الاول للهجرة مكتوب على رق بالقلم الكوفي ، ومجموعـة من النقود الاسلامية بعضهـا يرجع الى سنة ١٥٢ للهجرة . وعدد وافر من الدراهم الفضية والنحاسية ، والأوزان الزجاجية وما الى ذلك . ومجموعة من الطنافس والبسط والأواني الاسلامية القديمة .

١٨ — **جمعياتها ونواديها** : بلغ عدد الجمعيات والنوادي التي تسجلت في القدس من بدء الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام ١٩٤٥ الفين وثلاثة وعشرين . منها ما هو أدبي وثقافي ، ومنها ماهو رياضي ، ومنها ما هو خيري ، ومنها ما تأسس لمصلحة طائفية بحتة سواء اكانت اسلامية او مسيحية او يهودية . ان ٨٥ بالمئة من هذه الجمعيات والنوادي فلسطينية و ١٥ بالمئة اجنبية . ومن الجمعيات والنوادي الفلسطينية ٣٠ بالمئة منها اسلامية و ٢٠ بالمئة مسيحية و ٣٥ بالمئة يهودية .

وفيها سبعون جمعية تعاونية اكـثرها لليهود . وهــذه الجمعيات تعمل على تكتيل ارباب العمل والعمال واصحاب المتـاجر والمشاغل والصناعات المختلفة وصيـانة حقوقهم . كان يتولى تسجيلها في

بادىء الامر ، مسجل الشركات الاعتيادية ، وفي سنة ١٩٣٣ عهد بهذا الامر الى (مسجل الجمعيات التعاونية) .

ومن الجمعيات التي يشار اليها بالبنان في بيت المقدس : جماعة الاخوان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية .

جماعة الاخوان المسلمين فإنها منبثقة عن الجماعة التي اسست في الاسماعيلية بمصر حوالي سنة ١٩٣٠ . ومؤسسها (الشيخ حسن البنا) . كان مدرساً بالمدارس الاميرية بالاسماعيلية . ويسمونه اليوم (المرشد العام) . والذي حدا به لتأسيسها فكرة خطرت في ذهنه ترمي الى توحيد جهود المسلمين وتوجيههم التوجيه الصحيح ، ليتمكنوا من درء الشر الذي يحيق بهم والمضي قدماً الى الامام في سبيل تحقيق مثلهم العليا.

فما لبثت هذه الفكرة ان انتشرت في جميع انحاء مصر . وصار لها اتباع كثيرون ومؤازرون يعدون بالملايين. وهاهي تسري الى البلاد الاسلامية المجاورة .

ولقد تأسست (جماعة الاخوان المسلمين) بالقدس سنة ١٩٤٥ ورأت من تشجيع سكان بيت المقدس والمدن المجاورة له ما شجعها على المضي بعملها . فمضت . وكبرت . واتسعت الى ان اصبح ينضوي تحت لوائها اليوم آلاف من المسلمين شيباً وشباناً . وتأسست جماعات مثلها في يافا وغزة والرملة واللد ونابلس وخان يونس وبئر السبع والناصرة وعكا وسلوان وغيرها من البلدان .

جمعية الشبان المسيحية : ويرمزون اليها عادة بالاحرف التالية : Y.M.C.A. جمعية تأسست في القدس حوالي عام ١٨٧٦ . انها تأسست على غرار جمعية الشبان المسيحيين بلندن حوالي عام ١٨٤٤ . هذا ثابت من القانون الاساسي الذي وضعه القس ب . كنعان والد الدكتور توفيق كنعان بتاريخ ٨ يناير ١٨٧٨ .

بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٨٩٠ انتخب جورج ويليامس George Williams مؤسس اول جمعية للشبان المسيحيين في العالم (لندن ١٨٤٤) ، رئيساً لها. وقد تبرع هذا لجمعية القدس بمبالغ وفيرة. وكانت يومئذ ذات فرعين : فرع انكليزي — عربي وآخر انكليزي — يهودي . ثم انفصل فرع القدس العربي عن الجمعية المركزية (١٨٩٢) فوضع لنفسه دستوراً ، واصبح مستقلا .

كانت الجمعية ، في بداية عهد تأسيسها ، تجتمع في دكان لبيع الكتب تابعة لجمعية التبشير بالقدس على طريق يافا . ثم انتقلت الى الطابق العلوي من العمارة الكائنة بباب الخليل والتابعة لدير الروم . ثم انتقلت الى دكان على طريق ماملا . ثم الى العمارة القائمة تجاه بنك باركلس على طريق يافا . وفي سنة ١٩٠٩ انتقلت الجمعية الى العمارة الكائنة شمالي الطريق المؤدية الى ماملا . ثم (١٩٢٠) الى عمارة كائنة على طريق يافا .

في سنة ١٩٠٩ كان سكرتير **الجمعية** مستر ستوارت دوني ثورن Mr. Stuart Donnithorne وعلى عهده ازداد عدد اعضائها من ٤٠ الى ٢٠٠ .

ولما نشبت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) اغلقت الجمعية ابوابها في مدينة القدس خشية ان تعرض نفسها لريبة الاتراك ، وراحت تعمل في صفوف الجيش البريطاني الذي اعتزم فتح فلسطين فاثبتت كيانها في المحطات التي احتلها الجيش المذكور في القنطرة والروماني وبئر العبد، والمزار، والعريش ورفح، وخان يونس ، ودير البلح . وعندما احتل اللورد اللنبي القدس راحت تستأنف عملها في مقرها

الذي تركته عند نشوب الحرب. وكان من اهم اغراضها يومئذ ارشاد الاشخاص الذين كانوا يفدون الى القدس من جميع انحاء الامبراطورية الى الاماكن والابنية الاثرية الكائنة في المدينة المقدسة .

في ١٩٢٠ تولى سكرتيرية الجمعية الدكتور هارت Dr. A. C. Harte سكرتير اللجنة الدولية لجمعيات الشبان المسيحية في اميركا الشمالية . وعلى عهده تبرع (١٩٢٤) صديق له يدعى مستر جيمس نيو بيكن جارفي James Newbegin Jarvie من مدينة مونتيلر من اعمال نيوجرزي باميركا بالمبلغ اللازم لاجل بناء دار للجمعية على الطراز الحديث وهي الدار التي تقيم فيها الجمعية في الوقت الحاضر (١٩٤٦) وتحمل اسمها على شارع جوليان في الناحية الغربية القبلية من المدينة وفي الحي المعروف بالنيكيفورية .

ان الارض التي تقوم عليها دار جمعية الشبان المسيحيين كانت في الاصل ملكاً لدير الروم الارثوذكسي. اشترتها اللجنة الدولية لجمعيات الشبان المسيحيين في اميركا الشمالية ثم وهبتها الى جمعية القدس . ولقد اشترك في هذه الهبة المجلس الملي البريطاني وفريق من يهود مانشستر .

في ٢٣ اغسطس ١٩٢٦ بدأت عمليات الحفر ، وفي ٢٣ تموز ١٩٢٨ وضع اللورد بلومر المندوب السامي الثاني لفلسطين الحجر الاساسي للبناء . والمهندس الذي تولى امر البناء هو المستر آرثر لوميس هارمون من نيويورك Arther Loomis Harmon ولقد ساعده في عمله هذا المكتب الهندسي التابع لجمعيات الشبان المسيحيين في الولايات المتحدة ، واعضاء مجلس الادارة والهيئة المحلية التي الفت في القدس لاجل الاشراف على اعمال البناء .

عندما اعتزل الدكتور هارت العمل في ١٩٣٠ تولى السكرتيرية بالوكالة احد مساعديه المستر نيقولاي لاطوف Mr. Nicholas M. Lattof ثم تولاها اصالة وفي نفس السنة المستر والدو هاينريخ Waldo H. Heinrichs .

ان دار الجمعية من اجمل عمارات المدينة . انها تحتوي مئة غرفة . منها الطابقان العلويان وهما المخصصان لنزول الزائرين وفيها ٨٢ غرفة (٦٤ ذات سرير واحد و ١٨ ذات سريرين) . وفي كل منها غرفة استقبال وعدد كاف من المراحيض والحمامات .

وللبناية برج مرتفع يسمونه (برج المسيح) يشرف المرء منه على جميع انحاء المدينة . وفي البرج خمسة وثلاثون جرسا ، اكبرها يزن طنا ونصف طن . وقد نقشت عليه الكلمات التالية :

« المجد لله في العلى ، وعلى الارض السلام » .

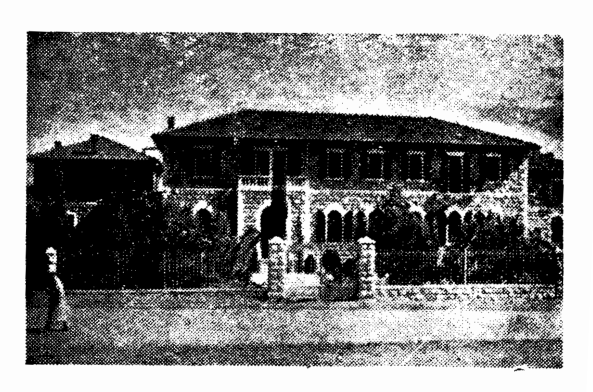
وفيها بهو واسع وجميل، ومعبد ، وغرف عديدة للقراءة والجلوس . وقاعة واسعة للمحاضرات فيها ستماية واثنان وسبعين مقعدا . وغرف للالعاب الرياضية ومكتبة فيها اثنان وعشرون الف مجلد من الكتب القيمة . وحمام للسباحة طوله عشرون متراً ، وعمقه يتراوح بين اربعة اقدام وتسعة . ويتسع لخمسة وخمسين الف من الجالونات .

البناء من الطراز البيزنطي القديم الذي بنيت على نسقه اكثر كنائس الشرق الادنى مع شيء من التعديل يتلاءم وطلبات العصر الحديث ، ولقد نقشت على واجهته الامامية الكتابات الثلاثة التالية ، تمثل الاديان الثلاثة المنتشرة في القدس وهي .

لا اله الا الله (باللغة العربية)
لا اله الا الله (باللغة العبرية)
لا اله الا الله (باللغة الارامية)

وفي داخل العمارة آيات كثيرة من الانجيل وصور تمثل حياة السيد المسيح في اكثر نواحيها .

وهناك جمعيات عديدة للبحث عن الاثار ، منها : مدرسة الاثار البريطانية ، وجمعية البحث عن الاثار الفلسطينية The Pal. Exploration Fund, The British Sch. of Archeology والمدرسة الافرنسيه للبحث عن التوراة والاثار القديمة Ecole Biblique et Archeologique Francaise. The والمعهد الشرقي لجامعة شيكاغو Oriental Institute of The Uneversity of Chicago والجامعة العبرية ، والجمعية اليهودية للبحث عن الاثار الفلسطينية ، والمعهد الشرقي الالماني ، والمعهد الانجيلي الالماني للبحث عن آثار القرون الوسطى في البلاد المقدسة Deutches Evangelishes Institute fur Alterthumwissenschaft des Heiligen Landes والمدرسة الاميركية للبحث عن الاثار الشرقية American School of Oriental Research واليك ما نعرفه عن هذه المدرسة :



« المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية »

في عام ١٨٣٨ م هبط القدس عالم اميركي يدعى الدكتور ادوارد روبنسون Dr. Edward Robinson اهتم بدراسة آثارها . وفي عام ١٨٤٨ هبطها الملازم لينش Wm. F. Lynch وكان على رأس بعثة اميركية جاءت لتدرس وادي الاردن والبحر الميت . ثم هبطتها البعثة الاميركية الفلسطينية التي يرأسها الدكتور روزويل د. هتشقوق Dr. Roswell D. Hitchcock رئيس كلية الالهيات في الولايات المتحدة .

وفي عام ١٨٩٥ قام الاستاذ ثاير Thayer يحث اصدقاءه وزملاءه على تأسيس مدرسة اميركية لدراسة الاثار الشرقية بفلسطين. فلبى هؤلاء نداءه وما كاد ينقضي على هذا النداء خمسة اعوام حتى تأسست المدرسة (١٩٠٠م) وكان يديرها الدكتور شارل كتلر توري Dr. Charles Cutler Torrey من ييل ، برعاية مجلس من الامناء يمثلون الجمعيات الثلاثة الاتي ذكرها وهي التي امدتها بالعون والمال :

(١) جمعية الاثار الاميركية
(٢) الجمعية الشرقية الاميركية
(٣) جمعية التوراة الادبية

ثم تولى ادارة هذه المدرسة الدكتور ويليام ف . آلبرايت من سنة ١٩٢٠ الى ١٩٢٩ ومن سنة ١٩٣٣ الى ١٩٣٦ .

وفي سنة ١٩٠٩ تولاها الاستاذ روبرت هاربر Robert F. Harper من جامعة شيكاغو . وفي عهده اشتريت الارض التي بنيت عليها المدرسة . وفي سنة ١٩٢٥ انشيء بناء المدرسة الحالي بفضل الدكتور جيمس ب. نيس Dr. James B. Nies وقرينته . وفي ١٩٣١ اضيف الى ذلك البناء جناح من الناحية القبلية . واتخذ هذا الجناح منزلا لسكن المدير .

انها قائمة على قطعة من الارض مساحتها اربعة دونمات . في اجمل بقعة من بقاع المدينة . وعلى بعد ربع ميل من باب الساهرة الى الشمال . تدار كما

تدار الجمعيات التعاونية . ويشترك في ادارتها ستون كلية وجامعة من الكليات الاهلية والجامعات العلمية في الولايات المتحدة وفي كندا وتدفع كل واحدة منها مبلغاً معيناً من المال في كل سنة . وفي سنة ١٩٢٩ تبرعت مؤسسة روكفلر بمئتين وخمسين الف دولار . وفي سنة ١٩٣٩ تبرعت المؤسسة نفسها بثلاثمئة وخمسين الف دولار .

في المدرسة مكتبة تحتوي على ثمانية الاف وخمسمئة مجلد . هذا خلا الكتب التي تخص مدرسة الآثار البريطانية والموجودة في البناء نفسه . وفيها نزل ينزل فيه العلماء وطلاب الجامعات المتقدم ذكرها الذين يهبطون الارض المقدسة بقصد دراسة آثارها القديمة .

١٩ — **امراض القدس ومستشفياتها** : لم نعثر في كتب التاريخ القديم على اخبار واضحة عن الامراض التي كانت معروفة في مدينة القدس وفيما جاورها من ديار ؛ خلا ما قرأناه هنا وهناك — وانه لنذريسيريكاد لا يبل الغلة — عن انتشار (الطاعون) . وكان الاقدمون يصفونه بقولهم ، انه وباء ذوحمى شديدة الحرارة خبيثة تفسد به الامزجة والابدان . و (الكوليرا) وكانوا يسمونها الهيضة ؛ وهي انطلاق البطن . وكثيراً ما سمعنا عن (وباء) انتشر هنا وهناك ! . وقضى على السكان ! . دون ان يذكر المؤرخ نوع الوبأ ! . وما اذا كان الوبأ الذي حدث في سنة من السنين كالوبأ الذي حدث قبل بضع سنين ! . . اضف الى ذلك انا لم نعثر ، ولا مرة ، على ارقام تشير الى مبلغ الخطر الذي تعرض له السكان سوى قولهم : ان الوباء قضى على خلق كثير ! . .

من ذلك مثلا ، ما قاله مجير الدين عندما ذكر احداث عام ٨٧٣هـ — ١٤٦٨ م في الصفحة ٦٢١ من كتابه (الانس الجليل) . اذ قال : « ان الوباء تفشى عامئذ في مدينة القدس ، فاصاب الناس ضرر عظيم » ! . . ولم يقل لنا مجير الدين اي نوع من الوبأ هو الذي اصابهم ؛ وانقال انه (اي الوباء) استمر اربعين يوماً ، وان الاموات كانوا يغسلون ليلا ويحملون الى صحن الصخرة ، ومن هناك ينقلون الى المقابر حيث يدفنون .

وعاد في صفحة اخرى من صفحات كتابه — عندما ذكر احداث سنة ٨٨١ هـ — ١٤٧٦ م — فقال : « ان الوباء انتشر بالقدس في تلك السنة ، واستمر تسعة شهور . ومات من جرائه خلق كثير » .

وكثيراً ما كان المرء يقضي نحبه بمرض من الامراض ، فيسأل الناس عن مرضه وعن الاسباب التي ادت الى موته ؛ فيقال لهم : اوجعه بطنه ! . فمات ! . . وقد يكون لوجع البطن هذا صلة بالمعدة او الامعاء او المرارة او الكبد او اي نوع آخر من الالتهابات الباطنية . . او السل والسرطان . . وما الى ذلك من الامراض التي لم تكن معروفة في ذلك الزمان .

ولم يكن ثمة شيء يقال له : (احصاء) . وكانت اول مرة عرفت فيها مدينة القدس احصاء المواليد والوفيات بطرق علمية لا بأس بها ، في اوائل القرن العشرين . وانا لذاكرون فيما يلي ارقاماً اقتبسناها من السجلات الرسمية لدائرة الصحة الحكومية عن المواليد والوفيات ، وعن الامراض المعروفة اكثر من غيرها في مدينة القدس ، وعن عدد الاشخاص الذين اصيبوا بها وماتوا من جرائها ، في عدد من السنين :

المرض	١٩٢٨		١٩٣٠		١٩٣٣		١٩٣٥		١٩٣٧	
	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات	اصابات	وفيات
النزلة الصدرية	١٧٢	١٤٦	١١٨	٨٩	١٥٤	١٢٧	١٥٧	١٣٦	١٢٨	١٢٦
التدرن الرئوي	١٢٢	٦٣	٧٦	٥٢	٦٨	٥٧	١٥٢	٤٦	١٠٢	٤٧
التيفوئيد	٢٧٩	٣٢	١٦٤	٧	٢٤١	١١	٢٧٣	٢٧	٣٦٦	٢١
مرض الزهري	١٧٤	٣	١٥٨	٥	٢٠٧	٧	٩٧	٤	١٤٣	—
الحمره	٥٣	٦	٣٦	٦	٤٤	٩	٥٨	١٨	٢١	٣
الحصبه	٦٨	٤	٩١	٨	١١٢	٩	١٠٢	٤	٢٩	٥
الديزنتارية	٩٥	٦	٥٧	١	٣٦	٥	٣١	٢	٣٥	٤
داء الخانوق	٢٨	٢	١٧	٣	١٧	—	٤٦	١٠	٢٧	٩
السعال الديكي	١٤٠	١	١٥	—	٤٥	٣	٤	١	٥٠	١
الحمى النفاسية	١٤	٧	٤	١	٨	٣	٨	٦	٧	٣
الالتهاب السحائي	—	—	—	—	١	١	٤٤	١٩	٢	٢
الالتهاب الحاد في الاعصاب	٧	٢	٢	١	٣	٢	١	١	١	١
الكزاز	٣	١	٣	١	٢	١	٢	٢	٨	٥
الجذام	٣	١	٤	١	٧	—	٢	٢	٧	٦

وتعرف القدس من الامراض ايضاً الانفلونزا ، والحمى القرمزية، والحمى المعروفة بالمالطية ، والجمرة والملاريا والتيفوس .

وفيما يلي نذكر لك نسبة المواليـــد والوفيات لجميع الاجناس والطوائف التي تعيش في بيت المقدس:

عـــام	المواليـــد	الوفيـات
١٩٢٥	٢٣٣٧	١٤٣٥
١٩٢٦	٢٥٤٩	١١٦٤
١٩٢٧	٢٧٢٥	١٤٩٣
١٩٢٨	٢٩٧٠	١٤٥٤
١٩٢٩	٣٠٨٣	١٣٢٧
١٩٣٠	٣٢٠١	١٢٨١
١٩٣١	٣٣٨٥	١٣٣٧
١٩٣٢	٣٢٦٥	١٤٨٥
١٩٣٣	٣٤٠٢	١٥٠٣
١٩٣٤	٣٤٨٩	١٦٠١
١٩٣٥	٣٩٧٣	١٨٠٨
١٩٣٦	٣٩٧٧	١١٦٠
١٩٣٧	٣٤٤١	١٣١١
١٩٣٨	٤٠٩٠	١٩١٦

وفيما يلي نسبة وفيات الاطفال لجميع الطوائف التي تعيش في القدس :

عام		
١٩٢٥	١٥٧	في الالف
١٩٢٦	١١١	في الألف
١٩٢٧	١٢٠	في الالف
١٩٢٨	١٢٣	في الالف
١٩٢٩	١٠١	في الالف
١٩٣٠	٩٧	في الالف
١٩٣١	١٠٤	في الالف
١٩٣٢	١١٧	في الالف
١٩٣٣	١٠٧	في الالف
١٩٣٤	١٠٥	في الالف
١٩٣٥	٩٣	في الالف
١٩٣٦	٩٦	في الالف
١٩٣٧	٩٢	في الالف
١٩٣٨	٩١	في الألف

هذا عن الامراض . واما عن المستشفيات فقد ذكرنا في الفصول السابقة المستشفيات التي عرفتها القدس في تاريخها . ولا سيما في العهود الفاطمية والصليبية والصلاحية . ونود الآن ان نذكر لك اسماء المستشفيات القائمة في القدس[١] في يومنا هذا (١٩٤٧) :

مستشفى مار يوحنا : لامراض العيون . مطل على وادي حنوم من الشرق وبركة السلطان من الشمال . واقع في منتصف الطريق[٢] التي تربط محطة السكة الحديدية بباب الخليل . وله فرع في سوق الحصر بالمدينة القديمة داخل السور .

أسس في زمن الصليبيين . وفي قول ان نواته كانت مغروسة هناك منذ العهد البزنطي . واما بناؤه الحالي على طريق المحطة فقد انشيء في عام ١٨٨٢ م . وقد ادى لمدينة القدس وما جاورها من ضياع خدمات جلى ، ولا سيما من حيث امراض العيون . عدد الذين عولجوا فيه في عام (١٩٤٦) مئة وخمسين الفاً بعد ان كانوا في بدء تأسيسه سبعة عشر الفاً . وتديره الآن جمعية بريطانية . يسمونها :

The Order of The Hospital of St. John .

المستشفى الروسي واقع في المسكوبيه خارج السور . بناه الروس سنة ١٨٥٩ بنوه لانفسهم ولمن يفد الى القدس بقصد الحج من أبناء روسيا . وهو اول بناء يقوم خارج السور في اواخر العهد العثماني . وكانت القدس محصورة قبل ذلك ضمن الاسوار .

اتخذته حكومة فلسطين بعد سقوط القدس بيد البريطانيين (١٩١٧) مستشفى لموظفيها . ثم صار للناس أجمعين . وقد اطلق عليه بعد ذلك التاريخ : مستشفى الحكومة . . . واما المرضى من البريطانيين ، فقد اعدت لهم عمارة خاصة هي التي تراها الى يمينك وانت تجتاز باب المسكوبية من الشرق .

المستشفى الورافي ويسمونه مستشفى البرص مخصص لمداواة المجذومين . واقع بين حي الطالبية والكولونية الالمانية . يديره الدكتور توفيق كنعان من أطباء بيت المقدس باسم الجمعية الورافية بلندن البناء لبلدية القدس . وقد بنته في عام ١٨٦٧ . وتمده الحكومة بالمال .

(**المستشفى الافرنسي**) ويسمونه ايضاً مستشفى القديس لويس . بنى عام ١٨٨٠ . واقع شمالي

---

(١) ذكرناها هنا حسب تاريخ تاسيسها .

(٢) الارض التي بني عليها هذا المستشفى منحهم اياها السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٨٢) .

المدينة القديمة وعلى بعد بضع خطوات من السور عند الباب الجديد . تمده الحكومة الفرنسية بالمال .

مستشفى الارسالية الانكليزية ويسمونه ايضاً مستشفى جمعية يهود لندن . بناه مطران الانكليز جورج فرنسيس بوبهام بلايث . وكان ذلك حوالي سنه١٨٨٧ . والغاية من تأسيسه مساعدة اليهود ، ولا سيما اولئك الذين يراد تنصيرهم . انه واقع في حي النبي عكاشه وسط الاحياء اليهودية غربي المدينة .

المستشفى الالماني من اكبر المستشفيات في المدينه . عند مفترق الطرق المؤدية الى رحافيا وشنلر وباب العمود . بني عام ١٨٩٤ . ويسميه المقادسة : مستشفى المجيدي . ذلك لان كل مريض يدخله كان عليه ان يدفع ريالا مجيديا عثمانياً . أغلق في الحربين العالميتين : الاولى والثانية . ففي الاولى استعمله الانكليز مستشفى لجنودهم . وفي الثانية ثكنة عسكرية .

المستشفى الايطالي : على طريق القديس بولس . . عند مفترق الطرق المؤدية الى باب العمود وباب الخليل وحي مياشورم بني حوالي عام ١٩١٠ م انه من اكبر المستشفيات القائمة في المدينة الجديدة خارج السور . وله برج يطل على جميع اطراف المدينة .

مستشفى الهوسبيس : واقع على درب الالام عند مفترق الطرق المؤدية الى باب العمود وحارة الواد . بناه في الاصل النمسويون نزلا لامبراطورهم فرنسوا جوزيف . وقد نام فيه ليلة عندما زار القدس سنة ١٨٦٩ . ولكنه لم يستعمل كمستشفى الا في اواخر الاحتلال البريطاني .

مستشفى بيت صفافا : بنته حكومة فلسطين في اراضي بيت صفافا . وخصصته لمعالجة الامراض السارية . انه واقع في مكان قريب من مفترق الطرق المؤدية الى بيت صفافا وبيت لحم والقدس .

ولليهود في القدس مستشفيات ، نذكر منها :

مستشفى المجانين : انه عبارة عن ملجأ للمجانين والمعتوهين . اسسته جمعية يهودية تدعى عزرات نشيم . لا يقبل اليهود فيه احداً من المرضى ، الا اذا كان هذا من ابناء جنسهم . وهو واقع غربي القدس في الحي المعروف برحافيا .

وللحكومة مستشفى للمجانين واقع في بيت لحم ، يقبل فيه المرضى من جميع الاجناس .

مستشفى روتشيلد : وقد سمي بعدئذ : **مستشفى الهداسا** . كان قبل الاحتلال البريطاني يقوم في عمارة خارج السور ، بين المسكوبية وكنيسة الحبش . ولكنهم بعد الاحتلال نقلوه الى عمارة ضخمة بنوها على جبل الزيتون . وكان ذلك في اوائل الاحتلال البريطاني . انه الان اكبر المستشفيات القائمة في المدينة .

مستشفى تيخو : للعيون . اسسته جمعية يهودية تدعى (لمعان صهيون) . وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ . ولما كان يديره طبيب للعيون يسمى تيخو ، فقد اطلقوا هذا الاسم على المستشفى ايضاً . انه واقع قبالة المستشفى الايطالي ، عند مفترق الطرق المؤدية الى مياشورم والشيخ جراح .

وهناك مستشفيات اخرى . نذكر منها :

مستشفى ولخ . ومستشفى مزغاب لادخ . ومستشفى سادوفسكي . ومستشفى بيكورخوليم . كلها واقعة غربي المدينة خارج السور . الا المستشفى الاخير وهو (بيكورخوليم) فان له فرعين : احدهما خارج السور ، قبالة المستشفى الالماني ؛ والآخر في الحي اليهودي داخل السور .

وفي القدس اليوم جمعية طبية يسمونها (الجمعية الطبية العربية . انها فرع من فروع الجمعية الطبية العربيةالفلسطينية التي تأسست عام ١٩٤٤ . انها في الحقيقة وليدة الجمعيات الطبية التي كانت في القدس. فقد تأسست فيها ، في ابتداء الحقبة الرابعة من القرن الحالي ، جمعية طبية كانت تعرف آنذاك بالجمعية الطبية لخريجي جامعة بيروت الاميركية . وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) اصبحت تعرف بالجمعية الطبية العربية . وفي عام ١٩٤٤ تقرر تأليف جمعية تضم جميع الاطباء العرب الفلسطينيين واسميت هذه (الجمعية الطبية العربية الفلسطينية) ولها فروع في القدس ، وحيفا ، ويافا ، ونابلس ، وغزة ، وبعض المدن الفلسطينية الاخرى .

رئيسها الدكتور توفيق كنعان ، وامين سرها الدكتور محمود طاهر الدجاني .

ولها مجلة تصدر مرة في كل شهرين . نصفها باللغة العربية والنصف الاخر بالانكليزية .

وقد ساهمت هذه الجمعية في جميع المؤتمرات الطبية السنوية التى عقدت في العواصم العربية .

واعترف بها دولياً فاشتركت مع كثير من الجمعيات الطبية في العالم من اجل خير البشر .

وفي القدس مصلحة حكومية تعلى بـ (الصحة العامة) . يديرهامدير انكليزي . واطباء بريطانيون يساعدهم اطباء فلسطينيون : مسلمون ومسيحيون ويهود .

وبلغت نفقات هذه المصلحة في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنين الانتداب (٤٨/١٩٤٧) ١٫١١٠٫٦٤٤ جنيهاً . وهذا البند هو الرابع من حيث الضخامة بين بنود النفقات التي تكبدتها الحكومة في تلك السنة .

٢٠ — **مجاري القدس** : كل ما كنا نعرفه ، في اواخر القرن التاسع عشر ، عن طريق تصريف الإقذار في المدينة القديمة ان هناك مجرى قديم ، وان هذا المجرى الذي انشأه الرومان ينتهي عند سلوان. وظل وضع المجرى غامضاً الى ان شاء القدر ، فانخفض جانب من الطريق عند باب القطانين من الغرب بفعل السيول والامطار (١٩٣١) . ولما قامت البلدية تسعى لتعمير المكان المنخفض ، ظل عمالها يحفرون في الارض الى ان عثروا ، على عمق مترين وتسعين جزء من مئة من المتر من سطح الارض ، على قطعة من الارض مرصوفة بالبلاط المعروف بالمزي والمصقول صقلاً جيداً . طول البلاطة يتراوح بين المتر ونصف المتر وثخنها ثلاثون جزءاً من مئة المتر . فاعتقدوا[1] انها جزء من شارع قديم ، عرفوا من حجارته ومن نوع الفخار الذي وجدوه هناك انه من صنع الرومان في القرن الرابع للميلاد . ثم راحوا يتعمقون بالحفر في المكان نفسه . وظلوا يحفرون الى ان عثروا على آثار شارع آخر . وهذا ايضاً مرصوف بالبلاط . ولكن بلاطه اقل صقلاً من الشارع الاعلى . وبين الشارعين ، الاعلى والاسفل ، متران وعشرة اجزاء من مئة من المتر .

ومما يجدر ذكره انهم وجدوا ، على جانب الشارع الاسفل من الناحية الغربية ، مجرى عرفوا من حجارته ومن نوع الفخار الذي عثروا عليه هناك ، انه من صنع الرومان في القرن الاول للميلاد.

وفي سنة ١٩٤٢ حدث ، بالقرب من باب المغاربة

(١) اي ان سطح الارض في يومنا هذا وفي ذلك المكان اعلى منه على عهد الرومان بما لا يقل عن خمسة امتار .

وبفعل السيول والامطار، انخفاض آخر في الارض. ولما شرعت البلدية في تعمير المكان المنخفض عثر عمالها على جزء آخر من المجرى الروماني المتقدم ذكره . فحفر على اثر ذلك ثلاثة انفاق .

الاول بداخل السور ، في الساحة الكائنة الى الغرب من الخاتونية والى الجنوب من حارة المغاربة، وعلى بعد مئة متر تقريباً من جدار الحرم الى الغرب. والثاني في الارض المحاذية للسور من الداخل ، والى الغرب من باب المغاربة. والثالث بين النفقين المتقدم ذكرهما ، وعلى بعد مئة متر من النفق الاول . والرابع خارج سور المدينة من الناحية القبلية .

ولقد عثروا في النفقين الاول والرابع على آثار الشارع والمجرى اللذين اكتشفا عند باب القطانين سنة ١٩٣١ واللذين ذكرناهما في الاسطر المتقدمة .

اما الشارع فعرضه عشرة امتار وثلاثون جزءاً من مئة من المتر . وهو مرصوف ، كما قدمنا ، بالبلاط المعروف بالمزي والمصقول صقلاً جيداً وعلى جانبيه مصرف مفتوح تسيل فيه مياه الامطار ، وهو عبارة عن تجويف بسيط عرضه ثلاثون جزءاً من مئة من المتر[1] .

واما المجرى فان الشطر الاكبر منه مبني بالحجارة الكلسية ، والاخر محفور بالصخر . عرضه متر ، وارتفاعه متر ونصف . ولا شك في انه كان لوضع المدينة وتكوينها الطبيعي دخل كبير في تخطيطه . اذ انه اتبع الاماكن المنخفضة في المدينة . وما كان هنالك مكان اكثر انخفاضاً من الوادي الذي كانوا يسمونه يومئذ : (وادي التروبين) ونسميه في يومنا هذا (الواد) . وبعبارة اخرى ان المجرى الروماني القديم يقطع المدينة من الشمال الى الجنوب ، فيبدأ عند باب العمود ، ثم يمر بحارة الواد وباب السلسلة وحارة المغاربة ، الى ان ينتهي عند القرية المعروفة بسلوان قبلي المدينة .

هذا هو المجرى الاساسي. وكانت له مجار فرعية تصل ما بينه وبين احياء المدينة الاخرى . لكن هذه الفروع ليست من الحجم والضخامة بالدرجة التي وصفناها في الاسطر المتقدمة .

انتفعت المدينة من هذا المجرى قرابة خمسة عشر قرناً . ولقد ظهر من الحجارة المتنوعة التي استعملت في بنائه انه رمم ، بعد عهد الرومان ، مراراً وتكراراً . وهناك آثار تدل على ان يد التجديد والترميم عملت على صونه وابقائه بعد الفتح الاسلامي، وفي العهد الصليبي ، وفي زمن الايوبيين ، والمماليك والاتراك ايضاً . ودلت تلك الاثار على ان المجرى الاساسي اصابه ، اثناء ترميمه ، شيء من التغيير والتبديل من حيث الاتجاه ونوع البناء .

ويظهر ان القسم الواقع شمالي السور من المدينة الجديدة والكائن بين باب العمود والمصرارة فالكرم المعروف بسعد وسعيد كان، في اواخر العهد التركي، مرتبطاً بالمجرى الروماني المتقدم ذكره .

ولقد بوشر ببناء مجار على الطراز الحديث حوالي سنة ١٩٢٠ . فانشيء عامئذ القسم الواقع بين باب الخليل وفندق اللنبي على بعد نصف ميل من الباب المذكور الى الغرب . وعند باب الخليل تم اتصاله بالمجرى القديم .

ثم شرع بانشاء المجاري العمومية على مقياس واسع في المنطقة الشمالية الغربية وهي المنطقة التي تشتمل على الاحياء الآتي ذكرها : ميشورم ، بيت اسرائيل، شارع بينا، شنلر، كرم رصاص، طريق الحبس

---

(١) يفهم من هذا ان شوارع المدينة القديمة كانت ، في تلك العهود اوسع وانظم منها في يومنا هذا .

شارع تشانسلور ، روحاما ، شارع ماملا ، القسم الواقع بين دار القنصلية الاميركية والمركز التجاري القسم الكائن بين مقبرة ماملا وفندق الملك داود ، القسم الكائن بين محنة يهودا وباب الخليل من شارع يافا ، قسم من وادي الجوز الكائن بين جبل الزيتون والمتحف الفلسطيني ، المنطقة الكائنة بين معسكر الجيش المعروف بكمب اللنبي على طريق بيت لحم وبركة السلطان .

وحفرت البلدية ، حوالي سنة ١٩٣٨ ، مجرى كبير لتصريف الاقذار ؛ يبدأ عند باب العمود من خارج السور ، فيمر بوادي الجوز بين المتحف الفلسطيني وجبل الزيتون ، ومن هناك يسير باتجاه الجسمانية ، فوادي قدرون ، الى ان ينتهي عند وادي السواحرة قبلي قرية سلوان .

ولقد حدثني الخبراء ان طول المجاري الكائنة في مدينة القدس في يومنا هذا (١٩٤٧) ستة وخمسون كيلو متراً . ثمانية منها من النوع المعروف بالمجاري القديمة (ستة في داخل السور واثنان في خارجه) . وثمانية واربعون منها من النوع المعروف بالمجاري الحديثة . والمجاري الحديثة مرتبطة بالمجرى الروماني القديم . وهي عبارة عن قساطل مصنوعة من الخزف المدهون ، ذات قطر يتراوح بين الست بوصات والاربع والعشرين بوصه . أتي بها من انكلترا والمانيا .

وينفق على انشاء المجاري العمومية من اموال البلدية . واما المجاري الفرعية (اي التي تربط المنازل بالمجاري العمومية) فيتولى الانفاق عليها اصحاب المنازل . ولا تتقاضى البلدية أجراً أو رسماً تلقاء ربط المجاري الفرعيه بالمجاري العمومية . وانما هي تتقاضى من الساكن رسماً معيناً قدره ٢٪ من قيمة الاجار المخمنة تلقاء اعمال الصيانة .

وهناك مصارف ، غير هذه ، لتصريف مياه السيول والامطار ؛ وهذه مصنوعة من الاسمنت المسلح . لا يزيد ثخنها عن المتر الواحد . وهي تختلف ، في داخل المدينة ، اختلافاً كلياً عن مجاري الاقذار . واما في خارج المدينة فقد اباحوا في بعض الحالات توحيد مصارف المياه ومجاري الاقذار .

٢١ - **صناعاتها** : ليست القدس من المدن الصناعية . والصناعات القليلة التي قد تجدها فيها اقل اتقانا من غيرها في المدن الساحلية . غير انها تستهلك مصنوعات البلاد الاخرى بكثرة . انها تعج بالمعاهد الدينية والمؤسسات الثقافية والاجتماعية . وفي هذه المعاهد والمؤسسات ما لا يحصى من الموظفين المدنيين والعسكريين . ومن رجال الدين وافراد الطوائف المختلفة . وهذا يجعلها سوقاً تجارية هامة لاستهلاك البضائع والمصنوعات التي تستوردها من البلاد الاخرى . هذا ومن الانصاف للتاريخ ان نقول ان القدس كانت فيما مضى مركزا هاماً من مراكز **صناعة الصابون** في الشرق . انها كانت تصنع الصابون وتصدره الى مصر . اذ كان فيها وفيما حولها من الاراضي والجبال مساحات واسعة من اشجار الزيتون . وكثيراً ما قرأنا عن (الصابون القدسي) في اوائل العهد العثماني ٩٧٥هـ - ١٥٦٧م

وشجرة الزيتون شجرة مباركة جاء ذكرها في القرآن الكريم ، وفي اسفار العهد القديم . والذي يتتبع هذه الأسفار يرى ان اول من اتقن زراعة الزيتون وصناعة الزيت هم الكنعانيون . وقد اخذ بنو اسرائيل عنهم هذه الزراعة . وكذلك فعل الفلسطينيون القدماء . فقد كانوا يعنون بشجرة الزيتون اعتناء شديدا . وورث المقدسيون عن آبائهم الاقدمين هذا الميل . فاعتنوا بزراعة الزيتون

عناية تامه. وكان عندهم عدد كبير من معاصر الزيت وكانوا يخزنون الزيت في آبار يحفرونها تحت الارض لهذه الغاية. وكان هذا من الكثرة بدرجة ان المقدسيين[١] كبوا في سنة من السنين الزيت القديم المتجمع لديهم، ليجدوا اوعية كافية لخزن الزيت الجديد. وكانوا يستعملون الزيت للاكل وللضوء وللعلاج. فيدهنون به جروحهم واطراف بدنهم عملاً بالحديث النبوي: « كلوا الزيت وادهنوا به » ثم راحوا يصدرونه الى الخارج. ولما راجت تجارة الزيت زاد اعتناؤهم بزراعة الزيتون. ثم راجت بينهم صناعة الصابون. وانتشعت هذه في زمن من الازمان الى درجة ان القدس راحت تباهي المدن الاخرى بصابونها. وكان فيها عدد كبير من المصابن. وكان صابونها رائجاً في انحاء فلسطين الاخرى وفي اسواق الشرق الادنى ولا سيما في مصر.

عندما جددت المقابر المختلف عليها بين المسلمين والمسيحيين فوق جبل صهيون سنة ١٠٢٣ هـ - ١٦١٤ م؛ ذكر (التل المطل على بركة السلطان والذي يتجمع فيه صلصال[٢] المصابن) كنقطة لآخر حدود القسم الذي حكم به قاضي المسلمين للمسيحيين من المقبرة.

غير ان هذه الصناعة تضعضعت بعد سنة ١٨٧٦ يوم اكتسحت المدينة اسراب كثيرة من الجراد، واتت على قسم كبير من اشجار الزيتون[٣]، فلم يبق في القدس بعد ذلك التاريخ سوى سبع مصابن: خمسة للمسلمين واثنتان للمسيحيين. وكانت هذه المصابن تنتج في ذلك الحين ٢٨٠,٠٠٠ رطلا من الصابون في كل سنة. والمصابن السبع التي ذكرناها في السطور المتقدمة لم تعش طويلا. اذ اتى الاتراك خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧)، على ما تبقى في القدس وفي ما حولها من البلدان من اشجار الزيتون[١]. ليستعملوا حطبها للوقود بدلا من الفحم الحجري في تسيير القطارات. فقضى بذلك على معظم اشجار الزيتون التي كانت تحيط بالمدينة من كل جانب.

وبعد ان كانت القدس من المدن الفلسطينية المعروفة بزيتها وزيتونها وصابونها، اصبحت في المؤخرة من هذه الناحيه وليس فيها اليوم مصبنة واحدة، وقد دلت الاحصاءات التي قامت بها مصلحة الزراعة بفلسطين على ان القدس تأتي في الدرجة العاشرة بين المدن التي تزرع الزيتون في فلسطين، كما ترى ذلك في الكشف التالي وهو يبين المساحات المزروعة زيتونا في فلسطين عام ١٩٣١ م والتي بلغت نصف مليون دونم، وعدد اشجار الزيتون المغروسة فيها ٤,٠٥٩,٩٥٠ وهذه توزع بين المدن الفلسطينية بالنسبة الآتية:

المدينة	عدد
نابلس	٦٣٤١٨٥
عـكا	٦٢٤٨٨٥
جنين	٦٠٠٠٠٠
الرملة	٥٠٧١٢٠
طول كرم	٤٩٥٠٠٠
رام الله	٣٥٧٥٠٠
صفد	٢٢٥٠٠٠

(١) الوثيقة ٢٠ من مجموعة اسطفان.

(٢) الطين وهو ما يسميه ارباب هذه الصنعة بالطفال.

(٣) Warren, P. 500

(١) انظر الى ما كتبناه عن هذا الحادث في فصل الاتراك.

حيفا	١٥٠٠٠٠
الناصره	١٤١٤٣٥
القدس	٩٠٠٠٠
طبريا	٧٧٨٦٥
الخليل	٦٨٤٠٠
بيت لحم	٤٥٠٠٠
يافا	٢٩٢٥٠
غزة	١٠٩٦٥
بيسان	٣٠٤٥
اريحا	٣٠٠

صناعة النسيج : كان في القدس ، اثناء الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٧) ، بضع مئات من الارمن اللاجئين . ولقد فكرت جمعية الصليب الاحمر الاميركية في تشغيل هؤلاء اللاجئين بقصد الاستفادة منهم ، وتمرينهم على اعمال يربحون بهـا رزقهم . وبدلا من توزيع الهبات عليهم اسست لهم انوالا . فراح هؤلاء يغزلون وينسجون . وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج في مدينة القدس .

عندما غادرت هذه الجمعية القدس بسبب انتهاء الحرب ،تولت اعمالها من هذه الناحية ، جمعية محبي القدس . وراحت تعمل هذه الجمعية على جعل هذه الصناعة ، صناعة الغزل والنسيج ، صناعة دائمة ترتكز عليها مدينة القدس من الناحية الصناعية . وقررت ان تقوم هذه الصناعة في(سوق القطانين) . تلك السوق التي عمرتها[1] سنة ١٩١٩ .

(١) انفقت الحكومة قرابة الف جنيه من اجل هذه السوق . وقد كانت في حالة من الخراب يرثى لهـا . كانت مهملة بالمرة ؛ وكانت اكثر الدكاكين فيها ، ان لم نقل كلها ، مغلقة لا ، بل كانت مسدودة بالحجارة .

بعد ان تم تنظيف سوق القطانين وتعميرها (١٩١٩) وضعت فيها الانوال . واستخدم لادارة هذه الانوال عمال الغزل والنسيج الذين استخدمتهم جمعيـة الصليب الاحمر الاميركية. وكان عددهم في السنة الاولى سبعين عاملا. =

عادت صناعة النسيج فانتعشت خلال الحرب العالمية الثانيـة (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥). واسست في القدس عدة مصانع للغزل والنسيج . منها ما هو عربي ، ومنها ما هوافرنجي، او يهودي . ولكن هـذه الصناعة ما برحت في حاجة الى التوسع والتحسين .

صناعة القاشاني : كانت في اوائـل الاحتلال الانكليزي منحصرة في رجـل ارمني اسمه : (اوهانسيان) . وكان هـذا يصنع القاشاني. وفي دار الايتام السورية المعروفة باسم :(شنللر الالمانية). فعملت جمعية محبي القـدس ، بمساعدة مصلحة المعارف ، على احياء هـذه الصناعة وتشجيعها . اذ انها من الصناعات التي كانت فيما مضى من الازمان معروفة في القدس . وقد قام عدد من صناع الخزف والقاشاني المسلمين بصنع البلاط القاشاني الملون الذي احتاج اليه المجلس الاسلامي من اجل عمارة الصخرة (١٩٢٠ ـ ١٩٢٢)

صناعة القزاز والخزف : تأسس في القدس ، وفي الطريق المعروفة بدرب الآلام ، وبتشجيع من جمعية محبي القدس ، عام ١٩٢١ ، اتون لصنع الخزف . استخدم فيه عدد من الخلايلة الماهرين في هذه الصنعة . ولكن هذه الصناعة لم تنجح كثيرا . رغم انها من الصناعات التي كانت معروفة بالقدس فيما مضى من الازمان .

صناعة البلاط : من الصناعات التي عملت على احيائهـا جمعية محبي القدس (١٩١٩ م) . ومن

= واكثر الخبراء من الارمن . ورفض هؤلاء في بادىء الامر تعليم ابناء العرب من العمال . الامر الذى جعل جمعية محبي القدس تفكر في استحضار عدد من النساجين الماهرين من المجدل . وقد استحضرتهم بالفعل ولكن صناعة النسيج سوق القطانين لم تعش طويلا .

الغريب انه بينما كانت الاعانات والهبات المجموعة بقصد اعانة اللاجئين من الارمن هي التي استخدمت، في بادىء الامر ، من اجل احياء صناعة النسيج ؛ وقد استفاد منها العمال المسلمون . فان الامر كان على عكس ذلك في صناعة البلاط . تلك الصناعة التي انتعشت بفضل الاموال التي انفقتها مصلحة الوقف الاسلامية ، واستخدمت فيها عمالا من الارمن . ولقد ساعدت الحاجة على انتعاش هذه الصناعة . اذ ان المجلس الاسلامي يرغب في الحصول على مقادير وافية من البلاط ، ليضعه مكان البلاط الذي سقط والذي اصبح على وشك السقوط في مسجد الصخرة . واستحضر عمالا ماهرين من كوتاهية ومن دمشق، لاجل مناظرة العمل . وكان بينهم عدد من الارمن ايضاً . وخلال البحث عن ذلك عثر على الافران القديمة التي كان يصنع فيها البلاط قديماً في منطقة الحرم الشريف . وقد تم فيها صنع مقادير وافرة من البلاط المعروف بالصيني، وكان ذلك بادارة مصلحة الوقف ونظارة خبير ارمني جاء من كوتاهية خصيصاً لهذه الغاية ، الا وهو : (داود اوهانسيان) . ان هذا البلاط كان قريباً ، نوعاً ما ، من البلاط الجيد القديم ، ولكنه احسن بكثير من البلاط الاوروبي الذي استعمل في عمارة الصخرة خلال الخمسين سنة الاخيرة .

صناعة الشمع : انها من الصناعات التي اشتهرت في القدس . والشمع المقدسي يصنع باحجام كبيرة . ومنها ما يحتوي على تعاريج وتجاعيد جميلة . والبعض يطبع عليه صور واوراق وزهور . ويباع الشمع بكثرة في الاعياد . ومن هنا نشأت تجارة الشمع . وهي تجارة رابحة .

صناعة خشب الزيتون : وبالاحرى صناعة النقش والحفر في خشب الزيتون . هناك عمال ماهرون اتقنوا ، مع الزمن ، هذه الصناعة ؛ ومنهم من يستطيع ان يحفر في الخشب مناظر تاريخية تلفت النظر باتقانها . ومن الخشب يصنعون ادوات مكتبية دقيقة الصنع ، ولعب للاطفال مختلفة الاشكال والالوان .

تطريز البيض : انها من الصناعات القديمة التي اشتهرت في القدس . فتراهم يثقبون البيضة بثقوب صغيرة بواسطة ابرة دقيقة لاخراج آحها (بياضها) ومحها (صفارها) . وبعد الانتهاء من تنظيفها يطرزون عليها بالابرة العادية رسوم وتعاريج وزهور تبهج النظر . وهي توضع عادة في اقفاص جميلة مصنوعة من النخل المجدول .

جدل النخل : للمقدسيين تفنن خاص في جدل النخل . ويتجلى فنهم هذا في ايام الاعياد .

الصور النباتية : وهناك صناعة الصور النباتية . وهي قطع من الكرتون الصقيل اللامع ، تطبع عليها الرسوم . ثم يلصق حول هذه الرسوم بعض الزهور الجميلة الالوان التي تظهر عادة في سهول فلسطين وجبالها واوديتها بعد تجفيفها وكبسها .

٣٢ — **تجارتها** : انها تستورد الحبوب التي تحتاج اليها من شرق الاردن وحوران وجنوب فلسطين . والخضار من سلوان وعين كارم وبتير والمالحة وبيت صفافا والقرى الاخرى المجاورة لها. ومن المدن القريبة منها كاريحا والرملة ويافا . وفي بعض الاحيان تستوردها من مصر والشام . ولهذا تكاد الخضار لا تنقطع من اسواقها : لا في الصيف ولا في الشتاء . ويستطيع المرء ان يجد فيها مطلوبه من الملفوف والقنبيط والخس والشمندر والجزر والخيار والبندورة والكوسا والباذنجان والبصل والثوم والفجل والبازلا والفليفلة والهليون والارضي شوكه والعنب والبطيخ والتفاح والليمون والبرتقال

وجميع انواع الفواكه والخضار والاسعار تتقلب بطبيعة الحال تبعاً للحروب والاضطرابات .

وقد يكون من المفيد ان نلقي نظرة الى البيان التالي، لنأخذ فكرة عن اسعار الحاجيات الضرورية في اسواق القدس قبل نشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٨) وبعد انتهائها . والأرقام التي دوّناها هي قروش فلسطينية تبين اسعار البيع بالمفرق للرطل الواحد . والقرش الفلسطيني عبارة عن عشرة ملات[١] والرطل عبارة عن تسعمئة درهم :

نوع الحاجة	عام ١٩٣٨ سعر الرطل قرش فلسطيني	عام ١٩٤٧ سعر الرطل قرش فلسطيني
الارز	٦	٢٤
السكر	٦	٣٠
الحنطة	٣	١٨
الشعير	٣	١٤
الذرة	٢	١٢
الصابون	١١	٤٤
السمن	٢٥	١٢٠
السيرج	١٢	٤٥
الزيت	١٠	٦٠
الزبدة	٢٥	٨٥
الحليب	٤	١٥
الجبن	١٤	٥٤
العدس	٤	١٤
الحمص	٤	١٦
البن	١١	٥٠
الفاصوليا	٥	٢٢
البندورة	١	١٠
الزيتون	٣	٢٣
الجوز	١٨	٧٠
الصنوبر	٢٥	٦٠
الفحم	٢	٤
الزبيب	٦	٢٠
القطين	٣	١٨
الخبز	٣	١٠
البرغل	٤	٢٢

(١) (المل) جزء من الف جزء للجنيه الفلسطيني . وكل عشرة ملات تؤلف قرشا فلسطينيا واحداً . والجنيه مئة قرش .

٢٣ — **اوزانها ومكاييلها** : اليك الاوزان القانونية المستعملة في الاسواق المتقدم ذكرها في يومنا هذا (١٩٤٧) :

الدرهم[١] = ٣,٢٠٥ غرام

الأوقة[٢] = ٤٠٠ درهم = ١,٢٨٢ كيلو

القنطار[٣] = ١٠٠ رطل = ٢٢٥ اوقة = ٢٨٨,٤٥٠ كيلو غرام

الرطل[٤] = ١٢ اوقية = ٢,٢٥٠ اوقة = ٩٠٠ درهم = ٢,٨٨٤ كيلوغرام

الاوقية[٥] = ٧٥ درهم = ٢٤٠,٦٣٧ غرام

واما المكاييل القانونية فهي كما يأتي :

الذراع[٦] = ٢٤ قيراط

الذراع[٧] = ٦٧,٧٥ سانتمتر (للثياب)

الذراع[٨] = ٧٥,٨٠ سانتمتر للاراضي والابنية

الدونم[٩] (التركي) = ١٦٠٠ ذراع مربع = ٩١٩,٣ متر مربع

الدونم[١٠] (المتري) = ١٠٠٠ متر مربع

(١ – ٢) و (٦ – ١٠) هذه الاوزان والمكاييل مستعملة في جميع فلسطين، واما (٣ – ٥) فانها مستعملة في القدس وفي جنوب فلسطين فقط . واما في الخليل وفي شمال فلسطين فتختلف عنها بعض الاختلاف .

٢٤ — **اسواقها** : اليك اسماء الاسواق المنتشرة في مدينة القدس : سواء اكانت في داخل السور او في خارجه .

في داخل المدينة القديمة اسواق ، وان كانت مرصوفة ، الا انها ضيقة ومعوجة يزدحم الناس فيها بكثرة . ويزداد هذا الازدحام في الاعياد والمواسم . ويرى المرء ، اذا ما مر من هذه الاسواق ، الفلاحات حاملات على رؤوسهن اسفاطاً واطباقاً وجوناً مملوءة فاكهة ولبناً او بقولا وخضاراً . فتتنحى كل واحدة منهن جانباً من السوق ، فتجلس ، وتضع امامها سلها لتبيع ما فيه الى المارين . وان بعض هذه الاسواق ، ان لم نقل اكثرها وهي القديمة ، مقبوة مظلمة . واليك اسماء بعضها :

سويقة علون : تمتد من الموقف الكائن تجاه القلعة من الغرب حتى ملتقى طريق البازار وحارة النصارى من الشرق . يهبط المارة منها في درجات مرصوفة متتابعة .

سوق البازار : تمتد من سويقة علون غرباً حتى ملتقى سوقي الحصر واللحامين شرقاً . انها مرصوفة رصفاً جميلاً .

سوق الحصر : سوق قديمة صغيرة . واقعة في آخر سوق البازار من الشرق تجاه سوق اللحامين من الجنوب .

سوق اللحامين : تبتدىء عند منتهى سوق البازار من الشرق وتسير في اتجاه شمالي حتى سوق النحاسين . وهي سوق مقبوة . في سقفها نوافذ مفتوحة يدخل منها النور والهواء .

سوق النحاسين : واقعة الى الشمال من سوق اللحامين ، والى الجنوب من باب خان الزيت .

سوق العطارين : سوق طويلة مقبوة ، في سقفها نوافذ تنفذ منها اشعة الشمس فتضيئها . انها واقعة بين سوق التجار من الشرق ، وسوق اللحامين والنحاسين من الغرب .

سوق الباشورة : تجاه سوق العطارين من الجنوب . كانت فيما مضى مقر الحكام المماليك .

سوق التجار : كائنة الى الشرق من سوق العطارين ، وتسير على محاذاة نصفها القبلي ، ثم تتصل بها . وهذه السوق ايضاً مقبوة . وفي سقفها نوافذ تنفذ اشعة الشمس منها فتضيئها . ويسميها البعض (سوق الصياغ) .

سوق اليهود : مقابلة لسوق التجار والصياغ ، يفصل بينهما بعض الدكاكين . وهي سوق طويلة تمتد من نقطة تلتقي عندها سوق التجار بالسوق الكبير في الشمال ، الى مكان قريب من النبي داود في الجنوب . كان معظم تجارها من اليهود . ولما ثار العرب على اليهود (١٩٣٦) بسبب وعد بلفور ، هجرها معظم اليهود . فحل مكانهم عدد كبير من تجار الخليل المسلمين . والعدد القليل من اليهود الذين بقوا فيها ذاقوا الامرين بسبب الجوع والحصار الذي فرضه عليهم العرب .

السوق الكبيرة : ويسمونها سوق الخضرة . تبدأ عند ملتقى سوق اليهود بسوق التجار غرباً ، وتمتد حتى باب السلسلة شرقاً . واذا ما سار المرء في اتجاه شرقي ، وجب عليه ان يهبط في درجات واسعة متتابعة . بعض اقسامها مقبوة ، ولها نوافذ في سطحها . وفي منتصفها الى الشمال خان رحب يعرف بخان السلطان . فيه بعض المطاحن والمعاصر .

سوق باب السلسلة : واقعة في الجانب الاخير لسوق التجار من الشرق ، متصلة بها وبسوق الدلالين ،

كأنها كلها سوق واحدة . ومن هذه السوق يتفرع نحو الجنوب زقاق يهبط المار منه في درجات. وهذا الزقاق يؤدي الى البراق (حائط المبكى) الى الغرب من سور الحرم .

سوق باب القطانين : غربي الحرم وملاصقة له . تمتد من الشرق الى الغرب . فيها دكاكين يظهر من بنائها انها ليست قديمة العهد . ولكنها في يومنا هذا مغلقة . واما السوق نفسها فانها قديمة العهد . كانت على عهد المماليك من احسن اسواق المدينة واكثرها ازدحاماً واتقنها بناءاً وارتفاعاً . وكانت تباع فيها اقمشة قطنية واخرى حريرية تأتي من الهند. واما اليوم فانها خاوية على عروشها . في وسطها حمام يعرف بحمام الشفا وهو خاص بالرجال ، وعند منتهاها الغربي حمام آخر يعرف بحمام العين . يرتاده الرجال والنساء في اوقات مختلفة . وامامها من الناحية الغربية شارع موصل الى دار الايتام الاسلامية ، فحارة القرمي فسوق باب خان الزيت .

سوق باب خان الزيت : شرقي كنيسة القيامة وعلى بعد ثلاثمئة ذراع منها. تبدأ من الناحية القبلية عند ملتقى سوق القطانين بالسوق الموصلة الى كنيسة القيامة ، وتنتهي من الناحية الشمالية عند ملتقى سوق باب العمود بدرب الآلام . اكثرها مقبوة ، في سقفها نوافذ ، الا انها قليلة ، لا تساعد على نفوذ اشعة الشمس منها الا قليلا . في احد مخازنها القريبة من دير الاقباط رأيت جزءاً من بقايا السور القديم.

سوق باب العمود : كائنة بين باب خان الزيت في الجنوب وباب العمود في الشمال . وبين السوقين زقاق اذا ما سرت فيه صاعداً باتجاه الغرب جئت الى الخانقاه الصلاحية ، فحارة النصارى . واذا ما سرت فيه هابطاً نحو الشرق جئت الى الحارة المسماة بـ (الواد) . وهذه السوق قديمة العهد بعضها ، وهو القسم القبلي وجانب من القسم الشمالي ، مقبو ؛ والبعض الآخر ، وهو الوسط ، مفتوح .

سوق باب حطه : كائنة في الحي المعروف بحي باب حطه شمالي الحرم. مستقلة عن جميع اسواق المدينة ومنفردة .

سوق الباب الجديدة : واقعة بين الباب الجديد الذي فتح على زمن السلطان عبد الحميد الثاني شمالي المدينة والكازانوفا .

السوق الجديدة : بباب الخليل وعلى بعد سبعين ذراعاً منه الى الشرق تجاه القلعة . يراها الداخل الى المدينة القديمة من باب الخليل على يساره .

سوق افتيموس : من املاك البطريركية الارثوذكسية . اشترى ارضها البطريرك اثنابيوس سنة ١٨٣٧ من آل العلمي[١] . وبنى فوقها الارشمندريت افتيموس[٢] سوقا سميت فيما بعد على اسمه . وهي واقعه الى الغرب من كنيسة الدباغة وبالقرب من شارع البرنس فريدريك وليم . انها من احسن اسواق المدينة واجملها .

سوق حارة النصارى : سوق كبيرة وطويلة وقديمة . تمتد من سويقة علون في الجنوب الى الخانقاه الصلاحية في الشمال . وهي مرصوفة رصفا جميلا .

ومن هذه السوق تتفرع سوق اخرى باتجاه

---

(١) تاريخ كنيسة اورشليم ص ١٩١

(٢) احد رهبان دير الروم . كان رئيساً لكنيسة القيامة ١٨٨٤ . جمع اموالا طائلة وبنى بها بنايات عديدة ؛ منها هذه السوق المعروفة باسمه . وكان ذلك في اوائل القرن العشرين . بدأ البناء في ١٩٠٢ .

الكنيسة . وهذه السوق مقبوة . فيها دكاكين تباع فيها الشموع والمسابح والصلبان والاواني المستعملة في الصلوات والطقوس الدينية .

وبعد ان تخرج من الباب الشرقي لساحة الكنيسة ، تأتي الى سوق مفتوحة ومبلطة ؛ لكنها قصيرة ، لا يزيد طولها عن مئتي متر . وهي واقعة الى الشمال من سوق افتيموس وكنيسة الدباغه .

ان جميع الاسواق التي ذكرتها في السطور المتقدمة ، واقعة في المدينة القديمة ، داخل السور . واما الاسواق التي في خارج السور ، فانها اكثر اتساقا وتنظيما . وهي ايضا كثيرة . نذكر منها :

سوق باب الخليل : الى الجنوب من الباب المذكور . كان في القسم الجنوبي منها فيما مضى خندق ملاصق للسور . فطمته البلدية وجعلته سوقا . ثم انقلب الى موقف عام للسيارات والباصات . يقابله في الناحية الثانية عدد كبير من الحوانيت والمطاعم والدكاكين التي تباع فيها الخضار . وكذلك قل عن القسم الغربي عند مبدأ شارع يافا فانه ذو صفين : الصف الايمن منه اذا ما جئته من باب الخليل فيه المخازن المعدة لبيع الاقمشه والملبوسات والمقاهي والصيدليات ، والايسر فيه بعض المطاعم والمطابع والبنوك .

سوق طريق ماملا : تتفرع عن سوق باب الخليل . وتسير باتجاه مقبرة ماملا . انها من اوسع الاسواق الكائنة خارج المدينة وانظمها ، وهي سوق عربية . فيها عدد كبير من المكاتب والوكالات والبنوك والمخازن والمصالح الحكومية وغير الحكومية . واذا ما سرت فيها في اية ساعة من ساعات النهار والليل ، وجدت السيارات مصطفة على جانبيها . وهناك عدد كبير من المباني الجميلة .

سوق الشماعة[١] : قبلي طريق ماملا . وهي قسمان : قسم فيه الكاراجات والمحلات المعدة لتصليح السيارات ، وآخر فيه مخازن بيع الأقمشه .

سوق الجمعة : بجانب بركة السلطان وإلى شمالها . يراها المسافر الى المحطه من باب الخليل على يمينه . وهي معدة لبيع الحيوانات . وعلى الجانب الشرقي من البركه المذكورة مستشفى حكومي للحيوانات .

سوق النامرة : نسبة الى آل النمري . واقعه في حي البقعه التحتا ، قبلي كولونية الألمان .

سوق شارع جوليان : الى الغرب من سوق الشماعة . تبدأ عند الزاوية القبلية الشرقية لمقبرة ماملا ، وتنتهي على مقربة من السكة الحديدية . وفيها دار جمعية الشبان المسيحيه ؛ وفندق الملك داود . وهما من اجمل واضخم العمارات الكائنه خارج السور .

سوق شارع البرنسس ماري : في القسم الشمالي من شارع جوليان والى الشرق من مقبرة ماملا .

(١) سميت كذلك نسبة الى منشئها (يعقوب الشماع) من سكان القدس . فقد جاء هذا من حلب واستوطن القدس . وبعد قليل اصبح عضوا في بلديتها . وانشأ هذه السوق فوق ارض اشتراها من دير الروم . وكانت هذه تسمى (النكيفورية) . ولقد تم بناء السوق في عام ١٩٢٧ . وكانت الارض في الاصل من املاك قرية المالحة . ولكن هذا المشروع اي شراء الارض وبناء السوق ساق الشماع الى الافلاس . ولم يستطع تسديد ديونه ، فانتحر بان القى بنفسه الى الشارع من طابق علوي في منزل من منازل اللفاتوه .

سوق طريــق يافــا : اطول الاســواق الكائنة خارج السور . تمتد من نقطة قريبة من باب الخليل وتسير باتجاه يكاد يكون موازٍ لطريق ماملا. وبعد ان تمر عن دار البلدية والمنشية والمسكوبية تسير باتجاه غربي حتى تصل الى المستشفى التركي القديم عند الحي المعروف بالشيخ بدر .

سوق رحافيــا : يجوز اعتبارها فرعاً لسوق طريق يافا. وهي منها الى الجنوب . انها سوق يهودية بحته .

سوق روميما : كائنه في حي روميما . وهــو آخر الاحياء الكائنة غربي المدينة . انها ملاصقه للحي العربي المعروف بحي الشيخ بدر .

سوق باب العمود : شمالي السور . وعلى بعد بضعة امتار من الباب المذكور . تسير في اتجاه حي المصرارة . وتباع فيها الفواكه والخضار بالجملة . وفيها ايضاً عدد من الصيدليات والمخازن المعدة لبيع الحبوب وادوات البناء . كما ان فيها عدداً من المقاهي والخياطين وعيادات الاطباء ومواقف الباصات والسيارات .

ســوق المصراره : فرع من سوق باب العمود .

سوق مياشورم : سوق طويلة ، يكـثر فيها بيع السمك والخضار والدواجن والالبان . والحاجيات المنزلية . وهـذه السوق يهودية بحتة .

اما وقـد انتهينا من ذكر الاسواق ، فانا نرى لزاماً علينا ان نذكر عدد **المخازن والدكاكين** الكائنة في المدينــة ، مصنفة بالنسبة الى انواع الحرف والصناعات وبنسبة الاديان التي ينتمي اليهــا محترفوها ، فنقول :

في القدس ٥١١٠ دكاكين : منها ١٣٥٨ للمسلمين و٩٥٤ للمسيحيين و ٢٧٩٨ لليهود . واليكها بوجه التفصيل :

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
١	مطاحن القمح والحبوب	١	٢	٥	٨
٢	المخابز والأفران	٧	٦	٣١	٤٤
٣	الدكاكين المعدة لبيــع الخبز	٤	٣	١٣	٢٠
٤	الدكاكين المعدة لبيع اللحوم	٤٣	٨	٧٨	١٢٩
٥	الدكاكين المعدة لبيع السمك	٢	—	٢٨	٣٠
٦	الدكاكين المعدة لبيع السقط (المصارين)	٣	—	٨	١١
٧	معامل النقانق واللحوم المقددة	—	—	١	١
٨	سماسرة الفواكه والخضار	٢٠	١	١٤	٣٥
٩	الدكاكين المعدة لبيع الفواكه والخضار	٦٣	٥	١٠٥	١٧٣
١٠	الدكاكين المعدة لبيع الالبان	٢	١	٢٦	٢٩
١١	الدكاكين المعدة لبيع الدواجن	٣	—	١٩	٢٢
١٢	الدكاكين المعدة لبيع البيض	٥	—	١٦	٢١
١٣	مخازن البقالة (بالجملة)	١٤	١٥	٤٥	٧٤

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
١٤	مخازن البقالة (بالمفرق)	٢٩٣	٨٤	٤٥٠	٨٢٧
١٥	معامل الحلويات	١٥	٢	٧	٢٤
١٦	الدكاكين المعدة لبيع الحلويات	٢٩	٦	٣٠	٦٥
١٧	معامل المعكرونة	—	—	٢	٢
١٨	معامل الثلج	١	١	١	٣
١٩	مخازن الثلج	—	—	٢	٢
٢٠	الدكاكين المعدة لبيع المثلجات	١٧	١٧	١١	٤٥
٢١	مطاحن البن	٦	٣	١١	٢٠
٢٢	المصابن	—	—	٢	٢
٢٣	معاصر الزيت	٩	٤	—	١٣
٢٤	معامل المياه المعدنية	١	—	٥	٦
٢٥	الفنادق والمنازل	١٧	١٨	٤٤	٧٩
٢٦	المقاهي والمطاعم	٧٩	٤٨	٩٩	٢٢٦
٢٧	دور السينما	—	٢	٥	٧
٢٨	معامل البيرة ومعاصر الخمور	—	—	٤	٤
٢٩	مستودعات المشروبات الروحية	—	٨	٨	١٦
٣٠	الحوانيت المعدة لبيع الخمور	—	١٥	٣٩	٥٤
٣١	مستودعات السجاير والتبغ والتمباك	—	—	٣	٣
٣٢	الدكاكين المعدة لبيع الدخان والتمباك (بالجملة)	١	٢	٤	٧
٣٣	الدكاكين المعدة لبيع الدخان والتمباك خلا دكاكين البقالة التي تباع فيها هذه الاشياء (بالمفرق)	٢	٣	١٩	٢٤
٣٤	معامل الكبريت	—	—	١	١
٣٥	الدكاكين المعدة لبيع أدوات التجميل	١	٥	٦	١٢
٣٦	صالونات التجميل	١	١	٧	٩
٣٧	المزينون (الحلاقون)	٤٦	٣٠	٦٢	١٣٨
٣٨	الدكاكين المعدة لبيع الزهور	—	—	١٣	١٣
٣٩	معامل الروائح العطرية وادوات الزينة	—	—	١	١
٤٠	المختبرات الباثولوجيه والبكتريولوجيه	—	—	٢	٢
٤١	معامل المواد الكيماوية والعقاقير والمستحضرات الطبيه	—	—	٢	٢
٤٢	مستودعات العقاقير (بالجملة)	—	٨	٧	١٥

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
٤٣	الصيدليات	٨	٧	٣٤	٤٩
٤٤	البنوك	٢	١	١٤	١٧
٤٥	الصيارفه	٣	—	٧	١٠
٤٦	مكاتب الرهن والاسترهان	—	—	١	١
٤٧	الاسواق العموميه	١	—	٣	٤
٤٨	الاسطبلات العموميه	٢	—	—	٢
٤٩	وكالات السياحه والسفر	—	٥	٢	٧
٥٠	شركات التاكسي (للنقل)	٥	٥	٧	١٧
٥١	شركات الباصات (للنقل)	٤	١	٤	٩
٥٢	المحلات المعدة لبيع الزيوت والبنزين	١	١٥	—	١٦
٥٣	المحلات المعدة لتعمير السيارات	—	٧	—	٧
٥٤	المحلات المعدة لتعمير الدراجات	٤	١	١١	١٦
٥٥	المحلات المعدة لتعمير الاطارات	٢١	٣٧	١٧	٧٥
٥٦	المكاتب التي تباع فيها الكتب (بالجملة)	١	٣	١٠	١٤
٥٧	المكاتب التي تباع فيها الكتب (بالمفرق)	٨	١٦	٥٥	٧٩
٥٨	المكاتب والغرف المعدة للمطالعة	٤	٤	٣	١١
٥٩	المكاتب المعدة للنسخ على الالة الكاتبه	٢	٢	٢	٦
٦٠	الطباعون ومنضدو الحروف ومجلدو الكتب	٦	٨	٤٠	٥٤
٦١	معامل الورق	—	٢	١	٣
٦٢	معامل الاحذية	—	—	١	١
٦٣	صناع الاحذية	٦١	٧١	١١	١٤٣
٦٤	المحلات التي تصلح فيها الاحذية	٤١	٥٦	٩٤	١٩١
٦٥	المحلات التي تصنع فيها الاحذية	١٠	٢٠	٢٥	٥٥
٦٦	باعة الجلود	٧	١	١٣	٢١
٦٧	مخازن الملابس الجلدية	٨	١٣	٣٤	٥٥
٦٨	معامل النسيج والحياكة (حياكة الصوف والحرير)	٥٢	١٣	٦٧	١٣٢
٦٩	الدكاكين المعدة لصنع البرانيط	٣٥	١١	٦٧	١١٣
٧٠	مصانع الفرش	—	—	١٥	١٥
٧١	مصانع اللحف	٧	٢	٢	١١
٧٢	مصانع الازرار	١	١	٧	٩

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
٧٣	الخياطون	٢٤	٤٠	١٢٦	١٩٠
٧٤	تجار الاقمشه والاجواخ والالبسة الجاهزة	٩٢	٤٠	٨٦	٢١٨
٧٥	تجار الالبسة القديمة	٥٥	١٦	١١	٨٢
٧٦	الفرائون	—	١	١٣	١٤
٧٧	محلات الكوى والغسيل والصباغ والتنظيف	٢٣	١٥	٤٦	٨٤
٧٨	مخازن الخشب	١	١	٤	٦
٧٩	النجارون	٣٣	٢٣	٦٤	١٢٠
٨٠	الدهانون (وحوانيت الدهان)	٢	٢	٨	١٢
٨١	ماكنات النشر	٤	٥	٢	١١
٨٢	مصانع الاثاث والتنجيد	٣	١	١٩	٢٣
٨٣	المخازن المعدة لبيع الامتعة البيتية المستعملة	—	٥	٢٥	٣٠
٨٤	المخازن المعدة لبيع اثاث المكاتب	—	١	—	١
٨٥	معامل المفروشات المعدنيه	—	—	١١	١١
٨٦	المخازن المعدة لبيع أدوات الرياضة البدنيه	٢	٣	٣	٨
٨٧	معامل لعب الاطفال	—	—	٢٠	٢٠
٨٨	الدكاكين المعدة لبيع لعب الاطفال	١	١	٧	٩
٨٩	معامل صناديق الكرتون	١	٣	٢	٦
٩٠	الساعاتيه	٤	٥	٣٣	٤٢
٩١	معامل الزجاج	—	—	٢	٢
٩٢	معامل المرايا	—	—	٥	٥
٩٣	المصورون وتجار الصور والمحلات المعدة لبيع لوازم التصوير	٤	٢٢	٢٠	٤٦
٩٤	ناحتو التماثيل الحجرية	—	—	٢	٢
٩٥	حفارو المعادن	١	٢	٤	٧
٩٦	الامكنة المعدة لبيع الاثار والفنون الجميلة والسجاد	١	١٢	١٢	٢٥
٩٧	الحدادون	١٥	١١	٤٧	٧٣
٩٨	مصانع السكب والصب	—	—	٣	٣
٩٩	معامل الاسفلت والقار	—	١	—	١
١٠٠	مخازن الفحم الحجري والحطب	٤	—	٤	٨
١٠١	مصانع الاجر والبلاط والاسمنت والزجاج والفخار	١٥	٦	٤٠	٦١
١٠٢	لتون الكلس	١	—	—	١

عدد متسلسل	نوع الحرفة او الصنعة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
١٠٣	النحاسون	٧	٨	١	١٦
١٠٤	السنكريون	٢٥	٢٦	٦٥	١١٦
١٠٥	صانعو العربات	٣	٣	٢	٨
١٠٦	المخازن المعدة لبيع مواد البناء	٤	٨	٣٠	٤٢
١٠٧	معامل الادوات الكهربائيه	١	٣	٢٠	٢٤
١٠٨	المخازن المعدة لبيع الادوات الكهربائية	٧	٦	١٧	٣٠
١٠٩	المخازن المعدة لبيع الماكينات على جميع أشكالها	٢	١٤	٨	٢٤
١١٠	المخازن المعدة لبيع الراديو والالات الموسيقيه	٣	٥	٩	١٧
١١١	مصانع الفسيفساء والرخام	–	–	٢	٢
١١٢	معامل التبييض والطلي بالميناء	–	–	١	١
١١٣	معامل الاواني الصينيه والخزفيه	–	١	٢	٣
١١٤	محلات صنع الفراشي والمكانس	١	–	١٨	١٩
١١٥	محلات تركيب الزجاج والبراويز	١	٥	٥	١١
١١٦	مخازن البضائع العموميه	٥١	٢٩	١٥٧	٢٣٧
١١٧	دكاكين بيع النظارات	–	٢	٨	١٠
١١٨	مستودعات وكالات النقل	٥	–	٨	١٣
١١٩	معامل صنع الشحم والشمع	–	٨	–	٨
١٢٠	مخازن ومزارع وحوانيت مختلفة	٨	٦	١٥	٢٩
	المجموع	١٣٥٨	٩٥٤	٢٧٩٨	٥١١٠

٢٥ – **شركاتها التجارية** : واليك عدد الشركات المتكونة في القدس . وقـد اقتبسنا هذه الارقام من سجلات البلدية في ١ مايس ١٩٤٥ :

العدد	نوع الشركة	عربية	يهودية	اجنبية	المجموع	ملحوظات
١	شركات كيمائية	–	١٦	٢	١٨	منها شركات البوتاس والادوية والاملاح والراديوم .
٢	شركات السجاير	–	٣	١	٤	
٣	شركات الخردوات	–	٥	–	٥	منها شركات لعب الاطفال والتصديف والتلوين والزخرفة والنقش
٤	شركات شراء الاراضي	٢	٦٢	١	٦٥	معظمها شركات لتركيز اليهود في فلسطين وتمليكهم الاراضي .
٥	شركات الاشغال العامه	١	٥٤	٨	٦٣	انهـا شركات تتعاطى الاشغال العامة كالمقاولات والبنـاء والهندسة والتجدير والتصليح .

العدد	نوع الشركة	عربية	يهودية	اجنبية	المجموع	ملحوظات
٦	شركات لنشر العلم والتدريس	—	٦	٦	١٢	انها شركات لتعليم اللغات والطباعة وتقوية الدراسات العلمية .
٧	شركات الطباعة	—	٣٥	٢	٣٧	انها شركات لنشر الصحف والمجلات . ويتبعها مصانع الورق والكرتون .
٨	شركات زراعية	١	٥	١	٧	انها شركات مختصة بالآلات الزراعية والاسمدة وتعمير الاراضي.
٩	شركات ميكانيكية وكهربائية	٣	١٤	٥	٢٢	انها شركات لتركيب لوازم الكهرباء والسيارات وتنظيفها وتعميرها
١٠	شركات المشروبات الروحية	—	٤	—	٤	انها شركات لصنع الخمور وبيعها .
١١	شركات السمسرة	١	١٠	—	١١	انها شركات اسست لتعاطي امور البيع ولا سيما بيوع الاراضي وتسهيل المعاملات .
١٢	شركات الاقمشة والنسيج	٦	٢٢	٣	٣١	انها شركات لصنع الملابس والمفروشات .
١٣	شركات التجارة العامة	١	٥٧	٨	٦٦	انها شركات للتجارة والتصدير والتوريد لجميع انواع البضائع والمؤن
١٤	شركات لمساعدة يهود فلسطين	—	٥	١١	١٦	انها شركات لمساعدة المستشفيات والكنائس والمستعمرات اليهودية
١٥	شركات المطاعم والمقاهي	١	٩	٢	١٢	انها شركات لادارة الفنادق والمطاعم .
١٦	شركات الافلام والسينما	—	٨	١	٩	انها شركات الأفلام السينمائية والتصوير .
١٧	شركات شراء الاختراعات	—	٣	—	٣	انها شركات تعمل على تأسيس المختبرات وشراء الاختراعات ومؤازره المخترعين .
١٨	شركات النقل والسفر	٨	٦	١٠	٢٤	انها شركات الباصات وسيارات الاجرة والنقل في الجو والبر والبحر .
١٩	شركات الاخشاب والزيوت	١	٤	١٠	١٥	انها شركات البترول وزيت الزيتون والاخشاب .
٢٠	شركات التأمين	١	١٢	٣١	٤٤	انها شركات التأمين على الحياة وعلى المخازن والمنازل والالات.
٢١	شركات الجلود والاحذية	—	٣	—	٣	
٢٢	شركات السكب الحديدية	١	٤	—	٥	انها شركات الحديد ولوازم البيوت الكهربائية والميكانيكية .
٢٣	شركات الكاوتشوك	—	٢	١	٣	
٢٤	شركات الساعات	١	—	—	١	انها شركة مصرية لصنع الساعات .
٢٥	شركات الحمضيات	—	—	١	١	
٢٦	شركات المياه	—	٣	—	٣	
٢٧	شركات التموين	٤	١٨	—	٢٢	ومنها شركات المطاحن والخبازين واللحوم والبقالين .
٢٨	شركات ليس لها غايات معينة	—	٧	١٠	١٧	
		٢٢	٨٨٢	٣١١	٢٢٥	

٢٦ ـ **بنوكها** : في القدس ستة عشر مصرفاً (بنكاً) ؛ اليك اسماءها، وتواريخ شروعها بالعمل في فلسطين، ورأس مال كل واحد منهـا بالجنيه الفلسطيني :

عدد	اسم البنك بالعربي	تاريخ شروعه بالعمل في فلسطين	رأس المال المصرح به	المركز الرئيسي	ملحوظات
١	بنك كوبات عام	١٩١٨/١٢/٢٢	٢٥٠,٠٠٠	تل أبيب	
٢	البنك العثماني	١٩١٩/٣/٢٩	١٠,٠٠٠,٠٠٠	لندن	أسس سنة ١٨٦٣ . مراكزه الاساسية في استانبول ولندن وباريز . وله مراكز في جميع انحاء فلسطين.
٣	بنك انجلو ـ فلسطين	١٩١٩/١٠/٢٦	١٠,٠٠٠,٠٠٠	لندن	أسس عام ١٩٠٢ . مركزه الرئيسي في يافا. وله فروع في جميع انحاء فلسطين .
٤	بنك فلسطين للرهن والتسليف	١٩٢٢/٧/٤	٥٠,٠٠٠	تل أبيب	
٥	البنك المركزي للمؤسسات التعاونية بفلسطين	١٩٢٢/٧/٨	١٥٠,٢٠٠	القدس	
٦	المجلس الفلسطيني	١٩٢٢/٨/٣٠	٨٠٠,٠٠٠	القدس	
٧	بنك مزراحي	١٩٢٣/٦/٦	١٠٠,٠٠٠	القدس	
٨	بنك فلسطين التجاري	١٩٢٤/٩/١٦	١٠٢,٥٦٥	حيفا	
٩	بنك باركلس	١٩٢٦/١/١١	١٠,٠٠٠,٠٠٠	لندن	أسس سنة ١٨٣٦ . مقره الرئيسي في لندن. وله فروع في جميع انحاء الامبراطورية البريطانية .
١٠	البنك البولوني الفلسطيني	١٩٢٩/١٠/٢١	١٠٠,٠٠٠	تل أبيب	
١١	البنك العربي	١٩٣٠/٥/٢١	٥٥٠,٠٠٠	القدس	أسسه عبد الحميد شومان. وله فروع في اكثر انحاء فلسطين وسوريا ولبنان ومصر .

الرقم	اسم البنك بالعربي	تاريخ شروعه بالعمل في فلسطين	رأس المال المصرح به	المركز الرئيسي	ملحوظات
١٢	بنك يعقوب يافت وشركاه	١٩٣٣/٨/١٣	٦٢,٠٠٠	القدس	
١٣	بنك الامة العربية	١٩٣٣/١٠/٢٧	١,٠٠٠,٠٠٠	القدس	مؤسسه احمد حلمي باشا عبد الباقي . وله فروع في اكثر انحاء فلسطين وفي مصر ولبنان وسوريا . كان يدعى عند تأسيسه بالبنك الزراعي العربي . وفي سنة ١٩٤٢ استبدل باسمه الحالي . كان راسماله اربعين الف جنيه فاصبح الان ينوف عن المليون
١٤	بنك ايلمرن	١٩٣٤/١/١٤	٧٥,٠٠٠	تل أبيب	
١٥	بنك فوبخت واغنر التجاري العمومي	١٩٣٤/٧/١٩	٧٥,٠٠٠	تل أبيب	
١٦	بنك الخصم الفلسطيني	١٩٣٥/٣/٢١	٥٠٠,٠٠٠	تل أبيب	

وكان في القدس ، قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) بنكان : بنك الماني يدعى (بنك درتمبل كيزلشافت) . تأسس سنة ١٩٢٤ برأس مال قدره خمسون الف جنيه . وبنك ايطالي يدعى (بنكو دي روما) . تأسس سنة ١٨٨٠ برأس مال قدره ٢٠٤ ملايين ليرة ايطالية . ولكنهما اغلقا بسبب الحرب المذكورة .

٢٧ ـ **خدمات البرق والبريد والهاتف** : في القدس مصلحة حكومية للبرق والبريد والهاتف . وقد قامت هذه بتجديد خطوط البرق التركية في سنة ١٩١٨ . وانشأت في تلك السنة ايضاً ولاول مرة في تاريخ القدس شبكة تلفونية . كانت هذه في باديء الامر منحصرة في مصالح الحكومة ودواوينها الرسمية . الا انها توسعت مع الزمن . فصار في القدس (في عام ١٩٤٥) ٥٨٣٦ آلة للتلفون بعد ان لم يكن فيها في عام ١٩٢٠ سوى ١٦٣ .

والقدس مرتبطة ، من حيث المخابرات ، مع البلاد العربية المجاورة ومع القارة الاوروبية والولايات المتحدة الاميركية بالبر والبحر والجو . كانت مخابراتها البرية ، حتى قبل الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) ، تجري عن طريق سوريا وتركيا وبعض البلاد الواقعة شرقي اوروبا .

واما مخابراتها البحرية ، فقد كانت عن طريق

حيفا وثغرها . وعن طريق مصر وثغورها الى فرنسا والمملكة المتحدة بواسطة شركات البواخر البحرية المختلفة .

واما مخابراتها البرقية ، فانها تجري بواسطة اسلاك البرق الممتدة بينها وبين بلاد الشرق المجاورة لها . ومع اوربا بواسطة الاسلاك الممتدة بينها وبين حيفا . ومن هناك بخط بحري (Cable) الى اوربا . ومع الولايات المتحدة عن طريق لندن . وهناك اتصال لاسلكي بينهاوبين اوربا ، وبينها وبين الولايات المتحدة وانحاء العالم الاخرى . تقوم به شركة ماركوني الايطالية ، ومقرها في مصر .

واما اتصالاتها الجوية فانها تجري مع اوروبا وافريقيا واوستراليا بواسطة طائرات شركة الطيران الانكليزية The British Overseas Corporation لما وراء البحار ، ومع الولايات المتحدة الاميركية بواسطة طائرات شركة الطيران الاميركية Pan-American AirWays Service وهذه الشركة تنقل البريد من القدس الى اميركا عن طريق افريقيا الغربية وميامي .

وهناك مواصلات جوية بين القدس وسوريا ايضاً وبينها وبين العراق ومصر .

وقصارى القول بلغت نفقات الحكومة على مصلحة البرق والبريد في فلسطين كلها وفي آخر سنة من سنوات الاحتلال البريطاني (١٩٤٧ – ٤٨) ١،٣٧٥،٣٣٣ جنيها . وهو اكبر بند في الميزانية بعد مصلحة الأمن .

٢٨ – **البلدية** : بعد ان ذكرنا اسواق المدينة وتجارتها وحرفها وصناعاتها وطرقها ومجاريها ، نرى لزاماً علينا ان نقول كلمة في (البلدية) المسؤولة عن هذه الشؤون .

قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب ان اول بلدية منظمة للقدس تأسست في سنة ١٨٦٣ . وانها كانت عبارة عن هيئة محلية صغيرة ذات سلطة محدودة وواردات ضئيلة لم تكن تتجاوز الـ ٥٠٠ جنيه سنوياً . ولبثت الميزانية في تزايد حتى بلغت في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٧) احد عشر الف جنيه .

ولقد ذكرنا ايضاً في موضع آخر من هذا الكتاب اسماء الاشخاص الذين تولوا رآسة المجلس البلدي بالقدس في عهد الاتراك . ونود ان نذكر هنا اسماء اولئك الذين تولوها بعد الاحتلال البريطاني. ولكن لا بد لنا من التمهيد لذلك بالكلمة التالية : سارت الحكومة الانكليزية في فلسطين في بادىء الامر ،على الخطة التي سار عليها الاتراك قبل الاحتلال من حيث اعطاء الشعب حق الانتخاب .فكان دافعو الضرائب ينتخبون ممثليهم في المجلس البلدي . وعدد الاعضاء ستة : اربعة من العرب ،واثنان من اليهود . وكانت الحكومة تختار من بين هؤلاء الاعضاء رئيساً من ذوي الاهلية والاقتدار . وظلت تسير على هذا المنوال حتى اوائل عام ١٩٢٧ .

وكان رئيساً للبلدية عند بدء الاحتلال ، حسين سليم افندي الحسيني ، فموسى كاظم باشا الحسيني ، فراغب بك النشاشيبي . ثم انتخب للرآسة الدكتور حسين فخري الخالدي . وفي سنة ١٩٤٥ اعتقلته الحكومة ونفته الى سيشل، فاقامت مكانه مصطفى بك الخالدي . ولما توفي هذا تسلمها بالوكالة الاضون دانيال اوستر. ولم يكن الاعضاء العرب راضين عن هذا الوضع. اذ لم يسبق ان تولى رآسة بلدية القدس يهودي . ولذلك فقد استقالوا . عندئذ عينت الحكومة لجنة (١١ تموز ١٩٤٥) لادارة الشؤون البلدية ؛رئيسها وجميع اعضائها من الانكليز . وعند كتابتي هذه

السطور كان المستر وبستر المدير العام لمصلحة البرق والبريد هو الرئيس. ووظيفة المجلس البلدي تنحصر في اعمال النظافة والتنوير وفتح الطرق ورصفها ومراقبة البناء والتنظيم وما الى ذلك من الشؤون التي تعود بالخير على سكان المدينة . وقد بلغت موازنتها في العام الفائت (١٩٤٦/٤٧) ٥٥٧ر٢٩٦ جنيهاً . واما في هذه السنة (١٩٤٧/٤٨) فانها ٧٥٠ر٠٠٠ جنيه .

٢٩ — القدس من الناحية الادارية والسياسية:
من اهم المدن الفلسطينية . انها ليست فقط مركز اللواء الاداري الاول المعروف باسم (**لواء القدس**[١]) . بل هي عاصمة فلسطين كلها من أدناها الى أقصاها . وفلسطين الان (١٩٤٧) واقعة تحت الانتداب البريطاني . يديرها مندوب سام[٢] انتدبته بريطانيا ، بصفتها دولة منتدبة من لدن عصبة الامم . ويساعده في ادارته مجلسان : مجلس استشاري ، وآخر تنفيذي . فالمجلس الاستشاري مؤلف من : المندوب السامي (رئيساً) والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، ومدير البوليس ، ومدير الصحة ، ومدير الاشغال ، ومدير المعارف ، ومدير الزراعة ومصايد الاسماك ، ومدير الجمارك والتجارة والمكوس ومدير السكك الحديدية ، وحكام الالوية ، ومدير البرق والبريد ، ومدير مصلحة الاحصاء والمهاجرة ، ومدير تسجيل الاراضي ، والمستشار الاقتصادى ، ومدير مصلحة العمل (أعضاء) .

واما المجلس التنفيذي فمؤلف من المندوب السامي (رئيساً) ، والسكرتير العام ، والنائب العام ، والسكرتير المالي ، وحاكم لواء القدس فقط (أعضاء) .

والقدس — كما قلنا — مركز اللواء الذي يحمل نفس الاسم : لواء القدس . وهو مؤلف من اربعة اقضية هي :

(١) القدس (٢) بيت لحم — اريحا
(٣) خليل الرحمن (٤) رام الله

اما **قضاء القدس** فيتبعه ٦٦ قرية هي: أبوديس، إم طوبا ، بتير ، بيت دقو ، بيت حنينا ، بيت اجزا ، بيت اكسا ، بيت عنان ، بيت جمال ، بيت محسير ، بيت نوبا ، بيت صفافا ، بيت سوريك، بيت ثول، بيت ام الميس، بدو،بير نبالا، البريج ، جبعة ، جرش ، الجيب، الجديرة،الجورة، حزما، خربة اسم الله ، خربة العمور، خربة اللوز، دير أبان ، دير الشيخ ، دير رافات ، دير ياسين، دير عمرو ، رافات ، الرام ، ساريس ، سلوان ، شرفات ، شعفاط ، اشوع ، صاطاف ، صوبا ، صرعة ، صور باهر ، الطور ، عسلين ، العيزرية ، العيسوية ، عين كارم ، عين رافا ، عرطوف ، عقور ، لفتا ، عناتا ، العنب ، قالونيا ، قطنه ، قلنديه ، القسطل ، القبيبة ، كسلا ، كفر عقب ، المالحة ، مخماس ، النبي صموئيل ، نطاف ، الولجة . وهناك عشيرة واحدة هي : **السواحرة** ، يعيش قسم منها في دور حجرية . وثماني **مستعمرات يهودية :**

(١) اليك اسماء الالوية الستة التي تتكون منها فلسطين في الوقت الحاضر (١٩٤٧) : - (لواء القدس) ويتبعه اقضية القدس، ورام الله، والخليل، وبيت لحم — اريحا.(لواء اللد) ويتبعه اقضية يافا،والرملة ، واللد. (لواء حيفا) ويتبعه اقضية حيفا ، وعكا . (لواء الجليل) ويتبعه اقضية الناصرة، وطبريا ، وصفد ،وبيسان. (لواء السامرة)ويتبعه اقضية نابلس ، وطول كرم ، وجنين . (لواء غزه) ويتبعه اقضية غزه ، وبير السبع .

(٢) ذكرنا اسماء جميع المندوبين الذين تولوا الحكم بفلسطين في آخر الفصل الذي خصصناه للاحتلال الانكليزي .

موتزا الفوقا. رامات راحيل. موتزا التحتا. معلى. قريات عنبيم. نبي يعقوب. عطاروت. هارطوف.

واما **قضاء بيت لحم ـ اريحا** ؛ ففيه اربع مدن هي : بيت لحم . بيت ساحور . بيت جـالا . أريحا . و ١٦ قرية هي : ارطاس . بيت فجار . بيت عطـاب . البحر الميت . الخضر . حسان . رأس ابو عمار . دير الهوى . السفلى . عـلار . العوجا . القبو . المغطس . نحالين . النويعمة . وادي فوكين . وهناك سبع عشائر هي : الرشايدة العبيدية. التعامره. الديوك . العريقات . السعايده. النصيرات . واربع مستعمرات يهوديـة هي : كوتسات هاهوكيم. كفرعصيون . ماسوت . كاليا.

واما **قضاء الخليل** فيتبعـه ٣٥ قرية هي : ادنا، بيت جبرين . بيت نتيف . بيت كاحل. بيت اولا، بيت اومر . برقوسيا . بني نعيم . تفوح . ترقوميا. تل الصافي. جبعة. حلحول. خاراس. دير الدبان. دير نخاس . الدوايمة . دورة . رعنـا . الريحية . زكريا . زكرين . زيتا . سعير . سنابرة . ام برج . السموع . الشيوخ. صوريف . الظاهرية . عجور . القبيبة . كدنا . مغلس .نوبا . يطا . وهناك ثلاث عشائر تابعة للخليل وهي : الجهالين (هما فخذان: الزويديون . والفرجات) . والصرايعة .

واما **قضاء رام الله** : فيتألف من مدينتين وهما : رام الله . البيرة . ومن ٥٨ قرية هي : ابو شخيدم . ابو قش . ام صفا . برقا. بيتين . بيرزيت . برهام . بيت ريما . بيتللو . بيت عور الفوقـا . بيت عور التحتا . بيت سيرا . بيت لقيا . بيتونيا . ترمسعيا. جفنا . جمالا . الجانية .جلجليا . جيبيا . خربة ابو فلاح . خربثا المصباح . دورا القرع . دير دبوان . دير بزيع . دير جرير . دير عمار . دير ابو مشعل . دير نظام . دير السودان . دير غسانة . رأس كركر. رمون . سلواد . سنجل . سردة . صفا . الطيبة . الطيرة . عبوين . عين سينيا . عارورة . عجول . عين قينيا . عين عريك . عابود . عـين يبرود . عطارة . قراوة. كفر نعمة . كفرمالك . كفرعين . كوبر . المزرعة القبلية . المزرعة الشرقية . مزارع النوباني . النبي صالح . يبرود .

وليس في قضـاء رام الله عشائر بـدوية ولا مستعمرات يهودية .

والكشف الآتي يبين لك عدد المدن والقرى والعشائر والمستعمرات في كل قضاء من الاقضيـة الاربعة التابعة للواء القدس (١٩٤٦) ، وكذلك عدد السكان في كل قضاء :

اسم القضاء	عدد المدن	عدد القرى	عدد العشائر البدوية	عدد المستعمرات اليهودية	يكون	نفوس الجميع
القدس	١	٦٦	١	٨	٧٦	٢٢٨,٥٤٠
الخليل	١	٣٥	٣	—	٣٩	٨٩,٦٥٠
رام الله	٢	٥٨	—	—	٦٠	٤٧,٢٨٠
بيت لحم ـ اريحا	٤	١٦	٧	٤	٣١	١٩,٤١٠
	٨	١٧٥	١١	١٢	٢٠٦	٣٨٤,٨٨٠



فريق من رجال الشرطة العرب بالقدس في عهد الانتداب البريطاني
يتوسطهم قائدهم الضابط محمد السعدى.



الجهة الشرقية لمدينة القدس

امام صفحة ٤٨١

لا نعلم بالضبط كم كانت ادارة القدس ولوائهـا تكلف الحكومة . ولكننا نعلم انها (اي الحكومة) انفقت في سبيل ادارة فلسطين كلهـا وفي آخر سنة من الانتداب (١٩٤٧ / ٤٨) ١٫٠٧٥٫٦٨٠ جنيهاً (بما في ذلك رواتب المندوب السامي والحكام وموظفي الادارة والسكرتيرية). هـذا من مجموع النفقات التي بلغت في تلك السنة ٢٤٫٦٣٥٫٠٦٦ جنيهاً . وكان في القدس عشرة آلاف موظف بين كبير وصغير ، ومن جميع الاجناس والاديان .

واما واردات الحكومة في تلك السنة فقد بلغت ٢٣٫٥٥٩٫٦٨١ جنيهاً . معظمها جاء عن طريق الجمارك (١٠٫٥٠٠٫٠٠٠) وبعضهـا من ضريبة الدخل (٢٫٥٠٠٫٠٠٠) ومن ضريبة الاملاك في القرى (٥٧٥٫٠٠٠) وضريبة الاملاك في المـدن (٨٠٠٫٠٠٠) ومن ضريبة الحيوانات (٢٠٠٫٠٠٠) ومن رسوم التمنا (٣٥٠٫٠٠٠) ومن ارباح الشركات (٥٠٠٫٠٠٠) ومن رسوم النقـل على الطرق والسيـارات (٣١٠٫٠٠٠) ومن آلات الراديو (١٠٠٫٠٠٠) ومن رسوم الدخان (١٫٢٥٠٫٠٠٠) والكحول (٧٠٠٫٠٠٠) والملح (٣٥٫٠٠٠) والكبريت (٦٧٫٥٠٠) .

ومن رسوم المحـاكم (١٤٠٫٠٠٠) وتسجيل الشركات (١٠٠٫٠٠٠) وتسجيل الاراضي عن طريق الوراثة او البيع وما الى ذلك (٩٠٠٫٠٠٠) ومن اجور البرق والبريد والهاتف (١٫٨٨٥٫٠٠٠) ومن املاك الدولة عن طريق التأجير (٦٤٫٧٠٠) ومنهـا عن طريق البيع (١٨٫٥٠٠) ومن الموانئ والسكك الحديدية (٥٧٫٦٩١). وهناك بنود مختلفة تدر على خزينة فلسطين من الوارد ما يجعلها في غير حاجة للاعانات من الخارج . هذا مع العلم بأنه كان هنالك دوائر عديدة لا لزوم لها ، وعدد كبير من الموظفين كانت البـلاد في غنى عنهم . ولا سيما ذلك الجيش الجرار من الموظفين الـبريطانيين الذين كانوا في كل سنة يزدادون . ومهمتهم قبل كل شيء توطيد اركان الانتداب وبالحرى الحكم الأجنبي في البلاد . وما كان اكـثرهم من النزاهة بحيث يمكن ابعادهم عن مجال الشبهات ! . .

وفي قطاع القدس قوة من البوليس لحفظ الامن. وكانت هذه القوة ، في اواخر عهـد الانتداب ، تقوم على الترتيبات التالية :

(آ) **في المدينة** ثمانية مراكز للبوليس فيها من الضباط وافراد الشرطة ما نثبته في البيان التالي :

عدد المراكز	اسم المركز	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		انكليز	عرب	يهود	مجموع	انكليز	عرب	يهود	مجموع
١	القشلة	٤٠	٨٠	–	١٢٠	١	١	–	٢
٢	حارة اليهود	–	–	٢٥	٢٥	–	–	١	١
٣	الحرم	–	٦	–	٦	–	١	–	١
٤	مياشورم	٧٠	١٢	٢٥	١٠٧	١	١	–	٢
٥	محنة يهودا	٨٠	٩٥	٦٠	٢٣٥	١	–	١	٢
٦	كولونية الالمان	٥٠	٣٣٠	١٣	٣٩٣	١	١	–	٢
٧	انجلو – فلسطين	٢٥٠	٢٥٥	٩٣	٥٩٨	١	١	–	٢
٨	المقر العام	–	–	–	–	٨	–	–	٨
		٤٩٠	٧٧٨	٢١٦	١٤٨٤	١٣	٥	٢	٢٠

وعلى رأس هذه القوة نائب لمدير البوليس يحمل تاجاً ، وهو انكليزي (مستر) . وخمسة مساعدون للنائب بثلاث نجم ، وهؤلاء ايضاً انكليز ومفتشان اولان بنجمة واحدة : هما ايضاً انكليز . وبلغت نفقات قوة البوليس في المدينة في آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧) ٩٦،١٥٠ جنيهاً فلسطينياً .

(ب) واما رجال البوليس المسؤولون عن **القرى التابعة لقطاع القدس**؛ فمركزهم في القشلة التركية القديمة داخل السور . وهم موزعون في قرى القدس كما يلي :

عدد المراكز	اسم المركز	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		انكليز	عرب	يهود	مجموع	انكليز	عرب	يهود	مجموع
١	اريحا	٢٦	٤٩	–	٧٥	١	١	–	٢
	(آ) طلعة الدم	–	١٥	–	١٥				
	(ب) البحر الميت	–	–	٣٩	٢٩				
	(ج) جسر اللنبي	١٢	٣٠	–	٣٢				
					١٦١				
٢	بيت لحم	٣٢	٥٥	–	٨٧	١	١	–	٢
٣	قرية العنب-ابوغوش	٢٥	٢٨	–	٥٣	١	١	–	٢
٤	عرطوف	١٦	١٨	–	٣٤	–	–	–	–
٥	المركز	٢٢	٦٢	–	٨٤	٢	٢	–	٤
		[illegible]	[illegible]	[illegible]	٤١٩	٥	٥	–	١٠

وعلى رأس هذه القوة نائب لمدير البوليس ، وقد كان هذا في آخر سني الانتداب عربياً (هو فايز بك الادريسي) .

(ج) وهناك سجن للرجال في القدس . يعمل فيه مئة وعشرة رجال من البوليس . خمسة منهم ضباط (ثلاثة انكليز وعربيان) ومئة وخمسة انفار برتب مختلفة : خمسة عشر منهم انكليز ، وسبعون عرب ، وعشرون يهود . وفي بيت لحم سجن للنساء . فيه واحد واربعون سجّاناً . احدهم ضابط ، وهو انكليزي ؛ والباقون انفار : خمسة انكليز ، وخمسة وثلاثون عرب .

(د) **في رام الله** : مركز واحد هو في مدينة رام الله . واربعة مخافر هي في (١) محطة الاذاعة و (٢) قرية الطيبة و (٣) النبي صالح و (٤) رأس اللبن. واليك بيان القوة الموجودة في المركز المخافر :

عدد المراكز	اسم المركز او النقطة	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		انكليز	عرب	يهود	مجموع	انكليز	عرب	يهود	مجموع
١	رام الله	٣٢	٣٢	—	٦٤	١	٢	—	٣
٢	محطة الإذاعة	١	٥١	—	٥٢				
٣	قرية الطيبة	—	١٦	—	١٦				
٤	النبي صالح	١٤	٢٢	—	٣٦				
٥	رأس اللبن	—	٢٣	—	٢٣				
		٤٧	١٤٤	—	١٩١	١	٢	—	٣

(هـ) **في الخليل** : **قطاع الخليل** ينقسم الى ثلاثة مراكز : هي (١) الخليـــل و (٢) الضاهرية و (٣) بيت جبرين . واليك بيان القوة الموجودة في هذه المراكز :

عدد المراكز	اسم المركز	عدد افراد الشرطة				عدد الضباط			
		انكليز	عرب	يهود	مجموع	انكليز	عرب	يهود	مجموع
١	الخليل	٣٠	٣٤	—	٦٤	١	١	—	٢
٢	الضاهرية	١٤	١٧	—	٣١	١	١	—	٢
٣	بيت جبرين	١٤	١٧	—	٣١	١	١	—	٢
٤	المركز (في الخليل)	—	—	—	—	١	١	—	٢
		٥٨	٦٨	—	١٢٦	٤	٤	—	٨

ولقد بلغت نفقات قوة البوليس في لواء القدس كله ، وفي آخر سنة من سنوات الاحتلال (١٩٤٧) ٤٩٨,٦٢٠ جنيهاً فلسطينياً[١] . وكان على رأس هذه القوة مدير انكليزي هو مستر هيد نغهام .

وهنا ، في القدس ،مركز الرئاسة لقوة البوليس كلها في فلسطين. وكانت هذه تقوم في عمارة كبيرة من العمارات التابعة للمسكوبية. الرئاسة مؤلفة من :

مفتش عام للبوليس والسجون بتاج وسيفين ، وهو انكليزي [Col. Grey] .

ونائب للمفتش بتاج ونجمتين، وهو ايضاً انكليزي،

وثمانية مدراء بتاج ونجمة : ستة منهم انكليز ، وعربيان .

وعشرة نواب للمدير بتاج ؛ سبعة منهم انكليز وعربيان ، ويهودي واحد .

وعشرة مساعدون لنواب المدير بثلاث نجم : ثمانية منهم انكليز ، وعربيان ، ويهودي واحد .

وستة عشر مفتشاً اولا بنجمتين : تسعة منهم انكليز ، وخمسة عرب ، ويهوديان .

وفي الرئاسة مئة وخمسون كاتباً من مختلف الرتب : خمسة عشر منهم انكليز ، وخمسون يهود ، وتسعون عرب .

ولقد بلغت نفقات الرئاسة في السنة الأخيرة (١٩٤٧) من سنوات الانتداب مئة الف جنيه فلسطيني .

واما نفقات رجال البوليس في **فلسطين** كلها فقد بلغت (١٩٤٧ / ٤٨) ٧,٠١٠,٥٠٨[1] جنيهات . هذا من مجموع نفقاتها التي بلغت في تلك السنة ٢٤,٦٣٥,٠٦٦ جنيهاً . والمبلغ الذي انفق في مصلحة الامن كان اكبر مبلغ أنفق على أية مصلحة من المصالح الحكومية الاخرى[1] . وما كانت نفقات الامن لتصل الى هذا الحد ، لولا سياسة الحكومة . تلك السياسة التي فُرضت على العرب فرضاً ؛ فحملت اليهم **الوطن القومي اليهودي** ، وحملت اليهم من ورائه **الانتداب** ! . .

٣٠ – **مستوى المعيشة فيها** : من الانصاف ان نذكر ان أبناء القدس، على الرغم من جميع الاحداث التي مرت بهم والتي حدثناك عنها في السطور السابقة ، وعلى الرغم من الكرب الذي ألمّ بهم اثناء الانتداب بسبب السياسة الخرقاء التي اتبعتها الحكومة البريطانية لتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي ؛ يرتعون اليوم (١٩٤٧) في رغد من العيش ، ويقفون على مستوى ارفع بكثير مما كانوا عليه في العهد التركي . ولست اغالي ان قلت انهم ، من هذه الناحية ، سبقوا اخوانهم في الاقطار العربية المجاورة ؛ وان كانوا ، من حيث السياسة وهناء البال ، تأخروا عنهم عشرات السنين ! . .

بلى وربك . انك إذا ما رنوت اليهم الفيتهم كأنهم في هناء دائم ونعيم مقيم ! . . . فالتجارة في بلدهم رائجة . والاعمال متيسرة. والارباح متوفرة. وحركة البناء والإعمار مستمرة . وليس في البلد عمال عاطلون عن العمل . والمال في ايدي الناس كثير . والاقبال على العلم منقطع النظير . ولست ترى ، اينما حللت ، سوى منازل عامرة ، ورياش فاخرة ، ووجوه نضرة . ولاتسمع ، حيثما سرت ، إلا اخباراً عن اجتماعات عائلية ، وحفلات ، وسهرات ، ومظاهر ان دلت على شيء فانما تدل – في مجموعها – على رغد العيش ،وعلى السعادة ، وعلى الرضا ،والهناءة وراحة البال ؛وما هم – في الحقيقة –

(١) ان ثلثي هذا المبلغ انفق رواتب لرجال الامن من افراد وضباط من مختلف الرتب ، والثلث الاخر نفقات مختلفة . والشطر الاكبر من الرواتب (٣,٠٩٥,٨٠٨) كان يدفع للبريطانيين .

(١) البند الثالث في الميزانية من حيث الاهمية،وهو ١,٠٥٦١,٥٢١ جنيها انفق على المدارس وشؤون التعليم .

بسعداء . لان هذا الثراء الذي تراه ، ليس الا نتيجة موقوتة لمشاريع الانشاء والتعمير ، رسمهـا لهم ولبلدهم الاغيار ، ليجدوا مبرراً لادخال قافلة جديدة من المهاجرين ! . . والمهاجرون القادمون – اياً كانوا ومهما كان السبب الذي يُنتحل من أجل ادخالهم ! – يكونون عادة مصدر رزق لابناء البلد الذين يحلون فيه · بمقدار ما يكونون – من الناحيـة السياسية والمغزى الاجتماعي البعيد – مصدر شر ونقمة وبلاء . . .

انها كالسم في الدسم . ظاهرها فيه الرحمة ، وباطنها فيه العذاب .

اضف الى ذلك المبالغ الضخمة التي تنثرهـا الحكومة : رواتب للموظفين وللبحر الخضم من الضباط والجنود المرابطين في البلاد . والمبالغ التي تدفعها اجوراً للعمال ، وللمنازل التي تستأجرها من اصحابها وتتخذها مقراً لمختلف مصالح الحكومة ودواوينها .

وقد ازدهرت حركة السياحة في السنوات الاخيرة فراح يفد الى القدس عدد كبير من السياح والزائرين من مختلف انحاء المعمورة . . من الشرق والغرب . . فيزورون الاماكن المقدسة . . ويعودون الى بلادهم . . ولقد أحصت الحكومة عدد السياح الذين دخلوا فلسطين في السنوات العشر التي مرت بين ٤ مي ١٩٢٦ و ١٩٣٦ بما يقرب من خمسين الفاً في السنة . فاذا ما قدّرنا ان معظم هؤلاء السياح ، ان لم نقل كلهم ، يهبطون مدينة القدس – لان الغاية من مجيئهم هي زيارة الأماكن المقدسة ، والاماكن المقدسة موجودة فيها – وان ما ينفقه الواحد منهم اثناء وجوده في هذه المدينة لا يقل عن اربعين جنيهاً ؛ علمنا ان ما تجنيه القدس من هذا المورد وحده لا يقل عن مليونين من الجنيهات .

وأما الرواتب التي يتقاضاها الموظفون ، سواء أكانوا من أبناء القدس أم ممن وفدوا اليها بقصد العمل في مختلف المصالح التجارية والدواوين الرسمية ، فانها مورد غزير لا يستهان به . لا بل انه قد يفوق الموارد الأخرى . أنه وإن لم تكن لدينا أرقام موثوقة عن الموظفين المستخدمين في مختلف المصالح التجارية ، الا أننا نستطيع الجزم – استناداً الى ما لدينا من أرقام رسمية – أنه يعيش في القدس في يومنا هذا (١٩٤٧ م) عشرة آلاف موظف حكومي في رتب ودرجات مختلفة ، وأن الاموال التي ينفقها هؤلاء في المدينة من اجل اعاشتهم واعاشة عيالهم وملابسهم ومساكنهم من الضخامة بحيث تستحق التدوين .

واما حركة البناء والعمران ، فحدث عنها ولا حرج . انها تدر على القدس اموالا كثيرة . فان الازدياد المستمر في عدد السكان جعل حركة البناء أيضاً في تقدم مستمر . وعادت هذه بالربح الوفير ، لا على العمال والبنائين فحسب ، بل على تجار الخشب والحديد والاسمنت وسائر مواد البناء ايضاً ، حتى وعلى اصحاب الاراضي ومقالع الحجارة . فان القدس مليئة بهذا النوع من المقالع . ويخرج منها أنواع كثيرة من الحجارة ذات الالوان المختلفة . وحجر القدس من أحسن الحجارة وأجملها وأقواها . ولا سيما النوع المعروف بالحجر المزي الصلب . . . أبيض وأحمر . . . لونه يسر الناظرين . ويشتغل في هذه المحاجر عدد كبير من اصحاب الاراضي والعمال الخبيرين في قلع الحجارة وقطعها وتهذيبها وبنائها ، وكلهم عرب . والعامل العربي في يسر . يتقاضى أجراً لا بأس به ، اذا ما قيس بالأجور التي يتقاضاها العمال في البلاد الاخرى . فقد بلغ أجر العامل في اليوم الواحد ٧٥٠ ملا . وأكثرهم عمال بناء .

يتناول الواحد منهم جنيهاً واحداً في اليوم. وأقل العمال اجوراً هم عمال الطرق . فان الواحد منهم يتقاضى ٢٥٠ ملاً . ومـا كانت القدس تعرف ساعات العمل . لا . ولا كان فيها قوانين للعمال . واما اليوم فان ذلك كله مرتبط بنظام .

وفي القدس عـدد كبير من التجار يملكون ثروات طائلة .

ومع هذا فان نفقات العيش في القدس مرتفعة، بمقدار ما فيها من حركة وربح. فان الاسرة الواحدة من الاسر الوسطى المؤلفة من خمسة اشخاص (رب البيت وامرأته واولاده الثلاثة) لا يكفيها ، من اجل عيشها عيشة شريفة راضية ، اقل من اربعين جنيهـاً في الشهر . ذلك لان اسعار الحاجيات في ارتفاع مستمر ، ولان مستوى المعيشة قد ارتفع ، في السنوات الاخيرة ، ارتفاعـاً بلغت الانظار . وحدث ، بعد الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، تغيير في ذوق ابناء المدينة من حيث اللباس والطعام والاثاث المنزلي ووسائل النقل والوقاية والتدفئـة وغير ذلك من وسائل الحضارة الحديثة . كما حدث تغيير في العقول والاذهان وفي تذوق مفاهيم الحياة .

وهذا ما يحدوني لذكر نُبذ من اخلاق بنيه وطباعهم في السطور التالية :

٣١ – **أخلاق وطباع** : إذا جاز لي ان ابدي رأيي في اخلاق بني قومي وبلدي وطباعهم ، قلت : انني ، على الرغم من كل ما قيل عنهم ولهم ، مـا برحت عند حد الاعتقاد ان لهم من الصفات مـا يستطيعون ان يباهوا به اترابهم من الاقوام المجاورة لهم . واني لذاكر من تلك الصفات : الزهـد ، والتقوى ، والحلم ، والعفة ، والمروءة ، والنجدة ، والصدق في القول ، والابتعاد عن الاذى ، وحب الخير ، والامتناع عن الخمر والميسر والمخدرات ، والاعتدال في الحب والكره .

وقـد قطعوا ، من حيث ادراكهم حقائق الاشياء ، شوطاً بعيداً .

فما عادت الفتاة المقدسية ، مثلاً ، تعبأ بالحجاب كما كانت تفعل امها من قبل . وكثيراً مـا نراها تخرج من منزلها سافرة . ومـا عاد الفتى المقدسي يتمسك بالمعتقدات والاساطير القديمة البالية .

انهم ، في الحقيقة ، من سعة الادراك والفهم على جانب خليق بالتقدير . يتتبعون حوادث الكون ، ولا سيما ما يتعلق منها بمصير وطنهم وامتهم ، باهتمام يلفت النظر . ويقـرأون من الكتب والصحف والمجلات العلمية والادبية اكثر ممـا يقرؤه ابنـاء الشرقين : الاوسط والادنى . والمتعلمـون الذين أرسلهم آباؤهم لاتمام دراساتهم الجامعية كثيرون . وعددهم ما برح في ازدياد مستمر .

ولولا الحكم الاجنبي ، وما جره هذا على البلاد من ويلات ، لما بقي فيها أميّ واحد . ذلك لان الميل لمعرفـة الحقيقة وفعل الخير ، كامن في نفوس اهل القدس . وقد صهرتهم حوادث الايام : من زمن الصليبيين . . . الى زمن الاتراك العثمانيين . . الى زمن البريطانيين . . . فقد كانوا دائماً وأبداً في صراع دائم مـع الدهر واحداثه . . . وفي قلق مستمر . . . وتحفز لما قد يأتي به الغد من مآس جديدة . . وللاحداث اثرها في تكوين الطباع . . ومن هنا جاءت صفات الخوف والشك والحذر . . ومن هنا ايضاً جاء القول الذي الصقه بهم بعض الزوار والسائحـين الذين نزلوا هـذه المدينة وغادروها قبل ان يتمكنوا من دراسة طباع أهلها دراسة كاملة . فاكتفوا بالقول : « ميتهـا لم ،

وصحبتها ما بتم ! . . » وقولهم ايضاً : « القدس طشت من ذهب ، مليء بالعقارب ! . . »

هذا ، وقد اتسعت صدورهم للنقد النزيه . فتراهم يرحبون بالتوجيه الصحيح ، ويسيرون على هداه ، سيما اذا كان هذا مصحوباً بالحجة الدامغة . وكثيراً ما يعملون بالقول المأثور ـ : وجادلهم بالتي هي احسن . .

وبعد ان كانوا يخبطون خبط عشواء في سيرهم وتفكيرهم ، وينتهجون سبل الارهاب والقسوة في بيوتهم ومنازلهم ؛ راحو يحكمون العقل والمنطق في كل عمل من اعمالهم .

ومع هذا . فانهم لا يخلون من صفات تعتبر ـ بالنسبة لمفاهيم هذا العصر ـ نقائص . . والكمال لله وحده . . ومن صفاتهم التي يؤخذون عليها : انهم يميلون الى (**المجاملة**) اكثر من اللزوم ! . . وانهم كثيراً ما يسترسلون في التمييز بين الاسر الكريمة (!) والاسر غير الكريمة (!) . . مع ان الزمن الذي كانت البغضاء متأصلة فيه بين **قيس و يمن** وبين اتباعها ، قد ولى ! . . انهم لايزالون متأثرين بعقلية الماضي . فتراهم ـ اذا ما ارادوا ان يفاضلوا بين زيد او عمرو من الناس ـ **يبحثون عن اصله وفصله وعن العشيرة التي ينتمي اليها هذا وذاك ! . . وقل ان يقيموا وزناً لعلم هذا ، او خلق ذاك ! . . ومن هذه العادة ينبثق تغنيهم بمجد الآباء والاجداد ! . .** وقد استغل ولاة الامور في العهود السابقة هذا الميل ، وعملوا على تغذيته وانمائه ! . . فكانوا يعهدون الى زيد من الناس بمنصب كبير ، اذا ما علموا انه ينتمي الى احدى الاسر المعروفة ! . . ثم لا يلبثون ان يقيلوه من ذلك المنصب ، ويولوا بدلا منه شخصاً آخر من الاشخاص الذين ينتمون الى اسرة اخرى ! . وهكذا دواليك ! . .

انها . . هي هي . . السياسة الغاشمة نفسها . . التي اتبعها الاجنبي الدخيل . . والتي تستند على المبدأ القائل : **فرق تسد** . . وهكذا كانت الاسرة المقدسية تقتتل (!) من اجل الوصول الى كرسي الزعامة ! . . ولكن هذه العادة السقيمة آخذة في الزوال .

والمرأة العربية في هذا البلد وان كانت ، الى حد محدود ، اسعد حالا مما كانت عليه في الازمنة السالفة ؛ الا انها ما برحت في حاجة لمن ياخذ بيدها . ذلك لان حرية الرأي عند الزواج ما برحت ـ الى حد يذكر ـ مكبوتة . وكثيراً ما سمعنا عن فتاة زفت ـ على الرغم منها ـ الى شاب لم تره ! . . وقد لا تكون راغبة في الزواج منه . . اضف الى ذلك غلاء المهور . الامر الذي كان له اسوأ الاثر في المجتمع . مع العلم ان حوادث الطلاق وتعدد الزوجات قد انخفضت الى حد كبير . وكذلك قل عن حوادث الزنا . . وما عاد الناس يرغمون نساءهم على البقاء بين الجدران . . وقد قطعت بيت المقدس شوطاً بعيداً في ميدان العلم والادب والتهذيب . كما قطع ابن القدس شوطاً غير قصير في ميادين الطب والهندسة والاعمال الفنية الاخرى .

وانطلق **الجميع نحو هدف معين : هو التفكير في مصير وطنهم وامتهم. فانك تكاد لا تغشى مجلساً من مجالسهم ، الا وتسمعهم يتحدثون عما كان وما سيكون** . ومن اصدق تمنياتهم ان يروا بلاد العرب كلها عزيزة حرة مستقلة في وحدة عربية تشمل الجزيرة العربية كلها : من ادناها الى اقصاها .

وانك لترى المسلمين والمسيحيين من ابناء هذا البلد المقدس ، يسيرون في هذا المضمار على نهج واحد . انهم متقاربون كل القرب من حيث

الاخلاق والطباع ، ومن حيث المبادىء السياسية والاجتماعية ايضاً . وقد ازدادت اوصر المحبة والتآخي متانة بعد زوال الحكم التركي وفي غضون الانتداب، بسبب مطامع اليهود والنكبات التي المت بالمسلمين والمسيحيين على حد سواء . عندئذ عقدوا العزم على ان ينسوا الماضي، يوم كان الأخ يقتل أخاه من اجل عقيدته الدينية ! وراحوا يعملون على درء الشر يداً واحدة . وقد قاوموا الانتداب والوطن القومي اليهودي ثلاثين عاماً . دون ان يتمكن المستعمرون من تفريق صفوفهم . وكان شعارهم الوحيد :

الدين لله ، والوطن للجميع

تلك هي اخلاق بني قومي . ذكرتها بشيء كثير من الايجاز . وقد يكون من الانصاف ان اذكر ايضاً، ان التجارب علمتني ان كل صفة من الصفات التي ذكرتها في الاسطر المتقدمة – الحسنة منها والسيئة – لها استثناءات .. وان تلك الاستثناءات قد تجدها عند كل طبقة من الناس ، وفي كل بيت واسرة . . .

فالكمال لله وحده . .

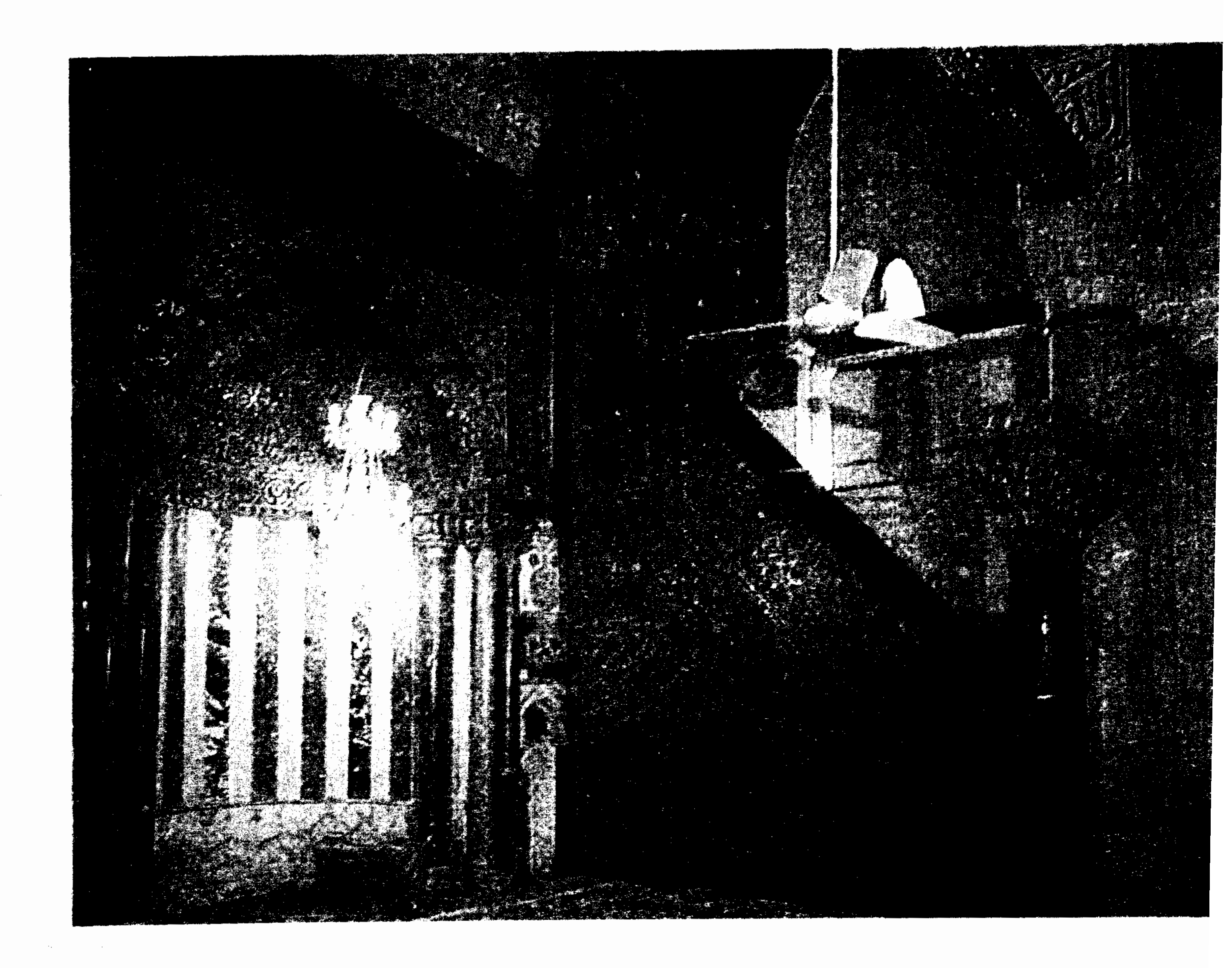
ولله في خلقه شؤون . .



فئة من رجال الامن : انكليز وعرب في عهد الانتداب البريطاني

الباب الثامن

الاماكن المقدسة



- الاماكن الاسلامية المقدسة
- الاماكن المسيحية المقدسة
- الاماكن اليهودية المقدسة

الاماكن الاسلامية المقدسة

مساجد القدس وجوامعها :

في مدينة القدس اليوم (١٩٤٧) اربعة وثلاثون مسجداً . هـذا بالاضافة الى المسجدين الكبيرين : مسـجد الصخرة والمسـجد الاقصى . سبعة وعشرون منهـا في المدينة القديمة داخل السور ، وسبعة في المدينة الجديدة خارج السور .

اما **مسجد الصخرة والمسجد الاقصى** فقد ذكرت تاريخ انشائهما في العهد الاموي، وفي العهود التي تلته .

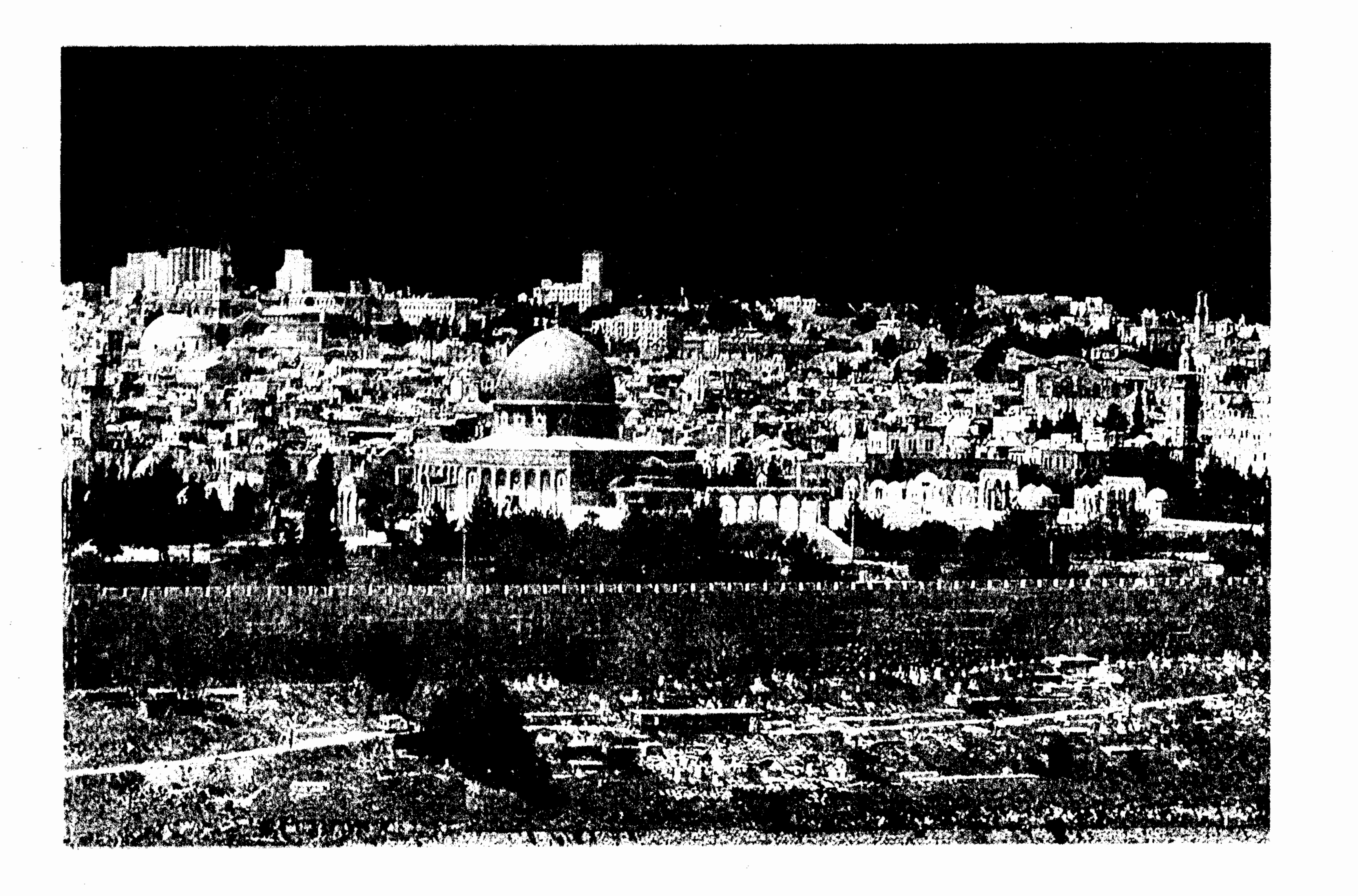
ويجري الآن، وانا ادفع بكتابي هذا الى المطبعة، عمل من اضخم اعمال التعمير التي قامت في مسجد الصخرة منـذ اليوم الذي بناه عبد الملك بن مروان (٧٢هـ — ٦٩١م). ان لم يكن اضخمها طراً .

فقد تم تقوية القبة من الداخل . . فاستعيض عن خشبها القديم الذي تآكل بفعل السوس بخشب صالح وجديد . . ورفعت الواح الرصاص التي كانت تغطيها من الخـارج ، فركبت — بدلاً منها — قبة جديدة مصنوعة من الالومنيوم المذهب . . ورفع الهلال القديم وكان مصنوعاً من النحاس ، فوضـع مكانه هلال مصنوع من الالومنيوم المذهب ، تعلوه مانعة للصواعق مصنوعة من البلاتين . وتمت تقوية اساس الجدران من الخارج بالخرسانة المسلحة . وكذلك قل عن الدعامات والاعمدة من الداخل . ورفعت ثلاثة اعمدة كانت قد وهت مـع الزمن ، فوضع مكانها ثلاثة اعمدة جديدة : اثنان منها من الناحية الشرقيه القبلية للصخرة نفسها والثالث منها الى الشمال .

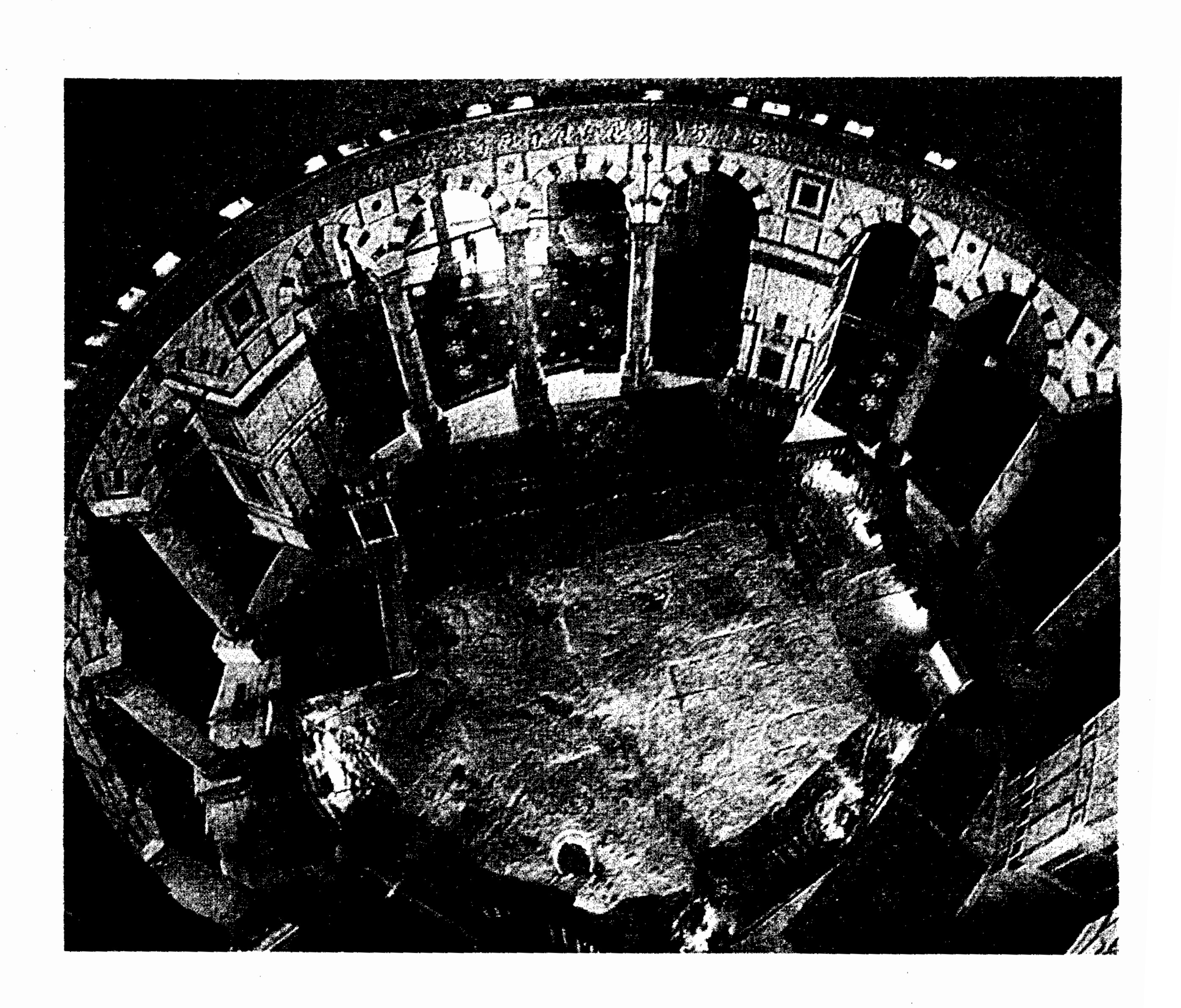
وها هم المهندسون ، وانا اكتب هذه السطور ، يعملون على اصلاح الفسيفساء في القبة من الداخل ، والرخام والقاشاني في جوانب اخرى من المسجد .

وتجرى عملية الاعمار هـذه باشراف الملك الجريء الشاب . . الملك حسين بن طلال . . وقد انتدب الملك لجنة أسماها : (لجنـة اعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة) . وهي مؤلفة من الشيخ محمد الشنقيطي قاضي القضاه (رئيساً) ، والشيخ عبدالله غوشه رئيس الهيئة العلمية الاسلامية وحسن الكاتب محافظ القدس والاماكن المقدسة ، ومن مدير الاوقاف العام وأحد كبار التجار والملاكين أعضاء . واما الناحية الفنية . . فيشرف عليها عدد من كبار المهندسين المصريـين هم : المهنـدس حسين شافعي والمهندس محمد عباس بدر والمهندس كامل صلاح الدين الكيلاني والمهندس المقيم صالح احمد الشواربي ومساعده المهندس عبـد المنعم عبـد الوهاب . وعهد بالعمل الى رجل من كبار المقاولين السعوديين هو محمد بن لادن . وهو محسان كبير .

وينفق على هذه التعميرات من مال الوقف ومن اموال تبرع بهـا عدد من ملوك العرب والمسلمين وامرائهم . ولا سيما الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربيـة السعودية الذي تطوع لسد العجز فيما اذا لم تكف المبالغ الموجودة لتعمير هذا المسجد تعميراً يتناسب وجلال قدرة . فقد بدأ التعمير الجديد في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٥٨ والامل وطيـد بانتهائه في مثل هـذا الشهر من سنة ١٩٦٢ . الامر الذي سجلتـه في كتـابي : (تاريـخ قبـة الصخرة المشرفة و المسجد الاقصي المبارك). فليرجع اليه من شاء. وبودي ان اكتفي هنـا بتثبيت بعض الصور لهذين المسجدين. وهي التي تراها في الصفحات التالية :



الحرم القدسي

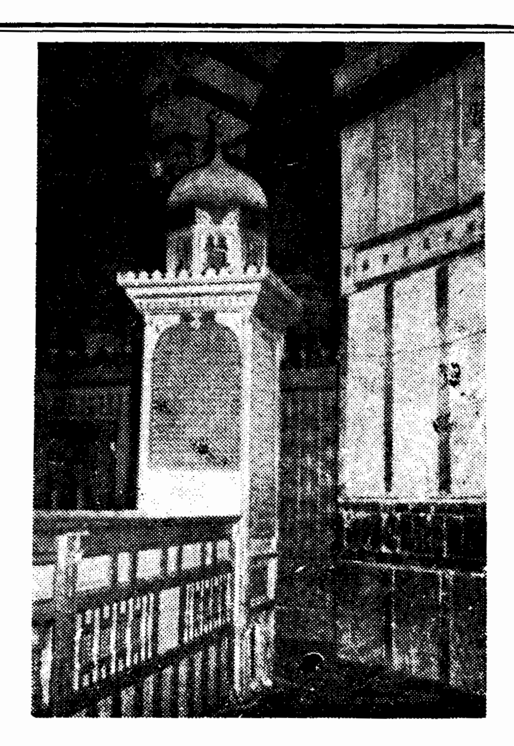


صخرة الله المشرفة (في وسط المسجد)

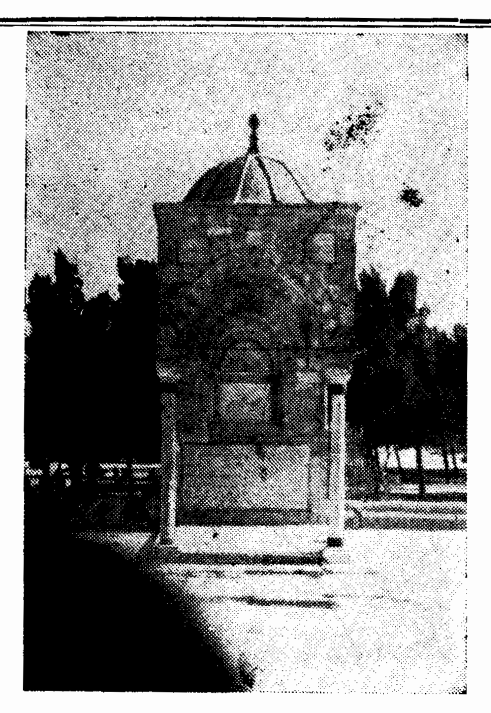
المسجد الاقصى (من الداخل)

واما مساجد القدس وجوامعها الاخرى ؛ فاليك اسماءها ومواضعها ، كما رأيتها بعيني في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ . وقد اقتبست بعض اخبارها من سجلات الوقف في القدس :

عدد متسلسل	اسم المسجد او الجامع	الحي الذي يقوم فيه	ملحوظات
١	جامع قبة موسى	داخل الحرم امام باب السلسلة	تقام فيه الصلوات الخمس
٢	جامع باب حطة	داخل الحرم عند باب حطة	تقام فيه الصلوات الخمس
٣	جامع كرسي سليمان	داخل الحرم في الجهة الشرقية	تقام فيه الصلوات الخمس
٤	جامع المغاربة	داخل الحرم عند باب المغاربة	فيه الآن المتحف ودار الكتب الاسلامية
٥	جامع باب الغوانمه	داخل الحرم عند باب الغوانمة	مهجور
٦	جامع دار الامام	داخل الحرم عند باب المجاهدين	مهجور
٧	جامع خان الزيت	خارج الحرم داخل السور في سوق خان الزيت	تقام فيه الصلوات الخمس
٨	جامع حارة اليهود الكبير	خارج الحرم في الطرف القبلي لحارة اليهود	له مئذنه وهو اليوم مخفر للبوليس
٩	جامع حارة اليهود الصغير	خارج الحرم في الطرف الشمالي لحارة اليهود	يصلي فيه اهل السوق صلاة الظهر والعصر فقط . وهو من غير مئذنة .
١٠	جامع سويقة علون	خارج الحرم في سويقة علون	تقام فيه الصلوات الخمس
١١	جامع القلعة	داخل القلعة بباب الخليل	له مئذنة . ولكن لا تقام فيه الصلوات
١٢	جامع الخانقاه	خارج الحرم . داخل السور . الى الشمال الشرقي من كنيسة القيامة	له مئذنة . وتقام فيه الصلوات الخمس
١٣	جامع قمبر	خارج الحرم . داخل السور . على يمين الداخل من الباب الجديد	له قبة . وليست له مئذنة . الذي بناه مدفون فيه .
١٤	الجامع العمري	خارج الحرم . داخل السور . قبلي كنيسة القيامة .	له مئذنة . يغشاه المسلمون في الصلوات الخمس .
١٥	الجامع اليعقوبي	خارج الحرم . داخل السور .	تجاه القلعة بباب الخليل . تقام فيه الصلوات .
١٦	حامع بني حسن	خارج الحرم . داخل السور .	تجاه القلعة بباب الخليل . مهجور .
	ح حارة الارمن	خارج الحرم . داخل السور .	بالقرب من دير الارمن . مهجور .
	ح طريق النبي داود	خارج الحرم . داخل السور .	على طريق النبي داود . مهجور .
	ـح حارة الجوالدية	خارج الحرم . داخل السور .	امام دير الافرنج . جددت عمارته في ايام الملك المنصور قلاون . (٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م) . هو الان مهجور .



الحجرة التي تحفظ فيها شعرات النبي
في وسط مسجد الصخرة

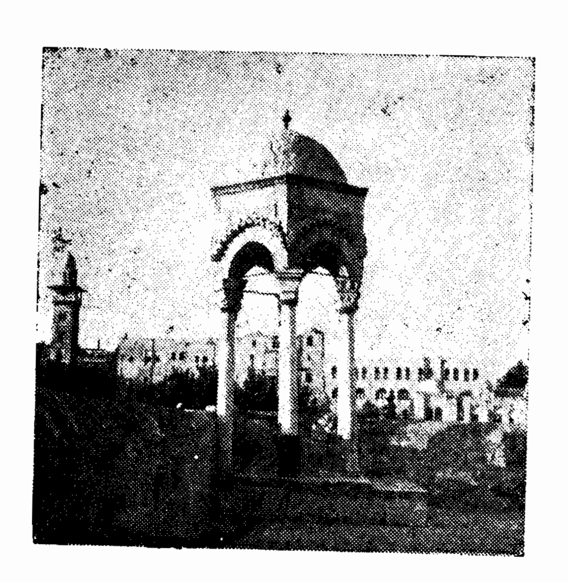


(قبة يوسف)

بُنيت بأمر صلاح الدين الايوبي

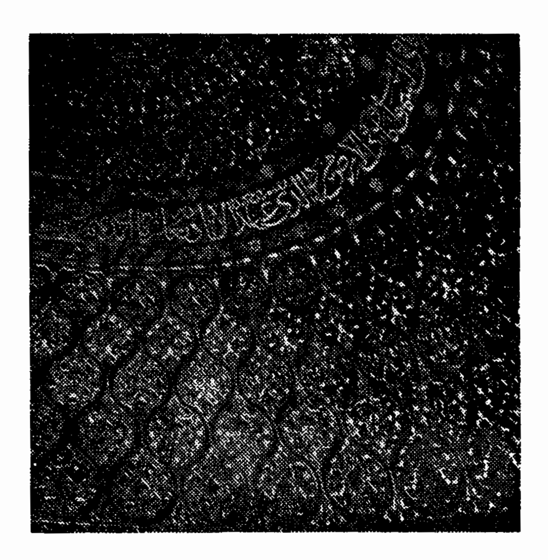


قبة المعراج (من اليمين)
ومحراب النبي (من اليسار)
في فناء الصخرة من الغرب



(قبة الخضر)

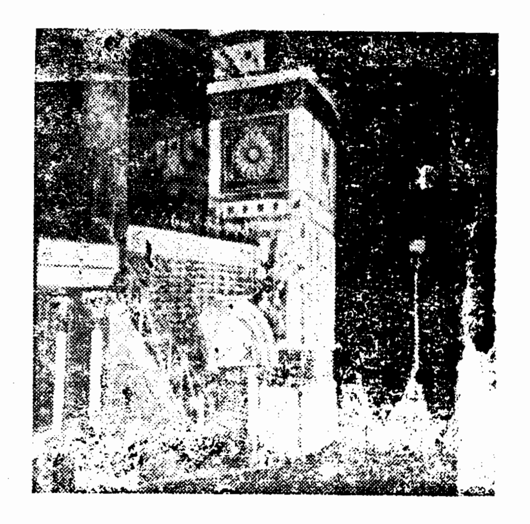
في الزاوية الشمالية الغربية من الفناء
الذي يقوم في وسطه مسجد الصخرة



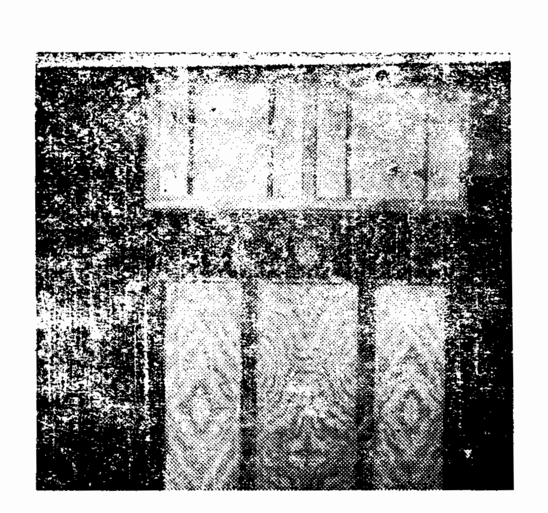
(آية الكرسي) منقوشة على قبة الصخرة
من الداخل



« أنا مدينة العلم ، وعلي بابها »
حديث نبوي مطبوخ بالقاشاني على الجدار الخارجي
لقبة الصخرة



دعامة من دعامات قبة الصخرة
والى جانبها باب المغارة



احدى الدعامات الاربع الكبرى
التي تقوم عليها قبة الصخرة

عدد متسلسل	اسم المسجد او الجامع	الحي الذي يقوم فيه	ملحوظات
٢٠	جامع الشيخ لولو	خارج الحرم . داخل السور .	بباب العمود ، تقام فيـه الصلوات .
٢١	الجامع الصغير	خارج الحرم . داخل السور .	بباب العمود ، خلف دكان هدمي .
٢٢	جامع البراق الشريف	خارج الحرم . داخل السور .	في محلة المغاربة بلصق البراق ، تقام فيـه الصلوات .
٢٣	جامع خان السلطان	خارج الحرم . داخل السور .	داخل خان السلطان في سوق باب السلسلة. تقام فيـه الصلوات .
٢٤	جامع القرمي	خارج الحرم . داخل السور .	في حارة القرمي . مهجور
٢٥	جامع حارة النصارى	خارج الحرم . داخل السور .	على طريق باب خان الزيت . تقام فيـه الصلوات .
٢٦	جامع البازار	خارج الحرم . داخل السور .	في سوق البازار . تقام فيه الصلوات .
٢٧	جامع الزاوية النقشبندية	خارج الحرم . داخل السور .	في داخل الزاوية . على طريق باب حطه . تقام فيه الصلوات .
٢٨	الجامع المسعودي	خارج السور .	في حي سعد وسعيد . له مئذنه وتقام فيه الصلوات .
٢٩	جامع الشيخ جراح	خارج السور	في حي الشيخ جراح . له مئذنة وتقام فيه الصلوات .
٣٠	جامع وادي الجوز	خارج السور	في حي وادي الجوز . له مئذنه وتقام فيه الصلوات .
٣١	جامع حجازي	خارج السور	في حي باب الساهرة . له مئذنة وتقام فيه الصلوات .
٣٢	جامع النبي داود	خارج السور	في حي النبي داود . له مئذنة ، وتقام فيـه الصلوات .
٣٣	جامع عكاشه	خارج السور	في حي زخرونموشة اليهودي . له مئذنة، وتقام فيه الصلوات .
٣٤	جامع المطحنة	خارج السور	بـين النبي داود وحارة الشرف . بالقرب من المطحنة القديمة. وهو اليوم مهجور.

البراق : انه من الاماكن الاسلامية المقدسة . ويعتبره المسلمون جزءاً من اجزاء الحرم الشريف . انه الحائط الذي يحوط الحرم من الناحية الغربية .

طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدما . وهومبني من حجارة قديمة ضخمة يبلغ طول بعضها ١٦ قدما .

يسميه المسلمون : **البراق** لاعتقادهم انه المكان الذي ربط عنده النبي براقه ليلة الاسراء : سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله .

ويسميه اليهود : **حائط المبكى** لاعتقادهم انه من بقايا هيكلهم القديم . ذلك الهيكل الذي عمره هيرودس (١٨ ق. م) ودكه تيطس (٧٠ م) . فراحوا ، منذ زمن قديم ، ينظرون اليه بعين التقديس .وراحوا يزورونه ، ولا سيما في يوم الصيام (تسعة آب) . وعنده يبكون . ومن هنا جاء اسمه المعروف : (حائط المبكى) .

انه ملك يخص المسلمين . وكذلك قل عن الرصيف الكائن امام هذا الحائط والذي يقف عليه اليهود عندما يزورون الحائط بقصد البكاء ، ويبلغ عرضه احد عشر قدماً ومساحته ١٢٠ قدماً مربعاً ، فانه وقف اسلامي . انه من اوقاف **أبي مدين الغوث** انشيء – هو والاملاك المجاورة له – في زمن السلطان صلاح الدين لمنفعة جماعة من المغاربة المسلمين .

ولهذا منع المسلمون في الماضي ، ولا يزالون حتى يومنا هذا يمنعون ، اليهود من جلب المقاعد والكراسي والستائر او أية اداة من الأدوات : سواء تلك التي تستعمل للجلوس او العبادة . ولا يسمحون لهم الا بالوصول الى المكان . وقامت في الماضي خلافات شديدة بين الفريقين (المسلمين واليهود) حول البراق من هذه الناحية . انتهت كلها بانتصار المسلمين .

قال الرحالة روبنسن[١] الذي زار القدس عام ١٨٣٨ م ما نصه : « مباح لليهود ان يشتروا حق الدنو من مركز هيكلهم وحق الصلاة والبكاء على خرابه وتبدد امتهم » .

وقال المستر فن[٢] الانكليزي الذي تولى ادارة القنصلية البريطانية في القدس من سنة ١٨٤٥ الى سنة ١٨٦٣ ما معناه : « يدفع الحاخام باشي الى (الافندي[٣]) الذي يجاور المبكى ثلاثمائة ليرة انكليزية كل سنة بدل الاذن له ولليهود معه ان يصلوا هناك » .

واطلعت على امر ارسله محمد شريف باشا[٤] بتاريخ ٢٤ ربيع الاول سنة ١٢٥٦ للهجرة (١٨٤٠ م) الى متسلم القدس يومئذ احمد اغادزدار بناء على الامر الذي تلقاه من السر عسكر . وفيه بحث عن الارادة الخديوية . وذلك بعد اطلاعه على محضر الجلسة التي عقدها مجلس الشورى بالقدس وقد جاء فيه « ان اليهود قدموا استدعاء لتبليط المحل الملاصق لحائط الحرم (البراق) . ولما كان هذا المحل داخلاً في وقفية (أبي مدين[٥]) (قدّس الله سره) ، ولم يسبق لليهود ان بلطوه ، فلا يجوز لهم

(١) Biblical Researches in Palestine, by E. Robinson Vol. 1 . P. 237

(٢) Stiring times in Jerusalem, by James Finn, Vol. 1, P. 130

(٣) يقول احد الباحثين في كتاب اصدره بعنوان (وثيقة الدزدار وقضية البراق) ص١١ « لعل المقصود من (الافندي) في هذه الوثيقة هو وكيل وقف ابي مدين » .

(٤) راجع الصفحة ٧٨ من المجلد الخامس لمجموعة (الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا) للدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية .

(٥) هو شعيب بن الحسين الاندلسي . ولد في اسبانيا . وتوفي سنة ٥٩٤هـ – ١١٩٧م .

شرعاً تبليطه الان . وقد حذر اليهود من (رفع الاصوات واظهار المقالات) . فقط يعطى لهم الرخصة بزيارة المكان على الوجه القديم . . »

وجدد اليهود ادعاءهم في زمن الانتداب ، فقامت خلافات شديدة[1] بينهم وبين المسلمين حول الموضوع نفسه ؛ وقد ادت تلك الخلافات الى قيام ثورة عارمة لا في القدس وحدها ، بل في جميع انحاء فلسطين . وقد انتهت كلها بتثبيت الوضع الراهن (الستاتيكو) . اي انه ليس لليهود سوى الدنو من المكان .

زوايا القدس : في القدس اليوم عدد من الزوايا يزود فيها المتدينون والغرباء من حجاج المسلمين والدراويش المنتمين الى طرائق مختلفة .نذكر منها :

١ — **الزاوية النقشبنديه** : ويسمونها الازبكية . واقعة في حارة الوادبالقرب من زاوية الحرم الشمالية الغربية ، وعلى بعد بضعة امتار من باب الغوانمة . بناهامؤسس الطريقة النقشبندية[2] الشيخ محمد بهاءالدين نقشبند البخاري . بناها لايواء الغرباء واطعام الفقراء من مسلمي بخارا[3] وجاوا وتركستان . بناها فوق ارض اشتراها في نفس المكان عثمان بك البخاري المعروف بالصوفي (١٠٢٥ هـ — ١٦١٦ م) . وقد اضيف اليها فيما بعد بعض الغرف يوم تولاها الشيخ حسن بن الشيخ محمد الصالح الأزبكي (١١٤٤ هـ — ١٧٣١ م). والمتولي الذي يقوم على ادارتها في الوقت الحاضر هو الشيخ يعقوب بن الشيخ رشيد البخاري .

(١) اقرأ ما كتبناه عن حوادث البراق في الصفحة ٤٠٠ من هـذا الكتاب .

(٢) أسست هذه الطريقة خـلال القرن الثامن للهجرة . ومن مبادئها العمل بقوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » .

(٣) ان عدد افراد الجالية البخارية بالقدس في يومنا هـذا خمسون . وهم يشتغلون بتجار الخردوات وسن المدي .

كان مخصصاً لهذه الزاوية في العهد التركي رطلان من الخبز ورطل من اللحم في كل يوم . ثم استبدلت هذه الجراية بمبلغ معين من المال ، يدفع للقيم من خزانة الوقف .

٢ — **زاوية الهنود** : اسسها بابا فريد شكر كنج من مسلمي الهند . وقد هبط هذا بيت المقدس قبل اربعة قرون بقصد العبادة . وهي واقعة في شمال المدينة بداخل السور عند باب الساهرة . كان مخصصاً لها في العهد التركي رطل من الخبز وخمسمئة درهم من الزيت في كل يوم . ثم اصابها ما اصاب الزوايا الاخرى ، فاصبحت تتقاضى الفاً ومئة قرش وكسور في الشهر . فيها مسجد . ولها وقف بباب حطه . وشيخها الآن الشيخ ناظر حسن الانصاري. ذكرها مجير الدين في الجزء الثاني من كتابه (الانس الجليل) ص ٣٩٩ فقال: «انها بظاهر باب الاسباط. وهي قديمة وكانت للفقراء الرفاعية. ثم نزلت بها طائفة من الهنود . فعرفت بهم » .

٣ — **الزاوية الادهمية** : واقعة خارج السور ، وعلى بعد مئتي متراً منه الى الشمال. بين باب العمود وباب الساهرة . يعتقد كلير مان غانو انها هي المغارة التي كان ارميا النبي يعبد ربه فيها. وقد اسماها:

Cave of Jeremiah

يقيم فيها الان جماعة من آل البديري. ويطلق عليها خطئاً : (الهيدمية) ! . .

٤ — **زاوية الشيخ جراح** : في حي الشيخ جراح . فيها مسجد ، وله مئذنة. ذكرها مجير الدين في كتابه[1] فقال : « انها بظاهر القدس من جهة الشمال . لها وقف ، وظائف مرتبة . واقفها الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين . توفي في صفر سنة

(١) الانس الجليل . ج ٢ . ص ٣٩٩ .

ثمان وتسعين وخمسمئة . ودفن بزاويته المذكورة . وبظاهر الزاوية من جهة القبلة قبور جماعة من المجاهدين يقال انهم من جماعة الجراحي والله اعلم ».

٥ – **الزاوية الوفاعية** : وتسمى ايضاً (زاوية ابي السعود) لان اكثر المنتمين اليها من العائلة المعروفة بآل ابي السعود . انها واقعة بداخل الحرم القدسي الى الشمال تحت مئذنة باب الغوانمة . كان مخصصاً لها في العهد التركي كمية من الخبز والزيت في كل يوم . ثم صارت تتقاضي اربعمئة قرش وكسور في الشهر . متوليها الشيخ حسن ابو السعود مفتي الشوافعة بالقدس .

٦ – **الزاوية اللؤلؤية** : بباب العمود في داخل السور . انها وقف بدر الدين لؤلؤ غازي .

٧ – **الزاوية البسطامية** : بحارة المشارقة . واقفها الشيخ عبد الله البسطامي . كانت قائمة في الوجود قبل سنة ٧٧٠ ﻫ – ١٣٦٨ م .

٨ – **الزاوية القادرية** : ويسمونها زاوية الافغان ، لان اكثر المنتمين اليها منهم . انها في حارة الواد على بعد بضعة امتار من الزاوية النقشبندية الى الجنوب الغربي .

كان مخصصاً لها في العهد التركي تسع أواق من الخبز ومئتا درهم من الزيت في كل يوم . ثم أصابها ما أصاب الزوايا الاخرى . فأصبحت تتقاضى ستمئة قرش وكسور في الشهر .

في القدس اليوم عشرون أفغانياً بين ذكور واناث . رئيسهم الحاج عبد الله الافغاني وهو الذي يتولى شؤون الزاوية . وفي فلسطين ما يقرب من مئتي أفغاني اكثرهم في يافا والاخرون في حيفا والرملة . يشتغلون بالتجارة ، وحراسة البيارات . وهم مشهورون بالشجاعة والامانة والتمسك بأهداب الدين .

هناك على باب الزاوية بلاطة نقشت عليها الكلمات الاتيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذه زاوية مولانا وسيدنا قطب العارفين وسلطان الاولياء الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز . سنة ١٠٤٣ ﻫ – ١٦٣٣ م » .

٩ – **الزاوية المولوية** : واقعه بحارة السعدية . يقيم فيها المريدون المنتسبون الى الطريقة المولوية . دخلت هذه الطريقة بيت المقدس في أوائل الحكم العثماني (٩٢٥ ﻫ – ١٥١٩ م) . وما كاد ينقضي على تأسيسها بضع سنوات حتى اتسعت . فانشأ مريدوها لها مكانا بالقدس اسموه : (الخانقاه المولوية) .

ويظهر ان الطابق الارضي كان في الاصل ديراً ، وكانت فيه كنيسة للاتين . وبعد ان وضع المسلمون يدهم عليه حولوه الى مسجد . هذا جرى بعد الفتح الصلاحي . واما الطابق العلوي والمئذنة التي بجانبه ، فانها من عمل الاتراك العثمانيين . وانك لواجد الكتابة التالية منقوشة على جدار احدى غرف الزاوية العلوية :

« امر بانشاء هذا المكان المسمى بخانقاه المولوية خداوندكاربكقومندان لواء القدس الشريف سنة ٩٩٥ ﻫ – ١٥٨٦ م .

كانت زاوية القدس في العهد التركي ، تابعة الى المقر العام في قونية ، حيث يقوم ضريح (جلبي افندي) شيخ الطريقة المولوية . وكانت فيما مضى ذات نفوذ واسع . وكان لها مريدون كثيرون . ذلك لانها كانت تتمتع بتأييد السلاطين من بني عثمان . وكان مخصصاً لها في العهد التركي رطل من

الخبز ورطلان من اللحم. ثم أصابها ما أصاب الزوايا الاخرى . واصبحت تتقاضى ١٤٧٠ قرشاً في الشهر لاطعام الفقراء من رجال الطريقة المولوية الذين يؤمون بيت المقدس . وكان لها املاك واسعة وأوقاف . واما في يومنا هذا ؛ فقد تضاءل نفوذها وبيعت اكثر أملاكها ، واندثرت اكثر أوقافها . ولم يبق باسمها سوى دارين في حارة السعدية وحاكورة ومكان الزاوية نفسها . وليس للطريقة المولوية ، في يومنا هذا ، اتباع في بيت المقدس . وليس في الزاوية سوى شيخها الحالي الشيخ عادل ابن الشيخ احمد بن الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد المولوي . وهو من طرابلس الشام .

١٠ – **زاوية الخانكي** : واقعة في حارة النصارى ويسمونها : (الخانقاه الصلاحية) . اسسها صلاح الدين سنة ٥٨٥ هـ – ١١٨٩ م . وكانت قبل ذلك التاريخ منزلا لبطاركة الروم الارثوذكس ودارا للقسس . وقد اخذها منهم الصليبيون . ولما استرد صلاح الدين القدس منهم ، ارجعها (اي ارجع الدار) الى اصحابها الاولين وهم : الروم . كما ارجع اليهم ممتلكاتهم الاخرى التي كان الصليبيون قد اخذوها منهم . ومنها دار البطركية . ورضي الروم ان يقتطع صلاح الدين من منزل القسس والبطاركة جانبا . فنزل فيه مدة اقامته بالقدس . ثم جعله جامعا ورباطا للعلماء الصوفيين . وصارت في الاسلام دارا للمجاهدين .

انها الان عامرة . يسكنها القائم عليها وهو من آل العلمي . دخلتها فرأيت انها تحيط بكنيسة القيامة من الشمال والغرب ، والمسافة بين غرفتها العلوية وبين قبة الكنيسة من الشرق لا تزيد على خمسة امتار . لا بل ان سطح الكنيسة وهواءها (وليست قبتها) يتصرف به المسلمون القائمون على اوقاف الخانقاه كما يشاءون ، وهناك على سطح الكنيسة مجريان لتصريف مياه الامطار في فصل الشتاء : احدهما (وهو القريب من القبة ويحيط بها احاطة السوار بالمعصم) للنصارى ، والثاني (وهو البعيد عن القبة) للمسلمين . اما المجرى الاول فانه لا يبعد عن القبة اكثر من مترين ، وفيه تجري مياه الامطار الى البئر الكائنة في داخل الكنيسة . واما الثاني فانه يبعد عن الاول زهاء سبعة امتار ، وفيه تجري المياه الى بئر يملكها المسلمون ، في أنابيب أنشأها النصارى لمصلحة المسلمين ، لقاء انتفاعهم (اي النصارى)بسطح الكنيسة وهو كما قلنا من حق المسلمين .

وفي داخل الخانقاه الصلاحية جامع ، قرأت الكلمات الآتية منقوشة على محرابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة . اشار بانشاء هذا المحراب وعمارة المجمع المبارك الفقير **عيسى بن احمد العلم** عفا الله عنه ورحم سلفه في ايام مولانا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون عز نصره في شعبان سنة « ٧٤١ للهجرة » – ١٣٤٠م .

وهذا الجامع مئذنة أنشئت في زمن المماليك (٨٢٠ هـ – ١٤١٧ م) على يد شيخ الخانقاه الشيخ برهان الدين بن غانم .

وهناك ، عند باب شرف الأنبياء الواقع شمال الحرم القدسي ، مكان آخر اسمه : (الخانقاه) ، وهو الان متخذ مدرسة للاناث . وقد كتب على بابه : « بسم الله الرحمن الرحيم . امر بانشاء هذه الخانقاه المباركة العبد الفقير الى الله تعالى عبدالله بن عبدربه بن عبد الباري سنجر . ووقف عليها قرية بير نبالا من القدس الشريف وقرية حجلا من اريحا وفرن

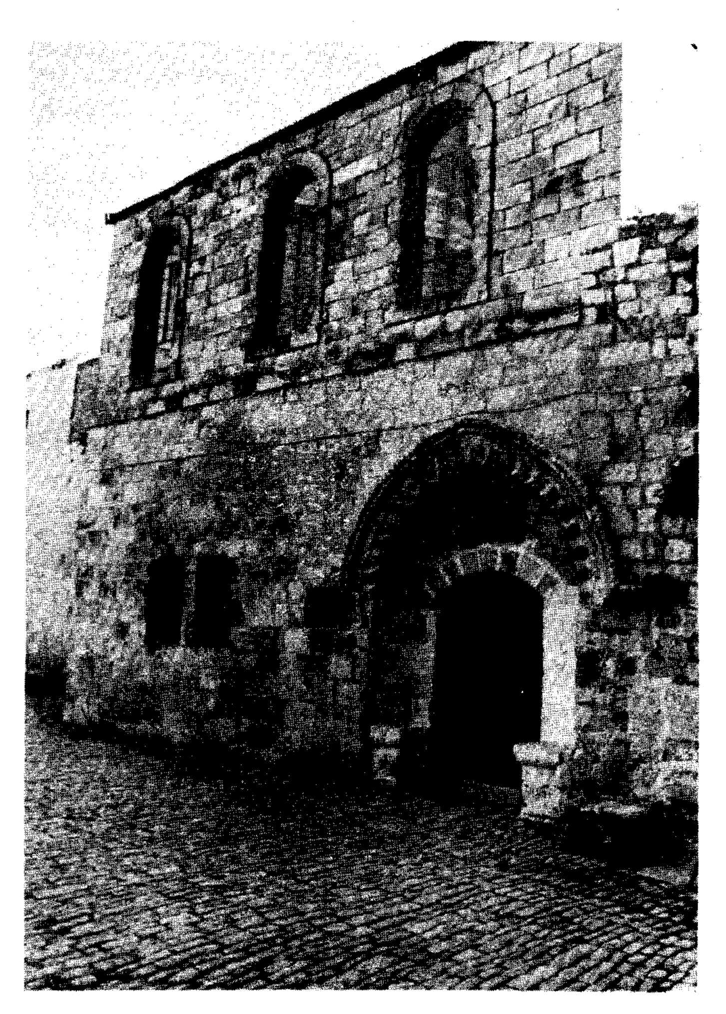
وطابون وعلوهما بالقـــدس ودار ومصبنة وستة حوانيت، ووراقة بنابلس، وثلاثة حوانيت واربع طواحين بسلواد . وقف ذلك على هذه الخانقاه » .

وهناك ايضاً ، في حارة السعدية ، خانقاه ثالثة؛ هي : (الخانقاه المولوية) . وهي التي ذكرناها في السطور السابقة .

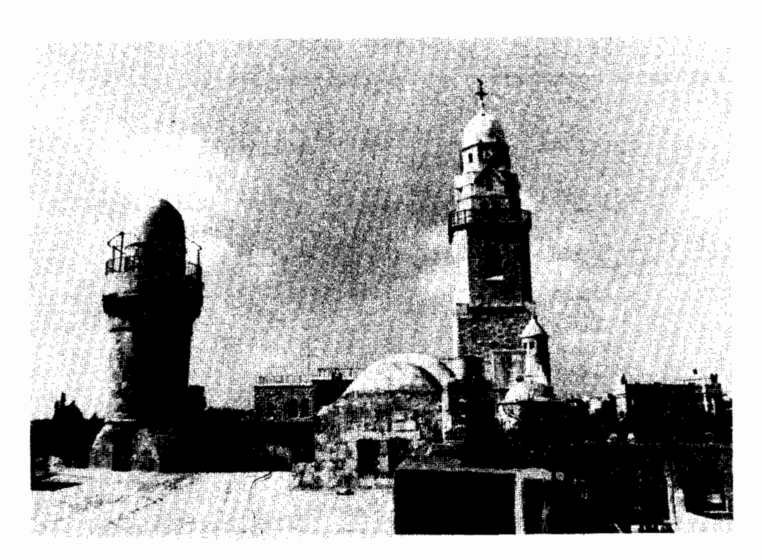
١١ ـ **الزاوية المجيدية** : انها واقعة في مقام النبي داود الى الشمال من الضريح نفسه . وهنـــاك وبالاحرى اربع زوايا لا زاوية واحدة هي: الزاوية المجيدية ، وزاوية عيال طه ، وزاوية عيال شاكر ، وزاوية عيال خليل .

كان مخصصاً لهذه الزوايا مقدار من الخبز واللحم والزيت في كل يوم . وهي الان تتقاضى الفي وخمسمئة قرش في الشهر . متوليها الشيخ جمـــال الداودي . وانه ليجدر بك ان تقرأ ، **بعد هـذا ، ما سنقصه عليك في السطور الاتية عن مقام النبي** داود وضريحه ، حيث تقوم الزاوايا الاربع المتقدم ذكرها .

١٢ ـ **مقام النبي داود** : من الامكنـــة الاسلامية التي يجلها المسلمون في مدينـــة **القدس**: ضريح النبي داود، والمسجدان الملاصقان له . وتؤلف هذه المجموعة من الضريح والمسجدين المكان الذي



زاوية النبي داود "الزاوية المجيدية"



حي النبي داود ومئذنته والكنيسة

يعرف الان بمقام النبي داود . ويقع المقام على ربوة مرتفعة من الربى التي تتألف منها مدينة القدس . ويسمونها : جبل صهيون . وتحيط به ابنية كثيرة ، يقيم فيها افراد عائلة السدنة ، وهي عائلة الدجاني .

انه بيد المسلمين . وهو في نظرهم من الامكنة الدينية التي يقيمون فيها صلواتهم الخمس يومياً ، ويحيون فيـــه شعائرهم الدينية بانتظام ومن غير انقطـــاع (١)

والمقام فضلا عن قدسيته وحرمته المشهورتين ، يعد من الامكنة الاثرية العامة في فلسطين ؛ لا سيما المسجد العلوي منه ، وما يشتمل عليه من اقواس فخمة واعمدة ضخمة .

اختلف العلماء في تعيين المكان الذي دفن فيـــه النبي داود .فقال قائلون: انه مدفون في القدس وفي الحي المعروف بـ : (حي النبي داود) . ومن هؤلاء المقدسي في كتابه : (أحسن التقاسيم في معرفـة الاقاليم) . وابو اسحق الثعلبي في كتابه : (قصص الانبياء) . ومجير الدين في كتابه : (الانس الجليل بتاريخ القـــدس والخليل) . والشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه : (الحضرة الأنسية في الرحـلة القدسية) .

وقال آخرون : انه مدفون في بيت لحم . ومن هؤلاء ياقوت الحموي في كتابه : (معجم البلدان) . وابن خلدون في كتابه :(العبر في ديوان المبتدأ والخبر) . وابو بكر الهروي ، وقـد قرأت ما قاله في Archives de L'orient Latin I. P. 593

وهناك من يقول: انه وان كان قد دفن بالقدس، الا ان قبره موجود في الكنيسة المعروفة بالجثمانية عند وادي قدرون ، وليس في المكان المعروف بصهيون . ومن هؤلاء المسعودي في كتـــابه : (مروج الذهب) .

ومهما كان الامر ، فقد تواترت الانباء واجمع معظم النـاس منـذ القـديم ، على ان النبي داود مدفون في هـذه البقعـة من الارض . ولم يقم في الماضي أي خلاف ، على ما نعلم ، حول هذا المقام بين المسلمين واليهود ؛ رغم الاعتقـاد بانهم (أي اليهود) من نسل داود . وان قامت خلافات بين المسلمين والمسيحيين حوله. ومن الخلافات التي وصلت

(١) هكذا كان الحال بهذا المكان المقدس عند صدور هذا الكتاب سنة ١٩٦١، ثم تبدل الامر بعد الاحتلال الاسرائيلي سنة ١٩٦٧، حيث وضعت وزارة الاديان يدها على هذا المكان ومنعت المسلمين من اداء شعائرهم الدينية فيه. وأزيلت عن المقام الستائر التي كانت مطرزة بالايات القرآنية. ووضع بدلا منها نجمة داود وكتابات اخرى بالعبرية.

الينا اخبارها، ما جرى في زمن المماليك وفي اواسط القرن الخامس عشر[1] . يوم جرى تحقيق حوله . واستمر التحقيق سنين. وكان الآباء الفرنسيسيون يدعون ان لهم الحق في بناء كنيسة على مقربة من الضريح . فمنعوا في البداية . ثم سمح لهم ببنائها .

والاعتقاد سائد بين المسيحيين انه في هذه البقعة من بيت المقدس، تناول السيد المسيح عشاءه السري الاخير قبل ان ينتقل الى الجثمانية ويقبض عليه جند الرومان بدلالة يهوذا الاسخريوطي .

وهناك في الطرف الغربي الى الشمال من حي النبي داود وامام الباب المعروف بباب النبي داود من ابواب السور ، كنيسة يسمونها : كنيسة نياحة العذراء (دورميثيون) . وفي قول ان السيدة مريم البتول التجأت ، بعد صلب السيد المسيح ، الى المكان الذي تقوم عليه الآن هذه الكنيسة . وهناك قضت نحبها .

والمقام الآن (اي مقام النبي داود) عبارة عن بناية حجرية قائمة في وسط الحي . وهي مؤلفة من طابقين : علوي وسفلي . وفي الطابق السفلي مسجدان : مسجد كبير ، وآخر صغير . وعلى جدرانها آيات من القرآن . منها : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض، فاحكم بين الناس بالحق » وشهادة ان « لا اله الا الله . محمد رسول الله ». وفي

(١) اقرأ ما جاء عن هذا الخلاف في (الأنس الجليل) لمجير الدين . ص ٦٧٦

الطابق العلوي ردهة واسعة تقع فوق المسجد الكبير. وهي ذات عقود مصلبة. رأيت على جدارها الشرقي بلاطة نقشت عليها الكلمات الآتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتطهير هذا المكان وتنظيفه من المشركين وعمله مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى سلطان الانام ناصر دين الاسلام خادم البيت الحرام منشيء العدل والامان السلطان ابن السلطان السلطان سليمان من آل عثمان ايد الله الاسلام في حياته على يد مولانا الشيخ احمد الدجاني والساعي الشيخ محمد الواعظي العجمي اجرى الله على يديه وذويه الخير بتاريخ ٥ ربيع الاول ٩٣٦هـ–١٥٢٩م والحمد لله وحده »

وقرأت ايضاً على باب زاوية النبي داود الكلمات الآتية :

«جدد تعمير هذا المكان الشريف والبناء الساطع المنيف مع ترخيم الروضة بالرخام اللطيف مولانا السلطان الاعظم السلطان محمود خان خلد الله ملكه وسلطنته وزاد بالتوفيق ايامه واحكامه . وذلك على يد سعادة الدستور الوزير صاحب الحسنات والخيرات الحاج سليمان باشا بلغه الله ماشا والى صيدا بمباشرة مصطفى على افندي المأمور . وذلك في سنة ١٢٣٣ هـ » – ١٨١٧ م .

هذا ما عرفناه عن مقام النبي داود . وهو ينار الآن بالكهرباء ، بعد ان كان (١٩٤٤) يضاء بالزيت يوضع في القناديل .

✶ ● ✶

مقابر المسلمين وتربهم في القدس

للمسلمين في القدس مقابر كثيرة : منها ما كان مستعملا فيما مضى، واندثر مع الزمن . ومنها ما لا يزال مستعملا حتى يومنا هـذا . وسنأتي على ذكرها كلها مع وصف الحالة التي هي عليه في يومنا هذا :

١ - **مقبرة ماملا**: وتسمى ايضاً مأمن الله. انها من اكبر المقابر الاسلامية في بيت المقدس . لا ، بل انها اكبرها طراً . مساحتها تقرب من مئتي الف متر مربع . واقعة غربي المدينة وعلى بعد كيلو مترين من باب الخليل . كانت فيما مضى بعيدة عن العمران . واما الآن فقد اصبحت في وسط البنيان بسبب اتساع المدينة وازدياد عدد السكان . ولهذا اصدر المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرأسه المفتي الحاج امين الحسيني امراً يحظر دفن الاموات فيها . وكان ذلك في عام ١٩٢٧ .

اختلف الباحثون في تسميتها . فمن قائل : انها (ماملا) . وهذه الكلمة مشتقة من (ماء ملا) . وملا اسم ذاك المكان في غابر الازمان . وفي ذلك قال الشاعر[١] :

رعى الله وادينا المقدس انه
حوى روضة الفردوس اجداث ماملا
مآثر رضوان ومهبط رحمة
احيت من عالم الغيب ماء ملا

وقيل ان (ماملا) اسم لقديسة بنيت لاسمها في ذلك المكان كنيسة بيزنطية ، وان هذه الكنيسة هدمها الفرس عام ٦١٤ للميلاد . والقوا في البركة التي كانت قائمة هناك والتي كانت تدعى (بركة ماملا) بجثث المسيحيين الذين قتلوهم .

ومن قائل[١] : انها مشتقة من (ماء ميلو) . وميلو هو اسم الحي الذي كان هناك في سابق الازمان .

وروي عن الحسن[٢] ان اصلها : (مأمن الله) . وانها مدفن الخلاصة الابرار الوارد في فضلها الاخبار والآثار . الى ان قال : ان من دفن فيها كأنما دفن في السماء .

وقد ذكرها النابلسي في رحلته فقال : انها بظاهر القدس من جهة الغرب . اكبر مقابر البلد . وفيها خلق كثير من الاكابر والاعيان والشهداء والصالحين ، وفيها عدد كبير من الصحابة والتابعين . الى ان قال : وقيل ان اصلها (مأمن الله) وقيل (باب الله) . ويقال (زيتون الملة) . واسمها عند اليهود (بيت ملو) وعند النصارى (بابيلا) والمشهور على السنة الناس (ماملا) .

ومهما كان مصدر اسمها ؛ فانها بلا مراء اقدم مقابر القدس عهداً ، واوسعها حجماً ، واكثرها شهرة . ولقد ساير تاريخها تاريخ المدينة . وذكر معه مراراً . ففي هـذا المكان مسح سليمان ملكا ١٠١٥ ق. م . وفيه عسكر (سنحاريب) ملك الآشوريين عندما هبط القدس ٧١٠ ق. م . وفيه القى الفرس بجثث القتلى من سكان المدينة عندما احتلوها ٦١٤

---

(١) (سوانح الانس برحلتي لوادي القدس) للرحالة اللقيمي ص ١٦٣ . وهـو مخطوط عثرت عليه في مكتبة الصديق المرحوم رشيد مكي في مجدل عسقلان .

(١) (السير السليم في يافا والرملة واورشليم) ص ٢٤٣ .
(٢) (سوانح الانس برحلتي لوادي القدس) للرحالة اللقيمي ص ١٦٢ .

ب. م .وفيه دفن عدد كبير من الصحابة والمجاهدين اثناء الفتح الاسلامي ٦٣٦ ب.م . وفيه عسكر صلاح الدين يوم جاء ليسترد القدس من الصليبيين ١١٨٧ ب. م . ولقد كانت ولا تزال في ايدي المسلمين منذ قرون . يجلونها اجلالا منقطع النظير . ذلك لأنها تعج بالعدد الوفير من الصحابة والمجاهدين والعلماء والاقطاب الصالحين . منهم :

(١) الفقيه ضياء الدين ابو عيسى محمد الهكاري[١].

(٢) الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن احمد القرشي الهاشمي[٢] .

(٣) قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة (٦٧٥ هـ – ١٢٧٦ م) .

(٤) الكمال ابن ابي شريف .

(٥) الاميرعلاء آيد وغدي بن عبدالله الكبكي[٣].

(١) مستشار صلاح الدين . افتداه الملك بستين الف دينار عندما اسره الصليبيون . توفي بمنزله في الخروبة قرب عكا سنة ٥٨٥هـ – ١٢٨٩ م. فحمل الى القدس. ودفن بماملا .

(٢) مغربي اصله من الجزيرة الخضراء بالاندلس . قدم الى بيت المقدس واقام به الى ان توفي ٥٩٩ هـ – ١٢٠٢م ودفن بماملا . وكان من الصالحين . له ضريح جدد عمارته الشيخ ابو بكر الصفدي سنة ٧٢٢هـ – ١٣٢٢م .

(٣) ورد ذكره في (المنهل الصافي) لابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي . مخطوط اخذت صورة فوتوغرافية له وهي محفوظة في مكتبة الجامعة العبرية بالقدس. حضر الوقعة بين المعز ايبك التركماني والملك الناصر صاحب دمشق (٩٤٧هـ – ١٢٥٠م). وتنقلت به الاحوال حتى صار من جملة امراء الديار المصرية . فتولى في زمن الظاهر بيبرس نيابة صفد . ثم نيابة حلب . ثم حبس . ثم اطلق سراحه . فتوجه الى القدس وعاش بها الى ان مات (٦٨٨ هـ – ١٢٨٩) ودفن بماملا .

كان اميرا شجاعا . وكان فارسا ماهرا . قالوا انه اذا ركب فرسه كان يضع تحت ابهام رجله درهما في الركاب . فلا يقع . وباعتقادي ان الدرهم الذي كان يضعه في ركاب فرسه كان =

(٦) المقر العالي عمر بن ابراهيم بن عثمان بن علم الواسطي (٦٨٤ هـ – ١٢٨٥ م) .

(٧) الامير صلاح الدين محمد ازدمر السلحدار الناصري (٦٩٧ هـ – ١٢٩٧ م) .

(٨) ابراهيم بن محمد (٧٠٨ هـ – ١٣٠٨ م) .

(٩) القاضي شرف الدين منيف الحاكم بالقدس الشريف (٧١٤ هـ – ١٣١٣ م) .

(١٠) الشيخ شرف الدين عيسى امام الحرم القدسي (٧١٩ هـ – ١٣١٩ م) .

(١١) ايدمر الشيخاني ناظر الحرمين (٧٢١ هـ – ١٣٢١ م) .

(١٢) الشيخ العابد الزاهد جلال الدين العقيلي المعروف بابن القلانسي[١] . بنى له الامراء بمصر زاوية ، وترددوا عليه . ثم انتقل الى القدس فتوفي بها سنة ٧٢٢ هـ – ١٣٢٢ م ودفن بماملا .

(١٣) الشيخ الصالح ابو عبدالله محمد بن ابراهيم المصري . توفي سنة ٧٢٣ هـ – ١٣٢٣ م ودفن بماملا .

(١٤) الحاج عليوان بن ابراهيم الرندى .

(١٥) شهاب الدين بن جبارة المقدسي النحوي

= من النوع المعروف بـ (القبق) . وهو نوع من العملة التي كانت فيما مضى مستعملة في هذه البلاد . ومن هنا جاء اسم (القبقبية) وهو اسم القبة التي مدفون فيها بماملا .
ذكرها مجير الدين في كتابه (الانس الجليل)ج ٢ ص ٤١٤ كما ذكرها المستشرق الهولندي (ماكس فان برشام) ، وكذلك فعل المستشرق الافرنسي (كيلومانت غانو) في كتابه
Archeological Researches in Palestine Vol. 1, 286.

(١) مؤلف قدير اكتشف قبره موخرا(١٩٤٦). وهو الى الشمال من قبة القبقبية .



قبة الصخرة المشرفة وحولها الاف المصلين

الحنبلي . له تصانيف كثيرة منها : شرح الشاطبية ، والرائية ، والفية ابن معطي . توفي سنة (٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م) .

(١٦) الشيخ حسام الدين .

(١٧) قاضي القضاة عماد الدين القرشي[١] . (٧٣٤ هـ - ١٣٣٣ م) .

(١٨) الشيخ ابو عبدالله الهندي (٧٧٣ هـ - ١٣٧١ م) .

(١٩) شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفدا اسماعيل القرقشندي (٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م) .

(١) شارح صحيح مسلم .

(٢٠) بهادر اخوالست طنشق[١] المظفرية (٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م) .

(٢١) الشيخ عبدالله البسطامي[٢] (٧٩٤هـ-١٣٩١م)

(١) هي التي بنت الدار الكبرى التي فيها الان مدرسة الايتام الاسلامية . وقد دفنت في القبة الكائنة مقابل الدار المذكورة في عقبة التكية . وقد بنت قبل موتها فوق قبر اخيها بهادر الذي دفن بماملا قبة . كان في الموقع الذي تقوم عليه هذه القبة كنيسة في العهد البيزنطي تعرف بـ (الدير الاحمر). ثم حولت الى زاوية اسلامية عرفت فيما بعد بـ (القلندرية) نسبة الي بانيها الشيخ ابراهيم القلندري . ولم يبق من القلندرية شيء في يومنا هذا .

(٢) مدفون في الحوش المعروف (بالبسطامية) بماملا . وكان يدفن فيه فقراء هذه الطريقة . اندثرت آثاره فلم يبق منه سوى قبر الشيخ علي الصفي البسطامي المعروف بمرشد السالكين . وهو في اقصى المقبرة من الشمال .

(٢٢) الشيخ الامام القدوة ابو بكر الشيباني[١] (٧٩٧ هـ - ١٣٩٤ م) .

(٢٣) الشيخ محمد بن ابي جوز[٢] .

(٢٤) شيخ الاسلام شهاب الدين ابو العباس احمد المصري المقدسي المشهور بابن الهائم . تولى التدريس في المدرسة الصلاحية . وتوفي سنة ٨١٥ هـ - ١٤١٢ م . ودفن بماملا .

(٢٥) قاضي القضاة شمس الدين الخالدي الديري (٨٤٧ هـ - ١٤٢٣ م) .

(٢٦) شيخ الاسلام ابو عبدالله محمد الرازي من ذرية فخر الرازي . ولي نظر القدس والخليل . وكان يدرس بالصلاحية . توفي بالقدس سنة ٨٢٩ هـ - ١٤٢٥ م ودفن بالبسطامية بماملا .

(٢٧) قاضي القضاة وشيخ الاسلام شهاب الدين ابو العباس الاموي المصري المشهور بابن المجمرة . ولي تدريس الصلاحية . وتوفي سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م . ودفن بماملا .

(٢٨) الشيخ محمد فولاد[٣] (٨٤٤هـ - ١٤٤٠م) .

(٢٩) النجم بن شهاب الدين (٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م) .

(٣٠) ابو الحسن البدري (٨٤٤ م - ١٤٤٠ م) .

(٣١) شيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن آرسلان[٤] (٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م) .

(٣٢) الامام أبو عبد الله الذرعي[١] (٨٤٨ هـ - ١٤٤٤ م) .

(٣٣) القاضي برهان الدين ابو اسحق الخزرجي المشهور بابن نسيبه (٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) .

(٣٤) قاضي القضاة تقي الدين ابو بكر الرصاصي .

(٣٥) الامير ركن الدين منكورس الجاشنكير .

(٣٦) شيخ الاسلام شهاب الدين احمد المشهور بابن الهائم (شيخ العلوم الرياضية بالمشرق) .

(٣٧) القاضي امين الدين عبد الرحمن بن شمس الدين الخالدي . ولي نظر الحرمين بالقدس والخليل . (٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م) .

(٣٨) المحدث عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن برهان الدين القرقشندي (٨٦١ هـ - ١٤٥٦ م) .

(٣٩) الشيخ عثمان الحطاب المصري من اعيان الصالحين بمصر (٨٩٢ هـ - ١٤٨٦ م) .

(٤٠) قاضي القضاة خير الدين ابو الخير الامام المقري الغزي المقدسي . ولي قضاء القدس سنة (٨٧٦هـ - ١٤٧١م) . ودرس بالمعظمية . توفي بالقدس سنة (٨٩٤ هـ - ١٤٨٨ م) . ودفن بماملا .

(٤١) الشيخ احمد بن علي بن يس الدجاني[٢] .

---

(١) من كبار مشايخ الصوفية .

(٢) يرجح الاستاذ احمد سامح الخالدي ان محلة (وادي الجوز) دعيت باسمه . وانه توفي بعد الثمانمئة . وقيل ان الدعاء عند قبره مستجاب .

(٣) ناقل مفاتيح الصخرة الى تيمور .

(٤) مؤلف (صفوة الزبد) . وشارح (سنن ابي داود) . وشارح (البخاري) و (منهاج البيضاوي) . ذكره مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) ص٤٨٧ فقال انه مدفون الى جانب الشيخ ابي عبدالله القرشي .

---

(١) صديق القرمي والبسطامي .

(٢) جد العائلة الدجانية . ذكره ابن العماد الحنبلي في كتابة (شذرات الذهب) ج٨ ص٣٠٥ فقال عنه انه الامام العالم العامل العارف بالله احد اصحاب سيدي علي بن ميمون وصاحب سيدي محمد بن عراق . كان يحفظ القرآن ومنهاج النووي . رأى النبي (صلتم) في نومه وهو في خلوته بالاقصى . فاشار عليه بتعلم النحو . فتعلمه . دخل دمشق في سنة ٩٥١ هـ بسبب قضاء حوائج للناس عند نائب الشام وكاتب الولايات . وخطب في جامع دمشق خطابا ارتاح اليه الناس . وزار الشيخ محي الدين بن عربي . وكان صالحا قانتا عابداً خاشعا .

(٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م) .

(٤٢) نجم الدين الخـــيري الرمـلي بن خير الدين الرملي[1] .

٢ - **مقبرة الساهرة** : عنـد سور المدينة من الشمال ، وعلى بعد بضعة امتار من الباب المعروف بالساهرة . انهـــا من المقابر الاسلامية الكبيرة . قديمة العهد . ذكرها النابلسي في رحلتـــه فقال : انها تشتمل على قبور عدد كبير من الصالحين ، وانها واقعة فوق الزاوية الادهمية . وذكرها ايضاً مجير الدين الحنبلي في تاريخه . فقال عنها : - « انها البقيع الذي الى جانب طور زيتا من جهة الغرب » . وعن ابراهيم بن ابي عبلة انها هي التي اشير اليها في القرآن الكريم عند قوله تعالى : - « فاذا هم بالساهرة » .

ومن اسمائها : (**مقبرة المجاهدين**) . ذلك لان المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين وقضوا نحبهم اثناء الفتح ، قد دفنوا فيها . ولا يزال المسلمون يدفنون موتاهم فيها الى يومنا هـذا (١٩٤٧) .

كانت فيما مضى اكبر واوسع مما هي عليه الان . وقد عثر المتأخرون على قبور كثيرة في البقعة التي تقوم عليها الان دار جماعة الاخوان المسلمين ودور العلمي وغيرها من العمارات القائمة الى الشمال والغرب من المتحف الفلسطيني . وكان الناس فيما مضي يسمون هذه البقعة . (مقبرة المجاهدين) . والاعتقاد سائد بانها ليست الا جزءاً من المقبرة الكبيرة التي يطلق عليها : (مقبرة باب الساهرة) .

٣ - **مقبرة باب الرحمه** : عند سور الحرم من الشرق . انها من المقابر الاسلامية المشهورة . كانت فيما مضى اوسع[1] منها في يومنا هذا ؛ ولكن يد الزمن وطمع البشر اخنيا عليها ، فضاقت حتى اصبحت لا تتسع الا الى عدد محدود من القبور .

فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا في فتح بيت المقدس اثناء الفتحين : العمري والصلاحي . ومن المدفونين فيها عبادة بن الصامت الانصاري البدري الذي توفي سنة ٣٤ للهجرة - ٦٥٤ م وشداد بن اوس الانصاري الذي مات سنة ٥٨ للهجرة - ٦٧٧ م . وقد جاء ذكرهما في كتب التاريخ الاسلامية . كما ذكرهمـــا اللقمي في كتابه (سوانح الانس برحلتي لوادي القدس) ص ٧٢ فقال :

يمم مقام عبادة بن الصامت
والشهم شداد بباب الرحمة
فيها الامامان اللذان تفيئا
من صحبة المختار اينع دوحة

---

(١) كان مفتي الاحناف بالقدس .

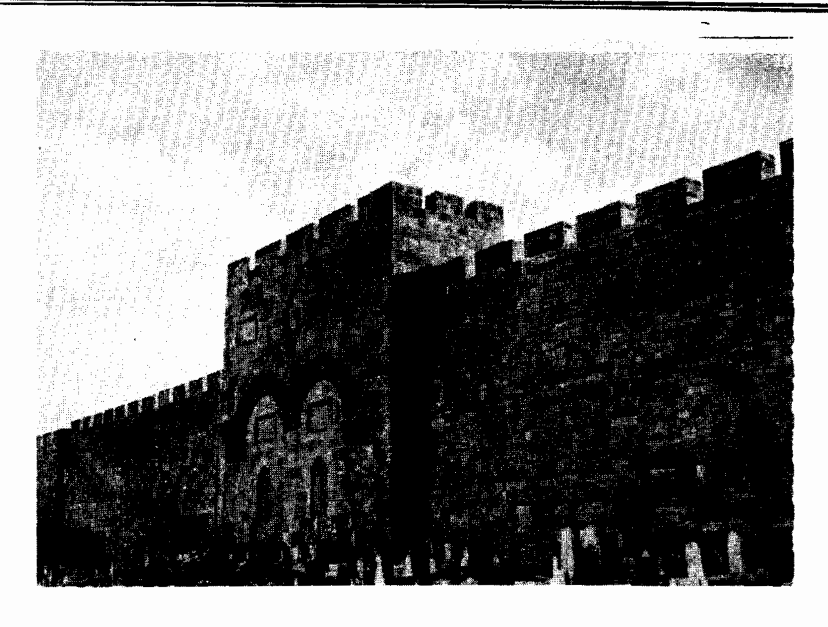
(٢) جـــاء في كتاب (غريب القرآن) لابي بـــكر السجستاني (٧٤٠ - ١٤٣٦م)ان الساهرة وجه الارض . وسميت ساهرة لان فيها سهرهم وقومهم . واصلها مسهورة ، ومسهور فيها فصرفت في مفعوله الى فاعله .

وقيل ان الساهرة ارض القيامة .

« وفي حديث ابن عمر» ان ارض الحشر تسمى الساهرة، وان اصل الساهرة الفلا ووجه الارض .

وقيل ان الساهرة هي الارض العريضة المنبسطة .

(١) عندما وسع المجلس البلدي الطريق التي تمر من امام كنيستي مريم والجثمانية ، عثر العمال على قبر مؤرخ القدس الشهير مجير الدين . . مؤلف كتاب (الانس الجليل) . . عثروا عليـه في مكان لايبعد عن كنيسـة مريم سوى بضعة امتار . فرفعـوا العظام من مكانها ، ونقلوها الى مكان اخر قريب منه . وبنوا على قبره الجديد قبة صغيرة ترتكز على اربعة اعمدة . وقـد كتبوا على (الحجر الشاهد) هـذه الكلمات : « هـذا قبر الفقير الى الله تعالى القاضي عبـد الرحمن بن محمـد بن مجير الدين العلمي الفخري الحنبلي المقدسي مؤرخ القـدس توفي سنة سبع وعشرين وتسعماية » .



« مقبرة باب الرحمة »

شهدا المشاهد والمواقف كلها
بشراهما فاذا بارفع رتبة
فاذا وصلت الى الحما فانزل به
متأدباً واجرى سواكب عبرة
والثم ثرى اعتابه بتـــذلل
واهدى مع الرضوان حسن تحية

ذكرها العالم الهولندي المشهور (ماكس فان برشام) .فقال : انها كانت مدفنا للاخشيديين . انها اليوم عامرة . ويدفن فيهـــا اكثر عائلات بيت المقدس موتاهم .

٤ – (**المقبرة اليوسفية**) : عند باب الاسباط والى الشمال من مقبرة باب الرحمة . كل مـــا نعرفه عن ماضيها ان الذي عمرها هو الامير (قانصوه اليحياروي) كافل المملكة الشامية . وكان ذلك سنة ٨٧٢ للهجرة – ١٤٦٧م . وهي اليوم عامرة. يدفن فيها المسلمون موتاهم .

٥ – **مقبرة النبي داود** : واقعة في حي النبي داود على جبل صهيون . وفي الحقيقـــة انه يوجد هناك ثلاث مقابر ، لا مقبرة واحدة . كلها لآل الدجاني . احداها كبيرة وهي واقعة شرقي النبي داود . انهـــا مخصصة لعائـلة الشيخ سليمان الدجاني وحفدته . والثانيـــة متوسطة وهي لعائلة الشيخ انيس الدجاني وحفدته . والثالثـــة صغيرة وهي مخصصة لدفن اطفال آل الدجاني .ويسمونها (تربة المنسي) نسبة للشيخ محمد المنسي . وامـــا الذين لم نذكرهم من آل الدجاني فانهم يدفنون موتاهم في مقبرةباب الرحمة واليوسفية وفي ماملا .

وعلى ذكر الشيخ محمد المنسي نقول : انه صحابي وانه الجد الاول للعائلة الدجانية[١] .

ذكره الحنبلي في تاريخه فقال : « انه اشترك في فتح بيت المقدس[٢] . وتوفي فيها . ودفن في محـــلة بالقرب من خليفة الله سيدنا داود عليـــه السلام . كان امير الامراء موسى باشا اراد ان يعمل عليه

(١) واما الجد الاخير وهو الشيخ احمد الدجاني فانه مـــدفون في مقبرة ماملا كما قدمنا .

(٢) السجل ٢٠٣ الصفحة ٤٨ .

قبة ، وعين من حفر الحدود وجور الجور ورمى الحجارة . عندئذ قام النصارى ومنعوه . ولما جاء خلفه مصطفى باشا راح أهل القـــدس يرجونه (صدقة عنه وعن ولده) ان يجعل عليه قبة . فصدر امره الى معمار باشي القدس الشريف بان يعمر به قبة من حجارة قصر النقيب[1] .

رأيت مقبرة المنسي . وهي مقبرة صغيرة طولها ١٥ متراً وعرضها ١٥ واقعة جنوبي مقبرة الارمن والسريان ومحاطة بسور . لكنني لم أرَ عليها قبة.

وهناك ترب كثيرة اخرى في القدس : نذكر منهـــا[2] :

١ – **توربة علاء الدين البصيري** : بباب الناظر من ابواب الحرم من الناحية الغربية الى الشمال . مدفون فيها آيدغدى بن عبدالله الركني الامير علاء الدين الاعمى الزاهد ناظر الاوقاف بالقدس الشريف . له آثار جميلة بالقدس والخليل والمدينة المنورة . عاش في القدس الى ان مات (سنة ٦٩٣هـ – ١٢٩٣ م). وقد ذكره ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي في مخطوطه (المنهل الصافي[3]) « ولعل لقب البصيري اطلق عليه لانه وان كان اعمى من حيث الجسم الا انه كان بصيراً من حيث الفعل والفكر » .

(١) يقصد نقيب الاشراف بالقدس السيـد محمـــد الذي ثار على الاتراك سنة ١١١٧هـ – ١٧٠٥م فتغلبوا عليه وهــدموا قصره .

(٢) جمع (تربة). والتربة هي المقبرة اذا اريد التعميم . والقبر اذا اريد التخصيص. جاء في البستان ان تربة الانسان رمسه، وتربة الارض ظاهرها . وفي الامثال (عرف بطني بطن تربة) وهو يضرب لمن وصل ارضه بعد الحنين اليها .
ولقد اقتصرنا في هذا الفصل على ذكر الترب التي دفن فيهـا عدد محدود من الرجال الاعلام .

(٣) ج٢ ص٣٦ .

٢ – **التربة الاوحدية** : قريبة من باب حطة شمال الحرم . ذكرها مجير الدين[1] فقال: ان منشئها هو الملك الاوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى . وكان ذلك في ٢٠ ربيع الثاني ٦٩٧ هـ – ١٣٩٨ م .

٣ – **التربة الجالقية** : في رأس درج العين بطريق باب السلسلة عند ملتقى هذه الطريق بطريق الواد . ذكرها مجير الدين[2] فقال : انها وقف ركن الدين بيبرس الصالحي العجمي المعروف بالجالق . وهو مدفون بها . توفي في ١٠ جمادى الاولى سنة ٧٠٧ هـ – ١٣٠٧ م . وكان من امراء الشام في دولة الملك المنصور قلاون .

انها الان ملك آل الخالدي .

٤ – **التربة السعدية** : بباب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية عند مدخل الحرم . واقفها الامير سعد الدين مسعود بن الامير الاسفهلار بدر الدين منتصر بن عبدالله الجاشنكر الرومي الحاجب بالشام في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون . تاريخ وقفها ٢٧ ربيع الاخر ٧١١هـ (١٣١٣/٩/١٢).

٥ – **التربة الكيلانية** : في جوار المدرسة الطازية من الغرب . انهـا منسوبة الى الحاج جمال الدين بهـلوان بن الامير شمس الدين قراد شاه بن شمس الدين محمد الكيلاني اللاهجي المشهور بابن الصاحب كيلان .

عندما ذكرها مجير الدين[4] قال: ان المذكور جمال الدين اوصى ابنه الامير نظام الدين كهشروان

(١) الانس الجليل . ص٣٩١ .
(٢) الانس الجليل . ص٣٩٦ .
(٣) الانس الجليل . ص٣٩٥ .
(٤) الانس الجليل . ص٣٩٦ .

بان يصرف من ثلث ماله مئة الف درهم فضة، ويدفع ذلك الى ابن اخي الموصي الامير علاء الدين علي بن بهاء الدين سالار بن شر ملك الكيلاني، ليبتاع بذلك مكاناً ويعمره تربة بالقدس الشريف ان تهيأ نقله ودفنه هناك . تاريخ الوصية ١٠ شعبان ٧٥٣ هـ — ١٣٥٢ م . وقد عمرت هذه التربة وبها ضريحه . ونقل اليها كما اوصى به .

يقيم فيها الآن جماعة من عائلة الدنف (الانصاري) .

٦ — **تربة توركان خاتون** : الى الشمال من طريق باب السلسلة عند التقاء هذه الطريق بطريق الواد . مدفون بها توركان خاتون بنت طقتاي بن سلجوتاي الازبكي . ماتت سنة ٧٥٣ هـ — ١٣٥٢ م .

٧ — **التربة الطشتمرية** : بالقرب من الكيلانية . وقف الامير طشتمر العلائي . انشأها سنة ٧٨٤ هـ — ١٣٨٢ م . وتوفي ودفن بها بعد سنين .

٨ — **تربة القرمي** : هو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرمي بكسر القاف وفتح الراء . مولده في سابع عشر ذي الحجة سنة عشرين وسبعمايه . نشأ في دمشق . وسمع الحديث بها . ثم أقام ببيت المقدس . وبنى بها زاويته المعروفة وتوفي بالقدس نهار الاحد التاسع من صفر سنة ثمان وثمانين وسبعماية (١٣٨٦ م) . ودفن بزاويته المشهورة . ودفن عنده ولده الشيخ زين الدين عبد القادر . وكان رجلاً صالحاً من أعيان بيت المقدس . توفي سنة ٨٤٣ هـ .

٩ — **تربة المثبت** : على بعد بضعة امتار من تربة القرمي الى الشمال من الغرب . على الطريق بين باب خان الزيت والحرم . مدفون بها الشيخ أحمد المثبت . ذكره النابلسي فقال : « انه كان نقيب الشيخ محمد القرمي ، وان قبره تجاه قبره ، بينهما زقاق في مكان معمور » .

١٠ — **تربة الملك حسام الدين بوركه خان** مقابل المدرسة الطازية بخط داود بالقرب من باب السلسلة . عمرت هذه التربة سنة ٧٩٢هـ . فيها الان المكتبة الخالدية (١٣٨٩ م) .

١١ — **التربة المهازية** : ذكرها مجير الدين فقال : ان واقفها هو الامير ناصر الدين المهازي . وكانت على عهده مسكناً . هذا كل ما نعلمه عن هذه التربة . ولسنا ندري أين هي في يومنا هذا ؟ كما انا لا ندري من هو ناصر الدين هذا ؟ أهو الامير ناصر الدين الذي ولي نظر القدس والخليل على عهد الملك الناصر محمد بن قلاون (٧٢٩ هـ — ١٣٢٨م) وكان يطلق عليه لقب (مشد الاوقاف) ؟ أم هو الامير ناصر الدين محمد بن بهادر الفخر بن الظاهر الذي كان نائباً عن السلطان على عهد الملك الظاهر برقوق (٧٨٩ هـ — ١٣٨٧ م) ؟ أم هو الامير ناصر الدين محمد بن أيوب الذي تولى نيابة السلطنة على عهد السلطان الملك الاشرف قايتباي (٨٨٢ هـ — ١٤٨٨ م) .

١٢ — **تربة الست** : واقعة في عقبة التكية الى الشمال من دار الايتام الإسلامية . ويسمونها ايضاً تربة خاصكي سلطان . ذلك لانه مدفون بها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان (٩٦٠ هـ — ١٥٥٢ م) . اسمها الاصلي روكسيلانة . وقيل انها روسية الاصل . ثم اسلمت .

١٣ — **تربة الشيخ جواح** : على طريق نابلس وعلى بعد كيلو مترين من سور المدينة الى الشمال . كانت هناك زاوية لها وقف وموظفون . وقفها

الامير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحي احد امراء الملك صلاح الدين . توفي في شهر صفر سنة ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م ودفن فيها . عندما ذكرها مجير الدين قال: « ان بظاهر هـــذه الزاوية من القبلة قبور جماعة من المجاهدين يقال انهم من جماعة الجراحي » .

١٤ - **القيمرية** : واقعـة بالقرب من مزار سيدنا عكاشة في الحي الكائن غربي القدس . ذكرها مجير الدين فقال: قبة محكمة البنـــاء بظاهر القدس الشريف من جهة الشمال ممـــا يلي الغرب . نسبتها لجماعة من الشهداء المجاهدين في سبيل الله قبورهم بها . وهم : الامير الشهيد حسام الدين ابو الحسن بن ابي الفوارس القيمري . وفاته في العشر الاوسط من ذي القعدة سنة ثمان واربعين وستماية (١٢٥٠ م). والامير ضياء الدين موسى بن ابي الفوارس . وفاته في عاشر ذي القعدة سنة ثمـــان واربعين وستمائة (١٢٥٠ م) . والامير حسام الدين بن حسن القيمري ووفاته في رابع عشر الحجة سنة احدى وستين وستمائة (١٢٦٢ م) . والامير ناصر الدين ابن حسن القيمري . وفاته في عشرين صفر سنة خمس وستين وستماية (١٢٦٦ م) . وبالقبة المذكورة قبر الامير ناصر الدين محمد جابر بك احد امراء الطبلخانة بالشام وناظر الحرمين بالقدس الشريف والخليل . وفاته ليلة الاثنين حادي عشر المحرم سنة ست وسبعين وسبعمائة (١٣٧٤ م) . وبظاهر القبة المذكورة تربة بها قبور جماعة من المجاهدين .

١٥ - **ضريح عكاشة** : واقع في حي معروف باسمه . ويسمونه : حي النبي عكاشة . الى الشمال الغربي من المدينة . انه قريب من القبة المعروفة بالقيمرية . وقد ذكرناها في السطور السابقة . بناء محكم ، في داخله ضريح الصحابي الجليل عكاشة. وفيه مسجد كان المسلمون المقيمون على مقربة منه يغشونه ويصلون فيه صلواتهم الخمس . ولكن اليهود الذين يكرهون الاسلام ويكرهون ان يروا الى



القبة القيمرية
وبالقرب منها مئذنة جامع عكاشة

جانبهم اي اثر من آثار المسلمين ، نسفوه في ٢٧ آب سنة ١٩٢٩ فاضحى ، بعد ذلك ، طللاً بالياً . وما كان في مقدور القائمين عليه ان يدفعوا عنه الاذى . لانه قائم في وسط الاحياء اليهودية .

المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى : لما كانت الجوامع والمساجدالتي ذكرناها في الاسطر المتقدمة ، وكذلك المدارس والمقابر والزوايا والتكايا والمعاهد الاسلامية ، تدار من قبل (المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى) . فقد رأينا من الفائدة ان نبحث فيما يلي عن هذا المجلس وعن تاريخ تأسيسه فنقول :

كانت الاوقاف والمحاكم الشرعية الاسلامية في اوائل الاحتلال البريطاني ، تابعة لدوائر العدل والقضاء بحكومة فلسطين . وكان برأس هذه الدوائر مستشار قضائي هو المستر بنتويش ولم يكن هذا يهوديا فحسب ، بل كان من رجال الحركة الصهيونية الاقحاح . الامر الذي اغضب المسلمين وجعلهم يطالبون بايجاد ادارة اسلامية بحتة تتولى مراقبة المحاكم الشرعية الاسلامية وتدير اوقاف المسلمين . واجتمع ، على اثر ذلك ، في القدس مؤتمر اسلامي (٩ تشرين الثاني ١٩٢٠) ضم المفاتي والقضاة والعلماء . فقرروا تأسيس **مجلس شرعي اسلامي اعلى** يتولى جميع الشؤون الاسلامية بفلسطين . ووافقت حكومة فلسطين على هذه الفكرة . فصدر في ١٢ آذار ١٩٢١ نظام نشر في الجريدة الرسمية بتاريخ ١٥ ايار ١٩٢١ .

كان المجلس الاسلامي ، عند تأسيسه ، مؤلفا من رئيس العلماء واربعة اعضاء : اثنان عن لواء القدس وواحد عن كل من لوائي نابلس وعكا . اما رئيس العلماء فقد انتخب ، في المرة الاولى ٢٤ ١٩٢١ ، من قبل الهيئة العمومية المنتخبة من قبل المنتخبين الثانويين الذين انتخبوا من قبل الاهالي في العهد العثماني الاخير . واشترط لانتخابه ، فيما بعد ، ان يتم بانتخاب عام يعين بقانون خاص يسنه المجلس الاسلامي نفسه . وكذلك قل عن الاعضاء . فقد انتخبوا ، في المرة الاولى ، من قبل منتخبي اللواء التابعين له . واشترط لانتخابهم ، فيما بعد ، ان يتم كذلك بواسطة المنتخبين الثانويين الذين ينتخبون من قبل الاهالي وفقاً لقانون انتخاب النواب العثماني .

وهكذا تألف **المجلس الاسلامي الشرعي الاول** ١١ جمادى الاولى ١٣٣٩ الموافق ٩ كانون الثاني ١٩٢٢ من المفتي الحاج أمين الحسيني رئيساً ومن الحاج سعيد الشوا (غزه) ، وعبد الله الدجاني (يافا) ، والشيخ محمد مراد (حيفا) ، وعبد اللطيف صلاح (نابلس) اعضاء .

وقد حددت صلاحياته في المادة الثامنة من النظام المتقدم ذكره . وهي تتلخص في ادارة الاوقاف الاسلامية ، واقرار ميزانيتها[١] ، وترشيح[٢] قضاة الشرع ورئيس واعضاء محكمة الاستئناف ومفتش المحاكم الشرعية ، وتعيين المفتين ومأموري الاوقاف وموظفي الشرع وعزلهم[٣] .

ولقد قام هذا المجلس بعدة اصلاحات في المعاهد الاسلامية اشرنا اليها في مواضع اخرى من هذا الكتاب .

كان المجلس الاول ، مؤلفاً من الرئيس والاعضاء الاربعة الذين تقدم ذكرهم .

---

(١) للحكومة الحق في الاطلاع على الميزانية فقط ، وليس التصديق .

(٢) للحكومة الحق في التصديق او الرفض . وفي حالة الرفض عليها ان تذكر الاسباب خلال خمسة عشر يوماً .

(٣) في حالة العزل يترتب على المجلس اخبار الحكومة مع بيان الاسباب .

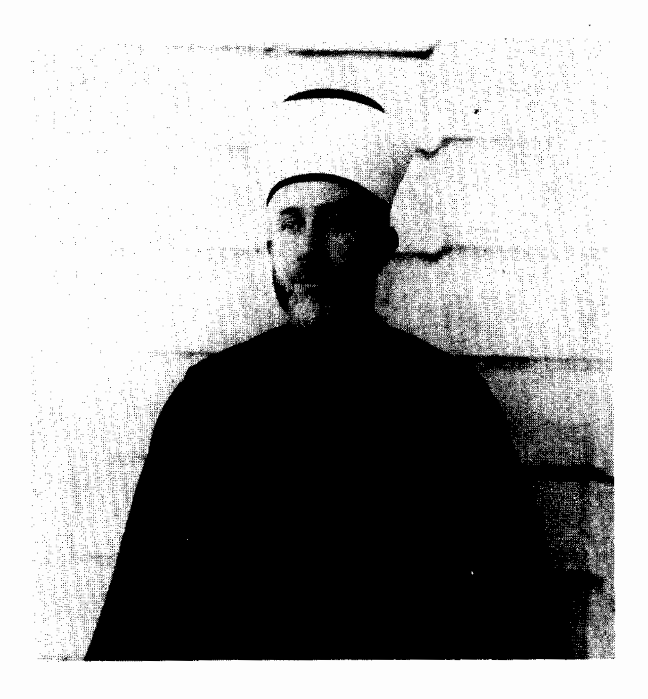
وقد استقال عبد اللطيف صلاح ، فاستبدل بامين التميمي (نابلس) . وعند وفاة الحاج سعيد الشوا عينت الحكومة مكانه الشيخ محي الدين عبد الشافي (غزة) . ولما توفي عبد الله الدجاني عين مكانه عبد الرحمن التاجي (الرملة) . ولما توفي الشيخ محمد مراد حل مكانه أمين عبد الهادي (نابلس) . ولما اقيل امين التميمي من منصبه انتدبت الحكومة بدلاً منه الشيخ كال اسماعيل (عنبتا) . كما انتدبت مكان عبد الرحمن التاجي المستقيل ، الشيخ يوسف طهبوب (الخليل) .

وتشتت المجلس الاسلامي ابان الثورة العربية الفلسطينية (١٩٣٦ – ١٩٣٨) . فغادر المفتي البلاد وبقي بعيداً عنها الى يومنا هذا .كما نفي التميمي الى سيشل حيث قضى نحبه . واعلنت الحكومة حالة الطوارىء فعينت (١٩٣٧) أمين عبد الهادي ، والشيخ كال اسماعيل ، والشيخ محي الدين عبد الشافي ، والشيخ يوسف طهبوب لادارة شؤون المجلس الاسلامي .

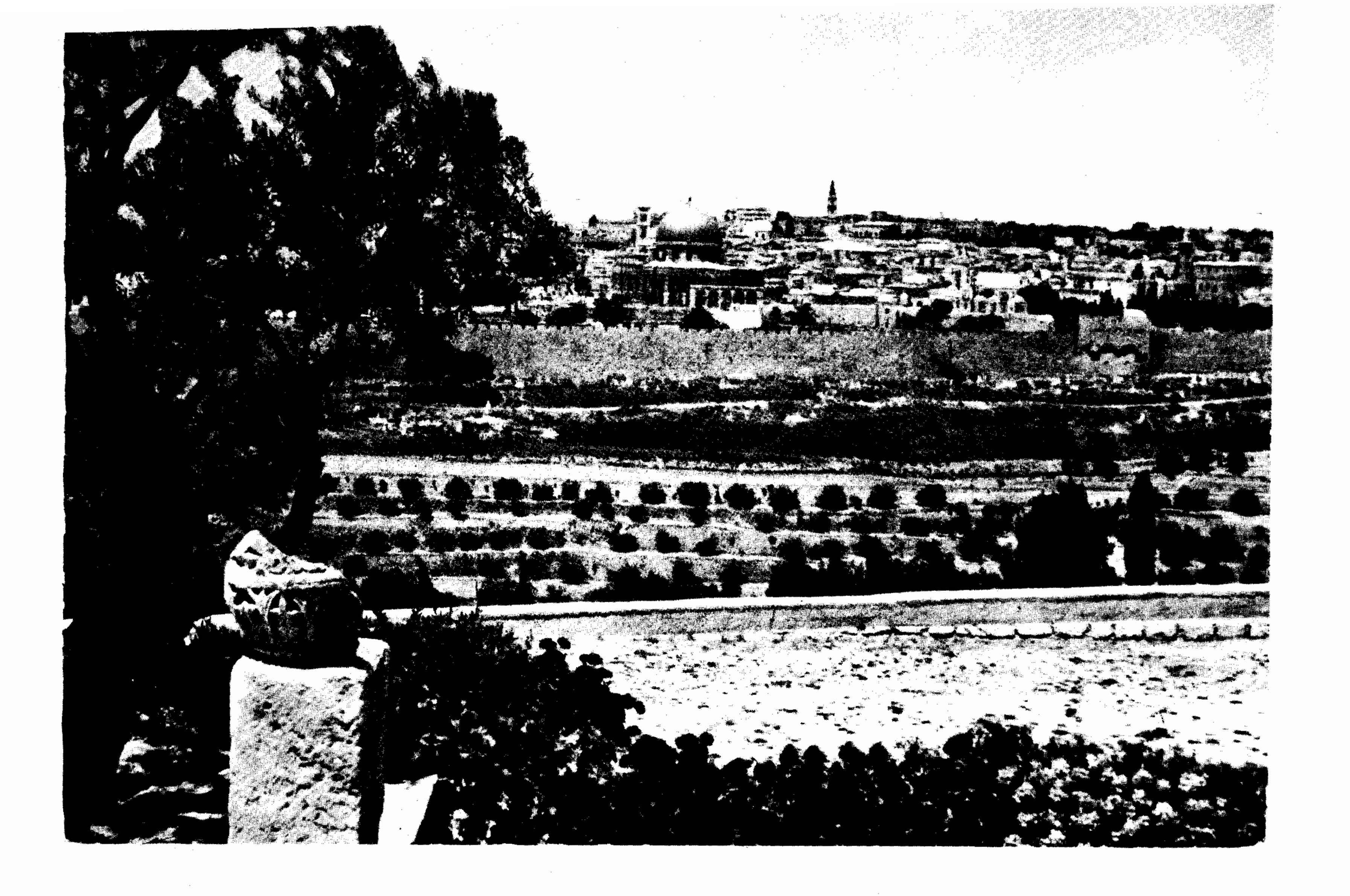
وظل هؤلاء الاربعة في مراكزهم حتى ١/١/١٩٤٧ يوم استبدلت الحكومة الاثنين الاخيرين بعلي حسنا (القدس) القاضي في المحكمة المركزية وحسن ابي الوفا الدجاني (يافا) .

وهناك (لجنة ثلاثية) تسيطر على الاعمال المالية . وكانت هذه في بداية الأمر مؤلفة من رئيس انكليزي وعضوين : احدهما مسلم والثاني انكليزي . ثم استبقت الرئيس الانكليزي وعينت العضوين من المسلمين . ثم جعلت الثلاثة كلهم مسلمين . وهم الان (١٩٤٧) روحي عبد الهادي (رئيساً) والشيخ توفيق الطيبي ووصفي العنبتاوي (اعضاء) .

هذا ولا بد من القول ان نفقات المجلس الشرعي الاسلامي بلغت (سنة ١٩٤٧/٤٨) بما في ذلك قضاة الشرع وسائر الموظفين ٤٨٫٢٩٤ جنيهاً .



سماحة الحاج أمين الحسيني
المفتي الاكبر ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى



منظر عام لمدينة القدس

يريك معظم الاماكن المقدسة الرئيسية

الاماكن المسيحية المقدسة

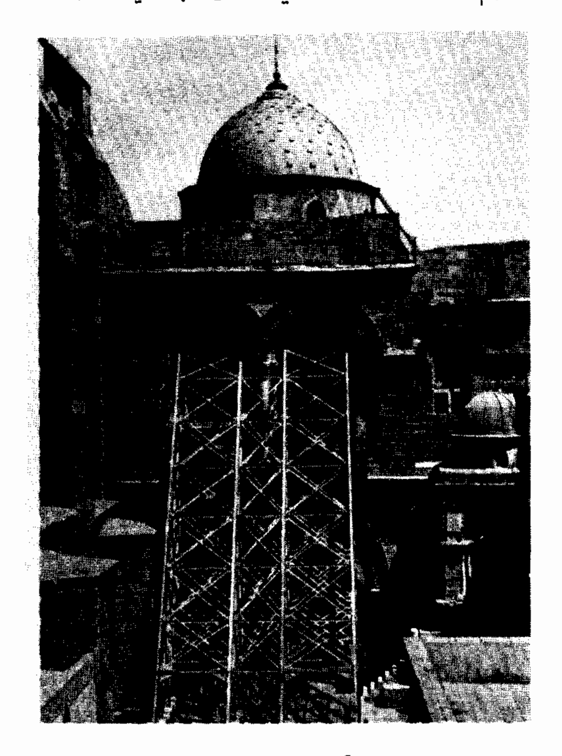
لكل طائفة من الطوائف المسيحية في القدس كنائس وأديار . وهناك ارساليات دينية جاءت من الغرب . . . ونزلت القدس في تواريخ مختلفة . ولهذه الارساليات ايضاً كنائس وأديار . وبودنا ان نأتي في السطور التالية على ذكرها ، وما يخص كل طائفة منها على حدة . على ان نبـــدأ أولاً بالكنيسة التي تخص الجميع ، ويقدسها الجميع ؛ ألا وهي : كنيسة القيامة .

كنيسة القيامة :

بنتها الملكة هيلانة ام الملك قسطنطين(٣٣٥). بنتها في الموضع الذي اكتشف فيه الصليب الذي صُلب عليه المسيح . واحرقها الفرس (٦١٤) . وأحرقوا معها جميع الكنائس والاديار التي كانت يومئذ في القدس . فاعاد بناءها (٦٣٦) الراهب مودستوس رئيس دير العبيديين في ذلك الحين .

ولما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس (٦٣٦م) أعطى النصارى أمانا لأنفسهم ولكنائسهم ، ولم يصبها بأذى ؛ حتى إنه أبى أن يصلي في كنيسة القيامة، وقد حان وقت الصلاة وهو فيها، رغم أن البطريرك صفرونيوس أشار عليه بأن يصلي حيث كان، الا أنه اعتذر وصلى على مقربة منها . وخشي ان هو صلى في الكنيسة أن يتخذ المسلمون ذلك من بعده حجة وان يطالبوا بحق لم يكن لهم فيها .

ولقد رمم البنـــاء الذي أقامه مودسطس ، البطريرك توما الأول (٨١٧م) . وكان ذلك في عهد الخليفة العباسي المأمون .وأحرقت الكنيسة وسقطت قبتها في عهد الاخشيد سلطان مصر (٩٦٥ م) . وجرت بعد ذلك محاولات كثيرة لبناء القبة من جديد ، الا ان تلك المحاولات انتهت بالفشل . ولكنهم عادوا فعمروها في زمن البطريرك يوسف



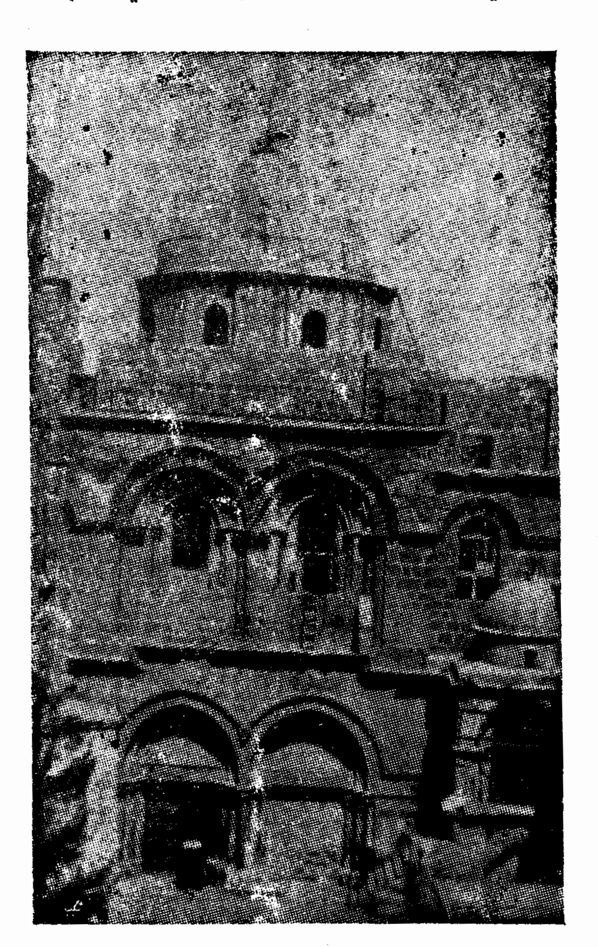
« كنيسة القيامة »

الثاني (٩٨٠ م) . وأمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها، فهدمت (١٠٠٩ م). وهدم معها الأقرانيون وكنيسة قسطنطين . ولكنه عاد فأجاز للنصارى أن يعيدوا البناء من جديـــد . فشيدوا يومئذ كنيسة القبر المقدس فقط . شيدوها على غير شكلها الأصلي . وحال فقرهم دون اتمام الباقي . وسمح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٠٣٥ م) للنصارى ببناء الكنيسة من جديد . فشرعوا في

بنائها . وتمّ البناء الجديد على عهد قسطنطين منوماخس (١٠٤٨ م) .

ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) وجهوا اهتمامهم الى تعميرها ، ولقد حافظوا على ما كان فيها من مبان . غير أنهم جمعوا المعابد في كنيسة واحدة ،فوحدوا كنيسة أنسطاسيا وكنيسة الشهداء والمعابد الاخرى . وبنوا شرقي القبر كنيسة هي التي عرفت بعدئذ بكنيسة (نصف الدنيا) . وشادوا برجاً للأجراس .

وعندما احتل صلاح الدين القدس (١١٨٧ م) أشار عليه بعض أصحابه أن يهدمها ، كي لا يبقى لنصارى الغرب حجة لغزو البلاد المقدسة ؛ فرفض اشارتهم ، بل آثر الاقتداء بعمر بن الخطاب ، فأبقاها ، وأمر المسلمين بألا يصيبوها بسوء . غير أنه اقتطع جانباً من دار القسوس المجاورة لها فاتخذها مسجداً ورباطاً (خانقاه) للصلحاء الصوفيين .



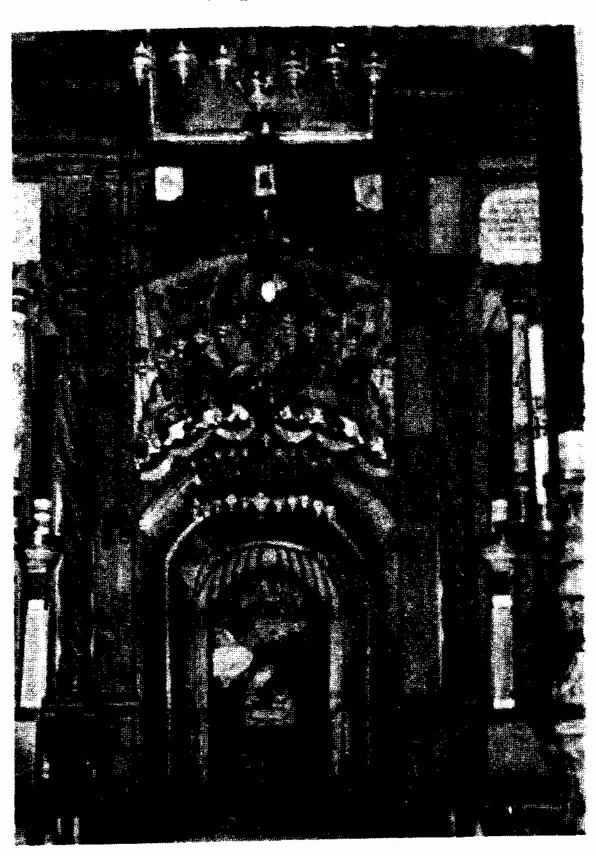
« كنيسة القيامة »

ولقد رممت كنيسة القيامة بعد ذلك التاريخ مراراً عديدة . كما رمم بناء القبر المقدس في وسطها. وكان أهم الحوادث ما جرى لها في ١٨٠٨ م ؛ يوم استعرت النار في معبد الارمن ، وامتد اللهب الى انحاء الكنيسة ، فسقطت القبة . ولم يسلم من الاذى الا جانب من الجلجلة وكنيسة القديسة هيلانة ومعبد اللاتين . .

وحصل الروم على اذن من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة ، فرمموها (١٨١٠م) . وشادوا فوق القبر المقدس البناء الذي تراه في يومنا هذا .وتصدعت الكنيسة اثر الزلزال الذي حدث في القدس على عهد ابراهيم باشا (١٨٣٤ م) . وآخر ترميم جرى لها في أواخر القرن التاسع عشر ، يوم اتفقت الدول الثلاث (فرنسا وروسيا وتركيا) على أن تقوم الدولتان (فرنسا وروسيا) بنفقات التعمير وأن تتولى تركيا الاشراف على التعمير . وهذا ما جرى . ولقد بلغت النفقات التي صرفت لتعميرها يومئذ (١٨٦٩ م) أربعين الف ليرة ذهباً .

ولقد اصاب كنيسة القيامة ما اصاب غيرها من العمارات القديمة إثر الهزة الارضية التي ألمت بالقدس عام ١٩٢٧م .فتداركت الحكومة البريطانية المتندبة الامر بما تيسر من الوسائل التي تساعد قليلاً في درء خطر عاجل ، ولا تنفع كثيراً في ازالة خطر آجل . وشدت البناء في مواضيع معينة بالخشب والاسمنت المسلح بالحديد (١٩٣٠ — ١٩٣٣ م) .

وكذلك قل عن الزلزال الذي تبعه . حتى ان



« القبر المقدس من الخارج »

الحكومة نصحت الناس الا يدخلوا الكنيسة قائلة انهـــا لا تتحمل أية مسؤولية اذا هم اصروا على الدخول . والوضع في يومنا هذا (١٩٤٧) لا يزال كما كان . ولم يجر تعمير اساسي بعد .

انك اذا ما نظرت الى كنيسة القيامة من الخارج، رأيت قبتين كبيرتين الواحدة اكـــبر من الاخرى بقليل . فالكبرى ، وهي الى الغرب ، هي القائمة فوق القبر المقدس . والاخرى ، وهي الى الشرق ، هي قبة **كنيسة نصف الدنيا** . تلك الكنيسة القائمة تجاه القبر المقدس .

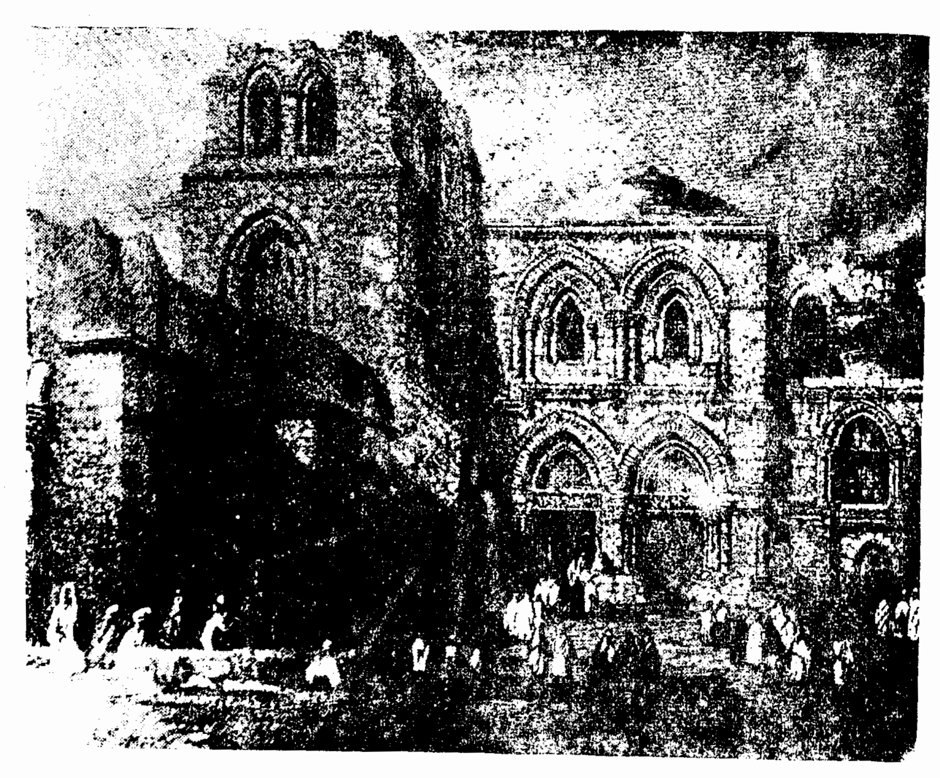
وتنضوي الى هاتين القبتين كنائس اخرى مختلفة في المساحة والشكل والقدم . وتتألف من هذا كله مجموعة من الكنائس يطلق عليها : (كنيسة القيامة) .



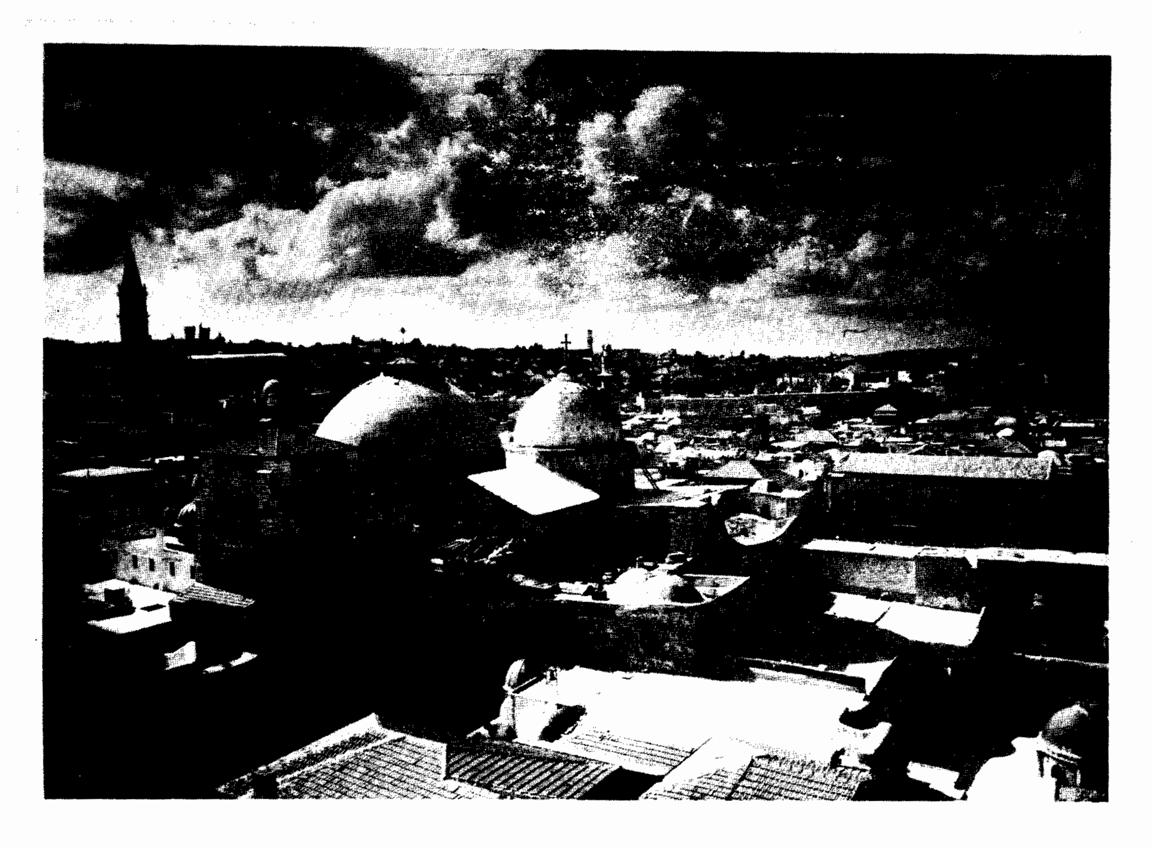
« القبر المقدس من الداخل »

وتقدر مساحة الارض القائمة عليها كنيسة القيامة بنحو ثمانين متراً في ستة وستين متراً .

وفي كنيسة القيامة ، عدا عن قـــبر المسيح ، سبعة قبور : اثنان منها ليوسف الرامي واسرته وهما في معبد كائن غربي القبر المقدس . واثنان في مدخل الغرفـــة التي تراها الى يمينك اذا ما دخلت الكنيسة من بابها القبلي الكبير ، وهما لغودفري وبولدوين من ملوك الصليبيين . وواحد في حجرة للروم يسمونها : (حبس المسيح) ، ولا يدري احد لمن هو هذا القبر ؟ وهناك امام الكنيسة من الخارج قبر سادس لانكليزي من قادة الصليبيين، هو فيليب دويتي . والسابع قبر (الاربعين شاهد) عند كنيسة مار يعقوب .



الواجهة الامامية لكنيسة القيامة



قبة القبر المقدس وقبة كنيسة نصف الدنيا

هذه هي القبور التي يحدثك القوم عنها . وهناك ، في اعتقادي ، قبور كثيرة اخرى لانعلم عنها شيئاً . ذلك لأن هذه البقعه من الارض كانت ، قبل موت السيد المسيح ، مقبرة اعدها القوم لدفن الموتى من سكان المدينة . ولقد عثر القائمون على كنيسة (مار يعقوب) الملاصقة لكنيسة القيامة من ناحيتها القبلية ، اخيراً ، على خمسة قبور محفورة في جدار الكنيسة المذكورة من الداخل ، قالوا انها لا بد وان تكون لعدد من البطاركة الاقدمين .

وهناك في كنيسة القيامة ، ثلاث عشرة بئراً تتجمع فيها مياه الامطار .

وكان الناس فيما مضى يخلعون نعالهم قبل ان يدخلوا الكنيسة . ويظهر ان هذه العادة دامت حتى اوائل القرن التاسع عشر . ثم زالت .

وإنا لذاكرون فيمايلي اسماء الاشخاص من نصارى بيت المقدس الذين يحملون الاعلام في سبت النور :

الترتيب	اسم العائلة	اسم الشخص
(١)	عائلة سلمان	الياس او صليبا او عيسى سلمان
(٢)	عائلة الاجرب	جبران الاجرب
(٣)	« الحبش	نخلة متري الحبش
(٤)	« الحرامي والبغل	جرجي الحرامي
(٥)	« القرعة	زخريا جريس القرعة
(٦)	« كتوعة	سمعان او عيسى كتوعة
(٧)	« الشماع	موسى الشماع
(٨)	« كتن	حنا جريس كتن
(٩)	« المحشي	يعقوب المحشي
(١٠)	« ابي زخريا	داود ابو شهله
(١١)	« منصور	ميخائيل منصور
(١٢)	عائلة علوشية	نقولا عنصره
(١٣)	« ابي زخريا	ستاوري زخريا

وقبل ان نختم كلامنا عن كنيسة القيامة ، نرى من مصلحة التاريخ ان نذكر ، انه يقوم على حراسة ابوابها عائلتان اسلاميتان ؛ هما :

(آ) . آل جوده

(ب) . آل نسيبة .

وقد اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الذي تولتا فيه هذه المهمة . وان اتفقوا في القول ـ وهذا هو الواقع ـ ان (آل جودة) هم الذين يحتفظون بالمفاتيح وان (آل نسيبة) هم الذين يفتحون الكنيسة في مواعيدها المقررة . ومتى فتح هؤلاء الباب ، أعادوا المفاتيح الى أولئك . وهكذا دواليك .

هناك قول يؤيده آل نسيبة ان هذه الوظيفة بأيديهم منذ زمن عمر بن الخطاب (٦٣٦م) ، وان اول من تسلمها منهم هو جدهم عبدالله ، وان هذا هو ابن امرأة من الخزرج تدعى (نسيبة) . وكان لها ولدان : أحدهما (حامد) ظل في المدينة والثاني (عبدالله) اشترك في الفتح القدسي ، وكان من الصالحين . ولما تم للمسلمين فتح القدس ، ودخلها عمر بن الخطاب ، سلمه البطرك صفرونيوس مفاتيح القيامة[1] ، فناولها عمر الى عبد الله بن نسيبة مؤتمناً اياه لزهده وتقواه . وتوارث آل نسيبة هذه المهمة منذ ذلك الحين .

وتقول فئة من مؤيدى هذا القول ، اذكر منهم الاستاذ عمر الصالح البرغوثي :

(١) فعل الفاتح الانكليزي اللورد اللنبي مثل هذا الفعل عندما فتح القدس في ٩ كانون الاول ١٩١٧ فدخل المدينة في اليوم الحادي عشر من الشهر المذكور ، وزار الكنيسة وتسلم مفاتيحها ، ثم سلمها الى آل جودة وآل نسيبة ، ليتولوا مهمة الفتح كما كانوا يفعلون منذ القدم .

« ان آل نسيبة ظلوا امناء على ابواب الكنيسة من الفتح العمري حتى الفتح الصليبي . وانهم عند مجيء الصليبيين رحلوا عن القدس مع من رحل عنها من المسلمين ومن المسيحيين الشرقيين الارثوذكسيين . فنزلوا قرية بورين من أعمال نابلس وسكنوا فيها . ولم يعد آل نسيبة الى القدس بعد الفتح الصلاحي مباشرة » .

« فأمر السلطان صلاح الدين ان تسلم المفاتيح الى آل غضية وهم اجداد آل جودة . ولما عاد آل نسيبة من قرية بورين طالبوا بحقهم ، فعزّ على القاضي آنذاك ان ينقض حكماً مضى عليه ردح من الزمن ، وقضى بأن تبقى المفاتيح بيد آل غضية على أن يتولى آل نسيبة فتح الأبواب . ورضي بحكمه الطرفان . وهكذا درجت العادة منذ ذلك الزمان » .

ويقول آخرون يؤيدهم آل جودة : « انهم امناء مفاتيح القيامة منذ عهد صلاح الدين (١١٨٧) وان آل نسيبة يقومون بمهمة الفتح منذ ذلك العهد أيضاً . وان السبب الذي حدا بصلاح الدين لعمله ذاك انه ، بعد ان سمح للصليبيين ان يغادروا المدينة بعد دفع الفدية المتفق عليها . خشي ان يعودوا فيتسربوا اليها بثياب الحجاج والرهبان ! وان يصبحوا ، مع الزمن ، من الكثرة بحيث يتكتلون ويؤلفون قوة تهدده وجنده في المدينة . وكان للكنيسة يومئذ مدخلان كبيران فأغلق السلطان احدهما وأبقى الثاني » .

وتوارث آل جودة ، وكانوا قبلاً يدعون (آل غضية) ، هذه الوظيفة عن آبائهم واجدادهم .

وهناك قول ثالث : « ان هذه المهمة في يد المسلمين منذ عهد المماليك » .

فقد اطلعني الأب كرياكوس ، رئيس كنيسة القيامة ، على تقرير وضع في عهد الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧) ، ويظهر ان واضعه من كبار موظفي حكومة فلسطين ، وقد جاء فيه ان تلك العادة (اي عادة احتفاظ المسلمين بمفاتيح القيامة وفتحها) وضعها المماليك سنة ١٢٨٩ م .

وعندما قرأت هذا التقرير رجعت الى التاريخ فوجدت فيه انه كان على كرسي السلطنة يومئذ السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون . وقد عقد هذا السلطان مع الفرنج هدنة (١٢٨٣ م) جعلت جميع الديار المصرية والحجازية والشامية والاردن وفلسطين - بما فيها القدس - تابعة له . وبعد ذلك بسنتين (١٢٨٥ م) اصدر السلطان مرسوماً يقضي بالاّ يستخدم في وظائف الدولة احد من اهل الذمة - اليهود والنصارى - في وظائف الدولة . هذا ما ذكره المؤرخون . ولعل تسليم مفاتيح القيامة للمسلمين جاء في اعقاب ذلك المرسوم الذي أشار اليه الطبري في الصفحة ١١٨ من الجزء الرابع عشر من كتابه (تاريخ الدول والملوك) والدكتور محمد جمال الدين سرور في الصفحة ٢٣٣ من كتابه (دولة ابن قلاوون في مصر) .

وهناك من يقول ان السلطان سليمان القانوني (١٥٤٠ م) هو الذي عهد الى المسلمين بتلك المهمة . وان ابراهيم باشا عندما هبط القدس (١٨٤٠) أيدها .

ولم اعثر الى الآن على أية وثيقة تاريخية تحدد بالضبط التاريخ الذي تسلم فيه المسلمون مفاتيح القيامة . وكل ما استطيع ان أقوله بعد ان درست الموضوع من جميع وجوهه واطلعت على البراءات والفرمانات السلطانية التي بيد الفريقين ، هو :

ان آل جودة هم الامناء لمفاتيح الكنيسة ،

وان آل نسيبة هم الذين يقومون بمهمة الفتح ، وان هذه المهمة تقوم بها هاتان العائلتـــان الاسلاميتان العريقتان منذ مدة لا تقل عن ثمانية قرون . وفوق كل ذي علم عليم .

درب الآلام :

وهناك **درب الآلام** وهي مقدســـة في نظر المسيحيين لاعتقادهم بان السيد المسيح سلكها حاملاً صليبه يوم ساقه جند الرومان للصلب ، بعد ان حكم عليه الوالي الروماني بالموت .

ان هذه الدرب التي نسميها اليوم **درب الآلام** ويسميها الفرنجة Via Dolorosa عبـــارة عن اربع عشرة مرحلة: تسع منها خارج كنيسة القيامة وخمس في داخلها .

اما **المرحلة الاولى** فانهـــا تبدأ في الموضع الذي اتخـــذه الوالي الروماني تيطس مقراً له ، يوم اصـدر حكمه بموت السيد المسيح . ويعتقد معظم المؤرخين ان ذلك الوالى كان يقيم في مكان ما . .في البقعة التي تقوم عليها الآن مدرسة (الروضة) ومدرسة راهبات صهيون وما بينهما من بقاع . وانه هنا تم تتويج المسيح باكليل من الشوك .

وفي **المرحلة الثانية** وهي القريبـة من المكان المتقدم ذكره، طلب الجند من المسيح ان يحمل صليبه فحمله . هنـــا على مقربة من هـــذا المكان قوس يسمونه Ecce Homo .انه الآن جزء من العمارة التي تملكها راهبات صهيون . ويعتقد المسيحيون ان الوالي الروماني خاطب اليهود الذين كانوا مجتمعين في هذا المكان ليروا ماحل بالمسيح.خاطبهم مشيراً بيده الى المسيح ، قائلاً : Ecce Homo اي : هذا هو الرجل !

واما **المرحلة الثالثة** فانها عنـــد الزاوية القائمة على مفترق الطريقين : طريق الآلام والطريق التي تصل بين الواد وباب العمـــود . حيث يقوم دير الارمن الكاثوليك والبولونيين . هنـا وقع السيد المسيح على الارض مغشياً عليه .

ثم تأتي **المرحلة الرابعة** وهي على بعد بضعة امتار من الثالثة . هنا التقى المسيح بامه مريم البتول.

و**المرحلة الخامسة** تراها عند الزاوية الكائنة عند ملتقى طريق الواد باول العقبة المعروفة بـ (عقبة المفتي) . هنا شعر السيد المسيح بثقل الصليب الذي



« عقبة المفتي — جزء من درب الآلام »

كان يحمله ، وكاد يسقط على الارض . فجاء سمعان القيرواني وساعده في حمله .

واذا ما سرت غرباً مررت **بالمرحلة السادسة** حيث ترى الى يسارك معبــداً للروم – الكاثوليك المعروفين بالملكيين . هنا في هــذا المكان يقوم منزل القديسة فيرونيكا Veronica وقـبرها . انها هي التي مسحت عرق المسيح من على جبينه.

والمرحلة السابعة عنـــد ملتقى درب الآلام بالطريق التي تربط باب خان الزيت بباب العمود . ويسميها الفرنجة Porta Judicaria . وفي قول ان السيد المسيح من هذا الموضع خرج من المدينة . وسقط على الارض مغشياً عليه للمرة الثانية .

واما **المرحلة الثامنة** فانها واقعة في عقبة الخانقاه عنـــد الدير المعروف بدير خارالامبـــوس للروم الارثوذكس . وفي هذا الموضع خاطب السيد المسيح المرأة التي كانت تسير من خلفه باكية . وفي قول : النسوة اللواتي كن يسرن من خلفه باكيـــات . فخاطبهن قائلاً : لا تبكـــين علي ، بل ابكين على بلدكن التي ستؤول الى خراب ! . .

وللمرحلة التاسعة عنـد دير الاقباط الى الشرق من كنيسة القيامة ؛ حيث رزح المسيح تحت الصليب من الحمل وشدة التعب .

واما **للمرحلة العاشرة** فانها في داخل الكنيسة .. عند الجلجثة .. وكذلك قل عن المراحل الثلاثة : ١١ و ١٢ و ١٣ . واما المرحـــلة الرابع عشرة والاخيرة فانها عند القبر المقدس نفسه .

قبر البستان :

بعد أن حدثناك عن القيامة وعن درب الآلام – وهي الدرب التي سلكها السيد المسيح وهو ذاهب ليصلب - نرى من الفائدة ان نحـــدثك عن المكان المعروف بـ **قبر البستان** ويسميـــه الفرنجـــة : Garden Tomb



« قبر البستان »

اختلف المسيحيون في تعيين المكان الذي صلب فيه السيد المسيح : فمنهم من يقول ، ومعظم هؤلاء من الكاثوليك ومن اتباع الكنائس الشرقية ، انه صلب في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة القيامة . وهو الموضع الذي اكتشفت فيه الملكة هيلانة خشبة الصليب . وهذا ما حدا بها لبناء كنيسة القيامة . وقولهم هذا اقدم عهداً واكثر انتشاراً من غيره .

ومنهم من يقول ، وهؤلاء فئة قليلة من الانكليز البروتستانت ، انه صلب في الموضع الذي يقوم عليه قبر البستان . ويقع هذا شمالي المدينة وعلى بعد بضع مئات من الامتار من سورها تجـاه الباب المعروف بباب العمود . وهذا رأي حديث العهد .

وهناك كثيرون لا يزالون يترددون في قبول هذا الرأي أو ذاك ، لاعتقادهم بأن الدليل القاطع لم يقم بعد ليقنعهم اي الرأيين أصح من الاخر .

ويقول هؤلاء انه لم يرد في الانجيل مـــا يشير بالضبط الى موضع الصلب ، وإن جاء فيه ما يدل على أنه « صلب في موضع يقال له (الجمجمة) او

(الجلجثة)[١] ، وان ذلك الموضع كان قريباً من المدينة[٢] ، وانه كان في الموضع الذي صلب فيه بستان وفي البستان، قبر جديد لم يوضع فيه احد قط [٣] » .

ولما كنا قد ذكرنا في الفصل السابق ما تيسر لنا جمعه عن الرأي الاول ، وهو القائل بأن السيد المسيح دفن في المكان الذي تقوم عليه كنيسة القيامة ، وذكرنا ما نعرفه عن تاريخ هذه الكنيسة ، وهي اقدس مكان في نظر المسيحيين، فانا نرى ان نذكر في السطور التالية ما نعرفه عن الموضع الاخر : وهو (قبر البستان) .

٢ - ان اول من قال بهذا الرأي، وهو ان السيد المسيح صلب في هذا المكان وليس في المكان الذي تقوم عليه الان كنيسة القيامة ، هو الجنرال غوردن الذي قتله الدراويش في الخرطوم (١٨٣٤) . فقد كان هذا الجنرال - كلما زار القدس - يأتي الى هذا المكان ، ويصلي فيه . وكلما صلى واطال النظر فيما حوله كان يزداد اعتقادا بان السيد المسيح لا بد وان يكون قد صلب ودفن في هذا المكان ، لوقوعه على مقربة من التل الذي كان اليهود يرجمون فيه المحكومين ويصلبونهم ويلقون بجثثهم في الوادي القريب منه . وكذلك كان يفعل الرومان .

فالقبر هنا محفور في الصخر . والصخر متصل بالسور . وهو (اي الصخر) محفور بشكل يشبه الجمجمة او الجلجثة . وهذا ما حدا بغوردن الى



« قبر البستان »

الاعتقاد بان هذه الاوصاف مطابقة للاوصاف التي وردت في الانجيل عن المكان الذي صلب فيه المسيح ودفن .

٣- ولقد حذا نفر من اتباعه حذوه بعد حين . فراحوا يذيعون بين الملا ان المسيح صلب في هذا المكان ، وليس في المكان الذي بنيت فيه كنيسة القيامة متخذين الخريطة التي رسمها رسام الخرائط المعروف خريستيانوس ادريخوم Christianus Adrichom لمدينة القدس عام ١٥٨٤ ، وفيها يرى الناظر موضع الجلجثة ومكان القبر المقدس خارج الباب الى الشمال من سور المدينة .

٤ - ويمضي مؤيدو هذا الرأي في حججهم فيقولون ان مكان الكنيسة الحالي لم يكن يوم صلب السيد المسيح خارج السور . بل كان هذا (اي السور) يمتد الى ابعد من ذلك . بدليل ان بركة حزقيا الواقعة على بعد بضعة امتار من كنيسة القيامة من الجنوب الغربي والمعروفة في يومنا هذا بـ : (بركة حمام البطرك) كانت في زمن الرومان داخل السور ، ولم تكن خارجه . وقد حفرها حزقيا خصيصاً لتشرب المدينة من مائها اثناء الحصار .

(١) انجيل متى الاصحاح ٢٧ العدد ٣٣ . وانجيل يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ١٧ . وانجيل مرقس الاصحاح ١٥ العدد ٢٢ .

(٢) انجيل يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٢٠ .

(٣) انجيل يوحنا الاصحاح ١٩ العدد ٤١ .

(٤) هناك اعتقاد بان التل هو الذي تقوم عليه الان المقبرة المعروفة بباب الساهرة وهي للمسلمين .

٥ – وجدير بالذكر ايضاً ان القائلين بنظرية قبر البستان ، ينكرون الاتجاه الحالي لدرب الآلام ؛ فيقولون انها تبدأ عند قصر بيلاطس (مكان الروضة) ثم تتجه نحو باب العمود ، وتنتهي عند الزاوية الادهمية حيث مكان الجمجمة .

٦ – تأسست سنة ١٨٩٣ جمعية باسم (جمعية قبر البستان بالقدس) The Garden Tomb (Jerusalem) Association وهي خاضعة لكنيسة انكلترا Church of England وهي التي تقوم على حراسة هذا المكان الذي تم شراؤه سنة ١٨٧٢ . .

٧ – انه اليوم عبارة عن غرفة منقورة في الصخره ، ارتفاعها ستة اقدام وسبع بوصات ، وعرضها احد عشر قدماً وبوصتان . والغرفة مقسومة الى قسمين : في القسم الشرقي منها ثلاث جور ، تتسع كل واحدة منها لجثة انسان . واحدة منها تامة الصنع . والاخريان لم تتما . احداهما تبدو كأنها أعدت لانسان بالغ ، والاخرى لطفل .

وهناك بستان جنوبي القبر . يحده من الشمال والشرق تل مرتفع ، عليه مقبرة هي المعروفة بمقبرة الساهرة ، وهي بيد المسلمين .

٨ – والغريب في الامر ان المستر ماي[١] R. S. W. May الموظف المشرف على قبر البستان في يومنا هذا (١٩٤٧) من الذين يشكون في صحة الرأي القائل ان السيد المسيح صلب او دفن في هذا المكان ! حتى انه استقال من منصبه بسبب الشك الذي ساوره في هذا الصدد طوال السنين التي قضاها في هذا البلد .

الروم الارثوذكس

دياراتهم كثيرة نذكر منها :

١ – **دير أبينا ابراهيم** في ساحة كنيسة القيامة في الناحية الشرقية الى الجنوب . عمّرته الملكة هيلانة حوالي سنة ٣٣٥م . وخربه الفرس ٦١٤م . وظل موضعه خراباً الى ان أخذه الروس من الاتراك (١٨٨٧ م). فأعطوا قسماً منه للروم ، حيث بنوا ديرهم هذا . وبنوا هم على القسم الآخر ديرهم القريب من باب خان الزيت والمعروف بـ (المسكوبية) .

فيه اليوم كنيستان : احداهما صغيرة باسم (أبينا ابراهيم) . والاخرى كبيرة باسم (الرسل الاثني عشر) .

٢ – **دير مار يو حنا المعمدان** : بين سويقة علون والشارع المؤدي الى حارة النصارى . فيه كنيستان : واحدة تحت الارض .. طرازها بيزنطي . . بنيت سنة ٤٥٠ م . والأخرى فوقها بنيت عام ١٠٤٨م . عندما احتل الصليبيون القدس اتخذوا الدير والكنيستين مستشفى ومقراً لفرسان مار يوحنا (١٠٩٩ م) . وعند ما استرد صلاح الدين القدس أعاد البناء مع ما أعاده من الابنية الأخرى الى الروم (١١٨٧ م) .

٣ – **كنيسه ستنا مريم** : في وادي قدرون عند ملتقى الطرق المؤدية الى باب الاسباط وسلوان وجبل الطور . بناها ماركيانوس امبراطور بيزنطية (٤٥٠ – ٤٥٧ م) . وفيها قبور يواكيم وحنة والدي مريم البتول ، وقبر مريم نفسها ويوسف النجار . انها للأرمن والروم . وفيها حجرة يصلي فيها الأقباط والسريان .

٤ – **دير مار سابا** : على مقربة من سلوان .

---

(١) انه انكليزي الجنسية وبروتستاني المذهب .

بناه[1] القديس سابا حوالي ٤٨٤ م . فيه كنيسة أنشئت عام ٥٠٣ م . وعمارات أضيفت اليه على عهد الامبراطور جوستانيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) . وفيه مكتبة فيها ثلاثة آلاف مجلد . ولا يجوز دخول النساء لهذا الدير عملاً بوصية القديس سابا الذي لم يسمح حتى لأمه بدخوله .

٥ - **دير العذراء** : ويسمونه دير ستنا مريم . واقع الى الجنوب من كنيسة القيامة ، بينها وبين المسجد العمري . انه دير بيزنطي قديم . بني في عهد البطريرك الياس الاول (٤٩٤ م) .

٦ - **الدير الكبير** : ويعرف بدير قسطنطين . ويسميه اليونان (كندركسون مناستريون) اي الدير المركزي . واقع الى الجنوب من بطريركية الروم في حارة النصارى . بناه البطريرك الياس الاول (ايليا) الذي تولى شؤون البطريركية سنة ٤٩٤ ميلاديه . ويعتبر اليوم قاعدة أديار الروم في فلسطين . فيه ثلاث كنائس : (١) كنيسة القديسة هيلانة (٢) كنيسة القديسة تقلا (٣) كنيسة مار يعقوب . وفي هذه الكنيسة معبدان صغيران : واحد باسم (الشهداء الاربعين) . والثاني باسم (حاملات الطيب) .

٧ - **دير القديس تيؤدوسيوس** : انشيء في نفس التاريخ الذي أنشيء فيه دير مار سابا (٤٨٤م) . واقع بين بيت لحم ومار سابا . ويسميه العرب دير ابن عبيد . لانه كائن في المنطقة التي تعيش فيها عشيرة العبيديين . ذكره ابن البطريق فقال : انه دير الدواكس . وكان به مودسطس الراهب الذي عمر كنيسة القيامة بعد ان دمرها الفرس .

(١) (كلام في وصف الارض المقدسة) لمؤلفه باسيلي نقولاختروفو. عربة عن الروسية حنا عيسي .

٨ - **دير المصلبة** : في ظاهر القدس الى الغرب. انه دير قديم انشأه[1] الامير ماريام الكرجي أيام الملك قسطنطين حوالي سنة ٣٣٠ للميلاد . وفي قول آخر ان الذي بناه هو الامبراطوريوستنيانوس، وان ذلك جرى بين عامي ٥٢٧ و٥٦٥ للميلاد . فيه كنيسة .

٩ - **دير البنات** : مجاور لخان الاقباط من ناحية الشمال . بناه البطرك الياس (٥٩٤) . فيه كنيستان : إحداهما ارضية باسم (القديسة ميلانيا) . والاخرى فوقها باسم (مريم الكبيرة) او (العذراء البكر) .

١٠ - **دير مار الياس** قبلي القدس، على طريق بيت لحم . انه دير قديم . أنشأه هرقل الملك خلال القرن السابع للميلاد (٦١٠م) . فهدمه الفرس (٦١٤م) . وأعيد بناؤه سنة ١١٦٥م من لدن عمانوئيل قومنينوس . وتجدد في زمن البطريرك ذوستيوس سنة ١٦٧٨ م . فيه كنيسة .

١١ - **دير الجليل** : فوق جبل الطور . فيه كنيسه قديمه يسميها الروم (غاليليا) والمقدسيون (إيليا) . يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد قيامه لأول مرة في هذا المكان . وقد بنوا في الموضع نفسه كنيسة أسموها : (كنيسة العذراء) .

١٢ - **دير القطمون** : في الحي المعروف بالقطمون غربي القدس . كان بيد الكرج ، ثم صار الى الروم . فيه كنيسة . وفي داخل الكنيسة قبر القديس سمعان . وكانوا يسمونه (دير سمعان) . انه

(١) هذا ماقاله المؤرخ اليوناني بنيامين يوانيدس في الصفحة ٢٦٤ من كتابه الذي طبعه في مطبعة دير الروم بالقدس سنة ١٨٧٧م .

مقر الكرسي البطريركي في فصل الصيف . وكان الروم ينزلون فيه الحكام والمتصرفين .

١٣ – وهناك ديارات نذكر منها : (**حبس المسيح**) على طريق الآلام . و(**دير مار خرالامبوس**) بعيد الخانقاه الصلاحيه من الجهه الشرقية . و (**دير السيدة**) على مقربة من الخانقاه المتقدم ذكرها . و (**ودير مار افتيموس**) وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال . و (**دير العدس**) ويسمونه دير مار نيكوديمس ، فوق حبس المسيح في حارة السعدية . و (**دير صهيون**) على جبل صهيون . و(**دير مار جرجس**) وهو ملاصق لدير اللاتين من الشرق . وهناك دير آخر بهذا الاسم الى الشرق من دير الارمن . و (**دير مار ميخائيل**) مجاور لبطريركية الروم من الشمال . و(**ودير القديسة كاترين**) في حارة الغصاري بين الخانقاه الصلاحية ودير اللاتين . و (**دير مار سبيريدون**) في حارة الحدادين . و (**دير مار ديمتري**) في حارة النصارى على طريق الكازانوفا . و (**ودير مار نقولا**) غربي البطريركية . و (**دير مار تادرس**) بجانب الدار الجديدة المعروفة بالكازانوفا . و(**دير القديس انوفريوس**) في الوادي الكائن بين جبل صهيون وجبل أبي ثور . (**ودير ابي ثور**) على جبل المكبر . و (**دير العازر**) في العيزرية على مقربة من القدس الى الشرق . وفي كل واحد من هذه الاديرة معبد يعبدون الله فيه .

وللروم الإرثوذكس بطريرك هو اليوم (تميوثيوس) . وقد تولى البطريركية قبله خمسة وتسعون بطريركا . أولهم الاسقف (يوفيناليوس) وهو اول من سمي بطريركا لاورشليم . وقد تم ذلك سنة ٤٥١ ميلادية . وهو الذي اقر الاحتفاء بعيد الميلادفي اليوم الخامس والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) .

ومن بطاركة الروم الذين اشتهروا في عهدهم الياس (إليا) ٤٩٤ م . وكان هذا عربي الاصل من نجد . وله آثار في القدس منها دير قسطنطين . ومنهم صفرونيوس الأول (٦٣٤ م) . وعلى عهده فتح المسلمون بيت المقدس. وصفرونيوس هذا عربي الاصل ، وان كان اسمه يونانياً (معناه العفيف أو ذو العقل السليم) . ذلك لأن البطاركة درجوا على عادة تسميتهم بالاسماء اليونانية .

وعندما احتل الصليبيون البلاد (١٠٩٩ م) ، ساد فيها حكم الكنيسة الغربية . وعندما انهزم الصليبيون على يد صلاح الدين تنفس الروم الصعداء . وكان جميع البطاركة الأورشليميين (من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٥٢٥) عرباً. أي أن الأساقفة العرب انفردوا في ادارة شؤون الكنيسة الاورشليمية مدة ٢٣٤ سنه .

على عهد البطريرك داميانوس الأول(١٨٩٧ م) اشتد الخلاف بين طائفة الروم من ابناء البلاد ورجال الاكليروس اليونانيين . وقد حاول ابناء البلاد ولا يزالون يحاولون التخلص من سيطرة رجال الدين الأجانب .

الروم الكاثوليك :

في القدس ابرشية للروم الكاثوليك ، انشأها البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٨ م . تقوم هذه الابرشية في يومنا هذا في حارة الموارنة. وفيها نائب بطريركي هو الارشمندريت جبرائيل ابوسعدى. يرجع في اموره الى بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق . وهو اليوم (١٩٤٧) مكسيموس الرابع

صايغ بطريرك انطاكية وسائر المشرق والاسكندرية واورشليم .

وللروم الكاثوليك في القـدس كنائس وأديرة نذكر منها :

١ – **كنيسة القديسة حنه** : بين باب حطـه وباب الاسـباط ، الى الشمال من الحرم القدسي . يعتقد المسيحيون ، أنه هنا في هذا المكان كان فيما فرط من الأيام مسكن يواكيم وحنـة والدي مريم البتول . وفي هـذا المكان بركة حسدا حيث اتى السيد المسيح بإحدى معجزاته . وفيه بنى في القرن الرابع للميـلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول في سنة ٥٣٠ م . ويظهر ان هـذه الكنيسة احترقت مع ما احترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام ٦١٤ م . فاعاد الصليبيون بناءها عندما فتحوا القـدس ١٠٩٩ م . وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة . وجعل صلاح الدين هـذه الكنيسة رباطـاً للصالحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة ١١٨٨ م . وكانت هـذه تعرف فيما مضى بـ (صند حنة) . وسميت بعـد الفتح الصلاحي بالصلاحية . وحدث زلزال خـلال المدة الواقعة بين ١٨٢١ و ١٨٤٢ م . هدمت على اثره جدران الدير . فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنت بها الثكنة العسكرية المجاورة له .

وعندما انتهت حرب القرم بانتصار تركيـا (١٨٥٥ م) سلم السلطان عبد المجيد هذا المكان الى نابليون الثالث اعترافاً بفضـله . ذلك لأن فرنسا عاضدت تركيا في حربها مع الروس . وسلمه المتصرف كامل باشا الى الفرنسيين (١٨٥٦ م) . فأنشئت فيه مدرسة (١٨٧٨ م) . وانقلبت هـذه الى كلية إكليركية (١٨٨٢م) . وفي الحرب الكونية الأولى (١٩١٤ م) احتلها الجيش التركي ، وحولها القائد التركي جمال باشا الى كلية اسلامية اسماها : (كلية صلاح الدين) . واما الكنيسة فلم يمسها ضرر . ولما احتل الانكليز القدس (١٩١٧ م) أعادوا العمارة الى الآباء البيض . فأنشأ هؤلاء فيها مكتبة ومتحفاً .

٢ – وللروم الكاثوليك في القدس دار يسمونها : (**دار القديسة فيرونيكا**) . واقعة في عقبة المفتى ، على درب الآلام . بنيت في المكان الذي مسحت فيه هذه القديسة وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملاً صليبه . وكانت الارض ملكاً لمسلم من سكان القدس هو (عبد الرحمن حدوثة العلم) . فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهباً . وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ ١٨٩٤ م فأنشأوا فوقهـا كنيسة باسم القديسة فيرونيكا .

الارساليات الكاثوليكية وبطاركة اللاتين :

عندما أنشأ البابا بيوس التاسع عشر بطريركية اللاتين في أورشليم (١٨٤٧) نشأ خـلاف بين البطريرك (يوسف فاليركا) الذي أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيسيين . اذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم في إدارة الامـاكن اللاتينية . وانقسم اللاتين الى فئتين : فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريرك . وأخرى تعضد الآباء الفرنسيسيين . وراح البطريرك يحث الرهبان في القارة الاوربية على المجيء الى فلسطين . ومما شجع هؤلاء على المجيء الى هـذه الديار الضغط الذي ألم بالجمعيات الدينية بفرنسا ، والتشريعات الجديـدة التي سنت فيها لمطاردة الرهبان بايعاز من المحافل الماسونية ، وقال المطران مكسيموس مظلوم في الصفحة ٣٧١ من كتاب (تاريخ الحرب المقدسة في الشرق) . ذلك الكتاب الذي ترجمـه عن الفرنسية لمؤلفـه

(مكسيموس مونروند) ان المسيحيين راحوا يزورون القدس في الجيل السادس عشر وما بعده بكثرة ؛ لا بقصد العبادة فحسب ، بل وحماية الاماكن المقدسة بالطرق السلمية ؛ إذ كان المسلمون يومئذ أقوياء ، وما كان من السهل اشهار حرب صليبية عليهم كالحرب التي قامت في القرن الحادي عشر . ومن الرهبنات التي تأسست في القدس :

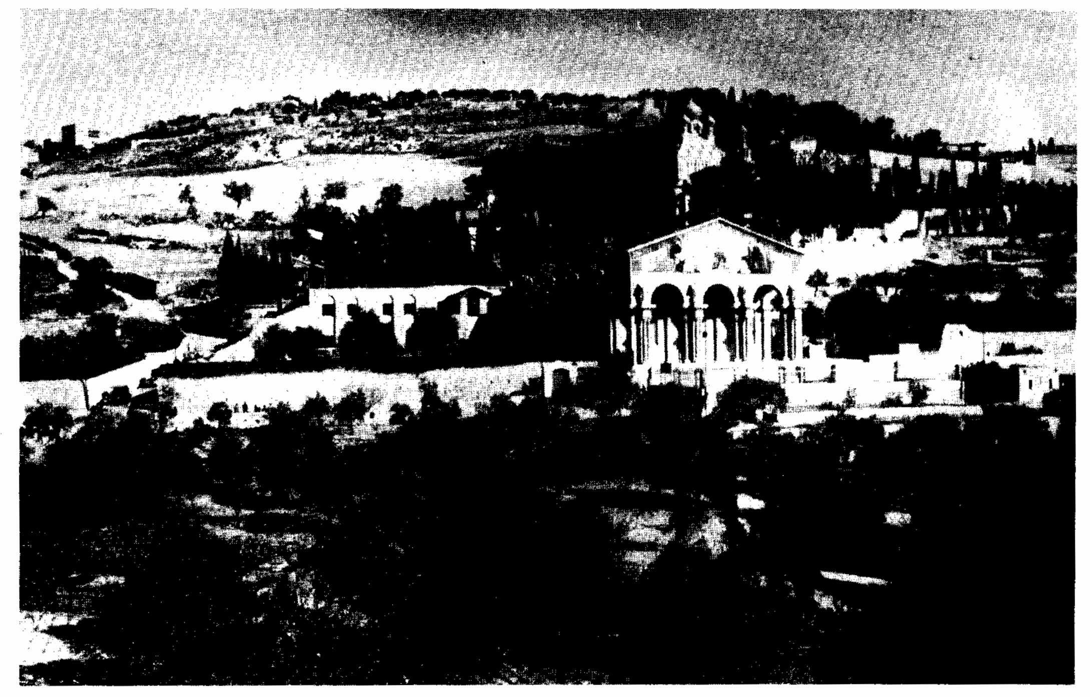
الاباء الفرنسيسيون : ويلقبهم المقدسيون بـ (رهبان أبي حبلة) . عهد اليهم البابا غريغوريوس التاسع بخدمة كنيسة القيامة عام ١٢٣٦ م . وتزعموا حراسة الأماكن اللاتينية المقدسة من سنة ١٢٩١ الى سنه ١٨٤٧ م . وبيدهم فرمانات من المماليك والأتراك . ومن أملاكهم في القدس :

١ — **دير المخلص** : ويعرف بدير اللاتين . واقع في الجهة الغربية الشمالية من حارة النصارى . ابتاعوه من الكرج سنة ١٥٥٩ م . **فيه مكتبة** قيمة وفيه مدرسة وكنيسة وميتم وصيدلية ومطبعة وفرن ومطحنة وعدة معامل .

٢ — **الكازانوفا** : ويسمونها الدار الجديدة . واقعة بين الباب الجديد ودير الافرنج ومعدة لنزول الحجاج والزوار المسيحيين .

٣ — **دار البطريركية** : على مقربة من الكازانوفا ودير المخلص . أنشأها البطريرك يوسف فاليركا سنة ١٨٦٣ م . فيها يقيم بطريرك اللاتين . وفيها مدرسة اكليركيه وكنيسة باسم يسوع .

٤ — **الجسمانية** : كنيسة جميلة واقعة في وادي قدرون عند ملتقى الطرق بين القدس والطور وسلوان . بنيت سنة ١٩٢٤ . واشترك في بنائها جميع اللاتين في العالم . والمعتقد أن رئيس كهنة اليهود وجنده ألقوا القبض على السيد المسيح بدلالة يهوذا الاسخريوطي في هذا المكان .



« كنيسة الجسمانية »

على سفح جبل الزيتون من الغرب

٥ — **كنيسة مار فرنسيس** : واقعة الى الشمال من مقام النبي داود . بنيت فوق أرض كانت في الأصل ملكاً لجماعة من آل الدجاني . وقد ابتاعها الاباء الفرنسيسيون حوالي عام ١٩٣٠ .

٦ — **حبس المسيح** : واقع الى الشمال من القشلة القديمة ، أمام الروضة ، وعلى مقربة من الطريق المؤدية الى باب الاسباط . يعتقد اللاتين ان السيد المسيح جلد وأهين في هـــذا المكان من قبل جند الرومان .

٧ — **الاباء الدومينكيون** : ومن اسمـــائهم (**رهبان مار عبد الاحد**) . جاءوا الى القدس عام ١٨٨١ م . ولهم فيها دير وكتدرائيـــة تدعى (سانت اتيان) او (كنيسة القديس اسطفان) . بنيت في عهد البطريرك جوفينال (٤٢٨ — ٤٥٨) انها واقعة على بعد نصف كيلومتر من باب العمود الى الشمال . خربها الفرس عام ٦١٤ م . وبنى على انقاضها البطريرك صفرونيوس (٦٣٨ م) معبـــدا صغيرا باسم القديس اسطفان . خربه الصليبيون خشية ان يلجأ اليه المسلمون الذين جاءوا يومئذ (١١٨٧) لحصار بيت المقدس . والكنيسة الحالية بنيت عام ١٨٩٨ م . وسميت الكنيسة الملوكية الصغرى .

٨ — **الآباء الكرمليون** : هبطوا البلاد عام ١٦٣٦ م . لهم في حيفا وعلى جبل الكرمل كنائس واديار . واما في القدس فليس لهم سوى دير صغير في الطالبية ، ومعبد صغير باسم (القديسة تريزا) .

٩ — **راهبات مار يوسف** : هبطـــن القدس عام ١٨٤٨ م . ولهن فيها (مستشفى القديس لويس) تجاه السور من الشمال وعلى بعد خطوات من الباب الجديد . بنى عام ١٨٨٠ م .

١٠ — **دير مار يوسف** : في حارة الموارنة على مقربة من بطريركية الروم الكاثوليك . انشىء عام ١٨٥٠ . وتم تجديده في ١٩٣٠ م . فيه كنيسة وفيه مدرسة للبنات . ولراهبات مار يوسف مـدرسة ثانوية للبنات خـارج السور . وميتم على مقربة من المدرسة المذكورة .

١١ — **راهبات صهيون** : جئن الى القدس عام ١٨٥٦ م . لهن فيها دير على طريق الالام ، فيه مدرسة وكنيسة وميتم .

١٢ — **رهبان صهيون** : جاءوا الى القدس عام ١٨٧٣ . ولهم فيها مدرسة هي التي عرفت بالراتزبون ، وتعرف ايضا بمدرسة القديس بطرس . وهي مدرسة صناعية واقعة على بعد بضعة امتار من مقبرة ماملا . وفيها كنيسة .

١٣ — **النزل النمساوي** : ويسمونه هوسبيس النمسا . واقع في حارة الواد على طريق الالام . بنى عام ١٧٥٦ م . وبات فيه امبراطور النمسا فرنسوا جوزيف ليلة عندما زار القدس ١٨٦٩ وفيه كنيسة .

١٤ — **راهبات الكرمل** : جئن الى القدس عام ١٨٧٣ . وشيدن على جبل الزيتون ديرا يعرف باسمهن . انهن لا يظهرن على احد من الناس طيلة حياتهن .

١٥ — **الفرير** : ويسمونهم **اخوة المـــدارس المسيحية** . جاءوا الى هذه البلاد عام ١٨٧٦ م . ولهم في حارة الجوالدة من حارات القدس دير وكنيسة ومدرسة كبيرة .

١٦ — **الاباء البيض** : جاءوا الى القدس عـام ١٨٧٨ م . واسسوا فيها كنيسة القـديسة حنـة المعروفة في يومنا هذا بالصلاحية . ذكرنا عنهم الشيء الكثير في الفصل الذي خصصناه للروم الكاثوليك .

١٧ — **الراهبات الوردية** : ينتمين الى رهبنة

اسسها الاب يوسف طنوس الناصري عام ١٧٧٩ م. لهن في القدس مدرسة للبنات انشئت عام ١٨٨٣ م. ومستوصف وديران : واحد بجوار بطركية اللاتين والاخر الى الجنوب من مقبرة ماملا . وفي كلا الديرين كنيسة .

١٨ — **رهبان مار يوسف** : جاءوا الى القدس عام ١٨٧٩ م . فأسسوا مستشفاهم الكائن في الطنطور بين القدس وبيت لحم . وفي داخل المستشفى كنيسة .

١٩ — **آباء القلب المقدس** : جاءوا عام ١٨٧٩ وانشأوا ديرهم القريب من بيت لحم . كانت لهم مدرسة اكليركية . الا انهم في هذه السنة (١٩٤٧) نقلوها الى فرنسا . ولهم في داخل ديرهم كنيسة .

٢٠ — **راهبات مار فرنسيس** : ويعرفن بالفرنسيسيات الثالثيات . جئن الى القدس عام ١٨٨٤ م .وأنشأن ديرهن الكائن في حارةالنصارى الى الشمال الشرقي من دير اللاتين. فيه كنيسة ، وفيه مدرسة داخلية تعرف ببيت اليتامى .

٢١ — **راهبات مار كلارا** جئن الى هذه البلاد عام ١٨٨٤ م . وأسسن ديراً على جبل المكبر في الطريق المؤدية الى الكلية العربية . لا يختلطن بأحد من الناس ، وفي ديرهن كنيسة .

٢٢ - **راهبات المحبة** : ويعرفن براهبات مار منصور . جئن الى القدس عام ١٨٨٦ م ، لهن معهد واقع على طريق ماملا . فيه عدد كبير من الأطفال والايتام والعجزة والمعتوهين والعميان . وهناك كنيسة في داخل المعهد .

٢٣ — **الاباء الانتقاليون** : ويسمونهم **الرهبان الاغسطونيين** وهناك من يسميهم غلطاً بالصعوديين. جاءوا الى القدس عام ١٧٨٧ م . واسسوا فيها نزلا هو المعروف بـ (نوتردام دو فرانس) . انه عبارة عن عمارة ضخمة ، لا تبعدالا بضعة امتار عن الباب الجديد ، من ابواب السور الشمالية . بنى عام ١٨٩٩ م ، بقصد ايواء الحجاج الفرنسيين ونشر الدعاية لفرنسا . فيه كنيستان : واحدة كبيرة والاخرى صغيرة . وفيه متحف ومكتبة ومدرسة اكليركية . وهو مشرف على المدينة اشرافا تاما .

٢٤ — **راهبات السجود** : ويسمونهم **راهبات القربان** . جئن الى القدس عام ١٨٨٨ م . وأسسن فيها ديرا هو الذي نراه امام المستشفى الفرنسي على طريق سليمان . وفي الدير معبد باسم **القربان المقدس** ترى امامه ، في أي وقت دخلته راهبتين سا جدتين . ويتبادل الراهبات السجود مرة في كل ساعة .

٢٥ — **الاباء العازريون** : هبطوا هذه البلاد عام ١٨٩٠ م . لهم في القدس العمارة الكائنة بباب العمود ، التي اتخذت في أوائل الاحتلال البريطاني مقرا لحاكم القدس . ولهم فيها أيضا دير الى الجنوب من مقبرة ماملا . وفي كلا الديرين معبد .

٢٦ — **الاباء الترابيون** : جاءوا حوالي عام ١٨٩١ م . وأسسوا ديرهم الشهير في اللطرون . عددهم اربعون يعيشون في صمت تام . وهم ماهرون بزراعة الكرمة وصناعة الالبان والخمور .

٢٧ — **راهبات مريم الفرنسيسيات المرسلات** : جئن الى القدس عام ١٩١٨ م . ويسمين **الراهبات البيض** . لهن دير بباب العمود تجاه نزل القديس بولس للألمان الكاثوليك . بنى هذا الدير عام ١٩٣٣ وفيه كنيسة ومصنع للتصوير والخياطة وميتم .

٢٨ — **الاباء الكبوشيون** : جاءوا سنة ١٩٣٥ ولهم في الطالبية دير ومدرسة وكنيسة .

٢٩ — **الجزويت** : ويقال لهم **الاباءاليسوعيون**.

لهم في القدس (المعهد البابوي الاثري) في حي النيقوفورية . أسس عام ١٩٢٧ م . ومهمته دراسة الاثار القيمة بفلسطين .

٣٠ – وهناك **الرهبان السالزيون و الراهبات السالزيات** في حي المصرارة . **والرهبان البندكتيون والراهبات البندكتيات** على جبل صهيون **وراهبات الجلجثة والاباء المعزون** وغيرهم كثيرون .

تلك هي الارساليات الكاثوليكية في القدس . وهي خاضعة للبابا في روما . وفي القدس بطريرك ينتدبه البابا ، لادارة شؤون الطائفة اللاتينية . وفيما يلي أسماء البطاركة الذين تسلموا كرسي البطريركية : يوسف فاليركا ١٨٤٧ ، فنسان براكو ١٨٧٣ ، لودفيكو بيافي ١٨٨٩ ، فيلبس كمساتي ١٩٠٦ ، لويجي برلاسينا ١٩٢٠ ، منصور جلاد (وكيل بطريرك) ١٩٤٨ ، ألبرتوغوري ١٩٥٠ .

الارمن :

في القدس اليوم (١٩٤٧) خمسة الاف أرمني . وهم فئتان : فئة قديمة في **دير مار آركانجل** شرقي مار يعقوب . واخرى حديثة العهد هبطت القدس يوم غضب الاتراك على الارمن في بلادهم فذبحوهم (١٩١٤ م) . وتعيش هذه الفئة في **دير مار يعقوب** .

وللأرمن في القدس ممتلكات – نذكر منها :

١ – **دير مار يعقوب** : ويسمونه **دير القديس جيمس الكبير** واقع بين قشلاق البوليس وباب النبي داود . فيه دار البطريركية ، ومدرسة للاهوت ، ومطبعة ، ومكتبة فيها اربعة آلاف مخطوط وثلاثون الف كتاب مطبوع . كان في هذا الدير كنيسة قديمة هدمها الفرس عام ٦١٤ م . ثم أعيد بناؤها في أواسط القرن الثاني عشر . وقال بعض المؤرخين[1] إن هذا الدير كان في الأصل للكرج ، ثم صار للروم ، وكان يدعى فيما مضى دير القديس يعقوب الزبدي . ثم أخذه الأرمن من الروم بالأجرة . فصار لهم .

٢ – **دير الزيتونة** : ويسمونه دير مار آركانجل . واقع خلف دير مار يعقوب من الشرق . فيه مدرسة للبنات وكنيسة .

٣ – **حبس المسيح** : دير للأرمن واقع في حي النبي داود على جبل صهيون . فيه كنيسة صغيرة . وفي ساحته عدد من قبور بطاركة الأرمن واسافقتهم المتأخرين .

٤ – وللأرمن في كنيسة القيامة كنائس منها : **الجلجلة الثانية** وهي أمام القبر المقدس . **وكنيسة مار كريكورلوسا موريتش** ويسمونها كنيسة القديسة هيلانة . **وكنيسة المريمات** أمام قبر المسيح . **وكنيسة مار يوحنا** في ساحة القيامة .

٥ – ولهم جانب من **كنيسة ستنا مريم** عند مفترق الطرق المؤدية الى القدس وسلوان وجبل الزيتون .

وللأرمن في القدس بطريركية يقوم عليها في في يومنا هذا كوريخ الثاني واسمه إسرائيليان نور شوغايتسى وهو الرابع والتسعون بين البطاركة الذين تولوا رعاية الكنيسة والطائفة الأرمنية .

٦ – والأرمن أيضاً ، من حيث العقيدة ، فئتان : أرمن أرثوذكس . وأرمن كاثوليك . وللأرمن بطريركية انشأها النائب البطريركي (أنطون يواكيم

---

(١) عن مخطوط عثر عليه في برلين ص ٤٤ لمؤلفه الخوري ميخائيل بريك الدمشقي . وقد اطلعت عليه في مكتبة الاستاذ عيسى إسكندر المعلوف بزحلة .

توماپان) وكان ذلك سنة ١٨٨٦ م . ولهم دير بني في الموضع الذي التقت فيـــه مريم العذراء بالسيد المسيح وهـــو ذاهب للصلب . وكنيسة اسموها : **أوجاع العذراء** .

الاقبـــاط :

هبطت أول قافلة قبطية مدينة القدس بقصد الاشتراك في تدشين القيامة . وكان ذلك في أواسط القرن الرابع للميلاد . وجاءت بعد ذلك قافلة اكبر من الأولى ، وكان ذلك على عهد صلاح الدين ، وكان الاقباط له مخلصين. فاراد ان يكافئهم على إخلاصهم، فرد اليهم املاكهم التي اغتصبها منهم الصليبيون .

إن أول مطران قبطي رسم على القدس هو الأنبا باسيليوس (١٢٣٦ م) . وجاء من بعده سبعة عشر مطراناً . آخرهم المطران الحالي الأنبا ياكوبس (١٩٤٦ م) .

في القدس اليوم زهاء خمسمئه قبطي . وللقبط فيها املاك نذكر منها :

١ — **دير السلطان** : وهـو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الشرقية . وفيه كنيستان: **كنيسة الملاك وكنيسة الحيوانات الاربعة** . اغتصبه الصليبيون من الأقباط ، ورده اليهم صلاح الدين . ولهذا اسموه دير السلطان .

٢ — **دير مـــار انطونيوس** : يعرف بالدير الكبير . وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية وفيه كنيستان : **كنيسة القديس انطونيوس وكنيسة الملكة هيلانه** . وفيه أيضاً دار الأسقفية .

٣ — **دير مار جرجس** : في حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل .

٤ — **خان القبط** : في حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة . بناه المطران الأنبا إبراهيم عام ١٨٣٩ م .

٥ — وللأقباط **كنيسة السيدة** في الجسمانية ، **وهيكل** على جبل الزيتون ، **وكنيسة مار يوحنا** خارج القيامة ، ومقـبرة على جبل صهيون ، يدفن موتاهم فيها أيضاً السريان والأرمن والاحبـــاش . وللأقبـــاط في كنيسة القيامة أيضاً **كنيسة صغيرة** ملاصقة للقبر المقدس من الغرب .

الاحبـــاش :

تنصروا خلال القرن الرابع ، وهبطوا القدس بعد ذلك التاريخ. وكان لهم فيها كنائس وأديار[١]. إلا أنهم أضاعوا اكثرها مع الزمن. فلم يبق بأيديهم منها سوى :

١ — **دير الحبش** : ملاصق لكنيسة القيـامة فوق مغارة الصليب . وقيل إنه جزء من دير السلطان للاقباط ، ذلك الدير الذي لم ينقطع الخلاف حوله بين الاقباط والاحباش منذ سنين .

٢ — **كنيسة الحبش** . في ظاهر المدينة خارج السور، والى الشمال الغربي من المسكوبية. تم بناؤها حوالي عام ١٨٩٠ م . والى جانب هـذه الكنيسة يقوم دير يسميه الاحباش : **دير الجنة** .

٣ — وللاحباش عمارات كبيرة شيدها الأب جرجس سيايت باسم الملكة (تايتو[٢]) وينفق ريعها على الرهبان . هذا بالإضافة الى المبلغ الذي تبرع به

(١) Enrico Cerulli كتاب وضعه بالـلاتينية Ethopi In Palesine. وضع في روما سنـة ١٩٤٣ .

(٢) (المرسليات اللاتينية) لألفونس والونصوج ٢ ص ١٠٧ .

امبراطور الحبشة منليك سنة ١٩٠٥ م . وقـدره مئتا الف تاليرا[١] .

وكان لهم فيما مضى حق التقدم على الطوائف المسيحية الأخرى[٢] . ولكنهم ضعفوا مع تقادم العهد وراحت الطوائف الأخرى تنازعهم في هـذا الحق. وساءت حالتهم في اوائل القرن التاسع عشر، وتناقص عددهم ، فلم يبق في القدس منهم في يومنا هـذا أكثر من سبعين نسمة . كلهم ينتمون الى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية . يعيشون في ديرهم عيشة الفقر والمسكنة .

السريان :

هبطت أول قافلة منهم في القرن الأول للميلاد، وكانت قليـلة العدد ، إلا أن معظمهم جاءوا الى القدس مـع الصليبيين . ولما احتل القدس صلاح الدين ، ورحل هؤلاء ، رحـلوا معهم فلم يبق منهم في القدس سوى عدد قليل .

واليوم هم فئتان : أرثوذكس وكاثوليك . أمـا الأرثوذكس فان عددهم في القدس اليوم (١٩٤٧) الفان . وأما السريان الكاثوليك فانهم أربعمئة . **جاء اكثرهم من شمال العراق والبلاد الواقعة شرقي ماردين .**

وللأرثوذكس في فلسطين أبرشـية مركزهـا القدس . وعليها الآن نائب بطريركي يرجع في أموره الى البطريرك الانطاكي . ولهم في القـدس اليوم ممتلكات نذكر منها :

١ – **دير مار مرقس** : في حارة الجواعنة بين حـارة الارمن واليهود . وفي الدير كنيسة بيزنطية باسم **العذراء** ، ودار للأسقفية . ولقـد خربت الكنيسة البيزنطية على عهد الحاكم بامر الله الفاطمي (١٠٠٩م). وهجر الدير في غضون الحكم التركي . ولكن السريان عادوا اليه وعمروه سنة ١٨٥٥ م . ثم وسعوه سنة ١٨٨٠ م .

٢ – **دير العدس** : شمال القوس المعروف بـ (أيكوهومو) على درب الآلام . عمروه بتـاريخ ١٥٧١ م .

٣ – **دير مار توما** : في الشارع المؤدي الى حي النبي داود .

٤ – **معبد صغير** : في كنيسة القيـامة باسم **يوسف ونقوديموس** .

٥ – معبـد بالكنيسة المعروفة **بستنا مريم** على مقربة من الجسمانية .

٦ – معبد على **جبل الزيتون** .

وللسريان الأرثوذكس في القدس جمعيتان :

(١) **جمعية مار مرقص** . ولها مدرسة في شارع الانبياء **ومطبعة ومكتبة** .

(٢) **وجمعية الشبان السريان** .

٧ – وأما **السريان الكاثوليك** فلهم دير سليمان بين باب العمود والنوتردام على بعد خمسين متراً من السور الشمالي . بني هذا الدار حوالي سنة ١٠٩١م. وفيه **كنيسة صغيرة** .

٨ – ولهم دير يـدعى **دير مار مبارك** أنشيء سنة ١٩٠٣م. وهو واقع في باطن الهواء الى الشرق من سلوان . فيـه كنيسة ، ومدرسة يديرها الآباء البندكتيون .

---

(١) عملة ألمانية تساوي ٧٠ و ٣ قرنك بالوجه التقريبي .

(٢) سجل المحكمة الشرعية بالقدس ذو التاريخ ١٩ من ذي الحجة ٩٤٩ هـ – ١٥٤٢ م .

الموارنة :

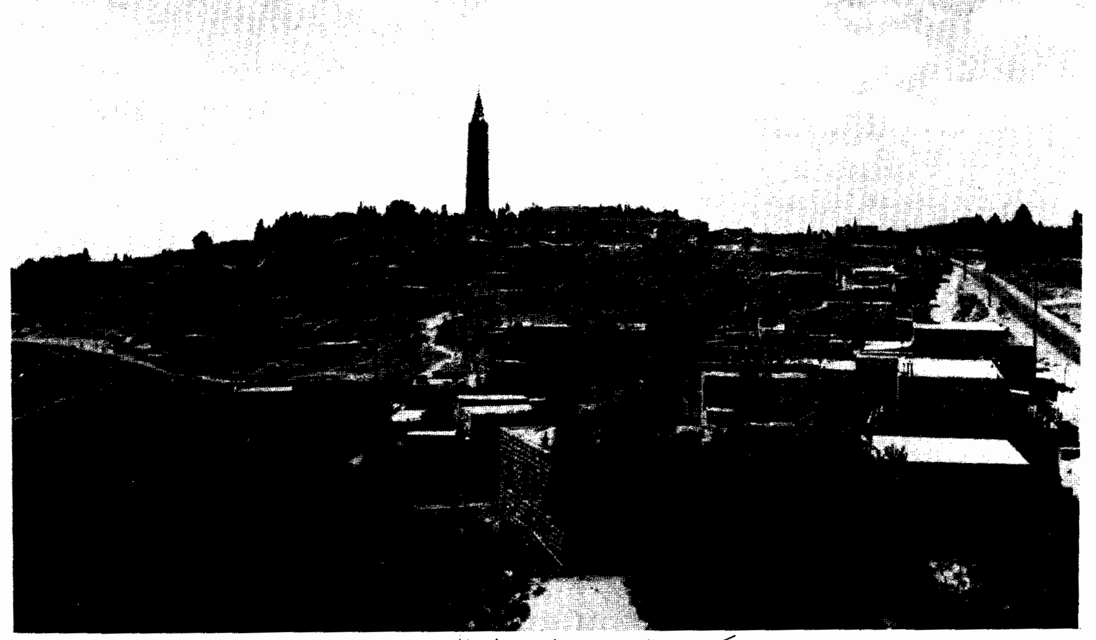
لانعرف متى هبطوا القدس . وإن كنا نعرف انهم ينتمون الى مار مارون الذي عاش في لبنان حوالي القرن الرابع للميلاد .

كانت لهم، فيما مضى، مكانة مرموقة في القدس. وكانوا في القرنين السابع والثامن للميلاد يأتون بعد الفرنجة من حيث الأهمية . وأما اليوم ، فانهم قلة بين الطوائف المسيحية التي تعيش في القدس. وليس لهم فيها سوى **دير الموارنة** الذي يعيشون فيه. وهو واقع في الحي المعروف بحي الموارنة ، بين سويقة علون وحارة الأمن . ولقد بني هذا الدير في ٦ أيار ١٨٩٥ .

الروس :

للروس مكان واسع الارجاء يعرف **بالمسكوبية**. وهو خارج السور . إنهم أول من شيد بناء خارج السور . وكان ذلك حوالي سنة ١٨٥٦ م . والمكان المذكور واقع على طريق يافا على بعد كيلومتر من باب الخليل الى الغرب. يحيط به سور غير مرتفع. وفيه دار الاسقفية الروسية ، وأخرى للقنصلية ، ومستشفى ، وكنيستان . . احداهما كبيرة تسمى **كنيسة الثالوث الأقدس** ولها سبع قباب مصفحة بالرصاص . والأخرى صغيرة بنيت على اسم **القديس إسكندر نيفسكي** ، ومنازل عديدة لنزول الحجاج من الروس . الأول مخصص لنزول الأشراف الروسيين ، والثاني للكهنة المرسلين وفيه عدد من القسوس . والثالث للنساء ويستوعب زهاء ألفي إمرأة ، والرابع لطبقات الشعب الأخرى . وهذا يتسع لألف وخمسمئة شخص .

وهناك دار للقنصلية وأخرى للقنصل وعائلته. كما أن هناك منازل أخرى للكتبة والحجاب وسائر المستخدمين . ولقد قامت معظم هذه المباني حوالي سنة ١٨٦٠ للميلاد . وفي عام ١٨٨٧ شيد نزل آخر



كنيسة الصعود على جبل الزيتون

على نفقة **الجمعية الفلسطينية الروسية** التي يرأسها شقيق الامبراطور إسكندر الثالث قيصر روسيا . واستعملت أبنية المسكوبية وعماراتها المختلفة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٧ م) لإدارة بعض المصالح الحكومية (كالبوليس والعدلية) واستعمل بعضها كمستشفى حكومي .

وللروس دير يعرف **بالمسكوبية** أيضاً . وهو قريب من باب خان الزيت وإلى الشرق من كنيسة القيامة .

ولهم كنيسه باسم **القديسة مريم المجدلية** على مقربة من الجسمانية ومنها الى الشرق على سفح جبل الزيتون من الغرب أنشئت هذه الكنيسة على نفقة العائلة المالكة تخليداً لذكرى والدة القيصر . وكان ذلك عام ١٨٨٩ م .

ولهم أيضاً **كنيسة الصعود** على جبل الزيتون . ولهذه الكنيسة جرسية مرتفعة ، هي أعلى بناء في القدس على الاطلاق .





كنيسة مريم المجدلية
كنيسة روسية قائمة على سفح جبل الزيتون من الغرب

الألمان :

هبط القدس عدد من الألمان بقصد الزيارة بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر . وقد استوطنها عدد قليل منهم في أواخر القرن الثامن عشر . ووطدت الارسالية الألمانية أقدامها سنة ١٨٣٥ عندما أسس (فريدريخ أدولف شتراوس)جمعية بالقدس أسماها(جيروزاليم فيراين)·

وفي القدس الآن (١٩٤٧) جالية ألمانية هي من حيث العنصر والوطنية واحدة ومن حيث الدين فئتان : واحدة بروتستانتية والأخرى كاثوليكية. وللالمان حي يعرف **بالكولونية الالمانية** قريب من المحطة إلى الجنوب من المدينة .

أما الألمان البروتستانت فلهم ممتلكات نذكرمنها:

١ – **مدرسة شنلر** ويسمونهادار الايتام السورية: أسسها يوحنا لودفيغ شنلر عام ١٨٦٠ ، واقعة في ظاهر المدينة الى الشمال الغربي . لها فروع للتعليم والصناعة والتبشير .

٢ – **مدرسة طاليتا قومي** ويسمونها شرلوطة . في ظاهر المدينة من الغرب على طريق الملك جورج . بنيت عام ١٨٦٨ م . وفيها كنيسة .

٣ – **المدرسة ترازيا** : أسستها ترازيا سكس الألمانية حوالي عام ١٨٧١م. وهي واقعة الى الغرب من بركة ماملا . وفيها كنيسة .

٤ – **كنيسة المخلص** وتعرف بكنيسة الدباغة ذلك لأنها واقعة في شارع يطلق عليه هذا الاسم على مقربة من كنيسة القيامة الى الشرق القبلي . بنيت على أرض كانت في الأصل تؤلف قسماً من المرستان الصلاحي. وقد أهداها السلطان عبد العزيز الى ولي عهد بروسيا البرنس فردريك ويلهلم (تسلم عرش الامبراطورية فيما بعد) . ولقد جرى تدشينها بحضور الامبراطور غليوم الثاني عام ١٨٩٨ م .

٥ – **نزل اوغوستا فكتوريا** على جبل الزيتون ويسميه العرب(أم الطلعة) والمطلع بناه الألمان سنة ١٩٠٥م . وأهدوه للامبراطور والامبراطورة تذكاراً لعيد زواجها الفضي . وقد اتخذه الانجليز في أوائل الاحتلال مقراً للحكم (١٩١٨ م) .وكان يقيم فيه المندوب السامي . وفي هذا المنزل الكبير كنيسة واسعة .

وأما أملاك الألمان الكاثوليك فهي :

٦ – **دير القديس شارل بروميوس** تأسس عام ١٨٨٧ م . وهو مخصص لنزول الحجاج الألمان الكاثوليكيين . كان في باديء الأمر واقعاً الى الغرب من مقبرة ماملا . ثم انتقل الى حي الألمان في البقعة . وفي داخله كنيسه .

٧ – **نزل القديس بولس** على بعد مئة متر من باب العمود إلى الشمال . بنى عام ١٩٠٨م .واحتلته حكومة فلسطين عام ١٩١٧ . فاتخذته مقراً لحاكم القدس . وفي داخله كنيسه .

٨ – **كنيسة نياحة العذراء ويسمونها باللاتينيه (دورميليو) وبالالمانيه (دورميليون)** Dormition : واقعة على جبل صهيون ، الى الغرب من مقام النبي داود ، يفصل بينهما زقاق ضيق مرصوف ، والى الجنوب من السور ، على بعد بضعة أمتار من الباب المعروف بباب النبي داود .

انها من املاك الالمان الكاثوليك . بنيت فوق ارض اهداهم اياها السلطان عبد الحميد. وقد اشتراها هذا من رجل من الدواهدة يدعى الشيخ سعيد وهبه الداودي .

يعتقد المسيحيون ان المكان الذي تناول فيه السيد المسيح عشاءه الاخير وغسل اقدام تلاميذه والذي سمي فيما بعد (علية صهيون) ، كان اما في الموضع الذي تقوم عليه كنيسة نياحة العذراء هذه أو بالقرب منه . ويعتقدون ان في هذا المكان نفسه كان يقوم البيت الذي عاش فيه مار يوحنا ، والتجأت اليه مريم العدراء بعد صلب المسيح . ويقولون ان العذراء قضت نحبها فيه . ولكنها دفنت في المكان الذي تقوم عليه الآن الكنيسة المعروفة بـ (كنيسة ستنا مريم) عند مفترق الطرق التي تربط القدس بسلوان والطور .

واما كنيسة نياحة العذراء هذه فقد شرعوا في بنائها سنة ١٩٠٠ وأتموها سنة ١٩١٠ ودشنوها بحضور البرنس ايتل فريدريك .

لها قبة مزينة بالفسيفساء ، وجرسية يصعد اليها في ١٩٨ درجة ، وهي تشرف على اكثر انحاء المدينة . تحتها مغارة هي ، في نظر المسيحيين اصل البيت الذي كان يعيش فيه مار يوحنا . وفي المغارة اثنا عشر عموداً من الرخام الغليظ . وفي وسطها تمثال يمثل العذراء وهي نائمة على فراش الموت . وحول التمثال ستة أعمدة من الرخام المشبك . وعلى بعد بضعة امتار من التمثال والى الجنوب منه اسطوانة حجرية لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد هي من بقايا الكنيسة القديمة التي يقال انها انشئت هناك في اواخر القرن الرابع للميلاد .

للألمان في القدس الجديدة خارج السور حي مبني على الطراز الحديث ، يعرف بـ (الكولونية الألمانية) . وهو واقع بين محطة السكة الحديدية والحي المعروف بالبقعة . انه عبارة عن مدينة المانية صغيرة . فيها منازلهم وحوانيتهم ومصانعهم ومدارسهم وملاعبهم ومكاتبهم . وهناك كنيسة صغيرة ودار للسينما والتمثيل . كان حتى الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩) عامراً باصحابه من الالمان الهيكليين . ولكنهم ابعدوا عنه بسبب الحرب . ولم يعودوا اليه .

الارسالية الانجيلية لطائفة البروتستانت ان حركة التبشير للدين المسيحي من ناحية البروتستانت تبدأ في القدس سنة ١٨٢٢م . وكان يتزعم هذه الحركة يهودي تنصر اسمه يوسف وولف . ولم تكن نقمة المسلمين على هذا الرجل بأقل من نقمة اليهود أنفسهم وحاخاميهم . وكذلك قل عن اللاتين ورهبانهم . وانتعشت حركة التبشير على عهد المطران نقولا يسون سنة ١٨٣٣م . والمطران ميخائيل سولومون الكسندر الذي تولى رعاية الكنيسة الانجيليكانيه (**كنيسة مار يعقوب**) بالقدس عام ١٨٤١م . وهذا أيضاً يهودي تنصر وكان في انجلترا حاخاماً . وأراد الانكليز أن يستخدموه لبث الدعايه بين أبناء قومه اليهود في القدس . وعلى عهده بنيت (**كنيسة يسوع**) تجاه القلعة . تم بناء هذه الكنيسة سنة ١٨٤٩ . ولم يكن للبروتستانت حتى ذلك التاريخ أية كنيسة . وقد بنوها فوق أرض شروها من دار الديسي الكائنة قبالة القعة عند باب الخليل وكانت تلك البقعة من الارض تعرف قبلا بـ (اليعقوبيه) . وهناك اليوم في القطعه نفسها والى جانب الكنيسه دار للقس وبناء اتخذوه مدرسه خلال المئه عام المنصرمه .

وفي ٢٥ آذار ١٨٨٧ عُين المطران جورج فرنسيس بوبهام بلايث
George Francis Popham Blyth.

وفي زمنه أنشئت الكنيسه المعروفه بـ : (**كتدرائية القديس جورج**)
St. George's Cathedral
ويسمونها أيضاً : (**كنيسه القديس جورج**) . ان

هذه الكنيسة القائمة على بعد ميل واحد من باب العمود الى الشمال بنيت سنه ١٨٩٨ . وبني على مقربة منها عمارات كثيرة أعدت لسكن المطارنه والقسس، وأخرى لنزول الزائرين ومدرسة هي الآن من أكبر المدارس الأجنبيه الكائنة في المدينة وتعرف بـ (**مدرسة سان جورج**) .

وهناك (**الكنيسة الاسكتلندية**) وهي من الكنائس الانجيلية بالقدس . تقوم على التل الكائن بين محطة السكة الحديديه ومستشفى العيون ، على بعد ميل واحد من باب الخليل الى الغرب . انها كنيسة مستقلة ، ولها راع مستقل .

الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية

ولنبحث الان عن الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية المشتركة في العقيدة مع الكنيسة الانجليكانية .

يرجع تأسيس الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية في مدينة القدس الى سنة ١٨٤٦ وكانت المدينة يومئذ صغيرة ومحصورة ضمن الاسوار .

وفي سنة ١٨٧٤ بنيت الكنيسة المعروفة باسم **كنيسة القديس بولس** . انها واقعة في الشارع الذي أطلق عليه فيما بعد « شارع القديس بولس » والذي يتفرع عنه شارع ملكة الحبشة مليسندا بجوار أرض المسكوب . ومنذ بدء تاسيسها أخذت الطائفة تهتم بانشاء الاوقاف لكي تؤمن إيراداً يضمن نموها وتوسيعها .

يدير هذا المجمع في المملكة كلها عدداً من المدارس للذكور والاناث ، وله عشرون كنيسة يزيد عدد أعضائها على ٦٠٠٠ نفس ، وله مستشفى كبير .

كان أول رئيس وطني لهذا المجمع القس الكنن ابراهيم بازحداد (١٩٠٨) . ثم تتابع الرؤساء ، فجاء القس الكنن صالح سابا (١٩١٣) فالقس بطرس ناصر (١٩١٤) فالقس يوسف فليحان (١٩٢٦) فالقس الكنن اسعد منصور (١٩٢٧) فالقس بطرس ناصر (١٩٣١) فالقس الكنن اسعد منصور (١٩٣٢) فالقس الكنن الياس مرمورة (١٩٣٤) فالقس الكنن نجيب قبعين (١٩٤٣) .

الجالية الأميركية :

في ٢ حزيران ١٨٥٧ م تأسست أول علاقة بين اميركا وهذه البلاد . يوم انشأ الاميركيون قنصلية لهم بالقدس . والقنصل الاميركي الاول هو الدكتور جون وارن غورهام Dr. J. W. Gorham

وفي سنة ١٨٦٦ حاول اعضاء ثلاث اسر اميركية المجيء الى القدس ، الا انهم ما كادوا يصلون الى يافا حتى سمعوا بهياج المسلمين الذين كانوا يتوجسون خيفة من مجيئهم ، فارتدوا على أعقابهم . . . وفي سنة ١٨٨١ **تأمرك**[١] عدد من يهود القدس بقصد ان تحميهم اميركا وتأخذ بيدهم . . وهبطت القدس بعد قليل ، وفي السنة نفسها (١٨٨١) ، عائلة اميركية مؤلفة من أربعة اشخاص . هم : المستر هوارتيو سبافورد[٢] وقرينته وبنتاهما : برتا[٣] وغريس[٤] . ومع هذه العائلة تسعة اشخاص ، كلهم من المتدينين الذين يؤمنون بالانجيل ، وبرجوع المسيح المنتظر . فعاشوا كلهم معاً عيشة اشتراكية في اكلهم وشغلهم وصلاتهم . وكانوا **النواة** الاولى

(١) بمعنى صاروا اميركيين او تجنسوا بالجنسية الاميركية .
(٢) Horatio G. Spafford كان من المحامين ومن كبار الملاكين في شيكاغو .
(٣) انها المسز فيستر رئيسة الجالية الاميركية في يومنا هذا .
(٤) انها المسز وايتنغ امرأة المستر وايتنغ . وهو بحاثة اميركي ومستشرق معروف .

التي تكونت منها ما نسميه اليوم بـ (الكولونية الاميركية) . والجالية الاميركيـة التي تعيش في القدس في يومنا هـذا لا يزيـد عددها على ثلاثين شخصاً . لهم كنيسة واقعـة في **شارع الانبياء** . ويصلون ايضاً في (كشدرائيـة القديس جورج) الانكليزية .

الجالية البولونية :

لم يكن في القدس ، في أواخر القرن التاسع عشر ، جالية بولونيـة مسيحية بالمعنى الصحيح . ولم يكن فيها يومئذ سوى عشرين بولونياً . يقابلهم مثل هذا العدد ، او اكثر منـه بقليل ، في انحـاء فلسطين الاخرى .

ظل الحال كذلك حتى سنة ١٩٠٨ حيث هبط القدس راهب بولوني يدعى (مارتـين بنشوريك ليبوفسكي) وانتسب الى بطريركية اللاتين . فشرى في حـارة النصارى داراً كانت لعائلة البواب . واتخذها ديراً . وأسماها (**دوم بولسكي**) .واتبعها باحدى الرهبنات في بولونيا . ولما توفي (١٩٢٨) ارسل القائمون على شؤون تلك الرهبنـة ثلاثـاً من الراهبات المنتميات اليها ، فاقمن في هذا الدير . ورحن يعنين بالمرضى والبؤساء . وبالرغم من جميع تلك المساعي لم يزد عدد البولونيين في هـذه البلاد زيادة تستحق التدوين .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) وكانت وبالاً على بولونيا ، اذ أضحت نهبـاً مقسماً بين الروس والالمان ، غادرها عـدد كبير منهم . فعـبروا الحدود ، وهبطوا سوريا (١٩٤٠). ثم لجأوا الى الحكومة البريطانية ، فسمحت لهم هذه بالنزول في فلسطين (١٩٤٠) . وكان عددهم يومئذ كبيراً . ثم غادر معظمهم البلاد . فلم يبق منهم في القدس سوى عدد لا يجاوز الخمسين .

لهم في القدس ، بالاضافة الى (دوم بولسكي) المتقدم ذكره ، معبد عند المرحلة الثالثة ، وآخر عند الرابعة . ولقد تم الاتفاق بينهم وبين الارمن الكاثوليك بالقدس على استعمال المعابد القائمـة في هاتين المرحلتين لعشرين سنة ، يمكن تجديدهـا باتفاق الفريقين .

كـبير البولونيـين ، في يومنا هـذا ، هو المونسنيور (اسطفان بتروشكا) . انـه بولوني الاصل ، تابع للكنيسة اللاتينية .

المقابر المسيحية :

للمسيحيين في القدس مقابر عديدة ، معظمها على جبل صهيون . وإنا لذاكرون منها :

(مقـبرة الروم الارثوذكس) الى الجنـوب من مقبرة الأرمن والسريان ، يفصـل بينهما زقاق ضيق يؤدي الى مدرسة صهيون . تلك المدرسة المعروفة بمدرسة المطران غوبات .

و (مقبرة اللاتين) الى الشرق من مقام النبي داود.

و (مقبرة البروتستانت) ملاصقة لمدرسة صهيون .

و (مقبرة الأرمن) الى الغرب من كنيسة نياحة العذراء المعروفة بالدورميثيون ، يفصل بينها زقاق ضيق مرصوف . ويشترك السريان والأقبـاط والاحباش في استعمال هـذه المقبرة لدفن موتاهم ، وهي على جبل صهيون .

ويستعمل الانكليز مقـبرة البروتستانت من نصارى بيت المقدس لدفن موتاهم .

واشتركت الكنيسة الانجيلية مع الطائفة الانجيلية

الالمانية في المقبرة المعروفة بالمقبرة الانجليزية الالمانية، الواقعة على سفح جبل صهيون الجنوبي .وقد دشنت هذه سنة ١٨٦٩ . ولما كانت هذه المقبرة قد امتلأت في أواخر عهد الانتداب ، فقد أعدت الترتيبات لاستعمال مقبرة جديدة تشترك بها الكنائس الانجليكانيه والانجيلية الالمانية والمسيحية بقرب بيت جالا .

وأما الأميركيون فلهم مقبرتان : واحدة : على سفح جبل الزيتون والى الغرب من الجامعة العبرية. اشترى أرضها رجال الكولونية الأميركية سنة ١٨٩٨ م . واتخذوها مقبرة لدفن موتاهم . والثانية اشتراها المبشرون بعد ذلك بقليل . واستعملوها لدفن الاميركيين ممن لا ينتمون للكولونية المتقدم ذكرها . وهي واقعة عند مفترق الطرق المؤدية الى البقعتين الفوقا والتحتا والى حارتي الثامرة والقطمون.

ويبدو انه كان للاميركان بالقدس أرض طولها ٣٢ ذراعاً وعرضها ١٥ ذراعاً وثلث ذراع . وكانت هذه قريبة من زاوية النبي داود ، تبعد عنها مسافة ٢٤ ذراعاً بذراع العمل . وان الاميركيين ارادوا انشاء مقبرة لموتاهم على تلك الارض . فقدم المستر (قليدون) قونسلوس الاميركان في القدس طلباً الى الخديوي . وأحال الخديوي طلبه الى (كتخداه) في هذه البلاد محمد شريف باشا . واستشار الباشا قاضي القدس في الطلب؛ وكان القاضي يومئذ (حريري زادة السيد عمر نسيب) . فكان جواب القاضي ان الشرع لايجيز احداث بيعة أو كنيسة أو صومعة أو مقبرة أو بيت نار أو صنم في مثل هذا الموضع . فرفض الطلب .

و (للروس) مقبرتان : احداهما على جبل الزيتون . وهي واقعة بجانب كنيسة الصعود . واخرى على جبل صهيون. في الثانية يدفن الرجال. وفي الاولى تدفن الراهبات فقط .

وهناك **مقبرة انكليزية** واقعة في شمال المدينة بين تل سكوبس وجبل الزيتون . انها مقبرة حربية . انشئت فور احتلال الانكليز للمدينة (١٩١٧) . وهي تضم رفات الجنود والضباط من رجال الجيش البريطاني الذين لاقوا حتفهم في القدس وفي ما حولها من البلدان خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٧) .

مساحتها ستة فدادين وثلاثة ارباع الفدان . يحيط بها سور حجري . الا من ناحيتها الجنوبية التي ترى المدينة منها ، فانه لا سور هناك . دفن الانكليز فيها ، بادىء ذي بدء ، ٢٧٠ رجلا . ثم اتسعت فنقلوا اليها قبور الاشخاص الذين كانوا في المقابر الاخرى[1] .

فيها اليوم (١٩٤٧) الفان وخمسمئة وخمسة عشر قبرا . منهم ٢١٨٠ رجلا من ابناء المملكة و ١٤٣ اوستراليون و ٥١ افريقيون و ٤١ هنود و ٣٤ نيوزلنديون و ٦٦ لم تعرف هويتهم . وهناك ١٦ المانيا و ٣ اتراك ماتوا وهم في الاسر ، فدفنوا فيها .

وفي المقبرة نصب تذكاري ، نصب لتخليد ذكرى الضباط والجنود الذين لاقوا حتفهم في المعارك نفسها، ولكن السلطة لم توفق في العثور على قبورهم. وعددهم ٣٫٣٥٤ : — منهم ٣٠٤٩ من أبناء المملكة

---

(١) الوثيقة ذات الرقم ٢٠ من مجموعة اسطفان .

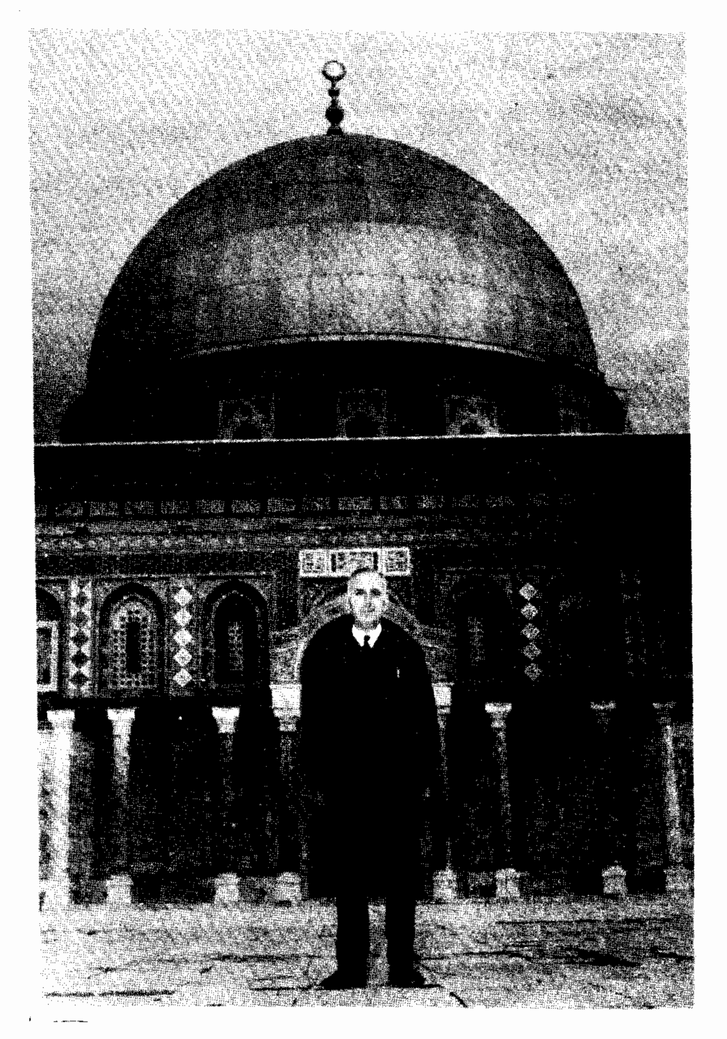
(١) ٦٦ منهم كانوا في مقبرة الالمان على جبل الزيتون و ١١٤ في مقبرة البروتستانت على جبل صهيون وواحد في مقبرة الالمان ببيت لحم و ١٠٥ في المقبرة الكائنة على الطريق بين البيرة وجفنا و ٢٠ في مقبرة رام الله و ١٥٤ في المقبرتين الحربيتين باريحا .

المتحدة و ٢٤٢ اوستراليا و ٦٠ نيوزلانديا وثلاثة افريقيون .

ان الموظف المسؤول عن مقبرة القـــدس وهو بريطاني يعمل تحت امرة ناظر المقابر المقيم في القدس والمسؤول عن جميع مقابر الحرب في سورية وفلسطين. وهذا أيضاً يعمل تحت امرة المراقب العــام لمقابر الشرق ومنهــا – عــدا سورية وفلسطين – مصر والعراق وتركيا وايران والجزر الواقعة في بحر ايجة والدردنيل . وهذا يسير في اعمــاله بارشاد عاصمة الامبراطورية لندن .

هذا ماحضرنا من المعلومــات في صـــدد مقابر الحرب الانكليزية . ومن شــاء المزيد فعليه ان يرجع الى التقارير [١] التي نشرت في هذا الموضوع.

(١) « The War Graves of the British Empire » by « The Imperial war Graves Commission », London, 1928 ·



صورتي امام الصخرة

الاماكن اليهودية المقدسة

ليس لليهود في القدس سوى بضع كنس حديثة العهد وبعض القبور . وسنأتي على ذكرها في السطور التالية :

واما (**حائط المبكى**) فقد حدثناك عنه في موضع آخر من هذا الكتاب[١] . ويتلخص قولنا في الاعتقاد السائد بانه بقية من سور أورشليم القديم ، وانه الحائط الخارجي للهيكل الذي رممه هيرودس (١٨ ق م) ودمر جانباً منه تيطس (٧٠ م) واتى على ما تبقى منه ادريانوس (١٣٥ م) . وقلنا ان اليهود يزورونه بين كل آونة واخرى، ولاسيما في تسعة آب؛ وكلما زاروه تذكروا مجدهم الضائع . وبكوا . .

وذكرنا أيضا في الفصول السابقة الخلافات التي قامت بين المسلمين واليهود حوله ، واللجان التي انتدبت للتحقيق في مصيره . وقد انتهينا عند حد القول : انه ليس لليهود سوى الدنو من الحائط والبكاء عنده، دون ان يحملوا معهم أية أداة من ادوات الجلوس والعبادة .

واما **المقبرة** التي يدفن اليهود فيها موتاهم في يومنا هذا (١٩٤٧) ، وهي الواقعة على طريق القدس – أريحا بين سلوان والطور ، فان ارضها من الاوقاف الاسلامية . وقد اذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء جعل معين يدفعونه في كل سنة لمتولي الوقف . فقد اطلعت في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على سجل[٢] وقعه قاضي الشرع ، وقد جاء فيه ان ممثل الطائفة اليهودية أنقد اصحاب الوقف بحضوره

(١) الصفحة ٤٠٠ .

(٢) السجل ٤٤ الصفحة ٥٧٤ .

(أي بحضور القاضي) مئتي دينار ذهباً ، لقاء استعمال الطائفة ارض الوقف لدفن موتاها . وذلك عن سنتي ٩٦٨ و ٩٦٩ للهجرة (أي ١٥٦٠ و ١٥٦١ م) .

وتمتد هذه المقبرة من وادي قدرون حتى رأس العمود والسفح القبلي لجبل الزيتون . وفيها اربعة قبور ضخمة ، يقصدها اليهود في أيام معينة . هي :

١ – **قبر ابشالوم** : ويسميه المقادسة (طنطور فرعون) . واقع شرقي المدينة . أقامه أبشالوم ، الابن الثالث لداود الملك ، الذي ثار ضد أبيه وحاول اسقاطه عن عرشه . أقامه قبل موته . اذ لم يكن له ولد ، وقد اراد تخليد ذكره . يعتقد قوندران الكسندر يانوس المكابي مدفون فيه . انه بناء ضخم ، مربع الشكل ، في كل ركن من أركانه الاربعة اربعة أعمدة . يعلوه افريز يوناني . فوقه قبة هرمية الشكل . علوه سبعة أمتار .

٢ – **قبر يهوشافاط** : يحمل هذا الاسم لوقوعه في وادي يهوشافاط وهو أحد أسماء وادي قدرون. لم يجزم المؤرخون في معرفة اسماء المدفونين فيه . ويرجح الاستاذ رئيف ميخائيل ساعاتي[١] ان يهوشافاط نفسه دفن مع آبائه في مدينة داود على جبل صهيون .

٣ – **قبر يعقوب** : مدفن اسرائيلي ضخم . ويعتقد المسيحيون ان القديس يعقوب الصغير وهو

(١) مجلة (الراعي الصالح) ج ٤ ص ٧٢ سنة ١٩٤١ .

احد الإثني عشر رسولاً قد توارى فيه بعد صلب المسيح . ويزعم بعضهم انه بعد موته دفن فيه .

٤ – **قبر النبي زكريا** : يشبه ، من بعض النواحي ، قبر يهوشافاط . وينسبه اليهود الى زكريا بن يهوياراع . ويقول بعضهم انه قبر حفيده الذي كان هنا أيام أحاذيا ويهوآش . وقد مات رجماً بالحجارة وبأمر من الملك .

وأما كنسهم[1] فانها كلها حديثة العهد ، ليس بينها ما يرجع الى عهد يسبق القرن الثامن عشر . جلها – ان لم نقل كلها – واقعة في الحي القديم بالبلدة القديمة . وهو الحي الذي نسميه : **حارة اليهود** واليك أسماءها :

١ – **قدس الاقداس** : مخصص لصلاة الطائفة المسماة بـ : (**السكناج**) . ويطلقون على انفسهم (**اشكنازيم**) . انه ، على ما نعلم ، اكبر الكنس اليهودية الكائنة في القدس . وهو اقدمها . بني عام ١٧٠١ للميلاد . ومن اسمائه : (**بيت يعقوب**) ويسمونه ايضاً : (**حوروا**) . واقع في وسط الحي القديم وعلى بعد خمسين متراً من مسجد المسلمين الى الشمال .

٢ – **طبرت اسرائيل** : الى الشرق من قدس الاقداس ، وعلى بعد ستين متراً منه .

٣ – **طابيلا** : الى الشمال الشرقي من طبرت اسرائيل . ويسميه المقدسيون : (**المطبل**) .

٤ – **مدراش بورات يوسف** : في أقصى الحي اليهودي بالبلدة القديمة من الشرق . وهو مطل على حي المغاربة وعلى الحرم .

(١) جمع (كنيس) وهو – على ما في (البستان) – المكان الذي يتعبد فيه اليهود . واما (الكنيسة) فانها المكان الذي يتعبد فيه المسيحيون . وجمعها كنائس .

٥ – **مزغاب لادخ** : وهذا ايضاً واقع في اقصى الحي من الشرق الى الجنوب .

٦ – **الاستانبولي** : كنيس واقع في طريق الساحة .

٧ – **الياهانافي** : ومن أسمائه : (**الخضر**) . انه الكنيس المعروف بالاستانبولي .

٨ – **يوحنان زكاي** : قبلي الاستانبولي والياهانافي.

٩ – **كنيس المغاربة** : عند الدرج المعروف بـ (درج الطابون) قبالة خان السلطان .

١٠ – **توما توراة** : ملاصق لكنيس المغاربة

١١ – **بيت ايل** : في طريق الساحة . قائم وسط بناية تخص آل الداودي .

١٢ – **بيت الدين** : في جنوب الحي .

١٣ – **كوليل سفارادم** : أيضاً في جنوب الحي.

١٤ – **واين غارتن** : في غرب الحي .

١٥ – وهناك كنيس تحت الارض ، مخصص لصلاة **القرائين** . وهو واقع بين المطبل وطبرت اسرائيل . وفي قول ان عدد الكنس الكائنة في الحي اليهودي بالبلدة القديمة **ثلاثة وعشرون** . وان بعضها وهو الذي ذكرناه في السطور **المتقدمة** كبير . والبعض الآخر عبارة عن غرف صغيرة **أعدت** للصلاة . ولكن . ليس بينها ماله **قيمة تاريخية أو اثرية** .

تشتت اليهود

قد يتساءل المرء : كيف ؟ وما الذي جرى ؟ ولماذا لا نرى لليهود في القدس **مقدسات كثيرة ؟ وهم** القائلون : انها مدينة يهودية **!على مر الدهور . فانا إذا** ما أعدنا نظرنا الى تاريخهم القديم علمنا السبب :

فقد تشتت اليهود تحت كل كوكب بعد أن ضربهم الرومان تينك الضربتين: الاولى على يد تيطس (٧٠م) يوم احتل هذا أورشليم بعد ان ذاقت من جراء حصاره الأمرين . والثانية على عهد ادريانوس (١٣٥م) يوم دكها دكا وجعل عاليها سافلها . وقتل خمسمئة وثمانين الفاً من سكانها . فحقت عليهم نبوءة أرميا النبي إذ قال : « الذين للموت فالى الموت . والذين للسيف فالى السيف . والذين للجوع فالى الجوع ، والذين للسبي فالى السبي » .

ولم نعد نسمع عن يهود القدس شيئاً قروناً عديدة . حتى ان السائح اليهودي (بتاحيا) الذي زار القدس خلال القرن الثاني عشر للميلاد لم يجد فيها سوى يهودي واحد .

والسائح اليهودي (موسى بن نحمان جيروندي) الذي هبطها بعد ذلك بقرن واحد لم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين .

وأحصي يهود القدس سنة ١٧٥٢م ، فثبت لمجلس الشرع الشريف أنه كان يعيش فيها يومئذ ١١٥ نفراً منهم ٥٥ في جهة الحرم والباقون وقدرهم ٦٠ في غيرها من الجهات . وقرأت اسماءهم في السجل ٥٥ الصفحة ٢٠٧ من سجلات المحكمة الشرعية في القدس . وكان هؤلاء يعيشون عيشة الفقر والذل والحرمان . حتى انهم عجزوا عن دفع دينهم الذي بلغ عام ١٦٦٢م الف قرش أسدي . فأمر قاضي المسلمين بتأجيل الدفع سنة كاملة ، ورضى الدائنون وهم من المسلمين بهذا التأجيل ، شريطة أن يضع اليهود بيدهم رهناً . فرهنوا كنيسهم الكبير الكائن بحوش السيرجاني بحارة اليهود .

ونرى بعد ذلك بست سنين (١٦٨٨م) أن عدد اليهود لم يكن سوى مئة وخمسين .

المسألة الشرقية وبعث فكرة اسرائيل :

وهكذا ظل اليهود قلة في القدس ، ولا شأن لهم يذكر ، الى ان جاء القرن التاسع عشر . ووضعت المسأله الشرقية على بساط البحث . ففكر (١٨٣٠م) فريق من رجال السياسة في انجلترة وعلى رأسهم اللورد بالمرستون وبيكونسفيلد ، في انشاء دولة اسرائيلية في فلسطين ، تحميها بريطانيا وتؤمن طريق الهند .

وأذكت هذه النظرية احلام اليهود . فراحوا يحاولون امتلاك الاراضي في القدس وفي فلسطين . ولكن اهل البلاد عارضوا في ذلك وايدتهم السلطة . ولقد اطلعنا في فصل الاوراق السياسية لسنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧م) من مجموعة الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا للأستاذ أسد رستم ، على قرار اصدره مجلس الادارة في القدس يمنع اليهود من شراء الاراضي وتملكها . وجاء الامر من مصر إلى متسلم القدس مؤيداً ذلك القرار .

واصدرت الحكومة التركية ، عام ١٨٨٢م ، قانوناً حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء الاراضي . إلا انها عادت فعدلته بفضل تدخل ستراوس الوزير الاميركي المفوض في استانبول . ومنحت اليهود حق الدخول الى فلسطين والبقاء فيها ثلاثة اشهر بقصد العبادة . وهنا تلعب الرشوة دورها . فيدخل البلاد عدد غير قليل من اليهود ويبقون فيها . فما يكاد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى نرى لليهود في القدس ستة كنس : اثنان منها لليهود الاشكنازيم ويسميهم المقدسيون (السكناج) وهم من روسيا وبولونيا وسائر انحاء أوربا الشرقية ؛ وثلاثه للسفراديم ، وهم من اسبانيا والبرتغال ؛ وواحد للقرائين .

الحركة الصهيونية :

وفي تلك الحقبة من الدهر وضعت النواة الاولى للحركة اليهودية التي عرفت بعـــدئذ بالصهيونية .

وجاء بعد قليـــل (١٨٩٥) الدكتور ثيودر هرتسل، من يهود النمسا ، فقلبها من حركة ثقافية دينية الى حركة سياسية (١٨٩٧م) . وانشأ جمعية اسماها : (الجمعية الصهيونية) .

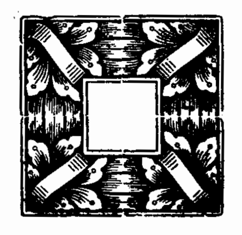
ولما أعلنت الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) راح الاتراك يطاردون الصهيونيين، وأصدر جمال باشا بوصفه القائد الأعلى للجيش الرابع المرابط في فلسطين أمراً منع فيه رفع العلم الصهيوني في أي ارض تقع تحت حكمـه . كما منع رفع اي لافتة تكتب باللغة العبرية . وصادر جميع الطوابع والاوراق المالية التي تخص الحركة الصهيونية . وألغى جميع المؤسسات اليهودية التي تكونت في فلسطين بعـــد ان دخلتها خفية . وجاء في البيان الذي صدر يومئذ (٢٥ كانون الثاني ١٩١٥) ان الحكومة فعلت ذلك بناء على ما لديها من معلومات تثبت ان بعض العناصر تتآمر باسم الصهيونية لاقامة مملكة يهودية في فلسطين .

وعد بلفور :

وقد تزعم الحركة الصهيونية بعد موت هرتسل الدكتور حاييم وايزمن . ولهذا يعود الفضل الاكبر في الحصول على وعـد بلفور . . . وزير خارجية بريطانيا . . ذلك الوعد الذي ذكرناه وما احدثه من قلاقل وثورات في القدس وفي سائر انحاء فلسطين في موضع آخر من هذا الكتاب. ونريد ان نكتفي هنا بالاشارة الى ان عدد اليهود في القدس اصبح في نهاية عهد الانتداب مئة الف وفي فلسطين كلها ستمئة الف، وان هذا العدد الذي دخل بفضل الحراب الانجليزية بلغ من الجرأة حداً جعله لا يكتفي بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، بل راح يعمل على تأسيس دولة اسرائيل . وكان له – بفضل تعضيد دول الغرب – ما يشاء . وهذا ما اوضحناه لك في كتابنا :(النكبة[1]) .

(١) طبع هذا الكتاب في المطبعة العصرية بصيدا (لبنان) . وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٥٦ ، والثاني سنة ١٩٥٧ ، والثالث سنة ١٩٥٨ ، والرابع سنـــة ١٩٥٩ ، والخامس ١٩٦٠ ، والسادس سنة ١٩٦١ . وهو مدعوم بالوثائـق والخرائط والصور والرسوم .

تمّ الجزء الأول من الكتاب



مصـادر الكتاب

هـــذه هي الكتب التى تتبعتها باحثاً مستقصياً أخبار هـذه المدينة . ذكرتها وذكرت ما أعرفه عنها وعن مؤلفيها وعن الأســباب والظروف التي أدّت الى وضعها . . فاذا كان الكتاب الذي رجعت اليه مطبوعاً ، ذكرت المطبعة التي طبع فيها وتاريخ طبعه . . وإذا كان لا يزال مخطوطاً ولم يطبع بعد، فأين يمكن العثور عليه . . لاعتقادي بأن ذكر المصادر على هذا النمط، يفيد القارىء إذا ما أراد استقصاء الحقائق والتعمق في دراسة تاريخ هـــذه المدينة باسلوب علمي واضح . أضف الى ذلك أن هـــذا الأسلوب في ذكر المصادر هو ، في حـد ذاته ، **تأريخ** للكتب التي بحثت تاريخ هـذه المدينة ، ولآبائنا الذين حفظوا لنا أخبارها ونقلوها بامانة واخلاص . فمن حقهم علينا ان نذكرهم ، وأن نذكر كتبهم ومؤلفاتهم . بالشكر والتقدير :

الكتب العربية

١ - **(احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم)** لشمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الملقب بالمقدسي . ولد بالقدس ســـنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٦ م . وهو ينتمي الى اسرة البشاري التي استوطنت القدس منذ الفتح الاسلامي . كان ضليعاً في العلوم الدينية والقضائية وفي الجغرافيا والشؤون الاقتصادية . وقد حج الى بيت الله الحرام . وكتابه هذا بزّ به من تقدمه من الجغرافيين العرب .

٢ - **(أخبار مصر)** لمحمد بن علي بن يوسـف بن جلب المعروف بابن الميسر . توفي بالقاهرة ٦٧٧ هـ ١٢٧٨ م ودفن في المقطم . له تصانيف مفيدة . وهو مصنف تاريخ القضاة . وله تاريخ كبير . وكتابه هذا طبع في المعهد العلمي الافرنسي بمصر (١٩١٩) . وقـــد اطلعت على جزئه الثاني فقط .

٣ — **(اسباب الانقلاب العثماني)** لمحمد روحي الخالدي . من الاسرة الخالدية . ولد في القدس عام ١٨٦٤ م .وارتقى في مناصب الدولة العثمانية . وانتدب لتمثيل بلده القدس في اول مجلس للمبعوثين . كما انتدبته الحكومة الافرنسية للتعليم في مدرسة اللغـات الاجنبية في باريس . وكان عضواً في جمعية المستشرقين بباريس سنة ١٨٩٧ . توفي بالآستانة سـنة ١٩١٣ م. وكتابه هذا يصف فيه الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش. فصححه حسين وصفي رضا ، وطبعه في مطبعة المنار بمصر ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م .

٤ — **(اسفار العهد القديم)** .

٥ — **(الاشارات في معرفة الزيارات)** لعلي بن الحسن بن محمد الهروي . ولد سنة نيف وخمسين وستماية للهجرة . ومات في حلب سنة ٧٢٢ هـ — ١٣٢٢ م . زار القـــدس سنة ٦٧٢ هـ — ١٢٧٣ م . والف كتابه حوالي ذلك التاريخ وهو لا يزال مخطوطاً .

اطلعت على نسخة مصورة لهذا المخطوط في مكتبة المتحف الفلسطيني . وقد أخذتها المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٤١ م عن أصلها الذي كان محفوظا في المكتبة التيمورية .

٦ — **(أشهر مشاهير الاسلام)** في الحرب والسياسة لمؤلفـه رفيق بن محمود العظم . عالم بحاث من رجال النهضة الفكرية في سوريه. ولد بدمشق سنة ١٢٨٢ هـ —١٨٦٥م وتوفي سنة ١٣٤٣ هـ . وكتابه هذا جاء في أربعة اجزاء . طبع في مطبعة هندية سنة ١٩٠٧ م .

٧ — **(الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا)** تولى جمعهـــا وضبط قراءتهـــا ووضع فهارسهـا الدكتور أسد رستم احـد اساتذة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية . طبعت في المطبعة الاميركية ببيروت سنة ١٩٣٠ م .

٨ — **(الاعلاق النفيسة)** لابي علي احمد بن عمر المكني ابن رسته . الف كتابه هذا في اصفهان سنة ٢٩٠ هـ — ٩٠٢ م . وهو كتاب كبير في تقويم البلدان . طبع في ليـدن سنة ١٨٩٢ م .

٩ — **(الافادة والاعتبار)** للشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن محمد علي بن سعد البغدادي المعروف بابن اللباد . ويعرف ايضاً بعبد اللطيف البغدادي . ولد ببغـداد سنة ٥٥٧ هـ —١١٦١ م . وقضى ردحاً من الزمن في مصر والشام . وحـذق في علم الكلام والطب. وكتب كتابه هذا فوصف فيه الأمور التي شاهدها بارض مصر. طبع في توبخة سنه ١٧٨٩ م وفي باريس ١٨١٠ وفي مطبعة وادي النيل بمصر ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩م وهذه الطبعة هي التي طالعتها من اجل كتـابي .

١٠ – (**الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل**) للقاضي مجير الدين ابي اليمن عبدالرحمن العلم الفخري الحنبلي . ولد بالقدس في ليلة الأحد ١٣ ذى القعدة سنة ٨٦٠ هـ – ١٤٥٥ م وتوفي فيها سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م . وقبره ظاهر فيها ، الى الشرق من سور المدينة ، بين باب الاسباط وجبل الطور ، عند مفترق الطرق المؤدية الى الطور وسلوان والقدس وعمان.

شرع في وضع كتابه في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة سنة ٩٠٠ هـ – ١٤٩٤ م وفرغ منه في أقل من أربعة شهور كما قال في آخر الجزء الثاني من كتابه . وقد ظل مخطوطاً حتى جمادي الاول من سنة ١٢٨٣ هـ – ١٨٦٦ م فتم طبعه عامئذ بالمطبعة الوهبية بمصر .

ورد ذكر هذا الكتاب في فهرس المكتبة الخديوية بمصر ، فقيل غلطاً : (الانيس الجليل بتاريخ القدس والخليل) . وقد ترجمه الى اللغة الافرنسيه هنرى سوفار . وطبعه في اوربا .

١١ – (**الانس في فضائل القدس**) للقاضي امين الدين احمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي من اهل القرن السابع للهجرة . وقد اعتمد في كتابه هذا على الجامع المستقصي . ورأى الامام السيوطي نسخة منه في جامع دمشق مقروءة على مؤلفها بتاريخ ٦٠٣ هـ – ١٢٠٦ م .

١٢ – (**اهل العلم**) بين مصر وفلسطين . بقلم احمد سامح الخالدي . طبع في المطبعة العصرية بالقدس ١٩٤٧ م .

١٣ – (**باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس**) للشيخ برهان الدين ابراهيم بن اسحق بن تاج الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشافعي الفزاري المعروف بابن الفركاح وبابن قاضي الصلت المتوفي سنة ٧٢٩ هـ – ١٣٢٨ م . اخذ الكثير من كلامه عن الجامع المستقصي لابن عساكر .

١٤ – (**البطل الفاتح ابراهيم**) وفتحه الشام لداود بركات . طبع في المطبعة الرحمانية بمصر .

١٥ – (**بلدانية فلسطين العربية**) للاب أ. س. مرمرجي الدومنكي استاذ المعهد الكتابي والآثاري في القدس وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . طبع في مطبعة جان دارك ببيروت سنة ١٩٤٨ م . وقد وصف فيه مدن فلسطين التاريخية ، وما جاء عن هذه المدن في مؤلفات البلدانيين العرب .

١٦ – (**تاريخ الامم والملوك**) : المشهور بتاريخ الطبري . للامام ابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري . ولد بآمل (طبرستان) سنة ٢٢٤ هـ – ٨٣٨ م وتوفي ببغداد سنة ٣١٠ هـ – ٩٢٢ م ودرس في مصر والشام والعراق . وجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه

احد من اهل عصره . له مؤلفات كثيرة . منها هذا الكتاب الذي طبع في ليدن سنة ١٨٧٦ م في ١٣ جزء. يتلوها كتاب (صلة تاريخ الطبري) لعريب بن سعد الكاتب بجزء واحد طبع سنة ١٨٩٧ م . وطبع ايضاً في مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م . وهذه هي الطبعة التي اعتمدتها .

١٧ - (**تاريخ ابن خلدون**) ويعرف بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاهدهم من ذوى السلطان الاكبر) لابي زيد ولي الدين عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الاشبيلي المالكي . ولد بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ وربى في حجر والده الى أن أينع وقرأ القرآن ودرس كتباً جمة . وتعلم صناعة العربية وحفظ الشعر . ودخل في خدمة امير تونس . واستقر في تلمسان حيث شرع في تأليف تاريخه . ونزل مصر فعينه السلطان برقوق قاضياً لقضاة المالكية . وسافر الى الشام مع السلطان فرج الملك الناصر . ولما فتح تيمورلنك الشام أخذه معه الى سمرقند اسيراً . ثم رجع الى القاهرة حيث فرغ من تدوين تاريخه ٧٩٧ هـ ١٣٩٤م وتوفي بعدئذ ٨٠٨هـ ١٤٠٥ م ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر . ولقد طبع بعض اجزاء هذا الكتاب في باريس ١٨٤١ وبعضها الاخر في دار الطباعة السلطانية بالجزائر ١٨٤٧ .

وطبعت (مقدمة ابن خلدون) بالقاهرة مراراً وهي الجزء الاول من كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر .

١٨ - (**تاريخ اورشليم**) لخليل بن خطار سركيس . ولد في عبية عام ١٨٤٢ م . وتعلم في المدرسة الاميركية ببيروت . واتقن فن الطباعة وأنشأ (مطبعة المعارف) كما انشأ جريدة (لسان الحال) ومجلة (المشكاة) . وكتابه هذا في تاريخ اورشليم طبع ببيروت سنه ١٨٧٤م . وله مؤلفات أخرى .

١٩ - (**تاريخ البيمارستانات في الاسلام**) للدكتور احمد عيسى . طبع بدمشق ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م .

٢٠ - (**تاريخ الحروب المقدسة في المشرق**) المعروفة بحرب الصليب . لمكسيموس مظلوم البطريرك الانطاكي لطائفة الروم الملكيين . ولد في حلب ١٧٧٩ م وسيم شماساً ثم خورياً على كنيسة حلب ١٨٠٦ م ثم أسقفاً ١٨١٠ م . وكان في الوقت نفسه رئيساً لمدرسة عين تراز . هبط روما ودرس فيها اللغات اللاتينية والايتالية واليونانية . وهبط ايضاً فينا وباريس ومرسيليا وأنشأ في الاخيرة كنيسة لطائفته . ثم عاد الى روما حيث قضى ثماني سنين في المطالعة والتأليف . وقد انتخب بطريركاً للروم الملكيين خلفاً للبطريرك اغناتيوس ، وسعى لدى السلطان فاعترف بطائفته مستقلة عن طائفة الروم الارثوذكسيين. توفي بالاسكندرية سنة ١٨٥٥ م .

وكتابه هذا في تاريخ الحروب المقدسة معرب عن كتاب باللغة الفرنسية لمكسيموس موند . طبع في أورشليم سنة ١٨٦٥ م ، وله مؤلفات اخرى .

٢١ — (**تاريخ سورية**) : للمطران يوسف الدبس . ولد سنة ١٨٣٣ في كفر زيتا من أعمال طرابلس الشام .ودرس علوم االمنطق واللاهوت. وعين اسقفاً لابرشية بيروت . أنشأ مدرسة الحكمة فيها . وله مؤلفات عديدة منها : (تاريخ سورية) وقـــد جاء في ثمانية اجزاء طبع في بيروت ١٨٩٣ — ١٩٠٢ . و(الموجز في تاريخ سورية) طبعه بعـد ذلك بخمس سنين . وهو مختصر تاريخه الكبير . وله كتب اخرى في الفلسفة والدين .

٢٢ — (**تاريخ شرقي الاردن وقبائلها**) للفتننت كولونيل فريدريك ج .بيك باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي . وضعه في عمان باللغة الانكليزية . وعرّبة بهـاء الدين طوقان . وطبعه في مطبعة دار الايتام الإسلامية الصناعية بالقدس ١٩٣٤ م .

٢٣ — (**تاريخ فلسطين**) لعمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح . طبع في مطبعـة (بيت المقدس) ١٩٢٣ م .

٢٤ — (**تاريخ فلسطين**) عنيت بنشره مكتبة بيت المقدس ١٩٣٤ م .

٢٥ — (**تاريخ القدس**) لخليل طوطح وبولس شحاده .

٢٦ — (**تاريخ الكرسي الأورشليمي للاقباط الأرثوذكس**) تأليف الشماس كامل صالح نخلة الاسكندري ، عضو لجنـة التاريخ القبطي والمفتش بوزارة المعارف المصرية . مخطوط خطه صاحبه بيـــده سنة ١٩٤٧ م وأطلقى عليـــه الصديق الابنا ياكوبدس مطران الاقباط في القدس (١٩٤٩) .

٢٧ — (**تاريخ كنيسة اورشليم الأرثوذكسية**) لشحاده خوري ونقولا خوري . طبع في مطبعة (بيت المقدس) سنة ١٩٢٥ م .

٢٨ — (**تاريخ الكنيسة الرسولية الاورشليمية**) لخليل ابراهيم قزاقيا .

٢٩ — (**تاريخ مصر**) لابي البركات محمـــد بن احمـــد بن اياس . ويعرف بتاريخ ابن اياس . ولدفي مصر سنة١٤٤٨م ٨٥٢ ه وتوفي سنة١٥٢٣م ٩٣٠ ه. انه احدتلامذة جلال الدين السيوطي . وكتابه هذا يصف فيه مصر واخبار الفتح الاسلامي ومـــا توالى عليها من الدول . طبع في مطبعة بولاق بمصر ١٣١١ ه ١٨٩٣ م

ومن مؤلفات ابن اياس:(بدائع الزهور في وقائع الدهور) .وقيل ان هـذا هو الاسم

الآخر لتاريخ مصر . كما قيل انه منسوب وهماً الى ابن اياس ، وهو في الحقيقة لاستاذه جلال الدين السيوطي .

٣٠ – **(تاريخ مصر الحديث)** لجرجي زيدان . ولد ببيروت ١٨٦١م. وتوفي في القاهرة ١٩١٤ م. درس اللغات العربية والعبرانية والسريانية . واشتغل بالصحافة والادب . انشأ مجلة الهلال سنة ١٨٩٢ وانقطع الى التأليف . فالف كتابه هذا في تاريخ مصر الحديث . كما الف (العرب قبل الاسلام) و (تاريخ التمدن الاسلامي) والتاريخ العام منذ الخليقة الى الآن وكتباً كثيرة اخرى .

٣١ – (**تاريخ اليعقوبي**) لاحمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي . وكتابه هذا يعرف ايضاً بـ (تاريخ ابن واضح) . انه جزءان: الاول يبحث عن تاريخ ماقبل الاسلام . والثاني فيمابعده الى سنة ٢٥٢هـ-١١٥٧م . وقدطبع باعتناء الاستاذ هوتسما بليدن سنة ١٨٨٣ .

ساح اليعقوبي في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً . فالف في سياحته كتباً كثيرة . وهو شيعي المذهب . من موالي بني هاشم . توفي سنة ٢٨٤هـ-٨٩٧م . وله تصانيف كثيرة . منها هذا الكتاب و (كتاب البلدان)

٣٢ – **(تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)** لابن بطوطة . انه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي . ويعرف بابن بطوطة . ولد في طنجة ٧٠٣هـ-١٣٠٣م . وغادر مسقط رأسه سنة ٧٢٥هـ - ١٣٢٤م . فساح في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند والصين وبلاد التتر والسودان واواسط افريقيا والاندلس . ودون اخبار رحلته في كتابه بتشويق من السلطان ابي عنان من ملوك بني مدين بالمغرب ، ويعرف كتابه هذا بـ (رحلة ابن بطوطة) ،

طبعت بعض اجزائها في باريس (١٨٥٣) والاجزاء الاخرى في مصر (١٩٠٤م) .

٣٣ – **(تحليل اسماء الاعلام)** مخطوط لم يطبع بعد . الفه الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (١٩٠٣م) . وقد اطلعت عليه في مكتبته بزحلة .

٣٤ – **(التنبيه والاشراف)** لأبي الحسن علي بن علي المسعودي المؤرخ الشهير . نشأ في بغداد . وساح في مصر وفارس وكرمان والهند وسيلان والصين وعمان وجرجان وأذربيجان وفلسطين والشام . وتوفي سنة ٣٤٥هـ – ٩٥٦م . وله مؤلفات اخرى .

وكتابه هذا طبع باعتناء المستشرق دي غوية في ليدن سنة ١٨٩٣ ونقله الى الافرنسية كارا دي فو وعنوانه هكذا (التنبيه والاشراق) . اما أنا فقد اطلعت على النسخة المطبوعة في

دار الصاوي بشارع درب الجماميز بالقاهرة وقد عني بتصحيحها عبد الله اسماعيل الصاري سنة ١٥٣٧هـ - ١٩٣٨م . وقد عنونت هكذا : التنبيه ، والاشراف .

٣٥ - (**الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى**) لبهاء الدين ابي محمد القاسم ابن الامام الحافظ شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر المتوفي سنة ٥١٧هـ - ١١٢٣ م . منه نسخة في المكتبة التيمورية بالقاهرة . وقد ذكره السيوطي بين المخطوطات التي أخذ عنها في كتابه أتحاف الاخصا .

٣٦ - (**الحاكم بامر الله**) لمحمد عبد الله عنان .

٣٧ - (**الحروب الصليبية في الاثار السريانية**) للقس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي. ولد في ماردين سنة ١٨٧٩ تلقى دروسه في دير الشرفه بلبنان وسيم كاهناً . ثم هبط بيروت .وراح يدرس في مدارس الطائفه السريانية. اطلعت على كتابه هذا في بطريركية السريان بالقدس (١٩٤٦) ومن مؤلفاته (القصارى في نكبات النصارى) و (الزهرة الزكية في البطريركية السريانية) .

٣٨ - (**الحضرة الانسية في الرحلة القدسية**) للشيخ عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني ابن اسماعيل النابلسي . ويعرف ايضاً بالجاعيني ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ هـ -١٦٤٠ واتقن علم الحديث واللغة والفقه والنحو والمعاني والبيان. واخذ الطريقة القادرية الصوفية . زار البقاع ولبنان ومصر والحجاز ، كما زار فلسطين . وقضى فترة من الزمن في بيت المقدس . ثم رجع الى دمشق. وتوفي بها سنة ١١٤٣ هـ - ١٧٣٠ م .

وكتابه هذا جزء من رحلته المخطوطة . فرغ من تصنيفها سنة ١١٠١ هـ ١٦٨٩م. وقف على طبعها ديمتري نقولا صاحب مجلة الفكاهة وطبعها في مطبعة الاخلاص بمصر سنة ١٩٠٢م ومنها نسخ مخطوطة في القدس ودمشق وبرلين . وله ايضاً مصنفات اخرى .

٣٩ - (**الحوادث المدنية بدمشق**)للخوري ميخائيل بريك الدمشقي . مخطوط اطلعت على نسخته الفوتوغرافيه في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بزحلة . وهي مأخوذة عن الأصل الذي خطه المؤلف بيده ، وهو محفوظ في دار الكتب ببرلين .

٤٠ - (**حياة المسيح**) لجيوفاني بابيني . طبع في (مطبعة العرب) بمصر ١٩٢٩ م.

٤١ - (**حياة يسوع**) للدكتور بترس سمت . تعريب حبيب سعيد .

٤٢ (**خطط الشام**) لمحمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق . اصله من

السليمانية من الاكراد الايوبية . ولد في دمشق في أواخر صفر سنة ١٢٩٣ هـ – ١٨٧٦ م من أب كردي وام شركسيـــة . واتم دراسته فيها ، شاعر واسع الاطلاع في الأدب والتاريخ والفلسفة والاجتماع ، يعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية والافرنسية.

كان مؤلعاً بالصحافة، وله جريدة (المقتبس). وكتب في صحف عديدة في مصر وسوريا، وله مؤلفات كثيرة .

وكتابه هذا (خطط الشام)، وهو الذي اخذت عنه ، فقد قضى في تأليفه خمساً وعشرين سنة . وقد جاء في ستة اجزاء ؛ طبع الجزءان الاول والثاني منها في المطبعـة الحديثـة بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م ، والثالث في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م ، والرابع في مطبعة الترقي ايضاً سنة ١٣٤٥ هـ – ١٩٢٦ م ، والخامس في المطبعة نفسهـــا سنة ١٣٤٦ هـ – ١٩٢٧ م ، والسادس في مطبعـــة المفيـــد بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ – ١٩٢٨ م .

٤٣ – (**خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**) لمحمد امين بن فضل الله بن محب الله بن محمـــد محب الدين بن ابي بكر تقي الدين بن داود المعـروف بالمحبى ، ولد بدمشق ١٠٦١ هـ . وتوفي بها ١١١١ هـ واشتهر بتاريخه هذا الذي جمع فيـه تراجم ١٢٧٩ فاضـلاً واميراً من مشاهير القرن الحادي عشر . طبع في المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٨٤ هـ .

٤٤ – (**دائرة معارف البستان**) للمعلم بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن أبي شديد بن محفوظ البستاني . من الدبية من أعمال الخروب في جبل لبنان . ولد سنة ١٨١٩ م وتوفي سنة ١٨٨٧ ودرس العلوم الاكليريكية في مدارس لبنان . ثم تبع دعاة البروتستانتية . واشتغل في العلم والتأليف . واعانه الخديوي اسماعيل والحكومة المصرية في تأليف كتابه هذا . وقد ظهر منه على يده ويـــد ابنائه أحد عشر جزءاً (١٨٧٦ – ١٩٠٠ م) . وله مؤلفات اخرى .

٤٥ – (**دائرة معارف وجدى**) لمحمد فريد وجدي بن مصطفى بن علي رشاد . ولد بالاسكندرية سنة ١٨٧٥ . والف معلمته هذه في مصر وطبعها في مطبعة دائرة المعارف سنة ١٩٢٣ فجاءت في عشرة أجزاء ، وقـد أسماها (دائرة معارف القرن الرابع عشر هجري ـ العشرين ميلادي) . ومن مؤلفاته (الاسلام في عصر العلم) وتطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنيـــة) و (الحديقة الفكرية في اثبات وجود الله بالـبراهين الطبيعية) و (صفوة العرفان) و (على أطلال المذهب المادي) و (**الفلسفة الحقة في** بدائع الاكوان) و (كتاب المعلمين) و (كنز العلوم واللغة) و (**مجموعـــة** الرسائل الفلسفية) و (المدنية والاسلام) و (المرأة المسلمة) و (**الوجديات**) .

٤٦ — (**دليل قلعة القدس**) لمؤلفـــه س . ن . جونس مساعد مدير الاثار **بحكومة** فلسطين . طبع ١٩٤٤ م .

٤٧ — (**دولة بني قلاوون في مصر**) للدكتور محمد جمال الدين سرور . مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الاداب في جامعة فؤاد الأول بمصر . طبع في مصر سنة ١٩٤٧م .

٤٨ — (**الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية**) لإبراهيم الاسود صـاحب جريدة لبنان ومدير معارف متصرفية الجبـل في العهد التركي . وكتابه هـذا طبع في بعبدا سنة ١٨٩٨ وقد وصف فيه رحلة الامبراطور غليوم الثاني والامبراطورة اوغستا فكتوريا في استانبول وسوريا وفلسطين

٤٩ — (**رحلة الأمير يشبك الظاهري**) رحلة قام بهـــا الامير يشبك الظـاهري من القاهرة الى بر الشام . دمت رحلتهمن سنة ٨٧٥ هـ — ١٤٧٠ م الىسنة ٨٧٧ هـ — ١٤٧٢م. وقد عهداليه يومئذ الملك الاشرف قايتباي بادارة المملكة الشامية من العريش الى الفرات. فقام بمهمته ودون رحلته. وقد اطلعت في دار الكتب المصرية بالقاهرة (رقم ٢٥٩٢) على نسخة أُخذت بالفوتوغراف عن الاصل الذي خطه بيده .

٥٠ — (**رحلة قايتباي**) أو (القـول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف) تتضمن وصف الرحلة التي قام بها سيف الدين ابو النصر قايتباي بن عبد الله الظاهري الذي حكم مصر سنة ٨٣٨ هـ ١٤٣٤م وتوفيسنة ٩٠١ هـ ١٤٠٥م .وقد قامبرحلتههذهسنة ٨٨٢هـ ١٤٧٧ م الى فلسطين والشام . فوصف عادات تلك الايام وشؤون اهلهـا . لمؤلفها ابي البقاء بن يحيى بن الجيعان المتوفي سنة ٩٠٠ هـ ١٤٩٤ م . ورايتنسختها المخطوطة في المكتبة الخديوية . وقد طبعت في تورينو بايطاليـا سنة ١٨٧٨ م باسم (تاريخ **قايتباي**) وذلك بعناية لانزوني .

٥١ — (**رسائل بيلاطس البنطي**) الى صديقه سنيكا في روما . بقلم و. ب. كروزير استاذ كلية ترينتي في جامعـة اوكسفورد . تعريب جريدة فلسطين .طبعت في(**مطبعة** جريدة فلسطين) بيافا سنة ١٩٤٥ .

٥٢ — (**سجلات المحكمة الشرعية بالقدس**) اتيح لي الاطلاع على هـــذه السجلات المحفوظة في خزائن المحكمة الشرعية باذن خاص من المجلس الشرعي الاســـلامي الاعلى . وهي تحتوي على جميع الحوادث التي جرت بالقدس خلال القرون الاربعة الاخيرة. وفيها الشيء الكثير من الاخبار والمعلومات القيمة عن القدس وعما جرى فيها من احداث .

٥٣ – (**سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر**) لشيخ الاسلام ابي الفضل محمدخليل ابن علي بهاء الدين محمد البخاري المعروف بالمرادي . مفتي السادة الحنفيــة بدمشق . توفي سنة ١٢٠٦هـ – ١٧٩١م . وكتابه هذا جمعه في رحلاته الكثيرة. وهو يتضمن كما يفهم من التسمية – تراجم الاعيان في القرن الثاني عشر. طبع الجزء الاول الى الثالث في الآستانة سنة ١٢٩١ هـ – ١٨٧٤ م والجزء الرابع في بولاق بمصر ١٣٠١ هـ – ١٨٨٣ م .

٥٤ – (**السلوك لمعرفة دول الملوك**) لتقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ابن ابراهيم بن محمد بن تمـيم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تمــيم ، الشهير بالمقريزي. أقام بمكة حتى سنة ٨٣٩هـ – ١٤٣٥ م. وتوفي بالقاهرة سنه ٨٤٥ هـ –١٤٤١م. وقد صحح الكتاب ووضع حواشيه محمدمصطفى زيادة استاذ التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصريه سنة ١٩٣٤ . وهو الذي اعتمدت عليه في كتابي هذا .

٥٥ – (**سؤال وجواب عن بيت المقدس**) من مجاميع المكتبة الخالدية عدد ٤٧ .

٥٦ – (**سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس**) لمصطفى أســـعد اللقيمي الدمياطي المتوفي سنة ١١٧٨هـ – ١٧٦٤م. وصف فيه رحلته من دمياط الى القدس في ستة شهور. انه مخطوط اطلعت على نسخة منه في مكتبة الصديق المرحوم السيد رشـيد مكي بجورة عسقلان من اعمال المجدل . وهناك نسخة عنه في برلين .

٥٧ – (**سياحات ومشاهدات**) لجرجي الخوري المقدسي . طبع في مطبعة الوفـاء ببيروت ١٩٣٤ م .

٥٨ – (**السير السليم في يافا والرملة وأورشليم**) للآباء الفرنسيسيين. طبع في مطبعتهم بالقدس ١٨٩٠ م .

٥٩ – (**شذرات الذهب في اخبار من ذهب**) لابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد المعروف بابن العماد البكري الدمشقي الحنبلي . وهو تاريخ جامع للحوادث والتراجم من الهجرة الى سنة الف . ولد بدمشق سنة ١٠٣٢هـ وتوفي بمكة سنة ١٠٨٩هـ – ١٦٧٨ م . والطبعــة التي اعتمدتهـــا في كتـــابي هـــذا طبعت سنة ١٣٥٠ – ١٩٣١ م . وهي مأخوذة عن نسخة المصنف الاصليـــة المحفوظـــة في دار الكتب المصريه وعن نسخه الامير عبـــد القادر الجزائري في خزانة الكتب الظاهريه بدمشق .

٦٠ – (**صبحي الاعشى**) لاحمد بن علي بن احمد عبد الله الشهاب بن الجمـــال بن ابي اليمن القلقشندي . سمي كذلك نسبة الى (قلقشندة) من اعمال القليوبية بمصر . وكتابه

هذا في صناعة الانشاء جاء في أربعة عشر مجلداً . فرغ من تأليفه سنة ٨٦٤ هـ . وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية (١٩١٣ – ١٩٢٠) .

٦١ – (**الضوء اللامع لاهل القرن التاسع**) لشمس الدين ابو الخير محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن ابي بكر بن عثمان بن محمد البخاري . ولد في القاهرة سنة ٨٣١ هـ ودرس وبرع في الفقه والعربية والحديث . وقد أكبّ على التاريخ حتى افنى فيه عمره . ومن مشايخه الحافظ بن حجر العسقلاني . واخذ عنه اكثر تصانيفه . وجاب البلاد ؛ فدخل فيما دخل بيت المقدس . وتوفي في المدينة (٩٠٢ هـ) ودفن بالبقيع بجوار مشهد الامام مالك . والف كتباً كثيرة منها هذا الكتاب وقد جاء في اثني عشر جزءاً ، عنيت بنشره مكتبة القدسي بمصر . وله مصنفات اخرى .

٦٢ – (**عجائب الآثار في التراجم والاخبار**) للشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي . اصله من بلاد الجبرت من اعمال الحبشة . ولد سنة ١١٦٧هـ . ودرس في الازهر . وتوفي مخنوقاً بطريق شبرا مصر سنة ١٢٤٠هـ . وكتابه هذا ويعرف بتاريخ الجبرتي جمع فيه حوادث آخر القرن الثاني عشر للهجرة . واوائل القرن الثالث عشر . طبعه في مطبعة بولاق بمصر ١٢٩٧هـ وفي المطبعة الشرقية ١٣٢٣هـ والطبعة الاخيرة هذه هي التي اطلعت عليها واخذت منها .

٦٢ – (**عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان**) لبدر الدين محمود بن احمد بن موسى بن احمد ابن حسين بن يوسف بن محمود المعروف بالعيني . ولد بعينتاب من اعمال حلب سنة ٧٦٢ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ . وزار دمشق والقاهرة وبيت المقدس . وولى القضاء في مصر . وكانت له منزلة عند الملك الأشرف برسباي وله مصنفات عديدة منها كتاب عقد الجمان هذا ، وقد جاء في تسعة عشر مجلداً لا ندري اذا كان قد تم طبعها كلها ، وان جاء في (معجم المطبوعات العربية والمصرية) لجامعه يوسف اليان سركيس (١٣٤٧هـ – ١٩٢٩م) ان هناك بعض اجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية ، ونسخة في ٢٤ جزءاً في مكتبة بايزيد بالقسطنطينية . وقد اطلعت على نبذ منه في (مجموعة الحروب الصليبية) في الخزانة الظاهرية بدمشق .

٦٤ – (**فتوح البلدان**) للامام احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري . نشأ في بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وكان شاعراً وعالماً وأديباً ونسابا . نقل الفارسية الى العربية . شرب تمر البلاذر على غير معرفة . ومنه اسمه . فوسوس في آخر أيامه واخذ الى البيمارستان ومات سنة ٢٧٩هـ . وكتابه هذا الذي كتبه قبل مرضه . اجمع كتب الفتوح وأصحها . طبع باعتناء الموسيو دي غويه في ثلاثة اجزاء ١٨٦٣م ، وجزء منه باعتناء اهلورد ١٨٨٣م .

ومن مؤلفاته (انساب الأشراف وأخبارهم) وفيه كثير من أخبار بني أمية في زمن عبد الملك والوليد .

٦٥ – (**فتوح الشام**) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي . مولى بني هاشم. ولد بالمدينة سنة ١٣٠هـ وتوفي ببغداد سنه سبع ومائتين . ودفن بمقابر الخيزران. كان قاضياً ببغداد . ويعتبر من اقدم مؤرخي الاسلام . استقضاه الرشيد والمأمون. طبع كتابه هذا في جزئين بكلكتة ١٨٥٤ م . وله مؤلفات اخرى كثيرة . وقد ذكره البلاذري والمسعودي وابن خلكان .

٦٦ – (**فضائل بيت المقدس والشام**) لأبي المعالي المشرف بن المرجى بن ابراهيم المقدسي. انه مخطوط . منه نسخة في دار الكتب المصرية تاريخها ١٢٤٩ هـ – ١٩٣٢ م .

٦٧ – (**فلسطين الدامية**) لمحمد تيسير ظبيان الكيلاني . طبع في (**مطبعة الاعتدال**) بدمشق ١٩٣٧ م .

٦٨ – (**القرآن الكريم**) .

٦٩ – (**القضية الفلسطينية**) لأكرم زعيتر . اخرجته دار المعارف بمصر عام ١٩٥٥. والاستاذ زعيتر من الكتاب المبرزين . وكتابه هذا من احسن الكتب التي وضعت في قضية فلسطين .

٧٠ – (**القول الحق**) في تاريخ سورية وفلسطين والعراق . لمؤلفه ج. دي. ف. لودر . ومعربه نزيه المؤيد العظم .طبع بالمطبعة الحديثة بدمشق (١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م).

٧١ – (**الكامل في التاريخ**) لابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الملقب عز الدين . ويسمونه ايضا : ابن الاثير الجزري . ولد بجزيرة عمر على دجلة قريبا من الموصل . وكان ذلك سنة ٥٥٥ للهجرة . وقام برحلات عديدة في شبابه بين بغداد ودمشق والقدس . ولما عاد الى الموصل انزوى في منزله منكبا على التصنيف . وكان اماما حافظا للتواريخ خبيرا بانساب العرب .

وكتابه هذا طبع في ليدن (١٨٧١ – ١٨٧٦) وفي مصر ١٣٠٢ هـ .

وله كتابان آخران : احدهما (اسد الغابة في معرفة الصحابة) والثاني (اللباب في معرفة الانساب) .

٧٢ – (**الكتاب الابيض**) رقم ٣٢٢٩ (سنة ١٩٢٨) .

٧٣ – (**الكتاب الأبيض**) رقم ٣٥٣٠ (سنة ١٩٣٠) .

٧٤ -- (**كتاب الاعتبار**) لابي المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني . ومن القابه محب الدين ومؤيد الدولة . انه من اكابر بني منقذ اصحاب قلعة **شيزر** من اعمال حماة .

ولدسنة ٤٨٨هـ – ١٠٩٥م واستدعاه صلاح الدين الى دمشق سنة ٥٧٠هـ – ١١٧٤م .وكان قدجاوز الثمانين. كان قويا في نثره ونظمه. وله تصانيف عديدة : منها كتابه هذا.وقد سجل فيه سيرة حياته ورحلاته . ولما نزل القدس وصف الصليبيين وما فعلوه فيها . عني بنشره الاستاذ هرتويك ديرنبرج (١٨٨٩ م) . وقد ترجم الى اللغتين : الافرنسية والالمانية .

٧٥ -- (**كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**) لشهاب الدين بن محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي المعروف بابن شامة . سمي كذلك لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر .

ولد بدمشق ٥٩٦هـ – ١١٩٩م وقرأ القرآن وسافر الى الاسكندرية حيث اتقن الفقه ودرس وافتى.وبرع في العربية . واختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . وتوفي بدمشق ٦٦٥هـ-١٢٦٦م.

والمقصود بالدولتين : النورية والصلاحية . طبع في مطبعة وادي النيل (١٨٩٢م) بتصحيح ابي السعود المترجم بقلم الترجمة بديوان عموم المدارس المصرية . وطبع منتخبات منه مع ترجمة افرنسية في باريس سنة ١٨٨٨ م.

٧٦ -- (**كنيسة القيامة**)للخوري ثاوفانس شار . طبع في مطبعة الاباء الفرنسيسيين بالقدس ١٩١٨ .

٧٧ -- (**مثير الغرام بفضائل القدس والشام**) تأليف الامام ابي محمود أحمد بن ابراهيم ابن هلال بن تميم بن سرور المقدسي الشافعي . رأيت نسخة مصورة بالفوتوغراف في مكتبة المتحف الفلسطيني . ومنها يفهم ان مؤلفه ولد سنة ٧١٤ هـ – ١٣١٤ م وتوفي سنة ٧٦٥ هـ – ١٣٦٣ م وانه فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧٥٧ هـ – ١٣٥٦ م .

واطلعت على نسخة اخرى منه في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد خطت بتاريخ ٩٩٨ هـ – ١٥٩٠ م .

وهناك مخطوط آخر بهذا الاسم في المكتبة الخالدية بالقدس تاريخه ٩٨٧هـ – ١٥٧٩م . صححه وشرحه وعلق عليه مدير الكلية العربية الاستاذ احمد سامح الخالدي سنة ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦ م . ويوجد ايضاً نسختان اخريان : واحدة في دار الكتب المصرية والثانية في برلين . وقد اختصره ابن عمار في كتاب سماه : (منتهى المرام في تحصيل مثير الغرام)

٧٨ - **(مجموعة الحروب الصليبية)** حوت ما كتبه المؤرخون الشرقيون عن الحروب الصليبية. اعتنى بجمعها ونشرها مترجمة الى اللغة الفرنسية مجمع الآثار والفنون الفرنساوي. تتألف من ثلاثة أجزاء طبعت في باريس: الاول سنة ١٨٧٢م والثاني سنة ١٨٧٦م والثالث سنة ١٨٨٤ م . وفيها مقتطفات من تاريخ ابي الفـــداء ، ومن كامل التواريخ لابن الأثير ، ومن ابن خلكان ، ومن كتاب عبد اللطيف البغدادي ، ومن رحلة ابن جبـــير ، وابن ميسر ، ومرآة الزمان ، والنجوم الزاهرة ، ومن معجم كمال الدين .

ولقد اطلعت على هذه المجموعة في المكتبة الظاهرية بدمشق .

٧٩ – **(مجموعة مراسلات للقاضي الفاضل والعماد الكاتب وابن بصاقة)** مخطوطة اطلعت عليها في مكتبة المرحوم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بزحلة. ويرجع تاريخ هذه المخطوطة الى سنة ٦٤٤ هـ – ١٢٤٦ م .

٨٠ - **(مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي)** لسيد أمـير علي العضو في مجلس شورى الملك بانكلترا . وهـــو كتاب يبحث في نهضة المسلمين وتدهور سلطانهم وتطور المناحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في الامة العربية من اقدم العصور حتى اغارة التتر على بغداد. وضعه المؤلف باللغة الانكليزية بعنوان A Short History of the Saracens ونقله الى العربية رياض رأفت ، وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م .

وللمؤلف كتب اخرى منها: (روح الاسلام) و (القانون الاسلامي) .

٨١ - **(المختصر في تاريخ البشر)** للسلطان الامام والملك المؤيد عماد الدين اسماعيل **ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ، صاحب حماه ، المعروف بأبي الفـداء .** ولد سنة ٦٧٢ هـ – ١٢٧٣ م ، وكان بارعاً في الفقه والطب والأصول العربية والتاريخ والأدب . وكان اميراً ثم صار في زمن الملك الناصر محمد قلاون سلطاناً على حمـاه . ولقب بالملك الصالح . ثم غير السلطان لقبه ولقبه بالملك المؤيد .

الف كتابه هذا (المختصر في أخبار البشر) ويعرف بتاريخ ابي الفداء ، آخذاً بعضه او جله من الكامل لابن الأثير . ولقد طبع هـــذا في المطبعة الحسينيه بمصر ١٣٢٥ هـ – ١٩٠٧م ومعه تتمة للشيخ عمر بن المظفر المعروف بابن الوردي .

ومن مؤلفاته (تقويم البلدان) جمـع فيه ما تفرق في الكتب التي الفت في البلاد لابن حوقل والشريف الادريسي وابن خرداذبة والسمعاني وياقوت وغيرهم من الكتاب .

٨٢ – **(تتمة المختصر في اخبار البشر)** لابي حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر

ابن محمد بن ابي الفوارس بن علي الشهير بابن الوردي . ولد في معرة النعمان ٦٨٩هـ - ١٢٩٠م . وكان شاعراً وكان اماماً بارعاً في اللغة والفقه والنحو والأدب . له تصانيف كثيرة . منها هذا الكتاب ويعرف بتاريخ ابن الوردي . اختصر فيه كتاب (المختصر في اخبار البشر) لابي الفداء ، وذيله من سنة ٧٢٩ هـ الى سنه ٧٤٩ هـ . ولقد طبعت تتمة المختصر في الآستانة بذيل تاريخ ابي الفداء المطبوع سنة ١٢٨٦ في اربعة اجزاء . وعليه طبع الكتاب نفسه في مصر باربعة اجزاء سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م وله مؤلفات كثيرة اخرى .

٨٣ - **(مرآة الزمان في تاريخ الاعيان)** لابي المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي ابن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي .

ولد ببغداد سنة ٥٧٢هـ - ١١٧٦ م . ورحل في العراق والشام . وتفقه على عدد من العلماء . وكان مفرطاً في الذكاء . توفي ودفن في دمشق .

طبع من هذا التاريخ بالفوتوغراف الجزء الثامن فقط في شيكاغو سنة ١٩٠٧م . وطبع منه منتخبات مع ترجمة فرنساوية للاستاذ باربيه دي منيار في باريس سنة ١٨٧٢م . وادخلت تلك المنتخبات مع ترجمتها في الجزء الثالث من مجموعة تاريخ الحروب الصليبية .

٨٤ - **(الموسليات اللاتينية وامتيازات الاجانب)** لالفونس دالونصو .

٨٥ - (**مرشد الطالبين الى الآثار المقدسة في فلسطين**) ليوحنا الخوري جرجس سكسك المقدسي . وهو مخطوط في اجزاء عديدة اطلعت عليها في خزانة ولده جرجس سكسك بالقدس .

٨٦ - (**مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب**) للقس اسعد منصور .

٨٧ - (**مسالك الابصار في ممالك الامصار**) للقاضي شهاب الدين ابي العباس احمد المعروف بابن فضل الله العمري . ولد سنة ٧٠٠هـ - ١٣٠٠م . وتوفي سنة ٧٥٥هـ - ١٣٥٤م . وقد وصف المسجد الاقصى كما كان سنة ٧٤٣ هـ - ١٣٤٢ م آخذاً اكثره عن (سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد) للصاحب تاج الدين أبي الفضائل أحمد بن أمين الملك . وقد حقق كتابه هذا وطبعه بمصر شيخ العروبة احمد زكي باشا . وكان ذلك بتاريخ ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م .

٨٨ - (**المسالك والممالك**) لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن احمد المعروف بابن خرداذبة الخراساني . ولد سنة ٢١١هـ - ٨٢٦م وتوفي سنة ٣٠٠هـ - ٩١٢م . كان مجوسياً ، فاسلم على يد البرامكة . ونادم المعتمد . وكتابه هذا يبحث عن شؤون الدولة العباسية في اواسط القرن الثالث للهجرة . طبع في ليدن سنة ١٨٨٩ للميلاد باعتناء الاستاذ دي غويه

٨٩ — (**المستقصى في فضائل المسجد الاقصى**) لنصير الدين الرومي الحلبي المتوفى سنة ٩٤٨ هـ — ١٥٤١ م .

٩٠ — (**المعاهد المصرية**) في بيت المقدس . بقلم احمد سامح الخالدي المقدسي .

٩١ — (**معجم البلدان**) لياقوت الحموي . انه ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار . ولد في بلاد الروم . وأسر صغيراً . وابتاعه رجل تاجر ببغداد. ولما كبر شغله مولاه بالاسفار . وكثيراً ما نزل الشام . واعتقه مولاه سنة ٥٩٦هـ — ١١٩٩ م .وقام برحلات عديدة بين الشام والعراق . وجمع في اسفاره الشيء الكثير من الاخبار لكتابه الذي اسماه : (معجم البلدان) . وفي حلب اتمه بمساعدة الوزير جمال الدين القفطي . وكان ذلك في سنة ٦٢١هـ — ١٢٢٤م. وتوفي في حلب .

وأما كتابه هذا فقد طبع باعتناء وستنفلد في ستة أجزاء . طبع في ليبسيك (١٨٦٦) وفي مصر بمطبعة السعادة ١٣٢٣هـ — ١٩٠٥م .

وله اربعة كتب اخرى . اهمها كتاب (معجم الأدباء) .

٩٢ — (**مكاتب الاسر العربية بالقدس**)لأسطفان حنا اسطفان البحالي المقدسي . ولد في بيت جالا . وتوفي في لبنان (١٩٤٩م) عن عمر يناهز الخمسين . وكتابه هذا مخطوط اطلعني عليه يوم كان أميناً لخزانة المتحف الفلسطيني . وله مصنف آخر في (قضاة القدس) اطلعني عليه . وهذا ايضاً مخطوط . وقد اخذه عن شذرات الذهب والأنس الجليل والضوء اللامع ووفيات الأعيان وفوات الوفيات و الرحلة القدسية والشقائق النعمانية والمحبي والمرادي .

٩٣ — (**النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة**) للامير جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي. ولد بالقاهرة سنة ٨١٣هـ — ١٤١٠م .كان والده مملوكا تركياً اشتراه الملك الظاهر برقوق وسماه اميراً على حلب . واما هو فقد رباه زوج أخته قاضي القضاة ناصر الدين ابن العديم الحنفي وقد لازم مؤرخي عصره كالعيني والمقريزي . فمهر وكتب وصنف والف . ومن مؤلفاته هذا الكتاب . وقد ذكر فيه من ولي مصر من السلاطين والنواب من الفتح العمري الى زمانه . طبعت بعض اجزائه في ليدن (١٨٥٥ م) باعتناء المستشرق الهولندي جوينبول والاستاذ ماتس . وطبع بعضها الأستاذ وليم بوبر من كلية كاليفورنيا بين سنتي (١٩٠٩ — ١٩٢٣م) . ثم جاءت دار الكتب المصرية فطبعت في مطبعتها تسعة اجزاء بين ١٣٥٠هـ — ١٩٣١م و ١٣٦١ هـ — ١٩٤٢م. وهي التي راجعتها من اجل كتابي هذا.

٩٤ — (**النظام الاقتصادي في فلسطين**) لسعيد حماده استاذ الاقتصاد العملي في جامع

بيروت الاميركية . طبع في المطبعة الأميركانية في بيروت سنة ١٩٣٩م . وله أيضاً (النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان) و (النظام الاقتصادي في العراق) .

٩٥ – (**النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**) : لابي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الاسدي ، المعروف بابن شداد بهاء الدين . ولد بالموصل ٥٣٩هـ – ١١٤٤م وتوفي في حلب ٦٣٢هـ – ١٢٣٤م وتفقه على يد رهط من علماء عصره . واتصل بصلاح الدين . فصاحبه هو والقاضي الفاضل في كثير من غزواته . وكان قاضياً لعسكره . وقد حرر وقائعه فجاءت في كتاب اسماه : (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وهي تشتمل على سيرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين . طبع في ليدن سنة ١٧٣٢ و ١٧٥٥ مع ترجمة الى اللغة اللاتينية للاستاذ شلتنس A. Schultens . وطبع ايضاً في مطبعة المؤيد بمصر (١٣١٧ هـ) . وطبع في لندن (١٨٩٧) مع مقدمة باللغة الانكليزية للمستر ويلسون Ch. Wilson وقد اطلعت على الاصل والترجمة الافرنسية في مجموعة الحروب الصليبية بمكتبة الظاهر بدمشق . ومنها جاء ما اقتبسنا .

٩٦ – (**هيكل سليمان**) : او الوطن القومي لليهود لمؤلفه يوسف الحاج . طبع في بيروت سنة ١٩٣٤ م .

٩٧ – (**وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان**) : لقاضي القضاة شمس الدين ابي العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان . ولد باربل من اعمال العراق قرب الموصل سنة ٦٠٨هـ – ١٢١١م وانتقل بعد موت أبيه الى الموصل . ثم سافر الى حلب . وتتلمذ على القاضي بهاء الدين بن شداد . واجتمع بعز الدين بن الأثير المؤرخ المشهور . ودخل مصر . ثم قدم الشام وولي فيها القضاء . وكان عالماً بارعاً ملماً بالشعر . توفي سنة ٦٨١هـ – ١٢٨٢م وكتابه هذا يشتمل على ٨٦٤ ترجمة . طبع في ثلاثة عشر جزءاً بعناية المستشرق وستنفلد غوطا ١٨٣٥ وطبع في اوروبا بتواريخ مختلفة تراجم بعض الاعيان مستخرجة من الكتاب المذكور . والطبعة التي اعتمدتها في كتابي هذا هي الاخيرة التي طبعت باشراف وزارة المعارف العمومية المصرية بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر (١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م) .

كتب تركية

توركجه كتابلر

صايي	كتابك اسمي	مؤلفي
١	أوليا جلبي سياحتنامه‌سي	أوليا جلبي
٢	بيروت ولايتي	محمد رفيق ومحمد بهجت
٣	تاريخ جودت	جودت
٤	تاريخ لطفي	احمد لطفي
٥	تاريخ نعيما	نعيما
٦	سالنامهٔ دولة عثمانية	عثمانلي حكومتي
٧	سفرنامة	ناصري خسرو
٨	عثمانلي تاريخي	احمد راسم
٩	عثمانلي تاريخي	احمد رفيق
١٠	فلسطين جبهه سي	حربيـــة نظارتي
١١	نوسال عثماني	أكرم رشاد وعثمان فريد

ENGLISH BOOKS

كتب انكليزية

S. No.	NAME OF THE BOOK	NAME OF THE AUTHOR
1	The Ancient Topography of Jerusalem	James Fergusson
2	Annals of Palestine	Monk Neophytos of Cyprus
3	The Antiquities of the Jews	Flavius Josephus
4	Bibleical Resarches	Dr. Robinson
5	Church of the Holy Sepulchre	William Harvey
6	The Decline & Fallof theRomanEmpire	Gibbon
7	The Desert of the Exodees	E. H. Palmer
8	The Dome of the Rock	E. T. Richmond
9	Early Muslim Architecture	K· A. C. Creswell
10	Encyclopaedia Britannica	
11	The Fall of the Lattin Kingdom of Jerusalem	Shukri Muhtadi
12	The First Crusade	August C. Krey
13	Folklore of the Holy Land	J. E. Hanauer
14	Guide to Beithlehem	R. W. Hamilton
15	Guide to the Citadel of Jerusalem	C. N. Johns
16	Guide to the Holy Land	Fransiscan Press
17	New Guide to the Holy City	B. Meistermann
18	Handbook of the Anglican Bishopric in Jerusalem & the East	
19	Handbook of Palestine & Trans-Jordan	Luke & Keith-Roach
20	A History of the Ancient Egyptians	James H. Breasted
21	History of the Arabs	Philip K. Hitti
22	The Historical Geography of the Holy Land	G. A. Smith
23	The Holy Places of Jerusalem	Hayter Lewis
24	Jerusalem	G. A. Smith
25	Jerusalem	Lionel Cust
26	Jerusalem, theCity of Herod & Saladin	W. Besant & H. Palmer
27	Ancient Jerusalem	Selah Merrill
28	The City of Jerusalem	C· R. Conder
29	The Recovery of Jerusalem	Captain Wilson & Captain Warren
30	The Story of Jerusalem	Col. Sir C. M. Watson
31	To Jerusalem	Count Folke Bernadotte
32	Our Jerusalem	Bertha Spafford Vester
33	Six Months in Jerusalem	Charles Biggs
34	Underground Jerusalem	Charles Warren
35	Jerusalem City Plan	Henry Kendall

ENGLISH BOOKS

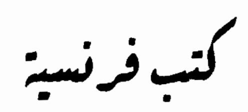
S. No.	NAME OF THE BOOK	NAME OF THE AUTHOR
36	Jerusalem's Water Supply Bulletin No. 180 (June, 1938)	The National Gas & Oil Engine Company Ashton-Under-Lyne, England
37	The Knights of St. John	E. J. King
38	Memorandum of the water resources of Palestine	The Government of Palestine
39	The Modern Wall of Jerusalem	Hinckley G. Mitchell
40	The Order of the Hospital of St. John of Jerusalem	H. W. Fincham
41	The Origin of The Plan of the Dome of the Rock	K. A . C. Creswell
42	Palestine	W. H. Boulton
43	Palestine, Past and Present	L. Valentine
44	Palestine Under The Moslems	Guy Le Strange
45	A Palestine Notebook	C. R. Ashbee
46	Ancient & Modern Palestine	Translated by Mary B. Rothier. From French by Liévin De Hamme
47	Palestine in the earliest Historical Period (J. P. O.S. Vol. xv, P. 218)	W. F. Albright
48	The Palestine Campaigns	Col. A. P. Wavell
49	Notes compiled for the information of the United Nations Special Committee on palestine, 1947	
50	A Pilgrimage to Palestine	H. E. Fosdick
51	Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land	James Rose Macpherson.
52	The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land	Col. Sir C. M. Wilson
53	Prophets, Priests & Patriarchs	Harry Charles Luke
54	Saewulf	The Lord Bishop of Clifton
55	A Short History of the Saracens	Sayed Amir Ali, translated into Arabic: Riyad Rafat
56	Stirring Times	James Finn,
57	Story of the Tabernacle of Jerusalem	The American Colony Jerusalem
58	Syrian Orthodox Convent of St. Mark in Jerusalem	J. Stephan
59	The Tell Amarna Tablets	C. R. Conder
60	The Third Wall of Jerusalem	E. L. Sukenick, L. A. Mayer
61	Through The Holy Land	Leonard T. Pearson
62	Visit to Alexandria, Damascus & Jerusalem	E. Hogg
63	Walks About Jerusalem	J. E. Hanauer
64	With the Russian Pilgrims to Jerusalem	Stephan Graham.
65	The War Graves of The British Empire	Imperial War Graves Commission, London

DEÜTSCHE BÜCHER

كتب المانية

R. F	NAME DES BUCHES	NAME DES VERFASSERS
1	Die El - Amarna Tafeln	J. A. Knudtson
2	Die Arabischen Nachrichten zur Geschichte der Haram-bauten	Gildmeister
3	Der Felsendom in Jerusalem und seine Geschichte	R. Hartmann
4	Geschichte der Aksamoshee	R. Hartmann
5	Das Heilige Land in Vergangenheit und Gegenwart	Valmar Cramer und Gustav Meinertz
6	Topographie von Jerusalem	Tobler
7	Westasiatische Studien	George Kampffmeyer

LIVRES FRANCAIS



NOmbRe	NOM DU LIVRE	AUTEUR
1	Les Allemands En Orient	Alphonse d, Alonzo
2	Encyclopèdie De l'Islam	
3	Jèrusalem Antique	P. Hugues Vincent
4	Jèrusalem Nouvelle	p. Hugues Vincent et F. M. Abel
5	Matèriaux pour Un Corpous Inscriptionum Arabicarum	Max Vam Berchem
6	Rapport Sur L' Adduction Des Eaux A Jerusalem	A. A. Meijers
7	Recueil Des Historiens Des Croisades	L, acadèmie Des Inscriptions et Belles - Lettres Paris
8	La Russie En palestine	Alphonse d' Alonzo
9	Sainte Marie Où Elle Est Nèe	N. Van Der Vliet
10	Le Temple De Salomon	Le R. P. de Vaux O. P.

كلمة الناشر . .

المؤلف ونبذة من سيرته

ولد **عارف العارف** في مدينة القـدس سنة ١٨٩٢ . وأتم دراسته الابتدائيـة في مدارسها . ثم سافر الى استانبول حيث أتم دراسته الثانوية (١٩١٠) . وكذلك قل عن دراسته الجامعية ، فقد أتمها في جامعة استانبول (١٩١٣) .

وفي أثناء دراسته كان يشتغل بالصحافة ، ليتمكن من تحصيل نفقات دراسته وقـد عمل في جريدة الأخبار (بيام) التركيـــة مصححاً .

وانتخب عضواً في مجلس ادارة (المنتدى الأدبي) . ذلك المنتدى الذي كان يضم عدداً كبيراً من الطلاب العرب وكان من أسس النهضة العربيـــة . وعندما أتم دراسته الجامعية ونال درجة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي انتدب للعمل في ديوان الترجمـــة بوزارة الخارجية .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) أدخل الكلية العسكريه في استانبول ، حيث تم تدريبه هو وجميع خريجي الجامعـة على القتال . وتخرج من الكليـــة المذكورة ضابطاً . فأرسل الى جبهة القفقاس ، حيث انخرط في صفوف الجيش العثماني الذي كان يحارب الروس في تلك الجبهة . وهناك في معركة دارت رحاها بين الروس والاتراك ، على مقربة من (أرض الروم) ، أبيدت الكتيبة التركية التي كان يعمل فيها ؛ فقتل معظم رجالها . ولم ينج منهم سوى أحـــد عشر شخصاً ، كان عارف واحداً منهم . فأسره الروس . وأرسلوه الى سيبريا (١٩١٥) . وهنـــاك في معتقل للأسرى أقاموه على مقربة من مدينـــة (قرا سنويا رسق) وعلى شاطيء نهر (يني ساي) قضى ثـــلاث سنوات أسيراً (١٩١٥ - ١٩١٧) .

وفي غضون الأسر تعلم عارف من الضباط الألمـــان الذين كانوا في المعتقـل نفسه اللغة الالمانية . وترجم الى اللغة التركية الكتاب المعروف (Die welträtsel) لمؤلفه الألماني . . . البروفسور (Ernst Häckel) .وقد أسماه (أسرار جهان) واصـدر جريدة عربية هزليـة سمّاها : (ناقة الله) .

وأتته ، وهو في سيبريا ، أنباء الثورة العربية التي أعلنها ضد الأتراك شريف مكة المغفور له الملك حسين طيَّب الله ثراه ؛ فهرب من الاسر ، وهرّب معه واحداً وعشرين أسيراً عربياً . فعادوا جميعاً إلى وطنهم . عادوا عن طريق منشوريا فاليابان والصين

والهند والبحر الأحمر ومصر . وفي خلال هـــذه الرحلة التي دامت اربعة شهور ؛ كانت الهدنة قد أعلنت ، والحرب قد انتهت (١٩١٨) .

وعندما عاد إلى مسقط رأسه . . . القدس . . . بعـــد غياب دام سبع سنين ؛ رآى ، بدلاً من الاستقلال الذي كان ينشده ولطالما منى النفس به ، الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي . فرآى من مصلحة قومه وبلاده ، أن يعمل على مناوئتهــا مــا وسعه جهده . . فاصدر بالاشتراك مـــع صديقه المحامي الاستاذ حسن البديري جريدة أسمياها : (سورية الجنوبية) . وكانت تلك الجريدة أول صحيفة رفعت عـلم الجهـــاد ضد الانتداب البريطاني والوطن القومي اليهودي في مدينة القدس . وكثيراً ما صودرت وتعرضت للتعطيل ، وتعرض صاحباها للسجن والتعذيب إلى أن نشبت الاضطرابات الأولى بين العرب واليهود سنة ١٩٢٠ . فاعتبره الانكليز أحد مثيري تلك الاضطرابات وسجنوه . بيد انه هرب من القدس ، ولما يبق في السجن سوى ثلاث ليال . . .

وباءت جميع المساعي التي بذلها الانكليز من أجل القاء القبض عليه بالفشل . إذ كان عارف قد اجتاز البحر الميت وحط رحـــله في الكرك شرقي الاردن . ومن هنـــاك سافر الى الشام حيث عاش مشمولاً برعاية الملك فيصل . ولقد انتخبه ابناء بلده القدس ليمثلهم في (المؤتمر السوري) . ذلك المؤتمر الذي أعلـن استقـلال سوريا التـــام ، من طورس إلى رفح ، ونادى بفيصل ملكاً عليهـــا .

وفي غضون تلك الفترة من الزمن ، كانت المحكمة العسكرية التي الفهـا الانكليز في فلسطين قد انتهت من النظر في حوادث الاضطرابات ؛ وأصدرت حكمها بادانته وأدانة رفيقه الحـاج أمـــين الحسيني ، وحكمت عليهما بالاعدام . ثم خُفض الحكم الى السجن عشر سنين .

ولما تأسست إدارة مدنية في فلسطين ، وتسلمهـا المندوب السامي الأول ، السر هربرت صموئيل ؛ رآى هذا من الحكمة أن يلجأ في باديء الأمر الى اللين . فعفا عن جميع الاشخاص المحكومين . . . الذين اعتبرهم مجرمين سياسيين . . خلا اثنين هما :

عارف العارف والحاج أمـــين . فقد استثنيا من العفو إلا إذا عادا الى فلسطين ، وسلما نفسيهما الى الحكومة ! . فرفضا العودة كما رفضا ان يطلبا العفو . وآثرا أن يظلا طليقين في سوريا ، ليعملا بحرية وصراحة على ما فيه نفع وطنهما .فأسسا هناك ، بالاشتراك مع عدد من اخوانهما الفلسطينيين ، جمعية أسموها : (الجمعيـة العربيـة الفلسطينية) . وانتخب عارف سكرتيراً عاماًلتلك الجمعية .وبقي في دمشق الى أن احتلها الافرنسيون بقيادة الجنرال غورو . فغادرها مع من غادرها من رجالات سوريا وفلسطين ، خشية

ان يسلمه الافرنسيون الى الانكليز . وراح بعدئذ يعيش في شرق الاردن ، الى أن سمع بصدور العفو عنه ، فرجع الى فلسطين .

حاول بعد رجوعه الى فلسطين ان يشتغل بالصحافة مرة اخرى ، فلم يسمح له الانكليز بذلك . لا بل انهم منعوه عنها وعن الاشتغال بالسياسة بالمرة . وعرضوا عليه عدداً من الوظائف الحكومية ، فرفضها في باديء الامر . ثم عاد فقبلها ، عندما اعتزموا نفيه من البلاد ، مشترطاً عليهم ان يحتفظ بمبادئه السياسية . وهكذا كان .

قضى عارف في الاعمال الادارية سبعة وعشرين عاماً (١٩٢١ - ١٩٤٨) كان خلالها قائمقاماً في جنين ، ونابلس ، وبيسان ، ويافا . وفي عام ١٩٢٦ استعاره الامير عبد الله بن الحسين ، فعاش في عمان سكرتيراً عاماً لحكومة الشرق العربي . وبقي في منصبه ذاك ثلاثة أعوام . وأعيد بعدئذ الى فلسطين بسبب معارضته للمعاهدة البريطانية - الاردنية . وفي فلسطين ، انتدب قائمقاما لبئر السبع ، ثم غزة . ثم جرى ترفيعه مساعداً لحاكم لواء القدس ، وعهد اليه بادارة قطاع رام الله .

بعد زوال عهد الانتداب البريطاني ، انتدب رئيساً لبلدية القدس (١٩٥٠) . وفي الانتخابات البلدية التي جرت بعد ذلك بسنة (١٩٥١) ربح أغلبية الاصوات فانتخب رئيساً للبلدية نفسها . وظل رئيساً الى ان اختلف في الرأي مع رئيس الوزراء توفيق باشا أبي الهدى ، فأقاله من الرئاسة .

وفي الانتخابات البلدية التي جرت بعدئذ (١٩٥٥) أعيد انتخابه من قبل الشعب فتسلم الرئاسة للمرة الثالثة . وكان في الوقت نفسه رئيساً للجنة التنفيذية لرابطة المناضل الجريح . وعضواً في المجلس الاستشارى لدائرة السياحة . واختير في أواخر عام ١٩٥٥ وزيراً للأشغال ، إلا انه استقال من الوزارة بسبب خلاف في الرأي نشب بينه وبين رئيس الوزراء حول السياسة التي يجب أن تسير عليها البلاد . فقد أراد الرئيس يومئذ ضم **الاردن** الى **حلف بغداد** . ورفض هو هذا الحلف . فاستقال من الوزارة . .

يعرف ست لغات هي : **العربية والتركية والافرنسية والألمانية والعبرية والانكليزية**

ومن عادته ان يدون مذكراته يومياً . فما انقطع عن تدوينها يوماً واحداً منذ أربعين عاماً . انها في الحقيقة سجل كامل لتاريخ حياته وحياة أسرته وللحركة الوطنية في فلسطين .

واما كتبه ومؤلفاته فقد بلغت حتى الآن (١٩٦١ م) ثمانية عشر كتاباً . ترجم ستة منها إلى اللغات الأجنبية . انها هي التي تراها في الوجه الأخير لهذا الكتاب .

* * *

الناشر فوزي يوسف

مكتبة الاندلس ط ١ / في ١ / ٤ ١٩٦١

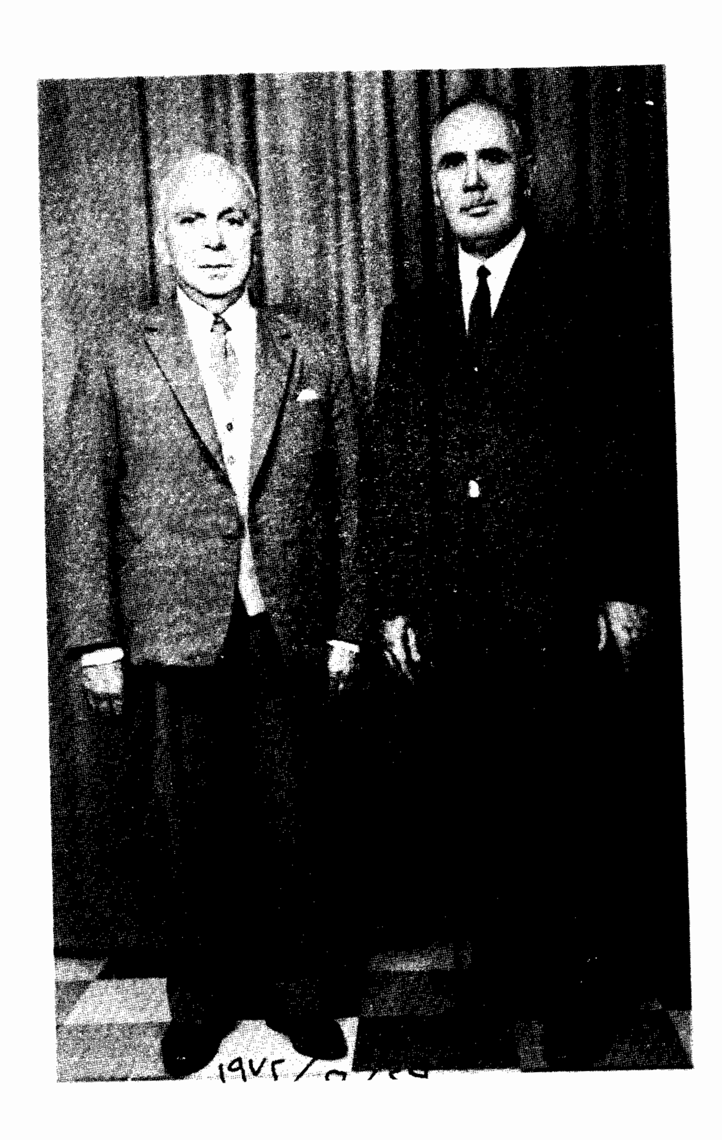
وقد انتقل مؤرخ بيت المقدس المرحوم عارف العارف الى الرفيق الاعلى يوم ٣١ تموز سنة ١٩٧٣ بعد حياة حافلة بجلائل الاعمال وعن عمر يناهز ٨١ عاما . وقد نعته الصحف ودور الاذاعة وأتت على الكثير من حياته واعماله . كما قوبل خبر وفاته بحزن بالغ وأسف شديد في سائر انحاء العالم العربي .

وشيعت القدس جثمانه باحتفال كبير من المسجد الاقصى المبارك الى مقبرة باب الساهرة حيث دفن هناك . رحمه الله رحمة واسعة .

وكان كتاب المفصل هذا ، آخر الكتب المطبوعة التي صدرت للمؤلف وهو يحمل الرقم ١٨ وقد صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٦١ .

وقد خلف المرحوم خمسة ابناء هم سمير وفاروق ، ولميس وسلوى وفريدة .

وانتقلت السيدة أم سفيان عقيلته الى رحمة ربها يوم ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٨٥ بالكويت ودفنت هناك رحمها الله .



المؤلف عارف العارف
والناشر فوزي يوسف
في آخر لقاء بينهما في القدس سنة ١٩٧٢

للمؤلف ..

العدد	اسم الكتاب	تاريخ صدوره
١	القضاء بين البدو	١٩٣٣
٢	تاريخ بئر السبع وقبائلها	١٩٣٤
٣	تاريخ غزة	١٩٤٣
٤	الموجز في تاريخ عسقلان	١٩٤٣
٥	رؤياي (الطبعة الاولى)	١٩٤٣
٦	تاريخ الحرم القدسي	١٩٤٧
٧	المسيحية في القدس	١٩٥١
٨	الموجز في تاريخ القدس	١٩٥١
٩	النكبة (الجزء الاول)	١٩٥٦
١٠	النكبة (الجزء الثاني)	١٩٥٧
١١	النكبة (الجزء الثالث)	١٩٥٨
١٢	النكبة (الجزء الرابع)	١٩٥٩
١٣	النكبة (الجزء الخامس)	١٩٦٠
١٤	النكبة (الجزء السادس)	١٩٦١
١٥	النكبة (الجزء السابع)	١٩٦١
١٦	رؤياي (الطبعة الثانية)	١٩٥٧
١٧	تاريخ قبة الصخرة والمسجد الاقصى	١٩٥٨
١٨	المفصل في تاريخ القدس	١٩٦١

ترجم عدد من هذه الكتب الى اللغات الانكليزية والالمانية والفرنسية

وهنــــاك مخطوطات لم تطبع بعد :

١ ـــ كنت اسيراً : في سيبريا .

٢ ـــ ثلاثة أعوام في عمان .

٣ ـــ الكويت : ماضيها وحاضرها .

A HISTORY OF JERUSALEM

(DETAILED ACCOUNT OF THE HOLY CITY)

BY

AREF EL-AREF

Copies may be ordered by Mail from the publisher

FAWZI YOUSEF

AL-ANDALUS LIBRARY

DAMASCUS GATE. JERUSALEM

1986